

تاريخ

تاريخ العرب

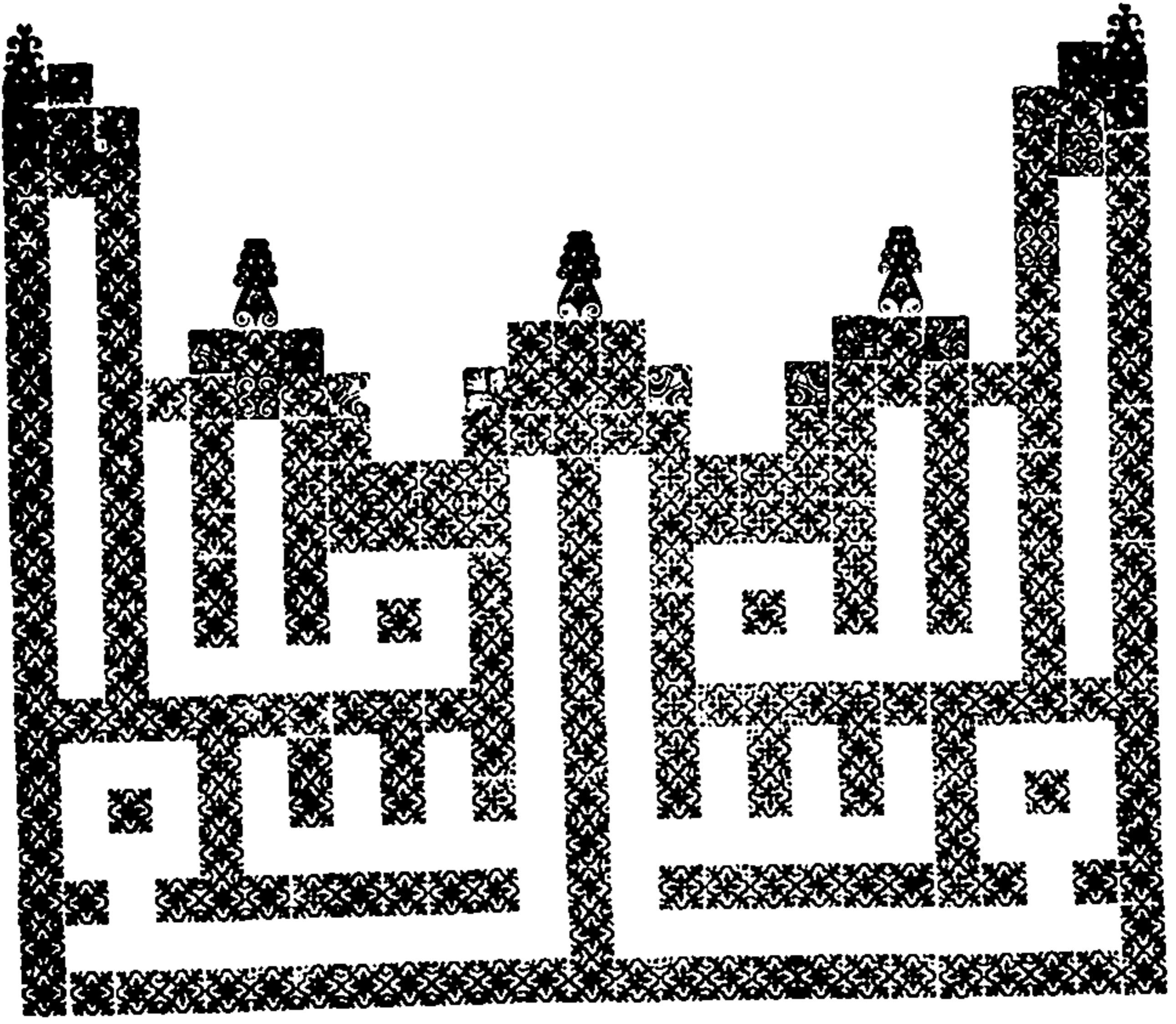
تأليف

أحمد بن محمد

ص ١٧٧

الطبعة الأولى





رَوَائِعُ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ

تَارِيخُ الطَّبْرِ

تَارِيخُ الْأُمَمِ وَالْمُلُوكِ

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٥٣١٠

الجزء الثالث

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم



دار السويديان

بيروت - لبنان

131587

e

بيان

ذكرت في مقدمة هذا الكتاب أني اتخذت النسخة المطبوعة في ليدن - بين سنتي ١٨٧٩ و ١٨٩٨ - أصلاً اعتمدت عليه في التحقيق ، باعتبارها النسخة الكاملة التي نشرت نشرًا علميًا على أساس المخطوطات المتنوعة التي وقعت لمصححها ؛ وأثبت في حواشي الكتاب أهم فروقها ؛ كما زدت على ذلك فروق النسخ التي حصلت عليها ؛ مع ما وجدته ضروريًا من التعليق والشرح والتوضيح .

وقد فاتني أن أذكر أني رجعت عند التحقيق أيضاً إلى ما يأتي :

١ - الروايات التي أوردها ابن جرير الطبري في تفسيره ^(١) ، مما يتعلق بأخبار بدء الخلق وقصص الأنبياء والسيرة النبوية ؛ ويكاد يكون ما أورده من ذلك متحداً مع ما جاء في تاريخه من حيث الإسناد والعبارة .

٢ - سيرة ابن هشام ^(٢) في جميع ما ساقه المؤلف من رواية محمد بن إسحاق ، مما يتعلق بتاريخ العرب في الجاهلية وأخبار النبي عليه السلام في نشأته ومبعثه ومغازيه ؛ إذ كانت رواية ابن إسحاق في تاريخ الطبري تحتل المكانة الأولى في هذا الباب .

٣ - الأجزاء ^(٣) التي قام بنشرها الأستاذ المستشرق كوزينجارتن I.G.L. Kosegarten

(١) طبعة دار المعارف بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر ؛ وطبع ببولي فيا لم يظهر حتى الآن من طبعة دار المعارف .

(٢) سيرة ابن هشام بشرح أبي القاسم السهيلي المعروف بـ "روض الألف" - الطبعة الجمالية بمصر سنة ١٩١٤ .

(٣) طبعت في جرايفسفلد Greifswald في عام ١٨٥٣ م .

على أساس المخطوطات التي اعتمد عليها ؛ وهي ثلاثة أجزاء في مجلد واحد ، وتتنظم الأحداث الواقعة بين أواخر السنة الحادية عشرة وأواخر السنة الرابعة عشرة للهجرة ؛ وقد رمزت إليها في الحواشي بالحرف (ز) .

٤ - كتاب الغزوات الضامنة الكافلة ، والفتوح الجامعة الحافلة^(١) ؛ لأبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن حبيش الأنصاري المعروف بابن حبيش ، وذكر في هذا الكتاب الغزوات والفتوح الإسلامية في أيام الخلفاء الثلاثة الأوائل ؛ أبي بكر وعمر وعثمان .

٥ - تاريخ ابن الأثير الجزري المعروف بالكامل^(٢) . وقد ذكر في مقدمته أنه أخذ جميع تراجم أبي جعفر ، لم يخلّ بواحدة منها ، واختار أتم الروايات فنقلها .

٦ - القسم الخاص بالتاريخ ، من كتاب نهاية الأرب لشهاب الدين النويري . وقد اعتمدت - فيما لم تنشره دار الكتب بمصر^(٣) - على النسخة المصورة المحفوظة في الدار برقم ٥٤٩ - معارف عامة ؛ عن الأصل المحفوظ بمكتبة كبريلي بالآستانة .

هذا ؛ عدا ما قابلته من نصوص هذا الكتاب بما نقله أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني ، وياقوت في معجم البلدان ، والثعالبي في كتاب غرر أخبار ملوك الفرس^(٤) .

(١) قد اعتمدت في مراجعة هذا الكتاب على النصوص التي أوردتها ناشر طبعة ليدن فقلا عن نسخة خطية في مكتبة ليدن رقم ٣٤٣ Or .

(٢) نشره منير الدمشقي بمصر سنة ١٣٤٨ هـ ، بتعليقات العالم المؤرخ عبد الوهاب النجار .

(٣) أصدرت دار الكتب ثمانية عشر جزءاً من هذا الكتاب ، يبدأ القسم الخاص بالتاريخ من أول الجزء الثالث عشر من هذه الطبعة .

(٤) طبع هذا الكتاب في مطبعة باريس الوطنية سنة ١٩٠٠ بتحقيق زوتنبرج Zotenberg

ولا يفوتني أن أذكر هنا أيضا أني عنيت عناية تامة بالإفادة من الاستدراكات والتصويبات والتعليقات التي ألحقها ناشرو طبعة ليدن ، فأثبت بهذه الطبعة جميع التصويبات ، ورجعت إلى مواضع التعليقات في نصوصها الأصلية .
أما ما قد يظهر في هذه الطبعة من ملاحظات ، وما قد ينبه عليه العلماء والباحثون والمعنيون بالنصوص العربية وسلامتها من تصويبات ؛ فقد عقدت العزم على تلافي ذلك كله بعد الانتهاء من طبع بقية الأجزاء .
وأسأل الله جل شأنه ، العون والهداية والتوفيق .

محمد أبو الفضل إبراهيم

القاهرة في صفر سنة ١٣٨٢ هـ
يولييه سنة ١٩٦٢ م

e

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر الأحداث الكائنة في سنة سبع من الهجرة

غزوة خيبر

ثم دخلت سنة سبع ؛ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بقية المحرم إلى خيبر واستخلف على المدينة سباع بن عرفطة الغداري . فمضى حتى نزل بجيشه بواد يقال له الرجيع ؛ فنزل بين أهل خيبر وبين غطفان - فيما حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة . عن ابن إسحاق - لبيحون بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر ؛ وكانوا لم يظاهروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فبلغني أن غطفان لما سمعت بمنازل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ، جمعتوا له ، ثم خرجوا ليضاهروا يهود عليه ؛ حتى إذا ساروا منقلاً^(١) سمعوا خلفهم في أموالهم وأهاليهم حساً . ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ؛ فأقاموا في أهاليهم وأموالهم ؛ وحدثوا بين رسول الله وبين خيبر ، وبدأ^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأموال يأخذها^(٣) مالا مالا ، ويفتحها^(٤) حصناً حصناً ؛ فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم ؛ وعنده قتل حمود بن مسلمة ؛ أثبت عليه رحماً منه فقتلته ؛ ثم القموص ؛ حصن ابن أبي الحقيق . وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سبأيا ؛ منهم صفية بنت حيي بن أخطب . وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق . وابنتي عم لها . فاصطفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه . وكان دحية الكلبي قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها ؛ فأعطاه ابنتي عمها ؛ وفشت السبأيا من خيبر^(٥) في^(٦) المسلمين^(٧) .

(١) منقلاً : مبرحلة .

(٢) بدأ : بدأ .

(٣) سمعوا : سمعوا .

(٤) افتتحها : افتتحها .

(٥) في : في .

(٦) المسلمين : المسلمين .

(٧) سيرة ابن هشام : ٢ : ٢٣٧

قال : ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتدنى^(١) الحصون والأموال .
 حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
 عبد الله بن أبي بكر ؛ أنه حدثه بعض أسلم ؛ أن بني سهم من أسلم ، أتوا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ؛ والله لقد جهدنا وما
 بأيدينا شيء ؛ فلم يجدوا عند رسول الله شيئاً يعطيهم إياه ، فقال النبي :
 اللهم إنك قد عرفت حالهم ، وأن ليست بهم قوة ؛ وأن ليس بيدي شيء
 أعطيهم إياه ؛ فافتح عليهم أعظم حصونها^(٢) ؛ أكثرها طعاماً وودكاً . فغدا
 الناس ، ففتح الله عليهم حصن الصعب بن معاذ ؛ وما بخير حصن كان
 أكثر طعاماً وودكاً منه .

١٥٧٧/١

قال : ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح ،
 وحاز من الأموال ما حاز ، انتهوا إلى حصنهم الوطيع والسلايم – وكان آخر
 حصون خيبر افتتح – حاصرهم رسول الله بضع عشرة ليلة^(٣) .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
 عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهيل أخى بنى حارثة ، عن جابر بن
 عبد الله الأنصارى ، قال : خرج مَرَّحِبُ اليهودى من حصنهم ؛ قد جمع
 سلاحه وهو يرتجز ؛ ويقول :

قد علمت خيبر أنى مَرَّحِبُ شاكى السلاح بطل مجرب^(٤)
 أظن أحياناً وحيناً أضرب إذا اللبث أقبلت تحرب^(٥)
 • كان حماي ، للحمى لا يقرب •

وهو يقول : هل من مبارز ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 من لهذا ؟ فقام محمد بن سلمة ؛ فقال : أنا له يا رسول الله ؛ أنا والله الموتور
 الثائر ؛ قتلوا أخى بالأمس ! قال : فقم إليه ؛ اللهم أعينه عليه .

فلما أن دنا كل واحد منهما من صاحبه ، دخلت بينهما شجرة عمريّة^(٦)

(١) يتدنى ، أى يأخذ الأدنى فالأدنى .
 (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٨ .
 (٣) س : « حصن لهم » .
 (٤) شاكى السلاح : حادة .
 (٥) تحرب ، أى أقبلت مغضبة .
 (٦) عمريّة : قديمة .

من شجر العُشْر^(١)؛ فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه ؛ فكلّما لاذَ بها ١٥٧٨/١
اقتطع بسيفه منها ما دونه منها ؛ حتى برز كلُّ واحدٍ منهما لصاحبه ، وصارت
بينهما كالرجل القائم ، ما بينهما فتنٌ ؛ ثم حمل مرحبٌ على محمد فضربه ؛
فانقاه بالدرة فوق سيفه فيها ؛ فعصّت به فأمسكته ، وضربه محمد
ابن مسلمة حتى قتله^(٢) .

ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر ، يرتجز ويقول :

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرُ أَنْي يَاسِرُ شَاكِي السَّلَاحِ بَطَلٌ مُغَاوِرُ
إِذَا اللَّيْثُ أَقْبَلَتْ تُبَادِرُ وَأُحْجِمَتْ عَنْ صَوْتِي الْمَغَاوِرُ
• إِنَّ حِمَايَ فِيهِ مَوْتُ حَاضِرُ .

وحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد
ابن إسحاق ، عن هشام بن عروة ؛ أن الزبير بن العوام خرج إلى ياسر ،
فقال أمه صفية بنت عبد المطلب : أيقتلُ ابني يا رسول الله ؟ قال :
بل ابنك يقتله إن شاء الله . فخرج الزبير وهو يقول :

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرُ أَنْي زَبَارُ^(٣) قَرَمٌ لِقَوْمٍ غَيْرِ نَكْسٍ فَرَارُ
ابنُ حِمَاةِ الْمَجْدِ وَأَبْنُ الْأَخْيَارِ^(٤) يَاسِرُ لَا يَفْرُزُكَ جَمْعُ الْكِفَارِ
• فَجَمَعَهُمْ مِثْلَ السَّرَابِ الْجَرَارُ .

ثم التقيا فقتله الزبير .

١٥٧٩/١

حدثنا ابنُ بشار ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا عوف ،
عن ميمون أبي عبد الله ، أن عبد الله بن بُرَيْدَةَ حَدَّثَ عَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ ،
قال : لما كان حين^(٥) نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بحصن أهل خيبر ،
أعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم اللواءَ عمر بن الخطاب ، ونهض من نهض

(١) العُشْر : شجر أملس ضعيف العود . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

(٣) زبار ، من الزبير وهو القوة والمنعة . (٤) النويري : « ابن حمة المجد » .

(٥) س : « حيث » .

معه من الناس ؛ فلقوا أهل خيبر ؛ فانكشف عمر وأصحابه ، فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . يجئنه أصحابه ويجئتهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأعطين اللواء غدًا رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله . فلما كان من الغد تطاول لها^(١) أبو بكر وعمر ؛ فدعا عليًا عليه السلام وهو أرمد . فثقل في عينيه ، وأعطاه اللواء ؛ ونهض معه من الناس من نهض . قال : فلقوا أهل خيبر ؛ فإذا مرحب يرتجز ويقول :

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرٌ أَنِّي مَرْحَبٌ شَاكِي السَّلَاحِ بَطَلٌ مَجْرَبٌ
أَطْعَنُ أَحْيَانًا وَحِينًا أَضْرِبُ إِذَا اللَّيْثُ أَقْبَلَتْ تَلَهَبُ

فاختلف هو وعلى ضربتين ؛ فضربه على^(٢) على هامته ؛ حتى عض السيف منها بأضراسه^(٣) ؛ وسمع أهل العسكر صوت ضربته^(٤) ؛ فما تنام آخر الناس مع علي عليه السلام حتى فتح الله له ولهم .

حدثنا أبو كريب . قال : حدثنا يونس بن بكير . قال : حدثنا المسيب بن مسلم الأودي . قال : حدثنا عبد الله بن بريرة . عن أبيه . قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما أخذته الشقيقة^(٥) . فلبث اليوم واليومين لا يخرج . فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس . وإن أبا بكر أخذ راية رسول الله ؛ ثم نهض فقاتل قتالا شديداً ؛ ثم رجع وأخذها عمر فقاتل قتالا شديداً هو أشد من القتال الأول ؛ ثم رجع فأخبر بذلك رسول الله . فقال : أما والله لأعطينها غدًا رجلاً يحب الله ورسوله . ويحبه الله ورسوله . يأخذها^(٥) عوة - قال : وليس ثم علي عليه السلام . فتطاوت لها قريش ، ورجا كل واحد منهم أن يكون صاحب ذلك ؛

(١) و . . . تطاول . . .

(٢) س . . . باطن رأسه . . .

(٣) س : « المصربة » . . .

(٤) الشقيقة : نوع من صداع يعرض في مقدم الرأس أو إلى أحد جانبيه ، وفي الحديث :

« احتم وهو محرم من شقيقة » - اللسان .

(٥) س : « فأخذها » . . .

فأصبح فجاء علي^٤ عليه السلام على بعير له ، حتى أناخ قريباً من خيباء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أرمد ، وقد عصب عينيه بشقة برد قطري ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالك ؟ قال : رمدت بعد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادن مني ، فدنا فتفل في عينيه ، فما وجههما^(١) حتى مضى لسبيله . ثم أعطاه الراية ؛ فنهض بها معه وعليه حلة أرجوان حمراء قد اخرج حملها^(٢) . فأتى مدينة خيبر ؛ وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مغفر^(٣) معصفر يمان ، وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه ، وهو يرتجز ويقول :
 قد علمت خيبر أني مرحب^(٤) شاكي السلاح بطل مجرب^(٥)
 فقال علي^٤ عليه السلام :

أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَةَ أ كَيْلَكُمْ بِالسِّيفِ كَيْلَ السِّنْدَرَةِ^(٦)
 . لَيْتُ بَغَابَاتٍ شَدِيدٌ قَنَوْرَةَ .

فاختلفا ضربتين ؛ فبدره علي^٤ فضربه ، فقد الحجر والمغفر ورأسه ؛ ١٥٨١/١
 حتى وقع في الأضراس . وأخذ المدينة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن الحسن ؛ عن بعض أهله ، عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : خرجنا مع علي^٤ بن أبي طالب حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برباطه ؛ فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله ؛ فقاتلهم فضربه رجل من اليهود ، فطرح رأسه من يده ؛ فتناول علي^٤ رضي الله عنه باباً كان عند الحصن ، فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل ؛ حتى فتح الله عليه ؛ ثم ألقاه من يده حين فرغ ؛ فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم ، نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلب^(٧) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ولما

(١) ط : « وجهها » ، و : « رجمها » . وما أثبتته من النويري .

(٢) الحمل : هذب القطيفة ونحوها بما ينسج وتفضل له فضول .

(٣) السندرة : مكيال كبير .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٩ .

فتَح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القَمُوصَ ، حصن ابن أبي الحَقِيق ، أتى رسول الله بصفية بنت حُيِّ بن أخطب ، وبأخرى معها ؛ فمرَّ بهما بلال - وهو الذي جاء بهما - على قتلى من قتلى يهود ، فلما رأتهم أتى مع صفية صاحبة وصكت وجهها ، وحشت التراب على رأسها ، فلما رآها رسولُ الله قال : أغربوا^(١) عني هذه الشيطانة ؛ وأمر بصفية فحيزت خلفه ، وألقى عليها رداؤه ، فعرف المسلمون أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لبلال - فيما بلغني - حين رأى من تلك اليهودية^(٢) ما رأى : أنزعت منك الرحمة يا بلال ؛ حيث تمرُّ بامرأتين على قتلى رجالهما ! وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروسٌ بكنانة بن الربيع بن أبي الحَقِيق ؛ أن قمرًا وقع في حجرها ؛ فعرضت رؤياها على زوجها فقال : ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمدًا ، فلطم وجهها لطمهً اخضرت عينها منها ؛ فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثرٌ منها ، فسألها : ما هو ؟ فأخبرته هذا الخبر .

١٥٨٢/١

قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن الربيع بن أبي الحَقِيق - وكان عنده كثر بني النضير - فسأله فوجد أن يكون يعلم مكانه ؛ فأتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم برجل من يهود ؛ فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إني قد رأيت كنانة يُطيفُ بهذه الحربة كلَّ غداة . فقال رسول الله لكنانة : رأيت إن وجدناه عندك ، أقتلك ؟ قال : نعم ؛ فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالحربية فحُفِرَتْ ؛ فأخرج منها بعض كثرهم ؛ ثم سأله ما بقى ؛ فأبى أن يؤديه ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام ، فقال : عذبه حتى تستأصل ما عنده ؛ فكان الزبير يقدح بزنده في صدره حتى أشرف على نفسه ؛ ثم دفعه رسولُ الله إلى محمد بن مسلمة ، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة . وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَ خيبر في حصنهم ، الوطيع والسُّلام ؛ حتى إذا أيقنوا بالهلكة^(٣) سأله

(١) أغربوا : أبعثوا .

(٢) س : « اليهود » ، وفي ابن هشام : « بتك » .

(٣) س : « الهلاك » .

أن يسيرهم ويحقن لهم دماءهم ؛ ففعل . وكان رسول الله قد حاز الأموال كلها :
 الشَّقَّ ونظااة والكتيبة ؛ وجميع حصونهم إلا ما كان من ذبنيك الحصنين . ١٥٨٣/١
 فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يسألونه أن يسيرهم ويحقن دماءهم لهم ، ويخلتوا له الأموال ، ففعل ، وكان
 فيمن مشى بينهم وبين رسول الله في ذلك مُحَيَّصَةً بن مسعود ؛ أخو بني حارثة ؛ فلما
 نزل أهل خيبر على ذلك ؛ سألوا رسول الله أن يعاملهم بالأموال على النصف ،
 وقالوا : نحن أعلمُ بها منكم ؛ وأعمُرُ لها ؛ فصالحهم رسولُ الله صلى الله عليه
 وسلم على النصف ؛ على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ؛ وصالحه أهل
 فدك على مثل ذلك ، فكانت خيبر فيئاً للمسلمين ، وكانت فدك خالصة
 لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنهم لم يجلببوا^(١) عليها بخيل ولا ركاب .
 فلما اطمأن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحارث امرأة
 سلام بن مشكم شاةً مصليةً^(٢) ؛ وقد سألت : أى عضو من الشاة أحبُّ
 إلى رسول الله ؟ فقيل لها : الذراع ؛ فأكرت فيها السم ، فسمت سائر
 الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما وضعنها بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
 تناول الذراع ؛ فأخذها فلاك منها مضغة فلم يسغنها ؛ ومعه بشر بن البراء
 ابن معرور ؛ وقد أخذ منها كما أخذ رسول الله ، فأما بشر فأساغها ؛ وأما
 رسول الله فلفظها ، ثم قال : إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم ؛ ثم دعا
 بها فاعترفت ، فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت : بلغت من قومي ما لم
 يتخف عليك ، فقلت : إن كان نبياً فسيخبر ؛ وإن كان ملكاً استرحتُ
 منه ؛ فتجاوز عنها النبي صلى الله عليه وسلم . ومات بشر بن البراء من إكلته
 التي أكل^(٣) .

١٥٨٤/١

حدثنا ابن حميد ؛ قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ؛ عن
 مروان بن عثمان بن أبي سعيد بن المعلّى ، قال : وقد كان رسول الله صلى الله

(١) و : « يوجفوا » .

(٢) مصلية : مشوية .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٠ ، ٢٤١

عليه وسلم قال في مرضه الذي تُوُفِّيَ فيه— ودخلت عليه أمّ بشر بن البراء تَعُودُه :
 بما أمّ بِبِشْرٍ ؛ إنّ هذا الأوانَ وجدت انقطاع أبهري من الأكلة التي أكلتُ
 مع ابنتك بخير .

قال : وكان المسلمون يروون أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات
 شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة .

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير انصرف
 إلى وادي القرى فحاصر أهله ليالي ، ثمّ انصرف راجعاً إلى المدينة .

• • •

ذكر غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وادي القرى

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن ابن إسحاق ، عن ثور
 ابن زيد ، عن سالم مولى عبد الله بن مطيع ، عن أبي هريرة ، قال : لما انصرفنا
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير إلى وادي القرى ، نزلنا أصلاً مع
 مغارب الشمس ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم غلامٌ له ؛ أهداه إليه
 رفاعة بن زيد الجذامي ، ثمّ الضبيبي^(١) ؛ فوالله إنا لنضع رَحْلَ رسول الله صلى
 الله عليه وسلم إذ أتاه سهمٌ غرب^(٢) ؛ فأصابه فقتله ، فقلنا : هنيئاً له الجنة !
 فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : كلا والذي نفس محمد بيده ؛ إنّ شَمَلتَه
 الآن لتُحَرَّقُ عليه في النار . قال : وكان غلَّتْها من فيء المسلمين يوم خير .
 قال : فسمعها رجلٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه ،
 فقال : يا رسولَ الله ، أصبتُ شيراً كين لتعلين لي ، قال : فقال :
 يُقَدُّ لك مثلهما من النار^(٣) .

١٥٨٥/١

وفي هذه السّفرة نام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن صلاة الصبح
 حتى طلعت الشمس ؛ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن ابن إسحاق ،

(١) الضبيبي ، من الضبيب بن جذام ، له صحبة . وفي ابن هشام : « الضبيبي » .

(٢) سهم غرب : لا يدري راميهِ .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤١ .

عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، قال : لما انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من خيبر؛ وكان ببعض الطريق ، قال من آخر الليل : من رجل يحفظ علينا الفجر ، لعلنا ننام ؟ فقال بلال : أنا يا رسول الله أحفظ لك ؛ فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل الناس فناموا ؛ وقام بلال يصلي ، فصلتني ما شاء الله أن يُصلي ثم استند إلى بعيره ؛ واستقبل الفجر يرمقه ؛ فغلبته عينه ، فنام فلم يُوقظهم إلا مسُّ الشمس ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول أصحابه هب من نومه ، فقال : ماذا صنعت بنا يا بلال ! فقال : يا رسول الله ، أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ، قال : صدقت . ثم اقتاد رسول الله غير كثير ، ثم أناخ فتوضأ وتوضأ الناس ، ثم أمر بلالا فأقام الصلاة ، فصلتني بالناس ، فلما سلم أقبل على الناس ، فقال : إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكروها ، فإن الله عز وجل يقول : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾^(١) .

١٥٨٦/١

قال ابن إسحاق : وكان فتح خيبر في صفر .

قال : وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء من نساء المسلمين ، فرضخ^(٢) لهن رسول الله من التقيء ولم يضرب لهن بسهم .

•••

[أمر الحجاج بن علاط السلمى]

قال : ولما فتحت خيبر قال الحجاج بن علاط السلمى ثم البهزى لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ؛ إن لي مالا بمكة عند صاحبتى أم شيبه بنت أبي طلحة - وكانت عنده ، له منها معرض بن الحجاج - ومال مفرق في تجار أهل مكة ، فأذن لي يا رسول الله . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : إنه لا بد لي من أن أقول ، قال : قل ، قال الحجاج : فخرجت حتى إذا قدمت مكة ، فوجدت بشيبه البيضاء رجلا من قريش يتسمعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله ، وقد بلغهم أنه قد صار

(١) سورة طه ١٤ ، والخبر في ابن هشام ٢ : ٢٤١ ، ٢٤٢

(٢) رضخ : أعلى .

إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ؛ ريفاً ومنعة ورجالا ، فهم يتحسسون الأخبار ؛ فلما رأوني قالوا : الحجاج بن عيلاط - ولم يكونوا علموا بإسلامي - عنده والله الخبر ! أخبرنا بأمر محمد ، فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر ؛ وهي بلدة يهود وريف الحجاز . قال : قلت : قد بلغني ذلك ، وعندى من الخبر ما يسركم . قال : فالناطوا^(١) بجنبي ناقتي يقولون : إيه يا حجاج ! قال : قلت : هزموها هزيمة لم تسمعوا بمثله قط ؛ وقتل أصحابه قتلاً لم تسمعوا بمثله قط ، وأسير محمد أسراً ، وقالوا : لن نقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم . قال : فقاموا فصاحوا بمكة وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم فيقتل بين أظهركم . قال : قلت : أعينوني على جمع مالي بمكة على غرماي ؛ فإنني أريد أن أقدم خيبر ، فأصيب من فل^(٢) محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك .

١٥٨٧/١

قال : فقاموا فجمعوا مالي كأحس جمع سمعت به . فجئت صاحبي فقلت : مالي - وقد كان لي عندها مال موضوع - لعل الحق بخيبر ؛ فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقني إليه التجار . فلما سمع العباس بن عبدالمطلب الخبر وجاءه عني ، أقبل حتى وقف إلى جنبي ؛ وأنا في خيمة من خيام التجار ، فقال : يا حجاج ، ما هذا الذي جئت به ؟ قال : قلت : وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟ قال : نعم ، قلت : فاستأخِر عني حتى أفاك على خلاء ، فإنني في جمع مالي كما ترى ؛ فأنصرف عني حتى إذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة ، وأجمعت الخروج ، لقيت العباس ، فقلت : احفظ علي حديثي يا أبا الفضل ؛ فإنني أخشى الطلب ثلاثاً ، ثم قل ما شئت . قال : أفعل ، قال : قلت : فإنني والله لقد تركت ابن أخيك عروساً على ابنة ملكهم - يعني صفية بنت حنيفة - ابن أخطب - ولقد افتتح خيبر ، وانتحل ما فيها ؛ وصارت له ولأصحابه . قال : ما تقول يا حجاج ! قال : قلت : إى والله ؛ فاكم علي ؛ ولقد أسلمت

١٥٨٨/١

(١) الناطوا : التصقوا ، وفي ابن هشام : « التبطوا » ، أى مشوا إلى جنبها ملازمين لها .

(٢) الفل : القوم المنهزمون . قال ابن هشام : « ويقال : من في محمد » .

وما جئت إلا لأخذ مالي فرقاً من أن أغلب عليه، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرَكَ؛ فهو والله على ما تحب. قال: حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حُلَّةً له، وتخلَّقَ وأخذ عصاه؛ ثم خرج حتى أتى الكعبةَ، فطاف بها؛ فلما رأوه قالوا: يا أبا الفضل؛ هذا والله التجلِّد لحرِّ المصيبة! قال: كلا والذي حلفتم به! لقد افتتح محمدٌ خير، وترك عروساً على ابنة ملكهم، وأحرز أموالها وما فيها؛ فأصبحت له ولأصحابه. قالوا: من جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذي جاءكم بما جاءكم به؛ لقد دخل عليكم مسلماً، وأخذ ماله وانطلق ليلحق برسول الله وأصحابه فيكون معه، قالوا: يالَ عباد الله! أفلت عدو الله! أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن، ولم ينشَبُوا^(١) أن جاءهم الخبر بذلك^(٢)

• • •

[ذكر مقاسم خيبر وأموالها]

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر، قال: كانت المقاسم على أموال خيبر على الشقِّ ونطاة والكتيبة؛ فكانت الشقُّ ونطاة في سهمان المسلمين، وكانت الكتيبة خمس الله عز وجل وخميس النبي صلى الله عليه وسلم؛ وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وطعم أزواج النبي، ١٥٨٩/١ وطعم رجال مشوا بين رسول الله وبين أهل فدك بالصلح؛ منهم محيصة ابن مسعود، أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ثلاثين وستق شعير، وثلاثين وستق تمر. وقسمت خيبر على أهل الحديبية؛ من شهد منهم خيبر ومن غاب عنها، ولم يغيب عنها إلا جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري، فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم من حضرها.

(١) لم ينشَبُوا: لم يلبثوا غير قليل.

(٢) سيرة ابن هشام ٢: ٢٤٤، ٢٤٥.

قال : ولما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من خيبر قذف الله الرُّعب في قلوب أهل فدّك حين بلغهم ما أوقع الله بأهل خيبر ؛ فبعثوا إلى رسول الله يُصالحونه على النّصف من فدّك ، فقدمت عليه رُسُلهم بخيبر أو بالطائف^(١) ، وإمّا بعد ما قدِم المدينة . فقبل ذلك منهم ؛ فكانت فدّك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصّة ، لأنه لم يُوجِف^(٢) عليها بخيل ولا ركاب^(٣) .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يبعثُ إلى أهل خيبر عبدَ الله بن رواحة خارصاً^(٤) بين المسلمين ويهود ، فيخرّص عليهم ؛ فإذا قالوا : تعدّيت علينا . قال : إن شتم فلکم ؛ وإن شتم فلنا ؛ فتقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض .

وإنما خرّص عليهم عبد الله بن رواحة ؛ ثم أصيب بمؤتة ، فكان جبّار بن صخر بن خنساء ، أخو بني سلّمة ؛ هو الذي يخرّص عليهم بعد عبد الله بن رواحة ، فأقامت يهود على ذلك لا يرى بهم المسلمون بأساً في معاملتهم ؛ حتى عدّوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله ابن سهل ، أخى بني حارثة ؛ فقتلوه ، فاتهمهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون عليه^(٥) .

١٥٩٠/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن ابن إسحاق ، قال : سألتُ ابنَ شهاب الزُّهريّ : كيف كان إعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودَ خيبر نخيلهم حين أعطاهم النّخل على خرّجها ؛ أبتَ ذلك لهم حتى قبض ، أم أعطاهم إياها لضرورة من غير ذلك ؟ فأخبرني ابنُ شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عنوةً بعد القتال ؛ وكانت خيبر مما أفاء الله على رسوله ؛ خمسها رسول الله وقسمها

(١) كذا في ابن هشام ، وفي ط : « بالطريق » .

(٢) الإيجاف : سرعة السير ، والركاب هنا : الإبل .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(٤) الخارص : الذي يحزر ما على النّخل والكرم من ثمر ؛ وهو من الخرص ؛ أى الظن .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٨ .

بين المسلمين ، ونزل من نزل^(١) من أهلها على الإجماع بعد القتال ؛ فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن شئتم دفعنا إليكم هذه الأموال على أن تعملوها ؛ وتكون ثمارها بيننا وبينكم ؛ وأقربكم ما أقربكم الله . فقبلوا^(٢) ، فكانوا على ذلك يعملونها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله بن رواحة فيقسيم ثمرها ، ويعدل عليهم في الخرص ؛ فلما توفى الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أقرها أبو بكر بعد النبي في أيديهم على المعاملة التي كان عاملهم عليها رسول الله حتى توفى ، ثم أقرها عمر صدراً من إمارته ؛ ثم بلغ عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي قبض فيه : لا يجتمعن بجزيرة العرب ديان ، ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبوت ، فأرسل إلى يهود أن الله قد أذن في إجلائكم ؛ فقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يجتمعن بجزيرة العرب ديان ، فمن كان عنده عهد من رسول الله فليأتني به أتقده له ؛^(٣) ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله من اليهود فليتجهز للجلاء ؛ فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم^(٤) . قال أبو جعفر : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .

• • •

قال الواقدي : في هذه السنة رد رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ابنته على أبي العاص بن الربيع ؛ وذلك في المحرم .

قال : وفيها قدم حاطب بن أبي بلتعة من عند المقوقس بمارية وأختها سيرين وبغلة دلدل وحماره يعفور وكساً ؛ وبعث^(٥) معهما بخصي فكان معهما ، وكان حاطب قد دعاهما إلى الإسلام قبل أن يقدم بهما^(٥) ؛ فأسلمت هي وأختها ، فأنزلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سليم بنت ملحان - وكانت مارية وضيئة - قال : فبعث النبي صلى الله عليه وسلم

(١) س : وترك من ترك .

(٢) س : وقبلوا .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٩

(٤) و : وأرسل .

(٥) س : للناس .

وسلم بأختها سيرين إلى حسان بن ثابت ، فولدت له عبد الرحمن بن حسان .
قال : وفي هذه السنة اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم منبره الذي كان
يخطبُ الناس عليه ، واتخذ درَجَتَيْن ومقعده .

قال : ويقال إنه عمل في سنة ثمان . قال : وهو الثبَّتُ عندنا .

قال : وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرَ بن الخطاب في ثلاثين
رجلا إلى عَجْزِ هوازن بتُرْبَةِ ، فخرج بدليل له من بني هلال ؛ وكانوا
يسرون الليل ، ويكمنون النهار ، فأتى الخبرُ هوازنَ فهربوا ؛ فلم يلق كيدا ،
ورجع . ١٥٩٢/١

قال : وفيها سرية أبي بكر بن أبي قحافة في شعبان إلى نجد ؛ قال سلمة
ابن الأكوع : غزونا مع أبي بكر في تلك السنة .

قال أبو جعفر : قد مضى خبرها قبل .

قال الواقدي : وفيها سرية بشير بن سعد إلى بني مرة بفدك في شعبان
في ثلاثين رجلا ، فأصيب أصحابه وارْتُثَّ في القتلى ، ثم رجع إلى المدينة .

• • •

قال أبو جعفر : وفيها سرية غالب بن عبد الله في شهر رمضان إلى الميِّفَةِ ؛
فحدثنا ابنُ حميد قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ،
عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالبَ
ابن عبد الله الكلبي إلى أرض بني مرة ، فأصاب بها مرداس بن نَهِيك
حليفاً لهم من الحُرَاقَةِ من جُهَيْنَةَ ؛ قتله أسامة بن زيد ورجلٌ من الأنصار .
قال أسامة : لَمَّا غَشِينَاهُ ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله ؛ فلم نترع عنه
حتى قتلناه ؛ فلما قدمنا على رسول الله أخبرنا الخبر ؛ فقال : يا أسامة ، مَنْ
لك بلا إله إلا الله !

• • •

قال الواقدي : وفيها سرية غالب بن عبد الله إلى بني عبد بن ثعلبة ؛ ذكر
أن عبد الله بن جعفر حدثه عن ابن أبي عون ، عن يعقوب بن عتبة ، قال :

131587

قال يسار مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ؛ إني أعلم غيرة من بنى عبد بن ثعلبة ، فأرسل معه غالب بن عبد الله فى مائة وثلاثين رجلاً ؛ حتى أغاروا على بنى عبد ، فاستاقوا النعم والشاء ، وحدروها إلى المدينة .

• • •

قال : وفيها سرية بشير بن سعد إلى يمن وجناب ، فى شوال من سنة سبع ، ذكر أن يحيى بن عبد العزيز بن سعيد حدثه عن سعد بن عبادة ، عن بشير بن محمد بن عبد الله بن زيد ، قال : الذى أهاج هذه السرية أن حُسَيْل بن نويرة الأشجعى - وكان دليل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر - قدم على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما وراءك ؛ قال : تركت جمعاً من غطفان بالجناب قد بعث إليهم عيينة بن حصن ليسيروا إليكم ، فدعا رسول الله بشير بن سعد ، وخرج معه الدليل حُسَيْل بن نويرة ، فأصابوا نَعَمًا وشاءً ؛ ولقيهم عبد لعيينة بن حصن فقتلوه ، ثم لقوا جمع عيينة ؛ فانهزم ، فلقبه الحارث بن عوف منهزمًا ، فقال : قد آن لك يا عيينة أن تقصر عما ترى .

• • •

[عمرة القضاء]

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خيبر ، أقام بها شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبان ١٥٩٤/١ وشهر رمضان وشوالاً ؛ يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه ، ثم خرج فى ذى القعدة فى الشهر الذى صدّه فيه المشركون معتمراً وعمرة القضاء مكان عمرته التى صدّوه عنها ؛ وخرج معه المسلمون ممن كان معه فى عمرته تلك ، وهى سنة سبع ؛ فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه ؛ وتحدثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه فى عسر وجهد حاجة (١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٤ .

الحسن بن عُماره ، عن الحكم بن عتيبة ، عن ميسم ، عن ابن عباس ، قال : اصطفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه ؛ فلما دخل رسول الله المسجد ، اضطبع^(١) بردائه ، وأخرج عضده اليمنى ، ثم قال : رحم الله امرأاً أراه اليوم من نفسه قوة ! ثم استلم الركن وخرج يهزول ويهرول أصحابه معه حتى إذا وراه البيت منهم ؛ واستلم الركن اليماني مشى حتى يستلم الأسود ، ثم هزول كذلك ثلاثة أطواف ؛ ومشى ساثرها .

وكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم ؛ وذلك أن رسول الله إنما صنعها لهذا الحي من قريش للذي بلغه عنهم ؛ حتى حج حجة الوداع ، فرمىها ، فضت السنة بها^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة في تلك العمرة ، دخلها وعبد الله بن رواحة أخذ بخيطام ناقته ؛ وهو يقول :

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ
خَلُّوا فَكُلُّ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ
أَعْرِفُ حَقَّ اللَّهِ فِي قَبُولِهِ
كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
إِنِّي شَهِيدٌ أَنَّهُ رَسُولُهُ
يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقَبِيلِهِ
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ^(٣)
ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ
• وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ^(٤) •

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ،

(١) في اللسان : اضطبع الشيء : أدخله تحت ضبعه ؛ والاضطباع الذي يؤمر به الطائف بالبيت أن تدخل الرداء من تحت الإبط الأيمن وتنطى به الأيسر كالرجل يريد أن يعالج امرأ فيتيأ له ، يقال : قد اضطبعت بثوبه ؛ وهو مأخوذ من الضبع ؛ وهو العضد ؛ ومنه الحديث : أنه طاف مضطجماً وعليه برد أخضر .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٤ . (٣) قال السهيلي : ويروى : اليوم نضربكم على تأويله ، بسكون الباء ؛ وهو جائز في الضرورة .

(٤) قال السهيلي : وهذان البيتان الأخيران هما لعمار بن ياسر ؛ كما قال ابن هشام ؛ قالهما يوم صفين وهو اليوم الذي قتل فيه عمار ؛ قتله أبو الغادية الغزاري وابن جزة ؛ اشتركا فيه .

عن أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نَجِيح ، عن عطاء بن رباح ومجاهد ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك ؛ وهو حرام ؛ وكان الذي زوجه إياها العباس بن عبد المطلب . قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثاً ، فأناه حُوَيْطِبُ بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ، في نفر من قريش في اليوم الثالث ، وكانت قريش وكتلتته بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، فقالوا له : إنه قد انقضى أجلك فاخرج عنا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما عليكم لو تركتموني فأعزست بين أظهركم فصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه ! قالوا : لا حاجة لنا في طعامك فاخرج عنا . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف أبا رافع مولاه على ميمونة ؛ حتى أتاه بها بسيرف ، فبنى عليها رسول الله هنالك ، وأمر رسول الله أن يُبَدَلوا النهدي وأبدل معهم ، فعزت عليهم الإبل فرخص لهم في البقر؛ ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في ذى الحجة ، فأقام بها بقية ذى الحجة - وولى تلك الحجة المشركون - والمحرم وصفر وشهر ربيع ، وبعث في جمادى الأولى بعثه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة .

وقال الواقدي : حدثني ابن أبي ذئب ، عن الزهري ، قال : أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعتمروا في قابل قضاء لعمره الحديبية ، وأن يهدوا . قال : وحدثني عبد الله بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، قال : لم تكن هذه العمرة قضاءً ، ولكن كان شرط على المسلمين أن يعتمروا قابلاً في الشهر الذي صدّهم المشركون فيه .

قال الواقدي : قول ابن أبي ذئب أحب إلينا ، لأنهم أحصروا ولم يصلوا إلى البيت .

وقال الواقدي : وحدثني عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب ، عن محمد ابن إبراهيم ، قال : ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة القضية ستين بدنة .

قال : وحدّثني مُعَاذُ بن محمد الأنصاري ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : حمل السلاح والبيض والرّماح ، وقاد مائة فرس ، واستعمل على السلاح بشير بن سعد ، وعلى الخيل محمد بن مسَلَمَة ، فبلغ ذلك قريشاً فراعهم ؛ فأرسلوا مكرز بن حفص بن الأخيف ، فلقية بممرّ الظّهْران ، فقال له : ما عُرِفْتُ صغيراً ولا كبيراً إلاّ بالوفاء ؛ وما أريد إدخال السلاح عليهم ؛ ولكن يكون قريباً إلى . فرجع إلى قريش فأخبرهم .

• • •

قال الواقدي : وفيها كانت غزوة ابن أبي العوجاء^(١) السُّلَمِيّ إلى بني سُليم في ذي القعدة ؛ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم بعد ما رجع من مكة في خمسين رجلاً ، فخرج إليهم .

قال أبو جعفر : فلقية - فيما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلَمَة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر - بنو سليم ، فأصيب بها هو وأصحابه جميعاً .

قال أبو جعفر : أما الواقدي فإنه زعم أنه نجا ورجع إلى المدينة ، وأصيب أصحابه .

ع

(١) و : « أبي العود » .

ثم دخلت سنة ثمان من الهجرة

ففيها توفيت - فيما زعم الواقدي - زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة ، عن عبد الله بن أبي بكر .

• • •

[.خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثي بنى الملوّح]

قال : وفيها أغزى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الليثي في سفر إلى الكدّيد إلى بنى الملوّح .

١٥٩٨/١

قال أبو جعفر : وكان من خبر هذه السرية وغالب بن عبد الله ؛ ما حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري وسعيد بن يحيى بن سعيد - قال إبراهيم : حدثني يحيى بن سعيد . وقال سعيد بن يحيى : حدثني أبي - وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ؛ جميعاً عن ابن إسحاق ، قال : حدثني يعقوب ابن عتبة بن المغيرة ، عن مسلم بن عبد الله بن خبيب الجهني ، عن جندب ابن مكيث الجهني ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الكلبي ؛ كلب ليث ، إلى بنى الملوّح بالكدّيد ، وأمره أن يُغير عليهم ، فخرج - وكنت في سريرته - فمضينا ؛ حتى إذا كنا بقُدَيْد لقيننا بها الحارث ابن مالك - وهو ابن البرصاء الليثي - فأخذناه فقال : إني إنما جئت لأُسلم ، فقال غالب بن عبد الله : إن كنت إنما جئت مسلماً ، فلن يضرّك رباطٌ يوم ليلة ؛ وإن كنت على غير ذلك استوثقنا منك . قال : فأوثقه رباطاً ثم خلف عليه رُوَيْجِلاً أسود كان معنا ، فقال : امكث معي حتى نمرّ عليك ، فإن نازعتك فاحترز رأسه . قال : ثم مضينا حتى أتينا بطن الكدّيد ، فنزلنا عشيةً بعد العصر ، فبعثني أصحابي ربيثةً ، فعمدتُ إلى تلّ يطلعي على الحاضر^(١) ، فانبطحت عليه - وذلك قبيل المغرب - فخرج منهم رجل ، فنظر فرآني منبطحاً على التلّ ، فقال لامرأته : والله إنني لأرى على هذا التلّ سواداً ما كنت رأيتُه أوّل النهار ؛ فانظري لا تكون الكلاب

١٥٩٩/١

(١) الحاضر : الحي إذا حضر

جرت بعض أوعيتك . فنظرتُ فقالت : والله ما أفقد شيئاً . قال : فناوليني قومي وسهمين من نَبْلِي ، فناولته فرماني بسهم فوضعه في جنبي . قال : فتزعتهُ فوضعتهُ ، ولم أنحرّك . ثم رماني بالآخر ، فوضعه في رأس منكبي ، فتزعتهُ فوضعتهُ ولم أنحرّك . فقال : أما والله لقد خالطه سهماي ، ولو كان ربيثة^(١) لتحرك ؛ فإذا أصبحت فاتبعي سهمي فخذيهما لا تمضغهما على الكلاب ، قال : فأمهلناهم حتى راحت رائحتهم ، حتى إذا احتلبوا وعطنوا سكنوا ، وذهبت عتمة^(٢) من الليل شنتا عليهم الغارة ، فقتلنا مَنْ قتلنا واستقنا النعم ؛ فوجّهنا قافلين ؛ وخرج صريخ القوم إلى القوم مغرّواً^(٣) . قال : وخرجنا سراعاً حتى نمرّ بالحارث بن مالك ؛ ابن البرصاء ، وصاحبه ؛ فانطلقنا به معنا ، وأنانا صريخ الناس ، فجاءنا ما لا قبل لنا به ، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلا بطن الوادي من قُدَيْد ، بعث الله عزّ وجلّ من حيث شاء سبحانه ما رأينا قبل ذلك مطراً ولا خلاً ، فجاء بما لا يقدر أحدٌ أن يقدم عليه ؛ فلقد رأيناهم ينظرون إلينا ، ما يقدرُ أحدٌ منهم أن يقدم ولا يتقدّم ؛ ونحن نحدوها سراعاً ؛ حتى أسدناها في المشلل ؛ ثم حدرناها عنها . فأعجزنا القوم بما في أيدينا ، فما أنسى قولَ راجزٍ من المسلمين ؛ وهو يحدوها في أعقابها ، ويقول :

أبي أبو القاسم أن تعزّبي^(٤) في خضيل نباته مغلوليب^(٥)
• صُفْرٍ أعاليه كلون المذهبِ •

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، عن رجل من أسلم ، عن شيخ منهم ، أن شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة كان : أميت أميت^(٦) .
قال الواقدي : كانت سرية غالب بن عبد الله بضعة عشر رجلاً .

• • •

(١) الربيثة : الطليمة . (٢) العتمة : ثلث الليل الأول .
(٣) غوث الرجل ؛ إذا قال : واغوثاه ! (٤) تعزبت الإبل : إذا غابت في المرعى .
(٥) الخضيل : النبات الأخضر المقبل . والمغلوليب : الكثير الذي يغلب على الماشية حين ترعاه .
(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٤ .

قال : وفيها بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدى ؛ وكتب إليه كتاباً فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبي رسول الله إلى المنذر بن ساوى . سلامٌ عليك ؛ فإننى أحمدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ؛ فإن كتابك جاءنى ورسلك . وإنه من صلتى صلاتنا ، وأكل ذبيحتنا ، واستقبل قبلتنا فإنه مسلم ؛ له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين ، ومن أبى فعليه الجزية . قال : فصالحهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أن على المجوس الجزية ، لا تؤكل ذبائحهم ، ولا تنكح نساؤهم . قال : وفيها بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى جيفر وعباد ابني جُلندى بعمان ، فصدقوا النبي ، وأقرأ بما جاء به ، وصدق ١٦٠١/١ أموالهما ، وأخذ الجزية من المجوس .

قال : وفيها سرية شجاع بن وهب إلى بنى عامر ، فى شهر ربيع الأول فى أربعة وعشرين رجلاً ، فشن الغارة عليهم ، فأصابوا نعاماً وشاءً ، وكانت سهامهم خمسة عشر بعيراً ؛ لكل رجل .

قال : وفيها كانت سرية عمرو بن كعب الغفارى إلى ذات أطلاق ، خرج فى خمسة عشر رجلاً ؛ حتى انتهى إلى ذات أطلاق ، فوجد جمعاً كثيراً ، فدعواهم إلى الإسلام ، فأبوا أن يجيبوا ، فقتلوا أصحاب عمرو جميعاً ، وتحامل حتى بلغ المدينة .

قال الواقدي : وذات أطلاق من ناحية الشام ، وكانوا من قضاة ، ورأسهم رجلٌ يقال له سدوس .

• • •

قال : وفيها قدم عمرو بن العاص مسلماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أسلم عند النجاشي ، وقدم معه عثمان بن طلحة العبدى ، وخالد ابن الوليد بن المغيرة ، قدموا المدينة فى أول صفر .

قال أبو جعفر : وكان سبب إسلام عمرو بن العاص ، ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن أبى حبيب ، عن راشد مولى ابن أبى أوس ، عن حبيب بن أبى أوس ، قال : حدثنى

١٦٠٢/١ عمرو بن العاص من فيه إلى أذني، قال : لمّا انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق، جمعتُ رجالاً من قريش كانوا يرون رأبي، ويسمعون مني، فقلت لهم : تعلمون والله أنني لأرى أمر محمد يعلو الأمور علواً مُنكراً . وإني قد رأيت رأباً فما ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قلت : رأيتُ أن نلحقَ بالنجاشي، فنكون عنده، فإن ظهر محمدٌ على قومنا كنا عند النجاشي، فلأن^(١) نكون تحت يديه أحبُّ إلينا من أن نكون تحت يدي محمد؛ وإن يظهر قومنا فنحن مننٌ قد عرفوا؛ فلا يأتينا منهم إلا خيراً . فقالوا : إن هذا لرأى . قلت : فاجتمعوا له ما نهدي إليه - وكان أحبَّ ما يهدي إليه من أرضنا الأدم - فجمعنا له أدمًا كثيراً، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه؛ فوالله إنا لعنده؛ إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري - وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه - قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : فقلتُ لأصحابي : هذا عمرو بن أمية الضمري، لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه؛ فأعطانيه فضربتُ عنقه ! فإذا فعلت ذلك رأيتُ قريش أني قد أجزأتُ عنها حين قتلت رسول محمد .

فدخلت عليه، فسجدتُ له كما كنت أصنع، فقال : مرحباً بصديقي ! أهديت لي شيئاً من بلادك ؟ قلت : نعم، أيها الملك، قد أهديت لك أدمًا كثيراً، ثم قرّبتُه إليه، فأعجبه واشتهاه؛ ثم قلت له : أيها الملك؛ إني قد رأيتُ رجلاً خرج من عندك؛ وهو رسول رجل عدو لنا، فأعطينيه لأقتله^(٢)، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا . قال : فغضب، ثم مدَّ يده^(٣) فضرب بها^(٤) أنفه ضربةً ظننت أنه قد كسره - يعني النجاشي - فلوانشقت الأرض لي لدخلتُ فيها فرقاً منه . ثم قلت : والله أيها الملك لو ظننت أنك تكفره هذا ما سألتكه، قال : أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموسُ الأكبر^(٥) الذي كان يأتي موسى، لتقتله ! فقلت : أيها الملك، أكذاك هو ؟ قال :

(٢) س : . أقتله .

(٤) و : . بها .

(١) ط : . فإننا أن .

(٣) و : . يديه .

(٥) و : . الأعظم .

ويحك يا عمرو! أظنني واتبعه ؛ فإنه والله لعلى الحق . وليظهرنّ عكّتي منّ خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده .

قال : قلت : فتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده ، فبايعته على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابي ؛ وقد حال رأيي عمّا كان عليه ، وكنمت أصحابي إسلامي ، ثم خرجت عامداً لرسول الله لأسلم ؛ فلقيتُ خالد ابن الوليد - وذلك قبل الفتح - وهو مقبلٌ من مكة ، فقلت : إلى أين يا أبا سليمان ؟ قال : والله لقد استقام المنيسم ؛ وإن الرجل لنبيّ ، أذهب والله أسليم ؛ فحتّني متى ! فقلت : والله ما جئتُ إلاّ لأسلم ، فقدمنا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فتقدّم خالد بن الوليد فأسلمَ وباع ، ثم دنوت فقلت : يا رسول الله ، إنّي أبايعك على أن تغفرَ لي ما تقدّم من ذنبي . ولا أذكر ما تأخّر ! فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : يا عمرو ، بايع فإنّ الإسلامَ يَجِبُ ما قبله ، وإنّ الهجرة تجبُ ما قبلها . فبايعته ثم انصرفت .

١٦٠٤/١

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عمّن لا أنهم ؛ أنّ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، كان معهما ، أسلم حين أسلما .

. . .

ذكر ما في الخبر عن الكائن كان من الأحداث المذكورة

في سنة ثمان من سني الهجرة

فمّا كان فيها من ذلك توجيهُ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم عمرو بن العاص في جمادى الآخرة إلى السلاسل من بلاد قُضاة في ثلثمائة^(١) ؛ وذلك أنّ أمّ العاص بن وائل - فيما ذُكر - كانت قُضاعية ، فذُكر أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم أراد أن يتألفهم بذلك ، فوجّهه في أهلِ الشرف من المهاجرين والأنصار ، ثم استمدّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأمدّه بأبي عبيدة بن الجراح على المهاجرين والأنصار ، فيهم أبو بكر وعمر في مائتين ، فكان جميعهم^(٢) خمسمائة .

(١) س : في ثلثمائة من قضاة . (٢) س : جميعهم .

[غزوة ذات السلاسل]

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى أرض بليّ وعُدرة ، يستنفر الناس إلى الشام ؛ وذلك أن أمّ العاص بن وائل كانت امرأة من بليّ ، فبعثه رسول الله إليهم يستألفهم بذلك ؛ حتى إذا كان على ماء بأرض جذام ، يقال له السلاسل - وبذلك سُميت تلك الغزوة ذات السلاسل - فلما كان عليه خاف ، فبعث إلى رسول الله يستمدّه ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو عبيدة ابن الجراح في المهاجرين الأولين ؛ فيهم أبو بكر وعمر رضوان الله عليهم ، وقال لأبي عبيدة حين وجهه : لا تختلفا ؛ فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه ، قال له عمرو بن العاص : إنما جئت مدداً لي ، فقال له أبو عبيدة : يا عمرو ؛ إن رسول الله قد قال لي : لا تختلفا ؛ وأنت إن عصيتني أطعتك ، قال : فأنا أميرٌ عليك ؛ وإنما أنت مددٌ لي ، قال : فدونك ! فصلّى عمرو ابن العاص بالناس .

١٦٠٥/١

. . .

[غزوة الحَبَط]

قال الواقدي : وفيها كانت غزوة الحَبَط ؛ وكان الأمير فيها أبو عبيدة ابن الجراح ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجب منها ، في ثلثمائة من المهاجرين والأنصار قبل جهينة ، فأصابهم فيها أزلٌ شديدٌ وجهدٌ ، حتى اقتسموا التمر عدداً .

وحدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، قال : حدثنا عمي عبد الله بن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث أن عمرو بن دينار حدثه أنه سمع جابر ابن عبد الله يقول : خرجنا في بعث ونحن ثلثمائة ، وعلينا أبو عبيدة بن الجراح ، فأصابنا جوعٌ ، فكنا نأكل الحَبَط ثلاثة أشهر ؛ فخرجت دابةٌ من البحر

يقال لها العنبر ، فكثنا نصف شهر ، فأكل منها ، ونحر رجلٌ من الأنصار ١٠٦/١
جزائر ، ثم نحر من الغد كذلك ؛ فنهاه أبو عبيدة ، فانتهى .

قال عمرو بن دينار - وسمعت ذكوان أبا صالح قال : إنه قيس بن سعد .
قال عمرو : وحدثني بكر بن سودة الجُدَامِي ، عن أبي جمرة ، عن
جابر بن عبد الله نحو ذلك ، إلا أنه قال : جهلوا ؛ وقد كان عليهم قيس
ابن سعد ، ونحر لهم تسع ركائب ، وقال : بعثهم في بعث من وراء البحر ؛
وإن البحر ألقى إليهم دابة ؛ فكثوا عليها ثلاثة أيام يأكلون منها ويقعدون
ويغرفون شحمها ؛ فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا له
ذلك من أمر قيس بن سعد ، فقال رسول الله : إن الجود من شيمة أهل ذلك
البيت ، وقال في الحوت : لو نعلم أننا نبلغه قبل أن يروح لأحبينا أن لو كان
عندنا منه شيء ؛ ولم يذكر الحَبِط ولا شيئاً سوى ذلك .

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا الضحاک بن مخلد ، عن ابن جريج ،
قال : أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يخبر ، قال : زودنا النبي
صلى الله عليه وسلم جراباً من تمر ، فكان يقبض لنا أبو عبيدة قبضة قبضة ، ثم
تمرّة تمرّة ، فتمصتها ونشرب عليها الماء إلى الليل ؛ حتى نفد ما في الجراب ،
فكثنا نجنى الحَبِط ، فجعنا جوعاً شديداً . قال : فألقى لنا البحر حوتاً ميتاً ،
فقال أبو عبيدة : جياع كلوا ، فأكلنا - وكان أبو عبيدة ينصب الضلع من
أضلاعه فيمرّ الراكب على بعيره تحته ، ويجلس البقر الخمسة في موضع عينه -
١٦٠٧/١ فأكلنا وادّهنّا حتى صلّحت أجسامنا ، وحسنت شحماتنا ؛ فلما قدمنا المدينة
قال جابر : فذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : كملوا رزقاً أخرج به
الله عزّ وجلّ لكم ، معكم منه شيء ؟ - وكان معنا منه شيء - فأرسل إليه
بعض القوم فأكل منه .

قال الواقدي : وإنما سميت غزوة الحَبِط ^(١) ، لأنهم أكاوا الحَبِط حتى كأنّ
أشداقهم أشداق الإبل العَصِيهَة .

(١) الحَبِط : ورق الغضاء من الطلع ونحوه ، يخبط ويضرب بالعصا فيتناثر ثم يلف الإبل ،
يقال : غصه البعير كفرح إذا اشتكى من أكل الغضاء ورعيها .

قال : وفيها كانت سريرة وجهها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان ، أميرها أبو قتادة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن محمد بن إبراهيم ، عن عبد الله بن أبي حذر الأسلمي ، قال : تزوجت امرأة من قومي ، فأصدقته مائتي درهم ، فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعينه على نكاحي ، فقال : وكم أصدقت ؟ قلت : مائتي درهم يا رسول الله ، قال : سبحان الله ! لو كنتم إنما تأخذون الدراهم من بطن واد ما زدتم ! والله ما عندي ما أعينك به . قال : فلبث أياماً : وأقبل رجل من بني جشم بن معاوية يقال له رفاعه بن قيس - أو قيس بن رفاعه - في بطن عظيم من جشم ؛ حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة ؛ يريد أن يجمع قيساً على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وكان ذا اسمٍ وشرف في جشم . قال : فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين . من المسلمين فقال : اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتونا به ؛ أو تأتونا منه بخبر وعلم . قال : وقدّم لنا شارقاً^(١) عجفاء ، فحمل عليها أحدنا ؛ فوالله ما قامت به ضعفاً حتى دعهما الرجل من خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت . ثم قال : تبالغوا على هذه واعتقبوها .

قال : فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف ؛ حتى جئنا قريباً من الحاضر عشية مع غروب الشمس ، فكمننا في ناحية ، وأمرت صاحبي ، فكمننا في ناحية أخرى من حاضر القوم ، وقلت لهما : إذا سمعناي قد كبرت وشدت على العسكر فكبيراً وشدتاً معي .

قال : فوالله إنا لكذلك ننتظر أن نرى غيرة أو نصيب منهم شيئاً ، غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء ؛ وقد كان لهم راع قد سرح في ذلك البلد ، فأبطأ عليهم حتى تخوفوا عليه .

(١) الشارف من النوق : المسنة الهرمة .

قال : فقام صاحبهم ذلك رفاعه بن قيس ، فأخذ سيفه ، فجعله في عنقه ثم قال : والله لأتبعن أثر راعينا هذا ؛ ولقد أصابه شرٌ . فقال نَفَرٌ ممن معه : والله لا تذهب ، نحن نكفيك ! فقال : والله لا يذهب إلا أنا ، قالوا : فنحنُ معك ، قال : والله لا يتبعني منكم أحد .

قال : وخرج حتى مرّ بي ، فلما أمكنني نفحته بسهم فوضعت في فؤاده ، فوالله ما تكلم ، ووثبتُ إليه فاحتزرت رأسه ، ثم شددتُ في ناحية العسكر وكبرت ؛ وشدتُ أصحابي وكبيرا ؛ فوالله ما كان إلا النجاء ممن كان فيه عندك بكل ما قدروا عليه من نسايم وأبنائهم ؛ وما خفت معهم من أموالهم .

قال : فاستقنا إبلا عظيمة ، وغنما كثيرة ، فجئنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجئت برأسه أحمله معي ، قال : فأعاني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرا ، فجمعتُ إلى أهلي .

وأما الواقدي ، فذكر أن محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حشمة ، حدثه عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابن أبي حدراد في هذه السرية مع أبي قتادة ، وأن السرية كانت ستة عشر رجلا ، وأنهم غابوا خمس عشرة ليلة ، وأن سهمانهم كانت اثني عشر بعيرا يُعدّل البعير بعشرين من الغنم ، وأنهم أصابوا في وجوههم أربع نسوة ؛ فيهن فتاة وضيئة ، فصارت لأبي قتادة ، فكلتم محمية بن الجزء فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أبا قتادة عنها ، فقال : اشتريتها من المغنم ، فقال : هبها لي ، فوهبها له ، فأعطاها رسولُ الله محمية بن جزء الزبيدي .

• • •

قال : وفيها أغزى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في سرية أبا قتادة إلى بطن إضم . حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد ابن عبد الله بن قسيط ، عن أبي القعقاع بن عبد الله بن أبي حدراد الأسلمي .

وقال بعضهم عن ابن القعقاع - عن أبيه ، عن عبد الله بن أبي حذرٍد ، قال :
بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضم ، فخرجت في نفر من المسلمين
فيهم أبو قتادة الحارث بن ربیع ومعلم بن جثامة بن قيس الليثي ، فخرجنا
حتى إذا كنا ببطن إضم - وكانت قبل الفتح - مرَّ بنا عامر بن الأضبط
الأشجعي على قعود له ، معه متبّع له ووطب من لبن^(١) . فلما مرَّ بنا سلم
علينا بتحيةة الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحمل عليه معلم بن جثامة الليثي لشيء
كان بينه وبينه ؛ فقتله وأخذ بغيره ومتبّعه ، فلما قدمنا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأخبرناه الخبر ، نزل فينا القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا
ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا... ﴾^(٢) الآية .

١٦١٠/١

وقال الواقدي : إنما كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث هذه
السرية حين خرج لفتح مكة في شهر رمضان ، وكانوا ثمانية نفر .

•••

ذكر الخبر عن غزوة مؤتة

قال ابن إسحاق - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عنه ،
قال : لما رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خيبر ؛ أقام بها
شهرتَي ربيع ، ثم بعث في جمادى الأولى بعثه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : بعث رسولُ الله صلى
الله عليه وسلم بعثه إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان ؛ واستعمل عليهم
زيد بن حارثة ، وقال : إن أصيب زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب
على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس .

فتجهز الناس ، ثم تهيئوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر
خروجهم ودَّع الناسُ أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وودَّعهم : فلما

(١) متبع : تصغير متاع ؛ وهو السلعة وما يستمتع به الإنسان من حوائجه أو ماله . والوطب :

(٢) سورة النساء ٩٤ ، والخبر في التفسير ٩ : ٧٢ .

وعاء اللبن .

ودع عبد الله بن رواحة مع من ودع من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى، فقالوا له : ما يبكيك يا ابن رواحة ؟ فقال : أما والله ما بي حب الدنيا ، ولا صباة بكم ؛ ولكني سمعتُ رسولَ الله يقرأ آيةً من كتاب الله يذكر فيها النار : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ (١) . فليست أدري كيف لي بالصدور بعد الورود ! فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم ، وردكم إلينا صالحين ، فقال عبد الله بن رواحة :

لَكِنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةَ ذَاتِ فَرَعٍ تَقْدِفُ الزَّبَدَا (٢)
أَوْ طَعْنَةَ بِيَدِي حَرَّانَ مُجَهِّزَةً بِمَجْرِبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبِدَا (٣)
حتى يقولوا إذا مروا على جدِّي أرشدك الله من غارٍ وقد رشدا !

ثم إن القوم تهيئوا للخروج ، فجاء عبد الله بن رواحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعه ، ثم خرج القوم ، وخرج رسول الله يشيتهم ؛ حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم ، قال عبد الله بن رواحة :

خَلَفَ السَّلَامُ عَلَى أَمْرِي وَدَعْتُهُ فِي النَّخْلِ خَيْرَ مُشِيرٍ وَخَلِيلِ

ثم مضوا حتى نزلوا معان من أرض الشام ؛ فبلغ الناس أن هرقل قد نزل ماب من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم ، وانضمت إليه المستعربة من لخم وجذام وبلقين وبهراء وبلبي في مائة ألف منهم ؛ عليهم رجل من بلبي ، ثم أحد إراثة ، يقال له : مالك بن رافلة ، فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين ، ينظرون في أمرهم ، وقالوا : نكتب إلى رسول الله ونخبره بعدد عدونا ، فلما أن يُمدنا برجال ، وإما أن يأمرنا بأمره فنمضي له فشجع الناس عبد الله بن رواحة ، وقال : يا قوم ؛ والله إن الذي تكرهون للذي خسر جثم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ؛ فانطلقوا ، فإنما هي إحدى

(١) سورة مريم ٧١ .

(٢) ذات فرغ : ذات سمة . والزبد هنا : رغوة الدم .

(٣) مجهزة : سريعة القتل . وتنفيذ الأحشاء : تمضي فيها .

الحسنيتين ؛ إما ظهور ؛ وإما شهادة ، فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة . فمضى الناس ، فقال عبد الله بن رواحة في محبتهم ذلك :

جَلَبْنَا الخَيْلَ مِنْ آجَامٍ قُرْحٍ تُغْرُ مِنْ الخَشِيشِ لَهَا العُكُومُ^(١)
 حَذَوْنَاهَا مِنْ الصَّوَانِ سِبْتًا أزلَ كَأَنَّ صَفْحَتَهُ أَدِيمُ^(٢)
 أَقَامَتْ نَيْلَتَيْنِ عَلَى مَعَانِ فَأَعْقَبَ بَعْدَ قَرَّتِهَا جُومُ
 فَرُحْنَا وَالجِيَادُ مُسَوَّمَاتٌ تَنَفَّسُ فِي مَنَاحِرِهَا السَّمُومُ
 فَلَا وَأبَى ، مَابَ لِنَاتِينِهَا وَلَوْ كَانَتْ بِهَا عَرَبٌ وَرُومُ
 فَعَبَّانَا أَعْنَتَهَا فَجَاءَتْ مَحْوَابِسَ وَالغُبَارُ لَهَا بَرِيمُ^(٣)
 بَدَى لَجَبٌ كَانَ البَيْضَ فِيهِ إِذَا بَرَزَتْ قَوَانِسُهَا النُّجُومُ
 فَرَاضِيَةَ المَعِيشَةِ طَلَّقَتْهَا أَسِنَتْنَا فَتَنَكِحَ أَوْ تَنِيمُ^(٤)
 ثم مضى الناس^(٥)

١٦١٣/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، أنه حدث عن زيد بن أرقم ، قال : كنتُ يتيماً لعبد الله بن رواحة في حججره ، فخرج في سفره ذلك مُردفياً على حقيقه رحله ، فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو يتمثل أبياته هذه :

إِذَا أَدَيْتِنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي مَسِيرَةَ أَرْبَعِ بَعْدَ الحِسَاءِ
 فَشَأْنُكَ أَنْعَمَ وَخَالَكَ ذَمُّ وَلَا أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي وَرَأْيِي^(٦)
 وَجَاءَ المَسْلُومُونَ وَغَادَرُونِي بِأَرْضِ الشَّامِ مَشْتَبِي الثَّوَاءِ
 وَرَدَّكَ كُلُّ ذِي نَسَبٍ قَرِيبٍ إِلَى الرَّحْمَنِ مُنْقَطِعِ الإِخَاءِ

- (١) قال السهيلي : تغر ، أي يجمع بعضها إلى بعض . والعكوم : جمع عكم ، وهو الجنب .
 وفي ابن هشام : « من أجأ وفرع » ، أو أثبت في ياقوت ٧ : ٤٩ .
 (٢) سبتا ، أي حذوناها نعالاً من جلد . وأزل : أمس .
 (٣) قال السهيلي : « البريم : حيط تحزم به المرأة ، والبريم أيضا : لفيف الناس وأخلاقهم » .
 (٤) راضية المعيشة ، أي معيشتها مرضية . وتنيم : تبقى من غير زوج .
 (٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٦ ، ٢٥٧ .
 (٦) خلاك ذم ، أي فارقك الذم .

هنالك لا أبالي طَلَعَ بَعْلٍ وَلَا نَخَلَ أُسَافِلَهَا رِوَاءُ^(١)

قال : فلما سمعتن من بكيت ، فخفقتي بالدرّة ، وقال : ما عليك يا لكع ! يرزقي الله الشهادة ، وترجع بين شعبيّتي الرّحّل ! ثم قال عبد الله في بعض شعره وهو يرتجز :

يا زَيْدَ زَيْدَ الْيَعْمَلَاتِ الذُّبْلِ تَطَاوَلَ اللَّيْلُ هُدَيْتَ فَاَنْزِلِ^(٢)

١٦١٤/١

قال : ثم مضى الناس حتى إذا كانوا بتُخوم البلقاء ، لتقيتهم جموع هيرقل من الروم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مَشَارِف . ثم دنا العدو ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مُؤْتة ؛ فالتقى الناس عندها ، فتعباً المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم رجلاً من بني عُدرة ، يقال له قطبة بن قتادة ؛ وعلى ميسرتهم رجلاً من الأنصار يقال له عَبَّايّة بن مالك ، ثم التقى الناس ؛ فاقتلوا ؛ فقاتل زيد بن حارثة براءة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط^(٣) في رماح القوم ؛ ثم أخذها جعفر بن أبي طالب ؛ فقاتل بها حتى إذا ألحمه^(٤) القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها^(٥) ، ثم قاتل القوم حتى قُتِل ؛ فكان جعفر أول رجل من المسلمين عمّر في الإسلام فرسه^(٦) .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة وأبو ثُمَيْمَة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عباد ، عن أبيه ، قال : حدثني أبي الذي أَرْضَعَنِي — وكان أحد بني مرة بن عوف ، وكان في تلك الغزوة غزوة مُؤْتة — قال : والله لكأنتي أنظرُ إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ؛ فعقرها . ثم قاتل القوم حتى قُتِل ؛ فلما قتل جعفر أخذ الراية عبد الله بن رَواحة ؛ ثم تقدّم بها وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ويردد بعض التردد ؛ ثم قال :

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّهُ طَائِعَةً أَوْ فَلَتُكْرَهِنَّهُ

(١) البعل : الذي يشرب بعروقه من الأرض . (٢) اليعملات : جمع يعملة ؛ وهي الناقة المهيمة . والذبل : التي أضعفها السير فقل لحمها .
(٣) يقال : شاط الرجل ؛ إذا سال دمه فهلك . (٤) أخذ القتال : نشب فيه فلم يجد مخلصاً .
(٥) عقرها : ضرب قوائمها بالسيف . (٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

١٦١٥/١ **إِنِ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّبَّةَ^(١) مَالِي أَرَاكَ تَكْرَهِينَ الْجَنَّةَ أَمْ**
قَدْ طَالَمَا قَدْ كُنْتَ مُطْمَئِنِّئَةً هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُظْفَةٌ فِي شَنَّةٍ^(٢)

وقال أيضاً :

يَا نَفْسِ إِلَّا تُقَتِّلِي تَمُوتِي هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَيْتِ
 وَمَا تَمْنَيْتِ قَدْ أُعْطِيتِ إِنْ تَقَعْلِي فِعْلَهُمَا هُدَيْتِ

قال : ثم نزل ؛ فلما نزل أتاه ابن عم له بعظم من لحم ؛ فقال : شدّ بها صلبك ؛ فإنك قد لقيت أيامك هذه ما لقيت ؛ فأخذه من يده ؛ فانتهمس^(٣) منه نهمسة ثم سمع الحطمة^(٤) في ناحية الناس ، فقال : وأنت في الدنيا ! ثم ألقاه من يده ، وأخذ سيفه ؛ فتقدّم فقاتل حتى قتل ؛ فأخذ الراية ثابت بن أقرم ؛ أخو بلعجلان ؛ فقال : يا معشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، فقالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل ؛ فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ؛ فلما أخذ الراية دافع القوم ؛ وحاشى^(٥) بهم ، ثم انحاز وتحيز عنه^(٦) حتى انصرف بالناس^(٧) .

فحدثني القاسم بن بشر بن معروف ، قال : حدثنا سليمان بن حرب ، قال : حدثنا الأسود بن شيبان ، عن خالد بن سمير ، قال : قدم علينا عبد الله بن ربّاح الأنصاري - وكانت الأنصار تُفَقِّهه - فغشيه الناس ، فقال : حدثنا أبو قتادة فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بعث رسول الله جيشَ الأمراء ، فقال : عليكم زيد بن حارثة ؛ فإن أصيب فجعفر

(١) أجلب القوم : صاحوا واجتمعوا .

(٢) النظفة : الماء القليل الصافي . والشنة : السقاء البالي .

(٣) انتهمس : أخذ منه بضمه يسيراً .

(٤) الحطمة : زحام الناس وحطم بعضهم بعضاً .

(٥) حاشى بهم : انحاز بهم ؛ من الحشى وهو الناحية . وفي ابن هشام : « حاشى بهم » ،

من الخاشاة ؛ وهو المهاجرة .

(٦) س : « وتحيزوا » ، ابن هشام : « وانحيز » .

(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٨ .

ابن أبي طالب؛ فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة؛ فوثب جعفر فقال :
يا رسول الله؛ ما كنت أذهب أن تستعمل زيدا علياً! قال : امض؛ فإنك
لا تدري أي ذلك خير!

فانطلقوا، فلبثوا ما شاء الله. ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد
المنبر، وأمر فنودي : الصلاة جامعة! فاجتمع الناس إلى رسول الله، فقال :
باب خير، باب خير، باب خير! أخبركم عن جيشكم هذا الغازي؛ إنهم
انطلقوا فلقوا العدو، فقتل زيد شهيداً - واستغفر له - ثم أخذ اللواء جعفر،
فشد على القوم حتى قتل شهيداً - فشهد له بالشهادة واستغفر له - ثم أخذ اللواء
عبد الله بن رواحة؛ فأثبت قدميه حتى قتل شهيداً - فاستغفر له - ثم أخذ
اللواء خالد بن الوليد - ولم يكن من الأمراء؛ هو أمر نفسه - ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : اللهم إنه سيف من سيوفك، فأنت تنصره - فنذ يومئذ
سمى خالد سيف الله - ثم قال رسول الله : أبكروا فأمدوا إخوانكم ولا يتخلفن
منكم أحد. فنفروا مشاة ورُكباً، وذلك في حر شديد.

١٦١٧/١

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله
ابن أبي بكر، قال : لما أتى رسول الله مصاب جعفر، قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : قد مر^(١) جعفر البارحة في نفر من الملائكة، له جناحان، مختضب
القوادم بالدم، يريدون بيثة؛ أرضاً باليمن.

قال . وقد كان قُطَيْبَةُ بن قتادة العذري الذي كان على ميمنة المسلمين
حمل على مالك بن رافلة^(٢) قائد المستعربة فقتله . قال : وقد كانت كاهنة
من حدَس^(٣) حين سمعت بجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً قد
قالت لقومها من حدَس - وقومها بطن يقال لهم بنو غنم : أنذِرْكُمْ قَوْمًا
خُزْرًا^(٤)، ينظرون شُزْرًا^(٥)، ويقودون الخيل بُتْرًا^(٦)، ويُهْرِيْقُونَ دَمًا

(١) ابن هشام : « قدم » . (٢) ابن هشام : « زافلة » .

(٣) حدس : قبيلة من لخم .

(٤) خزرًا : جمع أخزر؛ وهو الذي ينظر بمؤخر عينه .

(٥) الشزر : نظر العداوة .

(٦) ابن هشام : « ترى » : أي متتابعة .

عَكَرًا^(١) . فَأَخَذُوا بِقَوْلِهَا ؛ فَاعْتَرَلُوا مِنْ بَيْنِ لَحْخِمٍ ؛ فَلَمْ يَزَالُوا بَعْدُ أَثْرَى^(٢) حَدَسَ . وَكَانَ الَّذِينَ صَلَّوْا الْحَرْبَ يَوْمَئِذٍ بَنُو ثَعْلَبَةَ ؛ بَطْنٌ مِنْ حَدَسَ ؛ فَلَمْ يَزَالُوا قَلِيلًا بَعْدَ ؛ وَلَمَّا انصَرَفَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِالنَّاسِ أَقْبَلَ بِهِمْ قَافِلًا^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ ابْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزَّبِيرِ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزَّبِيرِ ، قَالَ : لَمَّا دَنَوْا مِنْ دُخُولِ الْمَدِينَةِ ، تَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ ، وَلَقِيَهُمُ الصَّبِيَّانِ يَشْتَدُونَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ مُقْبِلٌ مَعَ الْقَوْمِ عَلَى دَابَّةٍ ، فَقَالَ : خَذُوا الصَّبِيَّانِ فَاحْمِلُوهُمَا وَأَعْطُونِي ابْنَ جَعْنَمِ ؛ فَأَتَيْتَنِي بَعْدَ اللَّهِ بِبَنِي جَعْفَرٍ فَأَخَذَهُ ، فَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ : وَجَعَلَ النَّاسُ يَحْشُونَ عَلَى الْجَيْشِ التَّرَابَ ، وَيَقُولُونَ : يَا فُرَّارَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَيَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ : لَيْسُوا بِالْفُرَّارِ ؛ وَلَكِنَّهُمْ الْكُرَّارُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ^(٤) !

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ ؛ عَنْ بَعْضِ آلِ الْخَارِثِ بْنِ هِشَامٍ - وَهُمْ أَخْوَالُهُ - عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ لِامْرَأَةِ سَلَمَةَ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ : مَا لِي لَا أَرَى سَلَمَةَ يَحْضُرُ الصَّلَاةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ وَمَعَ الْمُسْلِمِينَ ! قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْرُجَ ، كَلَّمَا خَرَجَ صَاحِبُ النَّاسِ : أَفَرَّرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ! حَتَّى قَعَدَ فِي بَيْنِهِ فَمَا يَخْرُجُ^(٤) .

وفيهما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة .

• • •

ذِكْرُ الْخَبْرِ عَنْ فَتْحِ مَكَّةَ

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ ،

(١) المكر : المتعكر .

(٢) أثرى ، أى أكثر مالا وعددا ؛ من الثروة ؛ وهى الكثرة .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٩ ، ٢٦٠ . (٤) ابن هشام ٢ : ٢٦٠ .

قال : ثم أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد بعثه إلى مؤتة ، جمادى الآخرة ورجب .

ثم إن بني بكر بن عبد مناه بن كنانة عدت على خزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة ؛ يقال له الوثير . وكان الذي هاج ما بين بني بكر وبني خزاعة رجلٌ من بلحضرى ، يقال له مالك بن عباد - وحليف الحضرمي يومئذ إلى الأسود بن رزن - خرج تاجراً ، فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه ؛ وأخذوا ماله ؛ فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بني الأسود بن رزن الدبلي ؛ وهم منسخر^(١) بني بكر وأشرافهم : سلمى . وكثوم ، وذؤيب ؛ فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم^(٢) .

حدثنا ابن حميد ؛ قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن رجل من بني الدبيل ، قال : كان بنو الأسود يودون في الجاهلية ديتين ديتين ، ونودي دية دية لفضلهم [فينا]^(٣) .

فبينا بنو بكر وخزاعة على ذلك حَجَرَ بينهم الإسلام ، وتشاغل الناس به ، فلما كان صاحُ الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش كان فيما شرطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وشرط لهم - كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ؛ عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم وغيره من علمائنا - أنه من أحب أن يدخل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدهم دخل فيه ؛ فدخلت بنو بكر في عقد قريش ، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما كانت تلك الهدنة اغتنمتها^(٤) بنو الدبيل ، من بني بكر من خزاعة^(٥)

(١) منسخر هنا : المتقدمون ؛ لأن الأنف هو المقدم من الوجه .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٣ .

(٣) مر : « اغتنمتها » .

(٤) مر : « من بني خزاعة » .

وأرادوا أن يصيبوا منهم [ثأراً] ^(١) بأولئك النفر الذين أصابوا منهم بنى الأسود بن رزّان ، فخرج نوفل بن معاوية الديلي في بنى الديلي - وهو يومئذ قائدهم ؛ ليس كل بنى بكر تابعه - حتى بيّت خزاعة ، وهم على الوتير ؛ ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلاً وتحاوزوا واقتلوا ؛ ورفدّت قريش بنى بكر بالسلاح ؛ وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً ؛ حتى حازوا ^(٢) خزاعة إلى الحرم .

- قال الواقدي : كان ممن أعان من قريش بنى بكر على خزاعة ليلتذ بأنفسهم متنكرين صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ؛ وسهيل بن عمرو ؛ مع غيرهم وعبيدهم -

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : فلما انتهوا إليه قالت بنو بكر : يانوفل ، إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك ؛ فقال : كلمة عظيمة إزه لا إله له اليوم ! يا بنى بكر أصيبوا ثأركم ، فلعمري إنكم لتسرقون في الحرم ؛ أفلا تصيبون ثأركم فيه ! وقد أصابوا منهم ليلة بيّتهم بالوتير رجلاً يقال له منبه ، وكان منبه رجلاً مفنوداً ^(٣) خرج هو ورجل من قومه ، يقال أتميم بن أسد - فقال له منبه : يا تميم ، انج بنفسك ؛ فأما أنا فوالله إني لميتة قتلوني أو تركوني ؛ لقد انبت ^(٤) فؤادي . فانطلق تميم فأفلت . وأدركوا منبه فقتلوه - فلما دخلت خزاعة مكة بلحوا إلى دار بديل بن ورقاء الخزاعي ودار مولى لهم يقال له رافع .

قال : فلما تظاهرت [بنو بكر] ^(٥) قريش على خزاعة ، وأصابوا منها ما أصابوا ، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة - وكانوا في عهده وعهده - خرج عمرو ؛ سالم الخزاعي ، ثم أحد بنى كعب ؛ حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) حازواهم : ساقوم .

(٤) انبت : انقطع .

(١) من ابن هشام .

(٣) مفنود : ضعيف الفؤاد .

(٥) من سير ابن هشام .

وسلم المدينة ؛ وكان ذلك ممّا هاج فتح مكة ؛ فوقف عليه وهو في المسجد
جالسٌ بين ظهرائي الناس ، فقال :

لاهمّ إني ناشدُ مُحَمَّدًا حِلْفَ أَيْبِنَا وَأَيْبِهِ الْآتِلِدَا (١)
فوالِدَا كُنَّا وَكُنْتَ وَلِدَا (٢) ثَمَّتْ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا (٣)
فأنصُر رسول الله نصرًا أَعْتَدَا (٤) وأدعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا (٥)
فيهم رسول الله قد تَجَرَّدَا (٦) أبيض مثل البدرِ ينمى صُغْدَا
إن سيمَ خَنَفًا وَجْهَهُ تَرَبَّدَا في فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مَزْبَدَا (٧)
إن قريشًا أخلفوك الموعِدَا ونَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمَوْكِدَا
وجلوا لي في كَدَاهِ رَصَدَا وزعموا أن لنتُ أدعُو أَحَدَا
وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقَلُّ عَدَدَا هُمُ يَتَوَنَّا بِالْوَتِيرِ هُجْدَا
• قَتَلُونَا رُكْعًا وَسُجْدَا •

١٦٢٢/١

يقول : قد قتلونا وقد أسلمنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
سمع ذلك : قد نصرت يا عمرو بن سالم ! ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه
وسلم عنانٌ من السماء ، فقال : إن هذه السحابة لتستهيل بنصر بني كعب .
ثم خرج بُدَيْلُ بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدِموا على رسول الله
المدينة ، فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ؛ ثم
انصرفوا راجعين إلى مكة . وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال للناس :
كانتكم بأبي سفيان قد جاء ليشدد العَقْدَ ، ويزيد في المدَّة .

(١) ناشد : طالب ومذكر ، والآتِلِدَا : القديم .

(٢) ابن هشام : « قد كنتم ولداً وكنا والداً » ؛ قال السهيلي : « يريد أن بني عبد مناف ،
أمهم من خزاعة وكذلك قصي أمه فاطمة بنت سعد الخزاعية » .

(٣) أسلمنا ، من السلم .

(٤) ابن هشام : « أعتدا ، أي حاضرنا ، من الشيء العتيد ؛ وهو الحاضر » .

(٥) المدد : الموزن .

(٦) تجرد : تشمر وتبياً ؛ وفي إحدى نسخ ابن هشام : « تعرد » ؛ بالخاء المهملة ؛ من الحرد ؛
وهو الغضب .

(٧) الفيلق : العسكر الكبير .

ومضى بُدَيْل بن ورقاء وأصحابه ، فلقوا أبا سفيان بعُسفان ، قد بعثته قريش إلى رسول الله ليشدد العقد ويزيد في المدّة ؛ وقد رهبوا الذي صنعوا ؛ فلما لقي أبو سفيان بُديلاً ، قال : من أين أقبلت يا بديل ؟ وظنّ أنه قد أتى رسول الله ، قال : سرت^(١) في خِزاعة في السّاحل وفي بطن هذا الوادي . قال : أو ما أتيت محمداً ؟ قال : لا . قال : فلما راح بُدَيْل إلى مكة قال أبو سفيان : لئن^(٢) كان جاء المدينة لقد علف بها النوى ؛ فعمد إلى مبرك ناقته^(٣) ، فأخذ من بعرها فقتته ؛ فرأى فيه النوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بُدَيْل محمداً .

ثم خرج أبو سفيان حتى قدّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؛ فدخل على ابنته أمّ حبيبة بنت أبي سفيان ؛ فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه ، فقال : يا بنية ؛ والله ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش ، أم رغبت به عني ! قالت : بل هو فراش رسول الله ، وأنت رجل مشرك نجيس ، فلم أحبّ أن تجلس على فراش رسول الله ، قال : والله لقد أصابك يا بنية بعدى شرٌّ . ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلّمه فلم يردّد عليه شيئاً ، ثم ذهب إلى أبي بكر فكلّمه أن يكلمه له رسول الله ، فقال : ما أنا بفاعل . ثم أتى عمر بن الخطاب ، فكلّمه فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله ! فوالله لو لم أجد إلا الدرّ لجاهدتكم . ثم خرج فدخل على عليّ بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ، وعنده فاطمة ابنة رسول الله ، وعندها الحسن بن عليّ ؛ غلامٌ يدبّ بين يديها ، فقال : يا عليّ ؛ إنك أمسّ القوم بي رحماً ، وأقربهم مني قرابة ، وقد جئت في حاجة ؛ فلا أرجعن كما جئت خائباً ، اشفع لنا إلى رسول الله ! قال : ويحك يا أباسفيان ! والله لقد عزّم رسول الله على أمر ما نستطيع أن نكلّمه فيه ، فالتفت إلى فاطمة ، فقال : يا ابنة محمد ؛ هل لك أن تأمرى بُنَيْك هذا فيجير بين الناس ، فيكون سيّد العرب إلى آخر الدهر ! قالت : والله ما بلغ بُنَيْي ذلك

(٢) س : « لمن » .

(١) ابن هشام : « سيرت » .

(٣) ابن هشام : « فأتى مبرك راحلته » .

أن يجير بين الناس . وما يجير على رسول الله . قال : يا أبا الحسن ، إننى أرى الأمور قد اشتدت على فأنصحنى . فقال له : والله ما أعلم شيئاً يُغنى عنك شيئاً . ولكنك سيد بنى كنانة ؛ فقم فأجير بين الناس ، ثم الحق بأرضك . قال : أو ترى ذلك مُغنياً عنى شيئاً ! قال : لا والله ما أظن ؛ ولكن لأجد لك غير ذلك ؛ فقام أبوسفيان فى المسجد ، فقال : أيها الناس ؛ إني قد أجزت بين الناس ؛ ثم ركب بعيرة فانطلق .

فلما قدم على قريش ، قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت محمداً فكأتمته ، فوالله ما رد على شيئاً ، ثم جئت ابن أبى قحافة ، فلم أجد عنده خيراً ، ثم جئت ابن الخطاب ؛ فوجدته أعدى القوم ، ثم جئت على بن أبى طالب ، فوجدته أليّن القوم ؛ وقد أشار على بشيء صنعتُهُ ؛ فوالله ما أدرى هل يغنى شيئاً أم لا ! قالوا : وبماذا أمرك ؟ قال : أمرنى أن أجير بين الناس ففعلت ؛ قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا . قالوا : ويحك ! والله إن زاد على أن لعيب بك ، فما يغنى عنا ما قلت . قال : لا والله ، ما وجدت غير ذلك ، قال : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز ؛ وأمر أهله أن يجهزوه ؛ فدخل أبو بكر على ابنته عائشة وهى تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : أى بنيت ، أأمركم رسول الله بأن تجهزوه ؟ قالت : نعم . فتجهز . قال : فأين تربته يريد ؟ قالت : والله ما أدرى .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس^(١) أنه سائر إلى مكة ؛ وأمرهم بالجد والتهيؤ^(٢) . وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها^(٣) فى بلادها .

فتجهز الناس ، فقال حسان بن ثابت الأنصارى يُحرضُ الناس ، ويذكر مصابَ رجال خُزاعة :

(١) و : « العباس » .

(٢) س : « والانكاش » .

(٣) نبغتها ، من البغته ؛ وهى المفاجأة .

أَتَانِي وَلَمْ أَشْهَدْ بِيَطْحَاءَ مَكَّةِ رَجَالُ بَنِي كَعْبٍ تَحَزُّ رِقَابُهَا^(١)
بَأَيْدِي رَجَالٍ لَمْ يَسْأَلُوا سِيوفَهُمْ وَقَتْلَى كَثِيرٌ لَمْ تُجَنَّ ثِيَابُهَا^(٢)
أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَنَالَنِّي نَضْرَتِي سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو حَرُّهَا وَعِقَابُهَا^(٣)!
وَصَفْوَانُ عَوْدًا حَزَمَ مِنْ شَفْرِ اسْتِهِ فَهَذَا أَوْ أُنُ الْحَرْبِ شَدَّ عَصَابُهَا
فَلَا تَأْمَنَّا بِمَا بَيْنَ أُمَّ مُجَالِدٍ إِذَا احْتَلَبْتَ صِرْفًا وَأَعْصَلَ نَابُهَا^(٤)
فَلَا تَجْزَعُوا مِنْهَا فَإِنَّ سِيوفَنَا لَهَا وَقَعَةٌ بِالْمَوْتِ يُفْتَحُ بِأُيُهَا^(٥)
وقول حسان :

• بَأَيْدِي رَجَالٍ لَمْ يَسْأَلُوا سِيوفَهُمْ •

يعني قريشًا . وابن أم مجالد ، يعني عكرمة بن أبي جهل^(٦)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا ، قالوا : لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير^(٧) إلى مكة ، كتب حاطب بن أبي بلتعة كتابًا إلى قريش ، يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله من الأمر في السير إليهم ؛ ثم أعطاه امرأة - يزعم محمد بن جعفر أنها من مزينة ؛ وزعم غيره أنها سارة ، مولاة لبعض بني عبد المطلب^(٨) - وجعل لها جُعلاً على أن تبغفه قريشًا . فجعلته في رأسها ، ثم فتلت عليه قرونها ، ثم خرجت به . وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب ؛ فبعث علي بن أبي طالب والزبير بن العوام ، فقال : أدركا امرأة

(١) ديوانه ٤١ ، ٤٢ ، وروايته : « وغينا فلم نشهد بيطحاء مكة » ، وفي ابن هشام :

« عناني ولم أشهد » .

(٢) لم تجن ثيابها : لم تستر . (٣) الديوان وابن هشام : « وخزها وعقابها » .

(٤) الديوان : « إذا لحقت حرب وأعصل نابها » .

(٥) موضع هذا البيت في الديوان :

وَأَوْ شَهِدَ الْبَطْحَاءَ مِنَّا عِصَابَةً لَهَا نَ عَلَيْنَا يَوْمَ ذَلِكَ ضِرَابُهَا

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٣ - ٢٦٦ .

(٨) « لبني المطلب » .

(٧) س والتفسير وابن هشام : « السير » .

قد كتب معها حاطب بكتاب^(١) إلى قريش ، يحذّره ما قد أجمعنا له في أمرهم ؛ فخرجوا^(٢) حتى أدركاها بالحليفة ، حليفة^(٣) ابن أبي أحمد ؛ فاستنزلاها ، فالتسا في رحلها ، فلم يجدا شيئاً ، فقال لها علي بن أبي طالب : إنني أحلف^(٤) ما كذب رسول الله ولا كذبنا ؛ ولتُخرجين إلى هذا الكتاب أو لنكشفنك ؛ فلما رأت الجِدّ منه ، قالت : أعرض عني ، فأعرض عنها ، فحلت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منه^(٥) ، فدفعته إليه ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسول الله حاطباً ؛ فقال : يا حاطب ، ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلت ، ولكني كنتُ امرأ ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم أهلٌ وولد ، فصانعتهم عليهم ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، دعني فلاضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطلع إلى^(٦) أصحاب بدر يوم بدر ؛ فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ! فأنزل الله عز وجل في حاطب : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَإِلَيْكَ أُنَبِّئُ... ﴾^(٧) إلى آخر القصة^(٨) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن مسلم الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس ، قال : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره ؛ واستخلف

(١) و : « كتابا » .

(٢) بعدما في و : « مسرعين » .

(٣) كذا في ط ؛ على التصغير ؛ وفي ابن هشام : « الحليفة » ، وهما موضعان قرب المدينة ؛ ذكرهما ياقوت .

(٤) ابن هشام والتضير : « أحلف باقه » .

(٥) ابن هشام : « منها » .

(٦) س : « على » .

(٧) سورة المتحنة ١ ، ٤ .

(٨) الخبر في التضير ٢٨ : ٣٩ (بولاق) ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧ .

على المدينة أبا رهم كلثوم بن حصين بن خلف الغفاري ، وخرج لعشر مضيئ من شهر رمضان ، فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصام الناس معه ؛ حتى إذا كان بالكديد ما بين عسفان وأمج ، أفطر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة آلاف من المسلمين ، فسبعت سليم ؛ وألفت مزينة^(١) وفي كل القبائل عدد وإسلام ؛ وأوعب^(٢) مع رسول الله المهاجرون والأنصار ، فلم يتخلف عنه منهم أحد ، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران ، وقد عميت الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ؛ ولا يدرون ما هو فاعل ؛ فخرج في تلك الليلة أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء ، يتحسون الأخبار ؛ هل يجدون خبراً أو يسمعون به^(٣) !

١٦٢٨/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : وقد كان فيما حدثني محمد بن إسحاق ، عن العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب ؛ عن ابن عباس : وقد كان العباس بن عبد المطلب تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق ؛ وقد كان أبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنبي العقاب ؛ فيما بين مكة والمدينة ، فالتمس الدخول على رسول الله ، فكلتته أم سلمة فيهما ، فقالت : يا رسول الله ، ابن عمك وابن عمتك وصهرك ، قال : لا حاجة لي بهما ، أما ابن عمي فهتك عرضي ؛ وأما ابن عمتي وصهرى فهو الذي قال بمكة ما قال .

فلما خرج الخبر إليهما بذلك ؛ ومع أبي سفيان بنى له فقال : والله ليأذنن لي أو لأخذن بيد بنى^(٤) هذا ؛ ثم لنذهبن في الأرض ؛ حتى نموت عطشاً وجوعاً . فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لهما ؛ ثم أذن لهما ،

١٦٢٩/١

(١) سبت سليم ؛ أي كانت سبائة ، وألفت مزينة ، أي كانت ألقا .

(٢) أوعب القوم : خرجوا كلهم للفرار .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٧ .

(٤) ابن هشام : يبي بنى هذا .

فدخل عليه ؛ فأسلما وأنشده أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذاره مما كان
مضى منه :

لَعَمْرِي إني يومَ أحملُ رايةً لَتَغْلِبَ خَيْلُ اللَّاتِ خَيْلَ مُحَمَّدٍ
لَكَ الْمُدْلِجُ الْخَيْرَانِ أَظْلَمَ لِيهِ فَهَذَا أَوَانِي حِينَ أَهْدَى وَأُهْتَدِي ^(١)
وَهَادٍ هَدَانِي غَيْرَ نَفْسِي وَنَالِي مَعَ اللَّهِ مَنْ طَرَدْتُ كُلَّ مُطَرِّدٍ
أَصْدُو وَأُنْأَى جَاهِدًا عَنِ مُحَمَّدٍ ^(٢) وَأُدْعَى وَلَوْلَمْ أَنْتَسِبْ مِنْ مُحَمَّدٍ
هُمْ مَا هُمْ مِنْ لَمْ يَظَلْ بِهِوَاهُمْ وَإِنْ كَانَ ذَا رَأْيٍ يُلَمُّ وَيُفْنَدُ ^(٣)
أُرِيدُ لِأَرْضِيهِمْ وَلَسْتُ بِلَايِطٍ مَعَ الْقَوْمِ مَا لَمْ أَهْدِنِي كُلَّ مَقْعَدٍ ^(٤)
فَقُلْ لِثَقِيفٍ لَا أُرِيدُ قِتَالَهَا وَقُلْ لِثَقِيفٍ تِلْكَ غَيْرِي أَوْ عِدِي
وَمَا كُنْتُ فِي الْجَيْشِ الَّذِي نَالَ عَامِرًا وَمَا كَانَ عَنْ جَرَى لِسَانِي وَلَا يَدِي ^(٥)
قِبَائِلُ جَاءَتْ مِنْ بِلَادٍ بَعِيدَةٍ نَزَائِعُ جَاءَتْ مِنْ سُهَامٍ وَسُرْدَدٍ

قال : فزعموا أنه حين ^(٦) أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : «ونالني
مع الله من طردت كل مطرد» ؛ ضرب النبي صلى الله عليه وسلم في صدره ،
ثم قال : أنت طردتني كل مطرد ^(٧) !

وقال الواقدي : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة ، فقائل
يقول : يريد قريشاً ، وقائل يقول : يريد هوازن ، وقائل يقول : يريد ثقيفاً ؛
وبعث إلى القبائل فتخلفت عنه : ولم يعقد الألوية ولم ينشر الرايات حتى
قدم قديداً ، فلقبته بنو سليم على الخيل والسلاح التام ؛ وقد كان عيينة

(١) المدلج : الذي يسير ليلاً . (٢) ط : « جاهد » . وما أثبتته من ابن هشام .

(٣) يفند : يلام ويكذب . (٤) اللانط : الملتصق .

(٥) عن جرى ؛ من جراه . (٦) س : « لا » .

(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

لحق رسول الله^(١) بالعرَج في نفر من أصحابه ، ولحقه الأقرع بن حابس بالسُّقْيَا ، فقال عيينة : يا رسول الله ؛ والله ما أرى آلة الحرب ولا تهيئة الإحرام ، فأين تتوجه^(٢) يا رسول الله ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : حيث شاء^(٣) الله . ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعمي عليهم الأخبار ؛ فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مرَّ الظَّهْران ، ولقيه العباس بالسُّقْيَا ، ولقيه مخزومة بن نوفل بن نبيق العقاب .

• • •

فلما نزل مرَّ الظهران خرج أبو سفيان بن حرب ومعه حكيم بن حزام . فحدثنا أبو كريب ، قال : أخبرنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ الظهران ، قال العباس بن عبد المطلب ، وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة : يا صباح قريش^(٤) ! والله لئن بغتتها رسولُ الله في بلادها ؛ فدخل مكة عتوة ؛ إنه لهلاك قريش آخر الدهر ! فجلس على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء ، وقال : أخرج إلى الأراك لعلني أرى حطاباً أو صاحب لبن ؛ أو داخلاً يدخل مكة ؛ فيخبرهم بمكان رسول الله ؛ فيأتونه فيستأمنونه . فخرجت ؛ فوالله إنى لأطوف في الأراك ألتمس ما خرجت له ؛ إذ سمعت صوت أبي سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء ، وقد خرجوا يتحسون^(٥) الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسمعتُ أبا سفيان وهو يقول : والله ما رأيت كالذي قطع نيراناً ! فقال بديل : هذه والله نيران خِزاعة ، حمشتها^(٦) الحرب ! فقال أبو سفيان : خِزاعة أُم من ذلك وأذلُّ ! فعرفت صوته ، فقلت :

١٦٣١/١

(١) و : برسول الله .

(٢) و : يتوجه رسول الله .

(٣) س : يشاء .

(٤) يا صباح كذا ، ويا صباحاه ، مما يستعمل من الألفاظ عند الإنذار بالغاثة .

(٥) الأغلى : يتحسون .

(٦) حمش فلانا : هيجه .

يا أبا حنظلة ! فقال : أبو الفضل ! فقلت : نعم ، فقال : لبّيك فداك أبا
وأى ! فما وراءك ؟ فقلت : هذا رسول الله ورأى قد دلّف^(١) إليكم بما
لا قبيل لكم به بعشرة آلاف من المسلمين . قال : فما تأمرني ؟ فقلت :
تركب عَجَزُ هذه البغلة ، فأستأمن لك رسول الله ؛ فوالله لئن ظفّر بك
ليضربنّ عنقك ، فردفني فخرجت به أركض بغلة رسول الله صلى الله
عليه وسلم نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلّما مررت بنارٍ من نيران
المسلمين ونظروا إليّ ، قالوا : عمُّ رسول الله على بغلة رسول الله ؛ حتى
مررت بنار عمر بن الخطاب ، فقال أبو سفيان ! الحمد لله الذي أمكن منك
بغير عقد ولا عهد ! ثم اشتدّ نحو النبي صلى الله عليه وسلم ، وركضت
البغلة ، وقد أردفت^(٢) أبا سفيان ؛ حتى اقتحمت على باب القبّة . وسبقت
عمر بما تسبق به الدابة البطيئة الرجل البطيء ؛ فدخل عمر على رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان عدو الله ؛ قد أمكن
الله منه بغير عهد ولا عقد ؛ فدعني أضرب عنقه ؛ فقلت : يا رسول الله ،
إنّي قد أجرته ! ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه ، فقلت :
والله لا ينجيه اليوم أحدٌ دوني ! فلما أكثر فيه عُمر ، قلت : مهلاً يا عمر !
فوالله ما تصنع هذا إلاّ لأنه رجل من بني عبد مناف ؛ ولو كان من بني عدّي
ابن كعب ما قلت هذا . فقال : مهلاً يا عباس ! فوالله لإسلامك يوم أسلمت
كان أحبّ إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم ! وذلك لأنّي أعلم أن إسلامك
كان أحبّ إلى رسول الله من إسلام الخطاب لو أسلم ؛ فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : اذهب فقد آمنّاه حتى تغدو به على بالغداة . فرجع به إلى
مترله ؛ فلما أصبح غدا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه قال :
ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ! فقال : بأبي أنت
وأمتي ، ما أوصلك وأحلمك وأكرمك ! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره
لقد أغنى عنّي شيئاً ، فقال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أنّي

(١) دلف : مشى مشياً فوق الدبيب .

(٢) س : « وقد ردفت أبا سفيان حتى اقتحمت » .

رسول الله ! فقال : بأبي أنت وأمي ما أوصلك وأحلمك وأكرمك ! أما هذه
ففي النفس منها شيء ! فقال العباس : فقلت له ويلك ! تشهد شهادة الحق
قبل والله أن تضرب عنقك ؛ قال : فتشهد .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس حين تشهد أبو سفيان :
انصرف يا عباس فاحبس عند خَطْم^(١) الجبل بمضيق الوادي ، حتى تمر
عليه جنود الله ، فقلت له : يا رسول الله ، إن أبا سفيان رجل يحب الفخر ،
فاجعل له شيئاً يكون في قومه . فقال : نعم ؛ مَنْ دخل دارَ أبي سفيان فهو
آمين ، وَمَنْ دخل المسجد فهو آمن ، وَمَنْ أغلق عليه بابه فهو آمن .
فخرجت حتى حبسته عند خَطْم الجبل بمضيق الوادي ؛ فرأت عليه القبائل ،
فيقول : مَنْ هؤلاء يا عباس ؟ فأقول : سليم ، فيقول : مالي ولسليم ! فتمر
به قبيلة ، فيقول : مَنْ هؤلاء ؟ فأقول : أسلم ، فيقول : مالي ولأسلم ! وتمر
جُهينة ، فيقول : مالي ولجُهينة ! حتى مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الخصراء ؛ كتبية رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار في
الحديد ؛ لا يرى منهم إلا الحدق ، فقال : مَنْ هؤلاء يا أبا الفضل ؟ فقلت :
هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار ؛ فقال : يا أبا الفضل ، لقد أصبح
ملكُ ابن أخيك عظيماً . فقلت : ويحك إنها النبوة ! فقال : نعم إذا ،
فقلت : الحق الآن بقومك فخذهم ؛ فخرج سريعاً حتى أتى مكة ، فصرخ
في المسجد : يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم بما لا قبيل لكم به !
قالوا : فمه ! فقال : مَنْ دخل داري فهو آمن ، فقالوا : ويحك ! وما تُغني
عنا دارك ! فقال : وَمَنْ دخل المسجد فهو آمن ، وَمَنْ أغلق عليه بابه
فهو آمن^(٢) .

حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : حدثني ١٦٣٤/١

(١) خطم الجبل : أنفه ؛ أي مقدمه ، وفي س : « حطم » بالخاء ؛ وهو موضع ضيق تتزاحم
فيه الخيل حتى يحطم بعضها بعضاً .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، والأغانى ٦ : ٣٥٢ - ٣٥٤ ، (طبعة دار

الكتب) .

أبي ، قال : حدثنا ، أبان العطار قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد ، فإنك كتبت إلى تسألني عن خالد بن الوليد : هل أغار يوم الفتح ؟ وبأمر من أغار ؟ وإنه كان من شأن خالد يوم الفتح أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما ركب النبي بطناً مرةً عامداً إلى مكة ، وقد كانت قريش بعثوا أبا سفيان وحكيم بن حزام يتلقيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم حين بعثوهما لا يدرون أين يتوجه (١) النبي صلى الله عليه وسلم ! إليهم أو إلى الطائف ! وذلك أيام الفتح ؛ واستتبع أبو سفيان وحكيم بن حزام بديل بن ورقاء ، وأحبنا أن يصحبهما ، ولم يكن غير أبي سفيان وحكيم بن حزام وبديل ؛ وقالوا لهم حين بعثوهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تؤتينا من ورائكم ، فإننا لا ندرى من يريد محمد ! إيانا يريد ، أو درازن يريد ، أو ثقيفاً ! وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قريش صلح يوم الحديبية وعهد ومدة ، فكانت بنو بكر في ذلك الصلح مع قريش . فاقتلت طائفة من بني كعب وطائفة من بني بكر . وكان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش في ذلك الصلح الذي اصطلحوا عليه : « لا إغلال ولا إسلاخ » ، فأعانت قريش بني بكر بالسلاح ، فاتهمت بنو كعب قريشاً ، فنها غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة ؛ وفي غزوته تلك لقي أبو سفيان وحكيماً وبديلاً بمر الظهران ؛ ولم يشعروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل مرةً ، حتى ظلموا (١) ٣٥١ عليه . فلما رأوه بمر . دخل عليه أبو سفيان وبديل وحكيم بمنزله بمر الظهران فبايعوه . فلما بايعوه بعثهم بين يديه إلى قريش . يدعوهم إلى الإسلام . فأخبرت أنه قال : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن - وهي بأعلى مكة - ومن دخل دار حكيم - وهي بأسفل مكة - فهو آمن . ومن أغلق بابه وكف يده فهو آمن .

وإنه لما خرج أبو سفيان وحكيم من عند النبي صلى الله عليه وسلم عامدين إلى مكة ، بعث في أثرهما الزبير وأعطاه رايته ، وأمره على خيل المهاجرين والأنصار

(١) س : « توجه » .

وأمره أن يغريز رايته بأعلى مكة بالحجّون ؛ وقال للزبير : لا تبرح حيث أمرتك أن تغريز رايتي حتى آتيتك ؛ ومن ثمّ دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر خالد بن الوليد - فيمن كان أسلم من قضاة وبنى سليم وأناس ، إنما أسلموا قبيل ذلك - أن يدخل من أسفل مكة ، وبها بنو بكر قد استنفرتهم قريش ، وبنو الحارث بن عبد مناة ومن كان من الأحابيش أمرتهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة ، فدخل عليهم خالد بن الوليد من أسفل مكة .

وحدثت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لخالد والزبير حين بعثهما : لا تقاتلا إلا من قاتلكما ؛ فامّا قدم خالد على بنى بكر والأحابيش بأسفل مكة ، قاتلهم فهزمهم الله عزّ وجلّ ، ولم يكن بمكة قتال غير ذلك ؛ غير أن كرز بن جابر أحد بنى محارب بن فهر وابن الأشعر - رجلا من بنى كعب - كانا في خيل الزبير فسلكا كداء ، ولم يسلكا طريق الزبير الذي سلك ، الذي أمر به ^(١) . فقدموا على كتيبة من قريش مهبط كداء فقتلوا ؛ ولم يكن بأعلى مكة من قبيل الزبير قتال ؛ ومن ثمّ قدم النبي صلى الله عليه وسلم ، وقام الناس إليه يبايعونه ؛ فأسلم أهل مكة ، وأقام النبي صلى الله عليه وسلم عندهم نصف شهر ، لم يزد على ذلك ، حتى جاءت هوازن وثقيف فنزلوا بحنين .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيع ، أن النبي صلى الله عليه وسلم حين فرق جيشه من ذي طوى ، أمر الزبير أن يدخل في بعض الناس من كدى ؛ وكان الزبير على المجنبة اليسرى ، فأمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كداء . فزعم بعض أهل العلم أن سعدا قال حين وجه داخلا : « اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمه » . فسمعها رجل من المهاجرين ، فقال : يا رسول الله ، اسمع ما قال سعد بن عبادة ، وما تأمن أن تكون له في قريش هولة ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب : أدركه فخذ الراية ، فكن أنت الذي تدخل بها ^(٢) .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٠ ، ٢٧١ .

(١) : أمره .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نَجِيح في حديثه ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمر خالد بن الوليد ، فدخل من اللَّيْطِ أسفلَ مكة ، في بعض الناس ؛ وكان خالد ١٦٣٧/١ على المَجْزَبَةِ اليمنى ، وفيها أسلم وغِفَار ومُزَيْنَة وجهينة وقبائل من قبائل العرب ؛ وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصبُ لمكة بين يدي رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من أذآخِر ؛ حتى نزل بأعلى مكة ، وضُرِبَتْ هنالك قَبْتُهُ (١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نَجِيح وعبد الله بن أبي بكر ، أن صفوان بن أمية ، وعكرمة ابن أبي جهل ، وسُهَيْل بن عمرو ، وكانوا قد جمعوا أناسًا بالخدمة ليقاتلوا ؛ وقد كان حِمَاسُ بن قيس بن خالد أخو بني بكر يُعِدُّ سلاحًا قبل أن يدخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة ويُصلح منها ، فقالت له امرأته : لماذا تعيد ما أرى ؟ قال : لمحمد وأصحابه ، فقالت : والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء ، قال : والله إنى لأرجو أن أُخْدِمَكَ بعضهم ، فق :

إِنْ تَقْبَلُوا الْيَوْمَ فَمَا لِي عَلَيَّ هَذَا سَلَاحٌ كَامِلٌ وَأَلَةٌ (٢) .
• وَذُو غِرَارَيْنِ سَرِيْعُ السَّلَةِ (٣) .

ثم شهد الخندمة مع صفوان وسهيل بن عمرو وعكرمة ، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد نأوشوهم شيئًا من قتال ، فقتل كُرْزُ ابن جابر بن حِيسَل بن الأَجَب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن ١٦٣٨/١ فهر ، وحُبَيْش بن خالد ، وهو الأشعر بن ربيعة بن أصرم بن ضَبَيْس

(٢) الألة : الحربة لها سنان طويل .

(١) ابن هشام : ثم قال .

(٣) ذو غرارين : ذو حدين .

ابن حرام بن حبشية بن كعب بن عمرو ؛ حليف بني منقذ - وكانا في خيل خالد بن الوليد ، فشدّأ عنه ، وسلكا طريقاً غير طريقه ، فقتلا جميعاً - قتل حنيس قبل كرز بن جابر ؛ فجعله كرز بين رجله ؛ ثم قاتل حتى قُتل وهو يرتجز ، ويقول :

قد علمت صفراء من بني فهر^(١) نقيّة الوجه نقيّة الصدر
 . لأضربن اليوم عن أبي صخر^(٢) .

وكان حنيس يكنى بأبي صخر ؛ وأصيب من جهينة سلمة بن الميلاء من خيل خالد بن الوليد ، وأصيب من المشركين أناس قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر . ثم انهزموا . فخرج حيماس منهزماً ؛ حتى دخل بيته . ثم قال لامرأته : أغلقتي على بابي . قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

إنك لو شهدت يوم الخندمة^(٣) إذ فرّ صفوان وفرّ عكرمة^(٤)
 وابو يزيد قائم كالنوتمة^(٥) وأستقبلتهم بالسيوف السامة^(٦)
 يقطعن كل ساعدٍ وجمجمة^(٧) ضرباً فلا تسمع إلا شغمة^(٨)
 لم نهيت خلفنا وهممة^(٩) لم تنصتني في اللوم أدنى كلمة^(١٠)

حدثنا ابن حميد . قال : حدثنا سلمة . عن ابن إسحاق ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى أمراءه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة ؛ ألا يقتلوا أحداً إلا من قاتلهم ؛ إلا أنه قد عهد في نشر سباعهم ؛ أن يقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ؛ منهم عبد الله بن سعد

(١) قال السبيل : « أشار بقوته » . صفراء : « إلى صفرة اللون » .
 (٢) قوله : « وأبو يزيد » . بقلب الهمزة من « أبوا العاساكة » . وهو سبيل ذو عمرو خطيب قريش . النوتمة : المرأة التي لها أبنان . والأعراف فيها مؤتم مثل منقذ . وفي « كالماتمة » : والصواب ما أنسته من ابن هشام . وانظر الروض الأنف .
 (٣) النعمة : أصوات غير مفهومة لاحتلاطها .
 (٤) النهيت : صوت في الصدر . وأصهمة مثله .
 (٥) الخبر والرحز في ابن هشام ٢ : ٢٧٢ .

ابن أبي سرح بن حبيب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ابن لؤي - وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله، لأنه كان قد أسلم فارتد مشركاً، ففر إلى عُمَان، وكان أخاه من الرضاعة، فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأن أهل مكة، فاستأمن له رسول الله، فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صمت طويلاً، ثم قال: نعم؛ ١٦٤٠/١ فلما انصرف به عثمان، قال رسول الله لمن حوله من أصحابه: أما والله لقد صمت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه! فقال رجل من الأنصار: فهلاً أومأت إلى يا رسول الله! قال: إن النبي لا يقتل بالإشارة - وعبد الله بن خططل، رجل من بني تيم بن غالب - وإنما أمر بقتله لأنه كان مسلماً، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقاً^(١)، وبعث معه رجلاً من الأنصار؛ وكان معه مولى له يخدمه، وكان مسلماً، فنزل منزلاً، وأمر المولى أن يذبح له تيساً، ويصنع له طعاماً، ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً، فعدا عليه فقتله، ثم ارتد مشركاً؛ وكانت له قبتان: فرتني وأخرى^(٢) معها، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر بقتلهما معه - والحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد بن قصي، وكان ممن يؤذيه بمكة، ومقيس بن صبابه - وإنما أمر بقتله لقتله الأنصاري الذي كان قتل أخاه خطأ، ورجوعه إلى قريش مرتدًا - وعكرمة بن أبي جهل، وسارة مولاة كانت لبعض بني عبدالمطلب؛ وكانت ممن يؤذيه بمكة. فأما عكرمة بن أبي جهل فهرب إلى اليمن؛ وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام، فاستأمنت له رسول الله فأمته؛ فخرجت في طلبه حتى أتته به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان عكرمة يحدث - فيما يذكر - أن الذي رده إلى الإسلام بعد خروجه إلى اليمن أنه كان يقول: أردت ركوب البحر لألحق بالحبشة، فلما أتيت السفينة لأركبها ١٦٤١/١ قال صاحبها: يا عبد الله، لا تركب سفيني حتى توحيد الله، وتخلع ما دونه من الأنداد، فأني أخشى إن لم تفعل أن نهلك فيها، فقلت: وما يركبه أحد

(١) مصدقاً: جامعاً للصلقات.

(٢) ابن هشام: «صاحبها».

حتى يوحد الله ويخلق ما دونه ! قال : نعم ؛ لا يركبه أحدٌ إلاّ أخلص .
قال : فقلت : فقيم أفاوق محمدأ ! فهذا الذى جاءنا به ، فوالله إنّ إلهنا فى
البحر لإلهنا فى البر ؛ فعرفت الإسلام عند ذلك ، ودخل فى قلبى . وأما عبد الله
ابن خطل ، فقتله سعيد بن حريث المخزومى وأبو برزة الأسلمى ، اشتركا فى
دمه ، وأما مقيس بن صبابة فقتله نُمَيْلَةُ بن عبد الله ؛ رجل من قومه ، فقالت
أخت مقيس :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَخْرَى نُمَيْلَةُ رَهْطَهُ وَفَجَعَ أَضْيَافَ الشِّتَاءِ بِمَقْيَسِ
فَلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَ مَقْيَسٍ إِذَا النُّفْسَاءُ أَصْبَحَتْ لَمْ تُخْرَسِ (١)!

وأما قينتا ابن خطل فقتلت إحداهما ، وهربت الأخرى حتى استؤمن
لها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد ، فأمنها . وأما سارة ، فاستؤمن لها
فأمنها ، ثم بقيت حتى أوطأها رجلٌ من الناس فرسأ له فى زمن عمر بن الخطاب
بالأبطح ، فقتلها . وأما الحويرث بن نُقييد ، فقتله على بن أبى طالب رضى
الله عنه (٢) .

وقال الواقدي : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل ستة نفر وأربع
نسوة ، فذكر من الرجال مَنْ سَمَاهُ ابن إسحاق ، ومن النساء هند بنت عتبة
ابن ربيعة ، فأسلمت وبايعت ، وسارة مولاة عمرو بن هاشم بن عبد المطلب
ابن عبد مناف ، قتلت يومئذ ، وقريبة ؛ قتلت يومئذ ، وفرتنى عاشت إلى خلافة
عثمان .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمر بن موسى
ابن الوجيه ، عن قتادة السدوسى ؛ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قام قائماً
حين وقف على باب الكعبة ، ثم قال : لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ،

(١) لم تخرس : لم يصنع لها طعام عند ولادتها ، واسم ذلك الطعام : خرس وخرسة ، بضم

الحاء ؛ وإنما أرادت به زمن الشدة .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٣ .

صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ. أَلَا كُلُّ مَأْتِرَةٍ^(١)، أَوْدَمَ،
أَوْ مَالٍ يُدْعَى؛ فَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيْ هَاتَيْنِ إِلَّا سِدَانَةَ^(٢) الْبَيْتِ وَسِقَايَةَ الْحَاجِّ.
أَلَا وَقَتِيلُ الْخَطَلِ مِثْلُ^(٣) الْعَمْدِ؛ السُّوْطِ^(٤) وَالْعَصَا، فِيهِمَا الدِّيَّةُ مَغْلَقَةٌ [مِائَةٌ مِنْ
الْإِبِلِ]^(٥)، مِنْهَا أَرْبَعُونَ فِي بَطْنِهَا أَوْلَادُهَا.

يا معشر قريش؛ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعْظُمَهَا
بِالْآبَاءِ. النَّاسُ مِنْ آدَمَ؛ وَآدَمُ خَلِقَ مِنْ تَرَابٍ. ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...﴾^(٦) الْآيَةَ.

يا معشر قريش، ويا أهل مكة؛ ما تَرَوْنَ أَنِي فَاعِلٌ بِكُمْ؟ قَالُوا:
خَيْرًا، أَخَ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. ثُمَّ قَالَ: اذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلُقَاءُ^(٧).

فَأَعْتَقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ كَانَ اللَّهُ أَمَكَنَهُ مِنْ رِقَابِهِمْ عَنُوةً،
وَكَانُوا لَهُ فَيْئًا، فَبِذَلِكَ يَسْمَى أَهْلُ مَكَّةَ الطُّلُقَاءِ. ثُمَّ اجْتَمَعَ النَّاسُ بِمَكَّةَ لِبَيْعَةِ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَجَلَسَ لَهُمْ - فِيمَا بَلَغَنِي - عَلَى الصَّفَا
وَعَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ تَحْتَ رَسُولِ اللَّهِ أَسْفَلَ مِنْ مَجْلِسِهِ يَأْخُذُ عَلَى النَّاسِ. فَبَايَعَ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ - فِيمَا اسْتَطَاعُوا -
وَكَذَلِكَ كَانَتْ يَبِيعَتُهُ لِمَنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّاسِ عَلَى
الْإِسْلَامِ. فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْعَةِ الرِّجَالِ بَايَعَ النِّسَاءَ،
وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ قُرَيْشٍ؛ فَيَهْنُ هِنْدُ بِنْتُ عُنْتَبَةَ، مَتَنَقِبَةٌ مَتَنَكَّرَةٌ لِحَدِيثِهَا
وَمَا كَانَ مِنْ صَنِيعِهَا بِحِمْرَةٍ^(٨)، فَهِيَ تَخَافُ أَنْ يَأْخُذَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) المأتر: الخصلة التي تتوارث ويتحدث بها الناس. (٢) سدانة البيت: خدمته

(٣) ابن هشام: «شبه». (٤) ابن هشام: «بالسوط والعصا».

(٥) من ابن هشام. (٦) سورة الحجرات ١٣.

(٧) الخبر إلى هنا في ابن هشام ٢: ٢٧٤. (٨) س: «لحمزة».

عليه وسلم بحدّتها ذلك ، فلما دنونَ منه ليباعنّه قال ، رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - : تبايعننني على ألاّ تشركن بالله شيئاً ! فقالت هند : والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما تأخذه على الرجال وسنوتيكه . قال : ولا تسرقن ، قالت : والله إن كنت لأصيب من مال أبي سفيان الهنّة والهنّة . وما أدري أكان ذلك حلالاً أم لا ! فقال أبو سفيان - وكان شاهداً لما تقول : أمّا ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حلٍّ . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وإنك لهند بنت عتبة ! فقالت : أنا هند بنت عتبة ، فاعفُ عما سلف عفا الله عنك ! قال : ولا تزنين ، قالت : يا رسولَ الله . هل تزني الحرّة ! قال : ولا تقتلن أولادكُن ، قالت : قد ربّيتنهم صغاراً ، وقتلتهم يوم بدر كباراً ، فأنت وهم أعلم ! فضحك عمر بن الخطاب من قولها حتى استغرب^(١) . قال : ولا تأتين بيهتان تفريننه بين أيديكُن وأرجلكُن ، قالت : والله إن إتيان البيهتان لقبيح ؛ ولبعض التجاوز أمثل . قال : ولا نعصينني في معروف ، قالت : ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك في معروف ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعمر : بايعهن واستغفر لهن رسولُ الله ، فبايعهن عُمر ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يُصافحُ النساء ، ولا يمسُ امرأة ولا تمسه إلاّ امرأة أحلتها الله له ، أو ذاك محرّم منه .

١٦٤٤/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبان ابن صالح ، أن بيعة النساء قد كانت على نحوين - فيما أخبره بعض أهل العلم - كان يوضع بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم إناء فيه ماء ، فإذا أخذ عليهن وأعطيتهن غمس يده في الإناء ، ثم أخرجها . فغمس النساءُ أيديهن فيه . ثم كان بعد ذلك يأخذ عليهن ، فإذا أعطيتهن ما شرط عليهن ، قال : اذهبن فقد بايعتكن ، لا يزيد على ذلك .

• • •

قال الواقدي : فيها قتل خِرَاش بن أمية الكعبيّ جُنَيْد بن الأدلع

(١) استغرب ، معلوماً ، ومجهولاً : بالغ في الضحك .

المُذَلِّيّ - وقال ابن إسحاق: ابن الأثووع المذليّ - وإنما قتله بذحل، كان في الجاهليّة، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: إن خراشاً قتال؛ إن خراشاً قتال! يعبّيه بذلك، فأمر النبيّ صلى الله عليه وسلم خزاعة أن يدؤوه.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير - قال محمد بن إسحاق: ولا أعلمه إلا وقد حدثني عن عروة بن الزبير - قال: خرج صفوان بن أمية يريد جدّة، ليركب منها إلى اليمن^(١)، فقال عمير بن وهب، يا نبيّ الله، إن صفوان بن أمية سيد قومه، وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر؛ فأمنه صلى الله عليك! قال: هو أمين، قال: يا رسول الله، أعطيني شيئاً يعرف به أمانك؛ فأعطاه عمامته التي دخل فيها مكة؛ فخرج بها عمير حتى أدركه بجدّة، وهو يريد أن يركب البحر، فقال: يا صفوان، فإدراك أبي وأمي! أذكرك الله في نفسك أن تهلكها! فهذا أمان من رسول الله قد جئتك به، قال: ويحك! اغرب عني فلا تكلمني! قال: أي صفوان! فإدراك أبي وأمي! أفضل الناس، وأبرّ الناس، وأحلم الناس، وخير الناس، ابن عمّتك، عزّه عزك، وشرفه شرفك، ومملكه ملكك! قال: إني أخافه على نفسي، قال: هو أحلم من ذلك وأكرم؛ فرجع به معه، حتى قدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال صفوان: إن هذا زعم أنك قد أمّنتني، قال: صدق، قال: فاجعلني في أمرى بالخيار شهرين، قال: أنت فيه بالخيار أربعة أشهر^(٢).

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الزهري، أن أمّ حكيم بنت الحارث بن هشام وفاخنة بنت الوليد - وكانت فاخنة عند صفوان بن أمية، وأمّ حكيم عند عكرمة بن أبي جهل - أسلمتا، فأما أمّ حكيم فاستأمنت رسول الله لعكرمة بن أبي جهل، فأمنه، فلحقت به باليمن، فجاءت به؛ فلما أسلم عكرمة وصفوان، أقرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهما على النكاح الأول^(٣).

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٦ .

(١) س : البحر .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٨ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ؛ لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة هرب هبيرة بن أبي وهب المخزومي وعبد الله بن الزبعرى السهمي إلى نجران .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري ؛ قال : رمى حسان عبد الله بن الزبعرى وهو بنجران بيت واحد ، ما زاده^(١) عليه :

لَا تَعْدَمَنْ رَجُلًا أَحَلَّكَ بُغْضُهُ نَجْرَانَ فِي عَيْشٍ أَحَدًا لَيْمٍ^(٢)

فلما بلغ ذلك ابن الزبعرى ، رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال حين أسلم :

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورٌ^(٣)

إِذْ أَبَارَى الشَّيْطَانَ فِي سِنِّ الرَّيِّ^(٤) مَعَ وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَشْبُورٌ^(٥)

أَمَّنَ اللَّحْمُ وَالْعِظَامُ لِرَبِّي ثُمَّ نَفْسِي الشَّهِيدُ أَنْتَ النَّذِيرُ

إِنِّي عَنْكَ زَاجِرٌ ثُمَّ حَيٌّ^(٥) مِنْ لُؤْيٍ فَكُلُّهُمْ مَفْرُورٌ

١٦٤٧/١

وأما هبيرة بن أبي وهب ، فأقام بها كافراً ، وقد قال حين بلغه إسلام أم هاني بنت أبي طالب وكانت تحبه ، واسمها هند :

أَشَافَكَ هِنْدٌ أُمَّ نَاكَ سَوَّالَهَا كَذَاكَ النَّوَى أَسْبَابُهَا وَافْتَالَهَا^(٦)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف ؛ من بني غفار أربعمائة ، ومن أسلم أربعمائة ، ومن مزينة ألف وثلاثة نفر ، ومن بني سُلَيْم

(١) س : زاده . (٢) عيش أخذ : قليل منقطع .

(٣) بور : هالك .

(٤) ابن هشام : سن النى ، والسن : وسط الطريق . ومشبور : هالك .

(٥) كذا في ابن هشام : وق ط ه إنني عنك ناها

(٦) في أبيات ذكرها ابن هشام مع الخبر في السيرة ٢ : ٢٧٩ .

سبعمائة ، ومن جُهينة ألف وأربعمائة رجل ؛ وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من بني تميم وقيس وأسد^(١) .

• • •

قال الواقدي : في هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم مليكة بنت داود اللثبية ، فجاء إليها بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت لها : ألا تستبحين حين تزوجين رجلاً قتل أباك ! فاستعادت منه ؛ وكانت جميلة ، وكانت حدثة ، ففارقها رسول الله ؛ وكان قتل أبائها يوم فتح مكة .

• • •

قال : وفيها هدم خالد بن الوليد العزري بطن نخلة ، لحمس ليال بقين ١٦٤٨/١ من رمضان ؛ وهو صنم لبني شيبان ؛ بطن من سليم حلفاء بني هاشم ، وبنو أسد بن عبد العزري ، يقولون : هذا صنمنا ، فخرج إليه خالد ، فقال : قد هدمته ، قال : أرأيت شيئاً ؟ قال : لا ، قال : فارجع فاهدمه ، فرجع خالد إلى الصنم فهدم بيته ، وكسر الصنم ، فجعل السادن يقول : أعزى اغضبي بعض غضباتك ! فخرجت عليه امرأة حبشية عريانة مؤنولة ، فقتلها وأخذ ما فيها من حلية ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بذلك ، فقال : تلك العزري ، ولا تعبد العزري أبداً .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العزري - وكانت بنخلة ، وكانت بيتاً يعظمه هذا الحي من قريش وكنانة ومُضر كلها ؛ وكانت سدنتها من بني شيبان ، من بني سليم حلفاء بني هاشم - فلما سمع صاحبها بمسير خالد إليها ، علق عليها سيفه ، وأسد^(٢) في الجبل الذي هي إليه فأصعد فيه ، وهو يقول :

أيا عزراً شدي شدة لا شوى لها
ويا عزراً إن لم تقتلي اليوم خالداً
على خالد ألقى القناع وشمري^(٣)
قبوني بإثم عاجل أوتنصري^(٤)

(٢) أسد في الجبل : ارتفع فيه .

(٤) بونى : ارجعى .

(١) ابن هشام ٢ : ٢٨٩ .

(٣) لا شوى لها ؛ أى لا تبق على شئ .

فلما انتهى إليها خالد هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)

• • •

قال الواقدي : وفيها هُدِم سُوَاع ؛ وكان برُّهاط لهُذَيْل ، وكان حَجَرًا ؛ وكان الذي هدمه عمرو بن العاص لما انتهى إلى الصِّم ، قال له السَّادَن : ما تريد ؟ قال : هَدَم سُوَاع ، قال : لا تطيق تَهدمُه ، قال له عمرو بن العاص : أنتَ في الباطل بعد ! فهدمه عمرو ، ولم يجد في خزانته شيئًا ، ثم قال عمرو للسَّادَن : كيف رأيت ؟ قال : أسلمت والله .
وفيها هدم مناة بالمشلل ، هدمه سعد بن زيد الأشهلي ، وكان للأوس والخزرج .

• • •

[مسير خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن مالك]

وفيها كانت غزوة خالد بن الوليد بنى جذيمة ، وكان من أمره وأمرهم ما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : قد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث فيما حول مكة السرايا تدعو إلى الله عز وجل ؛ ولم يأمرهم بقتال ؛ وكان ممن بعث خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعيًا ، ولم يبعثه مقاتلاً ؛ فوطئ بني جذيمة ، فأصاب منهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيفة ، عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة خالد بن الوليد داعيًا ولم يبعثه مقاتلاً . ومع قبايل من العرب : سُليَم ومُدْجِج ، وقبايل من غيرهم ؛ فلما نزلوا على الغمَّيْبَاء - وهي ماء من مياه بني جذيمة بن عامر بن عبد مناة ابن كنانة - على جماعتهم ، وكانت بنو جذيمة قد أصابوا في الجاهلية عوف بن عبد عوف أبا عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة - وكانا أقبلًا تاجرين من اليمن - حتى إذا نزل بهم قتلوهما ؛ وأخذوا أموالهما ، فلما كان الإسلام ، وبعث

(١) سيرة بن هشام ٢ : ٢٨٦ .

رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ، سار حتى نزل ذلك الماء ؛ فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال لهم خالد : ضعوا السلاح ، فإنَّ الناس قد أسلموا^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني بعضُ أهل العلم ، عن رجل من بني جذيمة ، قال : لما أمرنا خالدٌ بوضع السلاح ، قال رجل منا يقال له جحدم : وبنكم يا بني جذيمة ! إنَّه خالد ! والله ما بعد وضع السلاح إلا الإِسار ، ثمَّ ما بعد الإِسار إلا ضرب الأَعناق ؛ والله لا أضع سلاحى أبداً . قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : يا جحدم ؛ أتريد أن تسفك دماءنا ! إنَّ الناس قد أسلموا ، ووضعت الحرب ، وأمن الناس ؛ فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد ؛ فلما وضعوه أمر بهم خالد عند ذلك فكثفوا ، ثمَّ عرضهم على السيف ، فقتل من قتل منهم . فلما انتهى الخبرُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء ، ثمَّ قال : اللهمَّ إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد !

ثمَّ دعا عليَّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : يا عليَّ اخرج إلى هؤلاء القوم ؛ فانظري أمرهم . واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك . فخرج حتى جاءهم ومعه مالٌ قد بعته رسوا . الله صلى الله عليه وسلم به ، فودى لهم الدماء ١٦٥١/١ وما أصيب من الأموال ؛ حتى إنه آيدى ميلغة^(٢) الكلب ؛ حتى إذا لم يبقَ شيء من دم ولا مال إلا ودَّاه ، بقيت معه بقية من المال . فقال لهم عليُّ عليه السلام حين فرغ منهم : هل بقي لكم دم أو مال لم يود إليكم ؟ قالوا : لا ، قال : فإنني أعطيتكم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ممَّا لا يعلم ولا تعلمون . ففعل : ثمَّ رجع إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فقال : أصبت وأحسنت . ثمَّ قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه ؛ حتى إنه ليسرى بياضُ

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٤

(٢) الميلغة : شيء يحفر من خشب ويجعل ليلغ فيه الكلب ، يكون عند أصحاب الغنم وأهل البادية .

ما تحت منكبيه ؛ وهو يقول : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ،
ثلاث مرات أ

قال ابن إسحاق : وقد قال بعض من يعذّر خالداً : إنه قال : ما قاتلت
حتى أمرني بذلك عبد الله بن حذافة السهمي ، وقال : إن رسول الله قد
أمرك بقتلهم لامتناعهم من الإسلام ، وقد كان جحّدم قال لهم حين وضعوا
سلاحهم ، ورأى ما يصنع خالد بنى جذيمة : يا بنى جذيمة ، ضاع الضرب ،
قد كنت حذرتكم ما وقعتم فيه ^(١) !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
حدثني عبد الله بن أبي سلمة ، قال : كان بين خالد بن الوليد وبين عبدالرحمن
ابن عوف - فيما بلغني - كلام في ذلك ، فقال له : عملت بأمر الجاهلية في
الإسلام ! فقال : إنما ثارت بأبيك ، فقال عبد الرحمن بن عوف : كذبت !
قد قتلت قاتل أبي ، ولكنك إنما ثارت بعمك الفاكه بن المغيرة ؛ حتى كان ^{١٦٥٢/١}
بينهما شيء ^(٢) ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مهلا يا خالد !
دع عنك أصحابي ؛ فوالله لو كان لك أحدٌ ذهباً ثم أنفقتَه في سبيل الله ؛
ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولا رَوْحته ^(٣) .

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي ، قال : حدثنا أبي . وحدثنا ابن حميد ،
قال : حدثنا سلمة ؛ جميعاً عن ابن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة بن
المغيرة بن الأحنس بن شريق ، عن ابن شهاب الزهري ، عن ابن عبد الله بن
أبي حذرد الأسلمي ، عن أبيه عبد الله بن أبي حذرد ، قال : كنت يومئذ
في خيبل خالد . فقال لي فتي منهم - وهو في السبي ؛ وقد جمعت يداه
إلى عنقه برمة ^(٤) ونسرة مجتمعات غير بعيد منه : يا فتي ! قلت : نعم ؛
قال : هل أنت آخذٌ بهذه الرمة فقائدي بها إلى هؤلاء النسوة ، حتى أفضى

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٤ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٤ .

(٣) ابن هشام : « شر » .

(٤) الرمة : الخبل البالي .

إليه حاجة ، ثم تردتني بعد ، فتصنعوا لي ما بدا لكم؟ قال : قلت : والله
لأسير ما سألت ، فأخذت برؤيته فقدتته بها حتى أوقفته عليهن ، فقال :
اسلمى حببش^(١) ، على نغد العيش^(٢) :

أرَيْتَكَ إِذْ طَالَبْتَكُمْ فَوَجَدْتُمْكُمْ بِحَلِيَّةٍ أَوْ الْفَيْتِكُمْ بِالْخَوَاتِقِ ! ١٦٥٣/١
ألم يك حقا أن ينول عاشق
تكلف إدلج السرى والودائق^(٣) !
فلا ذنب لي قد قلت إذ أهلنا معاً
أثبي بود قبل إحدى الصفائق^(٤) !
أثبي بود قبل أن تشحط النوى
وينأى الأمير بالحبيب المفارق^(٥) !
فإني لا سراً لدى أضعته
ولا راق عيني بعد وجهك رائق
على أن ما ناب المشيرة شاغل
ولا ذكر إلا أن يكون لوامق
قالت : وأنت فحيتت عشرأ ، وسبعأ وترأ ، وثمانيا تترى^(٦) ! ثم انصرفت
به ، فقدم فضربت عنقه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن
أبي فiras بن أبي سنبله الأسلمي ؛ عن أشياخ منهم ، عمن كان حضرها ، قالوا :
قامت إليه حين ضربت عنقه ، فأكبت عليه ، فما زالت تُقبله حتى ماتت
منده .

حدثنا ابن حميد ؛ قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن
الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، قال : أقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة . ١٦٥٤/١

• • •

قال ابن إسحاق : وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان
سنة ثمان .

• • •

(١) حبش : مرخم حبشة . (٢) على نغد العيش ؛ يريد على تمامه .
(٣) الإدلج : السير ليلا . والودائق : جمع وديقة ؛ وهي شدة الحر في الظهر .
(٤) الصفائق : صوارف الخطوب وحوادثها ، الواحدة صفيقة .
(٥) تشحط : تبع . (٦) تترى : متتابعة .

ذكر الخبر عن غزوة

رسول الله صلى الله عليه وسلم هوazin بحنين

وكان من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر المسلمين وأمر هوazin ما حدثنا علي بن نصر بن علي الجهضمي وعبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث - قال علي : حدثنا عبد الصمد ، وقال عبد الوارث : حدثنا أبي - قال : حدثنا أبان العطار ، قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، قال : أقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة عام الفتح نصف شهر ، لم يزد على ذلك ؛ حتى جاءت هوazin وثقيف ، فنزلوا بحنين - وحنين واد إلى جنب ذي الحجاز - وهم يومئذ عامدون يريدون قتال النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانوا قد جمعوا قبل ذلك حين سمعوا بمخرج رسول الله من المدينة ، وهم يظنون أنه إنما يريدهم حيث خرج من المدينة ، فلما أتاهم أنه قد نزل مكة ، أقبلت هوazin عامدين إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأقبلوا معهم بالنساء والصبيان والأموال - ورئيس هوazin يومئذ مالك بن عوف أحد بني نصر - وأقبلت معهم ثقيف ؛ حتى نزلوا حنيناً يريدون النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فلما حدث النبي وهو بمكة أن قد نزلت هوazin وثقيف بحنين ، يسوقهم مالك بن عوف أحد بني نصر - وهو رئيسهم يومئذ - عمد النبي صلى الله عليه وسلم حتى قدم عليهم ، فوافاهم بحنين ، فهزمهم الله عز وجل ، وكان فيها ما ذكر الله عز وجل في الكتاب : وكان الذي ساقوا من النساء والصبيان والماشية غنيمة غنمها الله عز وجل رسوله ، فقسّم أموالهم فيمن كان أسام معه من قريش .

١٦٥٥/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة . عن ابن إسحاق ، قال : لما سمعت هوazin برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة ، جمعها مالك بن عوف النصري ، واجتمعت إليه مع هوazin ثقيف كلها ، فجمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بني هلال ، وهم قليل ، ولم يشهدا من قيس عيلان إلا هؤلاء . وغابت عنها فلم يحضرها من هوazin كعب ولا كلاب ؛ ولم يشهدا منهم أحد له اسم . وفي جشم دريد بن

الصَّمَّة شيخ كبير ؛ ليس فيه شيء إلا التيمّن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً كبيراً مجرباً ؛ وفي ثقيف سيدان لهم في الأحلاف : قارب بن الأسود ابن مسعود ، وفي بني مالك ذوالخيمار سُبَيْع بن الحارث وأخوه الأحمر بن الحارث في بني هلال ، وجِمَاع أمير الناس إلى مالك بن عوف النصرى .

١٦٥٦/١ فلما أجمع مالك المسير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حطّ مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ؛ فلما نزل بأوطاس ، اجتمع إليه الناس ؛ وفيهم دُرَيْد بن الصَّمَّة في شِجَار^(١) له يُقَادُ به ؛ فلما نزل قال : بأى واد أنتم ؟ قالوا : بأوطاس ، قال : نعم مجال الخيل ! لا حزن ضرس^(٢) ، ولا سهّل ديس^(٣) ؛ مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، ويعار الشاء^(٤) ، وبكاء الصغير ؛ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم . فقال : أين مالك ؟ فقيل : هذا مالك ، فدُعِيَ له ، فقال : يا مالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ؛ وإنّ هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ؛ مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، ويعار الشاء ، وبكاء الصغير ؛ قال : سقّت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، قال : ولِمَ ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم ؛ قال : فأنقض به^(٥) ثم قال : راعى ضأن^(٦) والله ! هل يردّ المنهزم شيء ! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضِحت في أهلك ومالك . ما فعلت كعب وكلاب ؟ قالوا : لم يشهد منهم أحد ، قال : غاب الجذع والجدع ؛ لو كان يوم عتلاء ورفعة لم تغيب عنه كعب وكلاب ؛ ولو ددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب ؛ فمن شهدا منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر وعوف بن عامر ؛ قال : ذاك الجذعان^(٧) من بني عامر ! لا ينفعان ولا

(١) الشجار : شبه الهودج ؛ إلا أنه مكشوف الأعلى .

(٢) الحزن : المرتفع من الأرض ، والفرس : الذى فيه حجارة محددة .

(٣) الدهس : اللين الكثير التراب . (٤) الأغاني : « ثغاء الشاء » .

(٥) أنقض به ، أى زجره . (٦) فى الأغاني : « أى أحقق » .

(٧) الجذع : الشاب الحدث .

١٦٥٧/١ يضربان، يا مالك إنك لم تصنع بتقديم البَيْضَة ؛ بيضة هوازن، إلى نُحُور الخيل شيئاً ، ارفعهم إلى متمتع^(١) بلادهم وعُلباً قومهم ؛ ثم الق الصبَاء^(٢) على مُتُون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك مَنْ وراءك ، وإن كانت عليك أَلناك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك . قال : والله لا أفعل ، إنك قد كبرت وكسبرَ علمك ؛ والله لتطبعنني يا معشر هوازن أو لأتكننن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ! وكره أن يكون لدُرَيْد فيها ذكرٌ ورأى . قال دُرَيْد بن الصَّمَّة : هذا يوم لم أشهده ؛ ولم يفتني :

يَا لَيْتِي فِيهَا جَدَعٌ أَخْبَ فِيهَا وَأَضَعٌ^(٣)
أَقُودُ وَطَفَاءُ الزَّمْعِ كَأَنَّهَا شَاةٌ صَدَعٌ^(٤)

١٦٥٨/١ وكان دُرَيْدُ رَئِيسَ بَنِي جُشَمٍ وَسَيِّدَهُمْ وَأَوْسَطَهُمْ ؛ وَلَكِن السَّنَّ أَدْرَكَهُ حَتَّى فَتِنِي - وَهُوَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَلْتَمَةَ بْنِ جُدَاعَةَ بْنِ غَزِيَّةِ ابْنِ جُشَمٍ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِنَ - ثُمَّ قَالَ مَالِكٌ لِلنَّاسِ : إِذَا أَنْتُمْ رَأَيْتُمْ الْقَوْمَ فَاصْبِرُوا جَفُونَ سَيُوفِكُمْ ، وَشُدُّوا شِدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَيْهِمْ^(٥) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ . قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ أُمِّئَةَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُمَانَ بْنِ عَفَانَ ؛ أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ مَالِكَ بْنَ عَوْفٍ بَعَثَ عِيونًا مِنْ رِجَالِهِ لِيَنْظُرُوا لَهُ ، وَيَأْتُوهُ بِخَبَرِ النَّاسِ ؛ فَرَجَعُوا إِلَيْهِ وَقَدْ تَفَرَّقَتْ أَوْصَالُهُمْ ، فَقَالَ : وَيَلِكُمْ ! مَا شَأْنُكُمْ ؟ قَالُوا : رَأَيْنَا رِجَالًا بِيضًا عَلَى خَيْلٍ يُلْتَقُونَ ؛ فَوَاللَّهِ مَا تَمَسَكْنَا أَنْ أَصَابَنَا مَا تَرَى ! فَلَمْ يَنْهَهُ ذَلِكَ عَنْ وَجْهِهِ ؛ أَنْ مَضَى عَلَى مَا يَرِيدُ^(٦) .

قال ابن إسحاق : ولما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث

(١) الأغاني : « أعلى بلادهم » .

(٢) الصبَاء : جمع صبأ ؛ وهم المسلمون عندهم ؛ كانوا يسمونهم بذلك ؛ لأنهم صبوا من دينهم ، أي خرجوا .

(٣) الخبب والوضع : ضربان من السير .

(٤) الطوفاء : الطويلة الشعر ، والزعم : الشعر الذي فوق مربوط الدابة .

(٥) الخبر في ابن هشام ٢ : ٢٨٧ ، والأغاني ١٠ : ٣٠ - ٣٢ (طبع دار الكتب) .

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٧ .

إليهم عبد الله بن أبي حذرّد الأسلمي ، وأمره أن يدخلَ في الناس فيقيم فيهم حتى يأتيه بخبر منهم ؛ ويعلم من علمهم . فانطلق ابن أبي حذرّد ، فدخل فيهم ، فأقام معهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلم أمر مالك وأمر هوازن وما هم عليه . ثم أتى رسول الله ، فأخبره الخبر ؛ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ، فأخبره خبر ابن أبي حذرّد ، فقال عمر : كذب ! فقال ابن أبي حذرّد : إن تكذبتني فطالما كذبت بالحق يا عمر ! فقال عمر : ألا تسمع يا رسول الله يقول ابن أبي حذرّد ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد كنت ضالاً فهداك الله يا عمر (١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن حسين ، قال : لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى هوازن ليلقاهم ، ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعاً وسلاحاً ، فأرسل إليه ، فقال : يا أبا أمية - وهو يومئذ مشرك - أعرتنا سلاحك هذا نلتق فيه عدونا غداً . فقال له صفوان : أغضبياً يا محمد ! قال : بل عارية مضمونة حتى تؤديتها إليك ، قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة درع بما يصلحها من السلاح ؛ فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله أن يكفية حملها ففعل (٢) .

قال أبو جعفر محمد بن علي : فضت السنة أن العارية مضمونة مؤداة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومعه ألفان من أهل مكة ، مع عشرة آلاف من أصحابه الذين فتح الله بهم مكة ، فكانوا اثني عشر ألفاً ، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتّاب بن أسيد ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة أميراً على من غاب عنه من الناس ، ثم مضى على وجهه يريد لقاء هوازن (٣) .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٧ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٨ .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٨ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن
عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه ، قال : لما
استقبلنا وادي حنين ، انحدَرْنَا في وادٍ من أودية تهامة أجوف ^(١) حَطُوط ،
إنما تنحدر فيه انحداراً - قال : وفي عمارة ^(٢) الصبح ، وكان القوم قد سبقوا
إلى الوادي ، فكتموا لنا في شِعَابِه وأحنائه ومضايقيه ، قد أجمعوا وبيتوا
وأعدوا - فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلاّ الكتاب قد شدت علينا شدة
رجل واحد ؛ وانهمز الناس أجمعون ، فانشمروا ^(٣) لا يلبى أحدٌ على أحد ؛
وانحاز رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ، ثم قال : أين أيها الناس !
هلم إليّ ! أنا رسولُ الله ، أنا محمد بن عبد الله ! قال : فلا شيء ، احتملت
الإبل بعضها بعضاً ، فانطلق الناس ؛ إلاّ أنه قد بقي مع رسولِ الله صلى الله
عليه وسلم نفرٌ من المهاجرين والأنصار وأهل بيته . وممن ثبت معه من المهاجرين
أبو بكر ، وعمر ، ومن أهل بيته عليُّ بن أبي طالب ، والعبّاس بن عبد المطلب ،
وابنُه الفضل ، وأبو سفيان بن الحارث ، وربيعه بن الحارث ، وأيمَن بن
عبيد - وهو أيمَن بن أمّ أيمَن - وأسامة بن زيد بن حارثة . قال : ورجل من
هوازن على جمل له أحمر ، بيده راية سوداء في رأس رمح طويل ، أمام الناس
وهوازن خلفه ، إذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه ؛
فاتبعوه . ولما انهزم الناس ، ورأى مَنْ كان مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم
من جفاة أهل مكة الهزيمة ، تكلم رجالٌ منهم بما في أنفسهم من الضغنِ ،
فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ؛ والأزلام معه في
كنانته ؛ وصرخ كَلْدَةُ بن الحنبل - وهو مع أخيه صفوان بن أمية بن
خلف وكان أخاه لأمه ، وصفوان يومئذ مشرك في المدة التي جعل له رسول الله
صلى الله عليه وسلم - فقال : الأبطال السحَرُ اليوم ! فقال له صفوان : اسكت
فرضَّ اللهُ فاك ! فوالله لأنَّ يَرُبَّنِي رجلٌ من قريش أحبُّ إليّ من أن يَرُبَّنِي

(٢) عمارة الصبح : غلامه قبل أن يتبين .

(١) أجوف : منع .

(٣) انشمر الناس : انفضوا وانهمزوا .

رجل من هوازن ! وقال شيبه بن عثمان بن أبي طلحة ، أخو بني عبد الدار : قلت : اليوم أدرك ثأري - وكان أبوه قتل يوم أحد - اليوم أقتل محمداً . قال : فأردت رسول الله لأقتله ، فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي فلم أطق ذلك ، وعلمت أنه قد منع مني ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن كثير بن العباس ، عن أبيه العباس بن عبد المطلب ، قال : إنى لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذاً بحكمة ^(٢) بغلته البيضاء ، قد شجرتها ^(٣) بها ، قال : وكنت امرأً جسيماً شديد الصوت ، قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى من الناس ما رأى : أين أيها الناس ! فلما رأى الناس لا يلبثون على شيء قال : يا عباس ، اصرخ : يا معشر الأنصار ! يا أصحاب السمرّة ! فناديت : يا معشر الأنصار ، يا معشر أصحاب السمرّة ! قال : فأجابوا : أن لبيك لبيك ! قال : فيذهب الرجل منهم يريد ليشي بعيره : فلا يقدر على ذلك . فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ، ويأخذ سيفه وترسه . ثم يقتحم عن بعيره فيخلى سبيله في الناس ، ثم يؤم الصوت ، حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة رجل استقبلوا الناس . فاقتتلوا ، فكانت الدعوى أول ما كانت : يا للأنصار ! ثم جعلت أخيراً : يا للخزرج ! وكانوا صبراً عند الحرب ، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركابه ، فنظر مجتليد القوم وهم يجتلدون ، فقال : الآن حمي الوطيس ^(٤) !

حدثنا هارون بن إسحاق . قال : حدثنا مصعب بن المقدم . قال : حدثنا إسرائيل . قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : كان أبو سفيان بن الحارث يقود بالنبي صلى الله عليه وسلم بغلته يوم حنين ، فلما

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٩ .

(٢) الحكمة محرّكة : ما أحاط بحكمة بغلته من لجامه .

(٣) شجرتها بها : أي وضعها في شجرها ؛ وهو مجتمع اللحين .

(٤) الوطيس : النور يخبز فيه . والخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٠ .

غَشِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُشْرِكُونَ ، نَزَلَ فَجَعَلَ يَرْتَجِزُ ، وَيَقُولُ :

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

فَارْتَى مِنْ النَّاسِ أَشَدَّ مِنْهُ .

حدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَاصِمِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَابِرٍ ، عَنْ أَبِيهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : بَيْنَمَا ذَلِكَ الرَّجُلُ مِنْ هَوَازِنَ صَاحِبِ الرَّايَةِ عَلَى جَمَلِهِ يَصْنَعُ مَا يَصْنَعُ ؛ إِذْ هَوَى لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، يَرِيدَانِهِ ، فَيَأْتِيهِ عَلَى مَنْ خَلْفَهُ ، فَيَضْرِبُ عُرْقُوبِيَّ الْجَمَلِ ، فَوَقَعَ عَلَى عَجْزِهِ ، وَوَثَبَ الْأَنْصَارِيُّ عَلَى الرَّجُلِ فَضْرِبَهُ ضَرْبَةً أَطْلَنَ قَدَمَهُ ^(١) بِنِصْفِ سَاقِهِ ، فَانْجَعَفَ ^(٢) عَنْ رَحْلِهِ . قَالَ : وَاجْتَلَدَ النَّاسُ ، فَوَاللَّهِ مَا رَجَعْتُ رَاجِعَةً النَّاسُ مِنْ هَزِيمَتِهِمْ حَتَّى وَجَدُوا الْأَسَارِيَّ مَكْتَفِينَ ؛ وَقَدْ التَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِي سَفْيَانَ ابْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ - وَكَانَ مَمْتَنٌ صَبْرًا يَوْمئِذٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ حَسَنَ الْإِسْلَامِ حِينَ أَسْلَمَ ، وَهُوَ آخِذٌ بِشَفَرٍ ^(٣) بَغْلَتِهِ - فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : ابْنُ أُمَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ^(٤) !

حدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَفَتَ ، فَرَأَى أُمَّ سُلَيْمِ بِنْتَ مِلْحَانَ - وَكَانَتْ مَعَ زَوْجِهَا أَبِي طَلْحَةَ - حَازِمَةً وَسَطَهَا يَبْرُدُ لَهَا ؛ وَإِنَّهَا لِحَامِلٌ بَعْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، وَمَعَهَا جَمَلٌ أَبِي طَلْحَةَ ، وَقَدْ خَشِيَتْ أَنْ يَعْزَمَهَا ^(٥) الْجَمَلُ ، فَأَدْنَتْ رَأْسَهُ مِنْهَا ، فَأَدْخَلَتْ يَدَهَا فِي خِيَرَاتِهِ ^(٦) مَعَ الْخِطَامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أُمَّ سُلَيْمِ ! قَالَتْ : نَعَمْ ؛

(١) أظن قده : أطارها ؛ وسمع لضربه طنين ؛ أي دوى .

(٢) انجعف عن رحله : سقط عنه صريعا .

(٣) الشفر : السير في مؤخر السرج .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٠ .

(٥) يعزما : يفلها .

(٦) الخيزامة : حلقة من شعر تجعل في أنف البعير .

بأبي أنت وأمتي يا رسول الله ! اقتل هؤلاء الذين يفرّون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك ، فإنهم لذلك أهل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو يكفى الله يا أمّ سليم ! ومعها خنجر في يدها ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا معك يا أمّ سليم ؟ قالت : خنجر أخذته معي ؛ إن دنا مني أحدٌ من المشركين بعجنه به^(١) . قال : يقول أبو طلحة : ألا تسمع ما تقول أمّ سليم يا رسول الله !^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني حماد بن سلمة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد استلب أبو طلحة يوم حنين عشرين رجلاً وحده هو قتلهم^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن أبيه ، أنه حدث عن جبير بن مطعم ، قال : لقد رأيت قبل هزيمة القوم والناس يقتلون مثل البجاد^(٤) الأسود ، أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ؛ فنظرت فإذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادي ؛ فلم أشك أنها الملائكة ، ولم يكن إلا هزيمة القوم^(٥) .

١٦٦٤/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فلما انهزمت هوازن استحرّ القتل من ثقيف بنى مالك ، فقتل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم ، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب ؛ جدّ ابن أمّ حكيم بنت أبي سفيان ، وكانت رايتهم مع ذى الخمار ، فلما قُتل أخذها عثمان بن عبد الله فقاتل بها حتى قُتل^(٦) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عامر بن وهب بن الأسود بن مسعود ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل عثمان ، قال : أبعدّه الله ! فإنه كان يبغض قريشاً^(٧) .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٠ .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩١ .

(١) بعب بطنه : شقه .

(٣) البجاد : الكساء .

حدَّثنا علي بن سهل ، قال : حدَّثنا مؤمِّل ، عن عُمارة بن زاذان ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يوم حُنين على بغلة بيضاء ، يقال لها دلدُل ، فلما انهزم المسلمون ، قال النبي صلى الله عليه وسلم لبغلته : البُدَى^(١) دلدُل ! فوضعت بطنها على الأرض ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم حفنةً من تراب ، فرمى بها في وجوههم ، وقال : «حم لا يَنْصَرُونَ !» . فولَّى المشركون مُدْبِرِينَ ، ما ضربَ بسيف ولا طعنَ برمح ولا رمى بسهم .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأحنس ، قال : قتل مع عثمان بن عبد الله غلام له نصرانيُّ أغرل^(٢) . قال : فبينما رجلٌ من الأنصار يستلب قتلى من ثقيف ، إذ كشف العبد ليستلبه ، فوجده أغرل ، فصرخ بأعلى صوته : يعلم الله أن ثقيفًا غرل ما نختيز ! قال المغيرة بن شعبة : فأخذت بيده ، وخشيت أن تذهب عنا في العرب ، فقلت : لا تقل ذلك فذاك أبي وأمي ! إنما هو غلامٌ لنا نصرانيُّ ، ثم جعلت أكشف له قتلانا فأقول : ألا تراهم مُخننين ! قال : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود بن مسعود ، فلما هُزم الناس أسند رايته إلى شجرة ، وهرب هو وبنو عمه وقومه من الأحلاف ، فلم يُقتل منهم إلا رجلان ؛ رجل من بني غيرة يقال له وهب ، وآخر من بني كنة^(٣) يقال له : الجُلّاح ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه قتل الجُلّاح : قتل اليوم سيّد شباب ثقيف ؛ إلا ما كان من ابن هنيّدة - وابن هنيّدة الحارث بن أوّس^(٤) .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال حدَّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ، ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة - ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف - فتبع خيلُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من سلك في نخلة

(١) البدي : أمر من لبد بالمكان إذا لزمه فلم يبرحه .

(٢) أغرل : غير مختون . (٣) ابن هشام : « كبة » .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩١ ، ٢٩٢ ، وفيه : « الحارث بن أويس » .

من الناس ، ولم تتبع من سلك الثنايا ، فأدرك ربيعة بن ربيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سمّال بن عوف بن امرئ القيس - وكان يقال له ابن لذعة^(١) وهي أمّه ، فغلبت على نسبه - دريد بن الصّمة ، فأخذ ١٦٦٦/١
 بخيطام جملة ؛ وهو يظنّ أنه امرأة ؛ وذلك أنه كان في شجر له ، فإذا هو رجل ، فأناخ به ، وإذا هو بشيخ كبير ؛ وإذا هو دريد بن الصّمة ، لا يعرفه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد بي ؟ قال : أقتلك ، قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن ربيع السّلمى ، ثمّ ضربه بسيفه فلم يغب شيئا ، فقال : بشما سلّحتك أمك ! خذ سيفي هذا من مؤخر الرّجل في الشّجر ، ثمّ اضرب به وارفع عن العظام ، واخفض عن الدّماغ ، فإنّ كذلك كنت أقتل الرجال . ثمّ إذا أتيت أمّك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصّمة ؛ فربّ يومٍ والله قد منعت نساءك ! فرعمت بنو سؤيم أن ربيعة قال : لما ضربته فوقع تكشف الثوب عنه ، فإذا عجّانهُ وبطون فتحذيته مثل القرطاس من ركوب الخيل أعراء^(٢) ، فلمّا رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياد ، فقالت : والله لقد أعتق أمّهات لك ثلاثا^(٣) .

• • •

قال أبو جعفر : وبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في آثار من توجّه قبيل أوطاس ؛ فحدثني موسى بن عبد الرحمن الكندي ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن بُريد بن عبد الله . عن أبي بُردة ، عن أبيه ، قال : لما قدّم النبي صلى الله عليه وسلم من حنين بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس ، فلقى دريد بن الصّمة ، فقتل دريدا ، وهزم الله أصحابه . ١٦٦٧/١

قال أبو موسى : فبعثني مع أبي عامر ، قال : فرمى أبو عامر في ركبته ، رماه رجل من بني جشمّ بسهم فأثبتته في ركبته ، فأنتهيت إليه ، فقلت : يا عمّ ، من رماك ؟ فأشار أبو عامر لأبي موسى ، فقال : إنّ ذاك قاتلي ، تراه ذلك الذي رماني !

(١) ابن هشام : « الدغنة » . (٢) أعراء : جمع عري وهو الفرس الذي لا يبرج .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٣ ، والأغانى ١٠ : ٣١ ، ٣٢ .

قال أبو موسى : فقصدت له فاعتمدته ، فلحقته ، فلما رآني ولّيتني
عني ذاهباً ، فاتبعته ، وجعلت أقول له : ألا تستحي ! ألسنت عريياً ! ألا
تثبت ! ففكرت ، فالتقيت أنا وهو ، فاختلفنا ضربتين ، فضربته بالسيف ،
ثم رجعت إلى أبي عامر ، فقلت : قد قتل الله صاحبك ، قال : فانزع هذا السهم ،
فترعته فتراً منه الماء ، فقال : يا بن أخي ، انطلق إلى رسول الله ، فأقرئه مني
السلام ، وقل له إنه يقول لك : استغفر لي .

قال : واستخلفني أبو عامر على الناس فكثت يسيراً . ثم إنه مات .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
يزعمون أن سلمة بن دريد ، هو الذي رمى أبا عامر بسهم فأصاب ركبته ،
فقتله ، فقال سلمة بن دريد في قتله أبا عامر :

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي سَلَمَةٌ ابْنُ سَمَادِيرٍ لَمَنْ تَوَسَّمَهُ (١)

• أَضْرِبُ بِالسَّيْفِ رُءُوسَ الْمُسْلِمَةِ •

وسمادير أم سلمة ، فانتفى إليها .

قال : وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة ، فوقف في فوارس من قومه
على ثنية من الطريق ، وقال لأصحابه : قفوا حتى تمضي ضعفاؤكم وتلحق
أخراكم ؛ فوقف هنالك حتى مضى من كان لحق بهم من منهزمة الناس (٢) .

١٦٦٨/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن
إسحاق ، قال : حدثني بعض بني سعد بن بكر ، أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يومئذ لخيله التي بعث : إن قدرتم على بجاد رجل من بني سعد
ابن بكر - فلا يفلتكم ؛ وكان بجاد قد أحدث حدثاً ، فلما ظفر به المسلمون
ساقوه وأهله ، وساقوا أخته الشيماء بنت الحارث بن عبد الله بن عبد العزى ،
أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، فعنفوا عليها في السياق معهم ،

(١) توسمه : استدل عليه وعرفه .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٣ .

فقلت للمسلمين: تعلمون والله أني لأختُ صاحبكم من الرضاعة؛ فلم يصدّقوها حتى أتوا بها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا ابنُ إسحاق ، عن أبي وجزة يزيد بن عبيد السعدي ، قال : لما انتهى بالشيماء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت : يا رسولَ الله ، إنني أختك ، قال : وما علامة ذلك ؟ قالت عَضَّةٌ عَضِضْتَنِيهَا فِي ظَهْرِي وَأَنَا مَتَوْرَكْتُكَ . قال : فعرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العلامة ، فبسط لها رداءه ، ثم قال : ها هنا ، فأجلسها عليه ، وخيرها ، وقال : إن أحببتِ فعنديُ حُبَّةٌ مَكْرَمَةٌ ، وإن أحببتِ أمتعتُك وترجعي إلى قومك ، قالت : بل تمتعني وتردني إلى قومي ، فتمتعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردّها إلى قومها ؛ فزعمت بنو سعد بن بكر أنه أعطاهم غلاماً له يقال له مكحول ، وجارية ؛ فزوجت أحدهما الآخر ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقيّة (١) .

١٦٦٩/١

قال ابن إسحاق : استشهد يوم حنين من قريش ، ثم من بني هاشم : أيمنُ بن عبيد - وهو ابن أمّ أيمن ، مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم - ومن بني أسد بن عبد العزّي يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد - جمح به فرسٌ له يقال له الجناح ، فقتل - ومن الأنصار سُرّاقه بن الحارث ابن عدّي بن بلعجلان ، ومن الأشعرين أبو عامر الأشعري . ثم جمعت إلى رسول الله سبّايا حنين وأموالها ؛ وكان على المغانم مسعود بن عمرو القاري ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبّايا والأموال إلى الجعمرانة فحبست بها (٢)

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : لما قدِمَ قَلْبٌ (٣) ثَقِيفِ الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها ، وصنعوا الصنائع للقتال ؛ ولم يشهد حنيناً ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٤ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٣) الفل : الجماعة المهزومون من الجيش .

سلمة ؛ كانا بجرش يتعلمان صنعة الدباب (١) والفضبور (٢) والمجانيق (٣) .

• • •

[غزوة الطائف]

فحدثنا علي بن نصر بن علي ، قال : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، وحدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : حدثنا أبي ، قال : أخبرنا أبان العطار ، قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، قال : سار رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين من فوره ذلك - يعني منصرفه (٤) من حنين - حتى نزل الطائف ، فأقام نصف شهر يقاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقاتلتهم ثقيف من وراء الحصن ؛ لم يخرج إليه في ذلك أحد منهم ؛ وأسلم من حولهم من الناس كلهم ؛ وجاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفودهم ؛ ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحاصرهم إلا نصف شهر حتى نزل الجعرانة ؛ وبها السبى الذي سبى رسول الله من حنين من نساءهم وأبنائهم - ويزعمون أن ذلك السبى الذي أصاب يومئذ من هوازن كانت عدته ستة آلاف من نساءهم وأبنائهم - فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الجعرانة ، قدمت عليه وفود هوازن مسلمين ، فأعتق أبناءهم ونساءهم كلهم ، وأهل بعثرة من الجعرانة ؛ وذلك في ذى القعدة . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع إلى المدينة ، واستخلف أبا بكر رضى الله تعالى عنه على أهل مكة ، وأمره أن يقيم للناس الحج ، ويعلم الناس الإسلام ، وأمره أن يؤمن من حج من الناس ؛ ورجع إلى المدينة ؛ فلما

(١) في ابن هشام : « الدبابات » قال السهيلي : « الدبابة : آلة من آلات الحرب ، يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها . وقال أبو ذر الحثني : « الدبابات : آلات تصنع من خشب وتغشى بجلود ويدخل فيها الرجال ويتصلون بمخاط الحصن » .

(٢) قال السهيلي : « الفضبور : مثل رموس الأسفاط ، يتق بها في الحرب عند الانصراف ، وفي كتاب العين : الفضبور : جلود يفتى بها خشب يتق بها الحرب » .

(٣) المجانيق : جمع منجنيق ؛ وهي من آلات الحصار ترمى بها الحجارة الثقيلة . والخبر في

سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠١ .

(٤) و : « من منصرفه » .

قَدِمَها قَدِيمَ عَلَيْهِ وفود ثَقِيف ، فقاوضوه على القضيّة التي ذكرت ؛ فبايعوه ، وهو الكتاب الذي عندهم كاتبوه عليه .

١٦٧١/١ حدثنا ابنُ حُمَيد ، قال : حدثنا سَلَمَة ، قال : حدثني ابنُ إسحاق عن عمرو بن شعيب ؛ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سلك إلى الطائف من حُنَيْنِ على نَخْلَةِ البَياضِ ، ثم على قَمَرَن ، ثم على المُلَيْحِ ، ثم على بَحْرَةَ الرُّغَاءِ من لِيَّةِ ، فابتنى بها مسجداً ، فصلّى فيه ، فأقاد يومئذ ببَحْرَةَ الرُّغَاءِ حين نزلها بدم - وهو أول دم أُقيد به في الإسلام - رجلاً من بني لِيث ؛ قتل رجلاً من هُدَيل ، فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وأمر رسول الله وهو ببلية بخصن مالك بن عوف فهُدِم ؛ ثم سلك في طريق يقال لها الضيقة ، فلما توجه فيها ، سأل على اسمها ، فقال : ما اسم هذه الطريق ؟ فقيل له : الضيقة ، فقال : بل هي اليسرى . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على نَخْب ؛ حتى نزل تحت سِدْرَةِ يَقَال لها الصادرة ، قريباً من مال رجل من ثَقِيف ، فأرسل إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إما أن تخرج ؛ وإما أن نُخرب عليك حائطك ؛ فأبى أن يخرج ، فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بإخراجه (١) .

ثم مضى رسولُ الله حتى نزل قريباً من الطائف ؛ فضرب عسكره ، فقتل أناس من أصحابه بالنَّبَل ؛ وذلك أن العسكر اقرب من حائط الطائف فكانت النَّبَلُ تنالهم ، ولم يقدر المسلمون أن يدخلوا حائطهم ، غلغوه دونهم ؛ فلما أصيب أولئك النَّفَرُ من أصحابه بالنَّبَلِ ، ارتفع ، فوضع عسكره عند مسجده الذي بالطائف اليوم ؛ فحاصروهم بضعةً وعشرين ليلة (٢) ؛ ومعه امرأتان من نسائه ؛ إحداهما أم سلمة بنت أبي أمية وأخرى معها - قال الواقدي : الأخرى زينب بنت جحش - فضرب لهما قبعتين ، فصلّى بين القبعتين ما أقام .

(١) س : « بإخراجه » .

(٢) قال ابن هشام : « ويقال : سبع عشرة ليلة » .

فلما أسلمت ثقيف ، بنى على مُصلتي رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أبو أمية بن عمرو بن وهب بن مُعتب بن مالك مسجداً ، وكانت في ذلك المسجد ساريةً - فيما يزعمون - لا تطلع عليها الشمس يوماً من الدهر ؛ إلا سُمع لها نقيض^(١) ؛ فحاصروهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقاتلهم قتالاً شديداً ، وتراموا بالنبل^(٢) حتى إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف ، دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبابه ؛ ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ، فأرسلت عليهم ثقيف سلك الحديد مُحَمَّاةً بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنبل ، وقتلوا رجالاً ؛ فأمر رسول الله بقطع أعناب ثقيف ، فوقع فيها الناس يقطعون .

١٦٧٢/١

وتقدّم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة إلى الطائف . فناديا ثقيفاً : أن أمّسونا حتى نكأكم ! فأمنوهما ؛ فدعوا نساءً من نساء قريش وبنى كنانة ليخرجن إليهما - وهما يخافان عليهن السبأ - فأبين ؛ منهن آمنة بنت أبي سفيان ، كانت عند عروة بن مسعود له منها داود بن عروة وغيرها^(٣) .

وقال الواقدي : حدثني كثير بن زيد ، عن الوليد بن ربّاح ، عن أبي هريرة ، قال : لما مضت خمس عشرة من حصار الطائف ، استشار رسول الله نوفل بن معاوية الديلي ، وقال : يا نوفل ؛ ما ترى في المقام عليهم ؟ قال : يا رسول الله ؛ ثعلب في جُحرٍ ؛ إن أقمت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضرّك .

١٦٧٣/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا ابن إسحاق ، قال : قد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر بن أبي قحافة ، وهو محاصر ثقيفاً بالطائف : يا أبا بكر ، إنى رأيت^(٤) أنه أهديت لي قعبة^(٥) ؟

(١) النقيض : الصوت .

(٢) قال ابن هشام : «ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق ؛ حدثني من أتق به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من رمى بالمنجنيق ، رمى أهل الطائف » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(٤) و : «أريت » . (٥) القعبة : القدح .

مملوءة زُبْدًا ، فنقرها ديكٌ فأهراق ما فيها ؛ فقال أبو بكر : ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد يا رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا لا أرى ذلك .

ثم إن خولة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية - وهي امرأة عثمان بن مظعون - قالت : يا رسول الله ، أعطني إن فتح الله عليك الطائف حلياً بادية بنت غيلان بن سلمة ، أو حلياً الفارعة بنت عقيب - وكانت من أحلى نساء ثقيف - قال : فذكر لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : وإن كان لم يؤذن لي في ثقيف يا خويلة ! فخرجت خويلة ، فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ما حديث حدثتني خويلة أنك قلتها !

قال : قد قلتها ، قال : أو ما أذن فيهم يا رسول الله ! قال : لا ، قال : ١٦٧٤/١ أفلا أوذن بالرحيل في الناس ! قال : بلى ؛ فأذن عمر بالرحيل ؛ فلما استقل الناس نادى سعيد بن عبيد بن أسيد بن أبي عمرو بن عيلاج الثقفي : ألا إن الحى مقيم ! قال : يقول عيينة بن حصن : أجل والله مجدة كراما ! فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله يا عيينة ! أتمدح قومًا من المشركين بالامتناع من رسول الله ، وقد جئت تنصره^(١) ! قال : إني والله ما جئت لأقاتل معكم ثقيفاً ؛ ولكني أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية أتبطنها لعلها أن تلد لي رجلاً ؛ فإن ثقيفاً قوم مناكير^(٢) .

واستشهد بالطائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلاً ؛ سبعة من قريش ورجل من بني ليث ، وأربعة من الأنصار^(٣) .

• • •

(١) ابن هشام : « تنصر رسول الله » . (٢) مناكير : ذوو دهاء .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٣ .

[أمر أموال هوازن وعطايا المؤلفات قلوبهم منها]

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من الطائف على دحنا ، حتى نزل الجِعْرانة بمن معه من المسلمين ؛ وكان قد تم سبى هوازن حين سار إلى الطائف إلى الجِعْرانة ، فحبس بها ؛ ثم أتته وفود هوازن بالجِعْرانة ؛ وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبى هوازن من النساء والذراري عدد كثير ، ومن الإبل ستة آلاف بعير ، ومن الشاء ما لا يحصى (١) .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : أتى وفد هوازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجِعْرانة ؛ وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسول الله ، إننا أصلٌ وعشيرة ؛ وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك ، فامن علينا من الله عليك ! فقام رجل من هوازن - أحد بني سعد بن بكر ، وكان بنو سعد هم الذين أرضعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقال له زهير بن صرد ، وكان يكنى بأبي صرد - فقال : يا رسول الله ؛ إنما في الحظائر (٢) عماتك وخالاتك وحواضنك (٣) اللاتي كن يكفلنك ! ولو أننا ملحننا (٤) للحارث بن أبي شمر أو للنعمان بن المنذر ، ثم نزل منّا بمثل ما نزلت به ، رجونا عطفه وعائده ، وأنت خير المكفولين ! ثم قال :

أُمنُّ علينا رسولَ اللهِ في كَرَمٍ فَإِنَّكَ المرءُ نرُجوه ونَدَّخِرُ (٥)

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٥

(٢) الحظائر : جمع حظيرة ؛ وهي الزرب الذي يصنع للإبل والنعَم ؛ وكان السبي في حظائر مثلها .

(٣) حواضنك : يعنى اللاتي أرضعن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وكانت حاضته من بني سعد ابن بكر .

(٤) ملحننا : أرضعنا ، والملح هنا : الرضاع . قال ابن هشام : « ويروى : « ولو أنا

مالحننا » . (٥) قال السهيلي : « ولم يذكر ابن إسحاق شعره في النبي صلى الله عليه وسلم

ذلك اليوم في رواية البكاء ؛ وذكره في رواية إبراهيم بن سعد عنه . »

امن على بيضة قد عاقها قدر^(١) ممزق شملها ، في دهرها غير

في آيات قالها^(٢) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟ فقالوا : يا رسول الله ؛ خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا ، بل ترد علينا نساءنا وأبنائنا فهم أحب إلينا ، فقال : أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم ؛ فإذا أنا صليت بالناس ، فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا ؛ فسأعطيكم عند ذلك ؛ وأسأل لكم ؛ فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظهر ، قاموا فتكلموا بالذي أمرهم به ، فقال رسول الله : أما ما كان لي ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، وقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله ، وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله . قال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا ، وقال عيينة بن حصن : أما أنا وبنو فزارة فلا ، [و] قال عباس بن مرداس : أما أنا وبنو سليم فلا ، قالت^(٣) بنو سليم : ما كان لنا فهو لرسول الله .

قال : يقول العباس لبنى سليم : وهتتموني^(٤) ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما من تمسك بحقه من هذا السبي منكم فله بكل إنسان ست فرائض من أول شيء نصيبه ، فردوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم^(٥) .

• • •

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني يزيد بن عبيد السعدي أبو وجزة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أعطى علي بن أبي طالب جارية من سبى حنين يقال لها ريطة بنت هلال بن حبان بن عميرة بن هلال بن ناصرة بن قصيصة بن نصر بن سعد بن بكر ، وأعطى عثمان بن عفان جارية يقال لها زينب بنت حبان بن

(١) كذا في السبيل وفي ط : « اعناقها » .

(٢) ذكرها السبيل في الروض الأنف ٢ : ٣٠٦ .

(٣) ابن هشام : « فقالت » . (٤) وهتتموني : أضمتوني .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

عمرو بن حيان ، وأعطى عمر بن الخطاب جارية ، فوهبها لعبد الله بن عمر^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، قال : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب جارية من سبي هوازن ، فوهبها لي ، فبعثت بها إلى أخوالي من بني جُمَح ليُصلِحوا لي منها حتى أطوف بالبيت ثم آتيهم ؛ وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها ، قال : فخرجتُ من المسجد حين فرغت ؛ فإذا الناس يشتدون ، فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : ردّ علينا رسول الله نساءنا وأبناءنا ، قال : قلت : تلكمُ صاحبكم في بني جُمَح ؛ اذهبوا فخذوها ، فذهبوا إليها فأخذوها ؛ وأما عيينة بن حصن فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن ، وقال حين أخذها : أرى عجوزاً وأرى لها في الحى نسباً ؛ وعسى أن يعظم فداؤها ؛ فلما ردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم السبايا بست فرائض أبي أن يردّها . فقال له زهير أبو صرد : خذها عنك ؛ فوالله ما فوها ببارد ، ولا تُديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا درّها بماكد ، ولا زوجها بواجد^(٢) . فردّها بست فرائض حين قال له زهير ما قال ؛ فزعموا أن عيينة لقي الأقرع بن حابس ، فشكا إليه ذلك ، فقال : عوالله إنك ما أخذتها بكراً غريبة^(٣) ، ولا نصفاً وثيرة^(٤) ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو فند هوازن ، وسألهم عن مالك بن عوف : ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ؛ فقال رسول الله : أخبروا مالكا أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل ، فأتى مالك بذلك ؛ فخرج من الطائف إليه ؛ وقد كان مالك خاف ثقيفاً على نفسه أن يعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ما قال ؛ فيحبسوه ، فأمر براحلته فهيتت له ، وأمر بفرس له فأتى به الطائف ؛ فخرج ليلاً ، فجلس على فرسه فركضه ؛ حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تُحبس له ، فركبها ، فلحق برسول الله فأدركه بالجعرانة - أو

١٦٧٨/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٦ . (٢) واجد : حزين ، والمالك : التزير .

(٣) الغريبة : الصغيرة السن من النساء . (٤) الوثيرة : السمينة .

بمكة - فردّ عليه أهله وماله ، وأعطاه مائة من الإبل ، وأسلم فحسُن إسلامه (١) .
 واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعلى من أسلم من تلك
 القبائل حول الطائف : ثمالة وسامية وفهم ؛ فكان يقابل بهم ثقيفاً ،
 لا يخرج لهم سرحاً إلاّ أغار عليه ، حتى ضيق عليهم ، فقال أبو محجن
 ابن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي :

هابت الأعداء جانبنا ثم تغزونا بنو سلمة
 وأتانا مالكٌ بهم ناقضاً للهدى والحرمه
 وأتونا في منازلنا ولقد كنا أولى نعمة

وهذا آخر حديث أبي وجزة (٢) .

• • •

ثم رجع الحديث إلى حديث عمرو بن شعيب ، قال : فلما فرغ رسول
 الله صلى الله عليه وسلم من ردّ سبايا حنين إلى أهلها ، ركب واتبعه الناس
 يقولون : يا رسول الله ، اقم علينا فيئتنا الإبل والغنم ، حتى أبلثوه إلى شجرة ،
 فاخطفت الشجرة عنه رداءه ، فقال : ردّوا عليّ ردائي أيها الناس ؛ فوالله
 لو كان لي عدد شجر تهامة نعمةً لقسمتها عليكم ، ثم ما لقيتموني بخيلاً
 ولا جباناً ولا كذاباً . ثم قام إلى جنب بعير ، فأخذ وبرّةً من ستامه
 فجعلها بين أصبعيه ، ثم رفعها فقال : أيها الناس ، إنه والله ليس لي من فيئكم
 ولا هذه الوبرة إلاّ الحمس ، والحمس مردودٌ عليكم ، فأدّوا الخياط والخيط (٣) ؛

(١) في رواية ابن هشام : « فقال مالك بن عوف حين أسلم :

ما إن رأيتُ ولا سمعتُ بمثله في الناس كلهم بمثل محمد
 أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدي ومتى تشأنيخبرك عما في غد
 وإذا الكتيبة عرّدت أنيابها بالسهمى وضرب كل مهند
 فكانه ليثٌ على أشباله وسط الهباءة خادراً في مرصد

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

(٣) الخياط هنا : الخيط ، والخيط : الإبرة .

فإن الغُلُول^(١) يكون على أهله عاراً وناراً وشناراً يوم القيامة . فجاءه رجلٌ من الأنصار بكُبة^(٢) من خيوط شعر فقال : يا رسول الله أخذت هذه الكُبة أعملُ بها برذعة بعير لي دبير ، قال : أما نصيبي منها فلَكَ ، فقال : إنه إذا بلغت هذه فلا حاجة لي بها ، ثم طرحها من يده^(٣) .
إلى هنا حديث عمرو بن شعيب .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبي بكر ، قال : أعطى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم - وكانوا أشرافاً من أشراف الناس يتألفهم ويتألف به قلوبهم - فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير ، وأعطى حكيم ابن حزام مائة بعير ، وأعطى النضير^(٤) بن الحارث بن كلدة بن علقمة أخا بني عبد الدار مائة بعير ، وأعطى العلاء بن جارية الثقفي حليف بني زهرة مائة بعير ، وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير ، وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير ، وأعطى سهيل بن عمرو مائة بعير ، وأعطى حويط بن عبد العزى بن أبي قيس مائة بعير ، وأعطى عيينة بن حصن مائة بعير ، وأعطى الأقرع ابن حابس التميمي مائة بعير ، وأعطى مالك بن عوف النصرى مائة بعير ، فهؤلاء أصحاب المئين ؛ وأعطى دون المائة رجلاً من قريش ؛ منهم مخزومة ابن نوفل بن أمية الزهري ، وعمير بن وهب الحمصي ، وهشام بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي - لا يحفظ عدده ما أعطاهم ؛ وقد عرف فيما زعم أنها دون المائة - وأعطى سعيد بن يربوع بن عنكثة بن عامر بن مخزوم خمسين من الإبل ، وأعطى السهمي^(٥) خمسين من الإبل ، وأعطى عباس بن مرداس السلمى أبا عرّ فسخطها^(٦) ، وعاتب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

(١) الغلُول : الحياطة . (٢) الكُبة ، من قولهم أكب الغزل ؛ إذا جعله كيباً .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٦ - ٣٠٨ .

(٤) في رواية أخرى عن ابن هشام : « الحارث » .

(٥) ابن هشام : « واسمه عدى بن قيس » .

(٦) ابن هشام : « فسخطها » .

كانت نهباً تلافيتها بكرى على المهر في الأجرع (١)
 وإيقاظي القوم أن يرتدوا إذا هجع الناس لم أفجع
 فأصبح نهي ونهب العبيد بين عيينة والأقرع
 وقد كنت في الحرب ذا تدراً فلم أعط شيئاً ولم أمتع (٢)
 إلا أفايل أعطيتها عديد قوائمها الأربع (٣)
 وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في المجمع (٤)
 وما كنت دون أمرى منهما ومن تضع اليوم لا يرفع (٥)

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهبوا فاقطعوا عنى لسانه ؛ فزادوه حتى رضى ؛ فكان ذلك قطع لسانه الذي أمر به (٦) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، أن قائلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه : يا رسول الله ، أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة ، وتركت جعيل بن سراقة الضمري (٧) ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والذي نفى بيده ، لجعيل بن سراقة خير من طلاع (٨) الأرض ، كلهم مثل عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ؛ ولكنى تألفتهمما ليسلما ، ووكلت جعيل بن سراقة إلى إسلامه (٩) .

(١) النهاب : جمع نهب ؛ وهو ما ينهب وينغم ، يريد الماشية والإبل . والأجرع : المكان السهل .

(٢) ذا تدراً ، أى ذا دفع عن قوى .

(٣) الأفايل : صغار الإبل ، واحدها أفيل .

(٤) ابن هشام : « يفوقان شيخى » .

(٥) س : « ومن تخفض » .

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٧) قال السهيلي : « نسب ابن إسحاق جعيلاً إلى ضمرة ؛ وهو معدود في غفار ؛ لأن غفاراً

هم بنو حليل بن ضمرة » .

(٨) طلاع الأرض : ما يملؤها حتى يطلع عنها ويسيل .

(٩) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٠ .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني أبو عبيدة بن محمد ، عن مِقْسَمِ أَبِي الْقَاسِمِ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ زَوْفَلٍ ، قال : خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي حتى أتينا عبد الله ابن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت معلقاً نعلَيْهِ ^(١) بيده ، فقلنا له : هل حضرت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين كلمه التميميُّ يوم حنين ؟ قال : نعم ، أفبل رجُلٌ من بني تميم يقال له ذو الحَوْبِصِرَةِ ، فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعطى الناس ، فقال : يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم ! فقال رسول الله : أجل ؛ فكيف رأيت ؟ قال : لم أركَ عدلتاً ! فغضب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ويحك ! إذا لم يكن العدل عندى ، فعند من يكون ! فقال عمر بن الخطاب : يا رسولَ الله ، ألا نقتله ^(٢) ! فقال : لا ، دعوه ^(٣) ؛ فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ^(٤) ، يُنْظَرُ فِي النِّصْلِ ^(٥) فلا يوجد شيء ، [ثم في القِدْحِ فلا يوجد شيء] ^(٦) ؛ ثم في الفُوقِ ^(٧) فلا يوجد شيء ؛ سَبَقَ الْفَرْتُ ^(٨) وَالْدَمُّ ^(٩) .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي مثل ذلك ؛ وسماه ذا الحَوْبِصِرَةِ التميميُّ ^(٩) . قال أبو جعفر : وقد روى عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ أَنَّ الَّذِي كَلَّمَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا الْكَلَامِ ؛ إِنَّمَا كَلَّمَهُ بِهِ فِي مَالٍ كَانَ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعَثَهُ مِنَ الْيَمَنِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، فَقَسَمَهُ بَيْنَ جَمَاعَةٍ ؛ مِنْهُمْ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ ، وَالْأَقْرَعُ ، وَزَيْدُ الْخَيْلِ ؛ فَقَالَ حِينَئِذٍ مَا ذُكِرَ عَنْ ذِي الْحَوْبِصِرَةِ أَنَّهُ قَالَ رَجُلٌ حَضَرَهُ .

١٦٨٣/١

- (١) و : « معلقاً فيه نعليه » .
 (٢) ابن هشام : « دعه » .
 (٣) ابن هشام : « دعه » .
 (٤) النصل : حديد السهم .
 (٥) النصل : حديد السهم .
 (٦) من سيرة ابن هشام ، والقِدْحُ : السهم .
 (٧) الفوق : طرف السهم الذي يباشر الوتر .
 (٨) الفرت : ما يوجد في الكرش .
 (٩) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٠ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ممن شهد معه حنيناً ، قال : والله إنى لأسير إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقة لي ، وفي رجلى نعل غليظة ، إذ زحمت ناقتي ناقة رسول الله ، ويقع حرف نعلي على ساق رسول الله فأوجعته ، قال : فقرع قدمي بالسوط ، وقال : أوجعتني فتأخر عني ، فأنصرفت ؛ فلما كان من الغد إذا رسول الله يلتمسني ، قال : قلت : هذا والله لما كنت أصبت من رجل رسول الله بالأمر . قال : فجثته وأنا أتوقع ، فقال لي : إنك قد أصبت رجلي بالأمر فأوجعتني فقرعت قدمك^(١) بالسوط ، فدعوتك لأعوضك منها ؛ فأعطاني ثمانين نعجة بالضربة التي ضربني .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . عن عاصم ابن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : لما أعطى رسول الله ما أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء ، وجد هذا الحى من الأنصار في أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة^(٢) ؛ حتى قال قائلهم : آتى والله رسول الله قومه ! فدخل عليه سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله ؛ إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا النى الذى أصبت ؛ قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب ، ولم يكن في هذا الحى من الأنصار شيء . قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ! قال : يا رسول الله ما أنا إلا من قومي ! قال : فاجمع لي قومك في الحظيرة . قال : فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة ، قال : فجاءه رجال من المهاجرين ، فركبهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردتهم ، فلما اجتمعوا إليه أنه سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه بالذى هو له أهل ، ثم قال : يا معشر الأنصار ، ما قالة بلغتني عنكم ،

(١) و : « رجلك » . (٢) القالة : الكلام السيء .

وَمَوْجِدَةٌ^(١) وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ ! أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَالًا فَهَذَا كُمْ اللَّهُ ، وَعَالَةٌ^(٢) فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ ، وَأَعْدَاءٌ فَأَلْفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ! قَالُوا : بَلَى ، اللَّهُ وَلِرَسُولِهِ الْمَنْ وَالْفَضْلُ ! فَقَالَ : أَلَا تَجِيبُونِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ! قَالُوا : وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اللَّهُ وَلِرَسُولِهِ الْمَنْ وَالْفَضْلُ ! قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقَتُمُوهَا فَصَدَقْتُمْ ، وَأَصْدَقْتُمْ ، أَلَا مَكْدَبًا فَصَدَقْنَاكَ ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ ، وَطَرِيدًا فَأَوَيْنَاكَ ، وَعَائِلًا فَأَسَيْنَاكَ ؛ وَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ^(٣) مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفَتْ بِهَا قَوْمًا لَيْسَلُمُوا ، وَوَكَلْتُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ ! أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ؛ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْبَعِيرِ ، وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ ! فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ؛ لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا^(٤) وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا ، لَسَلَكَتِ شِعْبَ الْأَنْصَارِ ! اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ !

قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قيسًا وحظًا ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا^(٥) .

١٦٨٥/١

[عمرة رسول الله من الجعرانة]

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة معتمرًا ، وأمر ببقايا النوى ، فحبس بميجنة ، وهي بناحية ممر الظهران ، فلما فرغ رسول الله من عمرته وانصرف راجعًا إلى المدينة ؛ استخلف عتاب بن أسيد على مكة ، وخاف معه معاذ بن جبل يفتقه الناس في الدين ويعلمهم القرآن ، واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقايا النوى .

وكانت عمرة رسول الله في ذي القعدة ، فقدم رسول الله صلى الله عليه

(١) كذا وردت هذه الرواية في الطبري ، وفي ابن هشام : «جدة» ، قال السبيل : « هكذا

الرواية » جدة » ، والمعروف عند أهل اللغة الموحدة إذا أردت الغضب ، وإنما الجدة في المال » .

(٢) عالة : جمع عائل ؛ وهو الفقير . (٣) قال السبيل : «اللعاة : بقلة ناعمة» .

(٤) الشعب : الطريق بين جباين . (٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٠ ، ٣١١ .

وسلم المدينة في ذي القعدة أو في ذي الحجة ، وحجّ الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحجّ عليه ، وحجّ تلك السنة بالمسلمين عتّاب بن أسيد ؛ وهي سنة ثمان ؛ وأقام أهلُ الطائف على شركهم وامتناعهم في طائفهم ما بين ذي القعدة ، إذ انصرف رسول الله عنهم إلى شهر رمضان من سنة تسع (١) .

قال الواقدي : لما قسم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الغنائمَ بين المسلمين بالخيبر ، أصاب كلَّ رجلٍ أربع من الإبل وأربعون شاة ؛ فمن كان منهم فارساً أخذ سهم فرسه أيضاً . وقال أيضاً : قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ليالٍ يقين من ذي الحجة من سفرته هذه .

قال : وفيها بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى جيفر وعمرو ابني الجُلندى من الأزدي مُصدّقاً ، فخلّيا بينه وبين الصدقة ، فأخذ الصدقة من أغنيائهم وردّها على فقرائهم ، وأخذ الجزية من الخجوس الذين بها ، وهم كانوا أهل البلد ، والعرب كانوا يكونون حولها .

قال : وفيها تزوّج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الكلابية التي يقال لها فاطمة بنت الضحّاك بن سفيان ، فاختارت الدنيا حين خيّرت . وقيل : إنها استعادت من رسول الله ، ففارقها . وذكر أن إبراهيم بن وثيمة بن مالك بن أوس بن الحدثان ؛ حدثه عن أبي وجزة السعدي أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوّجها في ذي القعدة .

قال : وفيها ولدت مارية إبراهيم في ذي الحجة ، فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أم بُردة بنت المنذر بن زيد بن لبيد بن خديش بن عامر ابن غنم بن عدى بن النجار ، وزوّجها البراء بن أوس بن خالد بن الجعد ابن عوف بن مبدول بن عمرو بن غنم بن عدى بن النجار ؛ فكانت ترضعه .

قال : وكانت قابلتها سلمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فخرجت إلى أبي رافع فأخبرته أنها ولدت غلاماً ؛ فبشّره أبو رافع رسول الله ، فوهب له مملوكاً .

قال : وغارت نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتدّ عليهنّ حين رزقت منه الولد .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١١ .

ثم دخلت سنة تسع

وفيها قدم وفد بني أسد على رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر - فقالوا : قد منا يا رسول الله قبل أن ترسل إلينا رسولا ، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم : ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمُ... ﴾ (١)

الآية .

وفيها قدم وفد بلي في شهر ربيع الأول ، فنزلوا على رويغ بن ثابت البليوي .

وفيها قدم وفد الدارين من لحم ، وهم عشرة .

• • •

[أمر ثقيف وإسلامها]

وفيها قدم - في قول الواقدي - عروة بن مسعود الثقفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً ، وكان من خبره - ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن أهل الطائف اتبع أثره عروة بن مسعود بن معتب حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم ؛ وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما يتحدث قومهم (٢) : إنهم قاتلوك ؛ وعرف رسول الله أن فيهم نخوة بالامتناع الذي كان منهم - فقال له عروة : يا رسول الله ، أنا أحب إليهم من أبقارهم (٣) - وكان فيهم كذلك محبباً مطاعاً -

(١) سورة الحجرات ١٧ . (٢) ابن هشام : « قومه » .

(٣) قال ابن هشام : « ويقال : من أبصارهم » .

فخرج يدعو قومه إلى الإسلام ، ورجا ألا يخالفوه لمتزلته فيهم ؛ فلما أشرف لهم على عليّ عليه السلام له وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رموه بالنبل ١٦٨٨/١ من كل وجه ، فأصابه سهمٌ فقتله ؛ فتزعم بنو مالك أنه قتله رجُلٌ منهم يقال له أوس بن عوف ، أخو بني سالم بن مالك ، وتزعم الأحلاف أنه قتله رجلٌ منهم من بني عتاب بن مالك ، يقال له وهب بن جابر . فقيل لعروة : ما ترى في دمك ؟ قال : كرامة أكرمني الله بها ، وشهادة ساقها الله إليّ ، فليس فيّ إلا ما في الشهداء الذين قُتِلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنونى معهم ، فدفنوه معهم . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : إن مثله في قومه كمثل صاحب يس في قومه (١) .

• • •

وفيها قدم وفدُ أهل الطائف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قيل : إنهم قدموا عليه في شهر رمضان .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهرًا ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ألا طاقة لهم بحرب من حوّلهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي ، أن عمرو بن أمية أخا بني عِلاج كان مهاجرًا لعبد ياليل بن عمرو ، الذي بينهما سببٌ - وكان عمرو بن أمية من أدهى العرب - فمشى إلى عبد ياليل بن عمرو حتى دخل عليه داره ، ثم أرسل إليه : إن عمرو بن أمية يقول لك : اخرج إلىّ ، فقال عبد ياليل لرسول : ويحك ! أعمرو أرسلك ؟ قال : نعم ، وهو ذا واقف في دارك . فقال : إن هذا لشيءٌ ما كنت أظنّه ! لعمرو كان أمتع في نفسه من ذلك . فلما رآه رَحَّبَ به ، وقال عمرو : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرةٌ ، إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، وقد (٢) أسلمت

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٥ . (٢) ابن هشام : « قد » .

العربُ كلُّها ، وليست لكم بحريم طاعة ، فانظروا في أمركم . فعند ذلك ائتمرت
ثقيف بينها ، وقال بعضهم لبعض : ألا ترون أنه لا يأمن لكم سيرب ، ولا
يخر منكم أحد إلا اقتطع به ! فائتمروا [بينهم] ^(١) ، وأجمعوا أن يرسلوا
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً ، كما أرسلوا عروة ، فكلّموا عبد باليل
ابن عمرو بن عمير - وكان في سن ^(٢) عروة بن مسعود - وعرضوا ذلك عليه ،
فأبى أن يفعل ، وخشي أن يُصنع به إذا رجع كما يُصنع بعروة ، فقال : لست
فاعلاً حتى تبعثوا معي رجلاً ، فأجمعوا على أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف
وثلاثة من بني مالك ، فيكونوا ستة : عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد
دُهَمان أخو بني بَسَّار ، وأوس بن عوف أخو بني سالم ، ونُمَيْر بن خَرَشَة بن
ربيعه أخو بلحارث ، وبعثوا من الأحلاف مع عبد باليل الحكم بن عمرو بن
وهب بن معتب وشرحبيل بن غَيَّلان بن سلمة بن معتب ؛ فخرج بهم
عبد باليل - وهو نابُ القوم ^(٣) وصاحب أمرهم ؛ ولم يخرج إلا خشيةً من
مثل ما صنع بعروة بن مسعود ، ليشغل كل رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف
رهطه - فلما دنوا من المدينة ، ونزلوا قناة لقوا بها المغيرة بن شعبة يرعى في نوبته
ركاب أصحاب رسول الله ، وكانت رعيّتها نُوباً على أصحابه ، فلما رآهم
المغيرة ترك الركاب وضرب ^(٤) يشتدُّ لِيَبَشِّرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم
بقدومهم عليه ، فلقّيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه قبل أن يدخل على
رسول الله ، فأخبره عن ركب ثقيف أنهم قدموا يريدون البيعة والإسلام ،
بأن يشرط لهم شروطاً ، ويكتبوا من رسول الله كتاباً في قومهم وبلادهم وأموالهم .
فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله حتى أكون
أنا الذي أحدثه ، ففعل المغيرة ، فدخل أبو بكر على رسول الله ، فأخبره عن
ركب ثقيف بقدومهم ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فرَوَّح الظَّهْر معهم ،
وعلمهم كيف يُحيون رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يفعلوا إلا بتحية
الجاهلية .

١٦٩٠/١

(٢) ابن هشام : « وكان سنّ عروة » .

(١) من ابن هشام .

(٣) ناب القوم : سيدهم ورئيسهم . (٤) ضمير : وثب .

ولما أن قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبّة في ناحية مسجد، - كما يزعمون - وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى اكتبوا كتابهم ؛ وكان خالد هو الذي كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يطعمون طعاماً بأبيهم من عند رسول الله حتى يأكل منه خالد ؛ حتى أسلموا وبايعوا وفرغوا من كتابهم - وقد كان فيما سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع الطاغية ؛ وهي اللات ، لا يهدمها ثلاث سنين ؛ فأبى رسول الله ذلك عليهم ؛ فما برحوا يسألونه سنة سنة ؛ فأبى عليهم حتى سألوه شهراً واحداً بعد مقدمهم ؛ فأبى أن يدعها شيئاً يسمي ؛ وإنما يريدون بذلك فيما يُظهرون أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم ، ويكرهون أن يروّعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام - فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة ابن شعبة فيهدماها ؛ وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يُعفيهم من الصلاة ، وأن يكسروا أوثانهم بأيديهم ؛ فقال رسول الله : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه ؛ وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه ؛ فقالوا : يا محمد ، أما هذه فسنتيكها وإن كانت دناءة .

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم ؛ أمر عليهم عثمان بن أبي العاص - وكان من أحدثهم سنّاً - وذلك أزه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلّم القرآن ، فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ؛ إني قد رأيتُ هذا الغلام فيهم من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلّم القرآن (١) .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يعقوب ابن عتبة ، قال : فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجهوا إلى بلادهم راجعين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب ،

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٥ ، ٣٢٦ .

والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية ، فخرجا مع القوم ؛ حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : ادخل أنت على قومك ؛ وأقام أبو سفيان بماله بذي الهرم^(١) ، فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها بضربها بالمعول ، وقام قومه دونه - بنو معتب - خشية أن يرُمى أو يصاب كما أصيب عروة ، وخرج نساء ثقيف حُسراً^(٢) يبكين عليها ، ويقلان :

أَلَا أَبْكَيْنَ دُفَاعٌ^(٣) أَسْلَمَهَا الرُّضَاعُ^(٤)

• لَمْ يُحْمِنُوا المِصَاعُ^(٥) •

قال : ويقول أبو سفيان والمغيرة بضربها بالفأس : واهماً لك^(٦) ! واهماً لك ! فلما هدمها المغيرة أخذ مالها وحليتها وأرسل إلى أبي سفيان وحليتها مجموع ، ومالها من الذهب والجزع ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا سفيان أن يقضى من مال اللات دين عروة والأسود ابني مسعود ، فقضى منه دينهما^(٧) .

وفي هذه السنة غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك .

• • •

ذكر الخبر عن غزوة تبوك

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد منصرفه من الطائف ، ما بين ذي الحجة إلى رجب .

(١) ابن هشام : « الهدم » .

(٢) ابن هشام : « لتبكين » .

(٣) المصاع : المصارعة .

(٤) ابن هشام : « آها لك » .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٦ ، ٣٢٧ .

(٦) حبرا : مكشوفات الرموس .

(٧) الرضاع هنا : اللثام .

ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم ؛ فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم ؛ كلُّ قد حدثت في غزوة تبوك ما بلغه عنها ، وبعض القوم يحدث ما لم يحدث به بعض ، وكلُّ قد اجتمع حديثه في هذا الحديث . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ؛ وذلك في زمن عُسرة من الناس ، وشدة من الحر ، وجدَّب من البلاد ؛ وحين طابت الثمار وأحببت الظلال ؛ فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذي هم عليه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج في غزوة إلا كنى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الذي يصمده له ؛ إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه يبينها للناس لبعد الشئمة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يصمده (١) له ، ليتأهب الناس لذلك أهبتة ، وأمر الناس بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم .

فتجهز الناس على ما في أنفسهم من الكثرة لذلك الوجه لما فيه ؛ مع ما عظموا من ذكر الروم وغزومهم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه ذلك للجند بن قيس أخى بنى سلمة : هل لك يا جند العام في جلاذ بنى الأصفر (٢) ؟ فقال : يا رسول الله ، أو تأذن لي ولا تفتني ! فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشد عجباً بالنساء مني ؛ وإني أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر ألا أصبر عنهن . فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : قد أذنت لك ؛ ففي الجند بن قيس نزلت هذه الآية : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي ... ﴾ (٣) الآية ؛ أي إن كان إنما يخشى الفتنة من نساء بنى الأصفر - وليس ذلك به - [فا] (٤) سقط فيه من الفتنة بتخلفه عن رسول الله والرغبة بنفسه عن نفسه أعظم ؛ وإن جهنم لمن ورائه . وقال قائل من المنافقين لبعض : لا تنفروا في الحر ، زهادة في الجهاد .

(١) يصمد : يقصد . (٢) بنو الأصفر : هم الروم .

(٣) سورة التوبة ٤٩ . (٤) من ابن هشام .

وشكناً في الحق ، وإرجافاً بالرسول ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم : ﴿ وَقَالُوا
لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ . إلى قوله :
﴿ جَزَاءُ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾^(١) .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جدد في سفره ، فأمر الناس بالجهاز
والانكماش ، وحض أهل الغنبي على النفقة والحملان^(٢) في سبيل الله ،
ورغبتهم في ذلك ، فحمل رجال من أهل الغني فاحتسبوا^(٣) ، وأنفق عثمان
ابن عفان في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحدٌ أعظم من نفقته^(٤) .

ثم إن رجالاً من المسلمين أتوا رسول الله ؛ وهم البكلاء ونهم سبعة نفر
من الأنصار وغيرهم^(٥) ، فاستحملوا^(٦) رسول الله ، وكانوا أهل حاجة ، فقال :
﴿ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا
يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾^(٧) . قال : فبلغني أن يامين بن عُمَيْر بن كعب النضري لقي
أبا ليلى عبدالرحمن بن كعب وعبد الله بن مغنفل . وهما يبكيان ، فقال
لهما : ما يبكيكما ؟ قالوا : جئنا رسول الله ليحملنا . فلم نجد عنده ما يحملنا
عليه ، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه ، فأعطاهما ناضحاً^(٨)
١٦٩٥/١ فارتحلاه ، وزودهما شيئاً من تمر ، فخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم .

(١) سورة التوبة ٨١ ، ٨٢ . (٢) الحملان : مصدر حمل يحمل .

(٣) احتسبوا ، أي حملوا أجر ما بدلوا عند الله .

(٤) قال ابن هشام : « حدثني من أتق به أن عثمان بن عفان أنفق في جيش العمرة في غزوة
تبوك ألف دينار » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ارض عن عثمان فإن عنه راض » .

(٥) ابن هشام : « وعم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف : سالم بن
عمير ، وعلبة بن زيد أحد بني حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب أحد بني مازن بن النجار ،
وعمر بن حنبل بن الجموح أحد بني سلمة ، وعبد الله بن المغفل المزني - وبعض الناس يقول : بل
هو عبد الله بن عمرو المزني - وشري بن عبد الله أخو بني واقف ، وعرباض بن سارية القرظي » .

(٦) استحملوه : طلبوا منه ما يحملهم عليه . (٧) سورة التوبة ٩٢ .

(٨) الناضح : الحمل يستق عليه .

قال : وجاءَ المُعَذِّرون من الأعراب ، فاعتذروا إليه فلم يعذرهم الله عزَّ وجلَّ ؛ وُذِكِرَ لي أنهم كانوا من بني غِفَّار ، منهم خُفَّاف بن إيماء بن رَحْضَةَ .

ثم استتب^(١) برسول الله صلى الله عليه وسلم سفره ، وأجمع السير ؛ وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله حتى تخلفوا عنه من غير شك ولا ارتياب ؛ منهم كعب بن مالك بن أبي كعب أخو بني سلمة ، ومرارة بن الربيع أخو بني عمرو بن عوف ، وهلال بن أمية أخو بني واقف ، وأبو خبيشة أخو بني سالم بن عوف ؛ وكانوا نفر صدق لا يتهمون في إسلامهم ، فلما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع ، وضرب عبد الله بن أبي بن سلؤل عسكره على حيدة أسفل منه بحذاء ذيباب ؛ جبل بالحبيانة أسفل من ثنية الوداع . وكان - فيما يزعمون - ليس بأقل العسكرين ؛ فلما سار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب - وكان عبدُ الله بن أبي أخا بني عوف بن الخزرج - وعبد الله بن نبتل أخا بني عمرو بن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت أخا بني قينقاع ؛ وكانوا من عظماء المنافقين ؛ وكانوا ممن يكيد الإسلام وأهله^(٢) .

قال : وفيهم - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن

إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن البصري - أنزل الله عزَّ وجلَّ : ١٦٩٦/١

﴿ لَقَدْ أٰبْتٰغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ . . . ﴾^(٣) ،
الآية .

• • •

قال ابن إسحاق : وخلف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب على أهله ، وأمره بالإقامة فيهم ، واستخلف على المدينة سبَاع بن عُرْفُطَةَ ، أخا بني غِفَّار ، فأرجف المنافقون بعلي بن أبي طالب ، وقالوا : ما خلفه

(١) استتب : تتابع واستمر . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٦ - ٣١٧ .

(٣) سورة التوبة ٤٨ .

إلا استثقلا له ، وتخففاً منه . فلما قال ذلك المنافقون ، أخذ عليٌ سلاحه ثم خرج حتى أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجُرف فقال : يا نبيَّ الله ؛ زعم المنافقون أنك إنما خلتني ؛ أنك استثقلتني وتخففت مني ! فقال : كذبوا ، ولكني إنما خلتك لما ورأى ، فارجع فاخلفتني في أهلي وأهلك ؛ أفلا ترضى يا عليُّ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؛ إلا أنه لا نبيُّ بعدي ! فرجع عليٌّ إلى المدينة ، ومضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على سفره^(١) .

ثم إنَّ أبا خَيْثَمَةَ أَخَا بنِي سالم رجع - بعد أن سارَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أياماً - إلى أهله في يومٍ سارٍ ، فوجد امرأتين له في عريشين^(٢) هما في حائط^(٣) ، قد رشَّت كلُّ واحدةٍ منهما عريشها وبرَّدت له فيه ماءً ، وهيأت له فيه طعاماً ؛ فلما دخل فقام على باب العريشين ؛ فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له ، قال : رسولُ الله في الضَّحِّ^(٤) والريح ، وأبو خَيْثَمَةَ في ظلال باردة وماء بارد وطعام مهيباً وامرأة حسناء ، في ماله مقيمٌ ! ما هذا بالنِّصْف ! ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدةٍ منكما حتى ألحق برسول الله ؛ فهيتنا لي زاداً ؛ ففعلتَا . ثم قدَّم ناضِحَه فارتحله ، ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك ، وقد كان أدرك أبا خَيْثَمَةَ عميرُ بن وهبِ الجُمَحِيِّ في الطريق ، يطلب رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فترافقا^(٥) حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خَيْثَمَةَ لعمير بن وهب : إن لي ذنباً ، فلا عليك أن تخلفَ عنِّي حتى آتي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم . ففعل ، ثم سار حتى إذا دنا من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك ، قال للناس : يا رسولَ الله ، هذا راكب على الطريق مقبل ، فقال رسول الله : كُنْ أبا خَيْثَمَةَ ! فقالوا : يا رسولَ الله ، هو والله أبو خَيْثَمَةَ ! فلما أناخ أقبلَ فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسولُ الله : أولتى لك

١٦٩٧/١

(١) ابن هشام : « ثم رجع على إلى المدينة ؛ ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره . »

(٢) العريش : شبه الخيمة ، يظلل ليكون أبرد الأحمية والبوت .

(٣) ابن هشام : « حائطه » ، والحائط هنا : ابستان .

(٤) الضح : الشمس . (٥) س : « فترافقا » .

يا أبا خيثمة ! ثم أخبر رسول الله الخبر ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له بخير .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مرّ بالحجر نزلها واستقى الناس من بئرها ، فلما راحوا منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تشربوا من ماءها شيئاً ، ولا تتوضئوا منها للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له ؛ ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رجلين من بني ساعدة ؛ خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بعير له ، فأما الذي ١٦٩٨/١ ذهب لحاجته فإنه خنق على مذهبه ، وأما الذي ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته في جبلتي طيبي ، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ألم أنحكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحب له ! ثم دعا للذي أصيب على مذهبه فشفي ، وأما الآخر الذي وقع بجبلتي طيبي ؛ فإن طيباً هدته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة (١) .

قال أبو جعفر : والحديث عن الرجلين (٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن العباس بن سهل بن سعد الساعدي : فلما أصبح الناس - ولا ماء معهم - شكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا الله ، فأرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس ، واحتملوا حاجتهم من الماء (٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : قلت لمحمود بن لبيد : هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم ؟ قال : نعم ؛ والله إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٦ ، ٣١٨ .

(٢) في ابن هشام : « والحديث عن الرجلين ، عن عبد الله بن أبي بكر عن عباس بن سهل ابن سعد الساعدي ، وقد حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه قد سمى له العباس الرجلين ؛ ولكنه استودعه إياهما ، فأبى عبد الله أن يسميها لي » . (٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٨ .

أبيه ومن عمه ومن عشيرته ، ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك ؛ ثم قال محمود :
لقد أخبرني رجالٌ من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه ، كان
يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار ، فلما كان من أمر الماء
بالحِجْر ما كان ، ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين دعا ، فأرسل الله
السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس ، أقبلنا عليه نقول : ويحك ! هل بعد
هذا شيء ! قال : سحابة مارة .

ثم إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سار حتى إذا كان ببعض الطريق
ضلّت ناقته ، فخرج أصحابه في طلبها ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجلٌ من أصحابه ، يقال له عُمارة بن حزم ، وكان عقبيّاً^(١) بدرياً ، وهو
عمّ بنى عمرو بن حزم ، وكان في رحله زيد بن لُصَيْب القَيْنُقَاعِي ، وكان
منافقاً ، فقال زيد بن لُصَيْب^(٢) وهو في رحل عُمارة ، وعُمارة عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم : أليس يزعم محمد أنه نبيّ يخبركم عن خبر السماء وهو
لا يدري أين ناقته ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - وعُمارة عنده : إن
رجلاً قال : إن محمداً هذا يخبركم أنه نبيّ ، وهو يزعم أنه يخبركم بخبر
السماء وهو لا يدري أين ناقته ! وإني والله ما أعلم إلا ما علّمني الله ، وقد دلتني
الله عليها ، وهي في الوادي من شِعْب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها ،
فانطلقوا حتى تأنّوا بها ، فذهبوا فجاءوا بها ، فرجع عُمارة بن حزم إلى أهله ،
فقال : والله لَعَجِبُ من شيء حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفاً عن
مقالة قائل أخبره الله عنه كذا وكذا - للذي قال زيد بن الأُصَيْب - فقال رجلٌ
من كان في رحل عُمارة ، ولم يحضر رسول الله : زيد والله قال هذه المقالة قبل
أن تأتي . فأقبل عُمارة على زيد يتجأ في عنقه^(٣) ، ويقول : يا عباد الله ،
والله إن في رحلي لداهية وما أدري ! اخرج يا عدو الله من رحلي فلا
تصحبتني ! قال : فزعم بعضُ الناس أن زيدا تاب بعد ذلك ، وقال بعض :
لم يزل مُتَّهِماً بشر حتى هلك .

(١) أي من شهيد بيعة العقبة . (٢) ابن هشام في إحدى روايته : « لصيت » .

(٣) يجأ في عنقه : يطمئه .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائراً ، فجعل يتخالف عنه الرجل فيقولون : يا رسول الله ، تخلف فلا . ، فيقول : دعوه ، فإن يك فيه خير ١٧٠٠/١ فيسلحقه الله بكم ، وإن يك غير (١) ذلك فقد أراحكم الله منه : حتى قيل : يا رسول الله ، تخلف أبو ذر وأبطأ به بعيره : فقال : دعوه ، فإن يك فيه خير فيسلحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه .

قال : وتلوم (٢) أبو ذر على بعيره . فلما أبطأ عليه أخذ متاعه ، فحملة على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ماشياً ، ونزل رسول الله في بعض منازل ، فنظره ناظر من المسلمين ، فقال : يا رسول الله ، إن هذا الرجل يمشى على الطريق وحده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أيا ذر ! فلما تأمله القوم ، قالوا : يا رسول الله ، هو أبو ذر ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحم الله أبا ذر ! يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده (٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بُرَيْدَةَ بن مغيان الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما نفي عثمان أبا ذر نزل أبو ذر الربيدة ، فأصابه بها قدره . ولم يكن معه أحد إلا امرأته وغلماه ، فأوصاهما أن غملائي وكفتائي ، ثم ضعاني على قارعة الطريق ، فأول ركب يمر بكم فقولوا : هذا أبو ذر صاحب رسول الله فأعينونا على دفنه . فلما مات فعلا ذلك به ، ثم وضعاه على قارعة الطريق ، فأقبل عبد الله بن مسعود ورحط من أهل العراق عماراً ، فلم يرعهم إلا يجنازة على الطريق قد كادت الإبل تطؤها ، وقام إليهم الغلام . فقال : هذا أبو ذر صاحب رسول الله ، فأعينونا على دفنه . قال : فاستهل عبد الله بن مسعود بيكي ، ويقول : صدق رسول الله ! تمشي وحداك ، وتموت وحداك ، وتبعث ١٧٠١/١ وحداك ! ثم نزل هو وأصحابه فواروه .

ثم حدثهم ابن مسعود حديثه وما قال له رسول الله في مسيره إلى تبوك .

(١) ابن هشام : « على غير ذلك » . (٢) تلوم : تمكث وتمهل .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٨ ، ٣١٩ .

قال : وقد كان رهط من المنافقين ، منهم ودیعة بن ثابت أخو بنی عمرو ابن عوف ، ومنهم رجل من أشجع حليف لبني سلمة ، يقال له مخشي^(١) ابن حمير ، يسرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أنحسبون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم ! والله لكأنى بكم غداً مقرنين في الجبال ؛ إرجافاً وترهيباً للمؤمنين . فقال مخشي ابن حمير : والله لا وددت أنتى أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة ، وأنا ننفلت أن ينزل الله فينا قرآناً لمقاتلكم هذه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - لعمار بن ياسر : أدرك القوم ، فإنهم قد احترقوا ،^(٢) فسألهم عما قالوا ؛ فإن أنكروا فقل : بلى قد قلم كذا وكذا . فانطلق إليهم عمار فقال لهم ذلك ؛ فأتوا رسول الله يعتذرون إليه ، فقام ودیعة بن ثابت ورسول الله واقف على ناقته ، فجعل يقول وهو آخذ بحقة بيها^(٣) : يا رسول الله ، كنا نخوض ونلعب ؛ فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ وَالَّذِينَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾^(٤) . وقال مخشي بن حمير : يا رسول الله ، قعد بن اسمي واسم أبي ؛ فكان الذي عفي عنه في هذه الآية مخشي بن حمير ؛ فسمي عبد الرحمن ، وسأل الله أن يقتله شهيداً لا يعام مكانه ، فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر . فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ، أتاه يحنه بن روبة ، صاحب أيلة ، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه الجزية ، وأهل جرباء وأذرح أعطوه الجزية ، وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل كتاباً ؛ فهو عندهم .

١٧٠٢/١

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد ، فبعثه إلى أكيدر دومة - وهو أكيدر بن عبد الملك ، رجل من كيندة ، كان ملكاً عليها ، وكان نصرانياً - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده

(١) ابن هشام في إحدى رواياته : « مخشي » . بالتشديد .

(٢) احترقوا ، أي هلكوا ، وفي ط : « احترقوا » ، وأثبت ما في ابن هشام .

(٣) الحقب : حبل يشد على بطن البعير . (٤) سورة التوبة ٦٥ .

يصيد البقر ، فخرج خالد بن الوليد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين ،
وفي ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له ، ومعه امرأته ، فباتت البقر تحك
بقرونها باب القصر ، فقالت امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ! قال : لا والله ،
قالت : فمن يترك هذا ؟ قال : لأحد . فنزل فأمر بفرسه فأسرج له ، وركب
معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخ له يقال له حسان ، فركب ، وخرجوا معه
بمطاردهم ؛ فلما خرجوا تلتفتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذته ،
وقتلوا أخاه حسان ، وقد كان عليه قباء له من ديباج مخصوص بالذهب ،
فاستأبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه ^(١) عليه ^(٢)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ،
عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أنس بن مالك ؛ قال : رأيت قباء أ كيدر
حين قدم به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل المسلمون يلمسونه ^{١٧٠٣/١}
بأيديهم ، ويتعجبون منه ، فقال رسول الله : أتعجبون من هذا ! فوالذي
نفس محمد بيده لمناديل ^(٣) سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
ثم إن خالداً قدم بأكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحقن له دمه ،
وصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله ، فرجع إلى قريته .

• • •

رجع الحديث إلى حديث يزيد بن رومان الذي في أول غزوة تبوك . قال :
فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يجاوزها ^(٤) ، ثم
انصرف قافلاً إلى المدينة ، فكان في الطريق ماء يخرج من وشك ما يروى الراكب
والراكبين والثلاثة ، بواد يقال له وادي المشقق ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يستقي من شئنا حتى نأتيه . قال :
فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه ، فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) و : « مقده » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٩ .

(٣) و « لمنديل » .

(٤) ابن هشام : « لم يجاوزها » .

وقف عليه فلم رَ فيه شيئاً ؛ فقال : مَنْ سَبَقنا إلى هذا الماء ؟ فقيل له :
يا رسول الله ، فلان وفلان ، فقال : أو لم ننتههم أن يستموا منه شيئاً حتى
تأتيه ! ثم لعنهم رسولُ الله ، ودعا عليهم . ثم نزل صلى الله عليه وسلم ، فوضع
يده تحت الوُشَل^(١) ، فجعل يصب في يده ما شاء الله أن يصب ، ثم نصحته
به ومسحه بيده ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بما شاء الله أن يدعو ،
فانخرق من الماء - كما يقول مَنْ سمعه : إن^(٢) له حباً كحب الصواعق ؛
فشرب الناس واستموا حاجتهم منه : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :
مَنْ بَقِيََ مِنْكُمْ لَيْسَمَعَنَّ^(٣) بهذا الوادي ؛ وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه .
ثم أقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذي أوان ؛ بلد بينه وبين
المدينة ساعة من نهار ؛ وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو
يتجهز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله ؛ إنا قد بنينا مسجداً لذي العلة والحاجة
والليلة المطيرة والليله الشاتية ؛ وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه . فقال :
إني على جناح مقمر ، وحال شغل - أو كما قال رسول الله - ولو قلنا
إن شاء الله أتيناكم فصلينا لكم فيه ؛ فلما نزل بذي أوان أتاه خير المسجد ،
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالمك بن الدخشم ، أخا بني سالم بن عوف
ومع بن عدى - أو أخاه عاصم بن عدى أخا بني العجلان - فقال : انطلقا
إني المسجد الظالم أهلُه فأهدمناه وحرقناه ؛ فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم
ابن عوف ؛ وهم رهط مالمك بن الدخشم ، فقال مالمك لمع : أنظرتني حتى
أخرج إليك بنار من أهل ، فدخل إلى أهل ، فأخذ سعفاً من النخل ،
فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشتدان حتى دخلا المسجد وهيه أهل ، فحرقاه
وهدماه ، وفرقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً
ضِراراً وَكُفراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٤) ، إلى آخر القصة .

وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً : خديام بن خالد ، من بني عبيد بن

(١) الوُشَل : حبر أو جبل يقطر منه الماء قليلاً قليلاً .

(٢) ابن هشام : وإن له حساً .

(٣) ابن هشام : لئن بقيتم لتسمعن . (٤) سورة الحجوة ١٠٧ .

زيد ؛ أحد بني عمرو بن عوف - ومن داره أخرج مسجد الشقاق - وثعلبة بن حاطب من بني عبيد - وهو إلى بني أمية بن زيد ، ومُعْتَبٌ بن قُشَيْرٍ من بني ضُبَيْعَةَ بن زيد ، وأبو حَبِيبَةَ بن الأزعر من بني ضُبَيْعَةَ بن زيد ، وعباد ابن حُنَيْفٍ ؛ أخو سهل بن حُنَيْفٍ من بني عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر ، وابناه مجمَع بن جارية وزيد بن جارية ، ونَبْتَل بن الحارث ، من بني ضُبَيْعَةَ ، وبحرَج - وهو إلى بني ضُبَيْعَةَ - ومجاد بن عمّاز - وهو من بني ضُبَيْعَةَ - ووديعَة بن ثابت وهو إلى بني أمية رهط أبي لُبَابَةَ بن عبد المنذر .

• • •

قال : وقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ - وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين ، وتخلف أولئك الرهط من المسلمين من غير شك ولا نفاق : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية - فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لا يكلمن أحدٌ أحدًا من هؤلاء الثلاثة ، وأتاه من تخلف عنه من المنافقين ، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، فصفح عنهم رسولُ الله ولم يعذرهم الله ولا رسوله ، واعتزل المسلمون كلام هؤلاء الثلاثة نفر ، حتى أنزل الله عز وجل قوله : ﴿ أَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾ - إلى قوله - ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ ^(١) ، فتاب الله عليهم .

قال : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك في شهر رمضان . وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف ، وقد مضى ذكر خبرهم قبل .

• • •

[أمر طيبي وعدي بن حاتم]

قال : وفي هذه السنة - أعني سنة تسع - وجه رسولُ الله صلى الله عليه ١٧٠٦/١ وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه في سرية إلى بلاد طيبي في ربيع الآخر ، فأغار عليهم ، فسبى وأخذ سيفين كانا في بيت الصنم ؛ يقال لأحدهما :

(١) سورة التوبة ١١٧ - ١١٩ .

رَسُول، وللآخر المخذم؛ وكان لهما ذِكْرٌ، كان الحارث بن أبي شمر نذرهما له، وسبى أخت عدى بن حاتم .

قال أبو جعفر : فأما الأخبار الواردة عن عدى بن حاتم عندنا بذلك فبغير بيان وقت ، و غير ما قال الواقدي في سبى عليّ أخت عدى بن حاتم .

حدثنا محمد بن المثنى، قال : حدثنا محمد بن جعفر، قال : حدثنا شعبة، قال : حدثنا سماك، قال : سمعت عباد بن حُبَيْش يحدث عن عدى بن حاتم، قال : جاءت خيلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم - أو قال : رسلُ رسول الله - فأخذوا عمتي وناسًا ، فأتوا بهم النبي صلى الله عليه وسلم . قال : فصُفوا له . قالت : قلتُ : يا رسول الله ، نأى الوافد ، وانقطع الولد ؛ وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة ؛ فمنّ عليّ مَنْ الله عليك يا رسول الله ! قال : ومن وَاْفِدُكَ ؟ قالت : عدى بن حاتم ؛ قال : الذى فرّ من الله ورسوله ! قالت : فمَنْ عليّ - ورجل إلى جنبه ترى أنه عليّ عليه السلام ، قال : سلبه حُمْلانًا - قال : فسألته ، فأمر بها فأتيتني ، فقالت : لقد فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها ! قالت : ائنه راغبًا وراهبًا ، فقد أتاه فلان فأصاب منه ، وأتاه فلان فأصاب منه . قال : فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيان - أو صبّي - فذكر قريهم من النبي صلى الله عليه وسلم - فعرفت أنه ليس بملك^(١) كسرى ولا قيصر ، فقال لى : يا عدى بن حاتم ، ما أفرّك^(٢) أن يقال لا إله إلا الله ! فهل من إله إلا الله ! وما أفرّك أن يُقال الله أكبر ! فهل من شيء هو أكبر من الله ! فأسلمتُ فرأيتُ وجهه استبشر .

١٧٠٧/١

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن شيبان بن سعد الطائى ، قال : كان عدى بن حاتم طيبي يقول فيما بلغنى : ما رجل^(٣) من العرب كان أشدّ كراهيةً لرسول الله حين سمع به منى ؛ أمّا

(١) و : « ملك » . (٢) ما الذى جعلك تفر من الجهاد فى سبيل الله .

(٣) ابن هشام : « ما من رجل » .

أنا فكنتُ امرأً شريفًا ، وكنْتُ نصرانيًا أسيرًا في قومي بالمرباع^(١) ، فكنتُ في نفسي على دين ، وكنْتُ ملكًا في قومي ، لما كان يُصنع بي ، فلما سمعتُ برسول الله كرهتُهُ ، فقلتُ لـغلام كان لي عربيًّا وكان راعيًا لإبلي : لا أمالك ! أعدِدْ لي من إبلي أجمالًا ذليلًا^(٢) سيمانًا مسانًا ، فأحبسها قريبًا مني ؛ فإذا سمعتُ بجيش محمد قد وطئ هذه البلاد فأذني ، ففعل . ثم إنه أتاني ذات غداة ، فقال : يا عدي ؛ ما كنتُ صانعًا إذا غَشِيَتْكَ خيل محمد فاصتبه الآن ، فإنني قد رأيتُ رايات ، فسألتُ عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد ، قال : فقلتُ : قَرَّبْ لي جمالي ، فقربها ، فاحتملتُ بأهلي وولدي ، ثم قلتُ : ألحقُ بأهل ديني من النصاري بالشام ، فسلكتُ الحوشية وخلفتُ ابنة حاتم في الحاضر ، فلما قدمتُ الشام أقمتُ بها ، وتُخالفني خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتصيبُ ابنة حاتم فيمن أصيب . فقُدِّم بها على رسول الله في سبايا طيبى ، وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربني إلى الشام . قال : فجعلتُ ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت السبايا يُحبَسن بها ، فمرَّ بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقامت إليه - وكانت امرأةً جزلةً - فقالت : يا رسول الله ؛ هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامننْ عليَّ من الله عليك ! قال : ومننْ وافدك ؟ قالت : عدى بن حاتم ، قال : الفارُّ من الله ورسوله ! قالت : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني ؛ حتى إذا كان الغد مرَّ بي وقد أيسنتُ ، فأشار إلىَّ رجلٌ من خلفه : أن قومي إليه فكلِّميه ، قالت : فقمْتُ إليه ، فقلتُ : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامننْ عليَّ من الله عليك ! قال : قد فعلتُ فلا تعجلي بخروجي حتى تجدي من قومك مننٌ يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم آذنيني . قالت : فسألتُ عن الرجل الذي أشار إلىَّ أن كلِّميه فقيل : علي بن أبي طالب . قالت : وأقمتُ حتى قدم ركبٌ من بليي - أو من قضاة - قالت : وإنما أريد أن آتي أخي

(١) أسير بالمرباع ؛ أى أخذ الربع من الغنائم ؛ لأنى سيدهم .

(٢) ذللا : جمع ذلول ؛ وهو الحمل السهل الذى قد ريس .

بالشام ، قالت : فجنّت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ . قالت : فكساني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحملني وأعطاني نفقة ، فخرجت معهم حتى قدمت الشام .

قال عدى : فوالله ، إنى لقاعدٌ في أهلى إذ نظرت إلى ظعينة^(١) تُصوّبُ إلى^(٢) تَؤمّنا . قال : فقلت : ابنة حاتم ! قال : فإذا هى هى ، فلما وقفت على انسلحت^(٣) تقول : القاطع الظالم ! احتملت بأهلك وولدك ، وتركت بُنيّة والدك وعنوّرتَه ! قال : قلت : يا أختي ، لا تقولى إلا خيراً ، فوالله ما لي عذر ، لقد صنعت ما ذكرت . قال : ثم نزلت فأقامت عندي ، فقلت لها - وكانت امرأة حازمة - : ماذا تريين في أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تلحق به سريعاً ، فإن يكن الرجل نبياً فالسابق إليه له فضيلة ، وإن يكن ملكاً فلن تذلّ في عزّ اليمن وأنت أنت ! قلت : والله إن هذا للرأى . قال : فخرجت حتى أقدم على رسول الله المدينة ، فدخلت عليه وهو في مسجده ، فسأمت عليه ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : عدى بن حاتم ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق بي إلى بيته ، فوالله إنه لعامدٌ بي إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته ، فوقف لها طويلاً تكلمه في حاجتها . قال : فقلت في نفسي : والله ما هذا بملك ، ثم مضى رسول الله حتى دخل بيته ، فتناول سادة من أدم محشوة ليفاً ، فقذفها إلى ، فقال لي : اجلس على هذه ، قال : قلت : لا بل أنت ، فاجلس عليها . قال : لا بل أنت ، فجلستُ وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض . قال : قلت في نفسي : والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : إيه يا عدى بن حاتم ! ألم تك رَكُوسياً^(٤) ! قال : قلت : بلى ، قال : أو لم تكن تسير في قومك بالمرباع ! قال : قلت : بلى ، قال : فإن ذلك لم يكن يحلّ لك في دينك ، قال : قلت : أجل والله - وعرفت أنه نبي مرسل يعلم ما يُجهل - قال : ثم قال : لعله^(٥) يا عدى بن

١٧٠٩/١

١٧١٠/١

(١) الظعينة : المرأة في الهودج . (٢) تصوب إلى : تقصد .

(٣) انسلحت : أخذت في اللوم ومضت فيه مجدة .

(٤) الركوسية : قوم لهم دين بين دين النصارى والصابئين .

(٥) بن هشام : « لملك » .

حاتم ؛ إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى^(١) من حاجتهم ! فوالله ليوشكن^(٢) المال يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ؛ ولعله^(٣) إنما يمنعك من الدخول^(٤) في هذا الدين ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ؛ فوالله ليوشكن^(٥) أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على غيرها حتى تزور هذا البيت ، لا تخاف إلا الله ؛ ولعله إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم ، وإيم الله ليوشكن^(٦) أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت . قال : فأسلمت ، فكان عدي بن حاتم يقول : مضت الثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتكونن^(٧) قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على غيرها لا تخاف شيئاً حتى تحج هذا البيت . وإيم الله لتكونن^(٨) الثالثة لفيضن^(٩) المال حتى لا يوجد من يأخذه .

• • •

[قدوم وفد بني تميم ونزول سورة الحجرات]

قال الواقدي : وفيها قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني تميم ، فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبدالله بن أبي بكر ، قالوا : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عطارد بن حنجب بن زرارة بن عدس التميمي في أشرف من ١٧١١/١ تميم ، منهم الأقرع بن حابس ، والزبيرقان بن بدر التميمي ثم أحد بني سعد ، وعمرو بن الأهم ، وألحقات بن فلان ، ونعيم بن زيد ، وقيس بن عاصم أخو بني سعد في وفد عظيم من بني تميم ، معهم عيينة بن حصن بن حذيفة الفزاري - وقد كان الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن شهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحصار الطائف ، فلما وفد وفد بني تميم كانا معهم - فلما دخل وفد بني تميم المسجد ، نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحجرات : أن اخرج إلينا يا محمد . فأذن لك من صياحهم رسول الله

(١) كذا في ابن هشام : وفي ط : « لما » . (٢) ابن هشام : « ولعله » .

(٣) ابن هشام : « دخول فيه » .

صلى الله عليه وسلم ؛ فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئناك ^(١) لنفاخررك ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا ، قال : نعم ، أذنت لخطيبكم فليقل ^(٢) . فقام إليه عطار بن حاجب ، فقال : الحمد لله الذى له علينا الفضل وهو أهله ، الذى جعلنا ملوكاً ، ووهب لنا أموالاً عظيماً نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عدداً . وأيسره عُدَّةً ، فمن مثلنا فى الناس ! ألسنا بروس الناس وأولى فضلهم ! فمن يفاخرنا فليعد مثل ما عددنا ؛ وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ؛ ولكننا نحيامن الإكثار فيما أعطانا ؛ وإنا نعرف . أقول هذا الآن لتأتونا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا ، ثم جلس . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس أخى بلحارث بن الخزرج : قم فأجب الرجل فى خطبته .

١٧١٢/١

فقام ثابت ، فقال : الحمد لله الذى السموات والأرض خلّقه ، قضى فيهن أمره ، ووسّع كرسيه علمه ، ولم يك شئ قط إلا من فضله . ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمهم نسباً ، وأصدقهم حديثاً ، وأفضلهم حسباً ، فأنزل عليه كتابه ، واثمنه على خلقه ؛ فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان ، فأمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمته ؛ أكرم الناس أنساباً ، وأحسن الناس وجوهاً ؛ وخير الناس فعلاً ؛ ثم كان أول الخلق إجابةً - واستجاب الله حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم - نحن ؛ فنحن أنصار الله ووُزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه فى الله أبداً ، وكان قتله علينا يسيراً ، أقول قولى هذا وأستغفر الله للمؤمنين وللمؤمنات ؛ والسلام عليكم .

قالوا : يا محمد ، ائذن لشاعرنا ، فقال : نعم ، فقام الزبير بن بدر فقال ^(٣) :

نحن الكرام فلا حتى يُعادِلنا منّا الملوكُ وفينا تُنصبُ البيعُ ^(٤)

(١) و : « قد جئناك » . (٢) س : « فليقل » .

(٣) قال السهيلي : « وإن بعض الناس ينكر الشعر له ، وذكر أن الشعر لقيس بن عاصم » .

(٤) البيع : مواضع الصلوات والعبادات ، واحدها بيعة .

وَكَمْ قَسَرْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ كُلَّهُمْ
وَمَنْ نُنْعِمُ عِنْدَ الْقَحْطِ مَطْعَمَنَا
ثُمَّ تَرَى النَّاسَ تَأْتِينَا سَرَائِهِمْ
فَنَنْحَرُ الْكُومَ عَبْطًا فِي أَرْوَمَتِنَا
فَلَا تَرَانَا إِلَى حَىٰ نَفَاخِرُهُمْ
إِنَّا أَبِينَا وَلَنُ يَا بِي لَنَا أَحَدٌ
فَمَنْ يُقَادِرْنَا فِي ذَاكَ يَعْرِفْنَا
عِنْدَ النَّهَابِ وَفَضْلُ الْعِزِّ يُتَّبَعُ
مِنَ الشَّوَاءِ إِذَا لَمْ يُؤْنَسِ الْقَرْعُ (١)
مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هُوَ يَا نَمَّ نَضْطَنَعُ (٢)
لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا أَنْزَلُوا شَبَعُوا (٣)
إِلَّا اسْتَقَادُوا وَكَادَ الرَّأْسُ يُقْتَطَعُ
إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ نَرْتَفِعُ
فَيَرْجِعُ الْقَوْلُ وَالْأَخْبَارُ تُسْتَمَعُ (٤)

١٧١٣/١

وكان حسان بن ثابت غائباً، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال حسان: فلما جاءني رسوله فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم، خرجت إلى رسول الله، وأنا أقول:

مَنْعَنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ حَلَّ وَسَطْنَا
مَنْعَنَا لَمَّا حَلَّ بَيْنَ بِيُوتِنَا
بَيْتِ حَرِيدٍ عِزُّهُ وَثَرَاؤُهُ
هَلِ الْمَجْدُ إِلَّا السُّودُّ الْعَوْدُ وَالنَّدَى
عَلَى كُلِّ بَاغٍ مِنْ مَعْدٍ وَرَاغِمٍ (٥)
بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ عَادٍ وَظَالِمٍ
بِحَابِيَةِ الْجَوْلَانِ وَسَطِ الْأَعَاجِمِ (٦)
وَجَاءَ الْمَلُوكِ وَاحْتِمَالُ الْعِظَامِ!

١٧١٤/١

قال: فلما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام شاعر القوم، فقال ما قال، عرضت في قوله وقلت على نحو مما قال؛ فلما فرغ الزبير بن

(١) القزع: السحاب الرقيق؛ يريد إذا أخلفهم المطر فأجذبت أرضهم.
(٢) هوياء: سراعا. قال السهيلي: «وليس السراة جمع سري» كما ظنوا؛ وإنما هو كما تقول: «ذروتهم وسنامهم»، وسراة كل شيء: أعلاه.
(٣) الكوم: جمع كوماه؛ وهي العظيمة السنام من النوق. وعبط: من غير علة. أرومتنا، أي أن هذا الكرم متأصل فينا.

(٤) في ابن هشام: «فن يفاخرنا في ذلك نعرفه»؛ وبعد هذا البيت في ابن هشام:

إِنَّا أَبِينَا وَلَا يَا بِي لَنَا أَحَدٌ
إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ نَرْتَفِعُ

(٥) ديوانه ٢٤٦

(٦) البيت الحرید: الفريد.

بدر من قوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان : قم يا حسان فاجب الرجل فيما قال ، قال : فقال حسان :

قد بينوا سنة للناس تتبع^(١)
تقوى الإله وكل الخير يضطلع
أو حاولوا النفع في أشياعهم فعموا
إن الخلائق فاعلم شرها للبدع
فكل سبق لأذنى سبقهم تبع
عند الدافع ولا يوهون ما رقعوا
أو وازنوا أهل مجد بالندى متموا^(٢)
لا يطبعون ولا يرديهم طمع^(٣)
ولا يمتسهم من مطمع طبع^(٤)
كما يدب إلى الوحشية الذرع^(٥)
إذا الزعانف من أظفارها خشعوا^(٦)
وإن أصيبوا فلا خور ولا هلع^(٧)
أند مجلية في أرتاغها فدع^(٨)
ولا يكن همك الأمر الذي ممنعوا^(٩)

إن الذوائب من فيهم وإخوانهم
يرضى بها كل من كانت سريره
قوم إذا حاربوا ضرروا عدوهم
سجية تلك منهم غير محدثة
إن كان في الناس سابقون بخدمهم
لا يرتفع الناس ما أوهت أكتفهم
إن سابقوا الناس يوماً فاز سبقهم
أعفة ذكرت في الوحي عنهم
لا يبتغون على جار بفضلهم
إذا نصبنا لحي لم ندب لهم
نمو إذا الحرب نالتنا مخالها
لا فخر إن هم أصابوا من عدوهم
كانهم في الوغى والموت مكتنع
خذ منهم ما أتوا عفواً إذا غضبوا

١٧١٥/١
١٧١٦/١

- (١) ديوانه ٢٤٨ ، ويريد بالذوائب ، السادة . (٢) متموا : زادوا .
(٣) لا يطبعون : لا يدنون .
(٤) الطبع : الدنس .
(٥) نصبنا : أظهرنا العداوة ولم نرها . والذرع : ولد البقرة الوحشية .
(٦) الزعانف : أطراف الناس وأتباعهم . وخشعوا : تذلقوا .
(٧) الخور : الضعفاء . والهلع : جمع هلع ؛ وهم الجازعون .
(٨) مكتنع : دان . وحلية : مأسدة باليمين . والأرساغ : جمع رسع ؛ وهو موضع القيد من الرجل . وفدع : اعوجاج إلى ناحية .
(٩) عفوا : من غير مشقة .

فإن في حربهم -- فاترك عدّ أوتهم
 شرّاً يُخاض^(١) عليه السمّ والسلم^(٢)
 أكرم بقوم رسول الله شيعتهم
 إذا تفرقت الأهواء والشيع
 أهدى لهم مدحتي قلب يوازيره
 فيما أحب لسان حائك صنع^(٣)
 فإنهم أفضل الأحياء كلهم
 إن جدّ بالناس جدّ القول أو شمعوا^(٤)

فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس : وأبي
 إن هذا الرجل لمؤتني^(٥) له ! لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر
 من شاعرنا ، وأصواتهم^(٦) أعلى من أصواتنا . فلما فرغ القوم أسلموا ، وجوزهم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن جوائزهم - وكان عمرو بن الأهم قد
 خلدته القوم في ظهرهم - فقال قيس بن عاصم - وكان يبغض عمرو بن الأهم :
 يا رسول الله ؛ إنه قد كان منا رجل في رحالنا وهو غلام حدث ، وأزرى به ،
 فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطى القوم ؛ فقال عمرو بن
 الأهم حين بلغه ذلك من قول قيس بن عاصم ، وهو يهجوه :

ظلمت مفترشاً هلباك تشتهني^(٧) عند الرسول فلم تصدق ولم تصب
 إن تبغضونا فإن الروم أضلكم والرؤم لا تمك البغضاء للعرب
 سُدنا فسوددنا عودٌ وسوددكم مؤخرٌ عند أصل العجب والذنب^(٨)

(١) يخاض يخلط . (٢) السلم : نبات مسموم .

(٣) صنع : يحسن القول ويجيده .

(٤) شمعوا : هزلوا ؛ وأصل الشمع اللهب والطرب . وقد أورد ابن هشام بعد هذا أبياتا أخرى
 للزبيرقان ، أنشدها في وفد بني تميم عند الرسول ، أولها :

أتيناك كما يعلم الناس فضلنا
 إذا احتفلوا عند احتضار المواضع

وأجابه حسان بأبيات أخرى أيضا ، أولها :

هل المجد إلا السودد العود والندى
 وجاه الملوك واحتمال العظام!

إلى آخر الأبيات . .

(٥) مؤتي له : موفق .

(٦) ابن هشام : « ولأصواتهم » .

(٧) ابن هشام « مفترش الهلباء » .

(٨) ابن هشام : ٣ : ٢٢٢ - ٢٢٧

حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان ، قال : فأنزل الله فيهم القرآن : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ﴾ - من بني نعيم - ﴿ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾^(١) ؛ قال : وهي القراءة الأولى^(٢) .

• • •

قال الواقدي : وفيها مات عبد الله بن أبي بن سلؤل ، مرضاً في ليالٍ بقين من شوال ، ومات في ذي الصعدة ، وكان مرضه عشرين ليلة .

• • •

[قدوم رسول ملوك حمير على رسول الله بكتابهم]

قال : وفيها قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب ملوك حمير في شهر رمضان مقرين بالإسلام ؛ مع ربه لهم الحارث بن عبد كلال ونعيم ابن عبد كلال ، والنعمان قبيل ذي رعين .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : تقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب ملوك حمير مقدمه من تبوك ورسولهم إليه بإسلامهم : الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال ، والنعمان قبيل ذي رعين ، وهمدان ومعاوية ؛ وبعث إليه زرعة ذو يزن مالك بن مرة الرهاوي بإسلامه ، ومفارتهم الشرك وأهله ، فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١٧١٨/١

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبي رسول الله إلى الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان^(٣) قبيل ذي رعين وهمدان ومعاوية ؛ أما بعد ذلكم ؛ فلإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد ؛ فإنه قد وقع بنا رسولكم مقلتنا^(٤) من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة ، فبلغ ما أرسلتم ،

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٧

(١) سورة الحجرات ٤ .

(٤) ابن هشام : ٥ منقلبنا .

(٣) ابن هشام : ٥ وإلى النعمان .

وخبَّرَ ما قبِلَكم ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ؛ وإنَّ الله قد هداكم بهدأته^(١) ، إنَّ أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغنم خمس الله ، وسهم نيته ووصيته ؛^(٢) وما كتَّيب على المؤمنين من الصدقة من العقار^(٣) عَشْرُ ما سَقَّت العين وما سَقَّت السماء ، وكلَّ ما سَقَى بالغَرْبِ^(٤) نصف العُشْر ، وفي الإبل في الأربعين ابنة لبون ، وفي ثلاثين من الإبل ابنُ لبون ذكراً ، وفي كلِّ خمس من الإبل شاة ، وفي كلِّ عشر من الإبل شاتان ، وفي كلِّ أربعين من البقر بقرة ، وفي كلِّ ثلاثين من البقر تسبيح ؛ جَدَعٌ أو جَدَعَةٌ ، وفي كلِّ أربعين من الغنم سائمة وحداهما ، شاة . وإنها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة ؛ فمن زاد خيراً فهو خيرٌ له ، ومنَّ أدَّى ذلك وأشهد على إسلامه وظاهر^(٥) المؤمنين على المشركين ؛^{١٧١٩/١} فإنه من المؤمنين ، له ما لهم وعليه ما عليهم ؛ وله ذمَّة الله وذمَّة رسوله . وإنه منَّ أسلم من يهودي أو نصراني فإنَّ له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ، ومنَّ كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يفتن^(٦) عنها ، وعليه الجزية ؛ على كلِّ حالم ذكر أو أنثى ، حرّاً أو عبداً ؛ دينار وافر أو قيمته من المعافر^(٧) أو عَرْضُهُ^(٨) ثياباً ؛ فمن أدَّى ذلك إلى رسول الله ؛ فإنَّ له ذمَّة الله وذمَّة رسوله ، ومنَّ منعه فإنه عدوٌّ لله ورسوله .

أما بعد ؛ فإنَّ رسولَ الله محمداً النبيَّ أرسلَ إلى زُرْعَةَ ذِي يَزَنَ أن إذا أتتكم^(٩) رُسُلِي فأوصيكم بهم^(١٠) خيراً : معاذ بن جبل ، وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة ، وعقبة بن نَمِير ، ومالك بن مُرَّة وأصحابهم ؛ وأن اجتمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفيكم وبلغوها^(١١) رُسُلِي ، وإنَّ أميرهم معاذ بن جبل ؛ فلا ينقلبن إلا راضياً .

- | | |
|--------------------------------|---|
| (١) ابن هشام : « بهداه » . | (٢) الصق : نصيب الرئيس من الفئمة . |
| (٣) العقار : الأرض التي تزرع . | (٤) الغرب : الدلو . |
| (٥) ظاهر : حاون وآزر . | (٦) ابن هشام : « لا يرد عنها » . |
| (٧) المعافر : ثياب اليمن . | (٨) ابن هشام : « أو عوضه » . |
| (٩) ابن هشام : « أناكم » . | (١٠) كذا في ابن هشام ، في ط : « بها » . |
| (١١) ابن هشام : « أبلغوها » . | |

أما بعد ؛ فإنّ محمداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ؛ ثم إن مالك بن مرة الرهاوي قد حدثني أنك أسأمت من أول حمير ، وقتلت المشركين فأبشر بخير ، وأمرك بحمير خيراً ، ولا تخونوا ولا تخذلوا فإنّ رسول الله مولى غنيكم وفقيركم ؛ وإنّ الصدقة لا تحلّ لمحمد ولا لأهله ؛ إنما هي زكاة يتزكّى بها على فقراء المؤمنين وأبناء السبيل ؛ وإنّ مالكم قد بلغ الخبر وحفظ الغيب ، وأمركم به خيراً ، وإنّني قد بعثت إليكم من صالحى أهلى وأولى دينى ^(١) ، وأولى علمهم ؛ فأمركم بهم خيراً فإنه منظور إليهم ؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ^(٢) .

١٧٢٠/١

• • •

قال الواقدي : وفيها قدم وفدٌ بهراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر رجلاً ، ونزلوا على المقداد بن عمرو .

قال : وفيها قدم وفد بني البكّاء .

وفيها قدم وفد بني فزارة ؛ وهم بضعة عشر رجلاً ، فيهم خارجة بن حصن .

قال : وفيها نعتى رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين النجاشي ، وأنه مات في رجب سنة تسع .

قال : وفيها حجّ أبو بكر بالناس ثم خرج أبو بكر من المدينة في ثلثائة ، وبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرين بدنة ، وساق أبو بكر خمس بدنات . وحجّ فيها عبد الرحمن بن عوف وأهدى .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب عليه السلام على أثر أبي بكر رضى الله عنه ، فأدركه بالعرج ، فقرأ على عليه براءة يوم النحر عند العقبة . فحدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ؛ عن السدي ، قال : لما نزلت هذه الآيات إلى رأس الأربعين

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٦ .

(١) ابن هشام : ٥ دينهم .

— يعنى من سورة براءة — فبعث بن رسول الله مع أبى بكر ، وأمره على الحج ، ١٧٢١/ ١
 فلما سار فبلغ الشجرة من ذى الخليفة أتبعه بطلبي ، فأخذها منه ، فرجع
 أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، بأبى أنت وأُمى
 أنزل فى شأنى شيء ؟ قال : لا ، ولكن لا يبلغ عنى غيرى أو رجل منى .
 أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معى فى الغار ، وأنتك صاحبى على الخوض !
 قال : بلى يا رسول الله . فسار أبو بكر على الحج ، وسار على يؤذن براءة ،
 فقام يوم الأضحى فأذن فقال : لا يقربن المسجد الحرام مشرك بعد عامه
 هذا ، ولا يطوفن بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فله
 عهده ^(١) إلى مدته ، وإن هذه أيام أكل وشرب ، وإن الله لا يدخل الجنة
 إلا من كان مسلماً . فقالوا : نحن نبرأ من عهدك وعهد ^(٢) ابن عمك إلا
 من الطعن والضرب .

فرجع المشركون فلام بعضهم بعضاً ، وقالوا : ما تصنعون وقد أسلمت
 قريش ! فأسلموا ^(٣) .

حدثنى الحارث بن محمد ، قال : حدثنا عبد العزيز بن أبان ، قال :
 حدثنا أبو معشر ، قال : حدثنا محمد بن كعب القرظى وغيره ، قالوا : بعث
 رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميراً على التويم سنة تسع ، وبعث
 على بن أبى طالب بثلاثين أو أربعين آية من براءة ، فقرأها على الناس ، يؤجل
 المشركين أربعة أشهر يسبيحون فى الأرض ، فقرأ عليهم براءة يوم عرفة ،
 أجل المشركين عشرين يوماً من ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول
 وعشراً من ربيع الآخر ، وقرأها عليهم فى منازلهم ، ولا يحجتن بعد عامنا هذا
 مشرك ، ولا يطوفن بالبيت عريان ^(٤) .

قال أبو جعفر : وفى هذه السنة فرضت الصدقات ، وفرق فيها رسول ١٧٢٢/ ١
 الله صلى الله عليه وسلم عماله على الصدقات .

(١) س : « فعهده » .
 (٢) التفسير : « أو عهد » .
 (٣) الخبر فى التفسير ١٤ : ١٠٩ .
 (٤) الخبر فى التفسير ١٤ : ١٠٠ .

وفيهما نزل قوله : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴾^(١) ؛ وكان السبب الذي نزل ذلك به قصة أمر ثعلبة بن حاطب ، ذكر ذلك أبو أمامة الباهلي^(٢) .

قال الواقدي : وفي هذه السنة ماتت أم كلثوم ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان ، وغسلتها أسماء بنت عميس وشفية بنت عبد المطلب . قال : وقيل غسلتها نسوة من الأنصار ، فيهن امرأة يقال لها أم عطية ، ونزل في حفرها أبو طلحة .

قال : وفيها قدم وفد ثعلبة بن منقذ .

• • •

[قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بني سعد]

وفيهما قدم وفد سعد هذيم . حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني سلمة بن كهيل ومحمد بن الوليد بن نويفع ، عن كريب مولى ابن عباس ، عن عبد الله بن عباس ، قال : بعث بنو سعد بزكر ضمام بن ثعلبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم عليه ؛ فأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقّله ، ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه ، وكان ضمام بن ثعلبة رجلاً جليلاً أشعر ذا غديرتين ، فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ قال : قال رسول الله : أنا ابن عبد المطلب ، قال : محمد^(٣) ؟ قال : نعم ، قال : يا ابن عبد المطلب ، إني سائلك ومغليظ لك^(٤) في المسألة ، فلا تجدن في نفسك اقال : لا أجيد في نفسي ، فسئل عما بدا لك ، قال : أنشدك بالله^(٥) إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك ، آله بعثك إلينا رسولاً ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فأنشدك بالله إلهك وإله من كان

١٧٢٣/١

(٢) أسباب النزول للواحدى ١٨٩ ، ١٩٠ .

(١) سورة التوبة ١٠٣ .

(٣) ابن هشام : أحمد ؟ .

(٤) ابن هشام : أنشدك الله .

(٤) ابن هشام : عليك .

قبلك وإله من هو كائن بعدك ، آله أمرك أن تأمرنا أن نعبدُه وَحْدَه ،
 ولا نشرك به شيئاً ، وأن نخلع هذه الأنداد التي كانت آباؤنا تعبد من دونه (١) ؟
 قال : اللهم نعم ، قال : فأشهدك بالله إلهك وإله من كان قبلك وإله
 من هو كائن بعدك ، آله أمرك أن تأمرنا أن نُصَلِّيَ هذه الصلوات الخمس ؟
 قال : اللهم نعم . قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة ؛
 الزكاة ، والصيام ، والحج ، وشرائع الإسلام كلها ، يناشده عن كل فريضة
 كما ناشده في التي قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإني أشهدُ أن لا إله إلا الله
 وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، وسأؤدِّي هذه الفرائض
 وأجتنب ما نهيتني عنه ، ثم لا أنقص ولا أزيد . ثم انصرف إلى بعيه راجعاً (٢) .
 فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين ولّى : إن صدق ذو العقيبين (٣)
 يدخل الجنة . قال : فأتى بعيه فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدم على قومه ،
 فاجتمعوا إليه ، فكان أول ما تكلم به أن قال : باست اللات والعزى ! قالوا :
 مه يا ضمام ! اتق البرص ، اتق الجذام ، اتق الجنون ! قال : وَيُحْكَمُ (٤) ،
 لئِنهما والله لا ينفعان ولا يضران ؛ إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتاباً ،
 استنقذكم به مما كنتم فيه ؛ وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛
 وأن محمداً عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه .

١٧٢٤/١

قال : فوالله ما أمسى ذلك اليوم في حاضره (٥) رجل ولا امرأة إلا مساماً . قال :
 يقول ابن عباس : فما سمعنا بوفيد قومٍ كان أفضل من ضمام بن ثعلبة (٦) .

(١) ابن هشام : « يعبدون معه » .
 (٢) من ابن هشام .
 (٣) المقيصة : الضفيرة من الشعر .
 (٤) ابن هشام : « ويلكم » .
 (٥) الحاضر : الحى .
 (٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

ثم دخلت سنة عشر

[سرية خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب وإسلامهم]

قال أبو جعفر : فبعث فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالدَ بن الوليد في شهر ربيع الآخر - وقيل في شهر ربيع الأول ، وقيل في جمادى الأولى - سريةً في أربعمائة إلى بني الحارث بن كعب .

فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابنُ إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالدَ ابن الوليد في شهر ربيع الآخر - أو في جمادى الأولى - من سنة عشر ، إلى بلحارث بن كعب بنجران ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً ، فإن استجابوا لك فاقبل منهم ، وأقيم فيهم ، وعلمهم كتابَ الله وسنة نبيه ، ومعالم الإسلام ، فإن لم ينعوا فقاتلهم .

فخرج خالدٌ حتى قدم عليهم ، فبعث الركباني يضربون في كل وجه ، ويدعون الناس إلى الإسلام ، ويقولون : يا أيها الناس أسلموا تسلموا . فأسلم الناس ، ودخلوا فيما دعاهم إليه ، فأقام خالد فيهم ، يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه .

ثم كتب خالدٌ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم .
 ١٧٢٥/١ محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد ، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ؛ فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ؛ أما بعد يا رسول الله صلى الله عليك ؛ بعثتني إلى بني الحارث بن كعب ، وأمرتني إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعوهم إلى الإسلام ؛ فإن أسلموا قبلت منهم وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم . وإني قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثت فيهم ركبانا [قالوا] (١) : يا بني الحارث ، أسلموا

(١) من ابن هشام .

تَسَلَّمُوا، فَاسَلَّمُوا وَلَمْ يِقَاتِلُوا، وَأَنَا مُقِيمٌ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ وَأَمْرِهِمْ بِمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ، وَأَنَّهُمْ عَمَّا نَهَاهُمُ اللَّهُ عَنْهُ؛ وَأَعَاتَمَهُمْ مَعَالِمُ الْإِسْلَامِ وَسُنَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَكْتُبَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

فَكُتِبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ مُحَمَّدِ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ . سَلَامٌ عَلَيْكَ ، فَإِنَّ أَحْمَدَ اللَّهِ إِلَيْكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ؛ أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ كِتَابَكَ جَاءَنِي مَعَ رِسَالِكَ بِخَبْرٍ أَنَّ بَنِي الْحَارِثِ قَدْ أَسْلَمُوا قَبْلَ أَنْ يِقَاتِلُوا^(١) ، وَأَجَابُوا إِلَى مَا دَعَوْتَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ وَشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَنْ قَدْ هَدَاهُمُ اللَّهُ بِهَدَاهِ ؛ فَبَشِّرْهُمْ وَأَنْذِرْهُمْ ، وَأَقْبِلْ وَلِيُقْبِلَ مَعَكَ وَفِدَاهُمْ ؛ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

فَأَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَقْبَلَ مَعَهُ وَفِدَاهُ بِلِحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ؛ فِيهِمْ قَيْسُ بْنُ الْحُصَيْنِ بْنِ يَزِيدِ بْنِ قَتَانِ ذِي الْغُصَّةِ ، وَيَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَّانِ ، وَيَزِيدُ بْنُ الْمُحَجَّجَلِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُرَيْظٍ^(٢) الْزِيَادِيُّ ؛ ١٧٢٦/٨ وَشَدَّادُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَتَانِيُّ ، وَعَمْرُو بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الضَّبَّابِيُّ .

فَمَا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَأَاهُمْ قَالَ : مَنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانَتْهُمْ رِجَالُ الْهِنْدِ ؟ قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَؤُلَاءِ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ ؛ فَلَمَّا وَقَفُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلُوا عَلَيْهِ ، فَقَالُوا : نَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ ، وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ . ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَنْتُمْ الَّذِينَ إِذَا زُجِرُوا اسْتَقْدَمُوا ! فَسَكْتُوا ؛ فَلَمْ يَرَا جَعَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، ثُمَّ أَعَادَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الثَّانِيَةَ ، فَلَمْ يَرَا جَعَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، ثُمَّ أَعَادَهَا رَسُولُ اللَّهِ الثَّلَاثَةَ فَلَمْ يَرَا جَعَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، ثُمَّ أَعَادَهَا رَسُولُ اللَّهِ الرَّابِعَةَ ، فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَدَّانِ : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، نَحْنُ الَّذِينَ إِذَا زُجِرْنَا اسْتَقْدَمْنَا ، فَقَالَهَا أَرْبَعَ مَرَّاتٍ^(٣) ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْ أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ لَمْ يَكْتُبْ إِلَيَّ فَيَكْتُبُ إِلَيْكُمْ

(١) ابن هشام : « تقاتلهم » . (٢) ابن هشام : « قراد » .

(٣) ابن هشام : « قالها أربع مرار » .

أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رهوسكم تحت أقدامكم . فقال يزيد بن عبد المدان : أمّا والله يا رسول الله ، ما حميدناك ولا حمدنا خالدًا ، فقال رسول الله : فمن حميدتم؟ قالوا : حميدنا الله الذي هدانا بك [يا رسول الله] (١) ؛ قال : صدقتم ؛ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية؟ قالوا : لم نكن نغلب أحداً ، فقال رسول الله : بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم ، قالوا : يا رسول الله ، كنا نغلب من قاتلنا ، أننا كنا بنى عبيد ، وكنا نجتمع ولا نتفرق ، ولا نبداً أحداً بظلم ، قال : صدقتم . ثم أمر رسول الله على بلحارث بن كعب قيس بن الحصين . فرجع وفد بلحارث ابن كعب إلى قومهم في بقية شوال أو في صدر ذي القعدة ، فلم يمكثوا بعد أن قدموا إلى قومهم إلا أربعة أشهر، حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) .

١٧٢٧/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى بنى الحارث بن كعب بعد أن ولّى وفدهم عمرو بن حزم الأنصاري ، ثم أحد بنى التجار، ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه ، وأمره فيه بأمره : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا بيان من الله ورسوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (٣) ؛ عقد من محمد النبي لعمر بن حزم حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله في أمره كله ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمر به الله وأن يبشّر الناس بالخير ، ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم في الدين ، وينهى الناس ولا يمسه أحد القرآن إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذي لهم ؛ وبالذي عليهم ؛ ويلين للناس في الحق ، ويشدد عليهم في الظلم ؛ فإن الله عز وجل كره الظلم ونهى عنه وقال : ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (٤) ، ويبشّر الناس بالجنة ويعملها ، ويُنذر بالنار

(١) من ابن هشام .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

(٣) سورة المائدة ١٨

(٤) سورة المائدة ١٨

وبعملها ، ويستألف الناس حتى ينفقوها في الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته ، وما أمر الله به في الحج الأكبر والحج الأصغر ؛ وهو العمرة ، وينهى الناس أن يصاى أحد في ثوب واحد صغير ؛ إلا أن يكون ثوباً واحداً يثنى طرفه على عاتقه ، وينهى أن يحتببى أحد في ثوب واحد يقضى بفرجه إلى السماء ، وينهى ألا يعقص أحد شعر رأسه إذا عفا في قفاه ، وينهى إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ؛ وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له ؛ فمن لم يدع إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطعوها بالسيف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوهمهم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ، ويمسحون براءوسهم كما أمرهم الله عز وجل ، وأمره بالصلاة لوقتها ، وإتمام الركوع والخشوع ، ويغتسل بالفجر ، ويهجر بالهاجرة حين تَمِيل الشمس ، وصلاة العصر والشمس في الأرض مدبرة ، والمغرب حين يقبل الليل ؛ لا تؤخر حتى تبدو النجوم في السماء ، والعشاء أول الليل . ويأمر بالسعى إلى الجمعة إذا نودى لها ، والغسل عند الرواح إليها ، وأمره أن يأخذ من المغنم خمس الله وما كتب على المؤمنين في الصدقة من العقار عشر ما سقى البعل وما سقت السماء ومما سقى الغرب نصف العشر ، وفي كل عشر من الإبل شاتان ، ١٧٢٨/١ وفي كل عشرين من الإبل أربع شياه ، وفي كل أربعين من البقر بقرة ، وفي كل ثلاثين من البقر تببيع جندع أو جنداعة ، وفي كل أربعين من الغنم سائمة شاة ؛ فإنها فريضة الله التي افترض الله عز وجل على المؤمنين في الصدقة ؛ فمن زاد خيراً فهو خير له ، وأنه ممن أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاماً خالصاً من نفسه ، ودان دين الإسلام فإنه من المؤمنين ؛ له مثل ما هم وعليه مثل ما عليهم ؛ ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يُفستن عنها ، وعلى كل حالم ذكر أو أنثى ، حر أو عبد ، دينار وافر أو عترضه^(١) ثياباً ؛ فمن أدنى ذلك ؛ فإن له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منع ذلك فإنه عدو لله ورسوله وللمؤمنين جميعاً^(٢) .

(١) ابن هشام : « أو عوضه » . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

• • •

قال الواقدي : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرو بن حزم عامه
بندجران .

• • •

قال الواقدي : وفي هذه السنة قدم وفد سلمان في شوال على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وهم سبعة نفر ؛ رأسهم حبيب السلمي .
وفيها قدم وفد غسان في رمضان .
وفيها قدم وفد غامد في رمضان .

• • •

[قدوم وفد الأزد]

وفيها قدم وفد الأزد ، رأسهم صرد بن عبد الله في بضعة عشر . فحدثنا
ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن
عبد الله بن أبي بكر ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم صرد
ابن عبد الله الأزدي فأسلم فحسن إسلامه ، في وفد من الأزد ، فأمره رسول
الله على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بمن أسلم من أهل بيته المشركين
من قبائل اليمن ، فخرج صرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله في جيش حتى
نزل بجرش ؛ وهي يومئذ مدينة مغلّمة ، وفيها قبائل اليمن ، وقد ضوت إليهم
خشع ، فدخلوا معهم حين سمعوا بمسير المسلمين ، فحاصروهم بها قريباً من
شهر ، وامتنعوا منهم فيها . ثم إنه رجع عنهم قافلاً ؛ حتى إذا كان إلى جبل يقال
له « كشر »^(١) ظن أهل جرّش أنه إنما ولّى عنهم منهزماً ؛ فخرجوا في طلبه ؛
حتى إذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلاً ؛ وقد كان أهل جرّش قد بعثوا
رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة يرتادان وينظران ؛
فبينما هما عند رسول الله عشية بعد العصر ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : بأي بلاد الله شكركم ؟ فقام الجرشيةان فقالا : يا رسول الله ؛ ببلادنا جبل

(١) ابن هشام : « شكر » .

يقال له جبل كَثْر ؛ وكذلك تسميه أهل جرش ، فقال : إنه ليس بكثْر ؛ ولكنه « شكر » قالا : فإله يا رسول الله ؛ قال : إن بُدِنَ الله امتُنَحَرَ عنده الآن . قال فجلس الرَّجُلَانِ إلى أبي بكر وإلى عثمان ، فقال لهما : ويحكما ! إن رسول الله الآن لينزعني لكما قومكما^(١) ، فقوموا إلى رسول الله فاسألاه أن يدعو الله فيرفع عن قومكما ، فقاما إليه فاسألاه ذلك ، فقال : اللهم ارفع عنهم ؛ فخرجا من عند رسول الله راجعين إلى قومهما ، فوجدا قومهما أصيبوا يوم أصابهم صُرْدُ بن عبد الله في اليوم الذي قال فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما قال ؛ وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر ؛ فخرج وفدُ جرش حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا ، وحميتي لهم حميتي حول قريتهم ١٧٣١/١ على أعلام معلومة للفرس ، وللراحلة ، وللمثيرة تُشير^(٢) الحرث ؛ فَمَنْ رعاها من الناس سوى ذلك فإله سُحِتْ ، فقال رجل من الأزد في تلك الغزوة - وكانت خثعم تصيب من الأزد في الجاهلية وكانوا يغزون^(٣) في الشهر الحرام :
ياغزوةَ ما غزونا غيرَ خائبةٍ فيها البغالُ وفيها الخيلُ والحمرُ
حتى أتينا حميراً في مصانيعها وجمعَ خثعمَ قد ساغت لها النذرُ^(٤)
إذا وضعتُ غليلاً كنت أحمله فما أبالي أَدانوا بعدُ أم كَفَرُوا !^(٥)

• • •

[سرية علي بن أبي طالب إلى اليمن]

قال : وفيها وجّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب في سرية إلى اليمن في رمضان . فحدثنا أبو كريب ومحمد بن عمرو بن هيثج ، قالا : حدثنا يحيى بن عبد الرحمن الأزجعي ، قال : حدثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ، قال : بعث

(١) أي يخبركما بقتلهم . (٢) ابن هشام : « بقرة الحرث » .

(٣) ابن هشام : « يعدون » ، أي يعتدون .

(٤) المصانع : القرى والحصون والأبنية الضخمة . ساغت : ذاعت وانتشرت .

(٥) الغليل : حرارة الجوف من عطش أو نحوه . ودانوا : خضعوا . والخبرة في سيرة ابن

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام فكنت فيمن سار معه ؛ فأقام عليه ستة أشهر لا يجيبونه إلى شيء ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ، وأمره أن يُقْفِلَ خالدًا ومَنْ معه ، فإن أراد أحدٌ ممن كان مع خالد بن الوليد أن يعقب معه تركه . ١٧٣٢/١

قال البراء : فكنت فيمن عقب معه ؛ فلما انتهينا إلى أوائل اليمن ، بلغ القوم الخبر ، فجمعوا له ، فصلى بنا على الفجر ، فلما فرغ صَفْنَا صَفًّا واحداً ، ثم تقدم بين أيدينا ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمت هَمْدَانُ كُلُّهَا في يوم واحد ، وكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قرأ كتابه خَرَّ ساجداً ، ثم جلس ، فقال : السلام على هَمْدَانِ ، السلام على هَمْدَانِ ! ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام .

• • •

[قدوم وفد زُبَيْد]

قال أبو جعفر : وفيها قدم وفدُ زُبَيْدٍ على النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامهم . فحدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زُبَيْدٍ ، فأسلم ، وكان عمرو بن معد يكرب قد قال لقيس بن مكشوح المرادي حين انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا قيس ؛ إنك سيد قومك اليوم ؛ وذكّر لنا أن رجلاً من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقول : نبي ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم عِدَّتَهُ ؛ فإن كان نبياً كما يقول ؛ فإنه لا يخون^(١) عليك . إذا لقيناه اتبعناه^(٢) ؛ وإن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه ذلك قيس بن مكشوح وسقته رأي .

(٢) ابن هشام : وإذا اتبعناه اتبعناه .

(١) ابن هشام : « لن يخون » .

فركب عمرو بن معد يكرب حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصدقه وآمن به ؛ فلما بلغ ذلك قيساً أوعد عمراً ، وتحفظ عليه (١) ، وقال :
خالفي وترك رأبي ! فقال عمرو في ذلك :

١٧٢٢/١

أمرتك يومَ ذي صنعا ، أمراً بادياً رَشْدُهُ
أمرتك باتِّسَاءِ ألدِّ ، والمعروف تاتعدُهُ (٢)
خَرَجْتَ مِنَ الْمَنَى مِثْلَ ۥ ۥ حِمَارِ أَعَارَهُ وَتَدُهُ (٣)
تَمَنَّانِي عَلَى فَرَسٍ ۥ عَلَيْهِ جَالِسًا أَسَدُهُ
عَلَى مُفَاضَةٍ كَالنَّهْرِ ۥ فِي أَخْلَصَ مَاءَهُ جَدَدُهُ (٤)
تَرَدُّ الرُّمَحِ مِثْنِي ۥ ۥ سَنَانِ عَوَائِرٍ أَقْصَدُهُ (٥)
فَلَوْ لَا قَيْتَنِي لَأَقْبَ ۥ ت لَيْثًا فَوْقَهُ لِبَدُهُ (٦)
تَلَاقِي شَنْبًا شَنْ ۥ ۥ بَرَاثِنِ نَاشِرًا كَتَدُهُ (٧)
يُسَامِي الْقِرْنَ إِنْ قِرْنَ ۥ ۥ تَيْمَةً فَيَعْتَضِدُهُ (٨)
فَيَأْخُذُهُ فَيَرْفَعُهُ ۥ ۥ فَيَخْفِضُهُ فَيَقْتَصِدُهُ (٩)
فَيَدْمَغُهُ فَيَحْطِمُهُ ۥ ۥ فَيَخْضِيهِ فَيَزْدَرِدُهُ (١٠)
ظَلُومُ الشُّرْكِ فِيمَا أَحْ ۥ رَزَتْ أَيْسَابُهُ وَيَدُهُ

(١) ابن هشام : « تحطم عليه » ، أى اشتد .

(٢) فى ابن هشام : « تتعدهُ » .

(٣) ابن هشام : « مثل الحمير غره وتده » .

(٤) الدرع المفاضة : الواسعة . والنهى : الغدير من الماء . والجدد : الأرض الصلبة .

(٥) عوائير : متطايرة . والقصد : جمع قصدة ؛ وهى ما يكسر من الرمح .

(٦) اللبد : جمع لبدة ، وهى ما على كنفى الأسد ورأسه من الشعر .

(٧) الشنبث : الذى يتعلق بقرنه ولا يزايله . والشن : الغليظ الأصابع ، والبراثن للسباع

بمزالة الأصابع للإنسان . وناشر : مرتفع . والكتد : ما بين الكتفين .

(٨) يعتضده : يأخذه تحت عضده ليصرعه .

(٩) يقتصده : يقتله .

(١٠) يدمغه : يذهب . ويحطمه : يكسره . ويخضيه : يأكله .

متى ما ينفذ أو يُفدى به فقبوله برده^(١)
 فيخطر مثل خطر الفح ل فوق جرائه زبده
 فأمسى يعتريه من ال بعوض ممنعاً بلده
 فلا تتمنى وتسن غزى لنا كتده
 وبوئني له وطناً^(٢) كثيراً حوله عدده

١٧٣٤/١

قال : فأقام عمرو بن معد يكرب في قومه من بني زبيد ؛ وعليهم فروة
 ابن مسيک المرادى ، فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو
 فقال حين ارتد :

وجدنا ملك فروة شر ملك
 حماراً ساف منخره بقدر^(٣)
 وكنت إذا رأيت أبا عمير
 ترى الحولاء من خبث وغدر^(٤)

. . .

[قدوم فروة بن مسيک المرادى]

وقد كان قدم على رسول الله في هذه السنة—أعنى سنة عشر—قبل قدوم عمرو
 ابن معد يكرب، فروة بن مسيک المرادى مفارقاً لملوك كندة . فحدثنا ابن
 حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ،
 قال : قدم فروة بن مسيک المرادى على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقاً
 لملوك كندة ، ومعانداً لهم ؛ وقد كان قبيل الإسلام بين مراد وهمدان
 وقعة أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا ؛ حتى أثنوهم^(٥) في يوم كان
 يقال له الرزم ؛ وكان الذي قاد همدان إلى مراد الأجدع بن مالك ،
 ففضحهم يومئذ ، وفي ذلك يقول فروة بن مسيک :

(١) من هذا البيت إلى آخر القصيدة مما لم يذكر في سيرة ابن هشام .

(٢) ط : « وثوى » .

(٣) ساف : شم . وفي ابن هشام : « بشفر » . عن أبي عبيدة .

(٤) الحولاء : جلدة ماؤها أخضر تخرج مع الولد وفيها أغراس وعروق وخطوط خضر وحمير .

والخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٤ .

(٥) أثنوهم : أكثروا القتل فيهم والجراحات .

١٧٣٥/١

فَإِنْ تَغَلَّبَ فغَلَّابُونَ قِدَمًا
وَإِنْ نَقُتِلَ فَلَا جُنَّ وَلَكِنْ
كَذَلِكَ الدَّهْرُ دَوْلَةٌ سِجَالٌ
فَبَيْنَاهُ يُسْرُّ بِهِ وَيَرْضَى
إِذَا انْقَلَبَتْ بِهِ كِرَاتُ دَهْرِ
وَمَنْ يُغَبِّطْ بِرَيْبِ الدَّهْرِ مِنْهُمْ
فَلَوْ خَلَدَ الْمَلُوكُ إِذَا خَلَدْنَا
فَأَفْنَى ذَاكُمْ سَرَوَاتُ قَوْمِي
وَإِنْ نُهَزَمَ فغَيْرُ مَهْزَمِينَا (١)
مَنَايَا وَطُعْمَةٌ آخِرِينَا (٢)
تَكَرَّرُ صُرُوفُهُ حِينًا فَحِينًا (٣)
وَلَوْ لُبِسَتْ غَضَارَتُهُ سِنِينًا (٤)
فَأَلْفَى لِلأُولَى غَبَطُوا طَحِينًا (٥)
يَجِدُ رَيْبَ الزَّمَانِ لَهُ خَوْوُنَا
وَلَوْ بَقِيَ الكِرَامُ إِذَا بَقِينَا
كَأَفْنَى القُرُونِ الأُولِينَا (٦)

ولما توجه فروة بن مسيبك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقاً للملوك
كيندة قال :

لَمَّا رَأَيْتُ مَلُوكَ كِنْدَةَ أَعْرَضْتَ كَالرَّجُلِ خَانَ الرَّجُلَ عِرْقُ نَسَائِهَا (٧)
يَمَّتْ رَاحَتِي أَوْمٌ مُحَمَّدًا أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحَسَنَ ثَرَائِهَا

قال : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له رسول الله - فيما
بلغني : يا فروة ، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرزم (٨) ؟ فقال :
يا رسول الله ، ومن ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الرزم ؛ لا يسوءه

(١) ابن هشام : « وإن تغلب فغير مغلبينا » .

(٢) رواية ابن هشام : « وما إن طبناجين ولكن » ، قال في اللسان : « طبنا ، يجوز أن يكون
معناه : ما دهرنا وشأننا وعادتنا ، ومعنى هذا الشعر : إن كانت همدان ظهرت علينا في يوم الردم فغلبنا
فغير مغلبين ، والمغلب : الذي يغلب مرارا ؛ أي لم تغلب إلا مرة واحدة » .

(٣) سجال من المساجلة ؛ وأصله في البئر يستق هذا مرة وهذا مرة ؛ والمعنى هنا يكون تارة
للإنسان وتارة عليه .

(٤) غضارة الشيء : طراوته . (٥) غبطوا : حسنت حالتهم .

(٦) سروات الناس : أشرافهم .

(٧) النسا : عرق مستبطن في الفخذ ؛ وهو مقصور ومده للشعر .

(٨) ابن هشام : « الردم » .

ذلك ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أما إنَّ ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً . فاستعمله رسولُ الله على مُراد وزُبَيْدٍ ومَذْحِجٍ كلِّها ؛ وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصَّدَاقَةِ ، وكان معه في بلاده حتى تُرْفِي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم^(١) .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ وسفيان بن وكيع ، قالا : حدَّثنا أبو أسامة ، قال : أخبرنا مجالد ، قال : حدَّثنا عامر ، عن فَرْوَةَ بن مُسَيْك ، قال : قال رسول الله : أكرهت يومك ويوم هَمْدَانَ ؟ فقلت : إى والله ! أفنى الأهل والعشيرة ؛ فقال : أما إنه خيرٌ لمن بى .

• • •

[قدوم الجارود في وفد عبد القيس]

وفيها قَدِمَ وفد عبد القيس ، فحدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قَدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارودُ بن عمرو بن حنَّش بن المعلتي ، أخو عبد القيس في وفد عبد القيس وكان نصرانياً .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار، عن الحسن ، قال : لما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه ؛ فعرض عليه الإسلام ، ودعاه إليه ، ورضَّبه فيه ، فقال : يا محمد ، إني قد كنت على دين ؛ وإني تاركٌ ديني لدينك ؛ فتضمن^(٢) لي ديني ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا ضامنٌ لك أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه . قال : فأسلم وأسلم معه أصحابه ، ثم سألوا رسولَ الله الحُمْلان ؛ فقال : والله ما عندي ما أحْمِلُكم عليه ، فقالوا : يا رسولَ الله ، إنَّ بيننا وبين بلادنا ضَوَالٌ من ضوالِّ الناس ؛ أفنتبِّغُ عليها إلى بلادنا ؟ قال : إياكم وإياها ؛ فإنما ذلك حَرَقُ النار . قال : فخرج من عنده الجارود راجعاً إلى قومه - وكان حسنَ الإسلامِ صُلْباً على دينه - حتى هلك ؛ وقد أدرك الرُّدَّةَ ،

١٧٣٧/١

(٢) ابن هشام : هفتضمن ؟ .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٤ .

فلما رجع من قومه منّ° كان أسلم منهم إلى دينهم الأول مع الغرور^(١)، المنذر ابن النعمان بن المنذر ، أقام الجارود فشهد شهادة الحق ودعا إلى الإسلام ، فقال : يا أيها الناس ؛ إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأنهى منّ° لم يشهد^(٢) .

وقد كان رسول الله بعث العلاء بن الحضرمي قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوي العبدي ، فأسلم فحسن إسلامه ؛ ثم هلك بعد وفاة رسول الله ، وقبل ردة أهل البحرين ، والعلاء أميرٌ عنده لرسول الله على البحرين^(٣) .

• • •

[قدوم وفد بني حنيفة ومعهم مسيلمة]

وفيها قدم وفد بني حنيفة ؛ حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني حنيفة ؛ فيهم مسيلمة بن حبيب الكذاب ، فكان منزله في دار ابنة الحارث ؛ امرأة من الأنصار ، ثم من بني النجار .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني بعض علمائنا من أهل المدينة ، أن بني حنيفة أتت بمسيلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تستره بالثياب ، ورسول الله جالس في أصحابه ، ومعه عسيب^(٤) من سَعَف النَّخْلِ ، في رأسه خوصات ، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يسترونه بالثياب ، كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله : لو سألتني هذا العسيب الذي في يدي ما أعطيتك !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ؛ عن شيخ من بني حنيفة من أهل اليمامة ، قال : كان حديث مسيلمة على غير هذا ؛

(١) قال السهيلي : « إنما سمي الغرور لأنه غر قومه في تلك الردة ، أو غرره واستعانوا به على حربهم فقتل هناك » .

(٢) ابن هشام : « وأكفر من لم يشهد » . قال : ويروى : « وأكنى من لم يشهد » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٠ .

(٤) العسيب : جريد النخل .

زعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلصوا مسيلمة في رحالهم ؛ فلما أسلموا ذكروا له مكانه ؛ فقالوا : يا رسول الله ؛ إنا قد خلفنا صاحبنا لنا في رحالنا وركابنا يحفظهما لنا . قال : فأمر له رسول الله بمثل ما أمر به للقوم ؛ وقال : أما إنه ليس بشركم مكانا ، يحفظ ضيعة أصحابه ؛ وذلك [الذي] ^(١) يريد رسول الله . قال : ثم انصرفوا عن رسول الله وجاءوا مسيلمة بما أعطاه رسول الله ؛ فلما انتهى إلى البهامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذب لهم ، وقال : إني قد أشركت في الأمر معه ، وقال لوفده : ألم يقل لكم رسول الله حيث ذكرتموني : « أما إنه ليس بشركم مكانا ! ما ذلك إلا لما كان يعلم أني قد أشركت معه ؛ ثم جعل يسجع السجعات ^(٢) ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة ^(٣) للقرآن : « لقد أنعم الله على الحبلي ، أخرج منها نسمة تسعني ، من بين صفاق ^(٤) وحشي » ، ووضع عنهم الصلاة ؛ وأحل لهم الخمر والزنا ، ونحو ذلك . فشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نبي ^(٥) ، فأصفت ^(٦) بنو حنيفة على ذلك ، فالله أعلم أي ذلك كان ^(٧) .

• • •

[قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة]

قال أبو جعفر : وفيها قدم وفد كندة ؛ رأسهم الأشعث بن قيس الكندي ؛ فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهري ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعث ابن قيس في ستين راكباً من كندة ، فدخلوا على رسول الله مسجدة ، وقد

(١) من سيرة ابن هشام . (٢) ابن هشام : « الأساجيع » .

(٣) مضاهاة : مشابهة . (٤) الصفاق : مارق من البطن .

(٥) ابن هشام : « وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبي » .

(٦) أصفقتوا على ذلك : أجمعوا عليه .

(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٠ ، ٣٤١ .

رَجَلُوا جُمَمَهُمْ^(١) ، وتكحلتوا ، عليهم جُبَّيب الحَبِيرة ؛ قد كَفَفُوها^(٢) بالحرير ؛ فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ألم تساموا ؟ قالوا : بلى ، قال : فما بال هذا الحرير في أعناقكم ؟ قال : فشَقَّوه منها فألقوه ، ثم قال الأشعث : يا رسول الله ؛ نحن بنو آكل^(٣) المرار ، وأنت ابن آكل المرار ، فتبسّم رسول الله ، ثم قال : ناسبوا بهذا النسب العباس ابن عبد المطلب وربيعه بن الحارث . قال : وكان ربيعة والعبّاس تاجيرين ؛ فكانا إذا ساحا في أرض العرب فسئلا منّهما ؛ قالوا : نحن بنو آكل المرار ؛ يتعزّزان بذلك ؛ وذلك أن كِنْدَةَ كانت ملوكًا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن بنو النَّضْر بن كنانة لا نَقْفُو أمنا^(٤) ، ولا ننتقى من أبينا . فقال الأشعث بن قيس : هل عرفتم يا معشر كندة ! والله لا أسمع رجلاً قالها بعد اليوم إلا ضربته حدّه^(٥) ثمانين .

• • •

قال الواقدي : وفيها قدم وفد محارب

وفيها قدم وفد الرهاويين .

وفيها قدم وفد العاقب والسيد من نجران ، فكتب لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح .

١٧٤٠/١

قال : وفيها قدم وفد عبّس .

وفيها قدم وفد صدّيف ، وافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة

الوداع .

(١) رجلوا : سرحوا ومشطوا . والجَم : جمع جمة ؛ وهي مجتمع شعر الناصية الذي يصل إلى المنكبين .

(٢) كَفَفُوها : جعلوا لها حجفا من حرير .

(٣) قال ابن هشام : « الأشعث بن قيس من ولد آكل المرار من قبل النساء ، وآكل المرار الحارث بن عمرو بن حجر بن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية ابن كندى - ويقال كندة » .

(٤) لا نقفوا أمنا : لا نتبع نسب أمنا ، قال السهيلي : « وذلك أن جدات النبي صلى الله عليه وسلم من هي من هذا القبيل ؛ منهن دعدة بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث الكندي المذكور ؛ وهي أم كلاب بن مرة » . (٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٥ .

قال : وفيها قدم عدى بن حاتم الطائي ، في شعبان .

وفيها مات أبو عامر الراهب عند هيرقل ، فاختلف كنانة بن عبد ياليل وعلقمة بن عُلانة في ميراثه ، فقضى به لكنانة بن عبد ياليل . قال : هما من أهل المدر ، وأنت من أهل الوبر .

• • •

[قدوم رفاعه بن زيد الجذامي]

قال : وفيها قدم وفد حوّلان ، وهم عشرة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، قال : قدم علي رسول الله صلى الله عليه وسلم في هُدنة الحديبية قبل خيبر رفاعه بن زيد الجذامي ثم الضبيبي ؛ فأهدى لرسول الله غلاماً ، وأسلم فحسن إسلامه ، وكتب له رسول الله إلى قومه كتاباً ، في كتابه : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا كتاب من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد ؛ إني بعثته إلى قومه عامةً ومن دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ؛ فمن أقبل فمن حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهريّن . فلما قدم رفاعه على قومه ، أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحرّة ؛ حرّة الرجلاء فنزلوها (١) .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لا يتهم ، عن رجال من جذام كانوا بها علماء ، أن رفاعه بن زيد ، لما قدم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوهم إلى الإسلام ، فاستجابوا له ، لم يلبث أن أقبل دحية بن خليفة الكلبي من عند قيصر صاحب الروم ، حين بعث رسول الله ومعه تجارة له ؛ حتى إذا كان بوادي من أوديتها ، يقال له : شتار ؛ أغار على دحية الهنيد بن عوص وابنه عوص بن الهنيد ، الضليعيان - والضليع بطن من جذام - فأصابا كل شيء كان معه ؛

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٨ .

فبلغ ذلك نفراً من بني الضبيب قوم رفاة ممن كان أسلم وأجاب، فنفروا إلى الهنيد وابنه، فيهم من بني الضبيب النعمان بن أبي جعال، حتى لقوهم، فاقتلوا، وانتمى يومئذ قرّة بن أشقر الضفاري ثم الضليعي، فقال: أنا ابن لُبني؛ وري النعمان بن أبي جعال بسهم فأصاب ركبته، فقال حين أصابه: خذها وأنا ابن لُبني - وكانت له أم تدعى لُبني - قال: وقد كان حسان بن ملة الضبيبي قد صحب دحية بن خليفة الكلبي قبل ذلك؛ فعلمه أم الكتاب؛ فاستنقذوا ما كان في يد الهنيد وابنه عوص، فردوه على دحية؛ فسار دحية حتى قدم على رسول الله، فأخبره خبره، واستسقاء دم الهنيد وابنه؛ فبعث إليهم رسول الله زيد بن حارثة - وذلك الذي هاج غزوة زيد جذاماً، وبعث معه جيشاً - وقد وجهت غطفان من جذام كلها ووائل ١٧٤٢/١ ومن كان من سلامان وسعد بن هذيم حين جاءهم رفاة بن زيد بكتاب رسول الله؛ فنتزلوا بالحرّة؛ حرّة الرجلاء، ورفاعة بن زيد بكرّاع ربة ولم يعلم، ومعه ناس من بني الضبيب وسائر بني الضبيب بوادٍ من ناحية الحرّة مما يسيل مشرقاً، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأولاج؛ فأغار بالفصافض من قبيل الحرّة، وجمعوا ما وجدوا من مال وأناس، وقتلوا الهنيد وابنه ورجلَيْن من بني الأحنف، ورجلاً من بني خصيب؛ فلما سمعت بذلك بنو الضبيب والجيش بفسفاء مدآن، ركب حسان بن ملة على فرس لسويد بن زيد يقال لها العجاجة، وأنيف بن ملة على فرس لمة، يقال لها ريغال، وأبو زيد بن عمرو على فرس له يقال لها شمير؛ فانطلقوا حتى إذا دنوا من الجيش، قال أبو زيد لأنيف بن ملة: كفّ عنا وانصرف؛ فإننا نخشى لسانك، فانصرف فوقف عنهما، فلم يبعدا منه؛ فجعل فرسه تبحث بيدها وتوثب؛ فقال: لأنا أضنُّ بالرجلين منك بالفرسين؛ فأرختي لها حتى أدركهما؛ فقالا له: أمّا إذ فعلت ما فعلت، فكفّ عنا لسانك ولا تشأمنا اليوم، وتواطئوا^(١) ألا يتكلم منهم إلا حسان بن ملة؛ وكانت

(١) ابن هشام: «فتواطئوا».

١٧٤٣/١ بينهم كلمة في الجاهلية؛ قد عرفوها؛ بعضهم من بعض؛ إذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال : «ثورى» (١) .

فلما برزوا على الجيش أقبل القومُ يبتدرونهم ؛ فقال حسان : إنا قوم مسلمون ؛ وكان أولَ مَنْ لقيهم رجلاً على فرس أدّم بائع رعه (٢) يقول معرّضه : كأنما ركزه على منسج فرسه جدّ وأعتق (٣) ؛ فأقبل يسوقهم ، فقال أنيف : «ثورى» ، فقال حسان : مهلاً ! فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال له حسان : إنا قوم مسلمون ، فقال له زيد : فاقراً أم الكتاب ، فقراها حسان ، فقال زيد بن حارثة : نادوا في الجيش ، إن الله قد حرّم علينا ثغرة (٤) القوم التي جاءوا منها إلا من ختر (٥) ؛ وإذا أخت لحسان ابن ملّة - وهي امرأة أبي وبر بن عدى بن أمية بن الضّيب - في الأسارى . فقال له زيد : خذها ، فأخذت بحقّويه (٦) ، فقالت أم الفزّز الضّبيعية : أتسطلقون بيناتكم ، وتذرّون أمّهاتكم ! فقال أحد بني خصيب : إنها بنو الضّيب ! وسحرت (٧) ألسنتهم سائر اليوم ؛ فسمعها بعضُ الجيش ؛ فأخبر بها زيد بن حارثة ؛ فأمر بأخت حسان ؛ ففككت يداها من حقّويه ، فقال لها : اجلسي مع بنات عمك ، حتى يحكم الله فيكنّ حكمه ؛ فرجعوا ؛ ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم انذى جاءوا منه ، فأمسوا في أهلهم ؛ واستعموا ذوداً (٨) لسويد بن زيد ؛ فلما شربوا عتمتهم (٩) ركبوا إلى رفاعة بن زيد ؛ وكان ممن ركب إلى رفاعة تلك الليلة أبو زيد بن عمرو وأبو شماس بن عمرو ، وسويد بن زيد ، وبعجة بن زيد ، وبرذع بن زيد ، وثعلبة بن عمرو ، ومخربة بن عدى ، وأنيف بن ملّة ، وحسان بن ملّة ؛ حتى صبّحوا رفاعة

١٧٤٤/١

(١) ابن هشام : « أو بوري » .

(٢) ساقطة من ابن هشام .

(٣) ثغرة القوم : ناحيتهم التي يحمونها .

(٤) ختر : نقض المهد ونخان .

(٥) حقو الرجل : خصره .

(٦) ابن هشام : « سحر » .

(٧) الذود : ما بين الثلاث إلى العشر من الإبل . واستعموا ذودا : انتظروه إلى عتمة الليل .

(٨) عتمتهم ، أي في وقت العتمة .

ابن زيد بكراع ربةً بظهر الحرّة على برهنالك من حرّة ليلى ، فقال له حسان بن ملّة : إنك لحالمٌ تحلبُ المعزى ونساء جذام يُجرّرنَ أسارى قد غرّها كتابك الذى جئت به ! فدعا رفاعه بن زيد بجمل له ؛ فجعل يشكل عليه رحله ؛ وهو يقول :

• هل أنت حىٌ أو تُنادى حياً •

ثم غدا وهم معه بأمية بن صفارة أخى الحصبي المقتول مبكرين من ظهر الحرّة ، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال ؛ فلما دخلوا انتهوا إلى المسجد ، ونظر إليه رجلٌ من الناس ، فقال لهم : لا تُسيخوا إبلكم فتقطع أيديهن ، فتزلوا عنها وهن قيامٌ ؛ فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآهم ، ألح^(١) إليهم بيده : أن تعالوا من وراء الناس ؛ فلما استفتح رفاعه بن زيد المنطق قام رجلٌ من الناس ، فقال : إن هؤلاء يا نبي الله قومٌ سحرةٌ ؛ فرددها مرتين ؛ فقال رفاعه : رحم الله من لم يجزنا فى يومنا هذا إلا خيراً ! ثم دفع رفاعه كتابه إلى رسول الله الذى كان كتبه له ، فقال : دونك يا رسول الله قديماً كتابه ، حديثاً غدره. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ يا غلام وأعلن ؛ فلما قرأ كتابهم واستخبرهم فأخبروه الخبر ، قال رسول الله : كيف أصنع بالقتلى ؟ ثلاث مرات ؛ فقال رفاعه : أنت يا رسول الله أعلم ، لانحرم عليك حلالاً ، ولا نُحِلّ لك حراماً ؛ فقال أبو زيد بن عمرو : أطلق لنا يا رسول الله من كان حياً ، ومن كان قد تتيل فهو تحت قدمي هاتين . فقال رسول الله : صدق أبو زيد ، اركب معهم يا على ، فقال على : يا رسول الله ؛ إن زيدا لن يطيعنى ، قال : خذ سيفي ، فأعطاه سيفه ، فقال على : ليمس لى راحلة يا رسول الله أركبها ، فحملة رسول الله على جمل لثعلبة بن عمرو ، يقال له المكحال ؛ فخرجوا ، فإذا رسول لزيد بن حارثة على ناقة من إبل أبى وبسر ، يقال لها الشمر ؛ فأنزلوه عنها ، فقال : يا على ما شأنى ؟ فقال له على : ما لم عرفوه فأخذوه . ثم ساروا حتى لقوا الجيش بفيفاء الفحلّتين ، فأخذوا ما فى أيديهم من أموالهم ؛ حتى كانوا ينزعون لبدّ المرأة من تحت الرّحل^(٢)

(١) ألح : أشار .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

وقد بنى عامر بن صعصعة

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن
عاصم بن نمر بن قتادة ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد بنى عامر ؛ فيهم عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس بن مالك بن جعفر ،
وجبتار بن سلمى بن مالك بن جعفر ؛ وكان هؤلاء الثلاثة رهوس القوم وشياطينهم .
فقدم عامر بن الطفيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد الغدرة
به ؛ وقد قال له قومه : يا عامر ؛ إن الناس قد أسلموا فأسلم ؛ قال : والله
لقد كنت آليت ألا أنتهى حتى تتبع العرب عقيبي ؛ أفأنا أتبع عقب هذا
الفتى من قريش ! ثم قال لأربد : إذا قدمت على الرجل فإني شاغل عنك
وجهه ؛ فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف ؛ فلما قدموا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل : يا محمد خالتي (١) ؛ قال : لا والله حتى
تؤمن بالله وحده ، قال : يا محمد خالتي ، قال : وجعل يكلمه فينتظر من
أربد ما كان أمره به ، فجعل أربد لا يحير شيئا ، فلما رأى عامر ما يصنع
أربد ، قال : يا محمد خالتي ، قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده لا شريك
له . فلما أبى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله لأملأنها عليك
خيلا حمرًا ورجالا ، فلما ولت قال رسول الله : اللهم اكفني عامر بن
الطفيل ، فلما خرجوا من عند رسول الله قال عامر لأربد : ويلك يا أربد ؛
أين ما كنت أوصيتك به ! والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف
على نفسي عندي منك ، وإيم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً . قال : لا تعجل
على لا أبالك ! والله ما هممت بالذى أمرتني به من مرة إلا دخلت بيني وبين
الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ! قال عامر بن الطفيل :

بَعَثَ الرَّسُولُ بِمَا تَرَى فَكَأَنَّمَا عَمْدًا نَشَنَ عَلَى الْمَقَانِبِ غَارًا
وَلَقَدْ وَرَدَنَّا بِنَا الْمَدِينَةَ شُرَبًا وَلَقَدْ قَتَلْنَا بِجَوْهَا الْأَنْصَارًا
وَنُخْرِجُوا رَاجِعِينَ إِلَى بِلَادِهِمْ ؛ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ

(١) خالتي بالتشديد ؛ أى اتخذني خليلا ، وبالتخفيف : تفرد لي خاليا .

وجلّ على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله ؛ وإنه في بيت امرأة من بني سكل ؛ فجعل يقول : يا بني عامر ؛ أغدّة كغدّة البكر ؛ وموت في بيت امرأة من بني سكل^(١) ! ثم خرج أصحابه حين واروه ؛ حتى قدموا أرض بني عامر ؛ فلما قدموا أتاهم قومهم ، فقالوا : ما وراءك يا أربد ؟ قال : لا شيء ؛ والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فأرميه بنبلي هذه حتى أقتله ؛ فخرج بعد مقاله هذه بيوم أو يومين ، معه جمل له يبيعه ؛ فأرسل الله عليه وعلى جملة صاعقة فأحرقتهما . وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمته^(٢) .

[قدوم زيد الخليل في وفد طي]

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طي ؛ فيهم زيد الخليل ، وهو سيدهم ، فلما انتهوا إليه كلموه ؛ وعرض عليهم رسول الله الإسلام فأسلموا فحسن إسلامهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن رجال من طي : « ما ذكر لي رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيت دون ما يقال فيه إلا ما كان من زيد الخليل ؛ فإنه لم يبلغ فيه كل ما فيه . ثم سمّاه زيد الخير ؛ وقطع له فيداً وأرضين معه ؛ وكتب له بذلك . فخرج من عند رسول الله راجعاً إلى قومه ، فقال رسول الله : إن ينج زيد من حمى المدينة ! سمّاها رسول الله [باسم]^(٣) غير الحمى وغير أمّ ملدّم فلم يُشبتَه - فلما انتهى من بلاد نجد إلى ماء من مياهه يقال له فردّة أصابته الحمى ؛ فمات بها ، فلما أحس زيد بالموت قال :

أمر نجل قومي المشرق غدوةً وأترك في بيت فردّة منجد
ألا ربّ يوم لو مرضت لعادني عوائد من لم يُبرّ منهنّ يجهد

(١) الغدة : داء يصيب البعير فيموت منه ، والبكر : الفتي من الإبل ، والسلوية : امرأة منسوبة إلى سلول بن صعصعة ؛ وهم بنو مرة بن صعصعة ، وسلول أهمهم .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٧ . (٣) من ب وابن هشام .

فلما مات عميدت امرأته إلى ما كان معها من كُتبه التي قطع له رسولُ
الله صلى الله عليه وسلم فحرقتها بالنار^(١) .

• • •

[كتاب مسيلمة إلى رسول الله والجواب عنه]

وفي هذه السنة كتب مسيلمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعى
أنه أشرك معه في النبوة . حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن
إسحاق ؛ عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : كان مسيلمة بن حبيب الكذاب
كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول
الله . سلامٌ عليك ؛ فإنني قد أشركت في الأمر معك ؛ وإن لنا نصف الأرض
ولقريش نصف الأرض ، ولكن قريشاً قوم يعتدون .
فقدم عليه رسولان بهذا الكتاب^(٢) .

١٧٤٩/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن شيخ
من أشجع قال ابن حميد : أما علي بن مجاهد فيقول : عن أبي مالك الأشجعي ،
عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعي ، عن أبيه نعيم قال : سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول لهما حين قرأ كتاب مسيلمة : فما تقولان أنما ؟ قالا :
نقول كما قال ؛ فقال : أما والله لولا أن الرُّسُلَ لا تُقْتَلُ لضربت أعناقكما .
ثم كتب إلى مسيلمة : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ من محمد رسول الله إلى مسيلمة
الكذاب . سلامٌ على من اتبع الهدى ؛ أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها
من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . قال : وكان ذلك في آخر سنة عشر^(٢) .
قال أبو جعفر : وقد قيل : إن دعوى مسيلمة ومن ادعى النبوة من
الكذابين في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، إنما كانت بعد انصراف النبي
من حجة المسمى حجة الوداع ؛ ومرضته التي مرضها التي كانت منها وفاته
صلى الله عليه وسلم .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٠ .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٢ .

حدثنا عبيد الله بن سعيد الزُّهري ، قال : حدثني عمي يعقوب بن إبراهيم
قال : حدثني سيف بن عمر - وكتب بذلك إلى السري يقول : حدثنا شعيب
ابن إبراهيم التميمي ، عن سيف بن عمر التميمي الأسيدي - قال : حدثنا
عبد الله بن سعيد بن ثابت بن الجذع الأنصاري ، عن عبيد مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن أبي مويهبة مولى رسول الله ، قال : لما انصرف النبي
صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد ما قضى حجة التمام ، فتحلل به السير ،
وطارت به الأخبار لتحلل السير بالنبي صلى الله عليه وسلم ؛ أنه قد اشتكى ؛
فوثب الأسود باليمن ومسيلمة بالهامة ؛ وجاء الخبر عنهما للنبي صلى الله عليه
وسلم ، ثم وثب طليحة في بلاد بني أسد بعد ما أفاق النبي ، ثم اشتكى
في المحرم وجعه الذي توفاه الله فيه .

• • •

[خروج الأمراء والعمال على الصدقات]

قال أبو جعفر : وفرّق رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع البلاد
التي دخلها الإسلام عُمَّالاً على الصدقات . فحدثنا ابن حميد ، قال :
حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أمراءه وعمَّاله على الصدقات ، على كل
ما أوطأ الإسلام من البلدان ؛ فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء ؛
فخرج عليه العنسي وهو بها ، وبعث زياد بن لبيد أخا بني بياضة الأنصاري
إلى حضرموت على صدقتها^(١) ، وبعث عدى بن حاتم على الصدقة ؛ صدقة
طبي وأسد ، وبعث مالك بن نويرة على صدقات بني حنظلة ، وفرق صدقة
بني سعد على رجلين منهم ، وبعث العلاء بن الحضرمي على البحرين ، وبعث
على بن أبي طالب إلى نجران ليجمع صدقاتهم ، ويقدم عليه بجزيتهم^(٢) ..

• • •

(١) ط : « عبد الله » ، والصواب ما أثبتته من الإصابة .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٩ .

[حجة الوداع]

فلما دخل ذو القعدة من هذه السنة - أعني سنة عشر - تجهز النبي إلى الحج ، فأمر الناس بالجهاز له . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ؛ عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحج لخمس ليال بقين من ذى القعدة ^(١) ، لا يذكر ولا يذكر الناس إلا الحج ؛ حتى إذا كان بسرف ، وقد ساق رسول الله معه الهدى وأشرف من أشرف الناس ، أمر الناس أن يحلوا بعمره إلا من ساق الهدى ، وحضت ذلك اليوم ؛ فدخل علي وأنا أبكى ؛ فقال : مالك يا عائشة ؟ لعلك نفست ! فقلت : نعم ، لوددت أني لم أخرج معكم عامي هذا في هذا السفر ، قال : لا تفعليني ؛ لا تقولين ذلك ؛ فإنك تقضين [كل] ^(٢) ما يقضى الحاج ؛ إلا أنك لا تطوفين بالبيت . قالت : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ؛ فحل كل من كان لا هدى معه ، وحل نساؤه بعمره ؛ فلما كان يوم النحر أتيت بلحم بقر [كثير] ^(٣) ، فطرح في بيتي ، قلت : ما هذا ؟ قالوا : ذبح رسول الله عن نساؤه البقر ؛ حتى إذا كانت ليلة الحصبه ، بعثني رسول الله مع أخي عبد الرحمن بن أبي بكر ، لأقضى عمري من التنعيم مكان عمري التي فأنشئ ^(٤) .

١٧٥١/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن ابن أبي نجيع ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب إلى نجران ، فلقية بمكة ؛ وقد أحرم ؛ فدخل علي فالتقى فاطمة ابنة رسول الله ،

(١) قال ابن هشام : « فاستعمل على المدينة أبا دجاجة الساعدي ، ويقال : سباع بن عرفة

الغفاري » .

(٢) من ابن هشام . (٣) من ابن هشام . (٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٠ .

فوجدتها قد حلت وتهيأت ، فقال : مالك يا ابنة رسول الله ؟ قالت : ١٧٥٢/١
 أمرنا رسول الله أن نحل بعمره ، فأحللنا ، قال : ثم أتى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، فلما فرغ من الخبر عن سفره ، قال له رسول الله : انطلق فطُفْ
 بالبيت ، وحل كما حل أصحابك ، فقال : يا رسول الله ، إني قد أهلت
 بما أهلت به ، قال : ارجع فأحلل كما حل أصحابك ، قال : قلت : يا رسول
 الله ، إني قلت حين أحرمت : اللهم إني أهلت بما أهل به عبدك ورسولك ؛
 قال : فهل معك من هدي ؟ قال : قلت : لا ، قال : فأشركه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في هديه وثبت على إحرامه مع رسول الله ؛ حتى فرغنا
 من الحج ، ونحر رسول الله الهدى عنهما (١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى
 ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن
 رُكَّانة ، قال : لما أقبل على بن أبي طالب من اليمن ليلقى رسول الله بمكة
 تعجل إلى رسول الله ، واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه ،
 فعمد ذلك الرجل . فكسا رجلاً من القوم حُللاً من البز الذي كان مع
 على بن أبي طالب ؛ فلما دنا جيشه ؛ خرج على ليلقاهم ؛ فإذا هم عليهم
 الحلل ، فقال : وينحك ما هذا ! قال : كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا
 في الناس ، فقال : ويلك ! انزع من قبل أن تنتهي إلى رسول الله . قال :
 فانتزع الحلل من الناس ، وردّها في البز ؛ وأظهر الجيش شكايه لما صنع بهم (٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
 عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم ، عن سليمان بن محمد بن كعب
 ابن عَجْرَة ، عن عمته زينب بنت كعب بن عَجْرَة—وكانت عند أبي سعيد
 الخدري— عن أبي سعيد ، قال : شكوا الناس على بن أبي طالب ، فقام
 رسول الله فينا خطيباً ، فسمعتة يقول : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ لَا تَشْكُوا عَلِيًّا ، فَوَاللَّهِ
 إِنَّهُ لَأَخْشَى فِي ذَاتِ اللَّهِ— أَوْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ— [مِنْ أَنْ يُشْكَى] (٢) .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٠ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥١ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيب ، قال : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حجة ؛ فأرى الناس مناسكهم ، وأعلمهم سنن حجهم ؛ وخطب الناس خطبته التي بين الناس فيها ما بين ، فحمد الله وأثنى عليه ؛ ثم قال :

أيها الناس ، اسمعوا قولي ؛ فإنني لا أدري لعلني لا ألقاكم بعد عامي هذا ، بهذا الموقف أبداً . أيها الناس ؛ إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام ؛ إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ، وحرمة^(١) شهركم هذا ؛ وستلقون^(٢) ربكم ، فيسألکم عن أعمالکم . وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها . وإن كل ربا موضوع ، ولكم رءوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون . قضى الله أنه لا ربا . وإن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كته ، وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع ، وإن أول دم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب - وكان مسترضعاً في بني ليث ، فقتلته بنو هذيل - فهو أول ما أبداً به من دماء الجاهلية .

أيها الناس ؛ إن الشيطان قد يش من أن يُعبد بأرضكم هذه أبداً ؛ ولكنه^(٣) رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم^(٤) ، فاحذروه على دينكم .

أيها الناس : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحَلِّثُونَ عَمَّا وَبُحَرَّمُونَ عَمَّا لِيُؤَاطِثُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحَلِّثُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾^(٤) ، ويحرموا ما أحل الله ؛ وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ؛ ﴿ وَإِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ

(١) ابن هشام : « وكرمة » .

(٢) ابن هشام : « وإنكم ستلقون » .

(٣-٣) ابن هشام : « ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي مما تحقرون من أعمالكم » .

(٤) سورة التوبة ٣٧

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ﴿١﴾ ، ثلاثة متوالية ؛ ورجب مُضَرَّ الذي بين جمادى وشعبان (٢) .

أما بعد أيها الناس ؛ فإنَّ لكم على نسايتكم حقًا ولفنَّ عليكم حقًا ، لكم عليهنَّ ألاَّ يُوطِئْنَ فرشَتكم أحدًا تَكْرَهُونه ، وعليهنَّ ألاَّ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ ؛ فإنَّ فعلنَّ فإنَّ الله أذن لكم أن تهجروهنَّ في المضاجع ، وتضربوهنَّ ضربًا غير مُبْرَحٍ (٣) ، فإنَّ انتهينَّ فلهنَّ رزقهنَّ وكِسْوَتهنَّ بالمعروف . واستوصوا بالنساء خيرا ، فلهنَّ عندكم عَوَانٌ (٤) لا يملكُنَّ لأنفسهنَّ شيئا ، وإنَّكم إنما أخذتموهنَّ بأمانة الله ، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله ؛ فاعقلوا أيها الناس واسمعوا قولي ؛ فإنِّي قد بلغت وتركت فيكم ما إنَّ اعتصمتم به فلنَّ تضلُّوا أبداً ؛ كتاب الله وسنة نبيِّه .

أيها الناس ، اسمعوا قولي فإنِّي قد بلغت ، واعقلوه . تعلَّمُنَّ أن كلَّ مسلم أخو المسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحلَّ لامرئٍ من أخيه إلاَّ ما أعطاه عن طيب نفس ؛ فلا تظلموا أنفسكم . اللهم هل بلغت ! قال : فذكر أنهم قالوا : اللهم نعم ، فقال رسول الله : اللهم اشهد (٥) .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عبَّاد بن عبد الله بن الزُّبير ، عن أبيه عبَّاد ، قال : كان الذي يصرخ في الناس بقول رسول الله وهو على عَرَفَةَ ، ربيعة بن أمية بن خلف ، قال : يقول له رسول الله : قل : أيُّها (٦) الناس ؛ إنَّ رسول الله يقول : هل تدرون أيَّ شهر هذا ! فيقولون : الشهر الحرام ، فيقول : قل لهم : إنَّ الله قد حرَّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا . ثمَّ قال : قل : إنَّ رسولَ الله ، يقول : أيُّها الناس ؛ فهل تدرون أيَّ بلد هذا ؟ قال : فيصرخُ به ، فيقولون : البلد الحرام ، قال : فيقول : قل : إنَّ الله حرَّم عليكم دماءكم

(١) سورة التوبة ٣٦ .

(٢) قال السهيلي : إنما قال ذلك ؛ لأن ربيعة كانت تحرم في رمضان وتسميه رجب .

(٣) الضرب المبرح : الشديد . (٤) عوان : جمع عانية ؛ وهي الأسيرة .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٠ ، ٣٥١ . (٦) ابن هشام : « أيُّها » .

وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة بلدكم هذا . ثم قال : قل : أيها الناس ، هل تدرون أي يوم هذا ؟ فقال لهم ، فقالوا : يوم الحج الأكبر ، فقال : قل : إن الله حرم عليكم أموالكم ودماءكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا^(١) .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نَجِيح ، أن رسول الله حين وقف بعرفة ، قال : هذا الموقف - للجبل الذي هو عليه - وكل عرفة موقف . وقال حين وقف على قزح صبيحة المزدلفة : هذا الموقف ، وكل المزدلفة موقف . ثم لما نحر بالمنحر ، قال : هذا المنحر ، وكل منى منحر ؛ فقصى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج وقد أراهم مناسكتهم ، وعلمهم ما افترض عليهم في حجهم في المواقف ورمى الجمار والطواف بالبيت ، وما أحل لهم في حجهم وما حرم عليهم ؛ فكانت حجة الوداع وحجة البلاغ ؛ وذلك أن رسول الله لم يحج بعدها^(٢) .

١٧٥٦/١

. . .

[ذكر جملة الغزوات]

قال أبو جعفر : وكانت غزواته بنفسه ستاً وعشرين غزوة ؛ ويقول بعضهم : من سبع وعشرون غزوة ؛ فمن قال : هي ست وعشرون ، جعل غزوة النبي صلى الله عليه وسلم خيبر وغزوته من خيبر إلى وادي القرى غزوة واحدة ؛ لأنه لم يرجع من خيبر حين فرغ من أمرها إلى منزله ؛ ولكنه مضى منها إلى وادي القرى ؛ فجعل ذلك غزوة واحدة . ومن قال : هي سبع وعشرون غزوة ، جعل غزوة خيبر غزوة ، وغزوة وادي القرى غزوة أخرى ؛ فيجعل العدد سبعاً وعشرين .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : كان جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ستاً وعشرين غزوة . أول غزوة غزاها ودان ؛ وهي غزوة الأبواء ، ثم غزوة بواط إلى ناحية رضوى ، ثم غزوة العشيرة من بطن ينبع ، ثم غزوة بدر

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥١ ، ٣٥٢ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٢ .

الأولى يطلب كُرُز بن جابر ، ثم غزوة بدر [الكبرى]^(١) التي قتل فيها صناديد قريش وأشرفهم ، وأسْر فيها مَنْ أُسْر ، ثم غزوة بني سليم حتى بلغ للكُدْر ، ماء لبني سليم ، ثم غزوة السَّويق يطلب أبا سفيان حتى بلغ قرقرة الكُدْر ، ثم غزوة غطفان إلى نجد ؛ وهي غزوة ذي أمر ؛ ثم غزوة بَحْران ؛ معدن بالحجاز من فوق الفُرْع ، ثم غزوة أحد ، ثم غزوة حمراء الأسد ، ثم غزوة ١٧٥٧/١ بني النضير ، ثم غزوة ذات الرِّقَاع من نخل ، ثم غزوة بدر الآخرة^(٢) ، ثم غزوة دُومة الجندل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بني قُرَيْظَة ، ثم غزوة بني لحيان من هُدَيْل ، ثم غزوة ذي قَرَد ، ثم غزوة بني المصطلق من خُزَاعَة ، ثم غزوة الحديبية - لا يريد قتالاً ، فصدّه المشركون - ثم غزوة خيبر ؛ ثم اعتمر عُمرَة القضاء ، ثم غزوة الفتح ؛ فتح مكة ، ثم غزوة حُنَيْن ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تبوك . قاتل منها في تسع غزوات : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخبير ، والفتح ، وحُنَيْن ، والطائف^(٣) .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حشمة ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : غزّا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ستّاً وعشرين غزوة . ثم ذكر نحو حديث ابن حميد ، عن سلّمة .

قال محمد بن عمر : مغازى رسول الله معروفة مجتمع عليها ، ليس فيها اختلاف بين أحد في عددها ؛ وهي سبع وعشرون غزوة ؛ وإنما اختلفوا بينهم في تقديم مغزاة قبل مغزاة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : حدثني محمد بن عمر ، قال : حدثنا مُعَاذ بن محمد الأنصاري ، عن محمد بن ثابت الأنصاري ، قال : سئِل ابنُ عُمر : كم غزّا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : سبعا وعشرين غزوة ، فقبل لابن عمر : كم غزوتَ معه ؟ قال : إحدى وعشرين غزوة ؛ أولها الخندق ، وفاتني ستّ غزوات ، وقد كنت حريصاً ، قد عرضت

(١) من سيرة ابن هشام . (٢) ط : « الأخرى » ، وأثبت ما في ابن هشام .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

على النبي صلى الله عليه وسلم؛ كل ذلك يردني فلا يجزني حتى أجازني في الخندق .

قال الواقدي : ١٧٥٨/١ قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى عشرة ، ذكر من ذلك التسع التي ذكرتها عن ابن إسحاق ؛ وعدت معها غزوة وادي القرى ، وأنه قاتل فيها فقتل غلامه ميدعم ، رمى بسهم . قال : وقاتل يوم الغابة ، فقتل من المشركين ، وقتل مُحَرِّزُ بن نضلة يومئذ .

• • •

[ذكر جملة السرايا والبعوث]

واختلف في عدد سراياه صلى الله عليه وسلم ، حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : كانت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعوثه - فيما بين أن قدم المدينة وبين أن قبضه الله - خمساً وثلاثين بعثاً وسرية^(١) : سرية عبيدة بن الحارث إلى أحياء من ثنية المرة ، وهو ماء بالحجاز ، ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب إلى ساحل البحر من ناحية العيص - وبعض الناس يقدم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة - وغزوة سعد بن أبي وقاص إلى الحرة من أرض الحجاز ، وغزوة عبد الله بن جحش إلى نخلة ، وغزوة زيد ابن حارثة القرادة ، ماء من مياه نجد ، وغزوة مرثد بن أبي مرثد الغنوي الرجيع ، وغزوة المنذر بن عمرو بئر معونة ، وغزوة أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخطاب تربة من أرض بني عامر ، وغزوة علي بن أبي طالب اليمن ، وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي - كلب ليث الكندي ، وأصاب بلملوح ، وغزوة علي بن أبي طالب إلى بني عبد الله بن سعد من أهل فدك ، وغزوة ابن أبي العوجاء السلمى أرض

(١) ابن هشام من رواية البكاء عن ابن إسحاق : « ثمانيا وثلاثين . من بين بعث وسرية » . وجاء في الأصل بعد ما ذكر : « بعث : غزوة » ، ويبدو أن هذا تفسير أدرج في النص .

بنى سليم؛ أصيب بها هو وأصحابه جميعاً، وغزوة عكاشة بن محصن الغمرة، وغزوة أبي سلمة بن عبد الأسد قطنياً؛ ماء من مياه بني أسد من ناحية نجد قُتل فيها مسعود بن عروة، وغزوة محمد بن مسلمة؛ أخى بنى الحارث إلى القرطاء من هوازن، وغزوة بشير بن سعد إلى بنى مرة بفدك، وغزوة بشير بن سعد أيضاً إلى يَمَن وجِنَاب؛ بلد من أرض خيبر - وقيل يَمَن وجَبَّار؛ أرض من أرض خيبر، وغزوة زيد بن حارثة الجَمُوم؛ من أرض بنى سليم، وغزوة زيد بن حارثة أيضاً جُدَام من أرض حِسْمَى - وقد مضى ذكر خبرها قبل - وغزوة زيد بن حارثة أيضاً وادى القرى، لقي بنى فنزارة .

وغزوة عبد الله بن رواحة خيبرَ مرتين : إحداهما التي أصاب الله فيها يُسَيْر بن رزام - وكان من حديث يسير بن رزام اليهودى أنه كان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبعث إليه رسول الله عبد الله بن رواحة في نفرٍ من أصحابه؛ منهم عبد الله بن أنيس حليف بنى سلمة، فلما قدموا عليه كلموه وواعدوه وقربوا له، وقالوا له : إنك إن قدمت على رسول الله استعملك وأكرمك؛ فلم يزالوا به حتى خرج معهم في نفرٍ من يهود؛ فحملة ١٧٦٠/١ عبد الله بن أنيس على بعيره وردفه حتى إذا كان بالقرقرة من خيبر على ستة أميال ندم يسير بن رزام على سيره إلى رسول الله، ففطن له عبد الله ابن أنيس وهو يريد السيف؛ فاقتحم به؛ ثم ضربه بالسيف فقطع رجله وضربه يسير بمِخْرَش^(١) في يده من شَوْحَط^(٢)، فأمه^(٣) في رأسه، وقتل الله يسيراً؛ ومال كل رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه من يهود فقتله إلا رجلاً واحداً أفلت على راحلته؛ فلما قدم عبد الله ابن أنيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم تفل على شجته فلم تفتح ولم تؤذِه .

وغزوة عبد الله بن عتيك إلى خيبر؛ فأصاب بها أبا رافع؛

(١) المخرش والمخرش : المحجن؛ وهو عصا معقوفة يجذب بها البعير ونحوه .

(٢) الشوخط : شجر النبع .

(٣) أمه : جرحه في أم رأسه .

وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث محمد بن مسلمة وأصحابه - فيما بين بدر وأحد - إلى كعب بن الأشرف فقتلوه، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أنيس إلى خالد بن سفيان بن نُبَيْح الهذليّ - وهو بنخلة أو بعُرنة - يجمع لرسول الله ليغزوه، فقتله^(١).

• • •

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلّمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الله بن أنيس ، قال : دعاني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه بلغني أن خالد بن سفيان بن نُبَيْح الهذليّ يجمع لي الناس ليغزوني - وهو بنخلة أو بعُرنة - فأتته فاقتله، قال : قلت : يا رسولَ الله ؛ انعتني لي حتى أعرفه ، قال : إذا رأيته أذكرَكَ الشيطانَ ! إنه آية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قُشْعْريرة. قال : فخرجت متوشحاً سيفي حتى دفعت إليه وهو في ظُعن يرتاد لمن منزلاً حيث كان وقت العصر ؛ فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من القُشْعْريرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن تكون بيني وبينه مجاورة تشغلي عن الصلاة ، فصلّيت وأنا أمشي نحوه ، أومئ برأسي إيحاء ؛ فلما انتهيت إليه قال : من الرجل ؟ قلت : رجل من العرب يجمع بك ويجمعك لهذا الرجل ؛ فجاءك لذلك ، قال : أجل ، أنا في ذلك ؛ فشيت معه شيئاً حتى إذا أمكنتني حملت عليه بالسيف حتى قتله ؛ ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبات عليه . فلما قدمت على رسول الله وسلّمت عايه ورآني ، قال : أفلح الوجه ! قال : قلت : قد قتله . قال : صدقت ! ثم قام رسولُ الله فدخل بيته ، فأعطاني عصا ، فقال : أمسِكْ هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس . قال : فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسولُ الله ، وأمرني أن أمسكها عندي ، قالوا : أفلا ترجع إلى رسول الله فتسأله لم ذلك ؟ فرجعتُ إلى رسولِ الله ، فقلت : يا رسولَ الله ، لِمَ أعطيتني هذه العصا ؟ قال : آية ما بيني وبينك يوم القيامة ؛ إن أقلّ الناس المتخصرون^(٢)

١٧٦١/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٧ . (٢) تخصر الرجل ؛ إذا أمسك المخصرة ،

وهي ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه ، من عصا أو مقرعة أو عنزة أو عكازة .

يومئذ ؛ فقرنها عبد الله بسيفه ، فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فضمت معه في كفنه ، ثم دفنا جميعاً .

• • •

ثم رجع الحديث إلى حديث عبد الله بن أبي بكر . قال : وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة إلى مؤتة من أرض الشام ، ١٧٦٢/١ وغزوة كعب بن عمير الغيفاري بذات أطلاق من أرض الشام ، فأصيب بها هو وأصحابه ، وغزوة عيينة بن حصن بن العنبر من بني تميم ؛ وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إليهم ؛ فأغار عليهم ؛ فأصاب منهم ناساً ، وسبي منهم سبياً .

• • •

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن عائشة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ؛ إن عليّ رقيباً من بني إسماعيل ، قال : هذا سبي بني العنبر يقدم الآن فنعطيك إنساناً فتعتقينه . قال ابن إسحاق : فلما قدم سبيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب فيهم وفد من بني تميم ، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ منهم ربيعة بن ربيع ، وسبرة بن عمرو ، والقعقاع بن معبد ، ووردان بن محرز ، وقيس بن عاصم ، ومالك بن عمرو ، والأقرع بن حابس ، وحنظلة بن دارم ، وفراس بن حابس . وكان ممن سبى من نساءهم يومئذ أسماء بنت مالك ، وكأس بنت أري ، ونجوة بنت نهد وجميلة بنت قيس ، وعمرة بنت مطر .

• • •

ثم رجع إلى حديث عبد الله بن أبي بكر . قال : وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي - كلب ليث - أرض بني مرة ؛ فأصاب بها مرداس بن ١٧٦٢/١ نهيك ؛ حليفاً لهم من الحرة من جهينة ، قتله أسامة بن زيد ورجل من الأنصار ، وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم لأسماء : مَنْ لَكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ !

وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل ، وغزوة ابن أبي حدرَد وأصحابه إلى بطن إصم ، وغزوة ابن أبي حدرَد الأُسلمي إلى الغابة ، وغزوة عبد الرحمن ابن عوف .

وبعث سريّة إلى سيف البحر ، وعليهم أبو عبيدة بن الجراح ؛ وهي غزوة الحَبَط .

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : قال محمد ابن عمر : كانت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانياً وأربعين سريّة .

• • •

قال الواقدي : في هذه السنة قدِم جرير بن عبد الله البَجَلِيّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً في رمضان ، فبعثه رسولُ الله إلى ذي الخَلَصَةِ فهدمها . قال : وفيها قدِم وِبرُ بنُ يَحْنَس على الأبناء باليمن ، يدعوهم إلى الإسلام فنزل على بنات النعمان بن بزُرَج فأسلمن ، وبعث إلى فيروز الديلمي فأسلم ، وإلى مركبود وعطاء ابنه ، ووهب بن منبه ، وكان أول من جمع القرآن بصنعاء ابنه عطاء بن مركبود ووهب بن منبه . قال : وفيها أسلم باذان ، وبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامه .

• • •

قال أبو جعفر : وقد خالف في ذلك عبد الله بن أبي بكر من قال : كانت مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ستاً وعشرين غزوة ، من أنا ذاكره : حدثنا أبو كُرَيْب محمد بن العلاء ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، ١٧٦٤/١ قال : حدثنا زهير ؛ عن أبي إسحاق ، عن زيد بن أرقم ، قال : سمعتُ منه أن رسولَ الله غزا تسع عشرة غزوة ، وحجَّ بعد ما هاجر حجةً ، لم يحجَّ غير حجة الوداع . وذكر ابن إسحاق حجةً بمكة . قال أبو إسحاق : فسألتُ زيدَ بن أرقم : كم غزوتَ مع رسول الله ؟ قال : سبع عشرة .

حدثنا ابن المنثي ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ؛ أن عبد الله بن يزيد الأنصاري خرج يستسقي بالناس ، قال :

فصلتي ركعتين ثم استسقى . قال : فلقيت يومئذ زيد بن أرقم ، قال : ليس بيني وبينه غير رجل - أو بيني وبينه رجل - قال : فقلت : كم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : تسع عشرة غزوة ، فقلت : كم غزوت معه ؟ قال : سبع عشرة غزوة ، فقلت : فما أول غزوة غزا ؟ قال : ذات العُسير - أو العُشير .

وزعم الواقدي أن هذا عندهم خطأ ؛ حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق الهمداني ، قال : قلت لزيد بن أرقم : كم غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : سبع عشرة غزوة ، قلت : كم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : تسع عشرة غزوة . قال الحارث : قال ابنُ سعد : قال الواقدي : فحدثت بهذا الحديث عبد الله بن جعفر ، فقال : هذا إسناد أهل العراق ؛ يقولون هكذا ؛ وأول غزوة غزاها زيد بن الأرقم المُرَيْسِيع ؛ وهو غلام صغير ، وشهد مؤتة رديف عبد الله بن رَوَاحَةَ ؛ وما غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا ثلاث غزوات أو أربعا .

١٧٦٥/١

وروي عن مكحول في ذلك ما حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا ابنُ عمر ، قال : حدثني سُويد بن عبد العزيز ، عن النعمان بن المنذر ، عن مكحول ، قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى عشرة غزوة ؛ قاتل من ذلك في ثمان غزوات أولهن بدر وأحد والأحزاب وقريظة .

قال الواقدي : فهذان الحديثان : حديث زيد بن الأرقم ، وحديث مكحول جميعاً غلط .

. . .

ذكر الخبر عن حج رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثني عبد الله بن أبي^(١) زياد ، قال : حدثنا زيد بن الحارث ، عن سفيان الثوري ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر ، أن النبي صلى الله

(١) ساقطة من ط ، وما أثبتته من التصويبات .

عليه وسلم حج ثلاث حجج : حجبتين قبل أن يهاجر ، وحججة بعد ما هاجر ،
معها عُمره .

حدثنا عبد الحميد بن بيان^(١) ، قال : أخبرنا إسحاق بن يوسف ، عن
شريك ، عن أبي إسحاق ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : اعتمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم عُمرتين قبل أن يحج ، فبلغ ذلك عائشة ، فقالت : اعتمر
رسول الله أربع عُمر ؛ قد علم ذلك عبد الله بن عمر ، منهن عُمره مع حجته .
حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق ، قال : سمعتُ أبي ، قال :
حدثنا أبو حمزة ، عن مطرف ، عن أبي إسحاق ، عن مجاهد ، قال : سمعت
ابن عمر يقول : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عُمر . فبلغ
عائشة ، فقالت : لقد علم ابن عمر أنه اعتمر أربع عُمر ، منها عمرته التي قرن
معها الحججة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ،
قال : دخلتُ أنا وعروة بن الزبير المسجد ؛ فإذا ابن عمر جالسٌ عند حجرة
عائشة ، فقلنا : كم اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أربعاً ؛ إحداهن
في رجب ، فكرهنا أن نكذبه ونرد عليه ، فسمعنا استئذان عائشة في الحجرة ،
فقال عروة بن الزبير : يا أمه ، يا أم المؤمنين ، أما تسمعين ما يقول
أبو عبد الرحمن ! فقالت : وما يقول ؟ قال : يقول : إن النبي صلى الله عليه وسلم
اعتمر أربع عُمر : إحداهن في رجب ، فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن !
ما اعتمر النبي عُمره إلا وهو شاهد ، وما اعتمر في رجب .

١٧٦٦/١

ذكر الخبر عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومن منهن عاش بعده ومن منهن فارقه في حياته ، والسبب الذي فارقه من
أجله ، ومن منهن مات قبله .

فحدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا هشام بن
محمد ، قال : أخبرني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج خمس

(١) ط : « بنان » ، وأثبت ما في التصويبات .

عشرة امرأة ؛ دخل بثلاث عشرة ، وجمع بين إحدى عشرة ، وتوفى عن نسع .

تزوج في الجاهلية ؛ وهو ابن بضع وعشرين سنة خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ؛ وهي أول من تزوج ، وكانت قبله عند عتيق بن عابد (١) ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وأمتها فاطمة بنت زائدة بن الأصم (٢) بن رباح بن حنجر بن معيص بن لؤى . فولدت لعتيق جارية ، ثم توفى عنها وخلف عليها أبو هالة بن زرارة بن نباش بن زرارة بن حبيب بن سلامة بن غدي بن جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم ؛ وهو في بني عبد الدار بن قصى .
فولدت لأبي هالة هند بن أبي هالة ؛ ثم توفى عنها فخلف عليها رسول الله ، وعندها ابن أبي هالة هند ، فولدت لرسول الله ثمانية : القاسم ، والطيب ، والطاهر ، وعبد الله ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة .

١٧٦٧/١

قال أبو جعفر : ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياتها على خديجة حتى مضت لسبيلها ؛ فلما توفيت خديجة تزوج رسول الله بعدها ؛ فاختلف فيمن بدأ بنكاحها منهن بعد خديجة ، فقال بعضهم : كانت التي بدأ بنكاحها بعد خديجة قبل غيرها عائشة بنت أبي بكر الصديق . وقال بعضهم : بل كانت سوادة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر . فأما عائشة فكانت يوم تزوجها صغيرة لا تصلح للجماع ؛ وأما سوادة فإنها كانت امرأة ثيباً ، قد كان لها قبل النبي صلى الله عليه وسلم زوج ؛ وكان زوجها قبل النبي السكران بن عمرو بن عبد شمس ، وكان السكران من مهاجرة الحبشة فتنصرت ومات بها ؛ فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة .

قال أبو جعفر : ولا خلاف بين جميع أهل العلم بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتى بسوادة قبل عائشة .

. . .

• ذكر السبب الذي كان في خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة وسوادة والرواية الواردة بأولاهما كان عقد عليها رسول الله عقدة النكاح :

(١) في الاستيعاب : « عائد » . (٢) التويرى : « واسم الأصم جندب بن هرم بن رباح » .

حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى ، قال : حدثنى أبى ، قال :
حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن
عائشة ، قالت : لما توفيت خديجة ، قالت خولة بنت حكيم بن أمية بن الأوقص ،
امرأة عثمان بن مظعون وذلك بمكة : أى رسول الله ، ألا تزوج ؟ فقال :
ومن ؟ فقالت : إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً ، قال : فمن البكر ؟ قالت :
ابنة أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبى بكر ، قال : ومن الثيب ؟ قالت :
سودة بنت زمعة بن قيس ، قد آمنت بك واتبعتك على ما أنت عليه . قال :
فاذهبي فاذكريهما على . فجاءت فدخلت بيت أبى بكر ، فوجدت أم رومان ،
أم عائشة ، فقالت : أى أم رومان ؟ ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة !
قالت : وماذا ؟ قالت : أرسلنى رسول الله أخطب عليه عائشة ، قالت :
وددت ! انتظرى أبابكر ، فإنه آت ، فجاء أبو بكر ، فقالت : يا أبابكر ،
ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ! أرسلنى رسول الله أخطب عليه عائشة ،
قال : وهل تصلح له ، إنما هى ابنة أخيه ! فرجعت إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فقالت له ذلك ، فقال : ارجعى إليه ، فقولى له : أنت أختى
فى الإسلام ، وأنا أخوك ، وابنتك تصلح لى ؟ فأنت أبابكر فذكرت ذلك
له ، فقال : انتظرينى حتى أرجع ، فقالت أم رومان : إن المطعم بن عدى
كان ذكرها على ابنه ، ولا والله ما وعد شيئاً قط فأخلف . فدخل أبو بكر
على مطعم ، وعنده امرأته أم ابنه الذى كان ذكرها عليه ، فقالت العجوز :
يا بن أبى قحافة ، لعلنا إن زوجنا ابنتنا ابنتك أن تصيبته^(١) وتدخله فى دينك
الذى أنت عليه ! فأقبل على زوجها المطعم ، فقال : ما تقول هذه ؟ فقال : إنها
تقول ذلك . قال : فخرج أبو بكر ، وقد أذهب الله العدة التى كانت فى
نفسه من عِدته التى وعدّها إياه ، وقال لخولة : ادعى لى رسول الله ، فدعته
فجاء فأنكحه ؛ وهى يومئذ ابنة ست سنين . قالت : ثم خرجت فدخلت
على سودة فقالت : أى سودة ، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة !
قالت : وماذا ؟ قالت : أرسلنى رسول الله يخطبك عليه ، قالت : فقالت :

١٧٦٨/١

١٧٦٩/١

(١) تصبه : ترده عن دينه .

وددت ! ادخلي على أبي فاذكري له ذلك ، قالت : وهو شيخ كبير قد
تخلف عن الحج ، فدخلت عليه ، فحيته بتحية أهل الجاهلية ، ثم قلت :
إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أرسلني أخطب عليه سودة ، قال : كفاء
كريم ، فإذا تقول صاحبه ؟ قالت : تحب ذلك ، قال : ادعيها إلي ،
فدعيت له ، فقال : أي سودة ، زعمت هذه أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
أرسل يخطبك وهو كفاء كريم ، أفتحبتين أن أزوجه ؟ قالت : نعم ، قال :
فادعيه لي ، فدعته ، فجاء فزوجه ، فجاء أخوها من الحج ، عبد بن
زعة ، فجعل يحثي في رأسه التراب ، فقال بعد أن أسلم : إني لسفيه يوم أحثي
في رأسي التراب أن تزوج رسول الله سودة بنت زعة ! قال : قالت عائشة :
فقدمنا المدينة ، فنزل أبو بكر السُّنَّح في بني الحارث بن الخزرج ، قالت :
فجاء رسول الله فدخل بيتنا ، فاجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء ، فجاءتني
أمي وأنا في أرجوحة بين عدقين يرجع بي ، فأزلتني ثم وقتت جُميمة كانت لي ،
ومسحت وجهي بشيء من ماء ، ثم أقبلت تقودني ، حتى إذا كنت عند الباب
وقفت بي حتى ذهب بعض نفسي ، ثم أدخلت ورسول الله جالس على سرير
في بيتنا . قالت : فأجلستني في حجره ، فقالت : هؤلاء أهلك فبارك الله
لك فيهن وبارك لهن فيك ! ووثب القوم والنساء ، فخرجوا ، فبني بي رسول الله
في بيتي ، ما نحرت جزور ولا ذبحت على شاة ، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين ،
حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة بجفنة كان يرسل بها إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

حدثنا علي بن نصر ، قال : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث -
وحدثني عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : حدثني أبي - قال : حدثنا أبان
الطار ، قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك
ابن مروان : إنك كتبت إلي في خديجة بنت خويلد تسألني : متى توفيت ؟
وإنها توفيت قبل مُخْرَج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة بثلاث سنين أو
قريباً من ذلك ، ونكح عائشة متوفى خديجة ، كان رسول الله رأى عائشة
مرتين ، يقال له : هذه امرأتك ، وعائشة يومئذ ابنة ست سنين .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى بعائشة بعد ما قدم المدينة وهي يوم
بنى بها ابنة تسع سنين .

رجع الخبر إلى خبر هشام بن محمد . ثم تزوج رسول الله صلى الله
عليه وسلم عائشة بنت أبي بكر - واسمها عتيق بن أبي قحافة ، وهو عثمان
- ويقال عبدالرحمن بن عثمان - بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن
تيسم بن مرة ، تزوجها قبل الهجرة بثلاث سنين ، وهي ابنة سبع سنين ؛
وجمع إليها بعد أن هاجر إلى المدينة وهي ابنة تسع سنين في شوال ؛ فتوفى
عنها وهي ابنة ثمان عشرة ، ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكراً
غيرها ، ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب
ابن نوفل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرظ بن كعب - وكانت
قبله عند خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى ابن سعد بن سهم .
وكان بدرياً ، شهد بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - فلم تلد له
شيئاً ، ولم يشهد من بنى سهم بدرًا غيره .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة ، واسمها هند بنت
أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وكانت قبله عند أبي سلمة
ابن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وشهد بدرًا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فارس القوم ، فأصابته جراحة يوم أحد
فمات منها ؛ وكان ابن عمه رسول الله ورضيعه ، وأمه برة بنت عبد المطلب
ولدت له عمر ، وسلمة ، وزينب ، ودرة ؛ فلما مات كبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم على أبي سلمة تسع تكبيرات ، فلما قيل : يا رسول الله ، أسهوت
أم نسيت ؟ قال : أسهت ولم أنس ؛ ولو كبرت على أبي سلمة ألفاً كان
أهلاً لذلك ؛ ودعا النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سلمة بخلفه في أهله . فتزوجها
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الأحزاب سنة ثلاث ، وزوج سلمة بن
أبي سلمة ابنة حمزة بن عبد المطلب .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام المريسيع جويرية بنت الحارث ١٧٧٢/١ ابن أبي ضرار بن حبيب بن مالك بن جذيمة - وهو المصطلق بن سعد بن عمرو - سنة خمس ، وكانت قبله عند مالك بن صفوان ذي الشفر بن أبي سرح بن مالك بن المصطلق ؛ لم تلد له شيئاً ؛ فكانت صفيّة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم المريسيع ، فأعتقها وتزوجها ، وسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عتق ما في يده من قومها ، فأعتقهم لما .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب ؛ وكانت عند عبيد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبيب بن غنم بن دودان بن أسد - وكانت من مهاجرات الحبشة هي وزوجها ، فتنصر زوجها وحاولها أن تتابعه فأبت وصبرت على دينها ، ومات زوجها على النصرانية ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي فيها ، فقال النجاشي لأصحابه : من أولاكم بها ؟ قالوا : خالد بن سعيد بن العاص ، قال : فزوجتها من نبيكم ، ففعل وأمهرها أربعمئة دينار . ويقال : بل خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن عفان ، فلما زوجه إياها بعث إلى النجاشي فيها ، فساق عنه النجاشي ، وبعث بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بن رثاب ابن يعمر بن صبرة ؛ وكانت قبله عند زيد بن حارثة بن شراحيل مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم تلد له شيئاً ، وفيها أنزل الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ... ﴾ (١) إلى آخر الآية ، فزوجها الله عز وجل إياه ، وبعث في ذلك جبريل ؛ وكانت تفخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، وتقول : أنا أكرمكن وإيا ، وأكرمكن سفيراً .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي بن أخطب بن سعيبة بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير ؛

وكانت قبله تحت سلام بن ميشكم بن الحكم بن حارثة بن الخزرج بن كعب بن الخزرج ؛ وتوفيت عنها وخلف عليها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، فقتله محمد بن مسلمة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم ، ضرب عنقه صبراً ، فلما تصفح النبي صلى الله عليه وسلم السبى يوم خيبر ، ألقى رداءه على صفيته ، فكانت صفيته يوم خيبر ؛ ثم عرض عليها الإسلام فأسلمت ، فأعتقها ؛ وذلك سنة ست .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث بن حزن ابن بجير بن الهزيم بن ربيعة بن الله بن هلال ؛ وكانت قبله عند عمير ابن عمرو ، من بنى عقدة بن غيرة بن عوف بن قمي - وهو ثقيف - لم تلد له شيئاً ، وهى أخت أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب ، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسرف في عمرة القضاء ؛ زوجها إياه العباس ابن عبد المطلب ؛ فتزوجها رسول الله .

١٧٧٤/١

وكل هؤلاء اللواتى ذكرنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجهن إلى هذا الموضع ، توفيت رسول الله وهن أحياء ، غير خديجة بنت خويلد . ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من بنى كلاب بن ربيعة ؛ يقال لها النشاة بنت رفاعه ، وكانوا حلفاء لبنى رفاعه من قريظة . وقد اختلف فيها ، وكان بعضهم يسمي هذه سنا وينسبها ، فيقول : سنا بنت أسماء بن الصلت السلمية . وقال بعضهم : هى سبا بنت أسماء بن الصلت من بنى حرام من بنى سليم . وقالوا : توفيت قبل أن يدخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونسبها بعضهم فقال : هى سنا بنت الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن حرام بن سمال بن عوف السلمية .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم الشنبا بنت عمرو الغفارية . وكانوا أيضاً حلفاء لبنى قريظة ، وبعضهم يزعم أنها قرظية ، وقد جهل نسبها لهلاك بنى قريظة ، وقيل أيضاً إنها كنانية ، فعركت (١) حين دخلت

(١) عركت ، أى حاضت .

عليه : ومات إبراهيم قبل أن تطهر ، فقالت : لو كان نبياً ما مات أحب الناس إليه ؛ فسرّحها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم غزيرة بنت جابر من بنى أبي بكر بن كلاب ، بلغ رسول الله عنها جمال وبسطة ، فبعث أبا أسيد الأنصاري ، ثم الساعدي ، فخطبها عليه . فلما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم - وكانت حديثه عهد بالكفر فقالت : إني لم أستأمر في نفسي ، إني أعوذ بالله ١٧٧٥/١ منك ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : امتنع عائذُ الله . وردّها إلى أهلها ؛ يقال : إنها من كِنْدَة .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء بنت النعمان بن الأسود ابن شراحيل بن الجون بن حُجر بن معاوية الكندي ، فلما دخل بها وجد بها بياضاً فتعها وجهزها وردّها إلى أهلها ؛ ويقال : بل كان النعمان بعث بها إلى رسول الله فسرّحته ، فلما دخلت عليه استعادت منه أيضاً ، فبعث إلى أبيها ، فقال له : أليست ابنتك ؟ قال : بلى ، قال لها : أليست ابنته ؟ قالت : بلى ، قال النعمان : عليكها يا رسول الله ، فإنها وإنها ... وأطنب في الثناء فقال : إنها لم تبيجع قط ، ففعل بها ما فعل بالعامرية ، فلا يدري : ألقولها أم لقول أبيها : « إنها لم تبيجع قط » .

وأفاء الله عز وجل على رسوله رجحانة بنت زيد ، من بنى قريظة . وأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم مارية القبطية ، أهداها له المقوقس صاحب الإسكندرية ، فولدت له إبراهيم بن رسول الله .

فهؤلاء أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهن ست قرشيات . قال أبو جعفر : ومن لم يذكر هشام في خبره هذا ممن روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تزوجه من النساء : زينب بنت خزيمة - وهي التي يقال لها أم المساكين - من بنى عامر بن صعصعة ، وهي زينب بنت خزيمة بن الحارث ابن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكانت قبل رسول الله عند الطفيل بن الحارث بن المطلب ، أخي عبيدة بن الحارث ، توفيت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

وقيل إنه لم يَمُتْ عند رسول الله في حياته من أزواجه غيرها وغير خديجة
وشَرَّاف بنت خليفة، أخت دِحْيَةَ بن خليفة الكلبي، والعالية بنت ظبيان .

حدثني ابن عبد الله بن عبد الحكيم ، قال : حدثنا شعيب بن الليث ،
عن عُقَيْل ، عن ابن شهاب ، قال : تزوج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العالية ؛
امرأة من بني أبي بكر بن كلاب فتمتعها (١) ، ثم فارقها ، وقتيلة بنت قيس
ابن معد يكرب أخت الأشعث بن قيس ، فتوفيت عنها قبل أن يدخل بها ،
فارتدت عن الإسلام مع أخيها ، وفاطمة بنت شريح .

وذكر عن ابن الكلبي أنه قال : غزيرة بنت جابر ، هي أم شريك ،
تزوجها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد زوج كان لها قبله ؛ وكان لها منه
ابن يقال له شريك ، فكُنيت به ، فلما دخل بها النبي صلى الله عليه وسلم
وجدها مسنة ، فطلقها ، وكانت قد أسلمت ؛ وكانت تدخل على نساء
قريش فتدعوهن إلى الإسلام .

وقيل : إنه تزوج خولة بنت الهذيل بن هبيرة بن قبيصة بن الحارث ؛
رؤى ذلك عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس .

وبهذا الإسناد أن ليلى بنت الخطيم بن عدى بن عمرو بن سواد بن ظفر
ابن الحارث بن الخزرج ، أقبلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو موكب ظهره
الشمس ، فضربت على منكبيه ، فقال : من هذه ؟ قالت : أنا ابنة مباري
الريح ، أنا ليلى بنت الخطيم ، جئتك أعرض عليك نفسي فتزوجني ،
قال : قد فعلت ، فرجعت إلى قومها ، فقالت : قد تزوجني رسول الله ،
فقالوا : بنسما صنعت ! أنت امرأة غيبري ؛ والنبي صاحب نساء ، استقبله
نفسك ، فرجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : أقلني ، قال : قد
أقلتك .

وبغير هذا الإسناد أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج عمرة بنت يزيد ،
امرأة من بني رؤاس بن كلاب .

(١) متعة المرأة : ما رسلت به بعد الطلاق .

ذكر من خطب النبي

صلى الله عليه وسلم من النساء ثم لم ينكحهن

منهن أم هاني بنت أبي طالب، واسمها هند، خطبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يتزوجها؛ لأنها ذكرت أنها ذات ولد.

وخطب ضباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة إلى ابنها سلمة بن هشام بن المغيرة، فقال: حتى أستأمرها، فأناها فقال: إن النبي صلى الله عليه وسلم خطبك، فقالت: ما قلت له؟ قال: قلت له حتى أستأمرها! قالت: وفي النبي يستأمر! أرجع فزوجنه؛ فرجع فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك أنه أخبر أنها قد كبرت.

وخطب - فيما ذكر - صفية بنت بشامة أخت الأعور العنبري، وكان أصابها سبأ، فخيرها، فقال: إن شئت أنا وإن شئت زوجك، قالت: بل زوجي؛ فأرسلها.

وخطب أم حبيب بنت العباس بن عبد المطلب، فوجد العباس أخاه من الرضاعة، أرضعتها ثوية.

وخطب جمنة بنت الحارث بن أبي حارثة، فقال أبوها - فيما ذكر: بها شيء، ولم يكن بها شيء، فرجع فوجدها قد برصت.

• • •

ذكر سراي رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهي مارية بنت شمعون القبطية، وريحانة بنت زيد القرظية. وقيل: هي من بني النضير. وقد مضى ذكر أخبارهما قبل.

• • •

ذكر موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فمنهم زيد بن حارثة وابنه أسامة بن زيد، وقد ذكرنا خبره فيما مضى. وثوبان - مولى رسول الله، فأعتقه، ولم يزل معه حتى قبض، ثم نزل حيمص

وله بها دار وقف ؛ ذكر أنه توفي سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية .
وقال بعضهم : بل كان سكن الرملة ، ولا عقب له .

وشُقْرَان - وكان من الحبشة ، اسمه صالح بن عدى ؛ اختلف في أمره . قد ذكر عن عبد الله بن داود الخريبي أنه قال : شُقْرَان ورثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبيه . وقال بعضهم : شُقْرَان من الفرس ، ونسبه فقال : هو صالح بن حول ابن مهر بود .

نسب شُقْرَان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول من نسبته إلى عجم الفرس . زعم أنه صالح بن حول بن مهر بود بن آذر جُشْنَس بن مهربان بن فيران بن رستم بن فيروز بن ماي بن بهرام بن رشتي ، وزعم أنهم كانوا من دهاقين الري .

وذكر عن مصعب الزبيري أنه قال : كان شُقْرَان لعبد الرحمن بن عوف . فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم وأنه أعقب ؛ وأن آخرهم مؤبا ، رجل كان بالمدينة من ولده ، كان له بالبصرة بقية .

ورُوَيْفَع - وهو أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اسمه أسلم . وقال بعضهم : اسمه إبراهيم . واختلفوا في أمره ؛ فقال بعضهم : كان للعباس بن عبد المطلب ، فوهبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعتقه رسول الله . وقال بعضهم : كان أبو رافع لأبي أحيحة سعيد بن العاص الأكبر فورثه بنوه ، فأعتق ثلاثة منهم أنصباؤهم منه ، وقتلوا يوم بدر جميعاً ؛ وشهد أبو رافع معهم بدرًا ، ووهب خالد بن سعيد نصيبته منه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه رسول الله . وابنه البهي - اسمه رافع .

١٧٧٩/١

وأخو البهي عبدة الله بن أبي رافع - وكان يكتب لعل بن أبي طالب ، فلما ولي عمرو بن سعيد المدينة دعا البهي ، فقال : من مولاك ؟ فقال : رسول الله ، فضربه مائة سوط ، وقال : مولى من أنت ! قال : مولى رسول الله ، فضربه مائة سوط ؛ فلم يزل يفعل به ذلك كلما سأله : مولى من أنت ؟ قال : مولى رسول الله ؛ حتى ضربه خمسمائة سوط ، ثم قال : مولى من أنت ؟ قال : مولاكم ، فلما قتل عبد الملك عمرو بن سعيد قال البهي بن أبي رافع :

صَحَّتْ وَلَا شَلَّتْ وَضَرَّتْ عَدُوَّهَا يَمِينُ هَرَاقَتِ مُهْجَةَ ابْنِ سَعِيدِ
هُوَ ابْنُ أَبِي الْعَاصِي مِرَارًا وَيَنْتَسِي إِلَى أُسْرَةٍ طَابَتْ لَهُ وَجُدُودِ

وسلمان الفارسي - وكنيته أبو عبد الله من أهل قرية أصبهان ؛ ويقال :
إنه من قرية رامهرمز ؛ فأصابه أسرٌ من بعض كتّاب ، فبيع من بعض
اليهود بناحية وادي القرى ؛ فكاتب اليهودي ، فأعانه رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم والمسلمون حتى عتق . وقال بعضُ نسابة الفرس : سلمان من
كورسابور ، واسمه مابه بن بوذخشان بن ده ديره .

وسفينة - مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان لأم سلمة فأعتقته ؛
واشترطت عليه خادمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ، قيل : إنه أسود ؛
واختلف في اسمه ، فقال بعضهم : اسمه مهران ، وقال بعضهم : اسمه ربّاح ،
وقال بعضهم : هو من عجم الفرس ؛ واسمه سبيه بن مارقيه ، وأنسه . يكنى
أبا مسرّح ، وقيل : أبا مسرّوح . كان من مولدَى المرأة ؛ وكان يأذن
على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس ، وشهد بدرًا وأحدًا والمشاهد
كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : أصله من عجم
الفرس ؛ كانت أمه حبشيةً وأبوه فارسيًا . قال : واسم أبيه بالفارسية كردوى
ابن أشرنیده بن أدوهر بن مهرداد بن كحنكان من بني مهجوار بن يوماست .
وأبو كبشّة - واسمه سائيم ، قيل إنه كان من مولدَى مكة ، وقيل :
من مولدَى أرض دوس ، ابتاعه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه ، فشهد
مع رسول الله بدرًا وأحدًا والمشاهد . توفّي في أوّل يوم استُخلف فيه عمر بن
الخطاب ، سنة ثلاث عشرة من الهجرة .

وأبو مؤنّب - قيل : إنه كان من مولدَى مُزينة ، فاشتراه رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم فأعتقه .

وربّاح الأسود - كان يأذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم .
وفضالة - مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل - فيما ذكر - الشام .
وميد عم - مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان عبدًا لرفاعة

١٧٨١/١ ابن زيد الجُذَامِيّ، فوجه لرسول الله، فقتل بوادي القُرى، يوم نزل بهم رسول الله، أتاه سهم غَرَبٍ^(١) فقتله.

وأبو ضُمَيْرَة - كان بعضُ نَسَابَة الفرس زعم أنه من عجم الفرس، من وُلد كشتاسب الملك، وأن اسمه واح بن شيرز بن بيرويس بن تاريشمه ابن ماهوش بن بالابور. وذكر بعضهم أنه كان ممن صار في قَسَم رسول الله في بعض وقائمه، فأعتقه، وكتب له كتاباً بالوصية؛ وهو جدّ حسين بن عبد الله بن أبي ضُمَيْرَة، وأن ذلك الكتاب في أيدي ولد ولده وأهل بيته، وأنّ حسين بن عبد الله هذا قدم على المهديّ ومعه ذلك الكتاب، فأخذه المهديّ فوضعه على عينيه، ووصله بثلاثمائة دينار.

ويَسَار - وكان فيما ذكر نوبياً؛ كان فيما وقع في سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته فأعتقه؛ وهو الذي قتل العُرتيون الذين أغاروا على ليحاح رسول الله.

ومِهْرَان - حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان له خَصِيٌّ يقال له مابور - كان المقوقس أهداه إليه مع الجاريتين اللتين يقال لإحدهما مارية، وهي التي تحرّرت بها والأخرى سيرين وهي التي وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت، لما كان من جنابة صفوان بن المعطل عليه، فولدت لحسان ابنته عبد الرحمن بن حسان. وكان المقوقس بعث بهذا الخصى مع الجاريتين اللتين أهداهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليوصلهما إليه، ويحفظهما من الطريق حتى تتصلا إليه. وقيل: إنه الذي قُذِفَت مارية به، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وأمره بقتله، فلما رأى علياً وما يريد به تكشّف حتى تبيّن لعليّ أنه أجب لاشيء معه مما يكون مع الرجال، فكف عنه عليّ. وخرج إليه من الطائف - وهو محاصر أهلها - أعبد لهم أربعة، فأعتقهم صلى الله عليه وسلم، منهم أبو بكرّة.

• • •

(١) سهم غرب: لا يدري زاميه.

ذكر من كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر أن عثمان بن عفان كان يكتب له أحياناً ، وأحياناً علي بن أبي طالب ، وخالد بن سعيد ، وأبان بن سعيد ، والعلاء بن الحضرمي .
 قيل : أول من كتب له أبي بن كعب ؛ وكان إذا غاب أبي كتب له زيد بن ثابت .

وكتب له عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ثم ارتد عن الإسلام ، ثم راجع الإسلام يوم فتح مكة .
 وكتب له معاوية بن أبي سفيان ، وحنظلة الأسدي .

• • •

أسماء خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حنثة ، عن أبيه ، قال : أول فرس ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرس ابتاعه بالمدينة من رجل من بني فنزارة بعشر أواق ، وكان اسمه عند الأعرابي الضريس ، فسماه رسول الله السكب ؛ وكان أول ما غزا عليه أحد ، ليس مع المسلمين يومئذ فرس غيره ، وفرس لأبي بردة بن نيار ، يقال له ملأوح (١) .

حدثني الحارث ، قال : أخبرنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : سألت محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حنثة عن المرتجيز ، فقال : هو الفرس الذي اشتراه من الأعرابي الذي شهد له فيه خزيمة بن ثابت ؛ وكان ١/١٧٨٣ الأعرابي من بني مرة (٢) .

حدثني الحارث قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : أخبرنا أبي بن عباس بن سهل ، عن أبيه ، عن جده ، قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أفراس : ليزاز ، والظرب ، واللخيف (٣) ؛

(١) طبقات ابن سعد ١ : ٨٩ (٢) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٠

(٣) في الفائق : « اللخيف » ، بالحاء ، ورجحها ابن الأثير

فأما ليزاز فأهداه له المقوقس، وأما اللثخيف فأهداه له ربيعة بن أبي البراء؛
فأثابه عليه فرائض من زعم بنى كلاب، وأما الظرب فأهداه له فروة
ابن عمرو الجذامي. وأهدى تميم الداري لرسول الله فرساً يقال له: الورد،
فأعطاه عمر؛ فحمل عليه عمر في سبيل الله، فوجده ينسب (١).
وقد زعم بعضهم أنه كان له مع ما ذكرت من الخيل فرس يقال له
اليغسوب.

• • •

ذكر أسماء بغال رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: حدثنا محمد بن عمر،
قال: حدثنا موسى بن محمد بن إبراهيم، عن أبيه، قال: كانت دلدل
بغلة النبي صلى الله عليه وسلم أول بغلة ربيت في الإسلام، أهداها له المقوقس
وأهدى له معها حماراً يقال له عنفير؛ فكانت البغلة قد بقيت حتى كان
زمن معاوية (٢).

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال:
أخبرنا معمر، عن الزدري، قال: دلدل أهداها له فروة بن عمرو الجذامي.
حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر،
قال: أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبيرة، عن زامل بن عمرو، قال:
أهدى فروة بن عمرو إلى النبي صلى الله عليه وسلم بغلة يقال لها فضة؛ فوهبها
لأبي بكر، وحماره يعفور؛ فنفق منصرفه من حجة الوداع (٣).

١٧٨٤/١

• • •

ذكر أسماء إبلة صلى الله عليه وسلم

حدثني الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر،
قال: حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أبيه، قال: كانت

(١) ينابيع: سير بخطافسيحة. طبقات ابن سعد ١: ٤٩٠

(٢) طبقات ابن سعد ١: ٤٩١ (٣) طبقات ابن سعد ١: ٤٩١

القَصْوَاء من نَعَمَ بنى الحريش ، ابتاعها أبو بكر وأخرى معها بثمانمائة درهم ، وأخذها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعمائة ؛ فكانت عنده حتى نفقت ؛ وهى التى هاجر عليها ؛ وكانت حين قدم رسولُ الله المدينة ربّاعية ، وكان اسمها القصواء والجَدْعاء والعَضْبَاء (١) .

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر قال : حدّثنى ابنُ أبي ذئب ، عن يحيى بن يعلى . عن ابن المسيّب ، قال : كان اسمها العَضْبَاء ؛ وكان فى طرف أذنها جدّع (١) .

• • •

ذكر أسماء لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى معاوية بن عبد الله بن عبيد الله بن أبى رافع ، قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقاح ، وهى التى أغار عليها القوم بالغابة ، وهى عشرون لِقْحَةً (٢) ، وكانت التى يعيش بها أهلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يراح إليه كل ليلة بقربتَيْن عظيمتين من لبن فيها لِقْحَاحٌ غِزَارٌ (٣) : الحناء ، والسّمراء ، والعريس ، والسّعديّة ، والبغوم ، واليسيرة ، والرّيبا (٤) .

١٧٨٥/١

حدّثنى الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنى هارون بن محمد ، عن أبيه ، عن نسيهان : مولى أمّ سلمة ، قال : سمعتُ أمّ سلمة ، تقول : كان عيشنا مع رسول الله اللين - أو قالت أكثر عيشنا - كانت لرسول الله لقاح بالغابة كان قد فرقها على نساته ، فكانت فيها لقحة تدعى العريس ؛ وكنا منها فيما شئنا من اللين ، وكانت لعائشة لقحة تدعى السمرء غزيرة ، لم تكن كلقحتى ، فقرب راعيهن اللقّاح إلى مرعى بناحية الجوانية ، فكانت تروح على أبياتنا فنؤتّى بهما فتحلبان ، فتوجدُ لقحته أغزر منهما بمثل لبنهما أو أكثر (٥) .

(١) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٢ (٢) اللقحة واللقوح : الناقة الخلوب .

(٣) ابن سعد : « لقاح غزر » ، أى كثيرات اللين

(٤) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، وفيها : « والدباء » . (٥) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٤

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا عبد السلام بن جبَيْر ، عن أبيه ، قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقائح تكون بذى الجَدْر ، وتكون بالحماء ، فكان لبنيها يتووب إلينا ؛ لِقحة تدعى مهرة ، أرسل بها سعدُ بن عبادة من نَعَم بنى عُقَيْل وكانت غزيرة ؛ وكانت الرِّيا والشقراء ابتاعهما بسوق النَّبَط من بنى عامر ، وكانت بردة ، والسمرء ، والعريمس ، واليسيرة ، والحناء ، يُحلبين ويُرَاح إليه بلبنهن كل ليلة ؛ وكان فيها غلام للنبي صلى الله عليه وسلم اسمه بِسَّار ، فقَتَلوه^(١) .

• • •

ذكر أسماء منائح رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني زكرياء بن يحيى ، عن إبراهيم بن عبد الله ، من ولد عُثْبَةَ بن غَزْوَانَ ، قال : كانت منائحُ رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعا : عجوة ، وزَمْزَم ، وسُقَيْيَا ، وبركة ، وورسة ، وأطلال ، وأطراف^(١) .

١٧٨٦/١

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد ، قال : حدثني أبو إسحاق ، عن عباد بن منصور ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كانت منائحُ رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع أعنز منائح ، يرعاهن ابنُ أمِّ أيمن^(١) .

• • •

ذكر أسماء سيوف رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبيرة ، عن مروان بن

(١) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٥

أبي سعيد بن المعلی ، قال : أصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قَيْنُقَاع ثلاثة أسياف : سيفاً قَلْعِيّاً^(١) ، وسيفاً يُدعى بَتَّاراً ، وسيفاً يدعى الحَتْف ؛ وكان عنده بعد ذلك المِخْدَم ورَسُوب ، أصابهما من الفِلس^(٢) . وقيل إنه قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ومعه سيفان ، يقال لأحدهما : القُضيب^(٣) ، شهد به بدرًا ، وسيفه ذو الفقار غنمِه يوم بدر ، ١٧٨٧/١ ، كان لقبه بن الحجاج^(٤) .

•••

ذكر أسماء قسيه ورماحه صلى الله عليه وسلم

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبيرة ، عن مروان بن أبي سعيد بن المعلی ، قال : أصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قَيْنُقَاع ثلاثة أرماح وثلاث قسي : قوس الرِّوحاء ، وقوس شوْحَط ، تدعى البيضاء ، وقوس صفراء تدعى الصفراء من نبع^(٥) .

•••

ذكر أسماء دروعه صلى الله عليه وسلم

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبيرة ، عن مروان بن أبي سعيد بن المعلی ، قال : أصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قَيْنُقَاع درعين ؛ درع يقال لها السعدية ، ودرع يقال لها فضة^(٦) .

حدثني الحارث ، قال : حدثني ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني موسى بن عمر ، عن جعفر بن محمود ، عن محمد بن مسلمة ، قال : رأيتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد درعين :

(١) سيف قلمى : منسوب إلى القلعة موضع بالبادية قرب حلوان ، تنسب إليه السيوف .

(٢) الفِلس : صنم كان لطيوس ، أرسل الرسول في هجرتِه سنة ثمان ، وأصاب منه ثلاثة سيوف ،

يعقوت ٦ : ٣٩٤ .

(٣) ط : « العضب » ، والتصويب من الفائق . (٤) طبقات ابن سعد ١ : ٤٨٦

(٥) طبقات ابن سعد ١ : ٤٨٩ (٦) طبقات ابن سعد ١ : ٤٨٧

درعهُ ذاتُ الفضولِ ودرعهُ فضةٌ ، ورأيتُ عليه يومَ خيبرِ درعينِ : ذاتُ الفضولِ والسعدية^(١) .

• • •

ذكرُ ترسهِ صلى الله عليه وسلم

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا عتاب بن زياد ، قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر ، قال : سمعتُ مكحولاً يقول : كان لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ترسٌ فيه تمثالُ رأسِ كبشٍ ، فكره رسولُ الله مكانه ، فأصبح يوماً وقد أذهب الله عز وجل .

١٧٨٨/١

• • •

ذكرُ أسماءِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم

حدثني محمد بن المثنى ، قال : حدثنا ابنُ أبي عدي ، عن عبد الرحمن - يعني المسعودي - عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن أبي موسى ، قال : سُمي لنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماءً ، منها ما حفظنا . قال : أنا محمد ، وأحمد ، والمقضي ، والحاشر ، ونبي التوبة والملحمة . حدثني ابن المثنى ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : أخبرنا إبراهيم - يعني ابن سعد - عن الزهري ، قال : أخبرني محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، قال : قال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن لي أسماءً ؛ أنا محمد ، وأحمد ، والعاقب ، والمأحى . قال الزهري : العاقب : الذي ليس بعده أحد ، والمأحى : الذي يمحو الله به الكفر .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا يزيد بن هارون ، قال ، أخبرنا سفيان ابن حسين ، قال : حدثني الزهري ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ؛ قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أنا محمد ، وأحمد ، والمأحى ،

(١) طبقات ابن سعد ١ : ٤٨٧

والعاقب ، والحاشر ؛ الذي يحشر الناس على قدمي . قال يزيد : فسألت
سفيان : ما العاقب ؟ قال : آخر الأنبياء .

• • •

١٧٨٩/١

ذكر صفة النبي صلى الله عليه وسلم

حدثني ابنُ المنثي ، قال : حدثني ابن أبي عدى ، عن المسعودي ،
عن عثمان بن عبد الله بن هُرْمَز ، قال : حدثني نافع بن جُبَيْر ، عن عليّ
ابن أبي طالب ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل
ولا بالقصير ، ضَخْمُ الرَّأْسِ واللَّحْيَةِ ، شَتْنُ الكَفَيْنِ ^(١) والقَدَمَيْنِ ، ضَخْمُ
الكَرَادَيْسِ ^(٢) ، مُشْرَبًا وَجْهَهُ الحُمْرَةَ ، طَوِيلُ المَسْرُوبَةِ ^(٣) إِذَا مَشَى
تَكَفَأَ تَكَفَأُوا ^(٤) كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ ^(٥) . لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ ؛
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

حدثنا ابن المنثي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، قال : حدثنا
مجمع بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الله بن عمران ، عن رجل من الأنصار
— لم يسمه — أنه سأل عليّ بن أبي طالب وهو في مسجد الكوفة مُخْتَبِ
بِحِمَالَةِ سَيْفِهِ ، فَقَالَ : انْعَسْتُ لِي نَعَتَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ
عَلِيٌّ : كَانَ رَسُولُ اللهِ أبيضَ اللونِ مُشْرَبًا حُمْرَةَ ، أَدْعَجَ سَبَطَ الشَّعْرَ ،
دَقِيقَ المَسْرُوبَةِ ، سَهْلَ الحَدَّيْنِ . كَثَّتْ اللَّحْيَةُ إِذَا وَفَّرَةَ ^(٦) ؛ كَأَن عُنُقَهُ
إِبْرِيْقُ فِضَّةٍ ؛ كَانَ لَهُ شَعْرٌ مِنْ لَبَّتَةِ إِلَى سُرَّتِهِ يَجْرِي كَالْقَضِيبِ ؛ لَمْ يَكُنْ
فِي إِبْطِهِ وَلَا صَدْرِهِ شَعْرٌ غَيْرِهِ ، شَتْنُ الكَفِّ والقَدَمِ ؛ إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَدِرُ
مِنْ صَبَبٍ ؛ وَإِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْقَلَعُ مِنْ صَخْرٍ ، وَإِذَا التَفَتَ التَفَتَ جَمِيعًا ؛
لَيْسَ بِالقَصِيرِ وَلَا بِالطَوِيلِ ، وَلَا العَاجِزِ وَلَا اللَّثِيمِ ؛ كَأَن العَرَقَ فِي وَجْهِهِ

(١) شَتْنُ الكَفَيْنِ : يميلان إلى الغلظ . (٢) الكَرَادَيْسُ : ملتق كل عظمين .

(٣) المَسْرُوبَةُ : الشعر ما بين وسط الصدر إلى البطن .

(٤) تَكَفَأَ : يميل إلى الأمام في مشيه .

(٥) الصَّبَبُ ، محرَّكَةٌ : طريق يكون في حدود .

(٦) الوَفْرَةُ : الشعر المجتمع على الرأس ، أو ما سال على الأذنين منه .

اللؤلؤ ؛ ولتریح عرقه أطيب من المسك ؛ لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم .
 حدثنا ابنُ المقدمي ، قال : حدثنا يحيى بن محمد بن قيس الذي يقال له أبو زُكير . قال : سمعتُ ربيعة بن أبي عبد الرحمن يذكر عن أنس بن مالك أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بُعث على رأس أربعين ؛ فأقام بمكة عشرًا وبالمدينة عشرًا ، وتوفّيَ على رأسِ ستين ؛ ليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء ؛ ولم يكن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن ، ولا القصير ؛ ولم يكن بالأبيض الأمهق^(١) ؛ ولا الآدم ، ولم يكن بالمتعد القَطَط ولا السَّبَط^(٢) .

١٧٩٠/١

حدثني ابنُ المثنى قال : حدثنا يزيد بن هارون ، عن الجُريري ، قال : كنت مع أبي الطفيل نطوف بالبيت ؛ فقال : ما بقي أحدٌ رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم غيري ؛ قال : وقلت : رأيته ؟ قال : نعم ، قلت : كيف كان صفته ؟ قال : كان أبيضًا مليحًا مقصدًا^(٣) .

• • •

ذكر خاتم النبوة التي كانت به صلى الله عليه وسلم

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا الضحاك بن مخلد ، قال : حدثنا عزرة بن ثابت ، قال : حدثنا علباء ، قال : حدثنا أبو زيد ، قال : قال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا زيد ، اذنُ مني امسحْ ظهري - وكشف عن ظهره - قال : فمسستُ ظهره ، ثم وضعتُ أصبعي على الخاتم^(٤) فغمزتها ، قال : قلت : وما الخاتم ؟ قال : شعرٌ جمعٌ كان على كتفيه .
 حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا بشر بن الوضاح أبو الهيثم ، قال : حدثنا أبو عقيل الدورقي عن أبي نضرة ، قال : سألت أبا سعيد الخدري عن الخاتم التي كانت للنبي صلى الله عليه وسلم ، قال كانت بضعًا ناشرة .

١٧٩١/١

• • •

(١) الأمهق: الشديد البياض . (٢) البسط : المترسل ، والجمع : القصير ، والقَطَط : شعر

الزنج . (٣) المقصد : الذي ليس بالحجم ولا الضخيل .

(٤) أنت كلمة الخاتم ، لأنضمها معنى الشامة أو العلامة .

ذكر شجاعته وجوده صلى الله عليه وسلم

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا حماد بن واقد ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : كان نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس ، وأسمع الناس ، وأشجع الناس ؛ لقد كان فزعاً بالمدينة ، فانطلق أهلُ المدينة نحو الصوت ، فإذا هم قد تلقوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على فرسٍ عُرِيٍّ^(١) لأبي طلحة ، ما عليه سَرَجٌ ، وعليه السيف . قال : وقد كان سبقهم إلى الصوت ، قال : فجعل يقول : يا أيها الناس ، لم تُراعوا ، لم تُراعوا ! مرتين ، ثم قال : يا أبا طلحة ، وجدناه بحراً ؛ وقد كان الفرس يبطأ ، فما سبقه فرسٌ بعد ذلك .

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا عبدُ الرحمن بن مهدي ، قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أشجع الناس ، وأجودَ الناس ؛ كان فزعاً بالمدينة فخرج الناس قبل الصوت ، فاستبرأ الفزعَ على فرسٍ لأبي طلحة عُرِيٍّ ، ما عليه سَرَجٌ ، في عنقه السيف . قال : وجدناه بحراً — أو قال : وإنه لبتحراً .

• • •

١٧٩٢/١

ذكر صفة شعره صلى الله عليه وسلم وهل كان يَحْضِبُ أم لا

حدثني ابنُ المثنى ، قال : حدثنا مُعَاذُ بن معاذ ، قال : حدثنا حريز بن عثمان ، قال أبو موسى : قال مُعَاذُ : وما رأيتُ من رجلٍ قطُّ من أهل الشام أفضلُّه عليه ، قال : دخلنا على عبد الله بن بُسْرٍ ، فقلت له من بين أصحابي : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؟ أشيخاً كان ؟ قال : فوضع يده على عَنَفَقَتِهِ ، وقال : كان في عَنَفَقَتِهِ شعرٌ أبيض .

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا زهير ، عن أبي إسحاق ، عن أبي جُحَيْفَةَ ، قال : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عَنَفَقَتُهُ بيضاء ، قيل : مثلُ مَنْ أنت يومئذ يا أبا جُحَيْفَةَ ؟ قال : أبري النَّبْلِ وأريشها .

حدثني ابنُ المثنى ، قال : حدثنا خالد بن الحارث ، قال : حدثنا حميد ، قال : مثل أنس : أخضب رسول الله ؟ قال : فقال أنس : لم يشتد برسول الله الشيب ، ولكن خضب أبو بكر بالخناء والكتَم^(١) ، وخضب عمر بالخناء .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، قال : مثل أنس : هل خضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لم ير من الشيب إلا نحو من تسع عشرة أو عشرين شعرة بيضاء في مقدم لحيته . قال : إنه لم يُسَنَّ بالشيب ، فقيل لأنس : وشين هو ! قال : كلُّكم يكرهه ، ولكن خضب أبو بكر بالخناء والكتَم ، وخضب عمر بالخناء .

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا معاذ بن معاذ ، قال : حدثنا حميد ، عن أنس ، قال : لم يكن الشيب الذي بالنبي صلى الله عليه وسلم عشرين شعرة . ١٧٩٣/١

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا عبدُ الرحمن ، قال : حدثنا حماد ابن سلمة ، عن سماك ، عن جابر بن سمرة ، قال : ما كان في رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشيب إلا شعرات في مفرق رأسه ؛ وكان إذا دهنه غطاهن .

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا عبدُ الرحمن بن مهدي ، قال : حدثنا سلام بن أبي مطيع ، عن عثمان بن عبد الله بن موهب ، قال : دخلت زوج النبي صلى الله عليه وسلم فأخرجت إلينا شعراً من شعر رسول الله محضوباً بالخناء والكتَم .

حدثنا ابنُ جابر بن الكردى الواسطى ، قال : حدثنا أبو سفيان ، قال : حدثنا الضحاك بن حمزة ، عن غييلان بن جامع ، عن إياد بن لقيط ، عن أبي رمثة ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يخضب بالخناء والكتَم ؛ وكان يبلغ شعره كتيفيه أو منكبيه - الشك من أبي سفيان .

(١) الكَم محرّكة : نبت يخلط بالخناء ويخضب به الشعر فيبق لونه .

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا عبدُ الرحمن بن مهدي ، عن إبراهيم
- يعني ابن نافع - عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد ، عن أم هاني ، قالت :
رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وله صفائر أربع .

• • •

ذكر الخبر عن بدء مرض رسول الله الذي توفي فيه

وما كان منه قبيل ذلك لما نعت إليه نفسه صلى الله عليه وسلم

قال أبو جعفر : يقول الله عز وجل : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ .
وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ
إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ ^(١) . قد مضى ذكرنا قبل ما كان من تعليم رسول الله صلى الله
عليه وسلم أصحابه - في حجته التي حجتها المسماة حجة الوداع ، وحجة
التمام ، وحجة البلاغ - مناسكهم ووصيته إياهم ، بما قد ذكرت قبل في خطبته
التي خطبها بهم فيها .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من سفره ذلك بعد فراغه من
حجته إلى منزله بالمدينة في بقية ذي الحجة ، فأقام بها ما بقى من ذي الحجة
والمحرم والصفرة .

(١) سورة النصر ١ - ٣

ثم دخلت سنة إحدى عشرة

ذكر الأحداث التي كانت فيها

. قال أبو جعفر : ثم ضرب في المحرم من سنة إحدى عشرة على الناس بعتنا إلى الشام ، وأمر عليهم مولاة وابن مولاة أسامة بن زيد بن حارثة ، وأمره - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلامة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبيد بن أبي ربيعة - أن يوطئ الخيل نخوم البلقاء والدأروم من أرض فلسطين ، فتجهز الناس ، وأوعب^(١) مع أسامة المهاجرون الأولون^(٢) .

فبينما الناس على ذلك ابتدئ صلى الله عليه وسلم شكواه التي قبضه الله عز وجل فيها إلى ما أراد به من رحمته وكرامته في ليالٍ بقين من صفر، أو في أول شهر ربيع الأول .

حدثنا عبيد الله بن سعد^(٣) الزهري ، قال : حدثني عمي يعقوب بن إبراهيم قال : أخبرنا سيف بن عمر ، قال : حدثنا عبد الله بن سعيد بن ثابت ابن الخزع الأنصاري ، عن عبيد بن حنين مولى النبي صلى الله عليه وسلم ، عن أبي مؤيبهة مولى رسول الله ، قال : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد ما قضى حجة التمام ، فتحال به السير ، وصرب على الناس بعثا ، وأمر عليهم أسامة بن زيد ، وأمره أن يوطئ من آبل الزيتون من مشارف الشام الأرض بالأردن ، فقال المنافقون في ذلك ، ورد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم : «إنه خليق لها - أي حقيق بالإمارة - وإن قلم فيه لقد قلم في أبيه من قبل ؛ وإن كان خليقا لها . فطارت الأخبار بتحلل السير بالنبي صلى الله عليه وسلم أن النبي قد اشتكى ، فوثب الأسود باليمن ومسيما بالهامة ؛

(١) أوعب المهاجرون : جمعوا ما استطاعوا من العدة .

(٢) انخر إلى هنا في سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٢ .

(٣) ط : « سعيد » ، وأثبت ما في التصويبات .

وجاء الخبير عنهما للنبي صلى الله عليه وسلم . ثم وثب طليحة في بلاد أسد بعد ما أفاق النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم اشتكى في الحرم وجعه الذي قبضه الله تعالى فيه .

حدثنا ابن سعد ، قال : حدثني عمي يعقوب بن إبراهيم قال : أخبرنا سيف ، قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه الذي توفاه الله به في عقب الحرم وقال الواقدي : بُدِي رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه للبتين بقينا من صفر .

• • •

حدثنا عبيد الله بن سعد ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثنا سيف ابن عمر ، قال : حدثنا المستنير بن يزيد النخعي ، عن عروة بن غزوية الدثيني ، عن الضحاك بن فيروز بن الديلمي ، عن أبيه ، قال : إن أول ردة كانت في الإسلام باليمن كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على يدى ذى الحمار عبهلة بن كعب - وهو الأسود - في عامه مذحج . خرج بعد الوداع ، كان الأسود كاهناً شعباًذا^(۱) ، وكان يريهم الأعاجيب ، ۱۷۹۶/۱ ويسبي قلوب من سمع منطقته ، وكان أول ما خرج أن خرج من كهف نخبان ، وهي كانت داره ، وبها ولد ونشأ ، فكاتبته مذحج ، وواعدته نجران ، فوثبوا بها وأخرجوا عمرو بن حزم ونخالد بن سعيد بن العاص وأنزلوه مترهما ، ووثب قيس بن عبد يغوث على فتهوة بن مسيكة وهو على مراد ، فأجلاه ونزل متره ، فلم ينشأ عبهلة بنجران أن سار إلى صنعاء فأخذها ، وكتب بذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم من فعله ونزوله صنعاء ، وكان أول خبر وقع به عنه من قبيل فروة بن مسيكة ، ولحق بفروة من تم على الإسلام من مذحج ، فكانوا بالأحسيية ، ولم يكاتبه الأسود ولم يرسل إليه ، لأنه لم يكن معه أحد يشاغبه ، وصفا له ملك اليمن .

(۱) شعباًذا : شعباً ، والشعبة والشعفة : أخذ كالسحر يري الشيء بغير ما عليه أصله في رأي الشيخ .

حدثنا عبيدُ الله ، قال : أخبرني عمي يعقوب ، قال : حدثني سيف ، قال : حدثنا طلحة بن الأعمى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضرب بعث أسامة فلم يستب لوجع رسول الله ولجع مسيلمة والأسود ؛ وقد أكثر المنافقون في تأمير أسامة ، حتى بلغه ؛ فخرج النبي صلى الله عليه وسلم على الناس عاصباً رأسه من الصداع لذلك الشأن وانتشاره ، لرؤيا رآها في بيت عائشة : فقال : إني رأيت البارحة - فيما يرى النائم - أن في عضدي سوارين من ذهب ؛ فكرهتهما فنفختهما ، فطارا ، فأولتهما هذين الكدابين - صاحب اليمامة وصاحب اليمن - وقد بلغني أن أقواماً يقولون في إمارة أسامة ! ولعمري لئن قالوا في إمارته ، لقد قالوا في إمارة أبيه من قبله ! وإن كان أبوه خليفاً للإمارة ، وإنه خليف لها ؛ فأنفذوا بعث أسامة . وقال : لعن الله الذين يتخذون قبور أنبيائهم مساجد !

١٧٩٧/١

فخرج أسامة فضرب بالحرف ؛ وأنشأ الناس في العسكر ، ونجم طليحة وتمهل الناس ، وثقل^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستم الأمر ؛ ينظرون أولهم آخرهم ، حتى توفى الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم .

كتب إلى السري بن يحيى ، يقول : حدثنا شعيب بن إبراهيم التميمي ، عن سيف بن عمر ، قال : حدثنا سعيد بن عبيد أبو يعقوب ، عن أبي ماجد الأسدي ، عن الحضرمي بن عامر الأسدي ، قال : سألت عن أمر طليحة ابن خويلد ؛ فقال : وقع بنا الخبر بوجع النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم بلغنا أن مسيلمة قد غلب على اليمامة ، وأن الأسود قد غلب على اليمن ؛ فلم يلبث إلا قليلاً حتى ادعى طليحة النبوة ، وعسكر بسميراء ، واتبعه العوام ؛ واستكثف أمره ؛ وبعث حبال ابن أخيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الموادة ، ويخبره خبره . وقال حبال : إن الذي يأتيه ذو النون ؛ فقال : لقد سمى ملكاً ، فقال حبال : أنا ابن خويلد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قتلك الله وحرمتك الشهادة !

(١) ثقل : اشتد عليه المرض .

وحدثني عبيدُ الله بن سعد ، قال : أخبرنا عمي يعقوب ، قال : أخبرنا سيِّف ، قال : وحدثنا سعيد بن عبيد ، عن حرِيث بن المعلّى : أن أول مَنْ كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم بخبر طليحة سنان بن أبي سنان ، وكان على بنى مالك ؛ وكان قُضاعي بن عمرو على بنى الحارث .

١٧٩٨/١

حدثنا عبيدُ الله بن سعد ، قال : أخبرنا عمي ، قال : أخبرنا سيف ، قال : أخبرنا هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : حاربهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالرسول ، قال : فأرسل إلى نفرٍ من الأبناء رسولا ، وكتب إليهم أن يحاولوه ، وأمرهم أن يستنجدوا رجالا - قد ساهم - من بنى تميم وقيس ؛ وأرسل إلى أولئك النَّفَر أن ينجدوهم ، ففعلوا ذلك ؛ وانقطعت سبل المرتدّة ، وطعنوا في نقصان وأغلقهم ، واشتغلوا في أنفسهم ، فأصيب الأسود في حياة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وقبل وفاته يوم أوبليّة ، ولظن طليحة ومسيلمة وأشباههم بالرسول ؛ ولم يشغله ما كان فيه من الوجع عن أمرِ الله عزّ وجلّ والذبّ عن دينه ، فبعث وبتربنُ مُحَنَس إلى فيروز وجُشيش الديلمي وداذويه الإصطخري ؛ وبعث جرير بن عبد الله إلى ذى الكَّلَاع وذى ظُلَيْم ، وبعث الأقرع بن عبد الله الحميري إلى ذى زُود وذى مُرَّان ، وبعث فرات بن حيّان العجلي إلى ثمامة بن أثال ، وبعث زياد بن حنظلة التميمي ثم العمري إلى قيس بن عاصم والزَّبْرَقان بن بدر ، وبعث صلصل بن سُرحبيل إلى نَسْبَرَة العنبري ووكيع الداري وإلى عمرو بن المحجوب العامري ، وإلى عمرو بن الحنيفة أجي من بني عامر ، وبعث ضرار بن الأزور الأسدي إلى عتوف الزرقاني من بني الصيِّداء وسنان الأسدي ثم الغنمي ، وقضاعي الدُّثلي ، وبعث نعيم بن مسعود الأشجعي إلى ابن ذى اللحية وابن مشيمصة الجبيري .

١٧٩٩/١

وحدثت عن هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، قال : حدثنا الصَّقْعَب ابن زهير ، عن فقهاء أهل الحجاز ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وجمع وجهه الذي قبض فيه في آخر صفر في أيام بقيين منه ؛ وهو في بيت زينب بنت جحش .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة وعلي بن مجاهد ، عن محمد ابن إسحاق ، عن عبد الله بن عمر بن علي ، عن عبيد بن جبير ، مولى الحكم ابن أبي العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبي مويهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال لي : يا أبا مويهبة ، إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع ، فانطلق معي ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم ، قال : السلام عليكم أهل المقابر ، ليتهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ! أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى . ثم أقبل علي فقال : يا أبا مويهبة ، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، خيرت بين ذلك وبين لقاء ربّي والجنة ، فاخترت لقاء ربّي والجنة . قال : قلت : بأبي أنت وأمي ! فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة . فقال : لا والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربّي والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف فبدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه الذي قبض فيه (١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد ابن إسحاق .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا علي بن مجاهد ، قال : حدثنا ابن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع ، فوجدني وأنا أجد صداعاً في رأسي ، وأنا أقول : وأرأساه ! قال : بل أنا والله يا عائشة وأرأساه ! ثم قال : ما ضرّك لو متّ قبلي ففمت عليك وكفنتك ، وصليت عليك ، ودفنتك ! فقلت : والله لكأنتي بك لو فعلت ذلك رجعت إلى بيتي فأعرست

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

بعض نساك ، قالت : فتبسم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . وتنام به وجهه .
وهو يدور على نساكته حتى استعيرَ به ^(۱) وهو في بيت ميمونة ، فدعا نساءه ۱۸۰۱/۱
فاستأذنه أن يُمرض في بيتي . فأذن له ^(۲) .

فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين رجلين من أهله : أحدهما
الفضل بن العباس ورجل آخر تخط قدماه الأرض . عاصباً رأسه حتى دخل
بيتي .

— قال عبيد الله : فحدثت هذا الحديث عنها عبد الله بن عباس ، فقال :
هل تدري من الرجل ؟ قلت : لا ، قال : علي بن أبي طالب . ولكنها كانت
لا تقدر على أن تذكره بخير وهي تستطيع —

ثم غمير ^(۳) رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد به الوجع ؛ فقال : أهريقوا
علي من سبع قيرب من آبار شنتي ؛ حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم ،
قالت : فأقعدناه في مخضب ^(۴) لحفصة بنت عمر . ثم صببنا عليه الماء حتى
طفيق يقول : حسبيكم ، حسبيكم ! ^(۵) .

فحدثني حميد بن الربيع الحراز . قال : حدثنا معن بن عيسى ، قال :
حدثنا الحارث بن عبد الملك بن عبد الله بن إياس الليثي ؛ ثم الأشجعي ، عن
القاسم بن يزيد ، عن عبد الله بن قسيط . عن أبيه ، عن عطاء ، عن ابن
عباس ، عن أخيه الفضل بن عباس . قال : جاءني رسولُ الله صلى الله عليه
وسلم ، فخرجت إليه فوجدته موعوكاً قد عصب رأسه . فقال : خذ بيدي
يا فضل ، فأخذت بيده ؛ حتى جلس على المنبر . ثم قال : ناد في الناس .
فاجتمعوا إليه ، فقال : أما بعد أيتها الناس . فإني أحمد الله الذي لا إله
إلا هو : وإنه قد دنا مني حقوق من بين أظهركم ، فمن كنت جلدت له
ظهراً فهذا ظهري فليستقيد منه . ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي
فليستقيد منه : ألا وإن الشحناء ليست من طبعي ولا من شأني ، : ألا وإن

(۱) استعزبه : اشتد به وجهه وغلبه على نفسه . (۲) الخبر إلى هنا في سيرة ابن هشام ۲ : ۳۶۶ .

(۳) غمر : أصابته غمرة المرض ؛ وهي شدته . (۴) المخضب : إناء يفتسل فيه .

(۵) سيرة ابن هشام ۲ : ۳۶۸ .

أحبكم إلى من أخذ مني حقاً إن كان له ، أو حملني فلقيت الله وأنا أطيب النفس ؛ وقد أرى أن هذا غير مُغْنٍ عني حتى أقوم فيكم مراراً .

قال الفضل : ثم نزل فصلى الظهر ، ثم رجع فجلس على المنبر ، فعاد لمقاتته الأولى في الشحاء وغيرها ، فقام رجل فقال : يا رسول الله ؛ إن لي عندك ثلاثة دراهم ، قال : أعطه يا فضل ، فأمرته فجلس . ثم قال : أيها الناس ، من كان عنده شيء فليؤده ولا يقل فضوح الدنيا ، ألا وإن فضوح الدنيا أيسر من فضوح الآخرة . فقام رجل فقال : يا رسول الله عندي ثلاثة دراهم غللتها في سبيل الله ، قال : ولیم غللتها ؛ قال : كنت إليها محتاجاً ، قال : خذها منه يا فضل . ثم قال : أيها الناس ، من خشى من نفسه شيئاً فليقم أدع له . فقام رجل فقال : يا رسول الله ، إن لي لكذاب ، إنني لفاحش ، وإن لنؤوم ؛ فقال : اللهم ارزقه صدقاً وإيماناً ، وأذهب عنه النوم إذا أراد . ثم قام رجل فقال : والله يا رسول الله ، إن لي لكذاب وإن لمناق ، وما شيء - أو إن شيء - إلا قد جنيتُهُ . فقام عمر بن الخطاب . فقال : فضحت نفسك أيها الرجل ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا ابن الخطاب ، فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة ، اللهم ارزقه صدقاً وإيماناً وصير أمره إلى خير .

فقال عمر كلمة . فضحك رسول الله ، ثم قال : عمر معي وأنا مع عمر ، والحق بعدي مع عمر حيث كان .

حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن أيوب بن بشير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عاصباً رأسه ؛ حتى جلس على المنبر ؛ ثم كان أول ما تكلم به أن صلى على أصحاب أحد ، وأستغفر لهم ؛ وأكثر الصلاة عليهم . ثم قال : إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله . قال : ففهمها أبو بكر ، وعلم^(١) أن نفسه يريد ؛ فبكى ، وقال : بل نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : على

(١) ابن هشام : « وعرف » .

رسلك يا أبا بكر ! انظروا هذه الأبواب الشوارع الالافظة^(۱) في المسجد فسُدُّوها ؛ إلا ما كان من بيت أبي بكر^(۲) ؛ فإنّي لا أعلم أحداً كان أفضل عندي في الصحبة بدأ منه^(۳) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بعض آل أبي سعيد بن المعلّى ، أن رسول الله قال يومئذ في كلامه هذا : فإنّي لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ؛ ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده^(۴) .

وحدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثني عمي عبد الله ابن وهب ، قال : حدثنا مالك ، عن أبي النضر ، عن عبيد بن حنين ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوماً على المنبر ، فقال : إن عبداً خيّرته الله بين أن يؤتياه من زهرة الدنيا ما شاء ، وبين ما عند الله ؛ فاختر ما عند الله ؛ فبكى أبو بكر ثم قال : فدينك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله ! قال : فتعجبنا له ، وقال الناس : انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله عن عبد يخير ، ويقول : فدينك بآبائنا وأمهاتنا ! قال : فكان رسول الله هو الخيّر ، وكان أبو بكر أعلمنا به ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن آمن الناس على في صحبته وماله أبو بكر ؛ ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ؛ ولكن أخوة الإسلام ؛ لا تبغ خوذة في المسجد إلا خوذة أبي بكر .

حدثني محمد بن عمر بن الصباح الهمداني ، قال : حدثنا يحيى بن عبد الرحمن ، قال : حدثنا مسلم بن جعفر البجلي ، قال : سمعت عبد الملك ابن الأصبهاني عن خلاد الأسدي ، قال : قال عبد الله بن مسعود : نعى إلينا نبينا وحيبنا نفسه قبل موته بشهر ؛ فلما دنا الفراق جمّعنا في بيت أمنا عائشة ، فنظر إلينا وشدّ ، فدمعت عينه ، وقال : مرحباً بكم ! رحمكم الله !

(۱) الالافظة في المسجد : النافذة إليه .

(۲) سيرة ابن هشام : « إلا بيت أبي بكر » . قال ابن هشام : وروى : « إلا باب أبي بكر » .

(۳) سيرة ابن هشام ۲ : ۳۶۹ . (۴) سيرة ابن هشام ۲ : ۳۶۹ .

آواکم اللہ ! حفظکم اللہ ! رفعکم اللہ ! نفعکم اللہ ! وفقکم اللہ ! نصرکم اللہ !
 سلمکم اللہ ! رحمکم اللہ ! قبلکم اللہ ! أوصیکم بتقوی اللہ ، وأوصی اللہ بکم ،
 وأستخلفہ علیکم ، وأؤدیکم إلیہ ؟ إنی لکم نذیر وبشیر ، لا تعلوا علی اللہ
 فی عبادہ وبلادہ ؛ فإنه قال لی ولکم : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلَهَا لِلَّذِينَ
 لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (۱) . وقال : ﴿ أَلَيْسَ
 فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (۲) . فقلنا : منی أجلك ؟ قال :
 قد دنا العراق ، والمنقلبُ إلى اللہ ، وإلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . قلنا : فمن يغسلک
 یا نبی اللہ ؟ قال : أهلی الأدنی فالأدنی ، قلنا : ففیم نکفئک یا نبی اللہ ؟
 قال : فی ثيابی هذه إن شئتم ؛ أو فی بیاض مصر ، أو حلة بمانیة ، قلنا :
 فمن یصلی علیک یا نبی اللہ ؟ قال : مهلاً غفر اللہ لکم ، وجزاکم عن نیکم
 خیراً ! فبکینا وبکی النبی صلی اللہ علیہ وسلم ، وقال : إذا غسلتمونی وكفتمونی
 فضعونی علی سریریری فی بیتی هذا ، علی شفیر قبریری ، ثم اخرجوا عنی ساعة ،
 فإن أول من یصلی علی جلیسی وخیلی جبریل ، ثم میکائیل ، ثم إسرائیل ،
 ثم ملک الموت مع جنودٍ كثيرة من الملائكة بأجمعها ، ثم ادخلوا علی فوجاً
 فوجاً ، فصلوا علی وسلموا تسليماً ، ولا تؤذونی بتزکیة ولا برنة ولا صیحة ،
 وليبدأ بالصلاة علی رجال أهل بیتی ، ثم نساؤهم ، ثم أنتم بعد . أقرئوا
 ۱۸۰۶/۱ أنفسکم منی السلام ؛ فإنی أشهدکم أننی قد سلمت علی من یابغی علی
 دینی من الیوم إلى یوم القيامة . قلنا : فمن یدخلك فی قبرک یا نبی اللہ ؟
 قال : أهلی مع ملائكة كثيرین یروئکم من حیث لا تروئهم .

حدَّثنا أحمد بن حماد الدؤلابی ، قال : حدَّثنا سفيان ، عن سليمان
 ابن أبي مسلم ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : یوم الحمیس
 وما یوم الحمیس ! قال : اشتدَّ برسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم وجعُه ، فقال :
 اثمونی أکب کتاباً لا تفضلوا بعدی أبداً . فتنازعوا — ولا یبغی عند نبی أن یتنازع —

(۲) سورة الزمر ۶۰ .

(۱) سورة القصص ۸۲ .

فقالوا: ما شأنه؟ أهجر^(۱)! استفهموه؛ فذهبوا يعيدون عليه، فقال: دعوني فما أنا فيه خير مما تدعونني إليه؛ وأوصى بثلاث؛ قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو مما كنت أجيزهم؛ وسكت عن الثالثة عمداً - أو قال: فنسيتها^(۲).

حدثنا أبو كُريب، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنا ابن عيينة، عن سليمان الأحول، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، قال: يوم الخميس! ثم ذكر نحو حديث أحمد بن حماد، غير أنه قال: ولا ينبغي عند نبي أن ينازع.

حدثنا أبو كُريب وصالح بن سَمَّال، قال: حدثنا وكيع، عن مالك ابن مِغْوَل، عن طلحة بن مصرف، عن سعيد بن جبيرة، عن ابن عباس، قال: يوم الخميس وما يوم الخميس! قال: ثم نظرتُ إلى دموعه تسيل على خديته كأنها نظام اللؤلؤ. قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: اثبتوني باللَّوح والدَّوَاة - أو بالكَتِف والدَّوَاة - أكتب لكم كتاباً لا تضلُّون بعده. قال: فقالوا: إن رسول الله يهجر.

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: حدثني عمي عبد الله ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن الزُّهري، قال: أخبرني عبد الله ابن كعب بن مالك؛ أن ابن عباس أخبره أن علي بن أبي طالب خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجعه الذي توفى فيه، فقال الناس: يا أبا حسن، كيف أصبَح رسولُ الله؟ قال: أصبح بحمد الله بارئاً، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب، فقال: ألا ترى أنك بعد ثلاث عبيدُ العصا! وإني أرى رسول الله سيُتوفى في وجعه هذا؛ وإني لأعرف وجه نبي عبد المطلب عند الموت؛ فاذهب إلى رسول الله فسله فيمن يكون هذا الأمر؟ فإن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا أمر به فأوصى بنا. قال علي: والله لئن

(۱) أهجر، أى اختلف كلامه بسبب المرض، وانظر نهاية ابن الأثير.

(۲) صحيح مسلم ۳: ۱۲۵۷، وروايته: «فأنسيتها».

سألناها رسولَ الله فَنَعَمَناها لا يعطيناها الناسُ أبداً ؛ والله لا أسأله رسولَ الله أبداً .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمدُ بن إسحاق ، عن الزُّهري ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : خرج يومئذ عليّ بن أبي طالب على الناس من عند رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه ؛ غير أنه قال في حديثه : أحلف بالله لقد عرفت الموتَ في وجه رسول الله كما كنت أعرفه في وجوه بني عبد المطلب ؛ فانطلق بنا إلى رسول الله ؛ فإن كان هذا الأمر فينا علمنا ، وإن كان في غيرنا أمرنا^(١) فأوصى بنا الناس ؛ وزاد فيه أيضاً : فتوفى رسولُ الله حين اشتد الضحى من ذلك اليوم^(٢) .

١٨٠٨/١

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي ، قال : حدثنا أبي ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : قال لنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أفرغوا عليّ من سبع قيرب من سبع آبار شتى ، لعلني أخرج إلى الناس فأعهد إليهم .

قال محمد ، عن محمد بن جعفر ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : فصبنا عليه من سبع قيرب ، فوجد راحةً ، فخرج فصلّى بالناس ، وخطبهم ، واستغفر للشهداء من أصحاب أحد ، ثم أوصى بالأنصار خيراً ، فقال : أمّا بعد يا معشر المهاجرين ، إنكم قد أصبحتم تزيدون ، وأصبحت الأنصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم ، والأنصار عيبتي^(٣) التي أويت إليها ، فأكرموا كريمهم ، وتجاوزوا عن مسيئتهم . ثم قال : إنّ عبداً من عباد الله قد خيّر بين ما عند الله وبين الدنيا فاختر ما عند الله ؛ فلم يفقهها إلا أبو بكر ؛ ظنّ أنه يريد نفسه ، فبكى ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : على رسلك يا أبا بكر ! سدّوا هذه الأبواب الشوارع في المسجد إلا باب أبي بكر ؛ فإنّي لا أعلم امرأةً أفضلَ يداً في الصحابة من أبي بكر .

(١) ابن هشام : « أمرناه » . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧١ .

(٣) عيبتي : موضع ثقتي وسري . والعيبة في الأصل : ما يجعل فيه الثياب .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد القطان ، قال :
 حدثنا سفيان ، قال : حدثنا موسى بن أبي عائشة ، عن عبيد الله بن عبد الله
 ابن عتبة ، عن عائشة ، قالت : لَدَدْنَا^(۱) رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي
 مَرَضِهِ ، فَقَالَ : لَا تَلْدُونِي ! فقلنا : كراهية المريض الدواء . فلما أفاق قال :
 لَا يَبْقَى مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا لُدَّ ؛ غَيْرِ الْعَبَّاسِ فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق في حديثه
 الذي ذكرناه عنه ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن عائشة ،
 قالت : ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل بيته ، وتنام به وجعه
 حتى غمير ، واجتمع عنده نساء من نسائه : أم سلمة ، وميمونة ، ونساء
 من نساء المؤمنين ؛ منهن أسماء بنت عميس ، وعنده عمه العباس بن عبد المطلب ،
 وأجمعوا على أن يلدوه ، فقال العباس : لألدنه ، قال : فلُدَّ ، فلما أفاق
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : مَنْ صَنَعَ بِي هَذَا ؟ قالوا : يا رسول
 الله ، عمك العباس ، قال : هذا دواء أتى به نساء من نحو هذه الأرض -
 وأشار نحو أرض الحبشة - قال : ولم فعلتم ذلك ؟ فقال العباس : خشينا
 يا رسول الله أن يكون بك وجع ذات الجنب ، فقال : إن ذلك لداء ما كان
 الله ليعذبني به ، لا يبق في البيت أحدٌ إلا لُدَّ إلا عمي . قال : فلقد لدت
 ميمونة وإنها لصائمة لقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ عقوبة لهم بما صنعوا .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
 محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، أن عائشة حدثته أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم حين قالوا : خشينا أن يكون بك ذات الجنب ، قال :
 إنها من الشيطان ؛ ولم يكن الله ليسلطها علي .

١٨١٠/١

حدثت عن هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني الصقعب
 ابن زهير ، عن فقهاء أهل الحجاز ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثقل
 في وجعه الذي توفى فيه حتى أغمى عليه ؛ فاجتمع إليه نساؤه وابنته وأهل

(١) اللد : أن يجمل الدواء في شق الفم .

بيته والعبّاس بن عبد المطلب وعليّ بن أبي طالب وجميعهم ؛ وإنّ أسماء بنت عميس قالت : ما وجعه هذا إلاّ ذات الجنّب ، فلُدّوه ، فلُدّدناه ، فلما أفاق ، قال : مَنْ فعل بي هذا؟ قالوا : لَدَدْتِكُ أسماء بنت عميس ؛ ظنّنتُ أنّ بك ذات الجنّب . قال : أعوذ بالله أن يُبليّني بذات الجنّب ؛ أنا أكرم على الله من ذلك .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن سعيد بن عبّيد بن السَّبّاق ، عن محمد بن أسامة بن زيد ، عن أبيه أسامة ابن زيد ، قال : لما ثقل رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم وهبطتُ الناس معي إلى المدينة ، فدخلنا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم ، وقد أصمّت فلا يتكلم ، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها على ، فعرفتُ أنه يدعوني (١) .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهريّ ، عن عبّيد الله بن عبد الله ، عن عائشة ، قالت : كان رسولُ الله صامئاً عليه وسلّم كثيراً ما أسمعه ، وهو يقول : إنّ الله عزّ وجلّ لم يقبض نبياً حتى يخيّره (٢) .

حدّثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا يونسُ بن بكير ، قال : حدّثنا يونس بن عمرو ، عن أبيه ، عن الأرقم بن سُرحبيل ، قال : سألتُ ابنَ عباس : أوصى رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ؟ قال : لا ، قلت : فكيف كان ذلك ؟ قال : قال رسولُ الله : ابعثوا إلى عليّ فادعوه ، فقالت عائشة : لو بعثتُ إلى أبي بكر ! وقالت حفصة : لو بعثتُ إلى عمر ! فاجتمعوا عنده جميعاً ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : انصرفوا ، فإنّك لي حاجة أبعثُ إليكم ؛ فانصرفوا ، وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم : آن الصلاة ؟ قيل : نعم ، قال : فأمرُوا أبا بكر ليُصامئَ بالناس ، فقالت عائشة : إنه رجلٌ رقيق ، فرأى عمر ، فقال : مرُّوا عمر ، فقال عمر : ما كنتُ لأتقدّم وأبو بكر

١٨١١/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٠ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٠ : وبقيّة الخبر هناك . قالت : فلما حضر رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم كان آخر كلمة سمّتها منه وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة ، قالت : فقلت : إذا والله لا يختارنا ! وعرفتُ أنه الذي كان يقول لنا : إنّ نبياً لم يقبض حتى يخيّر .

شاهد ، فتقدم أبو بكر ، ووجد رسولُ الله خيفةً ، فخرج ، فلما سمع أبو بكر حركته تأخر ، ف جذب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثوبه ، فأقامه مكانه ، وقعد رسول الله ، فقرأ من حيث انتهى أبو بكر .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن الأعمش ، قال : [و] حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : حدثنا أبو معاوية ووكيع ، قالا : حدثنا الأعمش ، وحدثنا عيسى بن عثمان بن عيسى ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة ، قالت : لما مرض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المرض الذي مات فيه ، أذن بالصلاة ، فقال : **مُرُوا أبا بكر أن يصلي بالناس** ، فقلت : **إنَّ أبا بكر رجلٌ رقيقٌ ، وإنه متى يقوم مقامك لا يطيق !** قال : فقال : **مروا أبا بكر يصلي بالناس** ، فقلت مثل ذلك ، فغضب ، وقال : **إنكن صواحبُ يوسف** - وقال ابن وكيع : « صواحبات يوسف » - **مُرُوا أبا بكر يصلي بالناس** ، قال : فخرج يهادي بين رجلين وقدماه تخطان في الأرض ، فلما دنا من أبي بكر ، تأخر أبو بكر ، فأشار إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن قم في مقامك ، فقعد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فصلتني إلى جنب **أبي بكر جالساً** . قالت : فكان أبو بكر يصلي بصلاة النبي ، وكان الناس يصلون بصلاة أبي بكر . اللفظ لحديث عيسى بن عثمان .

حدثت عن الواقدي ، قال : سألت ابن أبي سبيرة : كم صلى أبو بكر بالناس ؟ قال : سبع عشرة صلاة ، قلت : من أخبرك ؟ قال : أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة ، عن رجلٍ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . قال : وحدثنا ابنُ أبي سبيرة ، عن عبد الحميد بن سهيل ، عن عكرمة ، قال : صلى بهم أبو بكر ثلاثة أيام .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا شعيب بن الليث ، عن الليث ، عن يزيد بن الهاد ، عن موسى بن سرجيس ، عن القاسم ، عن عائشة ، قالت : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يموت ، وعنده قدحٌ فيه ماء يُدخل يده في القدح ، ثم يمسح وجهه باماء ثم يقول : **اللهم أعني على سكرة الموت !**

حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا الليث بن سعد ، عن ابن الهاد ، عن موسى بن سرجيس ، عن القاسم بن محمد عن عائشة ، قالت : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت . ثم ذكر مثله ؛ إلا أنه قال : أعينى على ستكرات الموت .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، قال : حدثنا أنس بن مالك ، قال : لما كان يوم الاثنين ، اليوم الذي قبض فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، خرج إلى الناس وهم يصلون الصبح ، فرفعَ السترَ ، وفتح الباب ، فخرج رسولُ الله ؛ حتى قام بباب عائشة ، فكاد المسلمون أن يفتنوا في صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه ؛ فترحا به ، وتفرجوا . فأشار بيده : أن اثبتوا على صلاتكم ، وتبسم رسولُ الله فرحاً لما رأى من هيبتهم في صلاتهم ، وما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أحسنَ هيئة منه تلك الساعة ؛ ثم رجع وانصرف الناس ، وهم يظنون أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد أفاق من وجعه ، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح (١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مُلَيْكَةَ ، قال : لما كان يومُ الاثنين خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عاصباً رأسه إلى الصُّبْح ؛ وأبو بكر يصلّي بالناس ؛ فلما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تفرج الناس ، فعرف أبو بكر أن الناس لم يفعلوا ذلك إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنكص عن مصلاه ، فدفع رسول الله في ظهره ، وقال : صل بالناس . وجلس رسول الله إلى جنبه ؛ فصلّي قاعداً عن يمين أبي بكر ؛ فلما فرغ من الصلاة ، أقبل على الناس وكانهم رافعاً صوته حتى خرج صوته من باب المسجد ؛ يقول : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، سَعُرَتِ النَّارُ ، وَأَقْبَلَتِ الْفِتْنُ كَقِطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ ! وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا تَمْسِكُونَ عَلَيَّ شَيْئاً ؛ إِنِّي لَمْ أَحِلَّ لَكُمْ إِلَّا مَا أَحَلَّ لَكُمْ الْقُرْآنُ ، وَلَمْ أَحْرَمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْقُرْآنُ . فلما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من كلامه ، قال له أبو بكر :

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٠ ، ٣٧١ .

يا نبي الله ؛ إني أراك قد أصبحت بنعمة الله وفضله كما نحب ، واليوم يوم ١٨١٤/١
ابنة خارجة ، فأتيتها . ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر
إلى أهله بالسُّنْح .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن
يعقوب بن عتبة ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : رجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم حين دخل من المسجد ، فاضطجع
في حجرى ، فدخل على رجل من آل بكر في يده سواك أخضر . قالت :
فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يده نظراً عرفت أنه يريد به ، فأخذته
فضغته حتى ألثته ، ثم أعطينه إياه ؛ قالت : فاستن به كأشد ما رأيت
يستن بسواك قبله ، ثم وضعه ؛ ووجدت رسول الله يثقل في حجرى . قالت :
فذهبت أنظر في وجهه ، فإذا نظره قد شخص ، وهو يقول : بل الرفيق الأعلى
من الجنة ! قالت : قلت : خيَّرت فاخترت والذي بعثك بالحق ! قالت :
وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
يحيى بن عباد بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : سمعت عائشة تقول : مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري وفي دورى ؛ ولم أظلم فيه
أحدًا ، فمن سَفَهَى وحدائة سنَى أن رسول الله قبض وهو في حجرى ، ثم
وضعت رأسه على وسادة ؛ وقمت ألتدِمُ مع النساء ، وأضرب وجهى (١) .

• • •

ذكر الأخبار الواردة باليوم الذى توفى فيه رسول الله

١٨١٥/١

ومبلغ سنة يوم وفاته

قال أبو جعفر : أما اليوم الذى مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلا
خلاف بين أهل العلم بالأخبار فيه أنه كان يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، غير أنه

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧١ .

اختلف في أيّ الاثنتين كان موته صلى الله عليه وسلم ؟ فقال بعضهم في ذلك ما حدثت عن هشام بن محمد بن السائب ، عن أبي مخنف ، قال : حدثنا الصقعب بن زهير ، عن فقهاء أهل الحجاز ، قالوا : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف النهار يوم الاثنين ، لليلتين متصتا من شهر ربيع الأول ، وبويع أبو بكر يوم الاثنين في اليوم الذي قبض فيه النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال الواقدي : توفّي يوم الاثنين لثني عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول ، ودفن من الغد نصف النهار حين زاغت الشمس ، وذلك يوم الثلاثاء . قال أبو جعفر : توفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بالسُّنح وعمر حاضر . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزُّهرى ، عن سعيد بن المسيّب ، عن أبي هريرة ، قال : لما توفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب ، فقال : إن رجلاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله توفّي وأن رسول الله والله ما مات ؛ ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فغاب عن قومه أربعين ليلة ؛ ثم رجع بعد أن قيل قد مات ؛ والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أبدى رجال وأرجلهم يزعمون أن رسول الله مات .

١٨١٦/١

قال : وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكأتم الناس ؛ فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة ؛ ورسول الله مسجى^(١) في ناحية البيت ، عليه بُرد حبرة^(٢) ، فأقبل حتى كشف عن وجهه ، ثم أقبل عليه فقبله ، ثم قال : بأبي أنت وأمي ! أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثم لن يصيبك بعدها موةٌ أبداً . ثم ردّ الثوب على وجهه ، ثم خرج وعمر يكلم الناس ، فقال : على رسلك يا عمر ! فأنصت ، فأبى إلا أن ينكلم ، فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه ،

(١) مسجى : منطى .

(٢) الحبرة : ضرب من ثياب اليمن .

وتركوا عمر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ؛ إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ؛ ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ... ﴾ (۱) إلى آخر الآية . قال : فوالله لكان الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها أبو بكر يومئذ . قال : وأخذها الناس عن أبي بكر فلانما هي في أفواههم .

قال أبو هريرة : قال عمر : والله ما هو إلا أن سمعتُ أبا بكر يتلوها ۱۸۱۷/۱ فعقيرتُ (۲) حتى وقعتُ إلى الأرض ؛ ما تحمِلني رجلاي ، وعرفتُ أن رسول الله قد مات (۳) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبي معشر زياد بن كليب ، عن أبي أيوب ، عن إبراهيم ، قال : لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم كان أبو بكر غائبا ، فجاء بعد ثلاث ، ولم يجترئ أحد أن يكشف عن وجهه ؛ حتى اربد بطنه ؛ فكشف عن وجهه ، وقبل بين عينيه ، ثم قال : بأبي أنت وأمي ! طبت حيا وطبت ميتا ! ثم خرج أبو بكر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات . ثم قرأ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَانِ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (۱) . وكان عمر يقول : لم يمّت ؛ وكان يتوعد الناس بالقتل في ذلك .

فاجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليلابعوا سعد بن عبادة ، فبلغ ذلك أبا بكر ، فأتاهم معه عمر وأبو عبيدة بن الجراح ، فقال : ما هذا ؟

(۱) سورة آل عمران ۱۴۴ .

(۲) عقرت : دهشت .

(۳) سيرة ابن هشام ۲ : ۳۷۱ ، ۳۷۲ .

فقالوا : منا أميرٌ ومنكم أمير ، فقال أبو بكر : منا الأمراء ومنكم الوزراء .
ثم قال أبو بكر : إني قد رضيتُ لكم أحدَ هذين الرجلين : عمر أو أبا عبيدة ،
إن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه قومٌ فقالوا : ابعث معنا أميناً فقال :
لأبعثنَّ معكم أميناً حتى أمين ؛ فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح ؛ وأنا أرضى
لكم أبا عبيدة . فقام عمر ، فقال : أيتكم تطيب نفسه أن يخلف قدامين
قد مهما النبي صلى الله عليه وسلم ! فبايعه عمر وبايعه الناس ، فقالت
الأنصار - أو بعض الأنصار ؛ لا نبايع إلا علياً .

١٨١٨/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن زياد بن
كليب ، قال : أتى عمرُ بن الخطاب منزلَ عليّ وفيه طلحة والزبير ورجالٌ
من المهاجرين ، فقال : والله لأحرقنَّ عليكم أولتخرجنَّ إلى البيعة . فخرج
عليه الزبيرُ مُصلتاً بالسيف ، فعثر فسقط السيف من يده ، فوثبوا عليه
فأخذوه .

حدثنا زكرياء بن يحيى الضرير ، قال : حدثنا أبو عوانة ، قال :
حدثنا داود بن عبد الله الأودي ، عن حميد بن عبد الرحمن الحميري ،
قال : توفيت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في طائفة من المدينة ،
فجاء فكشف الثوبَ عن وجهه فقبله ، وقال : فإدك أبي وأمي ! ما أطيبك
حيًا وميتًا ! مات محمدٌ ورب الكعبة ا قال : ثم انطلق إلى المنبر ، فوجد عمر
ابن الخطاب قائمًا يُوعِد الناس ، ويقول : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم
حيٌّ لم يمِت ؛ وإنه خارج إلى من أرجفَ به ، وقاطع أيديهم ، وضارب
أعناقهم ، وصالبهم . قال : فتكلم أبو بكر ، وقال : أنصت . قال : فأبى
عمر أن ينصت ، فتكلم أبو بكر ، وقال : إن الله قال لنبيه صلى الله عليه وسلم :
﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ . ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ
تَخْتَصِمُونَ ﴾ ^(١) . ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ
مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ . . . ﴾ ^(٢) ؛ حتى ختم الآية ، فن

١٨١٩/١

(٢) سورة آل عمران ١٤٤ .

(١) سورة الزمر ٣٠ ، ٣١ .

كان يعبدُ محمداً فقد مات إلهه الذي كان يعبده ، ومن كان يعبد الله لا شريك له ، فإن الله حي لا يموت .

قال : فحلف رجالٌ أدركناهم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : ما علمنا أن هاتين الآيتين نزلتا حتى قرأهما أبو بكر يومئذ ؛ إذ جاء رجل يسعى فقال : هاتيك الأنصار قد اجتمعت في ظلّة بنى ساعدة ، يباعدون رجلاً منهم ، يقولون : منّا أميرٌ ومن قريش أمير ، قال : فانطلق أبو بكر وعمر يتقاودان حتى أتياهم ؛ فأراد عمر أن يتكلّم ، فنهاه أبو بكر ، فقال : لا أعصى خليفة النبي صلى الله عليه وسلم في يوم مرتين .

قال : فتكلّم أبو بكر ، فلم يترك شيئاً نزل في الأنصار ، ولا ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم من شأنهم إلا وذكره . وقال : لقد علمتم أن رسول الله قال : لو سلك الناس وادياً وسلكت الأنصار وادياً سلكت وادى الأنصار ، ولقد علمت يا سعد أن رسول الله قال وأنت قاعدٌ : قريش ولاة هذا الأمر ، فبِرّ الناس تبّع أبرّهم ، وفاجرهم تبع لفاجرهم . قال : فقال سعد : صدقت ، فنحن الوزراء وأنتم الأمراء . قال : فقال عمر : ابسط يدك يا أبا بكر فلا تباعدك ؛ فقال أبو بكر : بل أنت يا عمر ، فأنت أقوى لها مني . قال : وكان عمر أشدّ الرجلين ، قال : وكان كل واحد منهما يريد صاحبه يفتح يده يضرب عليها ، ففتح عمر يد أبي بكر وقال : إن لك قوتي مع قوتك . قال : فبايع الناس واستثبتوا للبيعة ، وتخلّف عليّ والزبير ، واختارط الزبير سيفه ، وقال : لا أغمده ١٨٢٠/١ حتى يبايع عليّ ، فبلغ ذلك أبا بكر وعمر ، فقال عمر : خذوا سيف الزبير ، فاضربوا به الحجر . قال : فانطلق إليهم عمر ، فجاء بهما تعباً ، وقال : لتبايعان وأنتما طائعان ، أو لتبايعان وأنتما كارهان ! فبايعا .

• • •

حديث السقيفة

حدثني عليّ بن مسلم ، قال : حدثنا عبيد بن عمير ، قال : حدثنا عباد بن راشد ، قال : حدثنا عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : كنت أقرئ عبد الرحمن بن عوف القرآن ، قال :

فحجَّ عمر وحججنا معه ، قال : فلاني لتفني منزل بمنى إذ جاءني عبد الرحمن ابن عوف ، فقال : شهدت أمير المؤمنين اليوم ، وقام إليه رجل فقال : إني سمعت فلاناً يقول : لو قدم مات أمير المؤمنين لقد بايعت فلاناً^(١) . قال : فقال أمير المؤمنين : إني لقاتم العشيّة في الناس فمحدّتهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغصبوا الناس أمرهم . قال : قلت : يا أمير المؤمنين ؛ إن الموسم يجمع رِيع الناس وغوغاءهم ؛ وإنهم الذين يغلبون على مجلسك ، وإني لخائف إن قلت اليوم مقالة ألاّ يتعوها ولا يحفظوها ، ولا يضعوها على مواضعها ، وأن يطيروا بها كل مطير ؛ ولكن أمهل حتى تقدم المدينة ، نقدم دار الهجرة والسنة ، وتخلص بأصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار ، فتقول ما قلت متمكناً فيعوا مقالته ، ويضعوها على مواضعها . فقال : والله لأقومنّ بها في أول مقام أقومهُ بالمدينة .

١٨٢١/١

قال : فلما قدمنا المدينة ، وجاء يوم الجمعة هجرت للحديث الذي حدثنيه عبد الرحمن ؛ فوجدت سعيد بن زيد قد سبقني بالتهجير ، فجلست إلى جنبه عند المنبر ، ركبتى إلى ركبته ؛ فلما زالت الشمس لم يلبث عمر أن خرج ، فقلت لسعيد وهو مقبل : ليقولنّ أمير المؤمنين اليوم على هذا المنبر مقالة لم تُقلّ قبله . فغضب وقال : فأى مقالة يقول لم تُقلّ قبله ! فلما جلس عمر على المنبر أذّن المؤذنون ، فلما قضى المؤذن أذانه قام عمر ، فحميد الله وأثنى عليه ، وقال : أمّا بعد ، فإننى أريد أن أقول مقالة قد قدّر أن أقولها ، منّ وعافها وعقّلتها وحفظها ، فليحدّث بها حيث تنتهى به راحلته ، ومنّ لم يعيها فلاني لا أحلّ لأحد أن يكذب على . إن الله عزّ وجلّ بعث محمداً بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ؛ وكان فيها أنزل عليه آية الرّجم ، فرجم رسول الله ورجمنا بعده ، وإني قد خشيتُ أن يطول بالناس زمان ، فيقول قائل : والله ما نجد الرّجم في كتاب الله ، فيضلّوا بترك فريضة أنزلها الله ، وقد كنا نقول : لا ترغبوا عن آباءكم ؛ فإنه كفرٌ

(١) بعدها في ابن هشام : « والله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة ، فتمت ، قال : فغضب

عمر فقال : إني لم إن شاء الله لقاتم العشيّة . . . »

بكم أن ترغبوا عن آبائكم . ثم إنه بلغني أن قائلاً منكم يقول :
لو قد مات أمير المؤمنين بايعت فلاناً ! فلا يتغرّن امرأ أن يقول : ١٨٢٢/١
إن بيعة أبي بكر كانت فلتنة ؛ فقد كانت كذلك ؛ غير أن الله وقي
شرها ؛ وليس منكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر (١) ! وإنه كان من خببرنا
حين توفى الله نبيّه صلى الله عليه وسلم أن عليّاً والزبير ومنّ معهما تخلّفوا عنا
في بيت فاطمة ، ونخلت عنا الأنصار بأسرها ، واجتمع المهاجرون إلى
أبي بكر ، فقلت لأبي بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فانطلقنا
نؤمّهم ؛ فلقينا رجلاً صالحاً قد شهدنا بدرًا ، فقالا : أين تريدون يا معشر
المهاجرين ؟ فقلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار . قالوا : فارجعوا فاقضوا
أمركم بينكم . فقلنا : والله لنأتينهم ، قال : فأتيناهم وهم مجتمعون في سقيفة
بني ساعدة . قال : وإذا بين أظهرهم رجلٌ مزملٌ (٢) ، قال : قلت : من
هذا ؟ قالوا : سعد بن عباد ، فقلت : ما شأنه ؟ قالوا : وجيعٌ ، فقام
رجلٌ منهم ، فحمد الله ، وقال : أمّا بعد ، فنحن الأنصار وكنية الإسلام ،
وأنتم يا معشر قريش رهطُ نبيّنا ؛ وقد دفنت إلينا من قومكم دافةً (٣)
قال : فلما رأيتهم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ، ويغصبونا الأمر . وقد كنت
زورت (٤) في نفسى مقالةً أقدمها بين يدي أبي بكر ، وقد كنت أدارى
منه بعض الحد (٥) ، وكان هو أقرّ منى وأحلم ؛ فلما أردت أن أتكلم ، قال : ١٨٢٣/١
على رسلك ! فكرهت أن أعصيه ؛ فقام فحمد الله وأثنى عليه ، فما ترك شيئاً
كنت زورت في نفسى أن أتكلم به لو تكلمت ؛ إلا قد جاء به أو بأحسن منه .
وقال : أمّا بعدُ يا معشر الأنصار ؛ فإنكم لا تذكرون منكم فضلاً إلا وأنتم
له أهلٌ ؛ وإنّ العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش ؛ وهم

(١) بعدها في ابن هشام : « فن بايع رجلا عن غير مشورة المسلمين فإنه لا بيعة له هو ولا الذي
بايعه تغرة أن يقتلا » .

(٢) مزمل : ملتف في كساء أو غيره .

(٣) الدافة : القوم يسرون جماعة سيراً ليس بالشديد .

(٤) زورت مقالة : هيأتها وأعدتها .

(٥) الحد ؛ أى الحدة .

أوسط [العرب] (١) داراً ونسباً ، ولكن قد رضيتُ لكم أحدَ هذين الرجلين ، فبايعوا أيتهما شتم . فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح . وإني والله ما كرهتُ من كلامه شيئاً غيرَ هذه الكلمة ؛ إن كنت لأقدم فتضرب عني فيما لا يقربني إلى إثم أحبُّ إلى من أن أوامر على قوم فيهم أبو بكر . فلما قضى أبو بكر كلامه ، قام منهم (٢) رجلٌ ، فقال : أنا جُذَيْلُهَا (٣) الْمُحَكِّكُ ، وَعَدُّ يَنْفُهَا (٤) الْمُرَجَّبُ ؛ مِنَّا أميرٌ ومنكم أميرٌ ؛ يا معشر قريش .

قال : فارتفعت الأصوات ، وكثر اللَّغَطُ (٥) ، فلما أشفقت الاختلاف ، قلت لأبي بكر : ابسطُ يدك أبايعك . فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ، وبايعه الأنصار . ثم نزلنا (٦) على سعد ، حتى قال قائلهم : قتلتم سعد بن عبادة ! فقلت : قتل الله سعداً ! وإنا والله ما وجدنا أمراً هو أقوى من مبايعة أبي بكر ؛ خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدِّثوا بعدنا بيعة ، فإما أن نتابعهم على ما نرضى ، أو نخالفهم فيكون فساد (٧) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزُّهري ، عن عروة بن الزبير ، قال : إن أحدَ الرجلين اللذين لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة ، عُوَيْمُ بن ساعدة والآخِرُ معنُ بن عدى ؛ أخو بني العجلان ، فأما عُوَيْمُ بن ساعدة فهو الذي بلغنا أنه قيل لرسول الله صلى الله

١٨٢٤/١

(١) من ابن هشام ، وأوسط العرب : أشرفهم . وداراً ؛ أى بلداً ؛ يريد مكة .

(٢) ابن هشام : « من الأنصار » .

(٣) الجذيل : تصغير جذل ، وهو عود يكون في وسط مبرك الإبل تحتك به وتسترىح إليه ،

فيضرب به المثل في الرجل يشتق برأيه

(٤) المذيق : تصغير عذق ؛ وهو النخلة نفسها . والمرجب : الذي تبنى إلى جانبه دعامة

ترفده لكثرة حمله ولعزه على أهله ؛ فضرب به المثل في الرجل الشريف الذي يعظمه قومه .

(٥) اللفظ : اختلاط الأصوات .

(٦) نزلنا على سعد : وثبنا عليه ووطنناه .

(٧) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٢ ، ٣٧٣ برواية ابن إسحاق ، عن عبد الله بن

أبي بكير ، عن ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن

عباس ، عن عبد الرحمن بن عوف .

عليه وسلم : مَنْ الدِّينِ قَالَ اللهُ لَمْ : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ (١) ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم المرء منهم عويم بن ساعدة ! وأما معن فبلغنا أن الناس بكوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفاه الله ، وقالوا : والله لوددنا أننا متنا قبله ؛ إنا نخشى أن نفتن بعده . فقال معن بن عدى : والله ما أحب أنى مت قبله حتى أصدقه ميتاً كما صدقته حياً . فقتل معن يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر يوم مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ (٢) .

حدثنا عبيد الله بن سعيد الزهرى ، قال : أخبرنا عمى يعقوب بن إبراهيم قال : أخبرنى سيف بن عمر ، عن الوليد بن عبد الله بن أبي ظبية البجلي ، قال : حدثنا الوليد بن جُمَيْعِ الزُّهْرِيّ ، قال : قال عمرو بن حريث لسعيد ابن زيد : أشهدت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قال : فتى بويج أبو بكر ؟ قال : يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهوا أن يبقوا بعض يوم وليسوا في جماعة . قال : فخالف عليه أحد ؟ قال : لا إلا مرتد أو من قد كاد أن يرتد ، لولا أن الله عز وجل ينقذهم من الأنصار . قال : فهل قعد أحد من المهاجرين ؟ قال : لا ، تتابع المهاجرون على بيعته ، من غير أن يدعوهم .

١٨٢٥/١

حدثنا عبيد الله بن سعد ، قال : أخبرنى عمى ، قال : أخبرنى سيف ، عن عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبى ثابت ، قال : كان على في بيته إذ أتى فليل له : قد جلس أبو بكر للبيعة ، فخرج في قميص ما عليه إزار ولا رداء ، عجلأ ، كراهية أن يبسط عنها ، حتى بايعه . ثم جلس إليه وبعث إلى ثوبه فأناه فتجاله ، ولزم مجلسه .

حدثنا أبو صالح الضرارى ، قال : حدثنا عبد الرزاق بن همام ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، أن فاطمة والعباس أتيا

(١) سورة التوبة ١٠٨ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

أبا بكر يطلبان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك ، وسهمه من خيبر ، فقال لهما أبو بكر : أما إنني سمعتُ رسولَ الله يقول : لا نورثُ ، ما تركنا فهو صدقة ، إنما يأكل آل محمد في هذا المال . وإنى والله لا أدعُ أمراً رأيت رسول الله يصنعه إلا صنعته . قال : فهجرته فاطمة فلم تكلمه في ذلك حتى ماتت ، فدفنها عليّ ليلاً ، ولم يؤذن بها أبو بكر . وكان لعليّ وجه من الناس حياة فاطمة ، فلما توفيت فاطمة انصرفت وجوه الناس عن عليّ ؛ فكثرت فاطمة ستة أشهر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم توفيت .

قال معمر : فقال رجلٌ للزهرى : أفلم يبایعه عليّ ستة أشهر ! قال : لا ؛ ولا أحدٌ من بني هاشم ؛ حتى يبایعه عليّ . فلما رأى عليّ انصراف وجوه الناس عنه ضرع إلى مصالحة أبي بكر ، فأرسل إلى أبي بكر : أن ائتنا ولا يأتينا معك أحدٌ ، وكره أن يأتيه عمر لما علم من شدة عمر ، فقال عمر : لا تأتهم وحدك ، قال أبو بكر : والله لا أتيتهم وحدي ، وما عسى أن يصنعوا بي ! قال : فانطلق أبو بكر ، فدخل على عليّ ، وقد جمّع بني هاشم عنده ، فقام عليّ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أمّا بعد ، فإنه لم يمنعنا من أن نبايعك يا أبا بكر إنكارٌ لفضيلتك ، ولا نفاسةٌ عليك بخيرٍ ساقه الله إليك ، واكنا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقاً ، فاستبددتم به علينا . ثم ذكر قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقهم . فلم يزل عليّ يقول ذلك حتى بنكى أبو بكر .

فلما صمت عليّ تشوّد أبو بكر . فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ؛ فوالله لقرابة رسول الله أحبُّ إلىّ أن أصل من قرابتي ؛ وإنى والله ما ألوتُ في هذه الأموال التي كانت بيني وبينكم غير الخبز ؛ لو لا كنتي سمعت رسول الله يقول : لا نورث ؛ ما تركنا فهو صدقة ، إنما يأكل آل محمد في هذا المال ؛ وإنى أعوذ بالله لا أذكر أمراً صنعه محمد رسول الله إلا صنعته فيه إن شاء الله .

ثم قال عليّ : موعذك العشيّة للبيعة ، فلما صلى أبو بكر الظهر أقبل

على الناس ، ثم عذر علينا ببعض ما اعتذر ، ثم قام عليٌّ فعظم من حقّ أبي بكر ، وذكر فضيلته وسابقته ، ثم مضى إلى أبي بكر فبايعه . قالت : فأقبل الناس إلى عليٍّ فقالوا : أصبت وأحسنت ، قالت : فكان الناس قريباً إلى عليٍّ حين قارب الحق والمعروف .

۱۸۲۷/۱

حدثني محمد بن عثمان بن صفوان الثقفي ، قال : حدثنا أبو قتيبة ، قال : حدثنا مالك - يعني ابن مرقول - عن ابن الحرّ ، قال : قال أبو سفيان لعليٍّ : ما بال هذا الأمر في أقلّ حَيٍّ من قريش ! والله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجالاً ! قال : فقال عليٌّ : يا أبا سفيان ، طالما عادت الإسلام وأهلته فلم تضره بذاك شيئاً ! إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً .

حدثني محمد بن عثمان الثقفي ، قال : حدثنا أمية بن خالد ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، قال : لما استخلف أبو بكر قال أبو سفيان : ما لنا ولأبي فصّيل ! إنما هي بنو عبد مناف ! قال : فقيل له : إنه قد ولي ابنك ، قال : وصلته رحيم !

حدثت عن هشام ، قال : حدثني عوانة ، قال : لما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر ، أقبل أبو سفيان ، وهو يقول : والله إنّي لأرى عجاجة لا يظفنها إلا دم ! يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم ! أين المستضعفان ! أين الأذلان عليّ والعباس ! وقال : أبا حسن ! أبسط يدك حتى أبايعك . فأبى عليٌّ عليه ، فجعل يتمثل بشعر المتلمس :

وَلَنْ يُقِيمَ عَلِيَّ خَسْفٍ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانَ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتِدُ
هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَعْكُوسٌ بِرُمَّتِهِ (۱) وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَبْكِي لَهُ أَحَدٌ

قال : فزجره عليٌّ ، وقال : إنك والله ما أردت بهذا إلا الفتنة : وإنك والله طالما بغيت الإسلام شراً ! لا حاجة لنا في نصيحتك .

۱۸۲۸/۱

(۱) الرمة : الحبل ، والعكس : شد عنق الدابة إلى إحدى يديها .

قال هشام بن محمد : وأخبرني أبو محمد القرشي ، قال : لما بويع أبو بكر ، قال أبو سفيان لعلّي والعباس : أنما الأذلان ! ثم أنشد يتمثل :
 إِنَّ الْمَوَانَ حِمَارُ الْأَهْلِ يَعْرِفُهُ وَالْحُرُّ يَنْكَرُهُ وَالرَّسَلَةُ الْأَجْدُ
 وَلَا يُقِيمُ عَلَى ضِيمٍ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانَ عَيْرُ الْحَى وَالْوَتِدُ
 هَذَا عَلَى الْخَشْفِ مَعكُوسٌ بِرُمْتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَبْكِي لَهُ أَحَدٌ

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، قال : حدثنا أنس بن مالك ، قال : لما بويع أبو بكر في السقيفة ، وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس ، إني قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت إلا عن رأيي ، وما وجدتُها في كتاب الله ، ولا كانت عهداً عهدته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكني قد كنت أرى أن رسول الله سيدبتر أمرنا ، حتى يكون آخرنا ، وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي هدى به رسول الله ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحب رسول الله ، وثاني اثنين إذ هما في الغار ، فقوموا فبايعوا . فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة . ١٨٢٩/١

ثم تكلم أبو بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ، إني قد ولّيتُ عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينوني ، وإن أسأت فقوموني . الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندي حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى منكم الضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله . لا يدع أحدٌ منكم الجهاد في سبيل الله ، فإنه لا يدعه قوم إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة في قوم إلا عمهم الله بالبلاء . أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم . قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله ! (١)

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٤ .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق ، عن حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : والله إني لأمشي مع عمر في خلافته ؛ وهو عامد إلى حاجة له ، وفي يده الدرّة ، وما معه غيري . قال وهو يحدث نفسه ، ويضرب وحشي^(۱) قدمه بديرته ، قال إذ التفت إلى فقال : يا ابن عباس ، هل تدري ما حملني على مقاتلي هذه التي قلت حين توفي الله رسوله ؟ قال : قلت : لا أدري يا أمير المؤمنين ؛ أنت أعلم ، قال : والله إن حملني على ذلك إلا أني كنت أقرأ هذه الآية : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾^(۲) ؛ فوالله إني كنت لأظن أن رسول الله سيبقي في أمّته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها ؛ فإنه لا تذي حملني على أن قلت ما قلت^(۳)

۱۸۳۰/۱

• • •

[ذكر جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه]

قال أبو جعفر : فلما بويج أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال بعضهم : كان ذلك من فعلهم يوم الثلاثاء ؛ وذلك الغد من وفاته صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : إنما دُفن بعد وفاته بثلاثة أيام . وقد مضى ذكر بعض قائل ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر وكثير بن عبد الله وغيرهما من أصحابه ، عن محمد بن عبد الله بن عباس ، أن علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل ابن العباس وقتم بن العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الذين ونوا غسله ، وإن أوس بن حواري أحد بني عوف ابن الخزرج ؛ قال لعلي بن أبي طالب : أنشدك الله يا علي ؛ وحفظنا من رسول

(۱) الوحشي من أعضاء الإنسان : ما كان إلى خارج . (۲) سورة البقرة ۱۴۳ .

(۳) سيرة ابن هشام ۲ : ۳۷۴ .

الله ! وكان أوس من أصحاب بدر^(۱) ؛ وقال : ادخل ؛ فدخل فحضر
غُسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأسنده على بن أبي طالب إلى صدره ،
وكان العباس والفضل وقُثم هم الذين يقاؤونه معه ؛ وكان أسامة بن زيد وشُقْران
مولياه هُمَا اللذان يصبان الماء ، وعلى ينسله قد أسنده إلى صدره ، وعليه قميصه
يبدلُكهُ مِن ورائه ، لا يفضي بيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى
يقول : بأبي أنت وأمي ! ما أطيبك حياً وميتاً ! ولم ير من رسول الله شيئاً
مما يرى من الميت^(۲) .

۱۸۳۱/۱

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى
ابن عباد ، عن أبيه عباد ، عن عائشة ، قالت : لما أرادوا أن يغسلوا النبي
صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه ، فقالوا : والله ما ندرى أنجرّد رسول الله من
ثيابه كما نجرّد موتانا ، أو نغسله وعليه ثيابه ! فلما اختلفوا ألقى عليهم السنّة
حتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره ، ثم كلمهم متكّماً من ناحية البيت
لا يدري من هو : أن اغسلوا النبي وعليه ثيابه ؛ قالت : فقاموا إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فغسلوه وعليه قميصه يصبون عليه الماء فوق القميص ،
ويدلّكونه والقميص دون أيديهم^(۳) .

قال : فكانت عائشة تقول : لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرتُ ما غسلته
إلا نساؤه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن جعفر
ابن محمد بن علي بن حسين ، عن أبيه ، عن جدّه علي بن حسين . قال ابن
إسحاق : وحدثني الزهري ، عن علي بن حسين ، قال : فلما فرغ من
غُسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كفّن في ثلاثة أثواب : ثوبين
صَحَارِيِّين^(۴) وبرد حَبِرَةَ ؛ أدرج فيها إدراجاً^(۵) .

(۱) في ابن هشام : « وكان أوس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بدر » .

(۲) سيرة ابن هشام ۲ : ۳۷۴ ، ۳۷۵ .

(۳) الخبر إلى هنا في سيرة ابن هشام ۲ : ۳۷۵ .

(۴) ثوب صحاري : منسوب إلى صحار ؛ وهي مدينة باليمن .

(۵) سيرة ابن هشام ۲ : ۳۷۵ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن حسين بن عبد الله ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن عبد الله بن عباس ، قال : لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح^(۱) كحفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد ابن سهل هو الذي يحفر لأهل المدينة . وكان يتلحد - فدعا العباس رجلين . فقال لأحدهما : اذهب إلى أبي عبيدة . وللآخر : اذهب إلى أبي طلحة ؛ اللهم خير لرسولك ؛ قال : فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة فجاء به فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما فرغ من جهاز رسول الله يوم الثلاثاء وُضع على سريره في بيته ؛ وقد كان المسلمون اختافوا في دفنه ؛ فقال قائل : ندفنه في مسجده ، وقال قائل : يدفن مع أصحابه ؛ فقال أبو بكر : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما قبض نبي إلا يدفن حيث قبض » ؛ فرفع فراش رسول الله الذي توفي عليه ؛ فحفر له تحته ؛ ودخل الناس على رسول الله بصلاتون عليه أرسالا^(۲) ؛ حتى إذا فرغ الرجال أدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان ؛ ثم أدخل العبيد ؛ ولم يتوم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد . ثم دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وسط الليل ليلة الأربعاء^(۳) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق . عن فاطمة بنت محمد بن عمار ، امرأة عبد الله - يعني ابن أبي بكر - عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة . عن عائشة أم المؤمنين ، قالت : ما علمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صوت المساحي من جوف الليل ليلة الأربعاء .

قال ابن إسحاق : وكان الذي نزل قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب والفضل بن العباس وقثم بن العباس وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقد قال أوس بن خولى : أنشدك الله يا علي وحظنا

(۲) أرسالا : جماعة بعد جماعة .

(۱) يضرح : يشق الأرض للقبر .

(۳) سيرة ابن هشام ۲ : ۳۷۵ ، ۳۷۶ .

من رسول الله ! فقال له : انزل ، فنزل مع القوم ؛ وقد كان شُقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وُضِع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرته ، وبنى عليه ؛ قد أخذ قطيفة كان رسول الله يلبسها ويفترشها ؛ فقذفها في القبر ، وقال : والله لا يلبسها أحدٌ بعدك أبداً . قال : فدفنيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وكان المغيرة بن شعبه يدعى أنه أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول : أخذت خاتمي فألقبته في القبر ، وقلت : إن خاتمي قد سقط ، وإنما طرحته عمدًا لأمس رسول الله ، فأكون آخر الناس به عهداً^(١) .

حدثني ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن أبيه إسحاق بن يسار ، عن مِقْتَمِ أبي القاسم ، مولى عبد الله بن الحارث ابن نوفل ، عن مولاة عبد الله بن الحارث ، قال : اعتمرت مع علي بن أبي طالب في زمان عمر - أو زمان عثمان - فنزل على أخته أم هانئ بنت أبي طالب ، فلما فرغ من عمرته رجع وسكبت له غسلًا فاغتسل ؛ فلما فرغ من غسله دخل عليه نفرٌ من أهل العراق ؛ فقالوا ، يا أبا الحسن ؛ جئنا نسألك عن أمر نحب أن نخبرنا به ؛ فقال : أظن المغيرة يحدّثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قالوا : أجل ، عن ذا جئنا نسألك ؛ قال : كذب ؛ كان أحدث الناس عهداً برسول الله قُثم بن العباس^(٢) .

١٨٣٤/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن صالح ابن كيسان ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن عائشة ، قالت : كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم خميصة^(٣) سوداء حين اشدّ به وجعه ، قالت : فهو يَضَعُهَا مرّة على وجهه ، ومرّة يكشفها عنه ، ويقول قاتل الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجدًا ! يحذر ذلك على أمته^(٤) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن صالح

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٦ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٧ .

(٣) خميصة سوداء : ثوب خز أو صوف معلم .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٧ .

ابن كيسان ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يُتْرَكْ بجزيرة العرب دينان (۱) .

قالت : وتوفّي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، في اليوم الذي قدم فيه المدينة مهاجراً فاستكمل في هجرته عشر سنين كوامل .

• • •

واختلف في مبلغ سنّته يوم توفى صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : كان له يومئذ ثلاث وستون سنة .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا حجاج بن المنهال ، قال : حدثنا حمّاد - يعني ابن سلمة - عن أبي جمرة ، عن ابن عباس ، قال : أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة يُوحى إليه ، وبالمدينة عشراً ؛ ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة .

۱۸۳۵/۱

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا حجاج بن المنهال ، قال : حدثنا حمّاد ، عن أبي جمرة ، عن أبيه ، قال : عاش رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وستين سنة .

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا عبد الوهاب ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد ، قال : سمعت سعيد بن المسيّب ، يقول : أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، وأقام بمكة عشراً ، وبالمدينة عشراً ، وتوفّي وهو ابن ثلاث وستين .

حدثنا محمد بن خلف العسقلاني ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا حمّاد بن سلمة ، قال : حدثنا أبو جمرة الضُبُعي ، عن ابن عباس ، قال :

(۱) سيرة ابن هشام ۲ : ۳۷۷ .

بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَأَقَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ
يَوْحَىٰ إِلَيْهِ ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرًا ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ وَسْتِينَ سَنَةً .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ وَهَبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي عَبْدُ اللَّهِ ،
قَالَ : حَدَّثَنَا يُونُسُ ، عَنْ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : تَوَفَّى
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثِ وَسْتِينَ .

• • •

وَقَالَ آخَرُونَ : كَانَ لَهُ يَوْمئِذٍ خَمْسُ وَسْتُونَ .

• ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ :

حَدَّثَنِي زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ
زَيْدٍ ، عَنْ يَوْسُفَ بْنِ مِهْرَانَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِ وَسْتِينَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا مَعَاذُ بْنُ هِشَامٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ،
عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ الْحَسَنِ ، عَنْ دَعْفَلٍ - بَعْنَى ابْنِ حَنْظَلَةَ - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَفَّى وَهُوَ ابْنُ خَمْسِ وَسْتِينَ سَنَةً .

• • •

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ كَانَ لَهُ يَوْمئِذٍ سِتُونَ سَنَةً .

• ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ :

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا حِجَّاجٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَّادٌ ، قَالَ :
حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، قَالَ : بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ سِتِينَ .

حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ نَصْرٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا شَيْبَانُ ،
عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَائِشَةُ وَابْنُ عَبَّاسٍ ،
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبِثَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ ،
وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرًا .

• • •

ذكر الخبر عن اليوم والشهر

اللَّذِينَ تَوَفَّى فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال أبو جعفر : حدثنا عبد الرحمن بن الوليد الجرجاني ، قال :
حدثنا أحمد بن أبي طيبة ؛ قال : حدثنا عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن
عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل أبا بكر على الحج سنة تسع ،
فأراهم مناسكتهم ، فلما كان العام المقبل حج رسول الله صلى الله عليه وسلم
حجّة الوداع سنة عشر ؛ وصدر إلى المدينة ، وقبض في ربيع الأول .

حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : حدثنا موسى بن داود ، عن
ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن حنّش الصنعاني ، عن ابن عباس ،
قال : ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، واستنّبى يوم الاثنين ،
ورفع الحجر يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ،
وقدم المدينة يوم الاثنين ، وقبض يوم الاثنين .

حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن شريك ،
قال : حدثني أبي ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد
ابن عمرو بن حزم ، عن أبيه ، قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم في
شهر ربيع الأول في اثني عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين
ودفن ليلة الأربعاء .

حدثني أحمد بن عثمان ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا
أبي ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، أنه دخل
عليه فقال لامرأته فاطمة : حدثني محمداً ما سمعت من عمرة بنت عبد الرحمن .
فقلت : سمعت عمرة تقول : سمعت عائشة تقول : دفن نبي الله صلى الله عليه
وسلم ليلة الأربعاء ؛ وما علمنا به حتى سمعنا صوت المسأحي .

ذكر الخبر عما جرى

بين المهاجرين والأنصار في أمر الإمارة في سقيفة بني ساعدة

حدثنا هشام بن محمد ، عن أبي محنف ، قال : حدثني عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة ، فقالوا : نؤتي هذا الأمر بعد محمد عليه السلام سعد بن عباد ، وأخرجوا سعداً إليهم وهو مريض ؛ فلما اجتمعوا قال لابنه أو بعض بني عمه : إني لا أقدر لشكواي أن أسمع القوم كلهم كلامي ؛ ولكن تلتق مني قولي فأسمعهموه ؛ فكان يتكلم ويحفظ الرجل قوله ، فيرفع صوته فيسمع أصحابه ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : يا معشر الأنصار ؛ لكم سابقة في الدين وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب ؛ إن محمداً عليه السلام لبث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن وخلع الأنداد والأوثان ؛ فما آمن به من قومه إلا رجال قليل ؛ وكان ما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله ؛ ولا أن يعزوا دينه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيماً عموماً به ؛ حتى إذا أراد بكم الفضيلة ، ساق إليكم الكرامة وخصكم بالنعمة ، فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله ، والمنع له ولأصحابه ، والإعزاز له ولدينه ؛ والجهاد لأعدائه ؛ فكنتم أشد الناس على عدوه منكم ، وأثقلته على عدوه من غيركم ؛ حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً ؛ وأعطى البعيد المقادة صاغراً داخراً ؛ حتى أثنى الله عز وجل لرسوله بكم الأرض ، ودانت بأسيافكم له العرب ؛ وتوفاه الله وهو عنكم راض ؛ وبيكم قرير عين . استبدوا بهذا الأمر فإنه لكم دون الناس .

١٨٢٨/١

فأجابوه بأجمعهم : أن قد وفدت في الرأي وأصبت في القول ، ولن نعدو ما رأيت ، ونؤتيك هذا الأمر ، فإنك فينا مقنع ولصالح المؤمنين رضا . ثم إنهم ترادوا الكلام بينهم ، فقالوا : فإن أبت مهاجرة قريش ، فقالوا : نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الأولون ؛ ونحن عشيرته وأولياؤه ؛ فعلام تنازعونا هذا الأمر بعده ؛ فقالت طائفة منهم : فإننا نقول إذا : منا أمير

ومنكم أميرٌ ؛ وإن نرضى بدون هذا الأمر أبداً . فقال سعدُ بن عبادة حين ١٨٣٩/١
سمعها : هذا أول الوهن !

وأتى عمرَ الخبِرُ ، فأقبل إلى منزل النبي صلى الله عليه وسلم ، فأرسل
إلى أبي بكر وأبو بكر في الدار وعلى بن أبي طالب عليه السلام دائم في
جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأرسل إلى أبي بكر أن اخرج إلى ،
فأرسل إليه : إني مشغول ؛ فأرسل إليه أنه قد حدث أمرٌ لا بدّ لك من
حضوره ، فخرج إليه ، فقال : أمّا علمت أن الأنصار قد اجتمعت في
سقيفة بني ساعدة ، يريدون أن يولّوا هذا الأمر سعدَ بن عبادة ؛ وأحسنهم
مقالةً من يقول : منّا أمير و من قريش أمير ! ففضيا مسرعين نحوهم .
فلقياً أبا عبيدة بن الجراح ؛ فمأشوا إليهم ثلاثتهم ، فلقيتهم عاصم بن
عدى وعويم بن ساعدة . فقال لهم : ارجعوا فإنه لا يكون ما تريدون ، فقالوا :
لا نفعل ، فجاءوا وهم مجتمعون . فقال عمر بن الخطاب : أتيانهم - وقد كنت
زورت كلاماً أردت أن أقوم به فيهم - فلما أن دفعت إليهم ذهبت
لأبتدئ المنطق ، فقال لي أبو بكر : روّيداً حتى أتكلم ثم انطق بعد بما
أحببت . فنطق ، فقال عمر : فما شيء كنت أردت أن أقوله إلا وقد أتى به
أوزاد عليه .

فقال عبد الله بن عبد الرحمن^(١) : فبدأ أبو بكر . فحمد الله وأثنى عليه ؛
ثم قال : إن الله بعث محمداً رسولاً إلى خلقه ، وشهيداً على أمته ، ليعبدوا الله
ويوحّدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ؛ ويزعمون أنها لهم عنده شافعة ، ولم
نافعة ؛ وإنما هي من حَجَرٍ مَنْحُوتٍ ، وخشبٍ مَنْجُورٍ ، ثم قرأ : ﴿ وَ يَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا
عِنْدَ اللَّهِ ﴾^(٢) ، وقالوا : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾^(٣) ؛
فنعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم ، فخص الله المهاجرين الأولين من

(١) زورت كلاماً : هيأته ، وف ز : « رويت » . (٢) هو راوى الخبر .

(٣) سورة يونس ١٨ . (٤) سورة الزمر ٣ .

قومه بتصديقه ، والإيمان به ، والمؤاساة له ، والصبر معه على شدة أذى قومهم لهم : وتكذيبهم إياهم ؛ وكلُّ الناس لهم مخالف ؛ زار عليهم ، فلم يستوحشوا لقلّة عددهم وشنّف الناس لهم ؛ وإجماع قومهم عليهم ؛ فهم أول من عبّد الله في الأرض وآمن بالله وبالرسول ؛ وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحقّ الناس بهذا الأمر من بعده ؛ ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم . وأنتم يا معشر الأنصار ، من لا ينكر فضلهم في الدين . ولا سابقتهم العظيمة في الإسلام ، رضيكم الله أنصاراً لدينه ورسوله ، وجعل إليكم هجرته . وفيكم جيلة أزواجه وأصحابه ؛ فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا [أحد]^(١) بمنزلتكم ؛ فنحن الأمراء وأنتم الوزراء . لا تُفْتاتون بمشورة . ولا نقضى دونكم الأمور .

قال : فقام الحُبَابُ بن المنذر بن الجموح ، فقال : يا معشر الأنصار ، املِكوا عليكم أمركم ؛ فإنّ الناس في فيثكم وفي ظليكم ، ولن يجرئ مجترئ على خلافكم ؛ ولن يُصدِر الناس إلاّ عن رأيكم . أنتم أهل العزّ والثروة ، وأولو العَدَد والمنعة والتجربة ، ذوو البأس والنجدة ؛ وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون ؛ ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم ؛ وينتفض عليكم أمركم ؛ [فإن] أبي هؤلاء إلاّ ما سمعتم ؛ فنذا أمير ومنهم أمير .

فقال عمر : هيهات لا يجتمع اثنان في قرن ! والله لا ترضى العرب أن يؤتروكم ونبيها من غيركم ؛ ولكن العرب لا تمتنع أن تولّي أمرها من كانت النبوة فيهم وولى أمورهم منهم . ولنا بذلك على منّ أبي من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين . منّ ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ، ونحن أولياؤه وعشيرته إلاّ مدلّ بباطل . أو متجانف لإثم . و متورط في هلكة !

فقام الحُبَابُ بن المنذر فقال : يا معشر الأنصار . املِكُوا على أيديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر . فإن أبوا عليكم ما سألتموه ، فاجلئوهم عن هذه البلاد ؛ وتولّوا عليهم هذه الأمور ؛ فأنتم والله أحقّ بهذا الأمر منهم ؛ فإنه بأسيافكم دان لهذا الذين منّ دان ، من لم يكن يدين ؛ أنا جُدَيْلُها

(١) من ب .

المُحَكِّكُ ، وَعُدَّيْقُهَا الْمُرَجَّبُ ! أَمَا وَاللَّهِ لَأَنْ شَتَمَ لِنَعِيدَتِهَا
جَذَعَةَ^(۱) ، فَقَالَ عُمَرُ : إِذَا يَقْتُلَكَ اللَّهُ ! قَالَ : بَلْ إِيَّاكَ يَقْتُلُ !

فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ؛ إِنْتُمْ أَوْلَ مَنْ نَصَرَ وَأَزَرَ ، ۱۸۴۲/۱
فَلَا تَكُونُوا أَوْلَ مَنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ .

فَقَامَ بَشِيرُ بْنُ سَعْدِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ؛
إِنَّا وَاللَّهِ لَأَنْ كُنَّا أَوْلَى فَضِيلَةَ فِي جِهَادِ الْمُشْرِكِينَ ، وَسَابِقَةَ فِي هَذَا الدِّينِ ؛
مَا أَرَدْنَا بِهِ إِلَّا رِضَا رَبِّنَا وَطَاعَةَ نَبِيِّنَا ؛ وَالْكَدْحَ لِأَنْفُسِنَا ؛ فَمَا يَنْبَغِي
لَنَا أَنْ نَسْتَطِيلَ عَلَى النَّاسِ بِذَلِكَ ، وَلَا نَبْتَغِي بِهِ مِنَ الدُّنْيَا عَرَضًا ؛
فَإِنَّ اللَّهَ وَلِيُّ الْمَنَةِ عَلَيْنَا بِذَلِكَ ؛ أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
قُرَيْشٍ ، وَقَوْمُهُ أَحَقُّ بِهِ وَأَوْلَى . وَإِيمَ اللَّهِ لَا يَرَانِي اللَّهُ أَنْزَعَهُمْ هَذَا الْأَمْرَ أَبَدًا ،
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخَالِفُوهُمْ وَلَا تَنَازَعُوهُمْ !

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : هَذَا عُمَرُ ، وَهَذَا أَبُو عُبَيْدَةَ ، فَأَيُّهُمَا شَتَمَ فَبَايَعُوا . فَقَالَا :

لَا وَاللَّهِ لَا نَتَوَلَّى هَذَا الْأَمْرَ عَلَيْكَ ؛ فَإِنَّكَ أَفْضَلُ الْمُهَاجِرِينَ وَثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا
فِي الْغَارِ ، وَخَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى الصَّلَاةِ ؛ وَالصَّلَاةُ أَفْضَلُ دِينِ الْمُسْلِمِينَ ؛
فَمَنْ ذَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَقَدَّمَكَ أَوْ يَتَوَلَّى هَذَا الْأَمْرَ عَلَيْكَ ! ابْسُطْ يَدَكَ نَبَايَعُكَ .
فَلَمَّا ذَهَبَا لِيُبَايَعَاهُ ، سَبَقَهُمَا إِلَيْهِ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ ، فَبَايَعَهُ ، فَنَادَاهُ الْحُبَابُ
ابْنَ الْمُنْذَرِ : يَا بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ : عَقَّتْكَ^(۲) عَقَاقٍ ؛ مَا أَحْوَجَكَ إِلَى مَا صَنَعْتَ ،
أَنْفَسْتِ عَلَى ابْنِ عَمَّتِكَ الْإِمَارَةَ ! فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ؛ وَلكِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَنْزَعَ
قَوْمًا حَقًّا جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُمْ .

وَلَمَّا رَأَتْ الْأَوْسُ مَا صَنَعَ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ ، وَمَا تَدَعَوْا إِلَيْهِ قُرَيْشٍ ، وَمَا
تَطَلَّبُ الْخَزْرَجُ مِنْ تَأْمِيرِ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ ، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، وَفِيهِمْ أَسَيْدُ
ابْنِ حُضَيْرٍ - وَكَانَ أَحَدَ النَّقَبَاءِ : وَاللَّهِ لَأَنْ وَإِيَّتَهَا الْخَزْرَجُ عَلَيْكُمْ مَرَّةً لَا زَالَتْ
لَهُمْ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ الْفَضِيلَةَ ؛ وَلَا جَعَلُوا لَكُمْ مَعَهُمْ فِيهَا نَصِيبًا أَبَدًا ، فَقَوْمُوا فَبَايَعُوا

۱۸۴۳/۱

(۱) جذعة : فنية . (۲) ط : « عقت » ، والتصويب من اللسان .

أبا بكر . فقاموا إليه فبايعوه ، فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم .

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدثني أبو بكر بن محمد الخزاعي ، أن أسلم أقبلت بجماعتها حتى تضايقت بهم السكك ، فبايعوا أبا بكر ؛ فكان عمر يقول : ما هو إلا أن رأيت أسلم ، فأبقت بالنصر .

قال هشام ، عن أبي مخنف : قال عبد الله بن عبد الرحمن : فأقبل الناس من كل جانب يبايعون أبا بكر ، وكادوا يطنون سعد بن عبادة ، فقال ناس من أصحاب سعد : اتقوا سعداً لا تطئوه ، فقال عمر : اقتلوه قتله الله ! ثم قام على رأسه ، فقال : لقد هممت أن أطأك حتى تُنذر عَضُدَكَ^(١) ، فأخذ سعد بالحية عمر ، فقال : والله لو حصصت منه شعره ما رجعت وفيك واضحة^(٢) . فقال أبو بكر : مهلاً يا عمر! الرقتُها هنا أبلغ . فأعرض عنه عمر . وقال سعد : أما والله لو أن بني قوّة مآء ، أقوى على النهوض ، لسمعت مني في أقطارها وسككها زثيراً يُجحرِك^(٣) وأصحابك ؛ أما والله إذا لألحقنك بقوم كنت فيهم تابِعاً غير متبرع ! احمِلوني من هذا المكان ، فحملوه فأدخلوه في داره . وترك أياً مآءاً ثم بعث إليه أن أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك ؛ فقال : أما والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نَبَلِي . وأخضِب سنان رمحي ، وأضربكم بسيفي بما ملكته يدي ، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي . فلا أفعل ، وإيّم الله لو أن الجن اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم . حتى أعرض على ربي ، وأعلم ما حسبي .

فلما أتى أبو بكر بذلك قال له عمر : لا تندعه حتى يبايع . فقال له بشير بن سعد : إذه قد ليج وأبي . وليس بمبايعكم حتى يُقتل . وليس بمقتول حتى يُقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته ؛ فاتركوه فليس تركه بضاركم ؛ إنما هو رجل واحد . فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد واستنصحوه لما بدأ لهم منه ؛

(١) تنذر عضدك : تزال عن موضعها ، وفي ط : « عضوك » .

(٢) الواضحة : الأسنان التي تبدو عند الضحك .

(٣) يجحرِك وأصحابك . أي يدخلكم المضايق .

فكان سعد لا يصلّي بصلاتهم ، ولا يجمع معهم ويحج ولا يفيض معهم بإفاضتهم ؛ فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر رحمه الله .

حدثنا عبيد الله بن سعد ، قال : حدثنا عمي ، قال : أخبرنا سيف ابن عمر ، عن سهل وأبي عثمان ، عن الضحّاك بن خليفة ، قال : لما قام الحجابُ ابن المذرانضى سيفه ؛ وقال : أنا جُذَيْلُهَا المحكّك وعُدَيْقُهَا المرجّب ؛ أنا أبو شبل في عريسة الأسد ، يعزى إلى الأسد . فحامله عمر فضرب يده ، فندر السيفُ ، فأخذه ثم وثب على سعد ووثبوا على سعد ؛ وتتابع القوم على البيعة ؛ ١٨٤٥/١ وباع سعد ؛ وكانت فلتةٌ كفَلتات الجاهليّة ؛ قام أبو بكر دونها . وقال قائل حين أوطىء سعد : قتلتم سعداً ، فقال عمر : قتلته الله ! إنه منافق ، واعترض عمر بالسيف صخرةً فقطعه .

حدثنا عبيد الله بن سعيد ، قال : حدثني عمي يعقوب ، قال : حدثنا سيف ، عن مبشر ، عن جابر ، قال : قال سعد بن عبادة يومئذ لأبي بكر : إنكم يا معشر المهاجرين حسدتموني على الإمارة ؛ وإنك وقومي أجبرتموني على البيعة ، فقالوا : إنا لو أجبرناك على الفرقة فصرت إلى الجماعة كنت في سعة ؛ ولكننا أجبرنا على الجماعة ، فلا إقالة فيها ؛ لأن نزعنا يداً من طاعة ، أو فرقت جماعة ، لنضر بن الذي فيه عيناك .

• • •

[ذكر أمر أبي بكر في أول خلافته]

حدثنا عبيد الله بن سعد ، قال : أخبرنا عمي ، قال : حدثنا سيف - وحدثني السرطاني بن يحيى ، قال : حدثنا شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر - عن أبي ضمرة ، عن أبيه ، عن عاصم بن عدى ، قال : نادى منادى أبي بكر ، من بعد الغد من متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليتمّ بعث أسامة ؛ ألا لا يبقين بالمدينة أحدٌ من جنود أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف . وقام في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه وقال :

يأيها الناس ، إنما أنا مثلكم ؛ وإنى لا أدري لعكم ستكلفونى ما كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يطبق ؛ إن الله اصطفى محمداً على العالمين وعصمه من الآفات ؛ وإنما أنا منبعٌ واست مبتدع ؛ فإن استقمتم فتابعونى ، وإن زغت فقومونى ؛ وإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قبض وليس أحدٌ من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ضربة سوط فما دونها ؛ إلا وإن لى شيطاناً يعترينى ؛ فإذا أتانى

١٨٤٦/١

فاجتنبونى ؛ لا أؤثر فى أشعاركم وأبشاركم ؛ وأنتم تغدون وتترؤحون فى أجلٍ قد غيب عنكم علمه ؛ فإن استطعتم ألا يمضى هذا الأجل إلا وأنتم فى عمل صالح فافعلوا ؛ ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله ، فسابقوا فى مهل آجالكم من قبل أن تُسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال ؛ فإن قوماً نسوا آجالهم ، وجعلوا أعمالهم لغيرهم ؛ فإيتاكم أن تكونوا أمثالهم . الجدد الجدد ! والوحا الوحا ! والنسجاء النسجاء ! فإن وراءكم طالباً حثيثاً ، أجلاً مره سريع . احذروا الموت . واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان ، ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات .

وقام أيضاً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه ؛ فأريدوا الله بأعمالكم ، واعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها ، وخطأ ظفرتكم به ، وضرائب أدتتموها ، وسلف قد متموه من أيام فانية لأخرى باقية ؛ لحين فقركم وحاجتكم . اعتبروا عباد

الله بمن مات منكم ، وتفكروا فيمن كان قبلكم . أين كانوا أمس ، وأين هم اليوم ! أين الجبارون ! وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة فى مواطن الحروب ! قد تضعضع بهم الدهر ، وصاروا رميماً ؛ قد تركت عليهم القتالات ؛ الخبيثات للخبيثين ، والخبيثون للخبيثات . وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها ؛ قد بعدوا ونسى ذكرهم ، وصاروا كلاً شياً . ألا إن الله قد أبقى عليهم التبعات ، وقطع عنهم الشهوات ، ومضوا والأعمال أعمالهم ، والدنيا دنيا غيرهم ، وبقينا خلقاً بعدهم ؛ فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا ؛ وإن اغتررنا كنا مثلهم ! أين الوضاء الحسنة وجوههم ، المعجبون بشبابهم ! صاروا تراباً ، وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم ! أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط ، وجعلوا فيها الأعاجيب ! قد تركوها

١٨٤٧/١

لمن خَلَفْتَهُمْ ؛ فتلک مساکنهم خاویة ، وهم فی ظلمات القبور ، هل تحس منهم من أحد. أو تسمع لهم ركزاً ! أين من تعرفون من أبنائکم وإخوانکم ؛ قد انتهت بهم آجالهم ، فوردوا علی ما قدموا فحاشوا علیه وأقاموا للشقوة والسعادة فیما بعد الموت . ألا إن الله لا شریک له ، لیس بینه وبين أحد من خلقه سببٌ یعطیه به خیراً ، ولا یصرف عنه به سوءاً ، إلا بطاعته واتباع أمره واعلموا أنکم عبیدٌ مَدِینُونَ ، وإن ما عنده لا یدُرک إلا بطاعته ؛ أما أنه لا خیر بخیر بَعْدَهُ النارُ ، ولا شر بشرَ بَعْدَهُ الجنة .

حدثنی عبید الله بن سعد ، قال : أخبرنی عمی ، قال : أخبرنی سيف — ۱۸۴۸/۱
 وحدثنی السری ، قال : حدثنا شعيب ، قال : أخبرنا سيف — عن هشام ابن عروة ، عن أبيه ، قال : لما بویع أبو بكر رضی الله عنه وجمع الأنصار فی الأمر الذی افرقوا فيه ، قال : لِيَتَمَّ بعثُ أسامة ؛ وقد ارتدت العرب ؛ إماماً عامة وإماماً خاصة فی كل قبيلة ؛ ونجم النفاق ، واشربت اليهود والنصارى ، والمسلمون كالغنم فی الليلة المظيرة الشاتية . لفقدهم نبیهم صلى الله علیه وسلم وقیاتهم ، وكثرة عدوهم . فقال له الناس : إن هؤلاء جُلُ المسلمین والعرب — علی ما ترى — قد انتقضت بك ؛ فلیس ینبغی لك أن تفرق عنك جماعة المسلمین . فقال أبو بكر : والذی نفس أبی بكر بیده ، لو ظننت أن السباع تخطفنی لأنفذت بعث أسامة كما أمر به رسولُ الله صلى الله علیه وسلم ، ولو لم یبق فی القرى غیری لأنفذته !

حدثنی عبیدُ الله ، قال : حدثنی عمی ، قال : أخبرنی سيف — وحدثنی السری ، قال : حدثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف — عن عطية ، عن أبی ایوب عن علی ، وعن الضحاک عن ابن عباس ، قالوا : ثم اجتمع من حول المدينة من القبائل التي غابت فی عام الحديبية ، وخرجوا وخرج أهلُ المدينة فی جُند أسامة ؛ فحبس أبو بكر من بقى من تلك القبائل التي كانت لهم الهجرة فی ديارهم ، فصاروا مسالِح حول قبائلهم وهم قليل .

حدثنا عبیدُ الله ، قال : حدثنی عمی ، قال : أخبرنی سيف — وحدثنی السری ، قال : حدثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف — عن أبی ضمرة

وأبي عمرو وغيرهما؛ عن الحسن بن أبي الحسن البصرى، قال: ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بعضاً على أهل المدينة ومن حولهم؛ وفيهم عمر ابن الخطاب، وأمر عليهم أسامة بن زيد. فلم يجاوز آخرهم الخندق، حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، فزيت أسامة بالناس، ثم قال لعمر: ارجع إلى خليفة رسول الله فاستأذنه؛ يأذن لي أن أرجع بالناس؛ فإن معي وجوه الناس وحدهم؛ ولا آمن على خليفة رسول الله وثقل رسول الله وأثقال المسلمين أن ينخطفهم المشركون. وقالت الأنصار: فإن أبي إلا أن نمضي فأبلغه عننا، واطلب إليه أن يولي أمرنا رجلاً أقدم سنًا من أسامة. فخرج عمر بأمر أسامة، وأتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة، فقال أبو بكر، لو خَطَفْتَنِي الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضيتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم! قال: فإن الأنصار أمروني أن أبلغك، وإنهم يطلبون إليك أن تولي أمرهم رجلاً أقدم سنًا من أسامة؛ فوثب أبو بكر - وكان جالساً - فأخذ بلحية عمر، فقال له: ثكلتك أمك وعدمت لك يا ابن الخطاب! استعملته رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني أن أنزعه! فخرج عمر إلى الناس فقالوا له: ما صنعت؟ فقال: امضوا، ثكلتكم أمهاتكم! ما لقيت في سببكم من خليفة رسول الله!

ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم، فأشخصهم وشيئهم وهو ماش وأسامه راكب، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر، فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله، والله لتركبن أو لأنزلن! فقال: والله لا تنزل والله لا أركب! وما على أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة؛ فإن للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له، وسبعمائة درجة ترتفع له، وترفع عنه سبعمائة خطيئة! حتى إذا انتهى قال: إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل! فأذن له، ثم قال: يا أيها الناس، قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني: لا تسخونوا ولا تغلبوا، ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا^(١) نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة

(١) عقر النخلة: قطع رأسها.

فشمرة ، ولا تذبحوا شاةً ولا بقرة ولا بعيراً إلا لما كاة ، وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعّوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدّمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها . وتلقون أقواماً قد فحسوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصاب ، فاخفيقوهم بالسيف خفقتاً . اندفعوا باسم الله ، أفناكم الله بالطعن والطاعون (١) .

حدثني السري ، قال : حدثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف - وأخبرنا ١٨٥١/١
عبيد الله ، قال : أخبرني عمي ، قال : حدثنا سيف - عن هشام بن عروة ،
عن أبيه ، قال : خرج أبو بكر إلى الجُرُف ، فاستقرى أسامة وبعثه ، وسأله
عمر فأذن له ، وقال له : اصنع ما أمرك به نبي الله صلى الله عليه وسلم ، ابدأ
ببلاد قُضاعة ثم إيتِ آبيلَ ، ولا تقصرن في شيء من أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، ولا تعجلن لما خلفت عن عهده . فضى أسامة مُغِذاً على
ذِي المَرَوَةِ والوادي ، وانتهى إلى ما أمره به النبي صلى الله عليه وسلم من بَثِّ
الخيول في قبائل قُضاعة والغارة على آبيلَ ، فسليم وغنم ، وكان فراغه في
أربعين يوماً سوى مقامه ومنقلبه راجعاً .

فحدثني السري بن يحيى ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف - وحدثنا
عبيد الله ، قال : أخبرنا عمي ، قال : أخبرنا سيف - عن موسى بن عقبة ،
عن المغيرة بن الأحنس .

وعنهما ، عن سيف ، عن عمرو بن قيس ، عن عطاء الخراساني مثله .

• • •

بقية الخبر عن أمر الكذاب العنسي

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جماع - فيما بلغنا - لباذام حين أسلم
وأسلمت اليمن عمّل اليمن كلها ، وأمره على جميع مخالفيها ، فلم يزل عامل رسول الله

(١) كذا في س ، وفي ط : « أفناكم » ، ولا معنى له ، وما أثبتته بتفق مع الحديث : « فناء أمي
بالطعن والطاعون » . وانظر النهاية ٣ : ٣٩ .

صلى الله عليه وسلم أيام حياته ، فلم يعزله عنها ولا عن شيء منها ، ولا أشرك معه فيها شريكاً حتى مات باذام ، فلما مات فرق عملها بين جماعة من أصحابه .

فحدثني عبيد الله بن سعد الزهري ، قال : حدثنا عمي ، قال : حدثنا سيف - وحدثني السري بن يحيى ، قال : حدثنا شعيب بن إبراهيم ، عن سيف - قال : حدثنا سهيل بن يوسف ، عن أبيه ، عن عبيد بن صخر ابن لوذان الأنصاري السلمي - وكان فيمن بعث النبي صلى الله عليه وسلم مع عمال اليمن في سنة عشر بعد ما حج حجة التمام : وقد مات باذام ، فلذلك فرق عملها بين شهر بن باذام ، وعامر بن شهر الهمداني ، وعبد الله بن قيس أبي موسى الأشعري ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والطاهر بن أبي هالة ، ويعلى بن أمية ، وعمر بن حزم ، وعلي بن بلاد حضرموت زياد بن لبيد البياضي وعكاشة بن ثور بن أصغر الغوثي ، على السكاسك والسكون ومعاوية ابن كندة ، وبعث معاذ بن جبل معلماً لأهل البلدين : اليمن وحضرموت .

١٨٥٢/١

حدثني عبيد الله ، قال : أخبرني عمي ، قال : أخبرني سيف - يعني ابن عمر - عن أبي عمرو مولى إبراهيم بن طلحة ، عن عبادة بن قرض بن عبادة ، عن قرض الليثي ، أن النبي صلى الله عليه وسلم رجع إلى المدينة بعد ما قضى حجة الإسلام ، وقد وجه إمارة اليمن وفرقها بين رجال ، وأفرد كل رجل بحيزه ، ووجه إمارة حضرموت وفرقها بين ثلاثة ، وأفرد كل واحد منهم بحيزه ، واستعمل عمرو بن حزم على نجران ، وخالد بن سعيد بن العاص على ما بين نجران ورمع وزبيد ، وعامر بن شهر على همدان ، وعلي صنعاء ابن باذام ، وعلي عك والأشعريين الطاهرين بن أبي هالة ، وعلي مأرب أبو موسى الأشعري ، وعلي الجند يعلى بن أمية . وكان معاذ معلماً ينتقل في عمالة كل عامل باليمن وحضرموت ؛ واستعمل على أعمال حضرموت ؛ على السكاسك والسكون عكاشة بن ثور ، وعلي بني معاوية بن كندة عبد الله (١) - أو المهاجر - فاشتكى فلم يذهب حتى وجهه أبو بكر . وعلي حضرموت زياد بن لبيد

١٨٥٣/١

(١) هو عبد الله بن قيس ، أبو موسى الأشعري .

البياضى ، وكان زياد يقوم على عمل المهاجر ؛ فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء عماله على اليمن وحضرموت ؛ إلا من قُتِل في قتال الأسود أو مات ؛ وهو باذام ، مات ففرق النبي صلى الله عليه وسلم العمل من أجله . وشهر ابنه - يعنى ابن باذام - فسار إليه الأسود فقاتله فقتله .

وحدثني بهذا الحديث السرى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف . فقال فيه : عن سيف ، عن أبي عمرو مولى إبراهيم بن طلحة . ثم سائر الحديث بإسناده مثل حديث ابن سعد الزهرى .

قال : حدثني السرى ، قال : حدثنا شعيب بن إبراهيم ، عن سيف ، عن طلحة بن الأعمى . عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أول من اعترض على العنسي وكائره عامر بن شهر الهمداني في ناحيته وفيروز وداذويه في ناحيتهما ، ثم تابع الذين كتب إليهم على ما أمروا به .

حدثنا عبيد الله بن سعد ، قال : أخبرنا عمى ، قال : أخبرني سيف ، قال . وحدثنا السرى ، قال : حدثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف - عن سهل بن يوسف ، عن أبيه ، عن عبيد بن صخر ، قال : فبينما نحن بالجنند قد أقمناهم على ما ينبغي ، وكتبنا بيننا وبينهم الكتب ، إذ جاءنا كتاب من الأسود : أيها المتوردون علينا ، أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا ، ووفروا ما جمعتم ؛ فنحن أولى به وأنتم على ما أنتم عليه . فقلنا للرسول : من أين جئت ؟ قال : من كهف خبان . ثم كان وجهه إلى نجران ؛ حتى أخذها في عشرٍ لمخرجه ، وطابقه عوامٌ مذحج . فبينما نحن ننظر في أمرنا ، ونجمع جمعنا ، إذ أتينا فقيلاً : هذا الأسود بشعوب^(١) ، وقد خرج إليه شهر بن باذام ؛ وذلك لعشرين ليلة من منجمه . فبينما نحن ننتظر الخبر على من تكون الدبرة ، إذ أتانا أنه قتل شهراً ، وهزم الأبناء ، وغلب على صنعاء - لحمس وعشرين ليلة من منجمه . وخرج معاذ هارباً ، حتى مرّ بأبي موسى

(١) شعوب : قصر باليمن معروف بالارتفاع ، أو بساتين بظاهر صنعاء - ياقوت .

وهو بمأرب، فافتحما حضرموت؛ فأما معاذ فإنه نزل في السكون؛ وأما أبو موسى فإنه نزل في السكاسك مما يلي المذخور والمفازة^(١) بينهم وبين مأرب، وانحاز سائر أمراء اليمن إلى الظاهر إلا عمراً ونخالدًا؛ فإنهما رجعا إلى المدينة؛ والظاهر يومئذ في وسط بلاد عك بحيال صنعاء. وغلب الأسود على ما بين صهيد - مفازة حضرموت - إلى عمل الطائف إلى البحرين قبل عدن، وطابقت عليه اليمن، وعك بتهمة معترضون عليه؛ وجعل يستطير استطارة الحريق، وكان معه سبعمائة فارس يوم لقي شهراً سوى الركببان؛ وكان قواده قيس بن عبد يغوث المرادي ومعاوية بن قيس الجعفي ويزيد بن محرم ويزيد بن حصين الحارثي ويزيد بن الأفكل الأزدي. وثبت ملكه واستغلف أمره، ودانت له سواحل من السواحل؛ حاز عشر^(٢) والشرجة والحردة^(٣) وغلافقة وعدن، والحنند؛ ثم صنعاء إلى عمل الطائف، إلى الأحسية وعلييب؛ وعامله المسلمون بالبغمية^(٤)، وعامله أهل الردة بالكفر والرجوع عن الإسلام. وكان خليفته في مذحج عمرو بن معد يكرب، وأسند أمره إلى نفر؛ فأما أمر جنده فإلى قيس بن عبد يغوث، وأسند أمر الأبناء إلى فيروز وداذويه.

فلما أثنخ في الأرض اسنخف بقيس وبفيروز وداذويه، وتزوج امرأة شهر؛ وهي ابنة عم فيروز؛ فبينما نحن كذلك بحضرموت - ولا نأمن أن يسير إلينا الأسود، أو يبعث إلينا جيشاً، أو يخرج بحضرموت خارج يدعى بمثل^(٥) ما ادعى به الأسود، فنحن على ظهر، تزوج معاذ إلى بني بكرة^(٦)، حتى من السكون، امرأة أخوالها بنوزنكيبيل يقبل لها رملة، فحمد بوا لصهره^(٧)

(١) ز : « أظفور وأظفارة » .

(٢) عثر ، ضبطه صاحب مرصد الاطلاع بفتح أوله وسكون ثانيه ، وقال : « وهو عثر ، بالتشديد ؛ إلا أن أهل اليمن لا يقولونه إلا بالتخفيف » .

(٣) كذا ضبطه ياقوت بالفتح ، وقال : « بلد باليمن له ذكر في حديث العنسي » وفي ط بكسر الحاء .

(٤) س : « بالتقية » .

(٥) س : « مثل » .

(٦) س : « نكرة » .

(٧) س : « بصهره » .

علينا^(١) ، وكان معاذ بها معجباً ، فإن كان ليقول فيما يدعو الله به : اللهم ابعثنى يوم القيامة مع السكون ، ويقول أحياناً : اللهم اغفر للسكون - إذ جاءتنا كتبُ النبي صلى الله عليه وسلم يأمرنا فيها أن نبعث الرجال لمجاولته أو لمصاولته ؛ ونُبلِغ^(٢) كل مَنْ رجا عنده شيئاً من ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم . فقام معاذ في ذلك بالذي أمر به ، فعرفنا القوة وثقنا بالنصر^(٣).

حدثنا السري ، قال : أخبرنا شعيب ، قال : حدثنا سيف - وحدثني عبيد الله ، قال : أخبرنا عمي ، قال : أخبرنا سيف - قال : أخبرنا المستنير ابن يزيد ، عن عروة بن غزيرة الدثيني ، عن الضحاک بن فيروز - قال السري : عن جُشَيْش بن الديلمي ، وقال عبيد الله : عن جشنس^(٤) بن الديلمي - قال : قدم علينا وبر بن يحنس بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، يأمرنا فيه بالقيام على ديننا ، والنهوض في الحرب ، والعمل في الأسود : إما غيلة وإما مصادمة ؛ وأن نبلغ عنه مَنْ رأينا أن عنده نجدة وديناً . فعملنا في ذلك ، فرأينا أمراً كئيفاً ، ورأينا قد تغير لقيس بن عبد يغوث - وكان على جنده - فقلنا : يخاف على دمه ؛ فهو لأول دعوة ؛ فدعونا وأنبأناه الشأن ، وأبلغناه عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فكأنما وقعنا عليه من السماء ، وكان في غم وضيق بأمره ؛ فأجابنا إلى ما أحببنا من ذلك ، وجاءنا^(٥) وبر بن يحنس ، وكاتبنا الناس ودعوناهم ؛ وأخبره الشيطان بشيء ، فأرسل إلى قيس وقال : يا قيس ، ما يقول هذا ؟ قال : وما يقول ؟ قال : يقول : عمدت إلى قيس فأكرمته ؛ حتى إذا دخل منك كل مدخل ، وصار في العز مثلك ، مال ميل عدوك ؛ وحاول ملكك وأضر على الغدر ! إنه يقول : يا أسود يا أسود ! يا سوءة يا سوءة ! اقطف قننته ، وخذ من قيس أعلاه ؛ وإلا سلبك أو قطف قننتك . فقال قيس - وحلف به : كذب وذى الخمار ؛ لأنت أعظم في

١٨٥٧/١

(٢) س : « أر نبلغ » .

(١) ز : « عليه » .

(٤) كذا في المشبه ١٨٦ ، وفي ط :

(٣) ز : « بالنصرة » .

(٥) ز : « وجاء » .

« جيش » ، تعريف .

نفسى وأجلّ عندى من أن أحدث بك نفسى ؛ فقال : ما أجفاك : أنكذب
 المملّك ! قد صدق المملّك ؛ وعرفت الآن أنك نائبٌ مما اطّلع عليه منك .
 ثم خرج فأتانا ، فقال : يا جُشيش ، ويا فيروز ، ويا داذويه ؛ إنه قد
 كان وقت (١) . فما رأى ؛ فقلنا : نحن على حدّرك ؛ فإننا فى ذلك ؛ إذ أرسل لنا ،
 فقال : ألم أشرفكم على قومكم . ألم يبلغنى عنكم ! فقلنا : أقلنا مرتنا هـ .
 فقال : لا يبلغنى عنكم فأقتلكم (٢) . فنجونا ولم نكد ؛ وهو فى ارتياب من
 أمرنا وأمر قيس ؛ ونحن فى ارتياب وعلى خطر عظيم ؛ إذ جاءنا اعتراض عامر
 ابن شهر وذى زود وذى مهران وذى الكلاع وذى ظلميم عليه . وكاتبونا وبدلوا
 لنا النصر ؛ وكاتبناهم وأمرناهم ألا يحركوا شيئاً حتى نُبرم الأمر - وإنما
 احتاجوا لذلك حين جاء كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ؛ (٣) وكتب النبي صلى
 الله عليه وسلم إلى أهل نَجْران (٤) ؛ إلى عربهم وساكنى الأرض من غير العرب ؛
 فثبتوا فتنحوا وانضموا إلى مكان واحد - وبلغه ذلك ، وأحس بالهلاك ، وفرّق
 لنا الرأى . فدخلت على آداد ؛ وهى امرأته ، فقلت : يا ابنة عمّ ؛ قد
 عرفت بلاء هذا الرجل عند قومك ؛ قتل زوجك ، وطأ فى قومك القتل (٥) ،
 وسفل بمن بقى منهم ؛ وفضح النساء ؛ فهل عندك من ممالأة عليه ! فقالت :
 على أى أمره (٦) ؛ قلت : إخراجهم ، قالت : أو قتله ، قلت : أو قتله ، قالت : نعم
 والله ما خلق الله شخصاً أبغض إلىّ منه ؛ ما يقوم لله على حقّ ، ولا يتهمى له
 عن حرمة (٧) ؛ فإذا عزمتم فأعلموني أخبركم بما أتى هذا الأمر . فأخرج
 فإذا فيروز وداذويه ينتظراني ، وجاء قيس ونحن نريد أن نناهضه ، فقال له
 رجل قبل أن يجلس إلينا : المملّك يدعوك ، فدخل فى عشرة من مَدْحِج
 وهمدان . فلم يقدر (٧) على قتله معهم - قال السرى فى حديثه : فقال :

١٨٥٨/١

(٢) كذا فى ز ، وفى ط : « فأقتلكم » .

(١) س : « وقد قلت » .

(٣-٢) ساقط من ز .

(٤) طأ القتل فى قومه ؛ أى أسرع فيهم بالقتل .

(٥) ز : أضاف : « هو » .

(٦) ابن الأثير : « محرم » .

(٧) ز : « فلم يقدر » .

يا عينه بن كعب بن غوث ، وقال عبيدُ الله في حديثه : يا عبه بن كعب بن غوث - أميني تحصن بالرجال ! ألم أخبرك الحق وتخبرني الكذابة (۱) ! إنه يقول : ياسوءة ياسوءة ! إلا تقطع من قيس يداه يقطع قننك (۲) العُليا ؛ حتى ظن أنه قائله ؛ فقال : إنه ليس من الحق أن أقتلك (۳) وأنت رسول الله ، فر (۴) بن بما أحببت ؛ فأما الخوف والفرع فأنا فيهما مخافة [أن تقتلني] (۵) - قال الزهري : فإما قتلتي فوته ، وقال السري : اقتلني فوته أهونُ علي من موتات أموتها كل يوم - فرق له فأخرجه ، فخرج علينا فأخبرنا واطأنا (۶) ، وقال : اعملوا عملكم ؛ وخرج علينا في جمع ، فقمنا مثولا له ، وبالباب مائة ما بين بقرة وبعير ، فقام وخط خطا فأقيمت من ورائه ، وقام من دونها ، فنحراها غير محبسة ولا معقولة ، ما يقنم الخط منها شيء ، ثم خلاها فجالت إلى أن زهقت ؛ فما رأيت أمرا كان أفظع منه ، ولا يوما أوحش منه . ثم قال : أحق ما بلغني عنك يا فيروز ؟ وبوأ له الحربة - لقد هممت أن أنحررك فأتبعك هذه البهيمة ، فقال : اخترتنا لصهرِك وفضلتنا على الأبناء ؛ فلو لم تكن نبيا ما بعنا نصيبنا منك بشيء ؛ فكيف وقد اجتمع لنا بك أمرُ آخرة ودينا ؛ لا تقبلن علينا أمثال ما يبلغك ؛ فإننا بحيث تحب . فقال : اقسيم هذه ؛ فأنت أعلم بمن ها هنا ، فاجتمع إلى أهل صنعاء ، وجعلت أمر للرهط بالجزور ولأهل البيت بالبقرة ، ولأهل الحيلة (۷) بعدة ؛ حتى أخذ أهل كل ناحية بقسطهم . فلحق به قبل أن يصل إلى داره - وهو واقف على - رجل يسعى إليه بفيروز ؛ فاستمع له ، واستمع له فيروز وهو يقول : أنا قاتله غدا وأصحابه ؛ فاغدُ علي ، ثم التفت فإذا به (۸) ، فقال : مه ! فأخبره بالذي صنع ، فقال : أحسنت ، ثم ضرب دابته داخلا ، فرجع إلينا فأخبرنا

۱۸۶۰/۱

(۱) ابن الأثير : « الكذب » .

(۲) ابن الأثير : « أهلك » .

(۳) ابن الأثير : « أهلك » .

(۴) ابن الأثير : « فرغ » .

(۵) ابن الأثير : « فرغ » .

(۶) ابن الأثير : « فرغ » .

(۷) ابن الأثير : « فرغ » .

(۸) ابن الأثير : « فرغ » .

الخبر . فأرسلنا إلى قيس ؛ فجاءنا ؛ فأجمع ملؤهم أن أعود إلى المرأة فأخبرها
بعزيمتنا لتخبرنا بما تأمر ؛ فأنيتُ المرأة وقلت : ما عندك ؟ فقالت : هو
متحرّز متحرّس ؛ وليس من القصر شيء إلا والحرسُ محيطون به غير هذا
البيت ؛ فإن ظهره إلى مكان كذا وكذا من الطريق ؛ فإذا أمسيتُ فأنقبوا
عليه ؛ فإنكم من دون الحرس ؛ وليس دون قتله شيء . وقالت : إنكم ستجدون
فيه سراجاً وسلاحاً . فخرجتُ فتلقتُني الأسود خارجاً من بعض منازلها .
فقال لي : ما أدخلك عليّ ؟ ووجعاً رأسي حتى سقطتُ - وكان شديداً -
وصاحت المرأة فأدهشته عني ؛ ولولا ذلك لقتلني . وقالت : ابن عمي جاءني
زائراً ، فقصرتُ بي ! فقال : اسكتي لا أبالك . فقد وهبته لك ! فتزايلتُ
عني ، فأنيتُ أصحابي فقلت : النجاء ! الهرب ! وأخبرتهم الخبر ؛ فإنا
على ذلك حيارى إذ جاءني رسولها : لا تدعنّ ما فارقتك عليه ؛ فإني
لم أزل به حتى اطمأنّ ؛ فقلنا لفيروز : انتهبنا فتثبت منها ؛ فأما أنا
فلا سبيل لي إلى الدخول بعد النهي . ففعل ، وإذا هو كان أفطن مني ؛ فلما
أخبرته قالت : وكيف ينبغي لنا أن ننقب على بيوت مبطنّة ! ينبغي لنا أن نطلع
بطانّة البيت ؛ فدخلا فاقتلعا البطانة ، ثم أغلقاه ؛ وجلس عندهما كالزائر ؛
فدخل عليها [الأسود] ^(١) فاستخفتّه غيرة ^(٢) ، وأخبرته برضاع وقرابة منها عنده
محرم ، فصاح به وأخرجه . وجاءنا بالخبر ؛ فلما أمسينا عملنا في أمرنا ؛
وقد واطأنا أشياعنا ، وعجلنا عن مراسلة الهمدانيين والحميريين ؛ فنقبتنا
البيت من خارج ، ثم دخلنا وفيه سراج تحت جفنة ؛ واتقينا بفيروز ؛ وكان
أنجدنا وأشدنا - فقلنا : انظر ماذا ترى ! فخرج ونحن بينه وبين الحرس
معه في مقصورة ؛ فلما دنا من باب البيت سمع غطيظاً شديداً ، وإذا المرأة
جالسة ؛ فلما قام ^(٣) على الباب أجلسه الشيطان فكلّمه على لسانه - وإنه
ليغطّ جالساً . وقال أيضاً : مالي ولك يا فيروز ! فخشي إن رجع أن يهلك
وتهلك المرأة ، فعاجله فخالطه وهو مثل الحمل ؛ فأخذ برأسه فقتله ، فدقّ

١٨٦١/١

(٢) س : « الغيرة » .

(١) من ابن الأثير .

(٣) س : « قدم » .

عنقه ، ووضع ركبته في ظهره فدقته ، ثم قام ليخرج ؛ فأخذت المرأة بثوبه وهي ترى أنه لم يقتله ، فقالت : أين تمدّ عُنِي ! قال : أخبر أصحابي بمقتله ؛ فأتانا فقمنا معه ؛ فأردنا حزّ رأسه ؛ فحرّكه الشيطان فاضطرب^(۱) فلم يضبطه ؛ فقلت : اجلسوا على صدره ؛ فجلس اثنان على صدره . وأخذت المرأة بشعره ، وسمعنا بربرة^(۲) فألحمتُه بمِثْلَاة^(۳) ؛ وأمرّ الشفّرة على حلقه فخار كأشدّ خوار ثور سمعته قطّ ؛ فابتدر الحرس الباب وهم حول المقصورة ، فقالوا : ما هذا ، ما هذا ! فقالت المرأة : النبيّ يوحىّ إليه ! فحمد . ثم سمّنا ليلتنا ونحن نأتمر كيف نخبرُ أشياعنا ، ليس غيرنا ثلاثتنا : فيروز ودادويه وقيس^(۴) ؛ فاجتمعنا على النداء بشعارنا الذي بيننا وبين أشياعنا ، ثم يُنادى بالأذان ، فلما طلّع الفجر نادى دادويه بالشعار ، ففزع المسلمون والكافرون ، وتجمع الحرس فأحاطوا بنا ، ثم ناديت بالأذان ، وتوافت خيولهم إلى الحرس ، فناديتهم : أشهدُ أن محمداً رسول الله ؛ وأن عبّسه كذاب ! وألقينا إليهم رأسه ، فأقام وبّر الصلاة ، وشنّتها القوم غارة ؛ وناديننا : يا أهل صنعاء ، من دخل عليه داخل فتعلقوا به ، ومن كان عنده منهم أحد فتعلقوا به . وناديننا بمن في الطريق : تعلقوا بمن استطعم ! فاختطفوا صبياننا كثيرين ؛ وانتهبوا ما انتهبوا ، ثم مضوا خارجين ؛ فلما برزوا فقدوا منهم سبعين فارساً ركبانا ؛ وإذا أهل الدّور والطرق وقد وافونا بهم ؛ وفقدنا سبعمائة عيّل فراسلونا وراسلناهم أن يتركوا لنا ما في أيديهم ، وترك لهم ما في أيدينا ؛ ففعلوا فخرجوا لم يظفروا منّا بشيء ؛ فتردّوا فيما بين صنعاء ونجّران ، وخلصت صنعاء والحنّند ، وأعزّ الله الإسلام وأهله ؛ وتنافسنا الإمارة ؛ وتراجع أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلم إلى أعمالهم ؛ فاصطلحنا على معاذين جبل ، فكان يصلّي بنا ، وكتبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر ؛ وذلك في حياة

(۱) س : « فاضطرب فيه » .

(۲) البربرة : الصياح .

(۳) المِثْلَاة : الحرقّة التي تمسكها المرأة عند النوح تشير بها .

(۴) كذا في ط ، وعبارة ابن الأثير : « وقعدنا نأتمر بيننا : فيروز ودادويه وقيس ؛

كيف نخبرُ أشياعنا » ، ويلاحظ أن راوى الخبر هنا هو جشّس الديلمي ، وانظر أوله ص ۲۳۱ .

النبي صلى الله عليه وسلم . فاتاه الخبر من ليلته ، وقدمت رُسُلنا ؛ وقد مات النبي صلى الله عليه وسلم صبيحة تلك الليلة ؛ فأجابنا أبو بكر رحمه الله .

حدثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا عمي ، قال : أخبرنا سيف - وحدثنى السري ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف - عن أبي القاسم الشنوي ، عن العلاء بن زياد ، عن ابن عمر ، قال : أتى الخبر النبي صلى الله عليه وسلم من السماء الليلة التي قتل فيها العنسي ليُبشِّرنا ، فقال : قُتِل العنسي البارحة ، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين ، قيل : ومن هو ؟ قال : فيروز ، فاز فيروز !

حدثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا عمي ، قال : أخبرني سيف - وحدثنى السري ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف - عن المستنير ، عن عروة ، عن الضحاک ، عن فيروز ، قال : قتلنا الأسود ، وعاد أمرنا كما كان ؛ إلا أنا أرسلنا إلى معاذ ، فراضينا^(١) عليه ؛ فكان يصلي بنا في صنعاء ؛ فوالله ما صلي بنا إلا ثلاثا ونحن راجون مؤملون ، لم يبق شيء نكرهه إلا ما كان من تلك الخيول التي ترد بيننا وبين نجران ؛ حتى أتانا الخبر بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتقضت الأمور ؛ وأنكرنا كثيراً مما كنا نعرف ، واضطربت الأرض .

حدثني السري ، قال : حدثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف ، عن أبي القاسم وأبي محمد ، عن أبي زرعة يحيى بن أبي عمرو السيباني^(٢) ، من جند فلسطين ؛ عن عبد الله بن فيروز الديلمي ؛ أن أباه حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إليهم رسولا ، يقال له : وبتر بن يحيى الأزدي ؛ وكان منزله على داذويه الفارسي ، وكان الأسود كاهنًا معه شيطان وتابع له ، فخرج فنزل على ملك اليمن ؛ فقتل ملكها ونكح امرأته وملك اليمن ؛ وكان باذام هلك قبل ذلك ، فخلف ابنه على أمره ، فقتله وتزوجها ، فاجتمعت أنا وداذويه وقيس بن المكشوح المرادي عند وبتر بن يحيى رسول نبي الله صلى الله عليه

١٨٦٤/١

(١) س : « فتواصينا » . (٢) ط : « الشيباني » ، وانظر تصويبات ط .

وسلم نأتمر بقتل الأسود . ثم إن الأسود أمر الناس فاجتمعوا في رحبة من صنعاء ، ثم خرج حتى قام في وسطهم ، ومعه حربته الملك ، ثم دعا بفرس الملك فأوجره الحربة ، ثم أرسل فجعل يجري في المدينة ودماؤه تسيل حتى مات . وقام وسط الرحبة ؛ ثم دعا بجزر^(١) من وراء الخط فأقامها ، وأعناقها ورءوسها في الخط ما يجزئته . ثم استقبلهن بحربته فنحرهن فتصدعن عنه ؛ حتى فرغ منهن ، ثم أمسك حربته في يده ، ثم أكب على الأرض ، ثم رفع رأسه ، فقال : إنه يقول - يعنى شيطانه الذي معه : إن ابن المكشوح من الطغاة ، يا أسود اقطع قنة رأسه العليا . ثم أكب رأسه أيضاً ينظر ، ثم رفع رأسه ، فقال : إنه يقول : إن ابن الديلمي من الطغاة ؛ يا أسود اقطع يده اليمنى ورجله اليمنى ؛ فلما سمعت قوله قلت : والله ما آمن أن يدعو بي ، فينحرنى بحربته كما نحر هذه الجزر ؛ فجعلت أستتر بالناس لكلا برائسي ، حتى خرجت ولا أدري من حذري^(٢) كيف آخذ ! فلما دنوت من منزلي لقيتني رجل من قومه ، فدق في رقبتي ، فقال : إن الملك يدعوك وأنت ترؤغ ! ارجع ؛ فردتني ، فلما رأيت ذلك خشيت أن يقتلني . قال : وكنا لا يكاد يفارق رجلا منا أبداً خنجره ، فأدس يدي في خفي ، فأخذت خنجري ، ثم أقبلت وأنا أريد أن أحمل عليه ، فأطعنه به حتى أقتله ، ثم أقتل من معه ، فلما دنوت منه رأى في وجهي الشر ، فقال : مكانك ! فوقفت ، فقال : إنك أكبر من هاهنا وأعلمهم بأشراف أهلها ، فأقسم هذه الجزر بينهم . وركب فانطلق وعلقت أقسم اللحم بين أهل صنعاء ، فأتاني ذلك الذي دق في رقبتي ، فقال : أعطني منها ، فقلت : لا والله ولا بضعة واحدة ؛ ألسنت الذي دقت في رقبتي ! فانطلق غضبان حتى أتى الأسود ؛ فأخبره بما لقيتني وقلت له . فلما فرغت أتيت الأسود أمشي إليه ، فسمعت الرجل وهو يشكوني إليه ، فقال له الأسود : أما والله لأذبحنه ذبحاً ! فقتله : إني قد فرغت

(١) الجزر : جمع جزور ، بالفتح ، وهو ما يذبح من الإبل .

(٢) س : « حذره » .

مما أمرتني به، وقسمته بين الناس . قال : قد أحسنتَ فانصرف . فانصرفت ، فبعثنا إلى امرأة الملك : إنا نريد قتل الأسود ؛ فكيف لنا ! فأرسلت إلى : أن هلم . فأتيتها ، وجعلت الجارية على الباب لتؤذِننا إذا جاء ؛ ودخلت أنا وهي البيت الآخر ، فحفرنا حتى نقبنا نقباً ، ثم خرجنا^(۱) إلى البيت ، فأرسلنا الستر ، فقلت : إنا نقتله الليلة ، فقالت : فتعالوا ؛ فما شعرت بشيء حتى إذا الأسود قد دخل البيت ؛ وإذا هو معنا ؛ فأخذته غيرة شديدة ، فجعل يدق في رقبتي ، وكفكفتته عني ، وخرجت فأتيت أصحابي بالذي صنعت ، وأيقنت بانقطاع الحيلة عنا فيه ؛ إذ جاءنا رسولُ المرأة ؛ ألا يتكسرنَ عليكم أمركم ما رأيتم ؛ فلآني قد قلت له بعد ما خرجت : ألسم تزعمون أنكم أقوام أحرار لكم أحساب^(۲) ! قال : بلى ، فقلت : جاءني أخي بسلم علي ويكرمني ، فوعدت عليه تدق في رقبته ؛ حتى أخرجته ، فكانت هذه كرامتك إياه ! فم أزل أومه حتى لام نفسه ، وقال : أهو أخوك ؟ فقلت : نعم ، فقال : ما شعرت ؛ فأقبلوا الليلة لما أردتم .

۱۸۶۶/۱

قال الديلمي : فاطمأنت أنفسنا ، واجتمع لنا أمرنا ؛ فأقبلنا من الليل أنا وداذويه وقيس حتى ندخل البيت الأقصى من النقب الذي نقبنا ، فقلت : يا قيس ، أنت فارس العرب ، ادخل فاقتل الرجل ، قال : إني تأخذني رعدة شديدة عند البأس ، فأخاف أن أضرب الرجل ضربة لا تُغني شيئاً ؛ ولكن ادخل أنت يا فيروز ، فإنك أشببنا وأقوانا ، قال : فوضعت سيني عند القوم ، ودخلت لأنظر أين رأس الرجل ! فإذا السراج يزهر ؛ وإذا هو راقد على فرش قد غاب فيها لا أدري أين رأسه من رجليه ! وإذا المرأة جالسة عنده كانت تطعمه رماناً حتى رقد ، فأشرت إليها : أين رأسه ؟ فأشارت إليه ، فأقبلت أمشي حتى قمت عند رأسه لأنظر ، فما أدري أنظرت في وجهه أم لا ! فإذا هو قد فتح عينيه ؛ فنظر إلى ، فقلت : إن رجعت إلى سيني خفت أن يفوتني ويأخذ عُدّة بمتنع^(۳) بها مني ؛ وإذا شيطانه قد أنذره بمكاني وقد

۱۸۶۷/۱

(۲) ز : « حسنات » .

(۱) س : « خرجت » .

(۳) س : « فيمتنع » .

أيقظه ، فلما أبطأ كلمني على لسانه ؛ وإنه لينظر ويفط ، فأضرب يدي إلى رأسه ، فأخذت رأسه بيد ولحيته بيد ؛ ثم ألوي عنقه فدققتها ؛ ثم أقبلت إلى أصحابي ، فأخذت المرأة بثوبي ، فقالت : أختكم نصيحتكم ! قلت : قد والله قتلتُه وأرحتُك منه . قال : فدخلتُ على صاحبي فأخبرتهما ، قالا : فارجع فاحترز رأسه واثنا به ، فدخلت فبربر فألجمته فحزرت رأسه ، فأتيتهما^(۱) به ، ثم خرجنا حتى أتينا منزلنا ؛ وعندنا وبتر بن يُحنس الأزدي ، فقام معنا حتى ارتقينا على حصن مرتفع من تلك الحصون ؛ فأذن وبتر بن يُحنس بالصلاة ، ثم قلنا : ألا إن الله عز وجل قد قتل الأسود الكذاب ، فاجتمع الناس إلينا فرمينا برأسه ، فلما رأى القوم الذين كانوا معه أسرجوا خيولهم ؛ ثم جعل كل واحد منهم يأخذ غلاماً من أبنائنا معه من أهل البيت الذي كان نازلاً فيهم ؛ فأبصرتهم في الغلس مُردفي الغلمان ، فناديت أخي وهو أسفل مني مع الناس : أن تعلقوا بمن استطعتم منهم ؛ ألا ترون ما يصنعون بالأبناء ! فتعلقوا بهم ؛ فحبسنا منهم سبعين رجلاً ، وذهبوا منا بثلاثين غلاماً ، فلما برزوا إذا هم يفقدون سبعين رجلاً حين تفقدوا أصحابهم ، فأتونا فقالوا : أرسلوا إلينا أصحابنا ، فقلناهم : أرسلوا إلينا أبناءنا ، فأرسلوا إلينا الأبناء ، وأرسلنا إليهم أصحابهم .

قال : وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : إن الله قد قتل الأسود الكذاب العنسي ، قتله بيد رجل من إخوانكم ، وقوم أسلموا وصدقوا ؛ فكنّا كأننا على الأمر الذي كان قبل قدوم الأسود علينا وأمين الأمراء وتراجعوا ، واعتذر الناس وكانوا حديثي^(۲) عهد بالجاهلية^(۳) .

حدثنا عبيدُ الله ، قال : حدثنا عمي ، قال : أخبرنا سيف - وحدثنى السري ، قال : حدثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف - عن سهل بن يوسف ، عن أبيه ، عن عبيد بن صخر ، قال : كان أول أمره إلى آخره ثلاثة أشهر .

(۱) س : « ثم أتيتهم » .

(۲) ط : « حديث » .

(۳) س : « جاهلية » .

وحدثني السري ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف - وحدثنا عبيد الله قال : أخبرنا عمي ، قال : أخبرنا سيف - عن جابر بن يزيد ، عن عروة ابن غزيرة ، عن الضحاک بن فيروز ، قال : كان ما بين خروجه بكتهف خبّان ومقتله^(١) نحواً من أربعة أشهر ؛ وقد كان قبل ذلك مستسراً بأمره . حتى بادى^(٢) بعد .

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا علي بن محمد ، عن أبي معشر ويزيد بن عياض بن جعدبة وغسان بن عبد الحميد وجوثيرية بن أسماء ، عن مشيختهم . قالوا : أمضى أبو بكر جيش أسامة بن زيد في آخر ربيع الأول ، وأتى مقتل العنسي في آخر ربيع الأول بعد مخرج أسامة ؛ وكان ذلك أول فتح أتى أبا بكر وهو بالمدينة .

وقال الواقدي : في هذه السنة - أعني سنة إحدى عشرة - قدم وفد النخع في النصف من المحرم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأسهم زرارة بن عمرو ، وهم آخر من قدم من الوفود .

وفيها : ماتت فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة الثلاثاء . لثلاث خلون من شهر رمضان ؛ وهي يومئذ ابنة تسع وعشرين سنة أو نحوها . وذكر أن أبا بكر بن عبد الله ، حدثه عن إسحاق بن عبد الله ، عن أبان بن صالح بذلك . وزعم أن ابن جريج حدثه عن عمرو بن دينار . عن أبي جعفر ، قال : توفيت فاطمة عليها السلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر .

قال : وحدثنا ابن جريج ، عن الزهري ، عن عروة ، قال : توفيت فاطمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم بستة أشهر .

قال الواقدي : وهو أثبت عندنا .

قال : وغسلها علي عليه السلام وأساء بنت عُميس .

(١) س : « إلى مقتله » .

(٢) يقال : بادى بالأمر ؛ إذا جاهر به .

قال : وحدثنى عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله بن عثمان بن حنيف ، عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم ، عن عمرة ابنة عبد الرحمن قالت : صلتى عليها العباس بن عبد المطلب .

وحدثننا أبو زيد ، قال : حدثننا عليّ ، عن أبي معشر ، قال : دخل قبرها العباس وعليّ والفضل بن العباس .

قال : وفيها توفىّ عبدُ الله بن أبي بكر بن أبي قحافة ، وكان أصابه بالطائف سهمٌ مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ، رماه أبو محجن ، ودميل الجرح حتى انتقض به في شوال ؛ فمات .

وحدثنى أبو زيد ، قال : حدثننا عليّ ، قال : حدثننا أبو معشر ومحمد ابن إسحاق وجوَيْرِيَّة بن أسماء بإسناده الذي ذكرتُ قبل ، قالوا : في العام الذي بُويع فيه أبو بكر ملكاً أهلُ فارس عليهم يزْدَجِرد .

• • •

قال أبو جعفر : وفيها كان لقاء أبي بكر رحمه الله خارجة بن حصن الفزاريّ . حدثنى أبو زيد ، قال : حدثننا عليّ بن محمد بإسناده الذي ذكرتُ قبل ، قالوا : أقام أبو بكر بالمدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجيهه أسامة في جيشه إلى حيث قُتل أبوه زيد بن حارثة من أرض الشام ؛ وهو الموضع الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بالمسير إليه ؛ لم يُحدث شيئاً ، وقد جاءت^(۱) وفودُ العرب مرتدين يُقرُّون بالصلاة ، ويمنعون الزكاة . فلم يقبل ذلك منهم وردّهم ، وأقام حتى قدِم أسامة بن زيد بن حارثة بعد أربعين يوماً من شخوصه - ويقال : بعد سبعين يوماً - فلما قدِم أسامة بن زيد استخلفه أبو بكر على المدينة وشخص - ويقال استخلف سناناً الضمريّ على المدينة - فسار ونزل بذي القصة في جمادى الأولى ؛ ويقال في جمادى الآخرة ؛ وكان نوفل بن معاوية الديليّ بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ،

(۱) س : « جاءت » .

فلقيه خارجه بن حصن بالشَّرْبَةِ ؛ فأخذ ما في يديه ؛ فردّه على بنى فزارة ؛ فرجع نوفل إلى أبي بكر بالمدينة قبل قدوم أسامة على أبي بكر . فأول حرب كانت في الرّدة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حرب العنسي ؛ وقد كانت حرب العنسي باليمن ؛ ثم حرب خارجه بن حصن ومنظور بن زبّان بن سبّار في غطفان ، والمسلمون غارون ، فانحاز أبو بكر إلى أجمّة فاستتر بها ، ثم هزم الله المشركين .

وحدّثني عبّيد الله ، قال : حدّثنا عمّي ، قال : أخبرنا سيف - وحدّثني السّريّ ، قال : حدّثنا شعيب ، قال : حدّثنا سيف - عن المجالد ابن سعيد ، قال : لما فصل أسامة كفرت الأرض وتضرّمت^(١) ، وارتدّت من كل قبيلة عامّة أو خاصّة إلا قريشاً وثقيفاً .

١٨٧١/١

وحدّثني عبّيد الله ، قال : حدّثنا عمّي ، قال : أخبرنا سيف - وحدّثني السّريّ ، قال : حدّثنا شعيب ، قال : حدّثنا سيف - عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفصل أسامة ارتدّت العرب عواماً أو خواصاً ؛ وتوحّى مسيلمة وطليحة ، فاستغلظ أمرهما ؛ واجتمع على طليحة عوامٌ طيّبٌ وأسديّ ، وارتدّت غطفان إلى ما كان من أشجع وخواص من الأفاء فبايعوه ، وقدّمت هوازن رجلاً وأخّرت رجلاً^(٢) أمسكوا الصدقة إلا ما كان من ثقيف وليفتها^(٣) ؛ فإنهم اقتدى بهم عوامٌ جديلة والأعجاز ؛ وارتدّت خواص من بنى سليم ؛ وكذلك سائر الناس بكل مكان .

قال : وقدّمت رسول النبي صلى الله عليه وسلم من اليمن واليمامة وبلاد بنى أسد ووفود من كان كاتبه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمير أمره في الأسود ومسيلمة وطلحة بالأخبار والكتب ؛ فدفعوا كتبهم إلى أبي بكر ؛ وأخبروه

(١) ابن الأثير ٢ : ٢٧١ : « وتضرمت الأرض ناراً » .

(٢) س : « أخرى » .

(٣) يقال : جاؤا ومن لف لفهم ، أي ومن عد فيهم وتآشب إليهم .

الخبر ، فقال لهم أبو بكر : لا تبرحوا حتى تجيء رسل أمرائكم وغيرهم بأدبهم مما وصفتم وأمر ؛ وانتقاض الأمور . فلم يلبثوا أن قدِمَت كتبُ أمراء النبي صلى الله عليه وسلم من كل مكان بانتقاض عامة أو خاصة ، وتبسطهم بأنواع الميل على المسلمين ، فحاربهم أبو بكر بما كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حاربهم بالرسل . فردَّ رسلهم بأمره ، وأتبع الرسل رسلاً ؛ وانتظر بمصادمتهم قدوم أسامة ؛ وكان أول من صادم عبيس وذبيان ، عاجلوه فقاتلهم قبل رجوع أسامة .

۱۸۷۲/۱

حدثني عبيد الله ، قال : أخبرنا عمي ، قال : أخبرنا سيف - وحدثنى السري ، قال : حدثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف - عن أبي عمرو ، عن زيد بن أسلم ، قال : مات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وعمره على قضاة ، وعلى كلب امرؤ القيس بن الأصبح الكلبى من بني عبد الله ، وعلى القيين عمرو بن الحكم ، وعلى سعد هذيم معاوية بن فلان الوائلى .

وقال السري الوائلى : فارتدَّ وديعة الكلبى فيمن آزره من كلب ، وبنى امرؤ القيس على دينه ، وارتدَّ زميل بن قطبة القينى فيمن آزره من بني القيين وبنى عمرو ، وارتدَّ معاوية فيمن آزره من سعد هذيم . فكتب أبو بكر إلى امرئ القيس بن فلان - وهو جدُّ سكينه ابنة حسين - فسار لوديعة ، وإلى عمرو فأقام لزميل ، وإلى معاوية العذرى . فلما توسط أسامة بلاد قضاة ، بثَّ الخيول فيهم وأمرهم أن ينهضوا من أقالم على الإسلام إلى من رجع عنه ؛ فخرجوا هراًباً ؛ حتى أرزوا (۱) إلى دومة ، واجتمعوا إلى وديعة ، ورجعت خيول أسامة إليه ؛ فمضى فيها أسامة . حتى أغار على الحمقتين ، فأصاب في بني الضبيب من جذام ، وفي بني خليل من لخم وليفها من القبيلين ؛ وحازهم من آبل وانكفأ سالماً غانماً .

۱۸۷۳/۱

(۱) أرزوا إلى دومة الجندل : التجنوا إليها .

فحدثني السري ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ واجتمعت أسد وغطفان وطيبى على طليحة ؛ إلا ما كان من خواص أقوام في القبائل الثلاث ؛ فاجتمعت أسد بسميراء . رز . رس . يديهم من غطفان بجنوب طيبة ، وطيبى على حدود أرضهم . واجتمعت ثعلبة بن سعد ومن يليهم من مرة وعبس بالأبرق من الرّبذة ، وتأشّب^(١) ، إليهم ناس من بني كنانة ؛ فلم تحملهم البلاد ؛ فافترقوا فرقتين ؛ فأقامت فرقة منهم بالأبرق ، وسارت الأخرى إلى ذى القصة ، وأمدم طليحة بحبال^(٢) فكان حبال على أهل ذى القصة من بني أسد ومن تأشّب من ليث والدليل ومدليج . وكان على مرة بالأبرق عوف بن فلان بن سنان ، وعلى ثعلبة وعبس الحارث ابن فلان ؛ أحد بني سبيع ، وقد بعثوا وفوداً فقدموا المدينة ، فنزلوا على وجوه الناس ، فأنزلوهم ما خلا عباساً فتحملوا بهم على أبي بكر ؛ على أن يقيموا الصلاة ؛ وعلى ألا يؤتوا الزكاة ؛ فعزم الله لأبي بكر على الحق ، وقال : لو منعوني عقالا^(٣) لجاهدتهم عليه - وكانت عَقْل^(٤) الصدقة على أهل الصدقة مع الصدقة - فردّهم فرجع وفد من يثلى المدينة من المرتدة إليهم ، فأخبروا

ع

(١) تأشّبوا إليهم : انضموا والتفوا .

(٢) حبال ، ضبطه ابن الأثير : « بكسر الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وبعد الألف لام » .

وهو أخو طليحة .

(٣) قال ابن الأثير في النهاية ٣ : ١١٨ : « وفي حديث أبي بكر : لو منعوني عقالا ما كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه : أراد بالمقال الحبل الذى يعقل به البعير الذى كان يؤخذ في الصدقة ؛ لأن على صاحبها التسليم ؛ وإنما يقع القبض بالرباط . وقيل : أراد ما يساوى عقالا من حقوق الصدقة . وقيل : إذا أخذ المصدق أعيان الإبل ، قيل : أخذ عقالا ، وإذا أخذ أثمانها قيل : أخذ نقداً . وقيل : أراد بالمقال صدقة العام ؛ يقال : أخذ المصدق عقال هذا العام ؛ أى أخذ منهم صدقته ، وبمث فلان على عقال بنى فلان ؛ إذا بمث على صدقاتهم . واختاره أبو عبيدة ؛ وهو أشبه عندي بالمعنى . وقال الخطابي : إنما يضرب المثل في مثل هذا بالأقل لا بالأكثر ، وليس بسائر في لسانهم ؛ لأن المقال صدقة عام . وفي أكثر الروايات : لو منعوني عناقاً ، وفي أخرى جدياً » . (٤) العقل ، بضمين : جمع عقال .

۱۸۷۴/۱

عشائهم بقلّة من أهل المدينة ، وأطمعهم فيها ؛ وجعل أبو بكر بعد ما أخرج الوفد على أنقاب المدينة نفراً : عليّاً والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود ؛ وأخذ أهل المدينة بحضور المسجد ، وقال لهم : إن الأرض كافرة^(۱) ؛ وقد رأى وفدكم منكم قلّة ؛ وإنكم لا تدرون ألسيلاً توتون أم نهراً ! وأدناهم منكم على بريد . وقد كان القوم يأملون أن تقبل منهم ونوادعهم ؛ وقد أبينا عليهم ، ونبذنا إليهم عهدهم ، فاستعدوا وأعدوا . فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى طرقت المدينة غارة مع الليل ، وخلقوا بعضهم بذي حُسي^(۲) ، ليكونوا لهم رداءً ، فوافق الغوار^(۳) ليلاً الأنقاب ؛ وعليها المقاتلة ، ودونهم أقوام يدرجون ، فنبههم ؛ وأرسلوا إلى أبي بكر بالخبر ، فأرسل إليهم أبو بكر أن الزموا أما كنتم ، ففعلوا . وخرج في أهل المسجد على النواضح إليهم ، فانفش^(۴) العدو ، فاتبعهم المسلمون على إبلهم ؛ حتى بلغوا ذا حُسي ؛ فخرج عليهم الردء بأنحاء قد نفخوها ، وجعلوا فيها الحبال ، ثم دهموها^(۵) بأرجلهم في وجوه الإبل ؛ فتدهده كل نحى^(۶) في طوله^(۷) ، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها - ولا تنفر الإبل من شيء نفارها من الأنحاء - فعاجت بهم ما يملكونها ؛ حتى دخلت بهم المدينة ؛ فلم يصرع مسلمٌ ولم يصب ؛ فقال في ذلك الخطيب بن أوس أخو الخطيئة ابن أوس :

۱۸۷۵/ ۱

فِدَى ابْنِي ذُبْيَانَ رَحْلِي وَنَاقِي
لَكِن يَدْهُدِي بِالرَّجَالِ فِهْبَنَه
عَشِيَّةَ يُحْدِي بِالرَّمَّاحِ أَبُو بَكْرٍ
إِلَى قَدَرٍ مَا إِن يُزِيدَ وَلَا يَحْرِي^(۸)
وَلِلَّهِ أَجْنَادٌ تَذَاقُ مَذَاقَهُ
لِتُحْسَبَ فِيمَا عُدَّ مِنْ عَجَبِ الدَّهْرِ !

(۱) كافرة ، أى مظلمة .

(۲) ضبطه ابن الأثير : « بضم الحاء المهملة ، والسين المهملة المفتوحة » .

(۳) كذا في س ، وفي ط : « فوافقوا » .

(۴) انفش العدو انفشاشاً : انهزم وفشل .

(۵) دهموها ، أى دفعوها .

(۶) النحى : الزق .

(۷) الطول : الحبل يشد به .

(۸) أى لا يزيد ولا ينقص . وهذه رواية س . وفي ط : « ما إن تقيم ولا تسرى » .

وأنشده الزهري: « من حسب الدهر » .

وقال عبدُ الله الليثي؛ وكانت بنو عبد مناة من المرتدة - وهم بنو ذبيان -
في ذلك الأمر بذي القصة وبذي حمى :

أَطَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَ بَيْنَنَا فَيَا أَعْبَادِ اللَّهِ مَا لِأَبِي بَكْرٍ! (١)
أَبُورْثُهَا بَكْرًا إِذَا مَاتَ بَعْدَهُ وَتِلْكَ أَمْرُ اللَّهِ قَاصِمَةُ الظَّهِرِ (٢)
فَهَلَّا رَدَدْتُمْ وَفَدْنَا بِزَمَانِهِ وَهَلَّا خَشِيتُمْ حِسَّ رَاعِيَةِ الْبَكْرِ! (٣)
وَإِنَّ التِّي سَالُوكُمْ فَمَنْعْتُمْ لَكَالْتَمْرِ أَوْ أَحْلَى إِلَيَّ مِنَ التَّمْرِ

١٨٧٦/١

فظنَّ القومُ بالمسلمين الوهنَ ، وبعثوا إلى أهل ذى القصة بالخبر ؛
فقدموا عليهم اعتماداً في الذين أخبروهم ، وهم لا يشعرون لأمر الله عز وجل الذي
أراده ، وأحب أن يبلغه فيهم ، فبات أبو بكر ليلته يتهياً ، فعبى الناس ،
ثم خرج على تعبئة من أعجاز ليلته يمشى ، وعلى ميمته النعمان بن مقرن ،
وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن ، وعلى الساقة سويد بن مقرن معه الرُّكَّاب ؛
فما طلع الفجر إلا وهم والعدوُّ في صعيد واحد ، فما سمعوا للمسلمين همساً
ولا حساً حتى وضعوا فيهم السيوف ، فاقتلوه أعجاز ليلتهم ؛ فما ذرَّ قرن
الشمس حتى ولَّوهم الأدبار ، وغلبوهم على عامة ظهرهم ؛ وقتل حبال
واتبعهم أبو بكر ؛ حتى نزل بذي القصة - وكان أول الفتح - ووضع بها النعمان
ابن مقرن في عدد (٤) ، ورجع إلى المدينة فذل (٥) بها المشركون ؛ فوثب بنو ذبيان
وعبس على من فيهم من المسلمين ؛ فقتلهم كل قتل ؛ وفعل من وراءهم
فعلهم . وعزَّ المسلمون بوقعة أبي بكر ، وحلف أبو بكر ليقتلن في
المشركين كل قتل ؛ وليقتلن في كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة ،
وفي ذلك يقول زياد بن حنظلة التميمي :

١٨٧٧/١

(١) أورد صاحب الأغاني (٢ ، ١٥٧ - طبعة دار الكتب) هذا البيت وتاليه ، ونسبها

إلى الحطيئة . (٢) الأغاني : « أبورثها » .

(٣) ط : « راعية البكر » والأجود ما أثبت من س .

(٤) ز : « عدده » . (٥) ابن الأثير : « له » .

غَدَاةَ سَعَى أَبُو بَكْرٍ إِلَيْهِمْ كَمَا يَسْعَى لِمَوْتِهِ جُلَّالٌ^(١)
 أَرَاخَ عَلَى نَوَاهِقِهَا عَلِيًّا وَمَجَّ لَهْنَ مُهَجَّتَهُ حِبَالُ
 وَقَالَ أَيْضًا :

أَقَمْنَا لَهُمُ عُرْضَ الشَّمَالِ فَكُبِّكِبُوا كَكَبْكَبَةِ الْغُرَى أَنَاخُوا عَلَى الْوَفْرِ
 فَمَا صَبَرُوا لِلْحَرْبِ عِنْدَ قِيَامِهَا صَبِيحَةَ يَسْمُو بِالرِّجَالِ أَبُو بَكْرٍ
 طَرَقْنَا بِنِي عَبْسٍ بِأَذْنِي نِبَاجِهَا وَذُبْيَانٍ نَهْنَهْنَا بِقَاصِمَةِ الظُّهْرِ

١٨٧٨/١ ثم لم يُصنَعْ إِلَّا ذَلِكَ ؛ حتى ازداد المسلمون لها ثباتًا على دينهم في كل قبيلة. ، وازداد لها المشركون انعكاسًا من أمرهم في كل قبيلة ؛ وطرقت المدينة صدقاتُ نفرٍ : صفوان ، الزبرقان ، عدى ؛ صفوان ، ثم الزبرقان ، ثم عدى ؛ صفوان في أول الليل ، والثاني في وسطه ، والثالث في آخره . وكان الذي بشر بصَفْوَانِ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ ، والذي بشر بالزبرقان عبدُ الرحمن بن عوف ، والذي بشر بَعْدَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ . وقال غيره : أبو قتادة .

قال : وقال الناس لكلّهم حين طلع : نذير ، وقال أبو بكر : هذا بشير ، هذا حامٍ وليس بوان ؛ فإذا نادى بالخير ، قالوا : طالما بشرت بالخير ! وذلك لتمام ستين يومًا من مَخْرَجِ أُسَامَةَ . وقدم أُسَامَةُ بعد ذلك بأيام لشهرين وأيام ، فاستخلفه أبو بكر على المدينة ، وقال له وبلخنده : أريحوا وأريحوا ظهركم .

ثم خرج في الذين خرجوا إلى ذِي الْقَصَصَةِ والذين كانوا على الأنقاب على ذلك الظَّهْرِ ؛ فقال له المسلمون : نَسْنَسُدُّكَ اللَّهُ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ أَنْ تَعْرِضَ نَفْسَكَ ! فَإِنَّكَ إِنْ تَصَبَّ لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ نِظَامٌ ، ومقامك أشدُّ على العدو ؛ فابعث رجلاً ، فإن أصيب أمرت آخر ، فقال : لا والله لا أفعلُ ولا وأسينتكم بنفسى ؛ فخرج في تعبيته إلى ذِي حُسَى وَذِي الْقَصَصَةِ ، والنُّعْمَانِ وَعَبْدِ اللَّهِ وَسُوَيْدِ عَلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ ، حتى نزل على أهل الرَبْدَةَ بِالْأَبْرِقِ ؛ فاقتلوا ، فهزم

(١) كذا في ز ، والجلال : البعير العظيم ، وفي ط : « حلال » .

الله الحارث وعوفاً ، وأخذ الحطيئة أسيراً ، فطارت عيس وبنو بكر ؛ وأقام أبو بكر على الأبرق أياماً ؛ وقد غلب بنو ذبيان على البلاد . وقال : حرام على بنو ذبيان أن يملكوا هذه البلاد إذ غنمناها الله ! وأجلاها . فلما غلب أهل الردة ؛ ودخلوا في الباب الذي خرجوا منه ، وسامح^(١) الناس جاءت بنو ثعلبة ؛ وهي كانت منازلهم لينزلوها ، فمنعوا منها فأتوه في المدينة ، فقالوا : علام نمنع من نزول بلادنا ! فقال : كذبتم ، ليست لكم بلاد ؛ ولكنها موهبي ونقندي^(٢) ، ولم يعثبهم ، وحمى الأبرق لخيول المسلمين ، وأرعى سائر بلاد الربيعة الناس على بنو ثعلبة ، ثم حمى كلهم لصدقات المسلمين ؛ لقتال كان وقع بين الناس وأصحاب الصدقات ، فنع بذلك بعضهم من بعض .

١٨٧٩/١

ولما فضت عيس وذبيان أرزوا إلى طليحة وقد نزل طليحة على بزآخة ، وارتحل عن سميراء إليها ، فأقام عليها ؛ وقال في يوم الأبرق زياد بن حنظلة :

ويوم بالأبارق قد شهدنا على ذبيان يتهب التهاها
أثيناهم بدهية سوف^(٣) مع الصديق إذ ترك العتابا

.....

حدثني السري ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد بن ثابت بن الجذع وحرام بن عثمان ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، قال : لما قدم أسامة بن زيد خرج أبو بكر واستخلفه على المدينة ، ومضى حتى انتهى إلى الربيعة يلتقي بنو عيس وذبيان وجماعة من بني عبد مناة ابن كنانة ، فلقيتهم بالأبرق ، فقاتلهم فهزمتهم الله وقتلهم . ثم رجع إلى المدينة ، فلما جم جند أسامة ، وثاب من حول المدينة خرج إلى ذي القصة فنزل بهم - وهو على بريد من المدينة تلقاء نجد - فقطع فيها الجند ، وعقد الألوية ، عقد أحد عشر لواء على أحد عشر جنداً ، وأمر أمير كل

١٨٨٠/١

(١) ز : « وشاع البأس » . (٢) النقذ : ما استنقذ من العدو .

(٣) داهية سوف : شاقة ؛ وفي معجم البلدان : « نَاد » .

جند باستنفار مَنْ مَرَّ به من المسلمين من أهل القوة ، وتخلَّف بعضُ أهل القوة لمنع بلادهم .

حدَّثنا السَّريُّ ، قال : حدَّثنا شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : لما ^(١) أراح أسامة وجنده ظهرهم وجهه وأ ، وقد جاءت صدقات كثيرة تفضُّل عنهم ^(٢) ، قطع أبو بكر البعوث وعقد الألوية ، فعقد أحد عشر لواءً : عقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد ؛ فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة بالبُطاح إن أقام له ، ولِعكرمة ابن أبي جهل وأمره بمسيلمة ، وللمهاجر بن أبي أمية وأمره بجنود العنسيِّ ومعونة الأبناء على قيس بن المكشوح ومَنْ أعانته من أهل اليمن عليهم ، ثم يمضي إلى كندة بحضرموت ، ولخالد بن سعيد بن العاص - وكان قدم على تفيئة ^(٣) ذلك من اليمن وترك عمله - وبعثه إلى الحمقَتَيْن من مشارف الشام ، ولعمرو بن العاص إلى جماع قُضاعة ووديعه والحارث ، ولحذيفة بن محصن الغلفانيِّ وأمره بأهل دَبا ولعرفجة بن هرثمة وأمره بمهرة ؛ وأمرهما أن يجتمعا وكل واحد منهما في عمله على صاحبه ، وبعث شُرحبيل بن حسنة في أثر عكرمة ابن أبي جهل ، وقال : إذا فرغ من اليمامة فالحق بقُضاعة ، وأنت على خيلك تقاتلُ أهل الردة ، ولطُريفة بن حاجز وأمره ببني سليم ومَنْ معهم من هوازن ، ولسويد بن مقرن وأمره بتيهامة اليمن ، وللعلاء بن الحضرميِّ وأمره بالبحرين .

١٨٨١/١

•••

[كتاب أبي بكر إلى القبائل المرتدة ووصيته للأمرء]

ففصلت الأمرء من ذى القصة ، ونزلوا على قاصدكم ، فلحق بكل أمير جندُه ، وقد عهد إليهم عهده ، وكتب إلى مَنْ بعث إليه من جميع المرتدة .

(١) س : « فلما » . (٢) ابن الأثير : « عليهم » . (٣) تفيئة ذلك : حين ذلك .

حدثنا السري ، قال : حدثنا شُعب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ؛ وشاركه في العهد والكتاب قحذم ؛ فكانت الكتب إلى قبائل العرب المرتدة كتاباً واحداً :

بسم الله الرحمن الرحيم . من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصّة ؛ أقام على إسلامه أو رجع عنه . سلامٌ على من اتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى ؛ فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، نُبِّهْتُ بما جاء به ، ونكفرتُ من أبي ونجاهده . أمّا بعد ؛ فإن الله تعالى أرسل محمداً بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، لينذر من كان حياً ويحقّ القول على الكافرين . فهدى الله بالحق من أجاب إليه . وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذنه من أدبر عنه ؛ حتى صار إلى الإسلام طوعاً وكرهاً . ثمّ توفى الله رسوله صلى الله عليه وسلم وقاتل لأمر الله ، ونصح لأمرته ؛ وقضى الذي عليه ، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل ؛ فقال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ (١) وقال : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ (٢) وقال للمؤمنين : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَزَنِّبُهُ اللَّهُ ذَنْبًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٣) ؛ فمن كان إنما يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان إنما يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله له بالمرصاد ؛ حتى قيوم لا يموت ؛ ولا تأخذه سنة ولا نوم ، حافظ لأمره ، منتقم من عدوه ، يجزيه . وإني أوصيكم بتقوى الله وحفظكم ونصيبيكم من الله ، وما جاءكم به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وأن تهتدوا بهداه ، وأن تعصموا بدين الله ، فإن كل من لم يهده الله ضالاً ، وكل

١٨٨٢/١

(١) سورة الزمر : ٣٠ (٢) سورة الأنبياء : ٣٤ . (٣) سورة آل عمران ١٤٤

مَنْ لَمْ يُعَافِهِ مَبْتَلَى ، وَكُلَّ مَنْ لَمْ يُعِينِهِ اللَّهُ مَخْذُول ، فَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ كَانَ مُهْتَدِيًّا ، وَمَنْ أَضَلَّهُ كَانَ ضَالًّا ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ (۱) ، وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا عَمَلٌ حَتَّى يَقْرَبَهُ ؛ وَلَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ فِي الْآخِرَةِ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ .

وَقَدْ بَلَغَنِي رَجوعُ مَنْ رَجَعَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ أَقْرَأَ بِالْإِسْلَامِ وَعَمِلَ بِهِ ؛ اغْتِرَارًا بِاللَّهِ ، وَجَهَالَةً بِأَمْرِهِ ، وَإِجَابَةً لِلشَّيْطَانِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ (۲) . وَقَالَ : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ (۳) ؛ وَإِنِّي بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ فَلَانًا فِي جَيْشٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ ، وَأَمَرْتُهُ أَلَّا يُقَاتِلَ أَحَدًا وَلَا يَقْتُلَهُ حَتَّى يَدْعُوهُ إِلَى دَاعِيَةِ اللَّهِ ؛ فَمَنْ اسْتَجَابَ لَهُ وَأَقْرَأَ وَكَفَّ وَعَمِلَ صَالِحًا قَبِيلَ مَنْه وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ ؛ وَمَنْ أَبَى أَمَرْتُ أَنْ يُقَاتِلَهُ عَلَى ذَلِكَ ؛ ثُمَّ لَا يَبْقَى عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ قَدَرٌ عَلَيْهِ ، وَأَنْ يُحْرِقَهُمَ بِالنَّارِ ، وَيَقْتُلَهُمْ كُلَّ قِتْلَةٍ ، وَأَنْ يَسِيْبَ النِّسَاءَ وَالتَّرَارِي ، وَلَا يَقْبَلَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا الْإِسْلَامَ ؛ فَمَنْ اتَّبَعَهُ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَمَنْ تَرَكَهُ فَلَنْ يَعْجِزَ اللَّهُ . وَقَدْ أَمَرْتُ رَسُولِي أَنْ يَقْرَأَ كِتَابِي فِي كُلِّ مَجْمَعٍ لَكُمْ ؛ وَالدَّاعِيَةُ الْأَذَانُ ؛ فَإِذَا أذَّنَ الْمُسْلِمُونَ فَأَذَّنُوا كُفُّوا عَنْهُمْ ؛ وَإِنْ لَمْ يُوْذَنُوا عَاجِلُوهُمْ ؛ وَإِنْ أذَّنُوا اسْأَلُوهُمْ مَا عَلَيْهِمْ ؛ فَإِنْ أَبَوْا عَاجِلُوهُمْ ، وَإِنْ أَقْرَأَ قَبِيلٌ مِنْهُمْ ؛ وَحَمَلَهُمْ عَلَى مَا يَنْبَغِي لَهُمْ .

۱۸۸۴/۱

فَنَفَذْتُ الرُّسُلَ بِالْكِتَابِ أَمَامَ الْجُنُودِ ، وَخَرَجْتُ الْأَمْرَاءَ وَمَعَهُمُ الْعَهْدُ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا عَهْدٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِفُلَانٍ حِينَ بَعَثَهُ فِيمَنْ بَعَثَهُ لِقِتَالِ مَنْ رَجَعَ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَعَهْدٌ إِلَيْهِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ مَا اسْتَطَاعَ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ، وَأَمْرَهُ بِالْحَدِّ فِي أَمْرِ اللَّهِ ،

(۱) سورة الكهف ۱۷ . (۲) سورة الكهف ۵۰ . (۳) سورة فاطر ۶ .

ومجاهدة مَنْ تولى عنه ، ورجع عن الإسلام إلى أمانى الشيطان بعد أن يُعذِر
إليهم فيدعوهم بداعية الإسلام ؛ فإن أجابوه أمسك عنهم ، وإن لم يجيبوه شنَّ
غارته عليهم حتى يقرُّوا له ؛ ثم ينبئهم بالذى عليهم والذى لهم ، فيأخذ
ما عليهم ، ويعطيهم الذى لهم ؛ لا يُنظرهم ، ولا يردُّ المسلمين عن قتال عدوِّهم ؛
فمن أجاب إلى أمرِ الله عزَّ وجلَّ وأقرَّ له قبيل ذلك منه وأعاناه عليه بالمعروف ؛
وإنما يقاتل^(١) مَنْ كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله ؛ فإذا أجاب
الدعوة لم يكن عليه سبيلٌ ؛ وكان الله حسيبه بعد فيما استسرَّ به ، ومَنْ لم
يجب داعية الله قُتِل وقوتل حيث كان ؛ وحيث بلغ مراغمه ، لا يقبل من أحد
شيئاً أعطاه إلا الإسلام ؛ فمن أجابه وأقرَّ قبيل منه وعلَّمه ، ومَنْ أبى قاتله ؛
فإن أظهره الله عليه قتل منهم^(٢) كلَّ قتلته بالسلاح والنيران ، ثم قسم ما أفاء الله
عليه ، إلا الخمس فإنه يبلِّغناه ، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد ، وألا
يُدخل فيهم حشواً حتى يعرفهم ويعلم ما هم ؛ لا يكونوا عيوناً ، ولئلا يؤتى
المسلمون من قبلهم ، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم ،
ولا يعجل بعضهم عن بعض ، ويستوصى بالمسلمين في حُسْن الصخبة ولين
القول .

١٨٨٥/١

ع

(١) س : « قاتل » . (٢) س : « فيهم » .

ذكر بقية الخبر عن غطفان

حين انضمت إلى طليحة وما آل إليه أمر طليحة

حدثنا عبيد الله بن سعد ، قال : حدثنا عمي ، قال : أخبرنا سيف -
 وحدثني السري ، قال : حدثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف -
 عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد وبدر بن الحليل وهشام بن عروة ،
 قالوا : لما أرزت عبس وذبيان وليها إلى البزاخة ، أرسل طليحة إلى
 جديلة والغوث أن ينضموا إليه ، فتعجل إليه أناس من الحيين ، وأمروا
 قومهم باللحاق بهم ، فقدموا على طليحة ، وبعث أبو بكر عدية قبل توجيه
 خالد من ذي القصة إلى قومه ، وقال : أدركهم لا يؤكثوا . فخرج
 إليهم فقتلهم في الذروة والغارب ، وخرج خالد في أثره ، وأمره أبو بكر أن
 يبدأ بطيئاً على الأكناف ، ثم يكون وجهه إلى البزاخة ، ثم يثبث بالبسطاح ،
 ولا يريم إذا فرغ من قوم حتى يحدث إليه ، ويأمره بذلك . وأظهر أبو بكر
 أنه خارج إلى خيبر ومنصب عليه منها حتى يلاقيه بالأكناف ، أكناف
 سلمى ؛ فخرج خالد فازواراً عن البزاخة ، وجنح إلى أجأ ، وأظهر أنه
 خارج إلى خيبر ، ثم نصب عليهم ، فقعده ذلك طيئاً وبطأهم عن طليحة ؛
 وقدم عليهم عدية ؛ فدعاهم فقالوا : لا نبايع أبا الفصيل أبداً ، فقال : لقد
 أناكم قوم ليبيحون حريمكم . ولتكنننه بالفحل الأكبر ؛ فشأنكم به . فقالوا
 له : فاستقبل الجيش فنهته^(۱) عنا حتى نسنخرج من لحق بالبزاخة منا ،
 فإننا إن خالفنا طليحة وهم في يديه قتلهم أو ارتبهم . فاستقبل عدية خالداً
 وهو بالسنح ، فقال : يا خالد ، أمسك عنى ثلاثاً يجمع لك خمسمائة
 مقاتل تضرب بهم عدوك ؛ وذلك خير من أن تُعجلهم إلى النار ؛ وتشاغل
 بهم ؛ ففعل . فعاد عدية إليهم وقد أرسلوا إخوانهم ؛ فأتوهم من بزاخة كالمدد
 لهم ؛ ولولا ذلك لم يشركوا ؛ فعاد عدية بإسلامهم إلى خالد ، وارتحل خالد نحو
 الأنسر يريد جديلة ، فقال له عدية : إن طيئاً كالمطائر ، وإن جديلة

(۱) نهته عنا ؛ أي ادفه وكفه

أحدُ جناحتي طيبيُّ ؛ فأجَلتني أياماً لعلَّ الله أن ينتقد جدَّيَ كما انتقد الغوث ؛ ففعل ، فاتاهم عدى فلم يزل بهم حتى بايعوه ؛ فجاءه بإسلامهم ، ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب ؛ فكان خير مولود وُلِدَ في أرض طيبيِّ وأعظمه عليهم بركة .

وأما هشام بن الكلبي ؛ فإنه زعم أن أبا بكر لما رجع إليه أسامة ومن كان معه من الجيش ؛ جدَّ في حرب أهل الردة ، وخرج بالناس وهو فيهم حتى نزل بذي القصة ؛ منزلاً من المدينة على بريد من نحو هجد ، فعسبى هنالك جنودَه ، ثم بعث خالد بن الوليد على الناس ، وجعل ثابت بن قيس على الأنصار ، وأمره إلى خالد ، وأمره أن يصمد لطلبيحة وعيينة بن حصن ، وهما على بزأخة ؛ ماء من مياه بني أسد ؛ وأظهر أني ألاقيك^(١) بمن معي من نحو خيبر ، مكيدة ؛ وقد أوعب^(٢) مع خالد الناس ؛ ولكنه أراد أن يبلغ ذلك عدوه فيرعبهم . ثم رجع إلى المدينة ، وسار خالد بن الوليد ؛ حتى إذا دنا من القوم بعث عكاشة بن محصن ، وثابت بن أقرم - أحد بني العجلان حليفاً للأنصار - طليعة ؛ حتى إذا دنوا من القوم خرج طليحة وأخوه سلمة ، ينظران ويسألان : فأما سلمة فلم يمهل ثابتاً أن قتله ، ونادى طليحة أخاه حين رأى أن قد فرغ من صاحبه أن أعينى على الرجل ؛ فإنه آكل ؛ فاعتونا عليه ، فقتلاه ثم رجعا ، وأقبل خالد بالناس حتى مروا بثابت بن أقرم قتيلاً ، فلم يفظنوا له حتى وطئته المطيُّ بأخفافها ، فكبر ذلك على المسلمين ، ثم نظروا فإذا هم بعكاشة بن محصن صريعاً ؛ فجزع لذلك المسلمون ، وقالوا : قتل سيّدان من سادات المسلمين وفارسان من فرسانهم ؛ فانصرف خالد نحو طيبيِّ .

قال هشام : قال أبو ميخنف : فحدثني سعد بن مجاهد ، عن المحلّ ابن خليفة ، عن عدى بن حاتم ، قال : بعثتُ إلى خالد بن الوليد أن سير إلى فأقم عندي أياماً حتى أبعث إلى قبائل طيبيِّ ، فأجمع لك منهم أكثر ممن معك ، ثم أصحبك إلى عدوك . قال : فسار إلى .

قال هشام : قال أبو ميخنف : حدثنا عبد السلام بن سويد أن بعض

(١) س : « لاقيك » . (٢) أوعب الناس : خرجوا للفرز .

الأنصار حدثه أن خالداً لما رأى ما بأصحابه من الجزع عند مقتل ثابت وعكاشة ، قال لهم : هل لكم إلى أن أميل بكم إلى حى من أحياء العرب ؛ كثير عددهم ، شديدة شوكتهم ، لم يرتد^(١) منهم عن الإسلام أحد! فقال له الناس : ومن هذا الحى الذى تعنى ؟ فنعم والله الحى هو ! قال لهم : طيبى ؛ فقالوا : وفقك الله ، نعم الرأى رأيت ! فانصرف بهم حتى نزل بالجيش فى طيبى .

١٨٨٩/١

قال هشام : حدثنى جدي بن خبّاب النبهانى من بنى عمرو بن أبى ، أن خالداً جاء حتى نزل على أرك ؛ مدينة سلمى .

قال هشام : قال أبو مخنف : حدثنى إسحاق أنه نزل بأجأ ، ثم تبعى لحربه ، ثم سار حتى التقيا على بزّاحة ، وبنو عامر على سادتهم وقادتهم قريباً يستمعون ويترتبصون على من تكون الدّبرة .

قال هشام عن أبى مخنف : حدثنى سعد بن مجاهد ، أنه سمع أشياخاً من قومه يقولون : سألنا خالداً أن نكفيه قيساً فإن بنى أسد حلفاؤنا ، فقال : والله ما قيس بأوهن الشوكتين ، اصمّدوا إلى أى القبليتين أحببتم ؛ فقال عدى : لو ترك هذا الدين أسرّتى الأذى فالأذى من قومي لجاهدتهم عليه ، فأنا أمتنع من جهاد بنى أسد بلحلفهم ! لا لعمر الله لا أفعل ! فقال له خالد : إن جهاد الفريقين جميعاً جهاد ؛ لا تخالف رأى أصحابك ، امض^(٢) إلى أحد الفريقين ، وامض بهم إلى القوم الذين هم لقتالهم أنشط^(٣) .

١٨٩٠/١

قال هشام ، عن أبى مخنف : فحدثنى عبد السلام بن سويد ، أن خيل طيبى كانت تلقى خيل بنى أسد وفزارة قبل قدوم خالد عليهم فيتشامون^(٤) ولا يقتلون ، فتقول أسد وفزارة : لا والله لا نبايع^(٥) أبى الفصّيل أبداً . فتقول لهم خيل^(٦) طيبى : أشهد ليقاتلتكم حتى تكنوه أبى الفحل الأكبر !

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ،

(١) ز : « يرجع » . (٢) ابن الأثير : « وامض » .

(٣) س : « نشاط » .

(٤) يتشامون ، أى يدنو بعضهم من بعض ، وفى س : « يتشامون »

(٥) ب « نتابع » . (٦) ساقطة من ز .

عن محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكَّانَة ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بن عبد الله بن عُبَيْة ، قال : حَدَّثْتُ أَنَّ النَّاسَ لَمَّا اقْتَلَوْا ، قَاتَلَ عُبَيْنَةَ مَعَ طَلِيحَةَ فِي سَبْعِمِائَةٍ مِنْ بَنِي فِزَارَةَ قِتَالًا شَدِيدًا ، وَطَلِيحَةَ مَتَلَفِّفٍ فِي كِسَاءٍ لَهُ بِفَنَاءِ بَيْتٍ لَهُ مِنْ شَعْرٍ ، يَتَنَبَّأُ لَهُمْ ، وَالنَّاسُ يَقْتُلُونَ ، فَلَمَّا هَزَّتْ عُبَيْنَةَ الْحَرْبَ ، وَضَرَسَ الْقِتَالَ ، كَرَّ عَلَى طَلِيحَةَ ، فَقَالَ : هَلْ جَاءَكَ جَبْرِيلُ بَعْدَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَرَجَعَ فِقَاتَلَ حَتَّى إِذَا ضَرَسَ الْقِتَالَ وَهَزَّتَهُ الْحَرْبُ كَرَّ عَلَيْهِ فَقَالَ : لَا أَبَا لَكَ ! أَجَاءَكَ جَبْرِيلُ بَعْدَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، قَالَ : يَقُولُ عُبَيْنَةُ حَلِيفًا : حَتَّى مَتَى ! قَدْ وَاللَّهِ بَلَغَ مِنَّا ! قَالَ : ثُمَّ رَجَعَ فِقَاتَلَ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ كَرَّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : هَلْ جَاءَكَ جَبْرِيلُ بَعْدَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَمَاذَا قَالَ لَكَ ؟ قَالَ : قَالَ لِي : « إِنَّ لَكَ رَحًا كَرَّحَاهُ ، وَحَدِيثًا لَا تَنْسَاهُ » ، قَالَ : يَقُولُ عُبَيْنَةُ : أَظُنُّ أَنَّ قَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُ سَيَكُونُ حَدِيثٌ (١) لَا تَنْسَاهُ ؛ يَا بَنِي فِزَارَةَ هَكَذَا ؛ فَاَنْصَرَفُوا ؛ فَهَذَا وَاللَّهِ كَذَّابٌ . فَاَنْصَرَفُوا وَانْهَزَمَ النَّاسُ فَغَشَّوْا طَلِيحَةَ يَقُولُونَ : مَاذَا تَأْمُرُنَا ؟ وَقَدْ كَانَ أَعَدَّ فَرَسَهُ عِنْدَهُ ، وَهَيَأُ بَعِيرًا لِامْرَأَتِهِ النَّوَّارِ ، فَلَمَّا أَنْ غَشَّوْهُ يَقُولُونَ : مَاذَا تَأْمُرُنَا ؟ قَامَ فَوَثَبَ عَلَى فَرَسِهِ ، وَحَمَلَ امْرَأَتَهُ ثُمَّ نَجَّاهَا ، وَقَالَ : مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلْتُ وَيَنْجُو بِأَهْلِهِ فَلْيَفْعَلْ ؛ ثُمَّ سَلَكَ الْحَوْشِيَّةَ حَتَّى لَحِقَ بِالشَّامِ وَارْفُضَ جَمْعَهُ ؛ وَقَتَلَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ ، وَبَنُو عَامِرٍ قَرِيبًا مِنْهُمْ عَلَى قَادَتِيهِمْ وَسَادَتِيهِمْ ؛ وَتِلْكَ الْقَبَائِلُ مِنْ سُلَيْمٍ وَهَوَازِنَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ؛ فَلَمَّا أَوْقَعَ اللَّهُ بِطَلِيحَةَ وَفِزَارَةَ مَا أَوْقَعَ ، أَقْبَلَ أَوْلَيْكَ (٢) يَقُولُونَ : نَدْخُلُ فِيهَا خَرَجْنَا مِنْهُ ، وَنُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَنُسَلِّمُ لِحُكْمِهِ فِي أَمْوَالِنَا وَأَنْفُسِنَا .

١٨٩١/١

قال أبو جعفر : وكان سبب ارتداد عُبَيْنَةَ وَغَطَفَانَ وَمَنْ ارْتَدَّ مِنْ طَيْئِ مَا حَدَّثْنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بن سعد ، قال : أَخْبَرَنِي عَمِّي ، قَالَ : أَخْبَرَنِي سَيْفٌ - وَحَدَّثَنِي الْمَرْيُّ قَالَ : حَدَّثْنَا شُعَيْبٌ عَنْ سَيْفٍ - عَنْ طَلْحَةَ بن الأَعْلَمِ عَنْ حَبِيبِ ابْنِ رَبِيعَةَ الأَسَدِيِّ ، عَنْ عُمَارَةَ بنِ فُلانِ الأَسَدِيِّ ، قَالَ : ارْتَدَّ طَلِيحَةَ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَادَّعَى النُّبُوَّةَ ، فَوَجَّهَ النَّبِيَّ

١٨٩٢/١

(٢) س : « أولئك النفر » .

(١) س : « حديثاً »

صلى الله عليه وسلم خيراربن الأزور إلى عماله على بنى أسد في ذلك ؛ وأمرهم بالقيام في ذلك على كل من ارتد ، فأشجروا^(١) طليحة وأخافوه ، ونزل المسلمون بواردات ، ونزل المشركون بسَمِيرَاء ، فما زال المسلمون في نماء والمشركون في نقصان ؛ حتى هم خيرار بالمسير^(٢) إلى طليحة ، فلم يَبْتَقِ [أحد]^(٣) إلا أخذهُ سَلَمًا^(٤) ، إلا ضربة كان ضربها بالجرار^(٥) ، فبأعنه ، فشاعت في الناس . فأتى المسلمون وهم على ذلك بخبر موت نبيهم صلى الله عليه وسلم ، وقال ناس من الناس لتلك الضربة : إن السلاح لا يُحِيك^(٦) في طليحة ؛ فما أمسى المسلمون من ذلك اليوم حتى عرفوا النقصان ، ورفض الناس إلى طليحة واستطار أمره ، وأقبل ذو الحِمَارِين عوف الجندَمِيّ حتى نزل بإزائنا ، وأرسل إليه ثمامة بن أوس بن لأم الطائي : إن معي من جنديلة خمسمائة ، فإن دهمكم أمر فنحن بالقرودودة والأنسر دوين الرمل . وأرسل إليه مهلهل بن زيد : إن معي حد الغوث ؛ فإن دهمكم أمر فنحن بالأكناف بجبال فيند . وإنما تحدت طيبي على ذى الحِمَارِين عوف ؛ أنه كان بين أسد وغطفان وطيبي حلف في الجاهلية ، فلما كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعت غطفان وأسد على طيبي ، فأزاحوها عن دارها في الجاهلية : غوثها وجديلتها ، فكره ذلك عوف ؛ فقطع ما بينه وبين غطفان ، وتتابع الحيان على الجلاء ، وأرسل عوف إلى الحيين من طيبي ، فأعاد حلفهم ، وقام بنصرتهم ، فرجعوا إلى دورهم ، واشتد ذلك على غطفان ؛ فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عيينة بن حصن في غطفان ، فقال : ما أعرف حدود غطفان منذ انقطع ما بيننا وبين بنى أسد ؛ وإني لمجدد الحلف الذي كان بيننا في القديم ومتابع طليحة ؛ والله^(٧) لأن نتبع نبيًا من الحليفتين أحب إلينا من أن نتبع نبيًا^(٨) من قريش ؛ وقد مات محمد ، وبقِيَ طليحة . فطابقوه على رأيه ، ففعل وفعلوا .

(١) أشجوه : أوقموه في المم والخوف .

(٢) ب : « بالسير » .

(٣) تكلمة من ز .

(٤) سلما بالتحريك ، أى صلحا .

(٥) الجراز : السيف القطاع .

(٦) لا يحيك فيه السيف ؛ أى لا يؤثر .

(٧) ب : « والله » .

(٨) ب : « بيتا » .

فلما اجتمعت غطفان على المطابقة^(١) لطليحة هرب ضرار وقضاعى
وسنان ومن كان قام بشيء من أمر النبي صلى الله عليه وسلم في بني أسد
إلى أبي بكر ، ورفض من كان معهم ، فأخبروا أبا بكر الخبر ، وأمره
بالحذر ، فقال ضرار بن الأزور : فما رأيتُ أحداً - ليس رسول الله صلى الله
عليه وسلم - أملاً بحرب شَعْنَاء من أبي بكر ، فجعلنا نخبره ، ولكأنما نخبره
بما له ولا عليه . وقدمت عليه وفودُ بني أسد وغطفان وهوازن وطيبى ،
وتلقت وفودُ قضاة أسامة بن زيد ، فحوزها^(٢) إلى أبي بكر ، فاجتسعوا
بالمدينة فنزلوا على وجوه المسلمين ؛ لعاشر من مستوفى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فعرضوا الصلاة على أن يُعْفُوا من الزكاة ، واجتمع متلاً من
أنزلهم على قبول ذلك حتى يبلغوا ما يريدون ؛ فلم يبق من وجوه المسلمين
أحد إلا أنزل منهم نازلاً إلا العباس . ثم أتوا أبا بكر فأخبروه خبرهم وما
أجمع عليه ملوهم ، إلا ما كان من أبي بكر ، فإنه أبى إلا ما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يأخذ ، وأبوا ، فردهم وأجلهم يوماً وليلة ؛ فتطابروا إلى
عشائهم .

١٨٩٤/١

حدثني السرى ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن الحجاج ،
عن عمرو بن شعيب ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث عمرو
ابن العاص إلى جثيفر ، منصرفه من حجة الوداع ، فمات رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعمرو بعثمان ، فأقبل حتى إذا انتهى إلى البحرين وجد
المنذر بن ساوى فى الموت . فقال له المنذر : أشير على فى مالى بأمرى لى
ولا على ، قال : صدق بعقار صدقة تجرى من بعدك ، ففعل . ثم
خرج من عنده ، فسار فى بنى نميم ، ثم خرج منها إلى بلاد بنى عامر ،
فزل على قرّة بن هبيرة ، وقرّة يقدم رجلاً ويؤخر رجلاً ؛ وعلى ذلك
بنو عامر كلهم إلا خواص ، ثم سار حتى قدم المدينة ، فأطافت به قريش ،
وسأوه فأخبرهم أن العساكر معسكرة من دبا إلى حيث انتهت إليكم ،
فتفرقوا وتحلقوا حلقاً ، وأقبل عمر بن الخطاب يريد التسليم على عمرو ،

١٨٩٥/١

(٢) س : « فحوزها » .

(١) ب : « المقاتلة » .

فمرّ بخلقة، وهم في شيء من الذي سمعوا من عمرو في تلك الحلقة: عثمان وعليّ وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد؛ فلما دنا عمر منهم سكتوا، فقال: فيم أنتم؟ فلم يجيبوه، فقال: ما أعلمني بالذي خلوتم عليه! فغضب طلحة، وقال: تالله يا ابن الخطاب لتُخبرنا بالغيب! قال: لا يعلم الغيب إلا الله؛ ولكن أظنّ قلم: ما أخوفنا على قريش من العرب وأخلفهم^(۱) ألاّ يقرؤا بهذا الأمر! قالوا: صدقت، قال: فلا تخافوا هذه المنزلة، أنا والله منكم على العرب أخوف مني من العرب عليكم؛ والله لو تدخلون معاشر قريش جحرًا للدخن^(۲) آثاركم؛ فاتقوا الله فيهم. ومضى إلى عمرو فسلم عليه، ثم انصرف إلى أبي بكر.

حدثنا السريّ، قال: حدثنا شعيب، عن سيف، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: نزل عمرو بن العاص منصرفه من عثمان— بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم— بقرّة بن هبيرة بن سلّمة بن قشير، وحواله عسكر من بني عامر من أفناءهم، فذبح له وأكرم مشواه، فلما أراد الرحلة ختلا به قرّة، فقال: يا هذا، إن العرب لا تطيب لكم نفسًا بالإتاوة، فإن أنتم أعفيتموها من أخذ أموالها فستسمع^(۳) لكم وتطيع؛ وإن أبيتم فلا أرى أن تجتمع^(۴) عليكم. فقال عمرو: أكفرت^(۴) يا قرّة! وحواله بنو عامر؛ فكره أن يبوح بمتابعتهم فيكفروا بمتابعته، فينفر^(۵) في شرّ، فقال: لردّنكم إلى فيثيكم— وكان من أمره الإسلام— اجعلوا بيننا وبينكم موعداً. فقال عمرو: أتواعدنا^(۶) بالعرب وتخوفنا بها! موعدك حَفَشُ^(۷) أمك؛ فوالله لأوطئنّ عليك الخيل. وقدم على أبي بكر والمسلمين فأخبرهم.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلّمة، عن ابن إسحاق، قال: لما فرغ خالد من أمر بني عامر وبيعتهم على ما بايعهم عليه، أوثق عيينة بن

(۱) كذا في ب، س، وفي ط: «أخلفهم». (۲) ز: «فتسمع»

(۳) ب: «تجمع». (۴) ب: «كفرت».

(۵) ز: «وينفر». (۶) كذا في ب، وفي ط: «أتواعدنا».

(۷) الحفش: حفية المرأة تضع فيه زيتها، يريد تحقيره.

حصن وقرة بن هبيرة ، فبعث بهما إلى أبي بكر ، فلما قدما عليه قال له قرّة : يا خليفة رسول الله ، إنني قد كنت مسلماً ، ولي من ذلك على إسلامي عند عمرو بن العاص شهادة ؛ قد مرت بي فأكرمته وقربته ومنعته . قال : فدعا أبو بكر عمرو بن العاص ، فقال : ما تعلم من أمر هذا ؟ فقصر عليه الخبر . حتى انتهى إلى ما قال له من أمر الصدقة ، قال له قرّة : حسبك رحمك الله ! قال : لا والله ؛ حتى أبلغ له كل ما قلت ، فبلغ له . فتجاوز عنه أبو بكر . وحقن دمه^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة ، قال : أخبرني من نظر إلى عيينة بن حصن مجموعة بداه إلى عنقه بجبل ، ينخسه غلمان المدينة بالجر يد^(٢) ، يقولون : أي عدو الله ، أكفرت بعد إيمانك ! فيقول : والله ما كنت آمنت بالله قط . فتجاوز عنه أبو بكر وحقن له دمه .

حدثني السري ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، قال : أخذ المسلمون رجلاً من بني أسد ، فأتى به خالد بالغممر - وكان عالماً بأمر طليحة - فقال له خالد : حدثنا عنه وعمّا يقول لكم ، فزعم أن مما أتى به : « والحمام واليهام ، والصراد الصوام ، قد صمن قبلكم بأعوام ، ليبلغن ملكنا العراق والشام » .

حدثني السري ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن أبي يعقوب سعيد بن عبيد ، قال : لما أرزى أهل الغمر إلى البزاحة^(٣) . قام فيهم طليحة ، ثم قال : « أمرت أن تصنعوا رحاً ذات عراً ، يرمى الله بها من رمي ، بهوى عليها من هوى » ، ثم عبى جنوده ، ثم قال : « ابعثوا فارسين ، على فرسين

(١) يقال : حقن دمه ؛ إذا حل به القتل فأنقذه .

(٢) الجر يد : قضبان النخل ، واحده جريدة .

(٣) أرزى أهل الغمر إلى البزاحة : التجشوا إليها .

أدهميين ، من بني نصر بن قُعين ، يأتیانكم بعين . فبعثوا فارسين (۱) من بني قُعين ، فخرج هو وسلمة طليعتين .

حدثنا المری ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد بن ثابت بن الجذع ، عن عبد الرحمن بن كعب ، عمّن شهد بُزَاخَةَ مِنَ الْأَنْصَارِ ، قال : لم يُصب خالد على البُزَاخَةِ عَيْلاً (۲) واحداً ، كانت عيالات بني أسد مُحْرَزَةً - وقال أبو يعقوب : بين مِثْقَبٍ وَفَلَنْجٍ ، وكانت عيالات قيس بين فلنج وواسط - فلم يَعدُ أن انهزموا ، فأقرُّوا جميعاً بالإسلام خشية على الذراري ، واتفقوا خالداً بطلبته ، واستحقوا الأمان ؛ ومضى طليحة ؛ حتى نزل (۳) .

كَلَبَ عَلَى النَّقْعِ . فأسلم ، ولم يزل مقيماً في كلب حتى مات أبو بكر ؛ وكان إسلامه هنالك حين بلغه أن أسداً وغطفان وعامراً قد أسلموا ؛ ثم خرج نحو مكة معتمراً في إمارة أبي بكر ، ومراً بجنّبات المدينة ، فقيل لأبي بكر : هذا طليحة ، فقال : ما أصنع به ! خلّوا عنه ، فقد هداه الله للإسلام . ومضى طليحة نحو مكة ففضى عمرته ، ثم أتى عمر إلى البصرة حين استخلف ، فقال له عمر : أنت قاتل عكاشة وثابت ! والله لا أحبُّك أبداً . فقال : يا أمير المؤمنين ، ما تهتم من رجلين أكرمهما الله بيدي ، ولم يُهِنِّي بأيديهما ! فبايعه عمر ثم قال له : يا خُدَّاع ، ما بقي من كهانتك ؟ قال : نفخة أونفختان بالكبير . ثم رجع إلى دار قومه ؛ فأقام بها حتى خرج إلى العراق .

• • •

ذکر رِدَّة هوازن وسليم وعامر

حدثنا المری ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل وعبد الله ، قالوا : ۱۸۹۹/۱
أما بنو عامر فلأنهم قدّموا رجلاً وأخروا أخرى ، ونظروا ما تصنع أسد وغطفان ؛ فلما أحيط بهم وبنو عامر على قادتيتهم وسادتهم ، كان قرّة بن

(۱) ب : « بفارسين » .

(۲) العيل والعيال : من تتكفل بهم وتقوم بأمرهم .

(۳) ب : « ينزل » .

هُبيرة في كعب ومن لافها^(١) ، وعلقمة بن عُلَائثة في كلاب ومن لافها ؛ وقد كان علقمة أسلم ثم ارتد في أزمان النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج بعد فتح الطائف حتى لحق بالشام ؛ فلما توفى النبي صلى الله عليه وسلم أقبل مسرعاً حتى عسكر في بني كعب ، مقدماً رجلاً ومؤخراً أخرى ؛ وبلغ ذلك أبا بكر ، فبعث إليه سريته ، وأمر عليها القعقاع بن عمرو ، وقال : يا قعقاع ، سير حتى تُغير على علقمة بن عُلَائثة ، لعلك أن تأخذه لي أو تقتله ؛ واعلم أن شفاء الشق الحوص^(٢) ، فاصنع ما عندك . فخرج في تلك السرية ؛ حتى أغار على الماء الذي عليه علقمة ؛ وكان لا يبرح أن يكون على رجل^(٣) ؛ فسابقهم على فرسه ؛ فسبقهم مراكضة ، وأسلم أهلُه وولده ، فانتسف^(٤) امرأته وبناته ونساءه ، ومن أقام من الرجال ؛ فاتقوه بالإسلام ؛ فقدم بهم على أبي بكر ، فجدد ولده وزوجته أن يكونوا مالئوا علقمة ، وكانوا مقيمين في الدار ، فلم يبلغه إلا ذلك ، وقالوا : ما ذنبنا فيما صنع علقمة من ذلك ! فأرسلهم ثم أسلم ، فقبل ذلك منه^(٥) .

١٩٠٠/١

حدثنا السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عمرو وأبي ضمرة ، عن ابن سيرين مثل^(٦) معانيه .

وأقبلت بنو عامر بعد هزيمة أهل بزاخة يقولون : ندخل فيما خرجنا منه ؛ فبايعهم على ما بايع عليه أهل البزاخة من أسد وغطفان وطيبى قبلتهم ، وأعطوه بأيديهم على الإسلام ، ولم يقبل من أحد من أسد ولا غطفان ولا هوازن ولا سليم ولا طيبى إلا أن يأتوه بالذين حرقوا ومثلوا وعدوا على أهل الإسلام في حال ردتهم . فاتوه بهم ، فقبل منهم إلا قرة بن هُبيرة ونفراً معه أوثقهم ، ومثل بالذين عدوا على الإسلام ؛ فأحرقهم بالنيران ورضخهم بالحجارة ، ورمى بهم من الجبال ، ونكسهم في الآبار ، وحرق بالنبال^(٧) . وبعث بقرة وبالأسارى ، وكتب

(١) لافها ، أى اجتمع إليها واختلط بها .

(٢) الحوص : الخياطة .

(٣) ز : « رجل » .

(٤) انتسفهم : اختلهم .

(٥) س : « منهم » .

(٦) س : « بمثل » .

(٧) خرق بالنبال : رمى فأصاب .

إلى أبي بكر : إن بني عامر أقبلت بعد إعراض ، ودخلت في الإسلام بعد تربص^(١) ؛ وإنني لم أقبل من أحد قاتلني أو سألني شيئاً حتى يجيئوني بمن عدا على المسلمين ؛ فقتلتهم كل قتلته ، وبعثت إليك بقرّة وأصحابه .

حدثنا السري ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن أبي عمرو ، عن نافع ، قال : كتب أبو بكر إلى خالد : ليتردك ما أنعم الله به عليك خيراً ، واتب الله في أمرك ؛ فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ١٩٠١/١
جدّ في أمر الله ولا تبنيين ، ولا تظفرن بأخذ قتل^(٢) المسلمين إلا قتلته ونكلت به غيره ؛ ومن أحببت من حادّ الله أوضاده^(٣) ؛ ممن ترى أن في ذلك صلاحاً فاقتله . فأقام على البزاحة شهراً يصعد عنها ويصوب ، ويرجع إليها في طلب أولئك ؛ فمنهم من أحرق ، ومنهم من قمطه ورضخه بالحجارة ؛ ومنهم من رمى به من رؤوس الجبال . وقدم بقرّة وأصحابه ، فلم ينزلوا ولم يقتل لهم كما قيل لعيسىنة وأصحابه ؛ لأنهم لم يكونوا في مثل حالهم ؛ ولم يفعلوا فعلهم

قال السري : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن سهل وأبي يعقوب ، قالا : واجتمعت فلال غطّقان إلى ظفّر ، وبها أم زمّل سلمى ابنة مالك بن حذيفة بن بدر ؛ وهي تشبه بأمها أم قرفة بنت ربيعة بن فلان بن بدر ؛ وكانت أم قرفة عند مالك بن حذيفة ، فولدت له قرفة ، وحكمة ، وجراشة ، وزملاً ، وحصينا ، وشريكاً ، وعبدأ ، وزفّر ، ومعاوية ، وحملة ، وقيساً ، ولأياً ؛ فأما حكمة فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أغار عيينة بن حصن على سرح المدينة ، قتله أبو قتادة ؛ فاجتمعت تلك الفلال إلى سلمى ؛ وكانت في مثل عز^(٤) أمها ، وعندها جمّل أم قرفة ؛ ١٩٠٢/١
فتزلوا إليها فدمرتهم ، وأمرتهم بالحرب ، وصعدت سائرة فيهم وصوبت ، تدعوهم إلى حرب خالد ، حتى اجتمعوا لها^(٥) ، وتشجعوا على ذلك ، وتأنّب^(٦) إليهم الشرداء من كل جانب - وكانت قد سبيت أيام

(١) بعد تربص ؛ أي بعد توقف وتلبث . (٢) ز : « من المسلمين »

(٣) ب : « صاده » . (٤) س : « عزم » .

(٥) س : « إليها » . (٦) تأنّب إليهم الشرداء : التجنوا .

أم قِرْفَة، فوقعت لعائشة فأعتقنها ، فكانت تكون عندها، ثم رجعت إلى قومها ؛ وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليهن يوماً ، فقال إن إحداهن تستنجح كلاب الحوَّاب ؛ ففعلت سألني ذلك حين ارتدَّت ؛ وطلبت بذلك النَّارَ ، فسيرت فيما بين ظفر والحوَّاب ؛ لتجمع إليها ، فتجتمع إليها كُلُّ فُلٍّ^(١) ومُضَيِّقٍ عليه من تلك الأحياء من غَطَفَان وهَوَازِن وسُلَيْمٍ وأسدٍ وطَيْبِيٍّ ، فلما بلغ ذلك خالداً - وهو فيما هو فيه من تتبع النَّارَ ، وأخذ الصدقة ودعاء الناس وتسكينهم - سار إلى المرأة وقد استكشفت أمرها ، وغلظ شأنها ؛ فنزل عليها وعلى جُمَاعِهَا^(٢) ، فاقتتلوا قتالا شديداً ؛ وهي واقفة على جَمَلِ أُمِّهَا ، وفي مثل عزِّها ، وكان يقال : من نخس جملها فله مائة من الإبل لعزِّها ، وأبيرت يومئذ بيوتات من جاس^(٣) - قال أبو جعفر : جاس حتى من غَنَمٍ - وهاربة ، وغَنَمٌ ، وأصيب في أناس من كاهل ، وكان قتالهم شديداً ؛ حتى اجتمع على الحمل فوارس فعقروه وقتلوا .
١٩٠٣/١ وقتل حول جملها مائة رجل ؛ وبعث بالفتح ، فقدم على أثر قُرَّة بنحو من عشرين ليلة .

قال السري : قال شعيب ، عن سيف ، عن سهل وأبي يعقوب ، قالوا : كان من حديث الجواء وناعير ، أن الفجاءة إلياس بن عبديالليل قدم على أبي بكر ، فقال : أعنتي بسلاح ، ومررتي بمن شئت من أهل الردة ؛ فأعطاه سلاحاً ، وأمره أمره ، فخالف أمره إلى المسلمين ؛ فخرج حتى ينزل بالجواء ، وبعث نجبة^(٤) بن أبي الميثاء من بني الشريد ، وأمره بالمسلمين ؛ فشنها غارة على كل مسلم في سُلَيْمٍ وعامر وهوازن ؛ وبلغ ذلك أبا بكر ، فأرسل إلى طرَيْفَةَ بن حَاجِزٍ يأمره أن يجمع له وأن يسير إليه ؛ وبعث إليه عبد الله بن قيس الحامسي عوناً ؛ ففعل ، ثم نهضاً إليه وطلباه ؛ فجعل يلوذ منهما حتى لقياه على الجواء ؛ فاقتلوا ، فقتل نجبة ، وهرب الفجاءة ، فلحقه طرَيْفَةُ فأسره . ثم بعث به إلى أبي بكر ، فقدم به على أبي بكر ، فأمر فأوقد له ناراً في مصلى المدينة على حطب كثير ، ثم رمى به فيها مقموطاً .

(٢) س : « جماعتها » .

(١) الفل : الجماعة المهزومون .

(٣) ط : « خامس » ، وانظر تصويبات ط . (٤) ابن الأثير : « نجبة » .

قال أبو جعفر : وأما ابنُ حُميد ، فإنه حدثنا في شأن الفُجاءة عن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : قدم عليّ أبي بكر رجلٌ من بني سُليم ، يقال له الفُجاءة ؛ وهو إياس بن عبد الله بن عبد ياليل بن عُميرة بن خُفّاف ، فقال لأبي بكر : إني مسلم ؛ وقد أردتُ جهادَ مَنْ ارتدَّ من الكُفّار ، فأحملني وأعني ؛ فحمله أبو بكر على ظهري ، وأعطاه سلاحاً ، فخرج يستعرض الناس : المسلم والمرتد ، يأخذ أموالهم ، ويصيب مَنْ امتنع منهم ؛ ومعه رجلٌ من بني الشريد ، يقال له : نجبة بن أبي الميثاء ، فلما بلغ أبا بكر خبره ، كتب إلى طريفة بن حاجز : إنَّ عدو الله الفُجاءة أتاني يزعم أنه مسلم ، ويسألني أن أقويه على من ارتدَّ عن الإسلام ، فحملته وسلحته ، ثم انتهى إلى من يقين الخبر أن عدو الله قد استعرض الناس : المسلم والمرتد يأخذ أموالهم ، ويقتل مَنْ خالفه منهم ، فسر إليه بمن معك من المسلمين حتى تقتله ، أو تأخذه فتأتينني به . فسار طريفة بن حاجز ، فلما التقى الناس كانت بينهم الرميّ بالنبل ، فقتل نجبة بن أبي الميثاء بسهم رمي به ، فلما رأى الفُجاءة من المسلمين الجحدّ قال لطريفة : والله ما أنت بأولى بالأمر مني ، أنت أميرٌ لأبي بكر وأنا أميره . فقال له طريفة : إن كنت صادقاً فضع السلاح ، وانطلق معي إلى أبي بكر . فخرج معه ، فلما قد ما عليه أمر أبو بكر طريفة بن حاجز ، فقال : اخرج به إلى هذا البقيع فحرقه فيه بالنار ؛ فخرج به طريفة إلى المصلّى فأوقد له ناراً ، فقذفه فيها ، فقال خُفّاف بن نُدبّة - وهو خُفّاف بن عمير - يذكر الفُجاءة ، فيما صنع :

لَمْ يَأْخُذُونَ سِلَاحَهُ لِقِتَالِهِ وَلِذَا كُمْ عِنْدَ الْإِلَهِ أَثَامٌ^(١)
لَا دِينَهُمْ دِينِي وَلَا أَنَا مِنْهُمْ^(٢) حَتَّى يَسِيرَ إِلَى الصَّرَاةِ شَامُ

١٩٠٥/١

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : كانت سليم بن منصور قد انتفض بعضهم ، فرجعوا كُفّاراً ، وثبت بعضهم على الإسلام مع أمير كان لأبي بكر عليهم ،

(١) الأصميات ٢١ . (٢) كذا في س ، وفي ط : « ولا أنا فاتن » وفي الأصميات وكافره .

يقال له معن بن حاجز ، أحد بني حارثة ، فلما سار خالد بن الوليد إلى طليحة وأصحابه ، كتب إلى معن بن حاجز أن يسير بمن ثبت معه على الإسلام من بني سليم مع خالد ، فسار واستخلف على عمله أخاه طريفه ابن حاجز ، وقد كان لحق فيمن لحق من بني سليم بأهل الردة أبو شجرة ابن عبد العزى ، وهو ابن الحنساء ، فقال :

فلو سألتُ عَنَّا غداً مُرامٍ^(١) كما كنتُ عنها بسائلاً لو نأيتها^(٢)
لقاء بني فِهْرٍ وكان لقاؤهم غداً الجِواءِ حَاجةً فقضيتها
صبرتُ لهم نَفْسِي وعَرَّجْتُ مَهْرَتِي على الطَّعْنِ حتى صارَ ورزداً كَميتها
إذا هي صَدَّتْ مِن كَمِي أريدُه عَدَلْتُ إليه صَدْرَها فهديتها

فقال أبو شجرة حين ارتد عن الإسلام :

صَحَا القلبُ عن مَيِّ هِوَاءٍ وَأَقْصِراً وطاوعَ فيها العاذلين فأبصراً
وأصبح أدنى رائدِ الجَهِلِ والصِّبَا كما وُدَّها عَنَّا كذاك تَفَيراً
وأصبح أدنى رائدِ الوصلِ منهمُ كما حَبَلُها من حَبَلنا قد تَبَّيراً
ألا أيُّها المُدليُّ بكثرةِ قومه وحظُّك منهم أن تَضامَ وتُفَهِّراً
سَلِّ الناسَ عَنَّا كلَّ يومٍ كَرِيهَةً إذا ما التقينا : دارِ عَيْنٍ وحُسراً
أَلَسْنَا نَعاطي ذَا الطَّماحِ لجامَهُ ونَطعنُ في الميِّجاءِ إذا الموتُ أَقْفراً !
وعاضِرَةٌ شهباءُ تَخْطِرُ بالقنا ترى البُلُقَ في حافاتِها والسَّنورِ^(٣)
فَرَوَيْتُ رُوحِي من كَتِيبَةِ خالِدٍ وإني لأرْجو بعدها أن أعمِّراً

١٩٠٦/١

ثم إنَّ أبا شجرة أسلم ، ودخل فيما دخل فيه الناس ؛ فلما كان زمن عمر بن الخطاب قدم المدينة . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أنس السلمي ، عن رجال من قومه . وحدثنا السري قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن سهل وأبي يعقوب ومحمد بن مرزوق ،

(١) باقوت ٣ : ١٥٥ ، وروايته : « غداً لقائنا » . وانظر الإصابة : ٤ : ١٠١ .

(٢) ب : « إذ نأيتها » .

(٣) السنور : كل سلاح من حديد .

وعن هشام، عن أبي مخنف، عن عبدالرحمن بن قيس السلمى، قالوا:
فأناخ ناقته بصعيد بنى قريظة. قال: ثم أتى عمر وهو يعطى المساكين من
الصدقة ويقسمها بين فقراء العرب، فقال: يا أمير المؤمنين، أعطنى فلانى ۱۹۰۷/۱
ذوحاجة، قال: ومن أنت؟ قال: أبو شجرة بن عبد العزى السلمى،
قال: أبو شجرة! أى عدو الله، ألت الذى تقول:

فرويتُ رمحى من كتيبة خالدٍ وإنى لأرجو بعدها أن أعمراً

قال: ثم جعل يعلوه بالدرة فى رأسه حتى سبقه عدواً، فرجع إلى ناقته
فارتحلها، ثم أسندها فى حرة شوران راجعاً إلى أرض بنى سليم، فقال:

ضنّ علينا أبو حفصٍ بنايله

وكنُّ مُختبِطٍ يوماً له ورقٌ^(۱)

وما زال يرهننى حتى خذيت له^(۲)

والشيخُ يفرع أحياناً فينحيقُ

لما رهبتُ أبا حفصٍ وشروطته

مُمّ أروعيتُ إليها وهى جانحة

مثل الطريدة لم ينبت لها ورق^(۳)

أوردتها الخلل من شوران صادرة

إنى لأزرى عليها وهى تنطلق^(۴)

تظيرُ مرواً بان عن مناسها

كما تنوقد عند الجهبذ الورق

وإذا يعارضها خرّق تعارضه

ورّهاه فيها إذا استعجلتها خرّق

ينوء آخرها منها بأولها

مُرحُ اليدين بها نهضة العنق^(۵)

۱۹۰۸/۱

ذکر خبر

بنی تمیم وأمر سجّاح بنت الحارث بن سوید

وكان من أمر بنى تميم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى وقد
مرق فيهم عماله؛ فكان الزبيرقان بن بدر على الرباب وعوف والأبناء - فيما

(۱) الحبط: ضرب ورق الشجر حتى ينقى عنه؛ ثم يستخلف من غير أن يضر ذلك بأصل
الشجرة وأغصانها. وفي الإصابة: «قد ضنّ عنا». (۲) س: «رهبت». (۳)
أروعيت إليها: راقبتها ونظرت إليها. والطريدة: أصل العنق. (۴)
حرة شوران، من حرار الحجاز، معروفة. (۵) فى البيت إقواء.

ذكر السرى . عن شعيب ، عن سيف ، عن الصعب بن عطية بن بلال ، عن أبيه وسهم بن منجاب - - وقيس بن عاصم على مُقَاعِيسِ والبَطُونِ ، وصفوان ابن صفوان وسبيرة بن عمرو بن عمرو ؛ هذا على بتهدي وهذا على خضّم - قبيلتين^(١) من بني تميم - ووكيع بن مالك ومالك بن نويرة على بني حنظلة ؛ هذا على بني مالك ؛ وهذا على بني يربوع . فضرب صفوان إلى أبي بكر حين وقع إليه الخبر بموت النبي صلى الله عليه وسلم بصدقات بني عمرو ، وما ولي منها وبما ولي سيرة . وأقام سيرة في قومه لحدث إن ناب القوم ، وقد أطرق قيس ينظر ما الزبرقان صانع . وكان الزبرقان متعتباً^(٢) عليه ، وقدما جامله إلا مزقه الزبرقان بحشوته وجدته . وقد قال قيس وهو ينتظر لينظر ما يصنع ليخالفه حين أبطأ عليه : واويلنا^(٣) من ابن العكليّة ! والله لقد مزقني فما أدري ما أصنع ! لئن أنا تابعتُ أبا بكر وأتيتَه بالصدقة لينحرنها في بني سعد فليسودنني فيهم ، ولئن نحرتها في بني سعد ليأتين أبا بكر فليسودنني عنده . فعزم قيس على قسمها في المقاعس والبطون . ففعل . وعزم الزبرقان على الوفاء ، فاتبع صفوان بصدقات الرباب وعوف والأبناء حتى قدم بها المدينة . وهو يقول ويعرض بقيس :

وفيتُ بأذوادِ الرّسولِ وقد أبتُ سَعَاةَ فلم يردُّدُ بعيراً مُجْبِرُها^(٤)

وتحلل الأحياء ونشب الشر ، وتشاغلوا وشغل بعضهم بعضاً . ثم ندم قيس بعد ذلك ، فلما أظله العلاء بن الحضرمي أخرج صدقتها ؛ فتلقاه بها ؛ ثم خرج معه ، وقال في ذلك :

ألا أبلغاً غنى قريشاً رسالةً إذا ما أتتها بيناتُ الودائع^(٥)

فتشاغلت في تلك الحال عوف والأبناء بالبطن : والرباب بمقاعس ، وتشاغلت خضّم بمالك وبتهدي يربوع ؛ وعلى خضّم سبيرة بن عمرو ، وذلك الذي حلّفه عن صفوان والحصين بن نيار على بتهدي ، والرباب ؛ عبد الله بن صفوان

(١) ب والنويري : « قبيلتان » . (٢) س : « مبنياً » .

(٣) ب ، س : « ياويلناه » . (٤) الإصابة ١ : ٥٢٤ برواية مخالفة .

(٥) الأغاني في ١٤ : ٧٥ (طبعة دار الكتب) .

على ضبة ، وعصمة بن أبيير على جد مناة ، وعلى عوف والأبناء عوف بن البلاد ابن خالد من بني غنم الجشمي ، وعلى البطون سيعر بن خفاف ؛ وقد كان ثمامة ابن أثال تأتيه أمداد من بني تميم ؛ فلما حدث هذا الحدث (۱) فيما بينهم تراجعوا إلى عشائرهم ، فأضّر ذلك بثمامة بن أثال حتى قدم عليه عكرمة وأنهضه ؛ فلم يصنع شيئاً ؛ فبينما الناس في بلاد تميم على ذلك ، قد شغل بعضهم بعضاً ؛ فسلمتهم بإزاء من قدّم رجلاً وأخرى أخرى وتربّص ، وبإزاء من ارتاب ، فجيشتهم سجاح بنت الحارث قد أقبلت من الجزيرة ، وكانت ورهطها في بني تغلب تقود أفناء ربيعة ، معها الهذيل بن عمران في بني تغلب ، وعقّة ابن هلال في النمر ، وتاد (۲) بن فلان في إياد ، والسليل بن قيس في شيبان ، فأتاهم أمر دهمي ، هو أعظم مما فيه الناس ، لهجوم سجاح عليهم . ولما هم فيه من اختلاف الكلمة ، والتشاغل بما بينهم . وقال عفيف بن المنذر في ذلك :

ألم يأتيك والأنباء تسري بما لاقت سراة بني تميم
تداعى من سراة رجال وكانوا في الذوائب والصميم
والجؤم وكان لهم جناب إلى أحياء خالية وخيم

وكانت سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان - هي وبنو أبيها عقفان - في بني تغلب . فتنبت بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجزيرة في بني تغلب . فاستجاب لها الهذيل ، وترك التنصر ؛ وهؤلاء الرؤساء الذين أقبلوا معها لتغزو بهم أبا بكر . فلما انتهت إلى الحزن راسلت مالك بن نويرة ودعته إلى الموادة ، فأجابها ، وفتأها (۳) عن غزوها ، وحملها على أحياء من بني تميم ، قالت : نعم ، فشأنك بمن رأيت ، فإني إنما أنا امرأة من بني يربوع ، وإن كان ملك فالملك ملككم . فأرسلت إلى بني مالك بن حنظلة تدعوهم إلى الموادة ، فخرج عطارد بن حاجب وسراوات بني مالك حتى نزلوا في بني العنبر على سبرة بن عمرو هراباً قد كرهوا ما صنع وكيع ،

(۱) ب : « الحديث » .

(۲) ط : « زياد » ، وهو أبو عدى بن وتاد . الإيادي ، وانظر تاريخ الطبري ، ۹۴۴ ، ۹۹۶ - طبع أوربا .

(۳) فتأها : كفيها .

وخرج أشباههم من بني يربوع ؛ حتى نزلوا على الحصين بن نيارف بن مازن ،
وقد كرهوا ما صنع مالك ؛ فلما جاءت رسلها إلى بني مالك تطلب المoadعة ،
أجابها إلى ذلك وكيع ، فاجتمع وكيع ومالك وسجاح ، وقد وادع بعضهم
بعضاً ، واجتمعوا على قتال الناس وقالوا : بمن نبدأ ؟ بخنضم ، أم
بيتهدي ، أم بعوف والأبناء ، أم بالرباب ؟ وكفوا عن قيس لما رأوا من
تردده وطمعوا فيه ، فقالت : «أعدوا الرّكاب ، واستعدوا للنّهاب ؛
ثمّ أغبروا على الرّباب ، فليس دونهم حجاب .»

قال : وصمدت^(١) سجاح للأحفار حتى تنزل بها ، وقالت لهم : إن
الدّهناء حجاز بني تميم ؛ ولن تعدو الرّباب ؛ إذا شدّها المصاب ، أن
تلوذ بالدجاني والدهاني ؛ فلينزها بعضكم . فتوجه الجفول - يعنى مالك بن
نؤيرة - إلى الدجاني فترها ؛ وسمعت بهذا الرّباب فاجتمعوا لها ؛ ضبّتها
وعبد مناتها ، فولّى وكيع وبشر بن بكر من بني ضبّة ، وولّى ثعلبة بن
سعد بن ضبّة عقّة ، وولّى عبد مناة الهذيل . فالتقى وكيع وبشر وبنو بكر
من بني ضبّة ، فهزما ، وأسير سماعه ووكيع وقعقاع ، وقتلت قتلى كثيرة ؛
فقال في ذلك قيس بن عاصم ؛ وذلك أول ما استبان فيه النّدم^(٢) :

كأنك لم تشهد سماعه إذ غزا^(٣) وما سرّ قعقاع وخاب وكيع^(٤)
رأيتك قد صاحبت ضبّة كارهاً على ندب في الصّفحتين وجميع^(٥)
ومطلق أسرى كان حمقاً مسيرها^(٦) إلى صخرات أمرهنّ جميع

فصرفت سجاح والهذيل^(٧) وعقّة بن بكر ، للموادعة التي بينها وبين
وكيع - وكان عقّة خال بشر - وقالت : اقتلوا الرّباب ونيصالحونكم ويطلقون
أسراكم ، وتحملون^(٨) لهم دماءهم ؛ وتحمد غبّ رأيهم أخراهم . فأطلقت

(٢) بعدها في س : «إعاداً لضبّة .»

(١) صمدت : قصدت .

(٤) س : «سرّ قعقاعا .»

(٣) س : «غزوا .»

(٦) ز : «ميرها .»

(٥) س : «الصفحتين .»

(٨) س : «ويحملون .»

(٧) س : «الهذيل . بدون واو .»

لهم ضبّة الأسرى ؛ وودوا القتلى ، وخرجوا عنهم . فقال في ذلك قيس
يعيبرهم صلح ضبّة ، إسعاداً لضبّة وتأييماً لهم . ولم يدخل في أمر سجاح
عمرى ولا سعدى ولا ربى ؛ ولم يطمعوا من جميع هؤلاء إلا في قيس ؛ حتى
بدا منه إسعاد ضبّة ؛ وظهر منه الندم . ولم يُمّاّلينهم من حنظلة إلا وكيع
ومالك ؛ فكانت ممالأتهما موادعةً على أن ينصر بعضهم بعضاً ، ويحتاز
بعضهم إلى بعضهم ؛ وقال أصمّ التيمي في ذلك :

أَتَتْنَا أُخْتُ تَغْلِبُ فَاسْتَهَدَتْ جَلَابَ مِنْ سَرَاةِ بَنِي أُبَيْنَا
وَأُرْسَتْ دَعْوَةٌ فِينَا سَفَاهَا وَكَانَتْ مِنْ عَمَائِرِ آخِرِينَا
فَمَا كُنَّا لِنَرْزِيهِمْ زِبَالًا وَمَا كَانَتْ لِنُسَلِّمَ إِذْ أُتِينَا
أَلَّا سَفِهَتْ حُلُومَكُمْ وَضَلَّتْ عَشِيَّةً تَحْشُدُونَ هَا نُبِينَا

قال : ثم إن سجاح خرجت في جنود الجزيرة^(۱) ، حتى بلغت النباج ؛
فأغار عليهم أوس بن خزيمه الهجيمي فيمن تأشّب إليه من بني عمرو ،
فأسير الهذيل ؛ أسره رجل من بني مازن ثم أحد بني وبر ، يدعى ناشرة .
وأسير عقة ؛ أسره عبدة الهجيمي ؛ وتحاجزوا على أن يترادوا الأسرى ،
وينصرفوا عنهم ، ولا يجتازوا عليهم ؛ ففعلوا ، فردوها وتوثقوا عليها وعليهما ؛ أن
يرجعوا عنهم ، ولا يتخذوهم طريقاً إلا من ورائهم . فوفوا^(۲) لهم ؛ ولم يزل في
نفس الهذيل على المازني ؛ حتى إذا قُتل عثمان بن عفان ، جمع جمعاً فأغار
على سفار ، وعليه بنو مازن ؛ فقتلته بنو مازن ورموا به في سفار .

ولمّا رجع الهذيل وعقة إليها واجتمع رؤساء أهل الجزيرة قالوا لها : ما تأمريننا ؟
فقد صالح مالك وكيع قومهما ؛ فلا ينصروننا ولا يزيدوننا على أن نجوز
في أرضهم ، وقد عاهدنا هؤلاء القوم . فقالت : اليمامة ؛ فقالوا : إن شوكة
أهل اليمامة شديدة ؛ وقد غلظ أمر مسيلمة ؛ فقالت : « عليكم باليمامة ؛

(۱) بعدها في س : « تريد المدينة » .

(۲) ب : « فوفوا » .

ودفوا دَفِيفَ الحمامة ؛ فإنها غزوة صَرَامَةٌ ؛ لا يلحقكم بعدها ملامة .
 فَتَنَهَدَّتْ لِبْنِي حَنِيفَةَ ؛ وبلغ ذلك مسيلمة فهابها ؛ وخاف إن هو شغل
 بها أن يغلبه ثُمَامَةُ عَلَى حَجْرٍ أَوْ شَرْحَبِيلٍ^(١) بِنِ حَسَنَةَ ، أَوِ الْقَبَائِلِ الَّتِي
 حَوْلَهُمْ ، فَأَهْدَى لَهَا ؛ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهَا يَسْتَأْمِنُهَا عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَأْتِيَهَا .
 فَتَزَلَّتِ الْجُنُودُ عَلَى الْأَمْوَاهِ ، وَأُذِنَتْ لَهُ وَأَمِنَتْهُ ؛ فَجَاءَهَا وَافِدًا فِي أَرْبَعِينَ
 مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ - وَكَانَتْ رَاسِخَةً فِي النَّصْرَانِيَّةِ ، قَدْ عَلِمَتْ مِنْ عِلْمِ نَصَارَى
 تَغْلِبَ - فَقَالَ مُسَيْلِمَةُ : لَنَا نِصْفُ الْأَرْضِ ؛ وَكَانَ لِقُرَيْشٍ نِصْفُهَا لَوْ عَدَلْتِ ؛
 وَقَدْ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْكَ النِّصْفَ الَّذِي رَدَّتْ قُرَيْشٌ ؛ فَحَبَابُكَ^(٢) بِهِ ، وَكَانَ لَهَا
 لَوْ قَبِلَتْ . فَقَالَتْ : « لَا يَرُدُّ النِّصْفَ إِلَّا مَنْ حَنَفَ^(٣) » ، فَاحْمَلَتْ
 النِّصْفَ إِلَى خَيْلٍ تَرَاهَا كَالسَّهْفِ^(٤) . فَقَالَ مُسَيْلِمَةُ : « سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ سَمِعَ ،
 وَأَطْمَعَهُ بِالْخَيْرِ إِذْ طَمَعَ ؛ وَلَا زَالَ أَمْرُهُ فِي كُلِّ مَا سَرَّ نَفْسَهُ يَجْتَمِعُ . رَأَى كُمْ
 رَبُّكُمْ فَحَبَابَكُمْ ، وَمَنْ وَحِشَةٌ خَلَاكُمْ ؛ وَيَوْمَ دِينِهِ أَنْجَاكُمْ . فَأَحْيَاكُمْ عَلَيْنَا مِنْ
 صَلَوَاتِ مَعْشَرِ أَبْرَارٍ ، لَا أَشْقِيَاءَ وَلَا فَجَّارٍ ، يَقُومُونَ اللَّيْلَ وَيَصُومُونَ النَّهَارَ ، لِرَبِّكُمْ
 الْكُبَّارِ ، رَبِّ الْغُيُومِ وَالْأَمْطَارِ » .

وَقَالَ أَيْضًا : « لَمَّا رَأَيْتُ وُجُوهَهُمْ حَسُنَتْ ، وَأَبْشَارُهُمْ^(٥) صَفَتْ ، وَأَيْدِيهِمْ
 ١٩١٧/١ طَفَلَتْ^(٦) ؛ قُلْتُ لَمْ : لَا النِّسَاءُ تَأْتُونَ ، وَلَا الْخَمْرُ تُشْرَبُونَ ؛ وَلَكِنَّكُمْ مَعْشَرَ
 أَبْرَارٍ ، تَصُومُونَ يَوْمًا ، وَتُكَلِّفُونَ يَوْمًا ؛ فَسُبْحَانَ اللَّهِ ! إِذَا جَاءَتْ الْحَيَاةُ كَيْفَ
 تَحْيَوْنَ ، وَإِلَى مَلِكِ السَّمَاءِ تَرْقَوْنَ ! فَلَوْ أَنَّهَا حَبَّةُ خَرْدَلَةٍ^(٧) ؛ لَقَامَ
 عَلَيْهَا شَهِيدٌ يَعْلَمُ مَا فِي الصُّدُورِ ، وَلَا أَكْثَرَ النَّاسِ فِيهَا الثُّبُورُ » .
 وَكَانَ مِمَّا شَرَعَ لَهُمْ مُسَيْلِمَةُ أَنْ مِنْ أَصَابِ وَلَدٍ وَاحِدًا عَقِبًا^(٨) لَا يَأْتِي

(١) ابن الأثير : « وشرحبيل » . (٢) ز س : « فحياك » .

(٣) حنف : مال .

(٤) السهف : فلوس السمك الصغار ، أرادت أنها هزيمة .

(٥) س : « وأبصارهم » .

(٦) طفلت : صارت طفلة ؛ أي ناعمة .

(٧) س : « خردل » .

(٨) ابن الأثير : « ذكرأ » .

امرأة إلى أن يموت ذلك الابن فيطلب الولد ؛ حتى يصيب ابنا ثم يُمنسِك ؛ فكان قد حرّم النساء على من له ولد ذكر .

• • •

قال أبو جعفر : وأما غير سيف ومن ذكرنا عنه هذا الخبر ؛ فإنه ذكر أن مسيلمة لما نزلت به سجاح ، أغلق الجيـصن دُونها ، فقالت له سجاح : انزل ، قال : فنحى عنك أصحابك ، ففعلت . فقال مسيلمة : اضربوا لها قُبَّةً وجَمِّروها لعلها تذكّر الباء ؛ ففعلوا ، فلما دخلت القُبَّة نزل مسيلمة فقال : لِيَقِفْ ها هنا عشرة ، وها هنا عشرة ؛ ثم دارسها ، فقال : ما أوحى إليك ؟ فقالت^(۱) : هل تكون النساءُ يبتدثن ! ولكن أنت قل ما أوحى إليك ؟ قال : « ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحُبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صِفَاق^(۲) وحشى^(۳) » . قالت : وماذا أيضا ؟ قال : أوحى^(۴) إلى : « أن الله خلق النساء أفرجا ، وجعل الرجال لمن أزواجا ؛ فنولج فيهن قُعَسًا^(۴) إيلجا ، ثم نُخْرِجُها إذا نشاء إخراجا ، فيُنْتَسِجُن لنا سخالا إنتاجا » . قالت : أشهد أنك نبي ، قال : هل لك أن أتزوجك فأكل بقومى وقومك العرب ! قالت : نعم ، قال :

ألا قُومى إلى النِّيكِ فقد هَمِي لك المَضْجَعُ
وإن شئتِ فى البيت وإن شئتِ فى المَخْدَعِ
وإن شئتِ سلقناكِ وإن شئتِ على أربعِ
وإن شئتِ بثلثيه وإن شئتِ به أجمَعِ

(۱) ط : « وقالت » : وأثبت ما فى ب ، س .

(۲) الصفاق : الجلد الأسفل الذى تحت الجلد الذى عليه الشعر .

(۳) بعدها فى الأغاني : « من بين ذكر وأنثى ، وأموات وأحيا ، ثم إلى ربهم يكون المنتهى » .

(۴) فى الأغاني : « الغراميل » ؛ وهو بمعناها . وفى ط : « فمسا » ، بالفاء ؛ تصحيف .

قالت : بل به أجمع ، قال بذلك ^(١) أوجي إلى ^(٢) . فأقامت عنده ثلاثاً
ثم انصرفت إلى قومها ، فقالوا : ما عندك ؟ قالت : كان علي الحق فاتبعته
فتروجته ، قالوا : فهل أصدقتك شيئاً ؟ قالت : لا ، قالوا : ارجعي ^(٣) إليه ،
فقيح بمثلك أن ترجع بغير صدق ! فرجعت ، فلما رآها مسيلمة أغلق
الحصن ، وقال : مالك ؟ قالت : أصدقتني صداقاً ، قال : من مؤذنتك ^(٤) ؟
١٩١٩/١ قالت : شبث بن ربعي الرياحي ، قال : علي به ، فجاء فقال : ناد
في أصحابك أن مسيلمة بن حبيب رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما
أتاكم به محمد : صلاة العشاء الآخرة وصلاة الفجر .
قال : وكان من أصحابها الزبرقان بن بدر وعطار بن حاجب
ونظراؤهم .

– وذكر الكلبي أن مشيخة بني تميم حدثوه أن عامة بني تميم
بالرمل لا يصلونها – فانصرفت معها أصحابها ، فيهم الزبرقان ،
وعطار بن حاجب ، وعمرو بن الأهمتم ، وغيلان بن خرشة ، وشبث
ابن ربعي ، فقال عطار بن حاجب :
أَمَسَتْ نَبِيَّتُنَا أَنْتِي نُطِيفُ بِهَا وَأَصْبَحَتْ أَنْبِيَاءَ النَّاسِ ذُكْرًا إِيَّا (٥)
وقال حكيم بن عيَّاش الأعور الكلبي ، وهو يعير مضر بسجاح ،
ويذكر ربيعة :
أَتَوْكُم بِدِينِ قَائِمٍ وَأَتَيْتُمُ بِمُنْتَبِخِ الْآيَاتِ فِي مُصْحَفِ طَب (٦)

(١) ب : « بذاك » .
(٢) الخبر إلى هنا في الأغاني ١٨ : ١٦٥ ، ١٦٦ (سأسي) ، وفيه : « فواقمها فلما قام عنها
قالت : إن مثل لا يجرى أمرها هكذا فيكون وصية على قومي ؛ ولكن مسيلة النبوة إليك ، فاخطبني إلى
أولياي يزوجوك ، ثم أقود تيمما معك ، فخرج وخرجت معه ؛ فاجتمع الحيان من حنيفة وتميم ، فقالت
لهم سبحان : إنه قرأ علي ما أنزل عليه فوجدته حقاً ، فاتبعته . ثم خطبها فزوجوه إياها ، وسألوه عن المهر ،
فقال : قد وضعت عنكم صلاة العصر ؛ فبنو تميم إلى الآن بالرمل لا يصلونها ، ويقولون : هذا حق
لنا ، ومهر كريمة منا لا نرد » .
(٣) س : « فارجمي » .
(٤) س : « دوفك » .
(٥) الأغاني : « أصحمت نيتنا » .
(٦) س : « بمنسوخ » .

رجع الحديث إلى حديث سيف . فصالحها على أن يحمل إليها النصف من غلّات اليمامة ، وأبت إلاّ السنة المقبلة يُسَلِّقها^(١) ؛ فباح لها بذلك ؛ ١٩٢٠/١ وقال : خلتني على السلف من يجمعه لك ، وانصرفي أنتِ بنصف العام ؛ فرجع فحمل إليها النصف ، فاحتلمته وانصرفت به إلى الجزيرة ، وختلفت الهذيل وغقّة وزياتاً لينجز النصف الباقي ؛ فلم يفجأهم إلاّ دُنُو خالد بن الوليد منهم ، فافرضوا . فلم تزل سجاج في بني تغلب ؛ حتى نقلهم^(٢) معاوية عام الجماعة في زمانه ؛ وكان معاوية حين أجمع^(٣) عليه أهل العراق بعد عليّ عليه السلام يُخرج من الكوفة المستغرب في أمر عليّ ، ويُنزّل داره المستغرب في أمر نفسه من أهل الشام وأهل البصرة وأهل الجزيرة ؛ وهم الذين يقال لهم النواقل^(٤) في الأمصار ؛ فأخرج من الكوفة قعقاع بن عمرو بن مالك إلى إيليا بفلسطين ، فطلب إليه أن ينزل منازل بني أبيه بني عتقان ، وينقلهم إلى بني تميم ، فنقلهم من الجزيرة إلى الكوفة ، وأنزلهم منازل القعقاع وبني أبيه^(٥) ؛ وجاءت معهم وحسن إسلامها^(٦) ؛ وخرج الزبيرقان والأقرع إلى أبي بكر ، وقالوا : اجعل لنا خراج البحرين ونضمن لك ألاّ يرجع من قومنا أحدٌ ، ففعل وكتب الكتاب . وكان الذي يختلف بينهم طلحة بن عبيد الله وأشهدوا شهوداً منهم عمر . فلما أتى عمر بالكتاب فنظر فيه لم يشهد ، ثم ١٩٢١/١ قال : لا والله ولا كرامة ! ثم مرّق الكتاب ومحاه ، فغضب طلحة ، فأتى أبا بكر ، فقال : أنت الأمير أم عمر ؟ فقال : عمر ؛ غير أن الطاعة لي . فسكت .

وشهداً مع خالد المشاهد كلّها حتى اليمامة ، ثم مضى الأقرع ومعه شرحبيل إلى دومة^(٧) .

• • •

(١) ز : « بسلفها » .

(٢) ب : « نقلهم » .

(٣) ز : « اجتمع » .

(٤) ب : « النواقل » .

(٥) ب : « أمية » .

(٦) ز : « إسلامهم » .

(٧) ز : « دومة الجندل » .

ذکر البَطَّاحِ وخبره

كتب إلى السري بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصَّعْبِ بن عطية بن بلال ، قال : لما انصرفت سَجَاحُ إلى الخزيرة ، ارعوى مالك بن نُؤيرة ، وندم وتحيّر في أمره ، وعرف وكيع وسماعة قُبُحَ ما أتيا ، فرجعا رجوعاً حسناً ، ولم يتجبراً ، وأخرجوا الصدقات فاستقبلا بها خالداً ؛ فقال خالد : ما حملكما على موادة هؤلاء القوم ؟ فقالا : نأرُّ كنا نطلبه في بني ضَبَّة ؛ وكانت أيام تشاغل وفرص ، وقال وكيع في ذلك :

فلا تحسباً أني رجعتُ وأنني مُنعتُ وقد تُخني إلى الأصابع^(۱)
ولكنني حاميتُ عن جُلِّ مالكٍ ولا حظتُ حتى أكلحتني الأخادع^(۲)
فلما أتانا خالدٌ بِلِوانه نخطتُ إليه بالبَطَّاحِ الودائعُ

ولم يبق في بلاد بني حنظلة شيء يكره إلا ما كان من مالك بن نُؤيرة ومن تأشب إليه بالبَطَّاح ؛ فهو على حاله متحيّرٌ شَجِر .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل ، عن القاسم وعمرو بن شعيب ، قالا : لما أراد خالد السير خرج من ظَفَر ، وقد استبرأ أسداً وغطَّافان وطيشاً وهوازن ؛ فسار يريدُ البَطَّاحِ دون الحزن ؛ وعليها مالك بن نُؤيرة ، وقد تردّد عليه أمره ، وقد تردّدت الأنصار على خالد وتخلّفت عنه ، وقالوا : ما هذا بعهد الخليفة إلينا ! إن الخليفة عهد إلينا إن نحن فرغنا من البزاحة ؟ واستبرأنا بلاد القوم أن نقيم حتى يكتب إلينا . فقال خالد : إن يك عهد إليكم هذا فقد عهد إلى أن أمضي ، وأنا الأمير وإلى تنتهي الأخبار . ولو أنه لم يأتني له كتاب ولا أمر ؛ ثم رأيت فرصة ؛ فكنت إن أعلمته فاتني لم أعلمه حتى أنتهزها ؛ كذلك لو ابتلينا بأمر ليس منه^(۳)

(۱) ياقوت ۲ : ۲۱۵ .

(۲) ياقوت : « أكلحتني » .

(۳) ب : « فيه » .

عهد إلينا فيه لم^(١) ندع أن نرى أفضل ما بضررتنا^(٢)، ثم نعمل به .
وهذا مالك بن نويرة بجيالكنا ، وأنا قاصد إليه ومن معي من المهاجرين والتابعين
بإحسان ، ولست أكرهكم^(٣) . ومضى خالد ، وندمت الأنصار ، وتذآمروا^(٤) ،
وقالوا : إن أصاب القوم خيراً إنه لخير حُرِّمتموه ، وإن أصابتهم مصيبة
ليجتنبنكم الناس . فأجمعوا اللحاق بخالد وجرّدوا إليه رسولا ، فأقام عليهم
حتى لحقوا به ؛ ثم سار حتى قدم البطاح فلم يجد به أحداً^(٥) .

قال أبو جعفر ؛ فيما كتب به إلى السري بن يحيى ، يذكر عن شعيب
ابن إبراهيم أنه حدثه عن سيف بن عمر ، عن خزيمة بن شجرة العُقْفاني ،
عن عثمان بن سويد ، عن سويد بن المثعبه^(٦) الرّياحي ؛ قال : قدم خالد
ابن الوليد البطاح فلم يجد عليه أحداً ، ووجد مالكا^(٧) قد فرقهم في أموالهم ،
١٩٢٤/١ وهام عن الاجتماع حين تردّد عليه أمره ، وقال : يا بني يربوع ؛ إننا قد كنا
عصينا أمراءنا إذ دعونا إلى هذا الدين ، وبطأنا الناس عنه فلم نفلح ولم
ننجح ، وإنّي قد نظرت في هذا الأمر ، فوجدت الأمر يتأتى لهم بغير
سياسة ، وإذا الأمر لا يسوسه الناس ؛ فإياكم ومناواة قوم صنع لهم ؛ فتفرقوا إلى
دياركم وادخلوا في هذا الأمر . فتفرقوا على ذلك إلى أموالهم ، وخرج مالك حتى رجع إلى
منزله . ولما قدم خالد البطاح بثّ السرايا وأمرهم بداعية الإسلام أن يأتوه بكل
من لم يجيب ، وإن امتنع أن يقتلوه ؛ وكان ممّا أوصى به أبو بكر : إذا
نزلتم منزلا فأذّنوا وأقيموا ؛ فإن أذن القوم وأقاموا فكفوا عنهم ؛ وإن لم
يفعلوا فلا شيء إلا الغارة ؛ ثم اقتلوهم كل قتيلة ؛ الحرق فما سواه ؛ وإن^(٨)

(١) س : « فلم » . (٢) ابن الأثير : « ما بضررتنا » .

(٣) الأغاني : « أكرههم » .

(٤) تذامروا : حض بعضهم بعضاً .

(٥) الخبر في الأغاني ١٥ : ٢٩٩ ، ٣٠٠ (طبعة دار الكتب) .

(٦) الأغاني : « المنعبة » .

(٧) الأغاني : « مالك بن نويرة » .

(٨) الأغاني : « فإن » .

أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم ؛ فإن أقرؤا بالزكاة فاقبلوا^(١) منهم ؛ وإن أبوتها فلا شيء إلا الغارة ولا كلمة . فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في

١٩٢٥/١ نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع ، من^(٢) عاصم وعبيد وعربين وجعفر ،

فاختلفت^(٣) السريّة فيهم ، وفيهم أبو قتادة ؛ فكان فيمن شهد أنهم قد أذّنوا وأقاموا وصلّوا . فلمّا اختلفوا فيهم أمر بهم فحبسوا^(٤) في ليلة باردة

لا يقوم لها شيء ؛ وجعلت تزداد برّداً ، فأمر خالدٌ منادياً فنادى : « أدفئوا

١٩٢٦/١ أسراكم ، وكانت في لغة كنانة إذا قالوا^(٥) : دثّروا الرجل فأدفتوه ، دَفْنُهُ قتله

وفي لغة غيرهم : أدَفِه فاقته ، فظنّ القوم - وهي في لغتهم القتل - أنه أراد

القتل ، فقتلوهم ، فقتل ضرارُ بن الأزور مالكا ، وسمع خالد الواعية^(٦) ؛

فخرج وقد فرغوا منهم ، فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه .

وقد اختلف القوم فيهم ، فقال أبو قتادة : هذا عملك ، فترَبَّرَه خالد

فغضب ومضى ، حتى أتى أبا بكر فغضب عليه أبو بكر ؛ حتى كلمه عمر

فيه ، فلم يرض إلا أن يرجع إليه ، فرجع إليه حتى قدم معه المدينة ، وتزوج^(٧)

خالدٌ أم تميم ابنة المنهال^(٨) ، وتركها لينقضى طهرها ، وكانت العرب تكره النساء في

الحرب وتعايرُهُ ، وقال^(٩) عمر لأبي بكر . إن في سيفِ خالد رَهَقاً ، فإن لم يكن هذا

حقاً ، حق^(١٠) عليه أن تُقيدَه ؛ وأكثر عليه من ذلك - وكان أبو بكر لا يُقيد

من عماله ولا وزعته^(١١) - فقال : هيه يا عمر ! تأول فأخطأ ، فأرفع لسانك

عن خالد . وودى مالكا وكتب إلى خالد أن يقدم عليه ، ففعل ، فأخبره خبره ،

(١) الأغاني : « قبلتم » . (٢) الأغاني : « ومن بني عاصم » .

(٣) الأغاني : « واختلفت » .

(٤) الأغاني : « أمر بحبسهم » .

(٥ - ٥) الأغاني : « دافأنا الرجل وأدفتوه ، فذلك معنى : اقتلوه ، من الدفء » .

(٦) الواعية : الجلبة والصراخ على الميت ونعيه .

(٧) الأغاني : « وكان قد تزوج » .

(٨) المنهال بن عصمة الرياحي ؛ وهو الذي كفن مالكا في ثوبيه .

(٩) الأغاني : « فقال » .

(١٠) الأغاني : « وحق عليه أن تقيدَه » .

(١١) الوزعة : أصحاب السلطان .

فعلوه وقبل منه ، وعنفه في التزويج الذي كانت تعيب عليه العرب من ذلك (١) وكتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : شهد قوم من المرية أنهم أذّنوا وأقاموا وصلّوا ، ففعلوا مثل ذلك . وشهد آخرون أنه لم يكن من ذلك شيء ، فقتلوا . وقدم أخوه متمم بن نويرة ينشد أبا بكر دمه ، ويطلب إليه في سبّهم ؛ فكتب له برد السبّي ، وألح عليه عمر في خالد أن يعزله ، وقال : إن في سيفه رهقاً . فقال : لا يا عمر ؛ لم أكن لأشيم سيفاً سلّه الله على الكافرين (٢) .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن خزيمة ، عن عثمان ، عن سويد ، قال : كان مالك بن نويرة من أكثر الناس شعراً ؛ ١٩٢٧/١ وإن أهل العسكراثفوا برءوسهم (٣) القُدور ، فما منهم رأس إلا وصلت النار إلى بشرته ما خلا مالكا ، فإن القدر نضجت وما نضج رأسه من كثرة شعره ، وقى (٤) الشعرُ البشرةَ حرّاً (٥) أن يبلغ منه ذلك . وأنشده متمم ؛ وذكر خصمه (٦) ؛ وقد كان عمر رآه مقدّمه على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أكذاك يا متمم كان ! قال : أمّا ما أعنى . فنعّم (٧) .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثنا محمد بن إسحاق ، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ؛ أن أبا بكر كان من عهده إلى جيوشه : أن إذا غشيم داراً من دور الناس فسمعتم فيها أذاناً للصلاة ، فأمسكوا عن أهلها حتى تسألوهم ما الذي نقيموا ! وإن لم تسمعوا أذاناً ، فشنّوا الغارة ، فاقتلوا (٨) ، وحرّقوا .

(١) الأغاني ١٥ : ٣٠٠ - ٣٠٢ (٢) الأغاني ١٥ : ٣٠٢ .

(٣) أثف القدر تأثيفاً : وضعها على الأثافي ، يريد أنهم جعلوا رؤوسهم أثافي للقُدور .

(٤) الأغاني : « ووقى » . (٥) الأغاني : « من حر النار » .

(٦) في الأغاني : « يعني قوله : »

لقد كفن المنهال تحت رداءه قتي غير مبطلان الشيات أروعا

فقال : أكذاك كان يا متمم ؟ قال : أما ما أعنى فنعّم .

(٧) الأغاني ١٥ : ٣٠٢ ، ٣٠٣ . (٨) الأغاني : « واقتلوا » .

وكان ممن شهد لماك بالإسلام أبو قتادة الحارث بن ربیع بن أخو بني سلمة ، وقد كان عاهد الله ألا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعدها ؛ وكان يحدث أنهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل ، فأخذ القوم السلاح . قال : فقلنا : إننا المسلمون ، فقالوا : ونحن المسلمون ، قلنا : فما بال السلاح معكم ! قالوا لنا : فما بال السلاح معكم ! قلنا : فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح ، قال : فوضعوها ؛ ثم صليتنا وصلوا . وكان خالد يعتذر في قتله أنه قال له وهو يراجع : ما إخال صاحبكم ^(١) إلا وقد كان يقول كذا وكذا . قال : أو ما تعدّه لك صاحباً ! ثم قدّمه فضرب عنقه وأعناق أصحابه ، فلما بلغ قتلهم عمر بن الخطاب ، تكلم فيه عند أبي بكر فأكثر ، وقال : عدو الله عدداً على امرئ مسلم فقتله ، ثم نزا على امرأته !

وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدأ الحديد ، معتجراً بعمامة له ، قد غرز في عمامته أسنهما ؛ فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسنهم من رأسه فحطّمها ، ثم قال : أرثاء ! قتلت امرأ مسلماً ، ثم نزوت على امرأته ! والله لأرجمنك بأحجارك - ولا يكلمه خالد بن الوليد ، ولا يظن إلا أن رأى أبي بكر على مثل رأى عمر فيه - حتى دخل على أبي بكر ، فلما أن دخل عليه أخبره الخبر ، واعتذر إليه ^{١٩٢٩/١}

فعذره أبو بكر ، وتجاوز عنه ما كان في حربه تلك . قال : فخرج خالد حين رضى عنه أبو بكر ، وعمر جالس في المسجد ، فقال : هلم إلى يا بن أم شملة ! قال : فعرف عمر أن أبا بكر قد رضى عنه فلم يكلمه ، ودخل بيته .

وكان الذي قتل مالك بن نويرة عبد بن الأزور الأسدي ^(٢) . وقال ابن الكلبي : الذي قتل مالك بن نويرة ضرار بن الأزور .

• • •

(١) بعدما في الأغاني : « يعني النبي صل الله عليه وسلم » .

(٢) الأغاني ١٥ : ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

ذكر بقية خبر مسيلمة الكذاب وقومه من أهل اليمامة

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : كان أبو بكر حين بعث عكرمة بن أبي جهل إلى مسيلمة وأتبعه شرحبيل عجل عكرمة ، فبادر شرحبيل ليذهب بصوتها^(١) فواقعهم ، فنكبوه ، وأقام شرحبيل بالطريق حيث أدركه الخبر ؛ وكتب عكرمة إلى أبي بكر بالذي كان^(٢) من أمره ، فكتب إليه أبو بكر : يا ابن أم عكرمة ، لا أرينك ولا تراني على حالها ! لا ترجع فتوهين الناس ؛ امض على وجهك حتى تساند حذيفة وعرفجة فقاتل معهما أهل عمان ومهرة ، وإن شغلا فامض أنت ، ثم تسير وتسير جنلك تستبرئون^(٣) من مررم به ؛ حتى تلتقوا أنتم والمهاجر بن أبي أمية باليمن وحضرموت .

١٩٣٠/١

وكتب إلى شرحبيل يأمره بالمقام حتى يأتيه أمره ، ثم كتب إليه قبل أن يوجه خالدًا بأيام إلى اليمامة : إذا قدم عليك خالد ، ثم فرغتم إن شاء الله فالحق بقضاعة ؛ حتى تكون أنت وعمرو بن العاص على من أبي منهم وخالف . فلما قدم خالد على أبي بكر من البطح رضى أبو بكر عن خالد ، وسمع عذره وقبيل منه وصدقته ورضى عنه ، ووجهه إلى مسيلمة وأوعب معه الناس . وعلى الأنصار ثابت بن قيس والبراء بن فلان ، وعلى المهاجرين أبو حذيفة وزيد ، وعلى القبائل ؛ على كل قبيلة رجل . وتعجل خالد حتى قدم على أهل العسكر بالبطح ، وانتظر البعث الذي ضرب بالمدينة ؛ فلما قدم عليه نهض حتى أتى اليمامة وبنو حنيفة يومئذ كثير .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عمرو بن العلاء ، عن رجال ، قالوا : كان عدد بني حنيفة يومئذ أربعين ألف مقاتل ؛ في قراها

(١) س : « بصوتها » . (٢) ابن الأثير : « بالخبر » .

(٣) ب : « تستبرئون » .

وَحُجِرَهَا ، فسار خالد حتى إذا أظلم عليهم أسندَ خيولاً لعقّة والهُذيل
وزياد ؛ وقد كانوا أقاموا على خَرَجٍ أخرجته لهم مُسَيْلِمَةُ ليلحقوا به سجاح .
وكتب إلى القبائل من نعيم فيهم ؛ فنفروهم حتى أخرجوهم من جزيرة العرب ،
وعجّل شرحبيل بن حسنة ، وفعل فعل عكرمة ، وبادر خالدًا بقتال ١٩٣١/١
مُسَيْلِمَةَ قبل قدوم خالد عليه ؛ فنكِبَ ، فحاجَزَ^(١) ؛ فلما قدم عليه خالد
لامته ؛ وإنما أسند خالد تلك الخيول مخافة أن يأتوه من خلفه ؛ وكانوا
بأفنيّة اليمامة .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد بن
ثابت ، عن حدثه ، عن جابر بن فلان ، قال : وأمّد أبو بكر خالدًا
بسليط ؛ ليكون ردءًا له من أن يأتية أحدٌ من خلفه ؛ فخرج ؛
فلما دنا من خالد وجد تلك الخيول التي انتابت تلك البلاد قد فرّقوا ؛
فهربوا ، وكان منهم قريباً ردءاً لهم ؛ وكان أبو بكر يقول : لا أستعمل أهل
بدر ؛ أدعهم حتى يلقوا الله بأحسن أعمالهم ؛ فإن الله يدفع بهم وبالصلحاء
من الأمم أكثر وأفضل ممّا ينتصر^(٢) بهم ؛ وكان عمر بن الخطاب يقول :
والله لأشركنهم وليؤاسنني .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة بن الأعلم ،
عن عبّيد بن عمير ، عن أثال الحنفيّ - وكان مع ثمامة بن أثال - قال : وكان
مُسَيْلِمَةُ يصانيع كلّ أحد ويتألفه^(٣) ولا يبالي أن يطلع الناس منه على قبيح ؛
١٩٣٢/١ وكان معه نهار الرّجال بن عُنْفُوّة ، وكان قد هاجر إلى^(٤) النبيّ صلّى الله
عليه وسلّم ؛ وقرأ القرآن ؛ وفقه في الدين ؛ فبعثه معلّمًا لأهل اليمامة
وليشغّب على مُسَيْلِمَةَ ، وليشدّد^(٥) من أمر المسلمين ؛ فكان أعظم فتنة على
بنّي حنيفة من مُسَيْلِمَةَ ؛ شهد له أنّه سمع محمّدًا صلّى الله عليه وسلّم
يقول : إنه قد أشرك معي ؛ فصدّقوه واستجابوا له ، وأمره بمكاتبة النبيّ صلّى الله

(١) حاجز عدوه محاجزة : منه .

(٢) ب : « يتابعه » .

(٣) ب : « ما ينتظر » .

(٤) ب : « وليسد » .

(٥) ز : « مع » .

عليه وسلم ، ووعده إن هو لم يقبل أن يُعِينوه عليه ؛ فكان نهار
الرجال بن عَنَفوة لا يقول شيئاً إلاّ تابعه عليه ؛ وكان ينتهي إلى
أمره ، وكان يؤذّن للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ويشهد في الأذان أن
محمدًا رسول الله ؛ وكان الذي يؤذّن له عبد الله بن النّوّاحه ، وكان
الذي يُقيم له حُجَيْر بن عُمَيْر ، ويشهد له ، وكان مسيلمة إذا دنا
حُجَيْر من الشهادة ، قال : صرّح حُجَيْر ؛ فزيد في صوته ،
ويبالغ لتصديق نفسه ، وتصديق نهار وتضليل من كان قد أسلم ؛ فعظم
وقاره في أنفسهم .

قال : وضرب حرّمًا باليمامة ، فنهى عنه ؛ وأخذ الناس به ، فكان مُحَرّمًا
فوقع في ذلك الحرّم قُرَى الأحاليف ؛ أفخاذ من بني أُسَيْد ، كانت دارهم
باليمامة ؛ فصار مكان دارهم في الحرّم - والأحاليف : سَيْحان ونُمارة ونمر
والحارث بنو جرّوة - فإن أخصبوا أغاروا على ثمار أهل اليمامة ، واتخذوا
الحرّم دغلاً^(١) ، فإن نذروا بهم فدخلوه أحجموا عنهم ؛ وإن لم يندروا بهم
فذلك ما يريدون . فكثّر ذلك منهم حتى استعندوا عليهم ؛ فقال : أنتظر
الذي يأتي من السماء فيكم وفيهم . ثم قال لهم : « واللّيل الأطحم^(٢) ، والذئب
الأدم^(٣) . والجذع الأزلم^(٤) ، ما انتهكت أُسَيْد من مُحَرّم ؛ فقالوا : أما
مُحَرّم استحلّ الحرّم وفساد الأموال ! ثم عادوا للغارة ، وعادوا للعُدوى^(٥) .
فقال : أنتظر الذي يأتي ، فقال : « واللّيل الدّامس ، والذئب الهامس^(٦) ،
ما قطعت أُسَيْد من رطب ولا يابس ؛ فقالوا : أمّا النخيل مرطبة فقد
جدّوها^(٧) ، وأمّا الجدران يابسة فقد هدموها ؛ فقال : اذهبوا وارجعوا
فلا حقّ لكم .

وكان فيما يقرأ لهم فيهم : « إن بني تميم قوم طهر لِقَاح^(٨) ، لا مكروه

(١) الدغل : ما استترت به .

(٢) الأدم : الأسود الطويل .

(٣) العُدوى : العدوان .

(٤) جدوها : قطعوها .

(٥) الطحمة : سواد الليل .

(٦) الجذع الأزلم : الدهر .

(٧) الذئب الهامس : الشديد .

(٨) قوم لقاح : لم يدينوا للملوك ولم يصبهم سبأ .

عليهم ولا إتاوة ، نجاورهم ما حيننا بإحسان ، نمنعهم من كل إنسان ؛ فإذا متنا فأمرهم إلى الرحمن . »

وكان يقول : « والشاء وألوانها ، وأعجبها السود وألبانها . والشاة السوداء واللبن الأبيض ، إنه لعجب مَحْض ، وقد حرّم المذق ، فما لكم لا تمجعون ! » .
وكان يقول : « يا ضفدع ابنة ضفدع ، نُقِّي ما تَنَقِّين ، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكدرين . »

١٩٣٤/١

وكان يقول : « والمبذرات زرعاً ، والحاصدات حصداً . والذاريات قمحاً ، والطاحنات طحناً . والحابزات خبزاً ، والثاردات ثرداً ^(١) . واللاقمات لقمًا . إهالة وسمناً ، لقد فضلتُم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدار ؛ ريفكم فامنعوه . والمعتر ^(٢) فأووه ، والباغي فناوئوه . »

قال : وأتته امرأة من بني حنيفة تكنى بأُمّ الهيثم فقالت : إن نخلنا لسُحِق ^(٣) وإن آبارنا لجرز ^(٤) ؛ فادع الله لماثنا ولنخلنا ^(٥) كما دعا محمد لأهل هزّمان . فقال : يا نهار ^(٦) ما تقول هذه ؟ فقال : إن أهل هزّمان أتوا محمداً صلى الله عليه وسلم فشكّوا بَعْدَ ما هم ^(٧) ؛ - وكانت آبارهم جرزاً - ونخلهم أنّها سُحِق ؛ فدعا لهم فجاشت آبارهم ، وانحسفت كل نخلة قد انتهت حتى وضعت جيرانها لانتهائها ، فحكّت ^(٨) به الأرض حتى أنشبت عروقاً ثم قُطعت من دون ذلك ، فعادت فيسلاً ^(٩) مكمّماً ينمي صاعداً ^(١٠) . قال : وكيف صنع بالآبار ؟ قال : دعا بتسجل ^(١١) ، فدعا لهم فيه ،

١٩٣٥/١

(١) ثرد الخبز ثرداً : فته ثم بله بمرق . (٢) ز : وابن الأثير : « والمعبي » .

(٣) سحق : جمع سحق ؛ وهي الطويلة من النخل .

(٤) ياقوت : « بجرز » ؛ والجرز : الأرض المجذبة .

(٥) ب : « ونخلنا » .

(٦) ياقوت : « فقال لرجال بن عنقوة » .

(٧) ياقوت : « مياهم » .

(٨) ياقوت : « فحكّت » .

(٩) الفسيل : صغار النخل ؛ وجمعه فسلان .

(١٠) ياقوت : « صعداً » .

(١١) السجل : الدلو العظيمة إذا كان فيها ماء قل أو كثير ، ولا يقال لها سجل إذا كانت فارغة

ثم تمضمضَ بفيه^(۱) منه ، ثم مسحَ فيه ، فانطلقوا به حتى فرغوه في تلك الآبار ، ثم سقَوْه نخلهم ، ففعل النبي^(۲) ما حدثتكَ ، وبقى الآخر إلى انتهائه. فدعا مسيلمة بدلو من ماء فدعا لهم فيه ، ثم تمضمض منه ، ثم مسح فيه فنقلوه فأفرغوه في آبارهم . فغارت مياه تلك الآبار ، وحتوى نخلهم ؛ وإنما استبان ذلك بعد مهلكه^(۳) .

وقال له نهار : برّك على مولودي بني حنيفة^(۴) ، فقال له : وما التبريك ؟ قال : كان أهلُ الحجاز إذا ولد فيهم المولود أتوا به محمداً صلى الله عليه وسلم فحنته ومسح رأسه ؛ فلم يؤت مسيلمة بصبي فحنته ومسح رأسه إلا قرع^(۵) ولثغ^(۶) واستبان ذلك بعد مهلكه .

وقالوا : تتبّع حيطانهم كما كان محمد صلى الله عليه وسلم يصنع فصل فيها . فدخل حائطاً^(۷) من حوائط اليمامة ، فتوضأ ، فقال نهار لصاحب الحائط : ما يمنعك من وضوء^(۸) الرحمن فتسقي به حائطك حتى يتروى ويبتل ، كما صنع بنو المهرية ، أهل بيت من بني حنيفة - وكان رجل من المهرية قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ وضوءه فنقله معه إلى اليمامة فأفرغته في بئر ، ثم نزع وسقى ، وكانت أرضه تهوم فترويت وجزأت فلم تُلّف إلا خضراء مهترزة - ففعل فعادت يبّاباً لا ينبت مرعاها .

وأناه رجلٌ فقال : ادعُ الله لأرضي فإنها مُسبّخة ؛ كما دعا محمد صلى الله عليه وسلم لسلمي على أرضه . فقال : ما يقول يا نهار ؟ فقال :

(۱) كذا في ياقوت ، وفي ط : « بغم » .

(۲) كذا في ياقوت ، وفي ط : « المنتهى » .

(۳) ياقوت ۸ : ۴۶۴ .

(۴) ابن الأثير : « أمر يلك على أولاد بني حنيفة » .

(۵) القرع : ذهاب الشعر عن مقدم الرأس ، كالصلع ، أو أشد منه .

(۶) اللثغ : تحول اللسان من السين إلى الثاء ، أو من الراء إلى اللين .

(۷) الحائط هنا : البستان .

(۸) الوضوء ، بالفتح : الماء يتوضأ به .

قدم عليه سلمى ، وكانت أرضه سبخة فدعا له ، وأعطاه سَجَلًا من ماء ،
ومجّ له فيه ، فأفرغه في بثره ، ثم نزع ، فطابت وعَدُبَتْ ؛ ففعل مثل ذلك
فانطلق الرَّجُلُ ، ففعل بالسَّجَلِ كما فعل سلمى ، ففرقت أرضه ، فما
جفّ ثراها ، ولا أدرك ثمرها .

وأنته امرأة فاستجلبته إلى نَخْلٍ لها يدعو لها فيها ، فجزّت كبائسها^(١)
يوم عقرباء كلها ؛ وكانوا قد علموا واستبان لهم ؛ ولكن الشقاء غلب عليهم .
كتب إلى المرمي ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن خُلَيْدِ بْنِ
ذَفْرَةَ النَّمَرِيِّ ، عن عمير بن طلحة النَّمَرِيِّ ، عن أبيه ، أنه جاء اليمامة ،
فقال : أين مُسَيْلِمَةُ ؟ قالوا : مه رسول الله ! فقال : لا ، حتى
أراه ؛ فلما جاءه ، قال : أنت مسيلمة ؟ قال : نعم ، قال : مَنْ يَأْتِيكَ ؟
قال : رحمن ، قال : أفي نور أو في ظلمة ؟ فقال : في ظلمة ، فقال : أشهد
أنك كذاب^(٢) وأن محمدًا صادق ؛ ولكن كذاب ربيعة أحب إلينا من
صديق مضر ، فقتل معه يوم عقرباء .

١٩٣٧/٩١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الكلبي مثله ؛ إلا
أنه قال : كذاب ربيعة أحب إلى من كذاب مضر .

وكتب إلى المرمي ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة بن الأعمى ،
عن عبيد بن عمير ، عن رجل منهم ، قال : لما بلغ مسيلمة دنو خالد ،
ضرب عسكره بعقرباء ، واستنفر الناس ، فجعل الناس يخرجون إليه ،
وخرج متجاعة بن مُرَّارة في سرية يطلب ثأرًا له في بني عامر وبني تميم
قد خاف فواته ، وبادر به الشغل ، فأما ثأره في بني عامر فكانت ختولة
ابنة جعفر فيهم ، فمنعوه منها ، فاختلفها ؛ وأما ثأره في بني تميم فنعم أخذوا
له . واستقبل خالد شُرْحَبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ ، فقدمه وأمر على المقدمة خالد بن
فلان المخزومي ، وجعل على المَجْنَبَتَيْنِ زَيْدًا وَأَبَا حُدَيْفَةَ ، وجعل مُسَيْلِمَةَ عَلَى

(١) الكبائس : جمع كباسة ؛ وهي المنق التام بشاربخه وبسره

(٢) ابن الأثير : « الكذاب » .

١٩٣٨/١ مجنبتيه المهكّم والرجّال ، فسار خالد وجمعه شُرْحَيْيل ، حتى إذا كان من
عسكر مسيلمة على ليلة ، هجم على جُبَيْلَة ^(١) هجوم ^(٢) - المقلل يقول :
أربعين ، والمكثّر يقول : ستين - فإذا هو مجاعة وأصحابه ، وقد غلبهم
الكرّى ، وكانوا راجعين من بلاد بنى عامر ، قد طوّروا إليهم ؛ واستخرجوا
خولة ابنة جعفر فهي معهم ، فعرّسوا دون أصل الثنية ؛ ثنية اليمامة ، فوجدوهم
نياماً وأرسان خيولهم بأيديهم تحت خلدودهم وهم لا يشعرون بقرب الجيش منهم ؛
فأنبهوهم ، وقالوا : من أنتم ؟ قالوا : هذا مجاعة وهذه حنيفة ، قالوا :
وأنتم فلا حيّاكم الله ! فأوثقوهم وأقاموا إلى أن جاءهم خالد بن الوليد ، فأتوه
بهم ؛ فظنّ خالد أنهم جاموه ليستقبلوه وليتّقوه بحاجته ، فقال : متى سمعتم بنا ؟
قالوا : ما شعرنا بك ؛ إنّما خرجنا لئلا لنا فيمن حولنا من بنى عامر
وتميم ، ولو فطنوا لقالوا : تلقيناك حين سمعنا بك . فأمر بهم أن يقتلوا ، فجادوا
كلّهم بأنفسهم دون مجاعة بن مرارة ، وقالوا : إن كنت تريد بأهل
اليمامة غداً خيراً أو شراً فاستبق هذا ولا تقتله ؛ فقتلهم خالد وحبس مجاعة
عنده كالرّهينة .

١٩٣٩/١ كتب إلى السرى ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ،
عن عكرمة ، عن أبي هريرة ، وعبد الله بن سعيد عن أبي سعيد عن
أبي هريرة ، قال : قد كان أبو بكر بعث إلى الرجال فأتاه فأوصاه بوصيته ،
ثم أرسله إلى أهل اليمامة ؛ وهو يرى أنّه على الصدق حين أجابه . قالوا :
قال أبو هريرة : جلست مع النبي صلّى الله عليه وسلّم في رهط معنا الرجّال
ابن عُنْفُوَة ، فقال : إنّ فيكم لرجلاً ضيرسه في النار أعظم من أحد ،
فهلك القوم وبقيت أنا والرجّال ، فكنت متخوفاً لها ؛ حتى خرج الرجّال
مع مسيلمة ، فشهد له بالنبوة ؛ فكانت فتنة الرجّال أعظم من فتنة مسيلمة ،
فبعث إليهم أبو بكر خالداً ، فسار حتى إذا بلغ ثنية اليمامة ، استقبل مجاعة
ابن مرارة - وكان سيد بنى حنيفة - في جبل ^(٣) من قومه ، يريد الغارة على

(١) ب : « حيلة » . (٢) كذا في ب . وفي ط : « هجوع » .

(٣) جبل من قومه : أي جماعة منهم .

بني عامر ، ويطلبُ دماً ، وهم ثلاثة وعشرون فارساً ركباً قد عرسوا .
 فبيتهم خالد في معرسهم ، فقال : متى سمعتم بنا ؟ فقالوا : ما سمعنا بكم ؛
 إنما خرجنا لنشتر بدم لنا في بني عامر . فأمر بهم خالد فضربت أعناقهم ،
 واستخياً مجاعة ؛ ثم سار إلى اليمامة ؛ فخرج مسيلمة وبنو حنيفة حين
 سمعوا بخالد ، فزلوا بعقرباء ، فحلّ بها عليهم - وهي طرف اليمامة دون
 الأموال - وريف اليمامة وراء ظهورهم . وقال شرحبيل بن مسيلمة : يا بني
 حنيفة ، اليومَ يومُ الغيرة ، اليوم إن هزمتَ تستردفُ النساءُ سيئات ،
 ويُشكحن غير خطيبات^(١) ؛ فقاتلوا عن أحسابكم ، وامنعوا نساءكم . فاقتلوا
 بعقرباء ، وكانت رايةُ المهاجرين مع سالم مولى أبي حنيفة ، فقالوا : نخشى
 علينا من نفسك شيئاً ! فقال : بش حامل القرآن أنا إذا ! وكانت راية
 الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس ، وكانت العرب على راياتها ومجاعة أسير
 مع أمّ تميم في فسطاطها . فجال المسلمون جولةً ، ودخل أناس من
 بني حنيفة على أمّ تميم ، فأرادوا قتلها ، فنعها مجاعة . قال : أنا لها جار ،
 فبعمت الحرة هي ! فدفعهم عنها ، وترادّ المسلمون ، فكروا عليهم ؛ فانهزمت
 بنو حنيفة ، فقال المحكم بن الطفيل : يا بني حنيفة ، ادخلوا الحديقة ؛
 فإني سأمنع أدباركم ، فقاتل دونهم ساعة ثم قتل الله ؛ قتله عبد الرحمن بن
 أبي بكر ؛ ودخل الكفار الحديقة ، وقتل وحشي مسيلمة ، وضربه رجل من
 الأنصار فشاركه فيه .

١٩٤٠/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، بنحو
 حديث سيف هذا ؛ غير أنه قال : دعا خالد بمجاعة ومن أخذ معه حين
 أصبح ، فقال : يا بني حنيفة ، ما تقولون ؟ قالوا : نقول : منّا نبي ومنكم
 نبي ؛ فعرضهم على السيف ؛ حتى إذا بقي منهم رجل يقال له سارية بن
 عامر ومجاعة بن مارة ، قال له سارية : أيتها الرجل ؛ إن كنت تريد بهذه
 القرية غداً خيراً أو شراً ، فاستبق هذا الرجل - يعني مجاعة - فأمر به
 خالد فأوثقه في الحديد ؛ ثم دفعه إلى أمّ تميم امرأته ، فقال : استوصي به

١٩٤١/١

(١) ط : « خطيبات » ، وانظر تصويبات ط وابن الأثير .

خيراً ، ثم مضى حتى نزل اليمامة على كتيب مشرف على اليمامة ، فضرب به عسكره ، وخرج أهل اليمامة مع مسيلمة وقد قدم في مقدمته الرحّال — قال أبو جعفر ، هكذا قال ابن حميد بالحاء — بن عُنْفُوَة بن نهشل ، وكان الرّحّال رجلاً من بني حنيفة قد كان أسلم ، وقرأ سورة البقرة ، فلما قدم اليمامة شهد لمسيلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان أشركه في الأمر ؛ فكان أعظم على أهل اليمامة فتنة من مسيلمة ؛ وكان المسلمون يسألون عن الرّحّال يرجون أنه يشتم على أهل اليمامة أمرهم بإسلامه ، فلقبتهم في أوائل الناس متكتباً^(۱) ، وقد قال خالد بن الوليد وهو جالس على سريره ، وعنده أشرف الناس والناس على مصافتهم ؛ وقد رأى بارقة في بني حنيفة : أبشروا يا معشر المسلمين ؛ فقد كفاكم الله أمر عدوكم . واختلف القوم إن شاء الله ؛ فنظر مجاعة وهو خلفه موثقاً في الحديد ، فقال : كلاً والله ، ولكنها الهندوانية خشوا عليها من تحطّمها ، فأبرزوها للشمس لتلين لم ؛ فكان كما قال . فلما التقى المسلمون كان أول من لقيتهم الرّحّال بن عُنْفُوَة ، فقتله الله .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن شيخ من بني حنيفة ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً — وأبو هريرة ورّحّال بن عُنْفُوَة في مجلس عنده : « لضيرس^(۲) أحدكم أيتها المجلس في النار يوم القيامة أعظم من أحد » . قال أبو هريرة : فضى القوم لسيلهم ، وبقيت أنا ورّحّال بن عُنْفُوَة ، فما زلت لها متخوفاً ؛ حتى سمعت بمخرج رحّال ، فأمنت وعرفت أن ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق .

ثم التقى الناس ولم يلقيهم حرباً قطّ مثلها من حرب العرب ؛ فاقتل الناس قتلاً شديداً ؛ حتى انهزم المسلمون وخلص بنو حنيفة إلى مجاعة وإلى خالد ، فزال خالد عن فسطاطه ودخل أناس الفسطاط وفيه مجاعة عند أم تميم ، فحمل عليها رجل بالسيف ، فقال مجاعة : مه ،

(۱) س : « متكتباً » . (۲) ز : « ضيرس » .

أنا لها جارٌّ ، فنعمت الحرّة ! عليكم بالرجال ، فرعبلوا^(١)
 الفسطاط بالسيوف . ثم إن المسلمين تداعوا ، فقال ثابت بن قيس :
 بسمَا عَوَدْتُمْ أَنْفُسَكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ! اللَّهُمَّ إِنِّي أBRأُ إِلَيْكَ مَمَّا
 يَعْْبُدُ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي أَهْلَ الْيَمَامَةِ - وَأBRأُ إِلَيْكَ مِمَّا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ - يَعْنِي
 الْمُسْلِمِينَ - ثُمَّ جَالَدَ بِسَيْفِهِ حَتَّى قُتِلَ . وَقَالَ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ حِينَ انْكَشَفَ
 النَّاسُ عَنْ رِحَالِهِمْ : لَا تَحْوِزْ بَعْدَ الرَّحَالِ ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ . ثُمَّ قَامَ
 الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ أَخُو أَنَسٍ^(٢) بْنُ مَالِكٍ - وَكَانَ إِذَا حَضَرَ الْحَرْبَ أَخَذَتْهُ
 الْعُرْوَاءُ^(٣) حَتَّى يَقْعُدَ عَلَيْهِ الرَّجَالُ ؛ ثُمَّ يَنْتَفِضُ تَحْتَهُمْ حَتَّى يَبُولَ فِي سُرَاوِيلِهِ ؛
 فَإِذَا بَالَ يَثُورُ كَمَا يَثُورُ الْأَسَدُ - فَلَمَّا رَأَى مَا صَنَعَ النَّاسُ أَخَذَهُ الَّذِي كَانَ
 يَأْخُذُهُ حَتَّى قَعَدَ عَلَيْهِ الرَّجَالُ ، فَلَمَّا بَالَ وَثَبَ ، فَقَالَ : أَيُّنَ يَا مَعْشَرَ
 الْمُسْلِمِينَ ! أَنَا الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ ، هَلُمَّ إِلَيَّ ! وَفَاءَتْ فِتْنَةٌ مِنَ النَّاسِ ، فَقَاتَلُوا
 الْقَوْمَ حَتَّى قَتَلَهُمُ اللَّهُ ، وَخَلَّصُوا إِلَى مُحْكَمِ الْيَمَامَةِ - وَهُوَ مُحْكَمُ بْنُ
 الطُّفَيْلِ - فَقَالَ حِينَ بَلَغَهُ الْقِتَالُ : يَا مَعْشَرَ بَنِي حَنِيفَةَ ، الْآنَ وَاللَّهِ
 تُسْتَحْقَبُ الْكِرَامُ غَيْرَ رَضِيَّاتٍ ، وَيُنْكَحُنْ غَيْرَ خَطِيْبَاتٍ ؛ فَمَا عِنْدَكُمْ
 مِنْ حَسَبٍ فَأَخْرِجُوهُ . فَقَاتَلَ قِتَالًا شَدِيدًا ؛ وَرَمَاهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ
 الصَّدِيقُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِي نَحْرِهِ فَقَتَلَهُ . ثُمَّ زَهَفَ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى أَلْجَئُوهُمْ إِلَى
 الْحَدِيقَةِ ؛ حَدِيقَةُ الْمَوْتِ ؛ وَفِيهَا عَدُوُّ اللَّهِ مُسَيْلِمَةُ الْكُذَّابِ ، فَقَالَ الْبَرَاءُ : يَا مَعْشَرَ
 الْمُسْلِمِينَ ، الْقَوْنِي عَلَيْهِمْ فِي الْحَدِيقَةِ . فَقَالَ النَّاسُ : لَا تَفْعَلْ يَا بَرَاءُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ
 لَتَطْرُقَنِي عَلَيْهِمْ فِيهَا ؛ فَاحْتَمَلْتُ حَتَّى إِذَا اشْرَفَ عَلَى الْحَدِيقَةِ مِنَ الْجِدَارِ ؛ اقْتَحَمْتُ
 فَقَاتَلَهُمْ عَنِ بَابِ الْحَدِيقَةِ ، حَتَّى فَتَحَهَا لِلْمُسْلِمِينَ ، وَدَخَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ
 فِيهَا ؛ فَاقْتَلُوا حَتَّى قَتَلَ اللَّهُ مُسَيْلِمَةَ عَدُوَّ اللَّهِ ؛ وَاشْتَرَكَ فِي قَتْلِهِ وَحْشِيٌّ مَوْلَى
 جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، كِلَاهُمَا قَدْ أَصَابَهُ ؛ أَمَّا وَحْشِيٌّ فَدَفَعَ
 عَلَيْهِ حَرْبَتَهُ ، وَأَمَّا الْأَنْصَارِيُّ فَضْرِبَتْهُ بِسَيْفِهِ ، فَكَانَ وَحْشِيٌّ يَقُولُ : رَبِّكَ أَعْلَمُ
 أَيُّنَا قَتَلَهُ !

١٩٤٣/١

(١) رعبلوا الفسطاط ، أي مزقوه .

(٢) س : « أخ لأنس » .

(٣) العرواء : رعدة نصيب الإنسان ؛ وهي في الأصل برد الحمى .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : وحدثني محمد بن اسحاق ، عن عبد الله بن الفضل بن العباس بن ربيعة ، عن سليمان بن يسار ، عن عبد الله بن عمر ، قال : سمعت رجلاً يومئذ يصرخ يقول ، قتله العبد الأسود !

۱۹۴۴/۱

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن عبيد بن عمير ، قال : كان الرجال بجبال زيد بن الخطاب ؛ فلما دنا صفأها ، قال زيد : يا رجال ، الله الله ! فوالله لقد تركت الدين ، وإن الذي أدعوك إليه لأشرف لك ، وأكثر لديناك^(۱) . فأبى ، فاجتلدا فقتل الرجال وأهل البصائر من بني حنيفة في أمر مسيلمة ، فتدامروا وحمل كل قوم في ناحيتهم ؛ فجال المسلمون حتى بلغوا عسكرهم ، ثم أعرّوه لهم ، فقطعوا أطناب البيوت ، وهتكوها ، وتشاغلوا بالعسكر ، وعابحوا مجاعة ؛ وهمّوا بأمّ تميم ، فأجارها . وقال : نعم أمّ المشوى ! وتدامر زيد وخالد وأبو حذيفة ، وتكلم الناس - و [كان]^(۲) يوم جنوب له غبار فقال زيد : لا والله لا أتكلم اليوم حتى يهزمهم أو ألقى الله فأكلته بحجتي ! عضوا على أضراسكم أيها الناس ، واضربوا في عدوكم ، وامضوا قدماً . ففعلوا ، فردّوهم إلى مصافهم حتى أعادوهم إلى أبعد من الغاية التي حيزوا إليها من عسكرهم ، وقتل زيد رحمه الله . وتكلم ثابت فقال : يا معشر المسلمين ، أنتم حزب الله وهم أحزاب الشيطان ، والعزة لله ولرسوله ولأحزابه ، أرؤني كما أريكم^(۳) ، ثم جلد فيهم حتى حازهم^(۴) . وقال أبو حذيفة : يا أهل القرآن ، زينوا القرآن بالفعال . وحمل فحازهم حتى أنفذهم ، واصيب رحمه الله ، وحمل خالد بن الوليد ، وقال لحماته : لا أوتين من خلقي . حتى كان بجبال مسيلمة يطلب الفرصة ويرقب مسيلمة .

۱۹۴۵/۱

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشر بن الفضيل ، عن سالم بن عبد الله ، قال : لما أعطيت سالم الراية يومئذ ، قال : ما أعلمني لأى شيء أعطيتمونها ! قلم : صاحب قرآن وسيثبت كما ثبت صاحبها

(۱) زه وأكبر لك .

(۲) من ز .

(۳) ز : « أراكم » .

(۴) س : « جاوزهم أبداً ما جاوزهم » .

قبله حتى مات ! قالوا : أجل . وقالوا : فانظر كيف تكون ؟ فقال : بشس
والله حامل القرآن أنا إن لم أثبت ! وكان صاحبُ الراية قبله عبد الله بن
حفص بن غانم .

وقال عبد الله بن سعيد بن ثابت وابن إسحاق : فلما قال مجاعة لبني
حنيفة : ولكن عليكم بالرجال ، إذا فته من المسلمين قد تدامروا بينهم فتفانوا
وتفانى المسلمون كلتهم ، وتكلمتم رجالاً من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، وقال زيد بن الخطاب : والله لا أتكلّم أو أظفر أو أقتل ،
واصنعوا كما أصنع أنا ؛ فحمل وحمل أصحابه . وقال ثابت بن قيس : بشسما
عَوَدْتُمْ أَنْفُسَكُمْ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ! هَكَذَا عَنِّي حَتَّى أُرِيَكُمْ الْجِلَادَ . وَقُتِلَ
زيد بن الخطاب رحمه الله .

كتب إلى السري ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن مبشر ،
عن سالم ، قال : قال عمر لعبد الله بن عمر حين رجع : ألا هلكت قبل زيد !
هلك زيد وأنت حي ! فقال : قد حرصتُ على ذلك أن يكون ، ولكن نفسي
تأخرت ، فأكرمه الله بالشهادة . وقال سهل : قال : ما جاء بك وقد هلك
زيد ؟ ألا وارىت وجهك عنى ! فقال : سأل الله الشهادة فأعطيتها ، وجهدتُ
أن تُساق إلى فلم أعطها .

١٩٤٦/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة بن الأعلم ،
عن عبيد بن عمير : إن المهاجرين والأنصار جبنوا أهل البوادي وجبنهم
أهل البوادي ، فقال بعضهم لبعض : امتازوا كي نستحيًا من الفرار اليوم ،
ونعرف اليوم من ابن نؤي ! ففعلوا . وقال أهل القرى : نحن أعلم بقتال أهل
القرى يا معشر أهل البادية منكم ، فقال لهم أهل البادية : إن أهل القرى
لا يحسنون القتال ، ولا يدرون ما الحرب ! فسترونا إذا امترنا^(١) من أين يجيء
الخلل ! فامتازوا ، فما رنى يوم كان أحد ولا أعظم نكابة مما رنى يومئذ ؛
ولم يدّر أى الفريقين كان أشدّ فيهم نكابة ! إلا أن المصيبة كانت في
المهاجرين والأنصار أكثر منها في أهل البادية ، وأن البقية أبدًا في الشدة .
ورمى عبد الرحمن بن أبي بكر المحكمّ بسهم فقتله وهو يخطب ، فنحره

١٩٤٧/١

(١) كذا في ب ، وفي ط : « امتزعا » .

وقتل زيد بن الخطاب الرجّال بن عنفة .

كتب إلى المرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الضحاك بن يربوع ، عن أبيه ، عن رجل من بني سحيم قد شهدا مع خالد ، قال : لما اشتدّ القتال - وكانت يومئذ سجّالا إنّما تكون مرة على المسلمين ومرة على الكافرين - فقال خالد : أيها الناس امتازوا ^(١) لنعلّم بلاء كلّ حيّ ، ولنعلّم من أين نؤتى ! فامتاز أهل القرى والبادى ، وامتازت القبائل من أهل البادية وأهل الحاضر ؛ فوقف بنو كلّ أب على رايتهم ، فقاتلوا جميعاً ، فقال أهل البوادي يومئذ : الآن يستحرّ القتل في الأجزع الأضعف ، فاستحرّ القتل في أهل القرى ، وثبت مسيلمة ، ودارت رحاهم عليه ، فعرف خالد أنّها لا تركد إلا بقتل مسيلمة ؛ ولم تحفل بنوحيفة بقتل من قتل منهم . ثم برز خالد ، حتى إذا كان أمام الصفّ دعا إلى البراز وانتمى ، وقال : أنا ابن الوليد العود ، أنا ابن عامر وزيد ! . ونادى بشعارهم يومئذ ، وكان شعارهم يومئذ : يا محمداه ! فجعل لا يبرز له أحدٌ إلا قتله ، وهو يرتجز :

أنا ابنُ أشياخٍ وسيفي السّختُ
أعظمُ شيءٍ حين يأتيك النّفتُ

ولا يبرز له شيءٌ إلا أكله ، ودارت رحا المسلمى وطحنت . ثم نادى خالد حين دنا من مسيلمة - وكان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قائلاً : إن ^{١٩٤٨/٤} مع مسيلمة شيطاناً لا يعصيه ، فإذا اعتراه أزعجه كأنّ شدة فيه زبيبتان لا يهمن بخير أبداً إلا صرفه عنه ، فإذا رأيتم منه عورة ؛ فلا تقيلوه العشرة - فلما دنا خالد منه طلب تلك ، وراه ثابتاً ورحاهم تدور عليه ؛ وعرف أنّها لا تزول إلا بزواله ، فدعا مسيلمة طلباً لعورته ، فأجابه ، فعرض عليه أشياء ممّا يشتهي مسيلمة ، وقال : إن قبيلنا النصف ، فأى الأنصاف تعطينا ؟ فكان إذا همّ بجوابه أعرض بوجهه مستشيراً ^(٢) ، فبينها ^(٣) شيطانه أن

(١) امتازوا ، أى تفرقوا وانفصلوا .

(٢) ب : « مستشيراً » ، ابن الأثير : « ليستشير شيطانه » .

(٣) ز : « فيها » .

يقبل ، فأعرض^(١) بوجهه مرة من ذلك ، وركبه خالد فأرهقه فأدبر ، وزالوا فدمر خالد الناس ، وقال : دونكم لا تقيلوهم ! وركبهم فكانت هزيمتهم ؛ فقال مسيلمة حين قام ، وقد تطاير الناس عنه ، وقال قائلون : فأين ما كنت تعدنا ؟ فقال : قاتلوا عن أحسابكم ، قال : ونادى المحكم : يا بني حنيفة ؛ الحديقة الحديقة ! ويأتى وحشى على مسيلمة وهو مزبذمتساند لا يعقل من الغيظ ، فخرط عليه حربته فقتله ، واقتحم الناس عليهم حديقة الموت من حيطانها وأبوابها ، فقتل في المعركة ، وحديقة الموت عشرة آلاف مقاتل .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن هارون ، وطلحة ، عن عمرو بن شعيب وابن إسحاق أنهم لما امتازوا وصبروا ، وانحازت بنو حنيفة تبعهم المسلمون يقتلونهم ؛ حتى بلغوا بهم إلى حديقة الموت ، فاختلفوا في قتل مسيلمة عندها ، فقال قائلون : فيها قتل ، فدخلوها وأغلقوها عليهم ، وأحاط المسلمون بهم وصرخ البراء بن مالك ، فقال : يا معشر المسلمين ، احمِلوني على الجدار حتى تطرحوني عليه ؛ ففعلوا حتى إذا وضعوه على الجدار نظر وأرعد فنادى : أنزلوني ، ثم قال : احمِلوني ؛ ففعل ذلك مراراً ثم قال : أف لهذا خشياً ! ثم قال : احمِلوني ، فلما وضعوه على الحائط اقتحم عليهم ، فقاتلهم على الباب حتى فتحه للمسلمين وهم على الباب من خارج فدخلوا ؛ فأغلق الباب عليهم ، ثم رمى بالمفتاح من وراء الجدار ، فاقتلوا قتالا شديداً لم يروا مثله ، وأببر^(٢) من في الحديقة منهم ؛ وقد قتل الله مسيلمة ، وقالت له بنو حنيفة : أين ما كنت تعدنا ! قال : قاتلوا عن أحسابكم !

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن هارون وطلحة وابن إسحاق ، قالوا : لما صرخ الصارخ أن العبد الأسود قتل مسيلمة ؛ خرج

(١) ب : « فاعترض » .

(٢) أبير : أمك .

خالد بمجاعة يرسف في الحديد ليبريته مسيلمة ، وأعلام جنده ، فأتى على الرجال فقال : هذا الرجال !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
 لما فرغ المسلمون من مسيلمة أتى خالد فأخبر ، فخرج بمجاعة
 يرسف معه في الحديد ليبدله على مسيلمة ، فجعل يكشف له القتلى حتى
 مر بمحكّم بن الطّفيل - وكان رجلاً جسيماً وسيماً - فلما رآه خالد ،
 قال : هذا صاحبكم . قال : لا ، هذا والله خير منه وأكرم ، هذا محكّم
 اليمامة . قال : ثم مضى خالد يكشف له القتلى حتى دخل الحديقة ،
 فقلب له القتلى ؛ فإذا رويجبل أصيفر أخينس^(١) . فقال مجاعة : هذا
 صاحبكم ، قد فرغتم منه ، فقال خالد لمجاعة : هذا صاحبكم الذي
 فعل بكم ما فعل ، قال : قد كان ذلك يا خالد ، وإنه والله ما جاءك إلا
 سرعان^(٢) الناس ؛ وإن جماهير الناس لفي الحصون^(٣) . فقال : ويحك
 ما تقول ! قال : هو والله الحق ؛ فهلم لأصالحك^(٤) على قومي .

١٩٥٠/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الضحاك ، عن أبيه ،
 قال : كان رجل من بني عامر بن حنيفة يدعى الأغلب بن عامر بن حنيفة ،
 وكان أغلظ أهل زمانه عنقاً ؛ فلما انهزم المشركون يومئذ ، وأحاط المسلمون
 بهم ، تَمَاوَتَ ، فلما أثبت المسلمون في القتلى أتى رجل من الأنصار يكنى
 أبا بصيرة ومعه نفر عليه ، فلما رآه مُجَدَّلاً في القتلى وهم
 يحسونه قتيلاً ، قالوا : يا أبا بصيرة ، إنك تزعم - ولم تزل تزعم - أن
 سيفك قاطع ، فاضرب عنق هذا الأغلب الميت ، فإن قطعته فكل شيء كان
 يبلغنا حقاً ، فاخرطه ثم مشى إليه ولا يروونه إلا ميتاً ، فلما دنا منه ثار ،

(١) الأخينس : تصغير الأخنس ، والخنس : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأرنبة .

(٢) سرعان الناس ، بالتحريك ويخفف : أوائلهم المستبقون إلى الأمر .

(٣) ز : في الحصون .

(٤) ز : فلأصالحك .

فحاضره^(١) ، واتَّبعه أبو بصيرة ، وجعل يقول : أنا أبو بصيرة الأنصاري !
وجعل الأغلب يتمطر^(٢) ولا يزداد منه إلا بُعداً ؛ فكلَّمَا قال ذلك أبو بصيرة ،
قال الأغلب : كيف ترى عدوَّ أخيك الكافر ! حتى أفلت .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن
القاسم بن محمد ، قال : لمَّا فرغ خالد من مُسَيْلِمة والهند ، قال له عبد الله
ابن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر : ارتحل بنا وبالنَّاس فانزل على الحصون ،
فقال : دعاني أبثَّ الخيولَ فألقط^(٣) من ليس في الحصون ، ثم أرى رأبي .
فبثَّ الخيولَ فحَوَّوا ما وجدوا من مال ونساء وصبيان ، فضمُّوا هذا إلى العسكر ،
ونادى بالرحيل لينزل على الحصون ، فقال له مجاعة : إنَّه والله ما جاءك إلا
سرعان الناس ، وإنَّ الحصون لملوذة رجالات ، فهلمَّ لك إلى الصُّلح على
ما ورائي ، فصالحه على كلِّ شيء دون النفوس . ثم قال^(٤) : أنطلق إليهم
فأشاورهم وننظر في هذا الأمر ؛ ثم أرجع إليك . فدخل مجاعة الحصون ،
وليس فيها إلا النساء والصبيان ومشِيخة فانية ، ورجال ضبغى^(٥) فظاهر
الحديد على النساء وأمرهن أن ينشرن^(٦) شعورهن ، وأن يُشرفن على رؤوس
الحصون حتى يرجع إليهن ؛ ثم رجع فأتى خالدًا فقال : قد أبوا أن يُجيزوا
ما صنعتُ ، وقد أشرف لك^(٧) بعضهم نقضًا على وهم مني برآء . فنظر
خالد إلى رؤوس الحصون وقد اسودَّت ، وقد نهكت المسلمين الحرب ،
وطال اللقاء ؛ وأحبُّوا أن يرجعوا على الظفَّر ، ولم يدروا ما كان كائنًا لو كان فيها
رجال وقتال^(٨) ، وقد قتل من المهاجرين والأنصار من أهل قصبَة المدينة يومئذ
ثلاثمائة وستون . قال سهل : ومن المهاجرين من غير أهل المدينة والتابعين بإحسان ثلاثمائة

١٩٥١/١

(١) حاضره : جالده .

(٢) ز : « فالتقط » .

(٣) س : « ضمفاه » .

(٤) ن : « لكم » .

(٥) تمطر : أسرع في عدوه ؛ وأصله في الخيل .

(٦) النويرى : « ثم قال مجاعة » .

(٧) النويرى : « بنشر » .

(٨) ب ، س : « أو قتال » .

من هؤلاء وثلاثمائة من هؤلاء ؛ ستمائة أويزييون . وقتل ثابت بن قيس يومئذ ؛ قتله رجل من المشركين قطعت رجله ، فرمى بها قاتله فقتله ، وقتل من بني حنيفة في الفضاء بعقرباء سبعة آلاف ، وفي حديقة الموت سبعة آلاف ؛ وفي الطلب نحو منها^(١) .

وقال خيرار بن الأزور في يوم اليمامة :

ولو سئلت عنّا جنوبُ لأخبرتُ عشيةً سألتُ عقرباءَ وملهم^(٢)
وسال بفرع الوادِ حتى ترقرقتُ حجارتهُ فيها من القومِ بالدمِ^(٣)
عشيةً لا تُغنى الرِّماحُ مكانها ولا النبلُ إلا المشرقي المصم^(٤)
فإن تبنتني الكفارَ غير مُليمةٍ جنوبُ ، فإنني تابعُ الدينِ مُسلمٍ
أجاهد إذ كان الجهادُ غنيمَةً واللهُ بالمرءِ المجاهدِ أعلمُ

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال مجاعة لخالد ما قال إذ قال له : فهلم لأصالحك عن قومي لرجل قد نهكته الحرب ، وأصيب معه من أشرف الناس من أصيب ؛ فقد رقى وأحب الدعاء والصلح . فقال : هلم لأصالحك^(٥) ، فصالحه على الصفراء والبيضاء والحلقة ونصف السببي . ثم قال : إنني آتيت القوم فأعرض عليهم ما قد صنعت . قال : فانطلق إليهم^(٦) ، فقال للنساء : التيسن الحديد ثم أشرفن على الحصون ، ففعلن . ثم رجع إلى خالد ، وقد رأى خالد الرجال فيما يرى على الحصون عليهم الحديد . فلما انتهى إلى خالد ، قال : أبوا ما صالحتك

(١) س : « مثلها » .

(٢) معجم البلدان ٦ : ١٩٤ .

(٣) في البيت إقواء .

(٤) المصم من السيوف : الذي يمر في العظام .

(٥) ز : « أصالحك » .

(٦) ز : « قال القوم » .

ليلاً ، فعمد إلى عسكر خالد ، فصاح به الحرس^(١) ، وفزعت بنو حنيفة ، فاتبعوه فأدركوه في بعض الحوائط ، فشدّ عليهم بالسيف ؛ فاكتفوه بالحجارة ، وأجال السيف على حلقة فقطع أوداجه ، فسقط في بئر فمات .

كتب إلى المرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الضحّاك بن يربوع ، عن أبيه ، قال : صالح خالد بن حنيفة جميعاً إلا ما كان بالعرض والقريّة فإنهم سبوا عند انبثاث الغارة ، فبعث إلى أبي بكر ممّن جرى عليه القمّم بالعرض والقريّة من بني حنيفة أو قيس بن ثعلبة أو يشكر ، خمسمائة رأس .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثمّ إن خالدًا قال لمجاعة : زوّجني ابنتك ، فقال له مجاعة : مهلاً ، إنك قاطع ظهري وظهرك معي عند صاحبك . قال : أيها الرجل ، زوّجني ؛ فزوجه ؛ فبلغ ذلك أبا بكر ، فكتب إليه كتاباً يقطر الدم : لعمري يا بن أم خالد ، إنك لفارغ تنكح النساء وبفناء بيتك دم ألف ومائتي رجل من المسلمين لم يجفف بعد ! قال : فلما نظر خالد في الكتاب جعل يقول : هذا عمل الأعيسر - يعني عمر بن الخطاب - وقد بعث خالد بن الوليد وفداً من بني حنيفة إلى أبي بكر ، فقدّموا عليه ، فقال لهم أبو بكر : وَيَحْكُم ! ما هذا الذي استزلّ منكم ما استزلّ ! قالوا : يا خليفة رسول الله ؛ قد كان الذي بلغك ممّا أصابنا كان أمراً لم يبارك الله عزّ وجلّ له ولا لعشيرته فيه ، قال : على ذلك^(٢) ، ما الذي دعاكم به ! قالوا : كان يقول : « يا ضفدع نقى نقى ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكدرين ؛ لنا نصف الأرض . ولقريش^(٣) نصف الأرض ؛ ولكن قريشاً قوم يعتدون . »

قال أبو بكر : سبحان الله ! ويحكم ! إن هذا لكلام^(٤) ما خرج من إل^(٥) ولا برّ ، فأين يذهب بكم ! فلما فرغ خالد بن الوليد من الإمامة - وكان منزله الذي به التي الناس أباض ، واد من

١٩٥٧/١

(٢) ز : « ذاك » .

(٤) ز : « كلام » ، النويري : « الكلام » .

(١) ز : « الحراس » .

(٣) ز : « ولكم » .

(٥) الإل : العهد والقرابة .

أودية اليمامة . ثم تحول إلى وادي من أوديتها يقال له الوبر - كان (۱) منزله بها .

• • •

ذكر خبر

أهل البحرين وردة الحطم ومن تجمع معه بالبحرين

قال أبو جعفر : وكان فيما بلغنا من خبر أهل البحرين وارتداد من ارتد منهم ما حدثنا عبيد الله بن سعد (۲) ، قال : أخبرنا عمي يعقوب بن إبراهيم ، قال : أخبرنا سيف ، قال : خرج العلاء بن الحضرمي نحو البحرين ؛ وكان من حديث البحرين أن النبي صلى الله عليه وسلم والمنذر بن ساوى اشتكيا في شهر واحد ، ثم مات المنذر بعد النبي صلى الله عليه وسلم بقليل ، وارتد بعده أهل البحرين ، فأما عبد القيس ففأت ، وأما بكر فتمت على ردتها ؛ وكان الذي ثنى عبد القيس الجارود حتى فاءوا (۳) .

۱۹۵۸/۱

حدثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا عمي ، قال : أخبرنا سيف ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن بن أبي الحسن ، قال : قدم الجارود بن المعلّى على النبي صلى الله عليه وسلم مرتاداً ، فقال : أسلم يا جارود ، فقال : إن لي ديناً ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم : إن دينك يا جارود ليس بشيء ، وليس بدين ؛ فقال له الجارود : فإن أنا أسلمت فما كان من تبعه في الإسلام فعليك ؟ قال : نعم . فأسلم ومكث بالمدينة حتى فقه (۴) . فلما أراد الخروج ، قال : يا رسول الله ، هل نجد (۵) عند أحد منكم ظهراً نتبلغ (۶) عليه ؟ قال : ما أصبح عندنا ظهر ، قال : يا رسول الله ؛ إننا

(۱) كذا في س ، وفي ط : « وكان » .

(۲) كذا في الأغاني ؛ وفي ط : « عبيد الله بن سعيد » ، وانظر تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد .

(۳) الخبر في الأغاني ۱۵ : ۲۵۵ (دار الكتب) . وروايته : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات ارتدوا ، ففأت عبد القيس منهم ، وأما بكر فتمت على ردتها ، وكان الذي ثنى عبد القيس الجارود بن علي » .

(۴) الخبر إلى هنا في الأغاني ۱۵ : ۲۵۶ .

(۵) ب : « ما نجد » .

(۶) ب : « يتبلغ عليه » .

نَجِدُ بِالطَّرِيقِ ضَوَّالَ مِنْ هَذِهِ الضُّوَالِ ، قَالَ : تِلْكَ حَرَقُ النَّارِ ، فَمَا يَأْكُ
وَأَيَّاهَا . فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى قَوْمِهِ دَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَجَابُوهُ كُلُّهُمْ ، فَلَمْ يَلْبِثْ
إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى مَاتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَتْ عَبْدِ الْقَيْسِ : لَوْ كَانَ
مُحَمَّدٌ نَبِيًّا لَمَا مَاتَ ، وَارْتَدَوْا ، وَبَلَغَهُ ذَلِكَ فَبَعَثَ فِيهِمْ فَجَمَعَهُمْ ، ثُمَّ قَامَ
فَخَطَبَهُمْ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ عَبْدِ الْقَيْسِ ؛ إِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِ فَأَخْبَرُونِي بِهِ
إِنْ عَلِمْتُمُوهُ وَلَا تَجِيبُونِي إِنْ لَمْ تَعْلَمُوهُ^(١) . قَالُوا : سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ ، قَالَ : تَعْلَمُونَ^(٢)
أَنَّهُ كَانَ لِلَّهِ أَنْبِيَاءٌ فِيمَا مَضَى ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : تَعْلَمُونَهُ^(٣) أَوْ تَرُونَهُ ؟
قَالُوا : لَا بَلِ نَعْلَمُهُ ، قَالَ : فَمَا فَعَلُوا ؟ قَالُوا : مَاتُوا ، قَالَ : فَإِنْ مُحَمَّدًا صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاتَ كَمَا مَاتُوا ، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ ، قَالُوا : وَنَحْنُ نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ؛ وَأَنْتَ^(٤)
سَيِّدُنَا وَأَفْضَلُنَا . وَثَبَتُوا عَلَى إِسْلَامِهِمْ ، وَلَمْ يَبْسُطُوا وَلَمْ يُبْسِطْ إِلَيْهِمْ وَخَلَّتْ
بَيْنَ سَائِرِ رِبِيعَةَ وَبَيْنَ الْمَنْذَرِ وَالْمُسْلِمِينَ ، فَكَانَ الْمَنْذَرُ مُشْتَغَلًا بِهِمْ حَيَاتِهِ ،
فَلَمَّا مَاتَ الْمَنْذَرُ حُصِرَ أَصْحَابُ الْمَنْذَرِ فِي مَكَانِينَ حَتَّى تَنقَضَهُمُ^(٥) الْعَلَاءُ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَأَمَّا ابْنُ إِسْحَاقَ فَإِنَّهُ قَالَ فِي ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ ابْنُ
حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ عَنْهُ ، قَالَ : لَمَّا فَرَّغَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنَ الْيَمَامَةِ
بَعَثَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ . وَكَانَ الْعَلَاءُ هُوَ
الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ إِلَى الْمَنْذَرِ بْنِ سَاوِي
الْعَبْدِيِّ ، فَأَسْلَمَ الْمَنْذَرُ ، فَأَقَامَ بِهَا الْعَلَاءُ أَمِيرًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَمَاتَ الْمَنْذَرُ بْنُ سَاوِي بِالْبَحْرَيْنِ بَعْدَ مَتَوَفَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَكَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ بْنِ بَعْضَانَ ، فَتَوَفَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَمْرُو بْنُ
فَأَقْبَلَ عَمْرُو ، فَمَرَّ بِالْمَنْذَرِ بْنِ سَاوِي وَهُوَ بِالْمَوْتِ^(٦) فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ الْمَنْذَرُ لَهُ :

(١) ز : « تعلموه » .

(٢) س : « أتعلمون » .

(٣) س : « أتعلمونه » .

(٤) ز : « وأنت » .

(٥) النويري : « أفقدهم » .

(٦) ز : « في الموت » .

۱۹۶۰/۱ کم کان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعل للميت من المسلمين من ماله عند وفاته ؟ قال عمرو : فقلت له : كان يجعل له الثلث ؛ قال : فما ترى لى أن أصنع في ثلث مالى ؟ قال عمرو : فقلت له : إن شئت قسمتته في أهل قرابتك ، وجعلته في سبيل الخير ؛ وإن شئت تصدقت به فجعلته صدقة محرمة تجرى من بعلك على من تصدقت به عليه . قال : ما أحب أن أجعل من مالى شيئاً محرماً كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحامى^(۱) ولكن أقسمه ، فأنفذه على من أوصيت به له يصنع به ما يشاء .

قال : : فكان عمرو يعجب لها^(۲) من قوله . وارتدت ربيعة بالبحرين فيمن ارتدت من العرب ، إلا الجارود بن عمرو بن حنش بن معلّى ؛ فإنه ثبت على الإسلام ومن معه من قومه ، وقام حين بلغته وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتداد العرب ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأكفر من لا يشهد . واجتمعت ربيعة بالبحرين وارتدت ، فقالوا : نرد الملك^(۳) في آل المنذر ، فلكوا المنذر بن النعمان بن المنذر ، وكان يسمى الغرور ، وكان يقول حين أسلم وأسلم الناس وغلبهم السيف : لست بالغرور ؛ ولكنى المغرور^(۴)

حدثنا عبید الله بن سعد ، قال : أخبرنا عمى ، قال : أخبرنا سيف ،

(۱) هو ما تضمنته الآية الكريمة : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ

وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ قال الزمخشري : « كان أهل الجاهلية إذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنبا ، أى شقوها وحرموها ركوبها ، ولا تطرد عن ماء ولا مرعى ، وإذا لقيها المعبي لم يركبها ، واسمها البحيرة . وكان يقول الرجل : إذا قدمت من سفرى أو برئت من مرضى فناقنى سائبة ، وجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها . وقيل : كان الرجل إذا أعتق عبداً قال : هو سائبة ، فلا عقل بينهما ولا ميراث وإذا ولدت الشاة أنثى فهى لهم ، وإن ولدت ذكراً فهو لآلئهم ، فإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا : وصلت أخاها ، فلم يذبحوا الذكر لآلئهم ، وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا : قد حى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ، ولا يمنع من ماء ولا مرعى . »

(۲) س : « بها » .

(۳) الأغاني : « ردوا » .

(۴) الأغاني ۱۵ : ۲۵۶ (طبعة دارالكتب) .

عن إسماعيل بن مسلم ، عن عُمَيْرِ بْنِ فُلانِ العَبْدِيِّ ، قال : لَمَّا مات
النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ الحُطَمُ بْنُ ضُبَيْعَةَ أَخُو بَنِي قَيْسِ بْنِ
ثَعْلَبَةَ فِيمَنْ (١) اتَّبَعَهُ مِنْ بَكْرِ بْنِ وائِلٍ عَلَى الرَّدَّةِ ، وَمَنْ نَاشَبَ (٢) إِلَيْهِ
مِنْ غَيْرِ المُرْتَدِّينَ مِمَّنْ لَمْ يَزَلْ كَافِرًا ، حَتَّى نَزَلَ القَطِيفَ وَهَجَرَ ، وَاسْتَفْوَى
الْحَطَّ وَمِنْ فِيهَا مِنَ الزُّطِّ وَالسِّيَابِجَةِ ، وَبَعَثَ بَعْثًا إِلَى دَارِينَ ، فَأَقَامُوا لَهُ
لِيَجْعَلَ عَبْدَ القَيْسِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، وَكَانُوا مُخَالَفِينَ لَهُمْ ، يَمْدُونُ المُنْذِرَ وَالمُسْلِمِينَ ؛
وَأرْسَلَ إِلَى الغَرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ ، أَخِي النِّعْمَانَ بْنِ المُنْذِرِ ؛ فَبَعَثَهُ إِلَى جُوَائِي ،
وَقَالَ : اثْبِتْ ، فَإِنِّي إِنْ ظَفَرْتُ مَلَكَكَ بِالمُحَرِّينَ حَتَّى تَكُونَ كَالنِّعْمَانَ
بِالمُحِيرَةِ (٣) . وَبَعَثَ إِلَى جُوَائِي ، فَحَصَرَهُمْ وَأَلْحَوْا عَلَيْهِمْ (٤) فَاشْتَدَّ عَلَى المَحْصُورِينَ
المَحْصَرُ (٥) . وَفِي المُسْلِمِينَ المَحْصُورِينَ رَجُلٌ مِنْ صَالِحِ المُسْلِمِينَ يُقَالُ لَهُ
عَبْدُ اللهِ بْنِ حَدَّافٍ ؛ أَحَدُ بَنِي أَبِي بَكْرِ بْنِ كِيْلَابٍ ؛ وَقَدْ اشْتَدَّ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ
الجُوعُ حَتَّى كَادُوا أَنْ يَهْلِكُوا . وَقَالَ فِي ذَلِكَ عَبْدُ اللهِ بْنِ حَدَّافٍ :

١٩٦١/١

١٩٦٢/١

أَلَا أَبْلَغُ أَبَا بَكْرٍ رَسولًا
فَهَلْ لَكُمْ إِلَى قَوْمِ كِرَاءٍ
كَانَ دِمَاءُهُمْ فِي كُلِّ فَجٍّ
تَوَكَّلْنَا عَلَى الرَّحْمَنِ إِنَّا
وَفِتْيَانِ المَدِينَةِ أَجْمَعِينَ
قُعُودِي فِي جُوَائِي مُحْصَرِينَ!
شُعَاعُ الشَّمْسِ بِنَفْسِي النَّاظِرِينَ
وَجَدْنَا الصَّبْرَ لِمَتَوَكَّلِينَا (٥)

كُتِبَ إِلَى المَرِيِّ ، عَنْ شَعِيبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ الصَّعْبِ (٦) بْنِ عَطِيَّةِ
ابْنِ بِلَالٍ ، عَنْ سَهْمِ بْنِ مِئْجَابٍ ، عَنْ مِئْجَابِ بْنِ رَاشِدٍ ، قَالَ : بَعَثَ
أَبُو بَكْرٍ العَلَاءُ بْنُ الحَضْرَمِيِّ عَلَيَّ قِتَالَ أَهْلِ الرَّدَّةِ بِالمُحَرِّينَ ؛ فَلَمَّا أَقْبَلَ
إِلَيْهَا ؛ فَكَانَ بِجِيَالِ اليَمَامَةِ ، لِحِقِّ بِهِ ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ فِي مُسْلِمَةِ بَنِي حَنِيفَةَ

(١) الأغانى : « ومن اتبعه » .

(٢) ناشب إليه : . تجمع من هاهنا وهاهنا

(٣ - ٤) الأغانى : « وبعث إلى روائنا ، وقيل : جوائى فحاصرهم ، وألح عليهم » .

(٥) الأغانى : « فاشتد الحصار على المحصورين من المسلمين » .

(٦) الأغانى ١٥ : ٢٥٦ ، ٢٥٧ . (٦) الأغانى : « الصعب » .

من بني سُحَيْمٍ ومِنَ أهل القرى مِن سائر بني حنيفه ، وكان متلدِّداً ،
 وقد ألحق^(١) عكرمة بعمان ثم مهرة ، وأمر شُرَّحِيلَ بالمقام حيث انتهى إلى
 ١١٣/١ أن يأتيه أمرُ أبي بكر ، ثم يغاور هو وعمرو بن العاص أهل الردة من
 قُضَاعَةَ . فأما عمرو بن العاص فكان يُغاورُ سعداً وبيلاً وأمر هذا بكلِّب
 وليفتها ، فلماً دنا منّا ونحن في عُلْيَا البلادِ لم يكن أحدٌ له فرس من الرِّباب
 وعمرو بن نعيم إلاّ جنبته ، ثم استقبله ؛ فأما بنو حنظلة فإنّهم قدّموا رجلاً
 وأخروا أخرى . وكان مالك بن نؤيرة في البُطاحِ ومعه جُموع يساجلنا ونساجله .
 وكان وكيع بن مالك في القَرَعاءِ معه جموع يُساجل عمراً وعمرو يساجله ،
 وأما سعد بن زيد مناة فإنّهم كانوا فِرقتين ؛ فأما عوف والأبناء فإنّهم
 أطاعوا الزُّبْرُقَانَ بن بدر ، فثبتوا على إسلامهم وتمّوا وذَبُّوا عنه ؛ وأما المُقَاعِسُ
 والبُطُونُ فإنّهما أصاخا ولم يتابعا ؛ إلاّ ما كان من قَيْسِ بن عاصم ؛ فإنّه
 قسم الصدقات التي كانت اجتمعت إليه في المقاعس والبُطُونِ حين شخص
 الزُّبْرُقَانَ بصدقاتِ عَوْفِ والأبناء ؛ فكانت عوف والأبناء مشاغل بالمقاعس
 والبُطُونِ . فلماً رأى قيس بن عاصم ما صنعت الرِّبابِ وعمرو من تلقى العلاء
 ندِمَ على ما كان فرَطَ منه ، فتلقّى العلاءَ بإعداد ما كان قسم من الصدقات ،
 ونزع عن أمره الَّذِي كان همّ به ، واستاق حتى أبلغها إياه ، وخرج معه إلى
 ١١٤/١ قتال أهل البحرين ؛ وقال في ذلك شعراً كما قال الزُّبْرُقَانُ في صدقته حين
 أبلغها أبا بكر ؛ وكان الذي قال الزُّبْرُقَانُ في ذلك :

وَفَيْتُ بِأَذْوَادِ الرَّسُولِ وَقَدْ أَبَتْ سُعَاةٌ فَلَمْ يَرُدُّ بَعِيْرًا مُجْبِرُهَا
 مَعًا وَمَنْعَنَاهَا مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ تَرَامِي الأَعَادِي عِنْدَنَا مَا يَضِيرُهَا^(٢)
 فَأَدَيْتُهَا كَنِي لَا أَخُونَ بِذِمَّتِي مَحَانِيْقٍ لَمْ تُدْرَسْ لِرَكْبِ ظَهْوَرُهَا
 أَرَدْتُ بِهَا النَّقْوَى وَمَجْدَ حَدِيثِهَا إِذَا عُصْبَةُ سَامِي قَبِيْلِي فَخُوْرُهَا
 وَإِنِّي لَمِنْ حَى إِذَا عُدَّ سَعِيْمُ^(٣) يَرِي الْفَخْرَ مِنْهَا حَيْثُ وَقُبُوْرُهَا

(١) ز : «لحق» . (٢) ب : «ترامي» .

(٣) ز : «سعييم» .

رِزَانٌ مَرَّاسِيهَا ، عِفَافٌ صُدُورُهَا
 وَلَمْ يَثْنِ سِنِي نَبْحِهَا وَهَرِيرُهَا^(٢)
 طَعْنَتْ إِذَا مَا الْخَيْلُ شَدَّ مُفِيرُهَا
 بِمَيْثِ الَّذِي يَرْجُو الْحَيَاةَ بِضِيرُهَا^(٥)
 بِهِ خَامِلًا وَالْيَوْمَ يُثْنِي مَصِيرُهَا
 وَيَبْكِي إِذَا مَا النَّفْسُ يُوحَى ضَمِيرُهَا^(٦)

أَصَاغِرُهُمْ لَمْ يَصْرَعُوا وَكِبَارُهُمْ^(١)
 وَمِنْ رَهْطِ كَنَادٍ تَوَفَّيْتُ ذِمَّتِي^(٢)
 وَفِي مَلِكٍ قَدْ دَخَلْتُ وَفَارَسٍ^(٤)
 فَفَرَّجْتُ أَوْلَاهَا بِنَجْلٍ ثَرَّةٍ
 وَمَشْهَدٍ صِدْقٍ قَدْ شَهِدْتُ فَلَمْ أَكُنْ
 أَرَى رَهْبَةَ الْأَعْدَاءِ مِنِّي جَرَاءَةً

١٩٦٥/١

وقال قيس عند استقبال^(٧) العلاء بالصدقة :

أَلَا أُبَلِّغُكَ عَنْ قَرِيشٍ رَسَالَةً
 حَبُوتٌ بِهَا فِي الدَّهْرِ أَعْرَاضٌ مَنَقَرٌ^(٩)
 وَإِذَا مَا أَتَتْهَا بَيْنَاتُ الْوَدَائِعِ^(٨)
 وَأَيَّاسَتْ مِنْهَا كُلَّ أَطْلَسٍ طَامِعٍ^(١٠)
 وَجَدْتُ أَبِي وَالْحَالَ كَانَا بِنَجْوَةٍ
 بِقَاعٍ فَلَمْ يَخْلُلْ بِهَا مَنْ أَدْفِعُ^(١١)

فأكرمه العلاء ، وخرج مع العلاء بن عمرو وسعد الرباب مثل عسكره ،
 وسلك بنا الدهناء ؛ حتى إذا كنا في بحبُوحنا والحسنات والعزافات^(١٢)
 عن يمينه وشماله ، وأراد الله عز وجل أن يرينا آياته فنزل وأمر الناس بالنزول ،
 فنفرت الإبل في جتوف الليل ؛ فمما بقى عندنا بعير ولا زاد ولا مزاد

١٩٦٦/١

(١) ب : « يصغروا » ، س : « يصرعوا » .

(٢) ب : « كنان » ، ز : « كناز » .

(٣) ز : « نفخها » .

(٤) س : « وقبة ملك » .

(٥) ب : « بصيرها » ، ز : « نصيرها » .

(٦) ب : « وبكى » .

(٧) ب ، ز : « استقبل » .

(٨) البيتان : الأول والثاني في الأغاني ١٤ : ٧٥ (طبع دار الكتب) ، وفي س :

« إذا ما أتتهم » . وفي الأغاني : « إذا ما أتتهم مهاديات الودائع » .

(٩) الأغاني : « حبوت بما صدقت في العام منقرا » .

(١٠) يريد بالأطلس هنا الصخر الخبيث ؛ على التشبيه بالذئب .

(١١) كانا بنجوة ، أي كانا بمنجى . وفي البيت إقواء .

(١٢) المزافات : الضاربات بالدخوف .

ولا بناء إلا ذهب عليها في عرض الرمل ، وذلك حين نزل الناس ، وقبل أن يحطوا ، فما علمت جمعاً هجم عليهم من الغمّ ما هجم علينا وأوصى بعضنا إلى بعض ، ونادى منادى العلاء : اجتمعوا ، فاجتمعنا إليه ، فقال : ما هذا الذي ظهر فيكم وغلب عليكم ؟ فقال الناس : وكيف نلام ونحن إن بلغنا غداً لم تحمّ شمسُه حتى نصير حديثاً ! فقال : أيها الناس ؛ لاتراعوا ، أَلَسْتُمْ مسلمين ! أَلَسْتُمْ في سبيل الله ! أَلَسْتُمْ أنصار الله ! قالوا : بلى ، قال : فأبشروا ؛ فوالله لا يتخذُ اللهُ مَنْ كان في مثل حالكم . ونادى المنادى بصلاة الصبح حين طلع الفجر فصلّى بنا ، ومنّا المتيمّم ، ومنّا من لم يزل على طهوره ؛ فلما قضى صلاته جثا لركبتيه وجثا للناس ، فنصب^(۱) في الدعاء ونصبوا معه ؛ فلمع لم سراب الشمس ؛ فالتفت إلى الصّف ، فقال : رائد ينظر ما هذا ؟ ففعل ثم رجع ، فقال : سراب ، فأقبل على الدعاء ، ثم لمع لم آخر فكذلك ، ثم لمع لم آخر ، فقال : ماء ، فقام وقام الناس ، فشيننا إليه حتى نزلنا عليه ، فشربنا واغتسلنا ، فما تعالى النهار حتى أقبلت الإبل تُكْرَدُ^(۲) من كلّ وجه ، فأناخت إلينا ، فقام كلّ رجل إلى ظهره ، فأخذه ، فما فقدنا سِلْكاً^(۳) . فأرويناها وأسقيناها العكّل بعد النهل ؛ وتروينا ثم تروحنا - وكان أبو هريرة رقيقى - فلما غيبنا عن ذلك المكان ، قال لى : كيف علمك بموضع ذلك الماء ؟ فقلت : أنا من أهدى العرب^(۴) بهذه البلاد قال : فكُنْ^(۵) معى حتى تقيمتى عليه ، فكررتُ به ، فأتيت به^(۶) على ذلك المكان بعينه ؛ فإذا هو لا غدیرَ به ، ولا أثر للماء ، فقلت له : والله لولا أنى لا أرى الغدير لأخبرتكَ أن هذا هو المكان ؛ وما رأيت بهذا المكان ماءً ناقعاً قبل^(۷) اليوم ؛ وإذا إداوة مملوءة ، فقال : يا أبا سهم^(۸) ، هذا والله المكان ؛

(۱) نصب في الدعاء ينصب ؛ إذا تعب فيه واجتهد . (۲) الكرد : الطرد .

(۳) السلك : جمع سلكة ؛ وهو الخيط الذي يخاط به الثوب .

(۴) الأغانى : « أنا أهدى الناس » .

(۵) الأغانى : « فكر معى » .

(۶) الأغانى : « فأناخت على ذلك المكان » .

(۷) الأغانى : « وما رأيت بهذا المكان ماء قبل ذلك » .

(۸) الأغانى : « يا سهم » .

ولهذا رجعت ورجعت بك . وملاّت^(١) إداوتى ثم وضعتها على شفيره^(٢) ، فقلت :
 إن كان منّا من المنّ وكانت آية عرفتها ؛ وإن كان غيائثاً عرفته ؛ فإذا منّ
 من المنّ ، فحمد الله ، ثم سيرنا حتى نزل هجر . قال : فأرسل العلاء
 إلى الجارود ورجل آخر أن انضما في عبد القيس حتى تنزلا على الحطم ممّا
 يليكما ؛ وخرج هو فيمن جاء معه وفيمن قدم عليه ؛ حتى ينزل عليه ممّا
 يلي هجر ، وتجمع المشركون كلهم إلى الحطم إلا أهل دارين ،
 وتجمع المسلمون كلهم إلى العلاء بن الحضرمي ، وخذق المسلمون والمشركون ،
 وكانوا يترأفون القتال ويرجعون إلى خندقهم ؛ فكانوا كذلك شهراً ؛ فبينما
 الناس ليلة إذ سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاء شديدة ؛ كأنها
 ضوضاء هزيمة أو قتال ، فقال العلاء : منّ يأتينا بخبر القوم ؟ فقال عبد الله
 ابن حذاف : أنا آتيكم بخبر القوم - وكانت أمه عجيلية - فخرج حتى
 إذا دنا من خندقهم أخذوه ، فقالوا له : من أنت ؟ فانتسب لهم ، وجعل
 ينادى : يا أبجراه ! فجاء أبجر بن بجر ، فعرفه فقال : ما شأنك ؟
 فقال : لا أضيعنّ [الليلة]^(٣) بين اللهازم ! علام أقتل وحول عساكر من
 عجل وتيمم اللات وقيس وعنزرة ! ابتلاع بي الحطم ونزاع القبائل وأنتم
 شهود ! فتخلّصه ، وقال : والله إنني لأظنك بش ابن الأخت لأخوالك
 الليلة ! فقال : دعني من هذا وأطعمني ؛ فإني قد مت جوعاً . فقرب له
 طعاماً ؛ فأكل ثم قال : زودني واحمليتي وجوزني أنطلق إلى طيبي .
 ويقول ذلك لرجل قد غلب عليه الشراب ، ففعل وحمّله على بعير ، وزوده
 وجوزه ؛ وخرج عبد الله بن حذاف حتى دخل عسكر المسلمين ، فأخبرهم
 أن القوم سكارى ، فخرج المسلمون عليهم حتى اقتحموا عليهم عسكرهم ،
 فوضعوا السيوف فيهم حيث شاءوا ، واقتحموا الخندق هرباً ، فتردّ ، وناج
 ودهش ، ومقتول أو مأسور ، واستولت المسلمون على ما في العسكر ؛ لم يفلت

١٩٦٨/١

١٩٦٩/١

(١) كذا في ز والأغانى وابن الأثير ، وفي ط : « ملأت » بدون الواو .

(٢) الأغانى : « شفير الوادي » .

(٣) من الأغانى .

رجلٍ إلا بما عليه ، فأما أبجر فأقلت ، وأما الحطيم فإنه بتعل (١) ودُهِش ،
 وطار فواده ، فقام إلى فرسه والمسلمون خلالهم بجوسونهم - ليركبته ، فلما وضع
 رجله في الركاب انقطع به ، فرّ به عفيف بن المنذر أحد بني عمرو بن
 تميم ، والحطيم يستغيث ويقول : ألا رجلٌ من بني قيس بن ثعلبة يتعقلني !
 فرفع صوته ، فعرف صوته ، فقال : أبو ضبيعة ! قال : نعم ، قال : أعطني
 رجلك أعقلك ، فأعطاه رجله يعقله ، فنفتحها فأطنها (٢) من الفخذ ،
 وتركه ، فقال : أجهز عليّ ، فقال : إني أحبّ ألا تموت حتى أمضك .
 - وكان مع عفيف عدة من ولد أبيه ، فأصيبوا ليلتئذ - وجعل الحطيم لا يمرُّ به
 في الليل أحدٌ من المسلمين إلا قال : هل لك في الحطيم أن تقتله ؟ ويقول :
 ذاك لمن لا يعرفه ، حتى مرّ به قيس بن عاصم ، فقال له ذلك ، فقال عليه
 فقتله ، فلما رأى فخذَه نادرة (٣) ، قال : واسواتاه ! لو علمت الذي به لم
 أحرّكه ، وخرج المسلمون بعد ما أحرزوا الخندق على القوم يطلبونهم ،
 فاتبعوهم ، فلحق قيس بن عاصم أبجر - وكان فرس أبجر أقوى من فرس
 قيس - فلما خشى أن يفوته طعنه في العرقوب فقطع العصب ، وسلم
 النساء ؛ فكانت رادة ، وقال عفيف بن المنذر :

فإن يرقاً العرقوبُ لا يرقاً النساءُ وما كلُّ من يهوى بذلك عالمٌ (٤)

ألم ترّ أنا قد قللنا حماتهمُ بأسرةِ عمرو والربابِ الأكارمِ (٥)

وأسرَ عفيف بن المنذر الغرور بن سويد (٦) ، فكلّمته الرباب فيه ،
 وكان أبوه ابن أخت التميم (٧) ، وسأله أن يُجيره ، فقال للعلاء : إني قد
 أجرت هذا ، قال : ومن هذا ؟ قال : الغرور ، قال : أنت غررت
 هؤلاء ، قال : أيتها الملك ، إني لستُ بالغرور ؛ ولكنني المغرور ، قال :

(١) بعل : دهش وخاف فلم يدر ما يصنع .

(٢) نفعه بالسيف : تناوله به . أطها : قطعها .

(٣) نادرة : ساقطة .

(٤) الأغاني : وما كل من تلقى بذلك عالم .

(٥) في البيت إقواء .

(٦) بعدها في الأغاني : وابن أخي النعمان بن المنذر . (٧) الأغاني : وكان ابن أختهم .

أسلم ، فأسلم وبقى بهجر ، وكان اسمه الغرور ، وليس بلقب ؛ وقتل عفيف المنذر بن سويد بن المنذر ، [أخوا الغرور لأمه ^(١)] ، وأصبح العلاء قسم الأنفال ، ونقل رجالاً من أهل البلاء ثياباً ، فكان فيمن نقل عفيف بن المنذوقيس بن عاصم وثامة بن أثال ؛ فأما ثامة فنقل ثياباً فيها خميسة ^(٢) ذات أعلام ، كان الحطيم يباهى فيها ، وباع الثياب . وقصد عظيم الفلّال لدارين ^(٣) ، فركبوا فيها السفن ، ورجع الآخرون إلى بلاد قومهم ؛ فكتب العلاء بن الحضرمي إلى من أقام على إسلامه من بكر بن وائل فيهم ، وأرسل إلى عتيبة بن النّهّاس وإلى عامر بن عبد الأسود بلزوم ما هم عليه والعودة لأهل الردة بكل سبيل ، وأمر ميسماً بمبادرتهم ، وأرسل إلى خصفة التميمي والمثنى بن حارثة الشيباني ، فأقاموا لأولئك بالطريق ، فمنهم من أناب ، فقبلوا منه واشتملوا عليه ؛ ومنهم من أبي ولج فنع من الرجوع ، فرجعوا عودتهم على بلثم ؛ حتى عبروا إلى دارين ، فجمعهم الله بها ، وقال في ذلك رجل من بني ضبيعة بن عجل ، يدعى وهبا ، يعير من ارتد من بكر بن وائل :

ألم تر أن الله يسبك خلقه فيخبث أقوام ويصفو مفسر
لحي الله أقواماً أصيبوا بمحنة ^(٤) أصابهم زيد الضلال ومعر !

ولم يزل العلاء مقيماً في عسكر المشركين حتى رجعت إليه الكتب من عند من كان كتب إليه من بكر بن وائل ، وبلغه عنهم القيام بأمر الله ، والغضب لدينه ، فلما جاءه عنهم من ذلك ما كان يشتهي ، أيقن أنه لن يوتى من خلفه بشيء يكرهه على أحد من أهل البحرين ، وندب الناس إلى دارين ، ثم جمعهم فخطبهم ، وقال : إن الله قد جمع لكم أحزاب الشياطين وشرد الحرب ^(٥) في هذا البحر ^(٦) ؛ وقد أراكم من آياته في البر لتعتبروا بها

(١) من الأغاني .

(٢) الخميسة : كساء أسود له علمان .

(٣) الأغاني : « وهرب الفل إلى دارين » .

(٤) ب : « بجمة » .

(٥) الأغاني : « وشذاذ الحرب » .

(٦) الأغاني : « في هذا اليوم » .

فك البحر ، فانهضوا إلى عدوكم ، ثم استعريضوا البحر إليهم ، فإن الله قد جمعهم ، فقالوا : تفعل ولا نهاب والله بعد الدّ هناه هتولا ما بقينا .

فارتحل وارتحلوا ، حتى إذا أتى ساحل البحر اقتحموا على الصّاهل^(١) ، والجامل^(٢) ، والشاحج^(٣) والنّاهق ؛ والراكب^(٤) والراجل^(٥) ، ودعا ودعوا ؛ وكان دعاؤه ودعاؤهم : يا أرحم الراحمين ، يا كريم ، يا حليم ، يا أحد ، يا صمد يا حيّ يا محيي الموتى ، يا حيّ يا قيوم ، لا إله إلا أنت يا ربنا . فأجازوا ذلك الخليج بإذن الله جميعاً يمشون على مثل رملة ميثاء ، فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل ، وإنّ ما بين الساحل ودارين مسيرة يوم وليلة لسفن البحر في بعض الحالات ، فالتقوا بها ، واقتتلوا قتالا شديداً ، فما تركوا بها مخبراً^(٥) وسبوا الذراري ، واستاقوا الأموال ؛ فبلغ نقل الفارس ستة آلاف ، والراجل ألفين ، قطعوا ليلهم وساروا يومهم ؛ فلما فرغوا رجعوا عودهم على بلدتهم حتى عبروا ، وفي ذلك يقول عفيف بن المنذر :

ألم تر أنّ الله ذلّ بحرّه وأنزل بالكفّار إحدى الجلائل !
دعونا الذي شقّ البحار فجاءنا بأعجب من فلق البحار الأوائل^(٦)

ولمّا رجع العلاء إلى البحرين ، وضرب الإسلام فيها بجيرانه ، وعزّ الإسلام وأهله ، وذلّ الشرك وأهله ؛ أقبل الذين في قلوبهم ما فيها على الإرجاف ، فأرجف مرجفون ، وقالوا : هاذاك مفروق ، قد جمع رهطه . شيبان وتغلب والنمير ، فقال لهم أقوام من المسلمين : إذا تشغلهم عنا اللّهآزم - واللّهآزم يومئذ قد استجمع أمرهم على نصر العلاء وطابقوا . وقال عبد الله

(١) الصاهل : الفرس ؛ والصبيل صوته .

(٢) الجامل : القطيع من الإبل .

(٣) الشاحج : البغل ، والشحيج : صوته .

(٤) عبارة الأغاني : « فارتحل وارتحلوا حتى أتى ساحل البحر ؛ فاقتموا على الخيل ؛ هم والحمولة

والإبل والبغال ، الراكب والراجل » .

(٥) مخبراً ، أي أحداً يخبر بما كان ؛ يريد أنهم استأصلوهم .

(٦) الأغاني : « من شقّ البحار »

ابن حذاف في ذلك :

لا تُوعِدونا بمفروق وأسرته

وإن ذا الحلي من بكر وإن كثروا

فالتخل ظاهره خيل وباطنه

وأقفل^(١) العلاء بن الحضرمي الناس ، فرجع الناس إلا من أحب المقام ،

فقفلنا وقفل ثمامة بن أثال ؛ حتى إذا كنا على ماء لبني قيس بن ثعلبة ؛

فأروا ثمامة ، ورأوا خمبصة الحطيم عليه دسوا^(٢) له رجلاً ، وقالوا : سله

عنها كيف صارت له ؛ وعن الحطيم : أهو قتله أو غيره ؟ فأتاه ، فسأله

عنها . فقال : نضلتها . قال : أنت قتلت الحطيم ؟ قال : لا ، ولوددت أني

كنت قتله ، قال : فما بال هذه الخمبصة معك ؟ قال : ألم أخبرك ! فرجع

إليهم فأخبرهم ، فتجمعوا له ، ثم أتوه فاحتوشوه ؛ فقال : مالكم ؟ قالوا :

أنت قاتل الحطيم ؟ قال : كذبتم ، لست بقاتله واكنى نفلتها ، قالوا :

هل ينقل إلا القاتل ! قال : إنها لم تكن عليه ، إنما وجدت في رحله ،

قالوا : كذبت . فأصابوه .

قال : وكان مع المسلمين راهب في هجر . فأسلم يومئذ فقيل : ما دعاك

إلى الإسلام ؟ قال : ثلاثة أشياء ، خشيت أن يمسخني الله بعدها إن أنا لم أفعل :

فبيض في الرمال ، وتمهيد أثباج البحار^(٣) ، ودعاء سمعته في عسكرهم في الهواء

من السحر . قالوا : وما هو ؟ قال : اللهم أنت الرحمن الرحيم ؛ لا إله غيرك ،

والبديع ليس قبلك شيء . والدائم غير الغافل ، والحلي الذي لا يموت ، وخالق

ما يرى وما لا يرى ، وكل يوم أنت في شأن ، وعلمت اللهم كل شيء

بغير تعلمكم^(٤) ؛ فعلمت أن القوم لم يعانون بالملائكة إلا وهم على أمر الله^(٥) .

فلقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمعون من ذلك

الهجري^(٦) بعد .

(١) أقفل الناس : أرجعهم .

(٢) الأغاني : « البحور » .

(٣) الخبر إلى هنا في الأغاني ١٥ : ٢٥٧ - ٢٦٢ ، مع تصرف واختصار .

(٤) ابن الأثير : « هذا منه بعد » .

(٥) الأغاني : « بعثوا إليه » .

(٦) الأغاني : « تعليم » .

وكتب العلاء إلى أبي بكر : أما بعد ؛ فإن الله تبارك وتعالى فجّر لنا الدّهناءَ فيضاً لا تُرى غواربه ، وأرانا آية وعبرة بعد غمّ وكرب ، لنحمد الله ونمجّده ، فادعُ الله واستنصره لجنوده وأعوان دينه .

فحميد أبو بكر الله ودعاه ، وقال : ما زالت العرب فيما تحدث عن بلدانها يقولون : إن لقمان حين سُئِلَ عن الدّهناء : أبحثرونها أو يدعونها ؟ نهاهم ، وقال : لا تبلغها الأرشية ، ولم تقرّ العيون ؛ وإن شأن هذا الفيض من عظيم الآيات ، وما سمعنا به في أمة قبلها . اللهم أخلف محمداً صلى الله عليه وسلم فينا .

ثم كتب إليه العلاءُ بهزيمة أهل الخندق وقتل الحطيم ، قتله زيد ومعر (۱) : أمّا بعد ، فإن الله تبارك اسمه سلّب عدونا عقولهم ، وأذهب ريحهم بشراب أصابوه من النهار ، فاقتحمنا عليهم خندقهم ، فوجدناهم سُكاري ، فقتلناهم إلا الشريد ، وقد قتل الله الحطيم .

فكتب إليه أبو بكر : أمّا بعد ، فإن بلغك عن بني شيبان بن ثعلبة تمام على ما بلغك ، وخاض فيه المرّجفون ، فابعث إليهم جنداً فأوطئهم وشرّد بهم من خلفهم . فلم يجتمعوا ؛ ولم يصر ذلك من إرجافهم إلى شيء .

• • •

ذكر الخبر عن ردة أهل عمان ومهرة واليمن

قال أبو جعفر : وقد اختلف في تاريخ حرب المسلمين ، فقال محمد ابن إسحاق - فيما حدثنا ابن حميد ، عن سلمة عنه : كان فتح اليمامة واليمن والبحرين وبعث الجنود إلى الشام في سنة اثنتي عشرة .

وأما أبو زيد فحدثني عن أبي الحسن المدائني في خبر ذكره ، عن أبي معشر ويزيد بن عياض بن جعدبة وأبي عبيدة بن محمد بن أبي

(۱) ط : « مسع » ، وانظر ص ۳۱۰ س ۱۵ .

عُبَيْدَة وَغَسَّانُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ وَجُوَيْرِيَّةُ بْنُ أَسْمَاءَ، بِإِسْنَادِهِمْ عَنْ مَشِيخَتِهِمْ
وغيرهم من علماء أهل الشام وأهل العراق ؛ أن الفتوح في أهل الردة كلَّها
كانت لخالد بن الوليد وغيره في سنة إحدى عشرة ، إلا أمر ربيعة بن بُجَيْرٍ ؛
فإنه كان في سنة ثلاث عشرة .

وقصة ربيعة بن بجير التغلبي أن خالد بن الوليد - فيما ذكر في خبره هذا
الذي ذكرت عنه - بالمُصْبِخِ وَالْحَصِيدِ ، قام وهو في جَمْعٍ من
المرتدين فقاتله . وَغَنِمَ وَسَبَى ، وَأَصَابَ ابْنَةَ لَرَبِيعَةَ بْنِ بُجَيْرٍ ، فسبأها
وبعث بالسبى إلى أبي بكر رحمه الله ، فصارت ابنة ربيعة إلى علي بن
أبي طالب عليه السلام .

١٩٧٧/١

• • •

فَأَمَّا (١) أَمْرُ عُمَانَ فَإِنَّهُ كَانَ - فِيمَا كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى بِخَبْرِي عَنْ
شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيِّفٍ ، عَنْ سَهْلِ بْنِ يَوْسُفَ ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ
وَالْغَضَنِ بْنِ الْقَاسِمِ وَمُوسَى الْجَلْيُوسِيِّ (٢) عَنْ ابْنِ مُحَيَّبٍ رِزِّ ، قَالَ : نَبِغُ
بِعْمَانَ ذُو النَّجَاحِ لَقِيَطَ (٣) بِنِ مَالِكِ الْأَزْدِيِّ وَكَانَ يَسَامِي (٤) فِي الْجَاهِلِيَّةِ
الْجُلْدَنْدِي ؛ وَادَّعَى بِمِثْلِ مَا ادَّعَى بِهِ مَنْ كَانَ نَبِيًّا ، وَغَلَبَ عَلَى عُمَانَ
مَرْتَدًّا ، وَأَجْلَأَ جَيْفَرًا وَعَبَادًا إِلَى الْأَجْبَالِ وَالْبَحْرِ ؛ فَبَعَثَ جَيْفَرَ إِلَى
أَبِي بَكْرٍ بِخَبْرِهِ بِذَلِكَ ، وَبَسْتَجِيشَهُ عَلَيْهِ . فَبَعَثَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِّيقَ حُذَيْفَةَ بْنَ
مُحَمَّدِ بْنِ الْغَلْدَفَانِيِّ مِنْ حِمَيْرٍ . وَعَرَفَجَةَ الْبَارِقِيَّ مِنَ الْأَزْدِ ؛ حُذَيْفَةَ إِلَى عُمَانَ
وَعَرَفَجَةَ إِلَى مَهْرَةَ . وَأَمْرُهُمَا إِذَا اتَّفَقَا أَنْ يَجْتَمِعَا عَلَى مَنْ بُعِثَ إِلَيْهِ . وَأَنْ
يَبْتَدِئَا بِعُمَانَ ، وَحُذَيْفَةَ عَلَى عَرَفَجَةَ فِي وَجْهِهِ ، وَعَرَفَجَةَ عَلَى حُذَيْفَةَ فِي وَجْهِهِ .
فَخَرَجَا مَتَسَانِدِينَ ؛ وَأَمْرُهُمَا أَنْ يُجِيدَا السَّيْرَ حَتَّى يَقْدَمَا عُمَانَ ؛ فَإِذَا كَانَ
مِنْهَا قَرِيبًا كَاتَبَا جَيْفَرَ وَعَبَادًا ؛ وَعَمَلَا بِرَأْيِهِمَا . فَضِيَا لِمَا أَمْرًا بِهِ ؛ وَقَدْ كَانَ
أَبُو بَكْرٍ بَعَثَ عِكْرَمَةَ إِلَى مُسَيَّلِمَةَ بِالْيَمَامَةِ ، وَأَتْبَعَهُ شُرْحَبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ ،

(٢) كَذَا فِي زَوْفِي ب : « الْحَلْيُوسِيِّ » .

(٤) كَذَا فِي ط ، وَفِي س : « يَسْمِي » .

(١) ب ، س : « قَالَ أَبُو جَمْفَرٍ فَأَمَّا »

(٣) س : « ابْنُ لَقِيَطِ » .

١٩٧٨/١

وسمى لهما اليمامة ؛ وأمرهما بما أمر به حذيفة وعرفجة . فبادر عكرمة
شرحبيل ، وطلب حظوة الظفر ، فنكبه مسيلمة ؛ فأحجم عن
مسيلمة ، وكتب إلى أبي بكر بالخبر ، وأقام شرحبيل عليه حيث بلغه
الخبر ، وكتب أبو بكر إلى شرحبيل بن حسنة ؛ أن أقم بأدنى اليمامة
حتى يأتبك أمرى ، وترك أن يُمضيه لوجه الذي وجهه له ؛ وكتب إلى
عكرمة يُعنفه لتسرعه ، ويقول : لا أريتك ولا أسمع بك إلا بعد بلاء ،
والحق بعُمان حتى تقاتل أهل عُمان ، وتعين حذيفة وعرفجة ، وكل
واحد منكم على خيئه ، وحذيفة ما دُمتم في عمله على الناس ، فإذا فرغتم
فامض إلى مَهْرَة ، ثم ليكن وجهك منها إلى اليمامة ؛ حتى تلاقى المهاجر
ابن أبي أمية باليمن وبحضرموت ، وأوطئ من بين عمان واليمن ممن ارتد ؛
وليبُلغنى بلاؤك .

ففى عكرمة فى أثر عرفجة وحذيفة فيمن كان معه حتى لحق
بهما قبل أن ينتهيا إلى عُمان ، وقد عهد إليهم أن ينتهوا إلى رأى عكرمة
بعد الفراغ فى السير معه أو المقام بعُمان ، فلما تلاحقوا - وكانوا قريباً من
عُمان بمكان يدعى رجاماً^(١) - راسلوا جيفراً وعباداً . وبلغ لقيطاً مجيء
الجيش ، فجمع جموعه وعسكر بدبأ ، وخرج جيفر وعباد من موضعهما
الذى كانا فيه ، فeskرا بصُحار ، وبعثا إلى حذيفة وعرفجة وعكرمة
فى القدوم عليهما ، فقدموا عليهما بصُحار ، فاستبرءوا ما يليهم حتى رضوا
ممن يليهم ؛ وكتبوا رؤساء مع لقيط وبدءوا بسيد بنى جنديد ، فكاتبهم وكتبوه
حتى ارفضوا عنه ؛ ونهتوا إلى لقيط ، فالتقوا على دبأ ، وقد جمع لقيط
العيالات ، فجعلهم وراء صفوفهم ليُجربهم ؛ وليحافظوا على حرَمهم -
- ودبأ هى الميصر والسوق العظمى - فاقتلوا دبأ قتالاً شديداً ؛ وكاد
لقيط يستعلى الناس ؛ فبيناهم كذلك ، وقد رأى المسلمون الخلل ورأى
المشركون الظفر ، جاءت المسلمين موادهم العظمى من بنى ناجية ؛ وعليهم
الخريبت بن راشد ، ومن عبد القيس وعليهم سيحان بن صوحان ، وشواذب^(٢)

١٩٧٩/١

(١) س : « رخاما » .

(٢) الشواذب : جمع شاذب ، وهو المتنحى عن وطنه .

عُمان من بني ناجية وعبد القيس ، فقوى الله بهم أهل الإسلام ، ووهن الله بهم أهل الشرك ؛ فولّى المشركون الأدبار ، فقتلوا منهم في المعركة عشرة آلاف ، وركبهم حتى أثنوا فيهم ، وسبّوا الذراري ، وقسموا الأموال على المسلمين ، وبعثوا بالخمسة إلى أبي بكر مع عترفة ، ورأى عكرمة وحذيفة أن يقيم حذيفة بعُمان حتى يوطئ الأمور ، ويُسكن الناس ؛ وكان الخمس ثمانمائة رأس ، وغنموا السوق بخذافيها . فسار عرفة إلى أبي بكر بخمس السبي والمغانم ، وأقام حذيفة لتسكين الناس ، ودعا القبائل حول عُمان إلى سكون^(١) ما أفاء الله على المسلمين ، وشوذب عُمان ، ومضى عكرمة في الناس ، وبدأ بمهرة ، وقال في ذلك عبّاد الناجي :

لعمري لقد لاقى لقيط بن مالك من الشر ما أخزى وجوه الثعالب ١٩٨٠/١
وبادى أبا بكرٍ ومن هلّ فارتمى خليجانٍ من تياره المترائب
ولم تنهه الأولى ولم ينكأ العدا فآلوت عليه خيله بالجنايب^(٢)

• • •

ذكر خبر مهرة بالنجد

ولما فرغ عكرمة وعرفة وحذيفة من ردة عُمان ، خرج عكرمة في جنده نحو مهرة ، واستنصر من حول عُمان وأهل عُمان ، وسار حتى يأتي مهرة ، ومعه ممن استنصره من ناجية والأزد وعبد القيس وراسب وسعد من بني تميم^(٣) بشر^(٤) ؛ حتى اقتحم على مهرة بلادها ، فوافق بها جمعيتين من مهرة : أمّا أحدهما فيمكّان من أرض مهرة يقال له : جبيروت ، وقد امتلأ ذلك الحيز إلى نضدُون - قاعين من قيعان مهرة - عليهم شخريت ، رجل من بني شخراة ؛ وأمّا الآخر فبالنجد ؛ وقد انقادت

(٢) ب : « بالجنايب » .

(١) سكون ، بمعنى السكنى ، وهو الإقامة

(٤) ز : « يسير » .

(٣) وهو سعد بن زيد ، وانظر ص ٣٢٧ س ١٤ .

مَهْرَةٌ جَمِيعًا لَصَاحِبِ هَذَا الْجَمْعِ ؛ عَلَيْهِمُ الْمَصْبِیحُ ، ؛ أَحَدُ بَنِي مُحْتَارِبٍ
وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ مَعَهُ ؛ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ شَخْرِيَّتٍ ، فَكَانَا مُخْتَلِفِينَ ؛ كُلٌّ وَاحِدٌ ١٩٨١/١
مِنَ الرَّئِيسِينَ يَدْعُو الْآخَرَ إِلَى نَفْسِهِ ، وَكُلُّ وَاحِدٌ مِنَ الْجُنُودَيْنِ يَشْتَهِي أَنْ
يَكُونَ الْفُلْجُ (١) لِرئِيسِهِمْ ؛ وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا أَعَانَ اللَّهُ بِهِ الْمُسْلِمِينَ وَقَوَّاهُمْ
عَلَى عَدُوِّهِمْ ؛ وَوَهَّنَهُمْ .

وَمَا رَأَى عِيْكَرِمَةَ قَلَّةَ مَنْ مَعَ شَخْرِيَّتٍ دَعَاهُ إِلَى الرَّجُوعِ إِلَى الْإِسْلَامِ ؛
فَكَانَ لِأَوَّلِ الدَّعَاءِ ، فَأَجَابَهُ وَوَهَّنَ اللَّهُ بِذَلِكَ الْمَصْبِیحُ . ثُمَّ أُرْسِلَ إِلَى الْمَصْبِیحِ
يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالرَّجُوعِ عَنِ الْكُفْرِ ؛ فَاعْتَرَى بِكَثْرَةِ مَنْ مَعَهُ ، وَازْدَادَ مَبَاعِدَةً
لِمَكَانِ شَخْرِيَّتٍ ، فَسَارَ إِلَيْهِ عِيْكَرِمَةَ ، وَسَارَ مَعَهُ شَخْرِيَّتٌ ، فَالْتَقَوْا هُمْ
وَالْمَصْبِیحُ بِالنَّجْدِ ؛ فَاقْتَلَوْا أَشَدَّ مِنْ قِتَالِ دَبَّاءَ .

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ كَشَفَ جُنُودَ الْمُرْتَدِّينَ ، وَقَتَلَ رَئِيسَهُمْ ، وَرَكِبَهُمُ الْمُسْلِمُونَ
فَقَتَلُوا مِنْهُمْ مَا شَاءُوا ، وَأَصَابُوا مَا شَاءُوا ، وَأَصَابُوا فِيهَا أَصَابُوا الْفَتَى نَسْجِيَّةً ،
فَخَمَسَ عِيْكَرِمَةَ النَّيْءُ ، فَبَعَثَ بِالْأَخْمَاسِ مَعَ شَخْرِيَّتٍ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَقَسَمَ
الْأَرْبَعَةَ الْأَخْمَاسِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَازْدَادَ عِيْكَرِمَةَ وَحَنَدَهُ قُوَّةً بِالظَّهْرِ وَالْمَشْتَعِ
وَالْأَدَاةِ ، وَأَقَامَ عِيْكَرِمَةَ حَتَّى جَمَعَهُمْ عَلَى الَّذِي يُحِبُّ ، وَجَمَعَ أَهْلَ النَّجْدِ ؛
أَهْلَ رِيَاضِ (٢) الرُّوْضَةِ ، وَأَهْلَ السَّاحِلِ ؛ وَأَهْلَ الْجَزَائِرِ ؛ وَأَهْلَ الْمُرِّ وَاللِّبَانِ
وَأَهْلَ جَبْرُوتَ ، وَظَهْرَ الشُّحْرِ وَالصَّبْرَاتِ ، وَيَنْعَبَ ، وَذَاتِ الْحَيْمِ ؛ فَبَايَعُوا ١٩٨٢/١
عَلَى الْإِسْلَامِ ، فَكُتِبَ بِذَلِكَ مَعَ الْبَشِيرِ - وَهُوَ السَّائِبُ أَحَدُ بَنِي عَابِدِ بْنِ مَخْرُومٍ -
فَقَدَّمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بِالْفَتْحِ ، وَقَدَّمَ شَخْرِيَّتَ بَعْدَهُ بِالْأَخْمَاسِ ، وَقَالَ فِي
ذَلِكَ عُلُجُومُ الْحَارَبِيِّ :

جَزَى اللَّهُ شَخْرِيَّتًا وَأَفْنَاءَ هَيْشَمٍ وَفَرَضِمَ إِذْ سَارَتْ إِلَيْنَا الْحَلَايِبُ (٣)
جَزَاءَ مُسِيءٍ لَمْ يُرَاقِبْ لِدِمَّةً (٤) وَلَمْ يَرْجُهَا فِيمَا يَرْجَى الْأَقْرَابُ
أَعِكَرِمَ لَوْلَا جَمْعُ قَوْمِي وَفِعْلُهُمْ لَصَاقَتْ عَلَيْكَ بِالْفَضَاءِ الْمَذَاهِبُ

(١) الفلج : الفوز والنصر .

(٢) ط : « رياضة » ، ورياض الروضة : موضع ذكره ياقوت وقال : إنه بأرض مهرة من
أقصى اليمن ، له ذكر في الردة . وانظر ص ٣٣٢ من ٤ ، ١٤ (٣) الحلائب : الجماعات .

(٤) ط « ذمة » ، وما أثبت من ز ، وفي ابن كثير : « لدينه » .

وكنّا كمن إقتاد كفاً بأختها وحلّت علينا في الدهورِ النواثبُ

• • •

ذكر خبر المرتدين باليمن

قال أبو جعفر : كتب إلى السريّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن عكرمة وسهل ، عن القاسم بن محمد ، قال : توفّي رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وعلى مكّة وأرضها عتّاب بن أسيد والطّاهر بن أبي هالة ؛ عتّاب على بني كنانة ، والطّاهر على عكّ ؛ وذلك أن النبيّ صلّى الله عليه وسلم قال : اجعلوا عمالة عكّ في بني أبيها معدّ بن عدنان ، وعلى الطّائف وأرضها عثمان بن أبي العاص ومالك بن عوف النّصرى ؛ عثمان على أهل المدّر ومالك على أهل الوبر أعجازِ هوازن ، وعلى نجران وأرضها عمّرو بن حزم وأبو سفيان ابن حرب ؛ عمرو بن حزم على الصّلاة وأبو سفيان بن حرب على الصّدقات ، وعلى ما بين رمع وزبيد إلى حدّ نَجْران خالد بن سعيد بن العاص ، وعلى همدان كلّها عامر بن شهر ، وعلى صنعاء فيروز الدّيلمى يسانده^(١) داذويّه وقيس بن المكشوح ، وعلى الجند يعلى بن أميّة ، وعلى مأرب أبو موسى الأشعريّ ، وعلى الأشعريين مع عكّ الطّاهر بن أبي هالة ، ومعاذ بن جبل يعلم القوم ، ينتقل^(٢) في عمّل كلّ عامل ، فنزاهم^(٣) الأسود في حياة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فحاربه النبيّ عليه السّلام بالرّسل والكتب حتى قتله الله ، وعاد أمر النبيّ عليه السّلام كما كان قبل وفاة النبيّ عليه السّلام بليلة ؛ إلاّ أن مجيئهم لم يحرك النّاس ، والنّاس مستعدّون^(٤) له . فلما بلغهم موتُ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم انتفضت اليمن والبلدان ؛ وقد كانت تذبذبتُ خيولُ العنميّ - فيما بين نَجْران إلى صنعاء في

١٩٨٣/١

(١) ط : « مساندة » وأثبت ما في ز .

(٢) ب : « ينتقل » .

(٣) نزاهم . أي وثب .

(٤) س : « يستعدون » .

عرض ذلك البحر - لا تأوى إلى أحد ، ولا يأوى إليها أحد ، فعمرو بن معد يكرب بجبال فتروة بن مسيبك ، ومعاوية بن أنس في فتالة العنسي يتردد ؛ ولم يرجع من عمال النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلا عمرو بن حزم وخالد بن سعيد ، ولجأ سائر العمال إلى المسلمين ؛ واعترض عمرو بن معد يكرب خالد بن سعيد ، فسلبه الصمصامة . ورجعت الرسل مع من رجع بالخبر ، فرجع جرير بن عبد الله والأقرع بن عبد الله ووبر بن يحنس ، فحارب أبو بكر المرتدة جميعاً بالرسول والكتب ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاربهم ؛ إلى أن رجع أسامة بن زيد من الشام ، وحزر ذلك ثلاثة أشهر ، إلا ما كان من أهل ذى حمة وذى القصة . ثم كان أول مصادم عند رجوع أسامة هم ^(۱) . فخرج إلى الأبرق فلم يصمد لقوم فيفلتهم ^(۲) إلا استنفر من لم يرتد منهم إلى آخرين ، فيفل بطائفة من المهاجرين والأنصار والمستنفرة ممن لم يرتد إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ حتى فرغ من آخر أمور الناس ، ولا يستعين بالمرتدين .

فكان أول من كتب إليه عتاب بن أسيد ، كتب إليه بركوب من ارتد من أهل عمله بمن ^(۳) ثبت على الإسلام ، وعثمان بن أبي العاص بركوب من ارتد من أهل عمله بمن ثبت على الإسلام ، فأما عتاب فإنه بعث خالد ابن أسيد إلى أهل نهماء ، وقد جمعت بها جماعة من مدلج ، وتأسب إليهم شذاذ من خزاعة وأفناء كنانة ، عليهم جندب بن سلمى ، أحد بني شنوق ^(۴) ، من بني مدلج ، ولم يكن في عمل عتاب جمع غيره ، فالتقوا بالأبارق ، ففرقهم وقتلهم ، واستحرق القتل في بني شنوق ، فما زالوا أذلاء قليلاً ، وبرئت عمالة عتاب ، وأفلت جندب ، فقال جندب في ذلك :

دمتُ وأبقتُ الفداءً بأنني أتيتُ التي يبقى على المرء عارها
شهدتُ بأن الله لا شيء غيره بني مدلج فالله ربِّي وجارها

(۱) كنانة ز ، وخط : « هو » (۲) سر : « من » . (۳) سر : « شيوخ »

وبعث عثمان بن أبي العاص بعثا إلى شِمْوَةَ ، وقد تجمعت بها جُمُوعٌ من الأزد وبَجِيلَةَ وخبثهم ؛ عليهم حُمَيْضَةُ بن النُّعْمَانِ ، وعلى أهل الطائف عثمان بن ربيعة ، فالتقوا بشِمْوَةَ ، فهزموا تلك الجُمُوعَ ، وتفرقوا عن حُمَيْضَةَ وهرب حُمَيْضَةُ في البلاد ، فقال في ذلك عثمان بن ربيعة :

فَضُّنَا جَمْعَهُمُ وَالنَّقْعُ كَابٍ وَقَدْ تُعَدِّي عَلَى الْغَدْرِ الْفُتُوقُ
وَأَبْرَقَ بَارِقٌ لَمَّا التَّقِينَا فَعَادَتْ خُلْبًا تِلْكَ الْبُرُوقُ

• • •

خبر الأخابث من عك

قال أبو حفص : وكان أول منتقض بعد النبي صلى الله عليه وسلم بنِهَاْمَةَ عك والأشعرُونَ ، وذلك أَنَّهُمْ حِينَ ^(١) بَلَغَهُمْ مَوْتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَجَمَّعَ مِنْهُمْ طَخَارِيرُ ^(٢) ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِمْ طَخَارِيرُ مِنَ الْأَشْعَرِينَ وَخَضَمَ فَانضَمُّوا إِلَيْهِمْ ، فَأَقَامُوا عَلَى الْأَعْلَابِ طَرِيقَ السَّاحِلِ ، وَتَأَسَّبَ إِلَيْهِمْ أَوْزَاعٌ عَلَى غَيْرِ رَيْسٍ ؛ فَكَتَبَ بِذَلِكَ الطَّاهِرُ بْنُ أَبِي هَالَةَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ؛ وَسَارَ إِلَيْهِمْ ، وَكَتَبَ أَيْضًا بِمَسِيرِهِ إِلَيْهِمْ ، وَمَعَهُ مَسْرُوقٌ الْعَكِيُّ حَتَّى انْتَهَى ^(٣) إِلَى تِلْكَ الْأَوْزَاعِ ، عَلَى الْأَعْلَابِ ، فَالتَقُوا فَاقْتَلَوْا ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ ، وَقَتَلُوهُمْ كُلَّ قِتْلَةٍ ؛ وَأَنْتَهَتْ السَّبِيلُ لِقَتْلِهِمْ ؛ وَكَانَ مَقْتَلُهُمْ فَتْحًا عَظِيمًا . وَأَجَابَ أَبُو بَكْرٍ الطَّاهِرَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ كِتَابُهُ بِالْفَتْحِ :

بَلِّغِي كِتَابَكَ نَخْبِرُنِي فِيهِ مَسِيرَكَ وَاسْتِنْفَارَكَ مَسْرُوقًا وَقَوْمَهُ إِلَى الْأَخَابِثِ بِالْأَعْلَابِ ، فَقَدْ أَصَبْتَ ، فَعَاجِلُوا هَذَا الضَّرْبَ وَلَا تُرَفِّهُوا عَنْهُمْ ، وَأَقِيمُوا بِالْأَعْلَابِ حَتَّى يَأْمَنَ طَرِيقَ الْأَخَابِثِ ، وَيَأْتِيَكُمُ أَمْرِي . فَسَمِيَتْ تِلْكَ

(١ - ١) س : « حين مات » .

(٢) يقال : جاء في طخارير ؛ أي في أشابة من الناس متفرقين .

(٣) ز : « انتهى » .

الجموع من عكّ ومنّ ناشب إليهم إلى اليوم الأخابث . وسُمي ذلك الطريق طريق الأخابث ؛ وقال في ذلك الطاهر بن أبي هالة :

ووالله لو لا أنّ لاشيء غيره لما فُضَّ بالأجرع جمعُ الشاعث (١)
 فلم ترَ عيني مثلَ يومِ رأيتُه بجنبِ صحارٍ في جموع الأخابث (٢)
 قتلناهم ما بين قنفةِ خامرٍ إلى القيعة الحمراء ذات النباث (٣)
 وفينا بأموال الأخابث عنوةً جهاراً ولم نحفل بتلك المناهث (٤)

وعسكر طاهر على طريق الأخابث ، ومعه مسروق في عكّ ينتظر أمر أبي بكر رحمه الله .

• • •

قال أبو جعفر : ولما بلغ أهل نَجْران وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يومئذ أربعون ألف مقاتل ، من بني الأفعى ؛ الأمة التي كانوا بها قبل بني الحارث ؛ بعثوا وفداً ليجدوا عهداً ، فقدموا إليه (٥) فكتب لهم كتاباً :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل نَجْران ، أجارهم من جنده ونفسه ، وأجاز لهم ذمة محمد صلى الله عليه وسلم إلا ما رجع عنه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر الله عز وجل في أرضهم وأرض العرب ؛ ألا يسكن بها دينان ؛ أجارهم على أنفسهم بعد ذلك وملتهم وسائر أموالهم وحاشيتهم (٦) وعاديتهم ، وغائبهم وشاهدتهم ، وأسقفتهم ورهبانهم وبيعيتهم (٧) حيثما وقعت ؛ وعلى ما ملكت أيديهم من قليل أو كثير ؛ عليهم ما عليهم ، فإذا أدّوه فلا

(١) ياقوت ١ : ١٤٦ .

(٢) ياقوت : إلى القيعة البيضاء .

(٣) س : عليه .

(٤) ب : وبيعيتهم .

(٥) ياقوت : بجمع مجاز .

(٦) المهشة : التخليط في الأمر .

(٧) س : وحاشيتهم .

يُحْشَرُونَ وَلَا يُعَشَّرُونَ^(١) . وَلَا يَغْيِرُ أَسْقَفٌ مِنْ أَسْقَفِيَّتِهِ ، وَلَا رَاهِبٌ مِنْ رَهْبَانِيَّتِهِ ؛ وَوَفَى لَهُمْ بِكُلِّ مَا كَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ ذِمَّةِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجِوَارِ الْمُسْلِمِينَ . وَعَلَيْهِمُ النَّصْحُ وَالْإِصْلَاحُ فِيمَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ . شَهِدَ الْمَيْسُورُ بْنُ عَمْرٍو ، وَعَمْرٍو مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ .

ورد أبو بكر جرير بن عبد الله ، وأمره أن يدعو من قومه من ثبت على أمر الله ، ثم يستنفر مقويهم^(٢) ، فيقاتل بهم من ولّى عن أمر الله ، وأمره أن يأتي نخشعهم ؛ فيقاتل من خرج غضباً لذي الخلصة ؛ ومن أراد إعادته^(٣) حتى يقتلهم الله ، ويقتل من شاركهم فيه ؛ ثم يكون وجهه إلى نجران ، فيقيم بها^(٤) حتى يأتيه أمره .

فخرج جرير فنفذ^(٥) لما أمره به أبو بكر ، فلم يقر له أحد إلا رجال في عدة قليلة ، فقتلهم وتبعهم ؛ ثم كان وجهه إلى نجران ، فأقام بها انتظاراً أمر أبي بكر رحمه الله .

وكتب إلى عثمان بن أبي العاص أن يضرب بعثاً على أهل الطائف على كلٍ مخالف بقدره ، ويولّي عليهم رجلاً يأمنه ويشق بناحيته ؛ فضرب على كلٍ مخالف عشرين رجلاً ، وأمر عليهم أخاه .

وكتب إلى عتاب بن أسيد ؛ أن اضرب على أهل مكة وعملها خمسمائة مقوٍ ؛ وابعث عليهم رجلاً تأمنه ، فسمي من يبعث ، وأمر عليهم خالد بن أسيد ؛ وأقام أمير كلٍ قوم ، وقاموا على رجلٍ^(٦) ليأتيهم أمر أبي بكر ، وليمر عليهم المعاجر .

• • •

(١) ز : « يصرون » .

(٢) ز : « مقوهم » و « تويم » : القوي بنفسه ودابته .

(٣) ز : « إعادتهم » .

(٤) ب : « به » .

(٥) ز : « فنفذ » .

(٦) قاموا على رجل كما يقال : قاموا على قدم وساق .

ردّة أهل اليمن ثانية

قال أبو جعفر : فمّن ارتدّ ثانية منهم ، قيس بن عبد يغوث المكشوح^(۱) ؛ كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، قال : كان من حديث قيس في ردّته الثانية ، أنه حين وقع إليهم الخبر بموت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم انتكث ، وعمل في قتل فيروز وداذويه وجشيش ، وكتب أبو بكر إلى عمير ذي مرّان وإلى سعيد ذي زود وإلى سميّف ذي الكتلاع ، وإلى حوشب ذي ظليّم ، وإلى شهر ذي يناف ؛ يأمرهم بالتمسك بالذي هم عليه ، والقيام بأمر الله والناس ، ويعدم الجنود :

من أبي بكر خليفة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى عمير بن أفلح ذي مرّان ، وسعيد بن العاقب ذي زود ؛ وسميّف بن ناكور ذي الكتلاع وحوشب ذي ظليّم ، وشهر ذي يناف . أمّا بعد ، فأعينوا الأبناء على منّ ناوأم وحوطوم واسمعوا من فيروز ، وجيدًا معه ، فإنّي قد وليتّه .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير بن يزيد ، عن عروة بن غزيرة الدثيني ، قال : لما وليّ أبو بكر أمر فيروز ؛ وهم قبل ذلك متساندون ؛ هو وداذويه وجشيش وقيس ؛ وكتب إلى وجوه من وجوه أهل اليمن ؛ ولما سمع بذلك قيس أرسل إلى ذي الكتلاع وأصحابه : إنّ الأبناء نزع في بلادكم ، ونقلاء فيكم^(۲) ؛ وإن تركوهم لن يزالوا عليكم ؛ وقد أرى من الرأي أن أقتل رؤسهم ، وأخرجهم من بلادنا . ففبرءوا ، فلم يمالئوه ولم ينصروا الأبناء ، واعتزلوا وقالوا : لسنا ممّا هنا في شيء ، أنت صاحبهم وهم أصحابك .

فتربّص لهم قيس ، واستعدّ لقتل رؤسهم وتسيير عامتهم ؛ فكاتب قيس تلك الفالّة السيّارة اللّحجّية ؛ وهم يصعدون في البلاد ويصوبون ،

(۱) المكشوح لقب عبد يغوث بن هيرة بن الحارث بن عمرو بن عامر المرادي . وانظر التاج (كشح) .

(۲) النزاع : جمع نازع ؛ وهو الغريب . والنقلاء : جمع نقيلا ؛ وهو الغريب أيضاً .

محارِبين لجميع مَنْ خالفهم ؛ فكاتبهم قيس في السرِّ ؛ وأمرهم أن يتعجلوا إليه ؛ وليكون أمره وأمرهم واحداً ؛ وليجتمعوا^(١) على نبي الأبناء من بلاد اليمن . فكتبوا^(٢) إليه بالاستجابة له ، وأخبروه أنهم إليه سراعٌ ؛ فام يفتجأ أهل صنعاء إلا الخبير بدنوهم منها ، فأتى قيس فيروز في ذلك كالفرق من هذا الخبر وأتى داذويه ؛ فاستشارهما ليلبس عليهما ، ولثلاً يتتاهما ، فنظروا في ذلك واطمأنوا إليه .

ثم إن قيساً دعاهم من الغد إلى طعام ، فبدأ داذويه ، وثنى بفيروز ، وثالث بجشيش ؛ فخرج داذويه حتى دخل عليه ؛ فلماً دخل عليه عاجله فقتله ، وخرج فيروز يسير حتى إذا دننا سمع امرأتين على سطحين تتحدثان ، فقالت إحداهما : هذا مقتول كما قُتِل داذويه ؛ فلقبيهما ، فعاج حتى يرى أوي القوم الذي أربثوا^(٣) ، فأخبر برجوع فيروز ؛ فخرجوا يركضون ، وركض فيروز ، وتلقاه جشيش ، فخرج معه متوجهاً نحو جبل خولان - وهم أخوال فيروز - فسبقا الخيول إلى الجبل ، ثم نزلا ، فتوقلا وعليهما خفاف ساذجة ، فما وصلا حتى تقطعت أقدامهما ، فانهيا إلى خولان وامتنع فيروز بأخواله ، وآلى ألا ينتعل ساذجاً ، ورجعت الخيول إلى قيس ؛ فثار بصنعاء فأخذها ، وجبى ما حولها ، مقدماً رجلاً ومؤخرًا أخرى ، وأتته خيول الأسود . ولمّا أوى فيروز إلى أخواله خولان فمنعوه ونأشب إليه الناس ، كتب إلى أبي بكر بالخبر . فقال قيس : وما خولان! وما فيروز! وما قرار أوا إليه ! وطابق على قيس عوامٌ قبائل من كتب أبو بكر إلى رؤسائهم ، وبقى الرؤساء معتزلين ، وعمد قيس إلى الأبناء ففرقهم ثلاث فرق : أقر من أقام وأقر عياله ، وفرق عيال الدين هربوا إلى فيروز فرقتين ؛ فوجه إحداهما إلى عدن ؛ ليحملوا في البحر ، وحمل الأخرى في البر ، وقال لهم جميعاً : الحقوا بأرضكم ؛ وبعث معهم من يسيرهم ؛ فكان عيال الديلمي ممن سير في البر

(٢) ز : فقاموا .

(١) س : وأن يجتمعوا .

(٣) أربثوا : أشرفوا علوا .

وعيال داذويه ممن سِيرَ في البحر ؛ فلما رأى فيروز أن قد اجتمع عوام أهل اليمن على قيس ؛ وأن العيال قد سيروا وعرضهم للنهب ، ولم يجد إلى فراق عسكره في تنقذهم سبيلا ؛ وبلغه ما قال قيس في استصغاره الأحوال والأبناء ، فقال فيروز منتميا ومفاخرًا وذكر الظعن :

ألا ناديا ظعنًا إلى الرَّمَلِ ذِي النَّخْلِ
وما ضَرَّمْ قولُ العُدَاةِ لو أنه (١)
فَدَعَّ عنكَ ظعنًا بالطريقِ التي هَوَتْ
وإننا وإن كانت بصنماءَ دارنا (٢)
ولَدَيْلَمُ الرِّزَامُ من بعد بَاسِلِ (٣)
وكانت منابيتُ العراقِ جسامها
وباسِلُ أَصْلِي إن نَمَيْتُ ومنصبي
مُ تَرَكوْا مَجْرَايَ سَهْلًا وَحَصَنُوا
فما عَزْنَا في الجَهْلِ من ذِي عَدَاوَةٍ
ولا عاقا في السُّلْمِ عن آلِ أَحْمَدِ
وإن كان سَجَلٌ من قبيلي أَرَشَنِي
وقولا لها أَلَا يُقَالَ ولا عَذَلِي
أني قَوْمُهُ عن غيرِ فحشٍ ولا بَخَلِ
لِطِبَّتِهَا صَمَدَ الرَّمَالِ إلى الرَّمَلِ (٤)
لنا نَسْلُ قومٍ من عَرَانِيهِمْ نَسَلِي
أَبِي الخَفْضِ وَاخْتَارَ الحَرُورَ على الظَّلِ
لرَهْطِي إذا كَسَرِي مَرَّاجِلُهُ تَفَلِي
كما كلُّ عودٍ مُنتَهاه إلى الأَصْلِ
فجاءني بحسن القولِ وَالْحَسْبِ الجَزَلِ (١٩٩٣/١)
أبي الله إلا أن يعزَّ على الجَهْلِ
ولا خَسَّ في الإسلامِ إذ أَسَدُوا قَبْلِي
فإني لَرَاجٍ أن يُفَرِّقَهُمْ سَجَلِي

وقام فيروز في حربه ، وتجرَّد لها ، وأرسل إلى بني عَقَيْلِ بن ربيعة بن عامر بن صعصعة رسولا بأنه متخفّر بهم ، يستمدّهم ويستنصرهم في ثقله على الذين يزعمون أنقال الأبناء ، وأرسل إلى عك رسولا يستمدّهم ويستنصرهم على الذين يزعمون أنقال الأبناء . فركبت عَقَيْلِ وعليهم رجل من الحلفاء يقال له معاوية ، فاعترضوا خيل قَيْسِ فتَنَقَّدُوا أولئك العيال ، وقتلوا الذين سيروهم ، وقصروا عليهم القرى ؛ إلى أن رجع فيروز إلى

(١) ط : « أنرى » ، وأثبت ما في ب .
(٢) س : « صم الرمال » .
(٣) ط : « فإن كانت بصنماء » وما أثبت من س .
(٤) ب ، س : « والديلم » .

صَنَعَاءَ ، وَوَثِبَتْ عَكَ ، وَعَلَيْهِمْ مَسْرُوقٌ ، فَسَارُوا حَتَّى تَنْقَدُوا عِيَالَاتِ
الْأَبْنَاءِ ، وَقَصَرُوا عَلَيْهِمُ الْقَرَى ، إِلَى أَنْ رَجَعَ فَيُرُوزَ إِلَى صَنَعَاءَ ، وَأَمَدَّتْ
عُقَيْلٌ وَعَكَ فَيُرُوزُ بِالرَّجَالِ ، فَلَمَّا أَتَتْهُ أَمَدَادُهُمْ - فَيَمْنُ كَانَ ابْتِمَاعٌ إِلَيْهِ -
خَرَجَ فَيَمْنُ كَانَ تَأَشَّبَ إِلَيْهِ وَمِنْ أَمَدَتِهِ مِنْ عَكَ وَعُقَيْلٍ ، فَنَاهَدَ
قَيْسًا فَالْتَقَوْا دُونَ صَنَعَاءَ ، فَاقْتَتَلُوا فَهَزَمَ اللَّهُ قَيْسًا فِي قَوْمِهِ وَمَنْ أَنَهَضُوا ،
فَخَرَجَ هَارِبًا فِي جَنْدِهِ حَتَّى عَادَ مَعَهُمْ ، وَعَادُوا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانُوا بِهِ (١)
مِبَادِرِينَ حِينَ هَرَبُوا بَعْدَ مَقْتَلِ الْعَنْسِيِّ ، وَعَلَيْهِمْ قَيْسٌ ، وَتَذَبَذَبَتْ (٢)
رَافِضَةُ الْعَنْسِيِّ وَقَيْسٌ مَعَهُمْ فِيمَا بَيْنَ صَنَعَاءَ وَنَجْرَانَ ، وَكَانَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبَ
بِلِزَاءِ فَرْوَةَ بْنِ مُسَيْكٍ فِي طَاعَةِ الْعَنْسِيِّ .

١٩٩٤/١

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيِّفٍ ، عَنْ عَطِيَّةَ ، عَنْ عَمْرُو بْنِ
سَلَمَةَ ، قَالَ : وَكَانَ مِنْ أَمْرِ فَرْوَةَ بْنِ مُسَيْكٍ أَنَّهُ كَانَ قَدِيمَ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْلِمًا ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

لَمَّا رَأَيْتُ مَلُوكَ حِمَيْرٍ أَعْرَضَتْ كَالرَّجُلِ خَانَ الرَّجُلِ عِرْقُ نَسَائِهَا
يَمْتُ . رَاحِلَتِي أَمَامَ مُحَمَّدٍ أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ ثَنَائِهَا

وَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا قَالَ لَهُ : هَلْ سَاءَكَ مَا لَقِيَ
قَوْمُكَ يَوْمَ الرَّزْمِ يَا فَرْوَةَ أَوْ سَرَكَ ؟ قَالَ : وَمَنْ يُصَبُّ فِي قَوْمِهِ بِمِثْلِ
الَّذِي أَصِيبَتْ بِهِ فِي قَوْمِي يَوْمَ الرَّزْمِ إِلَّا سَاءَهُ ذَلِكَ (٣) !

وَكَانَ يَوْمَ الرَّزْمِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ هَمْدَانَ عَلَى يَغُوثٍ ، وَثَنٌ كَانَ
يَكُونُ فِي هَوْلَاءَ مَرَّةً وَفِي هَوْلَاءَ مَرَّةً ، فَأَرَادَتْ مُرَادَ أَنْ تَغْلِبَهُمْ عَلَيْهِ فِي
مَرَّتِهِمْ . فَقَتَلْتَهُمْ هَمْدَانَ ، وَرَأْسَهُمْ الْأَجْدَعُ أَبُو مَسْرُوقٍ ، فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَا إِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَزِدْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا
خَطَرًا ، فَقَالَ : قَدْ سَرَّتْنِي إِذْ كَانَ ذَلِكَ ، فَاسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ صَدَقَاتٍ مُرَادَ وَثَنٍ نَازِلِهِمْ أَوْ نَزَلَ دَارَهُمْ . وَكَانَ
عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبَ قَدْ فَارَقَ قَوْمَهُ سَعْدَ الْعَشِيرَةِ فِي بَنِي زُبَيْدٍ وَأَخْلَافِهَا ، وَانْحَازَ

١٩٩٥/

(١) ب: « فيه » . (٢) ز : « وتذبذب » .

(٣) انظر ص ١٣٥ ، ١٣٦ من هذا الجزء .

إليهم ، وأسلم معهم ؛ فكان فيهم ، فلما ارتد العنسي واتبعه عوام مذحج ،
اعتزل فرّوة فيمن أقام معه على الإسلام ، وارتد عمرو فيمن ارتد ، فخلفه
العنسي ، فجعله بإزاء فرّوة ، فكان بجياله ، ويمتنع كل واحد منهما ليتمكن
صاحبه من البرّاح ، فكانا يتهاديان الشعر ، فقال عمرو يذكر إمارة
فرّوة ويعيها :

وَجَدْنَا مُلْكَ فَرَّوَةَ شَرَّ مُلْكٍ حِمَارًا سَافَ مَنخِرُهُ بِقَدْرِ
وَكُنْتَ إِذَا رَأَيْتَ أَبَا عُمَيْرٍ تَرَى الْخَوْلَاءَ مِنْ خُبْتٍ وَغَدْرِ
فَأَجَابَهُ فَرَّوَةَ :

أَتَانِي عَنْ أَبِي ثَوْرٍ كَلَامٌ وَقَدِمًا كَانَ فِي الْأَبْقَالِ يَجْرِي
وَكَانَ اللَّهُ يُبْفِضُهُ قَدِيمًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُبْتٍ وَغَدْرِ
فِيَنَاهُمْ كَذَلِكَ قَدَمَ عَكْرَمَةَ أَبِينِ .

• • •

وكتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل ، عن القاسم
وموسى بن الغصن ، عن ابن مُحَبِّيرِيز ، قال : فخرج عكرمة من مَهْرَةَ
سائراً نحو اليمن حتى ورد أبين ، ومعه بشر كثير من مَهْرَةَ ، وسعد بن
زيد ، والأزد ، وناجية ، وعبد القيس ، وحُدْبَان من بني مالك بن كنانة ،
وعمر بن جندب من العنبر ، فجمع النخع بعد من أصاب^(١) من مدبريهم ١٩٩٦/١
فقال لهم : كيف كنتم في هذا الأمر ؟ فقالوا له : كنا في الجاهلية أهل
دين ، لا نتعاطى ما تتعاطى العرب بعضها من بعض ، فكيف بنا إذا
صرنا إلى دين عرفنا فضله ، ودخلنا حبه ! فسأل عنهم فإذا الأمر كما قالوا ،
ثبت عوامتهم وهرب من كان فارق من خاصتهم ، واستبرأ النخع وحِمْيَر ،
وأقام لاجتماعهم ، وأرز قيس بن عبد يغوث لهبوط عكرمة إلى اليمن إلى
عمرو بن معديكرب ، فلما ضامه^(٢) وقع بينهما تنازع ، فتعايرآ ، فقال

(١) ز : « ما أصاب » .

(٢) ضامه ، بمعنى ضمه ، يقال : نهض للقتال وضامه قومه .

عمرو بن معد يكرب يُعَيَّر قيساً غَدْرَهُ بالأبناء وقتله دافويه ، ويذكر فراره من فيروز :

غَدْرَتَ وَلَمْ تُحْسِنْ وَفَاءٌ وَلَمْ يَكُنْ
وكيف لقيسٍ أن يُنَوِّطَ نَفْسَهُ
لِيَحْتَمِلَ الْأَسْبَابَ إِلَّا الْمَعْوَدُ
إِذَا مَا جَرَى وَالْمَضْرِحِيُّ الْمَسْوَدُ^(١)!

وقال قيس :

وَفَيْتُ لِقَوْمِي وَأَخْتَشَدْتُ لِمَعَشِرِي
وَكُنْتُ لَدَى الْأَبْنَاءِ لَمَّا لَقَيْتَهُمْ
أَصَابُوا عَلَى الْأَحْيَاءِ عَمْرًا وَمَرْتَدًا
كَأَصِيدٍ يَسْمُو بِالْعَزَازَةِ أَصِيدًا

وقال عمرو بن معد يكرب :

فَمَا إِنْ دَاذَوِي لَكُمْ بِفَخْرِي
وَفَيْرُوزُ غَدَاةٍ أَصَابَ فِيكُمْ
وَلَكِنْ دَاذَوِي فَضَحَ الذَّمَّارَا
وَأَضْرَبَ فِي جَمْعِكُمْ اسْتَجَارَا^(٢)

• • •

ذكر خبر طاهر حين شخص مددًا لفيروز

١٩٩٧/١

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله : قد كان أبو بكر رحمه الله كتب إلى طاهر بن أبي هائلة بالنزول إلى صنعاء وإعانة^(٣) الأبناء ؛ وإلى مسروق ، فخرجا حتى أتيا صنعاء ، وكتب إلى عبد الله بن ثور بن أصغر ، بأن يجمع إليه العرب ومن استجاب له من أهل نيهامة ، ثم يقيم بمكانه حتى يأتيه أمره .

وكان أول ردة عمرو بن معد يكرب أنه كان مع خالد بن سعيد فخالفه ، واستجاب للأسود ، فسار إليه خالد بن سعيد حتى لقيه ؛ فاختلفا ضربتين ، فضربه خالد على عاتقه فقطع حِمَالَةَ سَيْفِهِ فوقع ، ووصلت الضربة إلى عاتقه ، وضربه عمرو فلم يصنع شيئاً ، فلما أراد خالد أن يُشْنَى عَلَيْهِ نَزَلَ فَتَوَقَّلَ^(٤) فِي الْجَبَلِ ، وَسَلَّيْتَهُ فَرَسَهُ وَسَيْفَهُ الصَّمْصَامَةَ ،

(١) ينوط نفسه : يكرمها . والمضرحى : السيد الكريم . (٢) ب ، س : « واصوب » .

(٣) « في إعانة » . (٤) تقول في الجبل : صعد في أعلاه .

ولحج عمرو فيمن لحج^(١). وصارت إلى سعيد بن العاص الأصغر مواريث آل سعيد بن العاص الأكبر. فلما ولي الكوفة عرض عليه عمرو ابنته، فلم يقبلها، وأتاه في داره بعدة سيوف كان خالد أصابها باليمن، فقال: أيتها الصمصامة؟ قال: هذا، قال: خذه فهو لك، فأخذه، ثم آكف بغلاً له فضرب الإكاف فقطعه والبزذعة، وأسرع في البغل، ثم رده على سعيد، وقال: لو زرتني في بيتي وهولي لوهبتك لك، فما كنت لأقبله إذ وقع.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن المستنير بن يزيد ١٩٩٨/١ عن عمرو بن غزيرة وموسى، عن أبي زرعة السيباني، قال: ولا فصل المهاجر بن أبي أمية من عند أبي بكر - وكان في آخر من فصل - اتخذ مكة طريقاً، فمر بها فاتبعه خالد بن أسيد، ومر بالطائف فاتبعه عبد الرحمن بن أبي العاص، ثم مضى حتى إذا حاذى جرير بن عبد الله ضمته إليه، وانضم إليه عبد الله بن ثور حين حازاه، ثم قدم على أهل نجران؛ فانضم إليه عمرو بن مسيك، وفارق عمرو بن معد يكرب قيساً، وأقبل مستجيباً؛ حتى دخل على المهاجر على غير أمان؛ فأوثقه المهاجر؛ وأوثق قيساً، وكتب بحالهما إلى أبي بكر رحمه الله، وبعث بهما إليه. فلما سار المهاجر من نجران إلى الحجية، والتفت الخيول على تلك الفالة استأمنوا، فأبى أن يؤمنهم، فافترقوا فرقتين؛ فلقى المهاجر إحداهما بعجيب، فأتى عليهم، ولقيت خيولهم الأخرى بطريق الأخابث، فأتوا عليهم - وعلى الخيول عبد الله - وقتل الشرداء بكل سبيل، فقدم بقيس وعمرو على أبي بكر، فقال: يا قيس، أعمدوت على عباد الله تقتلهم وتتخذ المرتدين والمشركين وليجة من دون المؤمنين! وهم بقتله لو وجد أمراً جليلاً. وانتفى قيس من أن يكون قنارف من أمر داذويه شيئاً، وكان ١٩٩٩/١ ذلك عملاً عميل في سير لم يكن به بينة، فتجافى له عن دمه، وقال لعمرو ابن معد يكرب: أما تخزي أنك كل يوم مهزوم أو مأسور! لو نصرت هذا

(١) لحج، أي ذهب إلى الحج مع المرتدين الذين ذهبوا إليها، وهم الحجية.

الدين لرفعك الله . ثم خشي سبيله ، وردّهما إلى عشائريهما ، وقال عمرو :
لا جرمَ ! لأقبلن ولا أعود .

كتب إلى السري : عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير وموسى
قالا : سار المهاجر من عجيب ، حتى ينزل^(١) صنعاء ، وأمر أن يتبعوا
شذآذ^(٢) القبائل الذين هربوا : فقتلوا من قَدَرُوا^(٣) عليه منهم كل قِتلة ،
ولم يُعفِ متمرّدًا ، وقبل توبة من أناب من غير المتمرّدة ؛ وعملوا في ذلك
على قَدَر ما رأوا من آثارهم ، ورجّوا عندهم . وكتب إلى أبي بكر بدخوله صنعاء
وبالذي يتبع من ذلك .

• • •

ذكر خبر حضرموت في ردّتهم

قال أبو جعفر : كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل
ابن يوسف ، عن الصلت ، عن كثير بن الصلت ، قال : مات رسولُ الله
صلّى الله عليه وسلّم وعمّاله على بلاد حضرموت : زياد بن لبيد البياضي
على حضرموت . وعكاشة بن مِحْصَن على الكسكاسك والسكون ، والمهاجر
على كِنْدَة - وكان بالمدينة لم يكن خرج حتى توفّي رسولُ الله
صلّى الله عليه وسلّم . فبعثه أبو بكر بعد إلى قتال من باليمن والمُضَيّ
بعد إلى عمله .

كتب إلى السري . عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي السائب ، عطاء
ابن فلان المخزومي ، عن أبيه ، عن أمّ سلّمة والمهاجر بن أبي أمية ، أنّه كان
تخلّف عن تبوك ، فرجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وهو عليه عاتب ؛
فبينما أمّ سلّمة تغسل رأس رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ، قالت : كيف
ينفعني شيء وأنت عاتب على أخي ! فرأت منه رقّة ؛ فأومأت إلى خادمها ؛
فدعتّه ، فلم يزل برسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ينشُرُ عُدْرَه حتى

(١) س : « نزل » . (٢) س : « شراد » . (٣) ز : « عليهم »

عَدْرَهُ وَرَضِيَ عَنْهُ وَأَمَرَهُ عَلَى كِنْدَةَ . فاشتكى ولم يطق الذَّهَابَ . فكتب إلى زياد ليقوم له على عمله . وبتراً بعد . فَأَتَمَّ لَهُ أَبُو بَكْرٍ امْرَأَتَهُ ، وَأَمَرَهُ بِقِتَالِ مَنْ بَيْنَ نَجْرَانَ إِلَى أَقْصَى الْيَمَنِ ؛ وَذَلِكَ أَبْطَأَ زِيَادٌ وَعُكَّاشَةٌ عَنْ مَنَاجِزَةِ كِنْدَةَ انْتِظَاراً لَهُ .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ؛ قال : كان سبب رِدَّةِ كِنْدَةَ إِحَابَتَهُمُ الْأَسْوَدَ الْعَنْسِيَّ حَتَّى لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُلُوكَ الْأَرْبَعَةَ ، وَأَنْتَهُمْ قَبْلَ رِدَّتِهِمْ حِينَ أَسْلَمُوا وَأَسْلَمَ أَهْلُ بِلَادِ حَضْرَمَوْتَ كُلِّهِمْ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا يَوْضَعُ مِنَ الصَّدَقَاتِ أَنْ يَوْضَعَ صَدَقَةَ بَعْضِ حَضْرَمَوْتَ فِي كِنْدَةَ ، وَيَوْضَعُ^(۱) صَدَقَةَ كِنْدَةَ فِي بَعْضِ حَضْرَمَوْتَ ، وَبَعْضُ حَضْرَمَوْتَ فِي السَّكُونِ وَالسَّكُونِ فِي بَعْضِ حَضْرَمَوْتَ . فَقَالَ نَفَرٌ مِنْ بَنِي وَكَيْعَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّا لَسْنَا بِأَصْحَابِ إِبِلٍ ؛ فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ يَبْعَثُوا إِلَيْنَا بِذَلِكَ عَلَى ظَهْرٍ ! فَقَالَ : إِنْ رَأَيْتُمْ ! قَالُوا : فَإِنَّا نَنْظُرُ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ ظَهْرٌ فَعَلْنَا . فَلَمَّا تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَجَاءَ ذَلِكَ الْإِبْتَانُ ، دَعَا زِيَادُ النَّاسَ إِلَى ذَلِكَ . فَحَضَرُوهُ ، فَقَالَتْ بَنُو وَكَيْعَةَ : أَبْلَغُونَا كَمَا وَعَدْتُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَقَالُوا : إِنَّ لَكُمْ ظَهْرًا ، فَهَلِمُوا فَاحْتَمَلُوا ، وَلا حَتَّوْهُمْ ؛ حَتَّى لَاحُوا زِيَادًا ؛ وَقَالُوا لَهُ : أَنْتَ مَعَهُمْ عَلَيْنَا . فَأَبَى الْحَضْرَمِيُّونَ ، وَلَجَّ الْكِنْدِيُّونَ . فَرَجَعُوا إِلَى دَارِهِمْ . وَقَدَّمُوا رَجُلًا وَأَخْرَجُوا أُخْرَى ، وَأَمْسَكَ عَنْهُمْ زِيَادٌ انْتِظَارًا لِلْمُهَاجِرِ ؛ فَلَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُ صَنْعَاءَ . كَتَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ بِكُلِّ الَّذِي صَنَعَ ، وَأَقَامَ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ جَوَابُ كِتَابِهِ مِنْ قِبَلِ أَبِي بَكْرٍ ؛ فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ وَإِلَى عِكْرَمَةَ ، أَنْ يَسِيرَا حَتَّى يَقْدَمَا حَضْرَمَوْتَ . وَأَقْبَرَ زِيَادًا عَلَى عَمَلِهِ ، وَأَذَنُ مَنْ مَعَكَ مِنْ بَيْنِ مَكَّةَ وَالْيَمَنِ فِي الْقَفْلِ ؛ إِلَّا أَنْ يَوْثُرَ قَوْمُ الْجِهَادِ . وَأَمِدَهُ بُعْبَيْدَةَ ابْنُ سَعْدٍ . فَفَعَلَ ؛ فَسَارَ الْمُهَاجِرُ مِنْ صَنْعَاءَ يَرِيدُ حَضْرَمَوْتَ . وَسَارَ عِكْرَمَةُ مِنْ أَبِييْنِ يَرِيدُ حَضْرَمَوْتَ ، فَالْتَقِيَا بِمَأْرِبَ ؛ ثُمَّ فَوَزَا^(۲) مِنْ صَهِيدٍ ؛ حَتَّى اقْتَحَمَا حَضْرَمَوْتَ . فَتَزَلَّ أَحَدُهُمَا عَلَى الْأَشْعَثِ وَالْآخَرَ عَلَى وَاثِلٍ .

(۱) ط : « ووضعه » ، وانظر التصويبات . (۲) فوزا : سنكا المفازة .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن أبيه ، عن كثير بن الصلت ؛ قال : وكان زياد بن لبيد حين رجع الكنديون ولجؤا وليج الحضرميون ، ولي صدقات بن عمرو بن معاوية بنفسه ، فقدم عليهم وهم بالرياض ، فصدق أول من انتهى إليه منهم ؛ وهو غلام ، يقال له شيطان بن حُجر ؛ فأعجبه بتكررة من الصدقة ، فدعا بنار فوضع عليها الميسم ، وإذا الناقة لأخي الشيطان العداء بن حُجر ، وليست عليه^(١) صدقة ، وكان أخوه قد أوهم حين أخرجها وظننها غيرها ؛ فقال العداء : هذه شذرة باسمها ؛ فقال الشيطان : صدق أخي ؛ فإني لم أعطيكموها إلا وأنا أراها غيرها ؛ فأطلق شذرة وخذ غيرها ، فإنها غير متروكة . فرأى زياد أن ذلك منه اعتلال ، وانتهمه بالكفر ومباعدة الإسلام وتحرى الشر . فتحمى وحمى الرجلان ، فقال زياد : لا ولا تنعم ؛ ولا هي لك ؛ لقد وقع عليها ميسم الصدقة وصارت في حق الله ، ولا سبيل إلى ردّها ، فلا تكونن شذرة عليكم كالبسوس ؛ فنادى العداء : يا آل عمرو ، بالرياض أضام واضطهد ! إن الدليل من أكيل في داره ! ونادى : يا أبا السميطة ، فأقبل أبو السميطة حارثة بن سراقه بن معد يكرب ؛ فقصد لزياد بن لبيد وهو واقف ، فقال : أطلق لهذا الفتي بتكرته ، وخذ بعيراً مكانها ، فإنما بعير مكان بعير ، فقال : ما إلى ذلك سبيل ! فقال : ذاك إذا كنت يهودياً ! وعاج إليها ، فأطلق عيقلها ، ثم ضرب على جنبها ؛ فبعثها وقام دونها ، وهو يقول :

يَمْنَعُهَا شَيْخٌ بِخَدْيِهِ الشَّيْبُ مَلَمَعٌ كَمَا يُلَمَعُ الثَّوْبُ

فأمر به زياد شاباً من حضرموت والسكون ، فغثود^(٢) وتوطئوه ، وكتفوه^(٣) وكتفوا أصحابه ، وارتهنهم ، وأخذوا البكررة فعقلوها كما كانت ؛ وقال زياد ابن لبيد في ذلك :

(١) س : « وليس عليه » .

(٢) مغموه : فالوه بالأيدى ، وفي ابن الأثير : « فغموه » .

(٣) كتفوه : أصابوا كتفه ، أو ضربوه عليها .

لم يمنع الشذرة أركوب^١ والشيخ قد يثنيه أركوب^١

وتصايح أهل الرياض وتنادوا ، وغضببت بنو معاوية لحارثة ، وأظهروا أمرهم ، وغضبت السكون لزياد ، وغضبت له حضرموت ، وقاموا جميعاً دونه . وتوافى عسكريان عظيمان من هؤلاء وهؤلاء ؛ لا تحدث بنو معاوية لمكان أسرهم شيئاً ، ولا يجد^(١) أصحاب زياد على بني معاوية سبيلاً يتعلقون به عليهم ؛ فأرسل إليهم زياد : إماً أن تضعوا السلاح ، وإما أن تؤذونا بحرب ؛ فقالوا : لا نضع السلاح أبداً حتى ترسلوا أصحابنا ، فقال زياد : لا يرسلون أبداً حتى ترفضوا وأنتم صغرة قمتة . يا أخابث الناس ، أستم سكان حضرموت وجيران السكون ! فما عسى أن تكونوا وتصنعوا في دار حضرموت ؛ وفي جنوب موالكم ! وقالت له السكون : ناهد القوم ، فإنه لا يطمئهم إلا ذلك ؛ فنهدهم ليلاً ، فقتل منهم ، وطاروا عباديد ، وتمثل زياد حين أصبح في عسكرهم :

وكنتُ امرأ لا أبعثُ الحربَ ظالماً فلما أبوا ساحتُ في حربِ حاطبِ

ولما هرب القوم خلتى عن نفر الثلاثة ؛ ورجع زياد إلى منزله على الظفر . ولما رجع الأسراء إلى أصحابهم ذمروهم فتدامروا ، وقالوا : ٢٠٠٤/١ لا تصلح البلدة علينا وعلى هؤلاء حتى تخلوا لأحد الفريقين . فأجمعوا وعسكروا جميعاً ، ونادوا بمنع الصدقة ، فتركهم زياد لم يخرج إليهم ، وتركوا المسير إليه . وأرسل إليهم الحصين بن نمير ، فما زال يسفر فيما بينهم وبين زياد وحضرموت والسكون حتى سكن بعضهم عن بعض ؛ وهذه النفرة الثانية ، وقال السكوني في ذلك :

لعمري وما عمري بعرضة جانبٍ ليجتلبن منها المرار بنو عمرو
كذبتم وبيت الله لا تمنونها زياداً ، وقد جئنا زياداً على قدر

(١) كذا في ب ، وفي ط : « تجد »

فأقاموا بعد ذلك يسيراً . ثم إن بني عمرو بن معاوية خصوصاً خرجوا إلى
 المهاجر ، إلى أحباء حمّـوها ، فنزل جَمَدٌ محجراً ، وميخووس محجراً ،
 وميشرح محجراً ، وأبضعة محجراً ، وأختهم العَمْرَدَةُ محجراً . وكانت بنو عمرو
 ابن معاوية على هؤلاء الرؤساء - ونزلت بنو الحارث بن معاوية مهاجرها ، فنزل
 الأشعث بن قيس مَحَجَّرًا ، والسَّمَط بن الأسود محجراً ، وطابقت معاوية
 كلُّها على منع الصدقة ، وأجمعوا على الردّة إلا ما كان من شُرْحَبِيل بن السَّمَط
 وابنه . فإنهما قاما في بني معاوية ، فقالا : والله إنَّ هذا لتقبيحٌ بأقوام أحرار التنقل ؛
 إنَّ الكرام ليكونون على الشبهة فينكرومون أن يتنقلوا منها إلى أوضح منها مخافة
 العار . فكيف بالرجوع عن الجميل ، وعن الحقِّ إلى الباطل والتقبيح ! اللهم
 ۲۰۰۵/۱
 إنّنا لا نملأ قوماً على هذا ، وإنّا لتنادمون على مجامعتهم إلى يومنا هذا - يعني يوم
 البكرة ويوم النفرة - وخرج شُرْحَبِيل بن السَّمَط وابنه السَّمَط ؛ حتى أتيا
 زياد بن أبيد ، فانضمّا إليه ، وخرج ابن صالح^(۱) وامرؤ القيس بن
 عابس ؛ حتى أتيا زياداً ، فقالا له : بيّت القوم ، فإنّ أقواماً من السكاسك
 قد انضموا^(۲) إليهم ، وقد تسرع إليهم قوم من السكّون وشذّاذ من
 حضرموت ، لعلنا نوقع بهم وقعة تُورث بيننا عداوة ، وتفرّق بيننا ؛ وإن
 آبيت خشينا أن يرفض^(۳) الناس عنا إليهم ؛ والقوم غارون^(۴) لِمكان من
 أمّهم ، راجون لمن بقي . فقال : شأنكم . فجمعوا جمعهم ، فطرقوهم في
 مهاجرهم ، فوجدوهم حول نيرانهم جلوساً ، فعرفوا من يريدون ، فأكبوا على
 بني عمرو بن معاوية ؛ وهم عدد القوم وشوكتهم ، من خمسة أوجه في خمس^(۵)
 فرق ، فأصابوا مشرحاً ومخوصاً وجَمَدًا وأبضعة وأختهم العَمْرَدَةَ ، أدركتهم
 اللعنة ، وقتلوا فأكثروا ، وهرب من أطاق الهرب ، ووَهنت^(۶) بنو عمرو بن
 معاوية ، فلم يأتوا بخير بعدها ، وانكفأ زياد بالسببي والأموال ، وأخذوا طريقاً

(۱) ز : « قيس » .

(۲) ب : « انضموا » .

(۳) س : « يرفض » .

(۴) ز : « غارون » .

(۵) س : « خمس » .

(۶) ز : « وهنت » .

يُنْفِضِي بِهِمْ إِلَى عَسْكَرِ الْأَشْعَثِ وَبَنِي الْحَارِثِ بْنِ مَعَاوِيَةَ ؛ فَلَمَّا مَرُّوا بِهِمْ فِيهِ اسْتِغَاثَ نِسْوَةُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ مَعَاوِيَةَ بِنِي الْحَارِثِ وَنَادَيْتَهُ : يَا أَشْعَثُ ، يَا أَشْعَثُ ! خَالَاتِكَ خَالَاتِكَ ! فَثَارَ فِي بَنِي الْحَارِثِ فَتَنَقَّضَهُمْ - وَهَذِهِ الثَّلَاثَةُ - وَقَالَ الْأَشْعَثُ :

مَنْعْتُ بَنِي عَمْرٍو وَقَدْ جَاءَ جَمْعُهُمْ بِأَمْعَرَ مِنْ يَوْمِ الْبُضِيضِ وَأَصْبَرَ

وَعَلِمَ الْأَشْعَثُ أَنَّ زِيَادًا وَجُنْدَهُ إِذَا بَلَغَهُمْ ذَلِكَ لَمْ يُقْلِعُوا عَنْهُ وَلَا عَنِ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَبَنِي عَمْرٍو بْنِ مَعَاوِيَةَ ، فَجَمَعَ إِلَيْهِ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ مَعَاوِيَةَ وَبَنِي عَمْرٍو بْنِ مَعَاوِيَةَ ، وَمَنْ أَطَاعَهُ مِنَ السَّكَّاسِكِ وَالْخَصَائِصِ مِنَ الْقِبَائِلِ مَا حَوْلَهُمْ ، وَتَبَايَنَ لِهَذِهِ الْوَقْعَةِ مَنْ بَحْضَرُمُوتَ مِنَ الْقِبَائِلِ ، فَثَبَّتَ أَصْحَابُ زِيَادٍ عَلَى طَاعَةِ زِيَادٍ ، وَلَجَّتْ كِنْدَةُ ، فَلَمَّا تَبَايَنَتِ الْقِبَائِلُ كَتَبَ زِيَادٌ إِلَى الْمُهَاجِرِ ؛ وَكَاتَبَهُ النَّاسُ فَتَلَقَّاهُ بِالْكِتَابِ ، وَقَدْ قَطَعَ صَهِيدٌ - مَفَازَةٌ مَا بَيْنَ مَأْرِبَ وَحَضْرُمُوتَ - وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْجَيْشِ عِكْرَمَةَ ، وَتَعَجَّلَ فِي سَرَاعَانَ^(١) النَّاسَ ، ثُمَّ سَارَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى زِيَادٍ ؛ فَتَنَهَّدَ إِلَى كِنْدَةَ وَعَلَيْهِمُ الْأَشْعَثُ ، فَالْتَقَوْا بِمِحْجَرِ الزُّرْقَانَ فَاقْتَتَلُوا بِهِ فَهَزُمَتِ كِنْدَةُ ، وَقُتِلَتْ وَخَرَجُوا هُرَابًا ، فَالْتَجَأَتْ إِلَى النُّجَيْيْرِ وَقَدْ رَمَوْهُ وَحَصَّنُوهُ ، وَقَالَ فِي يَوْمِ مَحْجَرِ^(٢) الزُّرْقَانَ الْمُهَاجِرِ :

كُنَّا بِزُرْقَانَ إِذْ يُشَرِّدُكُمْ بِحَرْزِجِي فِي مَوْجِهِ الْحَطْبَا^(٣)
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ بِمِحْجَرِكُمْ حَتَّى رَكِبْتُمْ مِنْ خَوْفِنَا السَّبَبَا
إِلَى حَصَارٍ يَكُونُ أَهْوَنَهُ سَبِيُّ الذَّرَارِي وَسَوْفَهَا خَبَبَا

وَسَارَ الْمُهَاجِرُ فِي النَّاسِ مِنْ مَحْجَرِ الزُّرْقَانَ حَتَّى نَزَلَ^(٤) عَلَى النُّجَيْيْرِ ،

(١) سرعان الناس : أوائلهم المستبقون إلى الأمر .

(٢) قال ياقوت : زرقان بأرض حضرموت . والمحجر ، كالناحية للقوم .

(٣) ياقوت ٤ : ٣٨٤ .

(٤) ب : • ينزل • .

۲۰۰۷/۱ وقد اجتمعت إليه كنده ، فتحصنوا فيه ، ومهم من استغفوا من السكاسك
 وشذاذ من السكون وحضرموت والشجير ، على ثلاثة^(۱) سبيل ، فنزل زياد على
 أحدها ، ونزل المهاجر على الآخر ، وكان الثالث لم يؤتون فيه وبذهبون فيه ،
 إلى أن قدم عكرمة في الجيش^(۲) ، فأنزله على ذلك الطريق ، فقطع عليهم المواد
 وردتهم ، وفرق في كنده الخيول ، وأمرهم أن يوطئوهم . وفيمن بعث
 يزيد بن قنان من بني مالك بن سعد ، فقتل من بقرى بني هند إلى
 برهوت ، وبعث فيمن بعث إلى الساحل خالد بن فلان المخزومي وربيعه
 الحضرمي ، فقتلوا أهل مَحَا^(۳) وأحياء آخر ؛ وبلغ كنده وهم في الحصار ما لقي
 سائر قومهم ، فقالوا : الموت خير مما أنتم فيه ؛ جزوا نواصيتكم حتى كأنكم
 قوم قد وهبتم لله أنفسكم ، فأنعم عليكم فبؤتم بنعمه ؛ لعله أن ينصركم على
 هؤلاء الظلمة . فجزوا نواصيتهم ، وتعاقدوا وتواثقوا ألا يفر بعضهم عن
 بعض^(۴) ، وجعل راجزهم يرتجز في جوف الليل فوق حصنهم :

صَبَاحُ سَوْءِ لَبْنِي قَتِيرَةٍ^(۵) وللأمير من بني المغيرة

وجعل راجز المسلمين زياد بن دينار يرد عليهم :

لا توعِدُونَا وَاصْبِرُوا حَصِيرَةٍ^(۶) نحنُ خيولُ وُلْدِ المغيرة
 • وفي الصَّبَاحِ تَظْفَرُ العُشْبِرَةُ^(۷) •

۲۰۰۸/۱ فلما أصبحوا خرجوا على الناس ، فاقتلوا بأفنية الشجير ، حتى كثرت
 القتلى بحيال كل طريق من الطرق الثلاثة ، وجعل عكرمة يرتجز يومئذ ،
 ويقول :

أَطْعُمُهُمْ وَأَنَا عَلَى أَوْفَازٍ^(۸) طَمْنَا أبوه به على مجازٍ^(۹)

(۱) س : « ثلاث » ، والسبيل تذكر وتؤنث . (۲) ز : « وفرق الجيش » .

(۳) ز : « محنا » .

(۴) س : « قنيره » .

(۵) ز : « من بعض » .

(۶) ب : « تظهر العشيرة » .

(۷) س : « حضيره » .

(۸) أبوه به : أرجع به .

(۹) ز : « أطعهم » .

ويقول :

أَنْفِذْ قَوْلِي وَلَهُ نَقَّادٌ وَكُلُّ مَنْ جَاوَزَنِي مُعَاذٌ

فهزمت كيندة، وقد أكثروا فيهم القتل .

وقال هشام بن محمد : قدم عيكرمة بن أبي جهل بعد ما فرغ المهاجر من أمر القوم مدداً له ، فقال زياد والمهاجر لمن معهما : إن إخوانكم قدِمُوا مَدَدًا لَكُمْ ، وقد سبقتموهم بالفتح فأشركوهم في الغنيمة . ففعلوا وأشركوا من لحق بهم ، وتواصوا بذلك ، وبعثوا بالأخماس والأسرى ، وسار البشير فسبقهم ؛ وكانوا يبشرون القبائل ويقرءون عليهم الفتح .

وكتب إلى السري ، قال : كتب أبو بكر رحمه الله إلى المهاجر مع المغيرة بن شعبة : إذا جاءكم كتابي هذا ولم تظفروا ؛ فإن ظفرتم بالقوم ناقتلوا المقاتلة ، واسبوا الذرية إن أخذتموهم عشوة ، أو ينزلوا على حكمي ، فإن جرّى بينكم صلح قبل ذلك فعلى أن تخرجوهم من ديارهم ؛ فإنّي أكثره أن أقرّ أقواماً فعلوا فعلهم في منازلهم ، ليعلموا أن قد أساءوا ، وليذوقوا وبال بعض الذي أتوا .

قال أبو جعفر : ولما رأى أهل النجيب المواد لا تنقطع عن المسلمين ، ٢٠٠٩/١ وأيقنوا أنّهم غير منصرفين عنهم ، خشعت أنفسهم ، ثم خافوا القتل ، وخاف الرؤساء على أنفسهم ؛ ولو صبروا حتى يجيء المغيرة لكانت لهم في الثالثة الصلح على الجلاء نسجاة . فعجل الأشعث ، فخرج إلى عيكرمة بأمان ، وكان لا يأمن غيره ؛ وذلك أنّه كانت تحته أسماء ابنة النعمان بن الجون^(١) ، خطبها وهو يومئذ بالحندي ينتظر المهاجر ، فأهداها إليه أبوها قبل أن يبادوا ، فأبلغه عكرمة المهاجر ، واستأمنه له على نفسه ، ونفّر معه تسعة ؛ على أن يؤمنهم وأهليهم وأن يفتحوا لهم الباب ؛ فأجابه إلى ذلك ، وقال : انطلق فاستوثق لنفسك ، ثم هلم كتابك أختمه .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي إسحاق

(١) النعمان بن الجون ، كذا أورده الطبري هنا وفي ص ٣٤٠ ، وفي ص ١٦٧ « النعمان بن الأسود ابن شراحيل بن الجون بن حجر » . وفي كتابه المنتخب من ذيل المذيل ص ٢٤٥٦ : « النعمان بن أبي الجون الأسود بن الحارث بن شراحيل بن الجون آكل المرار » . وانظر الإصابة ٤ : ٢٢٧ ، والاستيعاب ٧٠٣ .

الشَّيبَانِي، عن سعيد بن أبي بُرْدَةَ، عن عامر، أنه دخل عليه فاستأمنه على أهله وماله، وتسعة ممن أحب، وعلى أن يفتح لهم الباب فيدخلوا على قومه. فقال له المهاجر: اكتب ما شئت واعجل، فكتب أماته وأمانهم، وفيهم أخوه وبنو عمته وأهلهم، ونسى نفسه؛ عَجِلَ ودَهِشَ. ثم جاء بالكتاب فختمه^(۱)؛ ورجع فسرّب الذين في الكتاب.

وقال الأجلح والمجالد: لمّا لم يبق إلا أن يكتب نفسه وثب عليه جَاحِدَم بشفرة، وقال: نفسك أو تكتبني! فكتبه وترك نفسه.

قال أبو إسحاق: فلما فتح الباب اقتحمه المسلمون فلم يدعوا فيه مقاتلا إلا قتلوه؛ ضربوا^(۲) أعناقهم صبراً، وأحصى ألف امرأة ممن في النجير والخندق؛ ووضع على السبى والفتىء الأحراس، وشاركهم كثير.

وقال كثير بن الصلت: لمّا فتح الباب وفرغ ممن في النجير، وأحصى ما أفاء الله عليهم، دعا الأشعث بأولئك النفر، ودعا بكتابه فعرضهم، فأجاز^(۳) من في الكتاب، فإذا الأشعث ليس فيه، فقال المهاجر: الحمد لله الذي أخطأك نوءك^(۴) يا أشعث، يا عدو الله! قد كنت أشتهى أن يخزيك^(۵) الله فشدّه وثاقاً، وهمّ بقتله، فقال له عكرمة: أخره، وأبلغه أبا بكر، فهو أعلم بالحكم في هذا. وإنه كان رجلاً نسي اسمه أن يكتبه؛ وهو ولو المخاطبة. أفذاك يبطل ذلك^(۶)! فقال المهاجر: إن أمره لبيّن، ولكني أتيت المشورة وأوثرها. وأخره وبعث به إلى أبي بكر مع السبى، فكان معهم بلاء المسلمون ويلعنه سبأيا قومه، وسمّاه نساء قومه عرف النار - كلام بما يسمون به الغادر - وقد كان المغيرة تحبّر ليلته للذي أراد الله، فجاء والقى في دماهم^(۷) والسبى على ظهْر، وسارت السبأيا والأسرى، فقدم القوم على أبي بكر رحمه الله بالفتح والسبأيا والأسرى. فدعا بالأشعث، فقال:

(۱) ز: «يختمه».

(۲) في ب: «وضربوا».

(۳) ابن الأثير: «فأجاز».

(۴) النوء: النجم مال إلى الغروب، وهو كناية عن أنه لم يوفق إلى الصواب في الرأي وسوء طالعه.

(۵) ز: «يجزيك».

(۶) س: «ذلك».

(۷) ز: «ذماهم».

استرلك بنو وليعة، ولم تكن لتسترل لهم - ولا يرونك لذلك أهلاً - واهلكوا^(١) وأهلكوك ! أما تخشى أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وصل إليك منها طرفاً ! ما ترانى صانعاً بك ؟ قال : إني لا علم لي برأيك ، وأنت أعلم برأيك ، قال : فإنني أرى قتلك . قال : فإنني أنا الذي راوضتُ القوم في عشرة ، فما يحلُّ دمي ، قال : أفوضوا إليك ؟ قال : نعم ، قال : ثم أتيتهم بما فوضوا إليك فختموه لك ؟ قال : نعم ، قال : فإنما وجب الصلح بعد ختم الصحيفة على من في الصحيفة ، وإنما كنت قبل ذلك مراوضاً . فلما خشي أن يقع به قال : أو تحتسب في خيراً فتطلق إسامي وتقبلني عترتي ، وتقبل إسلامي ، وتفعل بي مثل ما فعلته بأمثالي وترد علي زوجتي - وقد كان خطب أم فروة بنت أبي قحافة مقدّمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فزوجه وأخبرها إلى أن يقدم الثانية ، فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفعل الأشعث ما فعل ، فخشي ألا تُردّ عليه - تجدني خيراً أهل بلادى لدين الله ! فتجافى له عن دمه ، وقبيل منه ، وردّ عليه أهله ، وقال : انطلق فليبلغني عنك خيراً ، وخطي عن القوم فذهبوا ، وقسم أبو بكر في الناس الخمس ، واقتسم الجيش الأربعة الأخماس .

• • •

قال أبو جعفر : وأمّا ابن حميد ، فإنه قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، أن الأشعث لما قدّم به على أبي بكر ، قال : ماذا ترانى أصنع بك ؛ فإنك قد فعلت ما علمت^(٢) ! قال : تمنُّ عليّ^(٣) فتفككتي من الحديد وتزوجني أختك ؛ فإني قد راجعتُ وأسلمتُ . فقال أبو بكر : قد فعلتُ . فزوجه أم فروة ابنة أبي قحافة ، فكان بالمدينة حتى فتح العراق .

• • •

رجع الحديث إلى حديث سيف^(٣) . فلما ولي عمر رحمه الله ، قال : إنّه

(١) ب : « وأهلكوا » . (٢) ب : « ما فعلت » .

(٣) انظر أول الحديث ص ٣٣٧ .

لَيَقْبُحَ بِالْعَرَبِ أَنْ يَمْلِكَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَقَدْ وَسَّعَ اللَّهُ ، وَفَتَحَ الْأَعَاجِمَ .
 وَاسْتَشَارَ فِي فِدَاءِ سَبَايَا الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ إِلَّا امْرَأَةً وَلَدَتْ لِسَيِّدِهَا ،
 وَجَعَلَ فِدَاءَ كُلِّ إِنْسَانٍ سَبْعَةَ أْبَعْرَةَ ^(١) وَسِتَّةَ أْبَعْرَةَ إِلَّا حَنْيِفَةَ كَنْدَةَ ؛ فَإِنَّهُ
 خَفَّفَ عَنْهُمْ ^(٢) لِقَتْلِ رِجَالِهِمْ ، وَمَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى فِدَاءِ لِقِيَامِهِمْ ^(٣) وَأَهْلَ دَبَابَا ،
 فَتَبَّعَتْ رِجَالُهُمْ نِسَاءَهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ . فَوَجَدَ الْأَشْعَثُ فِي بَنِي نَهْدٍ وَبَنِي
 غُطَيْفٍ امْرَأَتَيْنِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ وَقَفَ فِيهَا بِسْأَلٍ عَنِ غُرَابٍ وَعُقَابٍ ، فَقِيلَ :
 مَا تَرِيدُ إِلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : إِنَّ نِسَاءَنَا يَوْمَ النَّجِيرِ خَطَفْنَهُ الْعِقْبَانَ وَالْغُرَبَانَ
 وَالذُّثَابَ وَالْكَلَابَ . فَقَالَ بَنُو غُطَيْفٍ : هَذَا غُرَابٌ ، قَالَ : فَمَا مَوْضِعُهُ
 فِيكُمْ ؟ قَالُوا : فِي الصَّبَاةِ ^(٤) ، قَالَ : فَتَنَعَمُ ، وَانصَرَفَ . وَقَالَ عُمَرُ : لَا مَلِكَ
 عَلَيَّ عَرَبِيٌّ ، لِلَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ مَعَهُ .

قَالُوا : وَنَظَرَ الْمُهَاجِرُ فِي أَمْرِ الْمَرْأَةِ الَّتِي كَانَ أَبُوهَا النُّعْمَانُ بْنُ الْجَوْنِ
 أَهْدَاهَا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَوَصَفَهَا أَنَّهَا لَمْ تَشْتَكِ قَطُّ ،
 ٢٠١٣/١ فَرَدَّهَا ، وَقَالَ : لَا حَاجَةَ لَنَا بِهَا ، بَعْدَ أَنْ أَجْلَسَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ لَهُ ^(٥) :
 لَوْ كَانَ لَهَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَاشْتَكَيْتَ . فَقَالَ الْمُهَاجِرُ لِعِكْرِمَةَ : مَتَى تَزَوِّجْتَهَا ؟
 قَالَ : وَأَنَا بَعْدُنَ ، فَأَهْدَيْتُ إِلَى بَالِجَنْدٍ ، فَسَافَرْتُ بِهَا إِلَى مَارِبَ ، ثُمَّ
 أوردتها العسكر . فقال بعضهم : دعها فإنها ليست بأهل أن يرغب
 فيها . وقال بعضهم : لا تدعها . فكتب المهاجر إلى أبي بكر رحمه الله
 يسأله عن ذلك ، فكتب إليه أبو بكر : إن أباهما النُّعْمَانُ بْنُ الْجَوْنِ أَتَى
 رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فزَيَّنَهَا لَهُ حَتَّى أَمَرَ أَنْ يَجِيئَهُ بِهَا ، فَلَمَّا
 جَاءَهُ بِهَا قَالَ : أَزِيدُكَ أَنَّهَا لَمْ تَيْجِعْ ^(٦) شَيْئًا قَطُّ ، فَقَالَ : لَوْ كَانَ لَهَا عِنْدَ اللَّهِ
 خَيْرٌ لَاشْتَكَيْتَ ، وَرَغِبَ عَنْهَا ؛ فَارْغَبُوا عَنْهَا . فَأَرْسَلَهَا وَبَقِيَ فِي قُرَيْشٍ بَعْدَ
 مَا أَمَرَ عُمَرَ فِي السَّبَبِيِّ بِالْفِدَاءِ عِدَّةً ، مِنْهُمْ بَشْرَى بِنْتُ قَيْسِ بْنِ أَبِي الْكَيْسِمِ ،

(١) ز : « أبكر » . (٢) ابن الأثير : « عليهم » .

(٣) كذا في ط ، وفي التصويبات : « لفشاهم » ، أي جماعتهم .

(٤) ز : « الضيافة » . (٥) ب : « وقال لها » .

(٦) لم تيجع شيئاً ، أي أنها لم تشك المأقط .

عند سعد بن مالك ، فولدت له عمر ، وزُرْعَة بنت مِشْرَح عند عبد الله بن العباس ولدت له علياً .

وكتب أبو بكر إلى المهاجر يخيره اليمَن أو حضرموت ؛ فاختر اليمَن ، فكانت اليمن على أميرين : فيروز والمهاجر ، وكانت حضرموت على أميرين ؛ عبدة بن سعد على كندة والسكاسك ، وزِيَاد بن أبيد على حضرموت .

وكتب أبو بكر إلى عمّال الردّة : أمّا بعدُ ، فإن أحبّ من أدخلم في أموركم إلى من لم يرتدّ ومن كان ممن لم يرتدّ ، فأجمعوا على ذلك ، فاتخذوا منها صنائع ، واثذنوا لمن شاء في الانصراف ، ولا تستعينوا بمرتدّ في جهاد عدوّ .

وقال الأشعث بن مثناس^(١) السكوني يبكي أهل النجيب :

لعمري وما عمري على بهينٍ لقد كنت بالقتلى لحق ضنين
فلا غزو إلا يوم أفرع بينهم وما الدهر عندي بقدّم بأمين
فليت جنوب الناس تحت جنوبهم ولم تمش أنثى بعدهم إجنين
وكنت كذات البور ريعت فأقبلت على بوها إذ طرّبت بحنين

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن موسى بن عقبة ، عن الضحّاك بن خليفة ، قال : وقع إلى المهاجر امرأتان مغنيتان ؛ غنّت إحداهما بثتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقطع يدها ، ونزع ثنيتها^(٢) ؛ فكتب إليه أبو بكر رحمه الله : بلغني الذي سرت به في المرأة التي تغنت وزمرت بثيمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلو لا ما قد سبقته فيها لأمرتك بقتلها ؛ لأنّ حدّ الأنبياء ليس يشبه الحدود ، فمن تعاطى ذلك من مسلم فهو مرتدّ ، أو معاهد فهو محارب غادر .

وكتب إليه أبو بكر في التي تغنت^(٣) بهجاء المسلمين : أمّا بعدُ ؛ فإنه

(١) الإصاية ١ : ١١٥ : « ابن مينا » .

(٢) ب : « ثنيتها » . (٣) ب : « تغنى » .

بلغني أنك قطعت يدا امرأة في أن تغنت بهجاء المسلمين ، ونزعت ثنيتها (١) ؛
 فإن كانت ممن تدعى الإسلام فأدب وتقدمة دون المثلة ، وإن كانت ذميمة
 فلعمري لما صفحت عنه من الشرك أعظم ؛ ولو كنت تقدمت إليك في مثل
 هذا لبلغت مكروهاً ؛ فاقبل الدعة وإيّاك والمثلة في الناس ؛ فإنها مأثم
 ومنفرة إلا في قصاص .

• • •

وفي هذه السنة - أعني سنة إحدى عشرة - انصرف معاذ بن جبل من

اليمن . وستقضى أبوبكر فيها عمر بن الخطاب ، فكان على القضاء أيام خلافته

كلها .
 وفيها أمر أبوبكر رحمه الله على الموسم عتاب بن أسيد - فيما ذكره
 الذين أسند إليهم خبره علي بن محمد الذين ذكرت قبل في كتابي هذا أسماء هم .
 وقال علي بن محمد : وقال قوم : بل حجّ بالناس في سنة إحدى عشرة
 عبد الرحمن بن عوف عن تأمير أبي بكر إياه بذلك (٢) .

ع

(١) ب : « ثنيتها » .

(٢) س : « ذلك » .

ثم كانت سنة اثنتي عشرة من الهجرة

[مسير خالد إلى العراق وصلاح الحيرة]

قال أبو جعفر ، ولمّا فرغ خالدٌ من أمر اليمامة ، كتب إليه أبو بكر الصديق رحمه الله ؛ وخالد مقيم باليمامة - فيما حدثنا عبّيد الله بن سعد الزهريّ ، قال : أخبرنا عمّي ، قال : أخبرنا سيف بن عمر ، عن عمرو بن محمّد ، عن الشعبيّ : أن سير إلى العراق حتى تدخلها ، وأبدأ بفرج الهند ، وهي الأبلّة ، وتألّف أهل فارس ، ومن كان في ملكهم من الأمم .

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا عليّ بن محمد بالإسناد الذي قد تقدّم ذكره ، عن القوم الذين ذكّرتهم فيه ، أن أبا بكر رحمه الله وجه خالد بن الوليد إلى أرض الكوفة ، وفيها المنسيّ بن حارثة الشيبانيّ ، فسار في المحرم سنة اثنتي عشرة ، فجعل طريقه البصرة^(١) ، وفيها قطبة بن قتادة السدوسيّ .

قال أبو جعفر : وأمّا الواقديّ ، فإنه قال : اختلف في أمر خالد بن الوليد ، فقاتل يقول : مضى من وجهه ذلك من اليمامة إلى العراق . وقائل يقول : رجع من اليمامة ، فقدم المدينة ، ثم سار إلى العراق من المدينة على طريق الكوفة ؛ حتى انتهى إلى الحيرة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن صالح بن كيسان ؛ أن^(٢) أبا بكر رحمه الله كتب إلى خالد بن الوليد يأمره أن يسير إلى العراق ، فضى خالدٌ يريد العراق ، حتى نزل بقرّيات^(٣) من السواد ، يقال لها : بانقيا وباروسما وأليس ؛ فصالحه أهلها ، وكان الذي صالحه عليها ابن صلوبا ، وذلك في سنة اثنتي عشرة ، فقبل منهم خالد الجزية

(١) ب : « فرعل طريق البصرة » .

(٢) ب : « زعم أن أبا بكر » .

(٣) كذا في ب وابن حبيب .

وكتب لهم كتاباً فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد لابن صلوبا السَّوَادِي - ومنزله بشاطئ الفُرات - إنَّكَ آمِنٌ بأمان الله - إذْ حَقَّنْ دمه بإعطاء الجزية - وقد أعطيتَ عن نفسك وعن أهل خَرَجِكَ وجزيرتك ومنْ كان في قربتك - بانقيا وباروسما - ألف درهم ، فقبلتها منك ، ورضيَ منْ معي من المسلمين بها منك ، ولك ذمَّة الله وذمَّة محمد صلَّى الله عليه وسلَّم ، وذمَّة المسلمين على ذلك . وشهد هشام بن الوليد .

ثم أقبل خالد بن الوليد بمن معه حتى نزل الحيرة ، فخرج إليه أشرافهم مع قبيصة بن إياس بن حية الطائي - وكان أمره عليها كسرى بعد النعمان ابن المنذر - فقال له خالد ولأصحابه : أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام . فإن أجبتم إليه فأنتم من المسلمين ، لكم ما لهم وعليكم ما عليهم ؛ فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم الجزية فقد أتيتكم بأقوام هم أحرصُ على الموت منكم على الحياة ؛ جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم .

فقال له قبيصة بن إياس : ما لنا بحربك من حاجة ، بل نقيم على ديننا ، ونعطيك الجزية . فصالحهم على تسعين ألف درهم ، فكانت أول جزية وقعت بالعراق ، هي القُريَّات التي صالح عليها ابن صلوبا .

٢٠١٨/١

•••

قال أبو جعفر : وأمَّا هشام بن الكلبي ؛ فإنه قال : لما كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة أن يسير إلى الشام ، أمره أن يبدأ بالعراق فيمر بها ؛ فأقبل خالد منها يسير حتى نزل النُّباج . قال هشام : قال أبو مخنف : فحدثني أبو الخطاب حمزة بن علي ، عن رجل من بكر بن وائل ، أن المشي بن حارثة الشيباني ، سار حتى قدم على أبي بكر رحمه الله ، فقال : أمرني على من قبلي من قومي ، أقاتل من يلبني من أهل فارس ، وأكفيك ناحيتي ، ففعل ذلك ؛ فأقبل فجمع قومه وأخذ يُغير بناحية كَسْكَرَ مرة ، وفي أسفل الفرات مرة ، ونزل خالد بن الوليد النُّباج والمشني بن حارثة بخفان معسكر^(١) ؛ فكتب إليه خالد بن الوليد

(١) س : ومسكرأ .

ليأتيه ، وبعث إليه بكتاب من أبي بكر يأمره فيه بطاعته ؛ فانقض^(١) إليه جواداً حتى لحق به ، وقد زعمت بنو عجل أنَّهُ كان خرج مع المثنى بن حارثة رجلٌ منهم يقال له مذعور بن عدى ، نازع المثنى بن حارثة ، فتكاتبا إلى أبي بكر ؛ فكتب أبو بكر إلى العجلى يأمره بالمسير مع خالد إلى الشام ، وأقر المثنى على حاله ، فبلغ العجلى مصرَ ، فشرّف بها وعظم شأنه^(٢) ، فداره اليوم بها معروفة ؛ وأقبل خالد بن الوليد يسير ، فعرض له جابان صاحب ألبس ، فبعث إليه المثنى بن حارثة ، فقاتله فهزمه ، وقتل جُلّ أصحابه ، إلى جانب نهرٍ ثمّ يدعى نهر دم لتلك الواقعة ؛ وصالح أهل ألبس ، وأقبل حتى دنا من الحيرة ، فخرجت إليه خيول آزاذبه صاحب خيل كسرى التي كانت في مسالح ما بينه وبين العرب ، فلقوهم بمجتمع الأنهار ، فتوجه إليهم المثنى بن حارثة ، فهزمهم الله .

ولمّا رأى ذلك أهل الحيرة خرجوا يستقبلونه ؛ فيهم عبد المسيح بن عمرو بن بَقَيْلَة وهاني بن قَبِيصَة ، فقال خالد لعبد المسيح : من أين أتيتك ؟ قال : من ظَهْر أبي ، قال : من أين خرجت ؟ قال : من بطن أمي ، قال : ويحك ! على أيّ شيء أنت ؟ قال : على الأرض ، قال : وبلّك ! في أيّ شيء أنت ؟ قال : في ثيابي ، قال : ويحك ! تعقل ؟ قال : نعم وأقيد ، قال : إنّما أسألك ، قال : وأنا أجيبك ، قال : أسلم أنت أم حرب ؟ قال : بل سلّم ، قال : فما هذه الحصون التي أرى^(٣) ؟ قال : بيناها للسفّيه نجسه^(٤) حتى يجيء الخليم فينهاه . ثم قال لهم خالد : إنّي أدعوكم إلى الله وإلى عبادته وإلى الإسلام ، فإن قبلتم فلکم مالنا وعليكم ما علينا، وإن أبيتم فالجزية، وإن أبيتم فقد جئناكم بقوم يحبون الموت كما تحبون أنتم شرب الخمر . فقالوا : لا حاجة لنا في حربك ، فصالحهم على تسعين ومائة ألف درهم ، فكانت أول جزية حملت إلى المدينة من العراق . ثم نزل

(٢) ز : « وعظم شأنه وقدره » .

(١) ز : « فانقض » .

(٣) ب : « التي بيننا »

(٤) ابن حبيش : « نجسه » .

علي بانقيا ، فصالحه بصببُرى بن صلوبا على ألف درهم وطيلسان ؛ وكتب لهم كتاباً ، وكان صالح (١) خالد أهل الحيرة على أن يكونوا له عيوناً ، ففعلوا . قال هشام ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني المجالد بن سعيد ، عن الشعبي ، قال : أقراني بنو بُقيلة كتابَ خالد بن الوليد إلى أهل المدائن : من خالد بن الوليد إلى مرازبة أهل فارس ؛ سلام على من اتبع الهدى . أمّا بعدُ ، فالحمدُ لله الذي فضَّ خدمتكم (٢) ، وسلب مُلككم ، ووهن كيدكم . وإنه من صلَّى صلاتنا ؛ واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ؛ فذلك المسلم الذي له مالنا ، وعليه ما علينا . أمّا بعدُ ، فإذا جاءكم كتابي فابعثوا إلى بالرُّهْن ، واعتقدوا مني الذمة ، وإلا فوالذي لا إله غيره لأبعثن إليكم قوماً يحبُّون الموت كما تحبُّون الحياة . فلما قرءوا الكتاب ، أخذوا يتعجبُّون ، وذلك سنة اثنتي عشرة .

• • •

قال أبو جعفر : وأما غيرُ ابن إسحاق وغير هشام ومن ذكرت قوله من قبيل ، فإنه قال في أمر خالد ومسيره إلى العراق ما حدثنا عبيد الله بن سعد الزُّهري ، قال : حدثني عمي ، عن سيف بن عمر ، عن عمرو بن محمد ، عن الشعبي ، قال : لما فرغ خالد بن الوليد من اليمامة ، كتب إليه أبو بكر رحمه الله : إن الله فتح عليك فعارض حتى تلقى عياضاً . وكتب إلى عياض بن غنم وهو بين النُّباج والحجاز : أن سير حتى تأتي المصبيخ فابدأ بها ، ثم ادخل العراق من أعلاها ، وعارق حتى تلقى خالدًا . وأذنا لمن شاء بالرجوع ، ولا تستفتحا بمتكاريه .

ولما قدم الكتاب على خالد وعياض ، وأذنا في القفل عن أمر أبي بكر قفل أهل المدينة وما حولها وأعر وهما (٣) ، فاستمدًا أبا بكر ، فأمد أبو بكر خالدًا بالقعقاع بن عمرو التميمي ، فقبل له : أتمد رجلا قد ارفض عنه

(١) ب : « صلح » .

(٢) في اللسان : « وفي حديث خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس : الحمد لله الذي فضَّ خدمتكم .

قال : فضَّ الله خدمتهم ، أي فرق جماعتهم » .

(٣) يقال : أعرى القوم صاحبهم ، أي تركوه في مكانه وذهبوا عنه

جنوده برجل ! فقال : لا يُهزم جيشٌ فيهم مثل هذا . وأمدّ عياضاً بعبد بن عوف الحميري ، وكتب إليهما أن استنفرامن قاتل أهل الردّة ، ومنّ ثبت على الإسلام بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولا يغزون معكم أحدٌ ارتدّ حتى أرى رأيي . فلم يشهد الأيّام مرتدّ .

فلما قدّم الكتاب على خالد بتأمر العراق ، كتب إلى حرّملة وسُلَمَى والمثنى ومدعور باللحاق به ، وأمرهم أن يواعدوا جنودهم الأبلّة ، وذلك أن أبا بكرٍ أمر خالدًا في كتابه : إذا دخلَ العراق أن يبدأ بفرج أهل السند والهند - وهو يومئذ الأبلّة - ليوم قدسمّاه ، ثم حشر من بينه وبين العراق ، فحشر ثمانية آلاف من ربيعة ومُضَرَ إلى الفين كانا معه ، فقدم في عشرة آلاف على ثمانية آلاف ممّن كان مع الأمراء الأربعة - يعني بالأمراء الأربعة : المثنى ، ومدعورًا ، وسُلَمَى ، وحرملة - فلقى هُرْمَزُقِي ثمانية عشر ألفًا .

حدثنا عبّيد الله ، قال : حدثني عمّي ، عن سيف ، عن المهلب الأسدي عن عبد الرحمن بن سِيَاه ، وطلحة بن الأعلم ، عن المغيرة بن عتيبة ، قالوا : كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد ، إذ أمره على حرب العراق ؛ ٢٠٢٢/١ أن يدخلها من أسفلها . وإلى عياض إذ أمره على حرب العراق ؛ أن يدخلها من أعلاها ؛ ثم يستبقا إلى الحيرة ، فأتتهما سبق إلى الحيرة فهو أميرٌ على صاحبه ، وقال : إذا اجتمعتما بالحيرة ، وقد فضضتما مسالح فارس وأمنتما أن يوتى المسلمون من خلفهم ، فليكن أحدكما رِدءًا للمسلمين ولصاحبه بالحيرة ؛ وليقتحم الآخر على عدوّ الله وعدّوكم من أهل فارس دارهم ومستقرّ عزّهم ؛ المدائن .

حدثنا عبّيد الله ، قال : حدثني عمّي ، عن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبي ، قال : كتب خالد إلى هُرْمَزُقِي قبل خروجه مع آزاذبه - أبي الزيادة اللّذين باليمامة وهرمز صاحب الثغر يومئذ : أمّا بعد ، فأسلم تسلم ، أو اعتقد^(١) لنفسك وقومك

(١) اعتقد لنفسك الذّة ؛ أي أقرّ بها .

الذمة، وأقرر بالجزية؛ وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة .

قال سيف، عن طلحة بن الأعم، عن المغيرة بن عتيبة - وكان قاضي أهل الكوفة - قال : فرّق خالد مخرجه من اليمامة إلى العراق جنده ثلاث فرق، ولم يحملهم على طريق واحدة . فسرح المثنى قبله بيومين ودليله ظفر، وسرح عدى بن حاتم وعاصم بن عمرو ودليلاهما مالك بن عبّاد وسالم بن نصر، أحدهما قبل صاحبه بيوم؛ وخرج خالد ودليله رافع؛ فواعدهم جميعاً الحفيرة ليجتمعوا به وليصادموا به عدوهم؛ وكان فرج الهند أعظم فروج فارس شأنا، وأشدّها شوكة، وكان صاحبه يحارب العرب في البر والهند في البحر .

قال - وشاركه المهلب بن عقيب وعبد الرحمن بن سيباه الأحمرى، الذي تُنسب إليه الحمراء؛ فيقال : حمراء سياه - قال : لما قدم كتاب خالد على هرمز كتب بالخبر إلى شيرى بن كسرى وإلى أردشير بن شيرى وجمع جموعه، ثم تعجّل إلى الكواظم في سرعان أصحابه ليتلقّى خالدًا، وسبق حلبته فلم يجدها طريق خالد، وبلغه أنهم تواعدوا الحفيرة، فعاج يبادره^(١) إلى الحفيرة فنزله، فتعبنى به، وجعل على مجنّبه^(٢) أخوين يُلقيان أردشير وشيرى إلى أردشير الأكبر، يقال لهما: قباد وأنوشجان، واقترنوا في السلاسل، فقال من لم ير ذلك لمن رآه: قيّدتم أنفسكم لعدوكم، فلا تفعلوا؛ فإن هذا طائر سوء، فأجابوهم وقالوا: أمّا أنتم فحدّثونا أنكم تريدون الهرب . فلما أتى الخبر خالدًا بأن هرمز في الحفيرة أمال الناس إلى كاظمة، وبلغ هرمز ذلك . فبادره إلى كاظمة فنزلها وهو حسير؛ وكان من أسوأ أمراء ذلك الفرّج جواراً للعرب، فكلّ العرب عليه مغيظ؛ وقد كانوا ضربوه مثلاً في الخبث حتى قالوا: أحبّ من هرمز، وأكفر من هرمز . وتعبنى هرمز وأصحابه واقترنوا في السلاسل، والماء في أيديهم . وقدم خالد عليهم فنزل على غير ماء، فقالوا له في ذلك،

(١) س : « يبادرم » .

(٢) ابن كثير : « مجنّبه » .

فأمر مناديه ، فنادى : ألا انزلوا وحطوا أثقالكم ، ثم جاليدوهم على الماء ، فلعمري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين ، وأكرم الجنديين ؛ فحطت الأثقال والخيل وقوف ، وتقدم الرجل ، ثم زحف إليهم حتى لأقاهم ؛ فاقتلوا ، وأرسل الله سحابة فأغزرت ما وراء صف المسلمين^(١) ، فقواهم بها ؛ وما ارتفع النهار وفي الغائط مقرن .

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، عن سيف ، عن عبد الملك بن عطاء البكائي ؛ عن المقطع بن الهيثم البكائي بمثله ، وقالوا : وأرسل هرمز أصحابه بالغد ليغدروا بخالد ، فواطئوه على ذلك ، ثم خرج هرمز ، فنادى رجلاً ورجلاً : أين خالد ؟ وقد عهد إلى فرسانه عهداً ، فلما نزل^(٢) خالد نزل هرمز ، ودعاه إلى النزال^(٣) فنزل خالد فمشى إليه ، فالتقيا فاختلعا ضربتين ، واحتضنه خالد ، وحملت حامية هرمز وغدرت ، فاستلحموا^(٤) خالداً ، فما شغله ذلك عن قتله . وحمل القعقاع بن عمرو واستلحم حمة هرمز فأناموهم ؛ وإذا خالد يماصعهم^(٥) ، وانهمز أهل فارس ، وركب المسلمون أكتافهم إلى الليل ، وجمع خالد الرثا^(٦) وفيها السلاسل ، فكانت وقر بعير ؛ ألف رطل ، فسميت ذات السلاسل ، وأفلت ٢٠٢٥/١ قباذ وأنوشجان .

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الشعبي ، قال : كان أهل فارس يجعلون قلانسهم على قدر أحسابهم في عشائرهم ، فمن تم شرفه فقيمة قلنسوته مائة ألف . فكان هرمز ممن تم شرفه ، فكانت قيمتها مائة ألف ؛ فنقلها أبو بكر خالد ، وكانت مفضصة بالجوهر ، وتما شرف أحدهم أن يكون من بيوتات^(٧)

(١) ابن كثير : « فأمطرهم حتى صار لهم غدران من ماء » .

(٢) ابن حبيش : « برز » . (٣) س : « النزول » ، ابن حبيش « البراز »

(٤) استلحموا خالدا : تبموه . (٥) يماصعهم : يجالدهم .

(٦) الرثا : المتاع . (٧) ز : « من بيوتاتهم السبع »

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، عن سيف ، عن محمد بن نوييرة ، عن حنظلة بن زياد بن حنظلة ، قال : لما تراجع الطلب من ذلك اليوم ، نادى منادى خالد بالرحيل ، وسار بالناس ، واتبعته الأتقال ، حتى ينزل بموضع الجسر الأعظم من البصرة اليوم ، وقد أفلت قباز وأنوشجان ، وبعث خالد بالفتح وما بقي من الأخماس وبالفيل ، وقرأ الفتح على الناس . ولما قدم زير بن كليب بالفيل مع الأخماس ، فطيف به في المدينة ليراه الناس ، جعل ضعيفات النساء يقلن : أمين خلقت الله ما نرى ! ورأيت مصنوعاً ، فردّه أبو بكر مع زير . قال : ولما نزل خالد موضع الجسر الأعظم اليوم بالبصرة ؛ بعث المثنى بن حارثة في آثار القوم ؛ وأرسل معقل بن مقرن المزني إلى الأبلّة ليجمع له ما لها والسبي ، فخرج معقل حتى نزل الأبلّة فجمع الأموال^(١) والسبايا .

• • •

قال أبو جعفر : وهذه القصة في أمر الأبلّة وفتحها خلاف ما يعرفه أهل السيرة ، وخلاف ما جاءت به الآثار الصحاح ، وإنما كان فتح الأبلّة أيام عمر رحمه الله ، وعلى يد عتبة بن غزوان في سنة أربع عشرة من الهجرة ؛ وسند ذكر أمرها وقصة فتحها إذا انتهينا إلى ذلك إن شاء الله .

• • •

رجع الحديث إلى حديث سيف ، عن محمد بن نوييرة ، عن حنظلة بن زياد ، قال : وخرج المثنى حتى انتهى إلى نهر المرأة ، فأنهى إلى الحصن الذي فيه المرأة ، فحلف المعنى بن حارثة عليه ، فحاصرها في قصرها ، ومضى المثنى إلى الرجل فحاصره ثم استنزهم عشوة ؛ فقتلهم واستفاء^(٢) أموالهم ؛ ولما بلغ ذلك المرأة صالحت المثنى وأسلمت ، فتزوجها المعنى ، ولم يترك خالد وأمرؤه الفلاحين في شيء من فتوحهم لتقدم أبي بكر إليه فيهم ، وسبى أولاد المقاتلة الذين كانوا يقومون بأمر الأعاجم ، وأقر من لم ينهض من الفلاحين ؛ وجعل لهم الذمة ؛ وبلغ سهم الفارس في يوم ذات السلاسل والثمن ألف درهم ، والراجل على الثلث من ذلك .

(١) س : « المال » . (٢) ز ، س : « واستبق » .

[ذكر وقعة المذار]

قال : وكانت وقعة المذار في صفر سنة اثنى عشرة ، ويومئذ قال الناس :
صفر الأصفار ، فيه يقتل كل جبار ، على مجمع الأنهار . حدثنا عبيد الله ،
قال : حدثني عمي ، عن سيف ، عن زياد والمهلب ، عن عبد الرحمن
ابن سياه الأحمري .

وأما فيما كتب به إلى المري ، عن شعيب ، عن سيف ،
فإنه عن سيف ، عن المهلب بن عتبة وزياد بن سرجيس الأحمري
وعبد الرحمن بن سياه الأحمري وسفيان الأحمري ، قالوا : وقد كان
هرمز كتب إلى أردشير وشيري^(١) بالخبر بكتاب خالد إليه بمسيره من اليمامة
نحوه ، فأمدّه بقارن بن قريانس ، فخرج قارن من المدائن مُسِداً لهرمز ؛
حتى إذا انتهى إلى المذار بلغت الهزيمة ؛ وانتهت إليه الفلّال فتدامروا ، وقال
فلّال الأهواز وفارس لفلّال السواد والحبّل : إن افرقم لم تجتمعوا بعدها
أبدًا ؛ فاجتمعوا على العود مرة واحدة ، فهذا مدد الملك وهذا قارن ،
لعلّ الله يُدليّننا ويشفيّننا من عدونا ونُدرك بعض ما أصابوا منا . ففعلوا وعسكروا
بالمذار ، واستعمل قارن على مجنّبه قُبَاذ وأنوشجان ، وأرَز^(٢) المثنى والمعنى
إلى خالد بالخبر ؛ وأما انتهى الخبر إلى خالد عن قارن قسم الفتيء على من
أفاه الله عليه ، ونقل من الخمس ما شاء الله ، وبعث ببقية وبالفتح إلى أبي
بكر وبالخبير عن القوم وباجتماعهم إلى الشنّى المغيث والمغاث ، مع الوليد
ابن عتبة - والعرب تسمى كل نهر الشنّى - وخرج خالد سائراً حتى ينزل
المذار على قارن في جموعه ؛ فالتقوا وخالد على تعبته ، فاقتتلوا على حسنق
وحفيظة ، وخرج قارن يدعو للبراز ، فبرز له خالد وأبيض الركبان معقل بن
الأعشى بن النّبّاش ، فابتدراه ، فسبّقه إليه معقل ، فقتله وقتل عاصم
الأنوشجان ، وقتل عدى قُبَاذ . وكان شرف قارن قد انتهى ؛ ثم لم يقاتل

(١) ابن حبّيش : « وشيرين » .

(٢) أرز هنا : أسرع .

المسلمون بعده أحداً انتهى شرفه في الأعاجم، وقُتلت فارس مقتلة عظيمة؛ فضموا السفن، ومنعت المياه المسلمين من طلبهم، وأقام خالد بالمدار، وسلم الأسلاب لمن سلبها بالغة ما بلغت، وقسم النوى ونقل من الأخماس أهل البلاء، وبعث ببقية الأخماس، ووفد وفداً مع سعيد بن النعمان أخى بنى عدى بن كعب.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثني عمي، عن سيف، عن محمد بن عبد الله، عن أبي عثمان، قال: قتل ليلة المدار ثلاثون ألفاً سوى من غرق، ولولا المياه لآتى على آخرهم؛ ولم يفلت منهم من أفلت إلا عرأة وأشباه العرأة.

قال سيف، عن عمرو والمجالد، عن الشعبي، قال: كان أول من لى خالد مهبطه العراق هرمز بالكواظم، ثم نزل الفرات بشاطئ دجلة؛ فلم يلق كيداً، وتبجح بشاطئ دجلة، ثم الثنى، ولم يلق بعد هرمز أحداً إلا كانت الوقعة الآخرة أعظم من التي قبلها، حتى أتى دومة الجندل، وزاد سهم الفارس في يوم الثنى على سهمه في ذات السلاسل. فأقام خالد بالثنى بسبب عيالات المقاتلة ومن أعانهم، وأقر الفلاحين ومن أجاب إلى الخراج من جميع الناس بعد ما دعوا، وكل ذلك أخذ عنوة ولكن دعوا إلى الجزاء^(١)، فأجابوا وتراجعوا، وصاروا ذمة، وصارت أرضهم لهم؛ كذلك جرى ما لم يقسم، فإذا اقتسم فلا.

وكان في السبب حبيب أبو الحسن - يعنى أبا الحسن البصرى - وكان نصرانياً، ومافنة مولى عثمان، وأبوزياد مولى المغيرة بن شعبة. وأمر على الجند سعيد بن النعمان، وعلى الجزاء سويد بن مقرن المزنى، وأمره بتزول الحفير، وأمره ببيت عماله ووضع يده في الجباية، وأقام لعدوه يتحسس الأخبار.

• • •

[ذكر وقعة الولجة]

ثم كان أمر الولجة في صفر من سنة اثنتي عشرة؛ والولجة مما يلي كسكر من البر.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثني عمي، قال: حدثني سيف، عن عمرو والمجالد، عن الشعبي قال لما فرغ خالد من الشني وأتى الخبر أردشير، بعث الأندرز زغر^(١)؛ وكان فارسياً من مولدى السواد.

حدثنا عبيد الله، قال: حدثني عمي، قال: حدثني سيف، عن زياد بن سرجيس، عن عبد الرحمن بن سياه، قال - وفيما كتب به إلى السرى، قال: حدثنا شعيب؛ قال: حدثنا سيف، عن المهلب بن عقبة وزياد بن سرجيس وعبد الرحمن بن سياه قالوا: لما وقع الخبر بأردشير بمصاب قارن وأهل المندآر، أرسل الأندرز زغر؛ - وكان فارسياً من مولدى السواد وتناهم^(٢)؛ ولم يكن ممن ولد في المدائن ولانسابها - وأرسل بهم من جاذويه في أثره في جيش، وأمره أن يعبر طريق الأندرز زغر؛ وكان الأندرز زغر قبل ذلك على فرج خراسان؛ فخرج الأندرز زغر سائراً من المدائن حتى أتى كسكر، ثم جازها إلى الولجة، وخرج بهم من جاذويه في أثره، وأخذ غير طريقه، فسلك وسط السواد، وقد حشر إلى الأندرز زغر من بين الحيرة وكسكر من عرب الضاحية والذهاقين فسكروا إلى جنب عسكره بالولجة؛ فلما اجتمع له ما أراد واستتم أعجبه ما هو فيه، وأجمع السير إلى خالد؛ ولما بلغ خالد وهو بالشني خبر الأندرز زغر ونزوله الولجة، نادى بالرحيل، وخلّف سويد بن مقرن، وأمره بلزوم الحفير، وتقدم إلى من خلف في أسفل دجلة، وأمرهم بالحدري وقلة الغفلة، وترك الاغترار، وخرج سائراً في الجنود نحو الولجة، حتى ينزل على الأندرز زغر وجنوده ومن تأشب إليه^(٣)، فاقتلوا قتالاً شديداً؛ هو أعظم من قتال الشني.

(١) كذا ضبط في ط. (٢) التناه: جمع تاني، وهو الطاريء الغريب.

(٣) ز: «مع».

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، عن سيف ، عن محمد بن أبي عثمان ، قال : نزل خالد على الأندلس زغرب بالولجة في صفر ، فاقتلوا بها قتالا شديداً ، حتى ظن الفريقان أن الصبر قد فرغ ، واستبطأ خالد كمينه ، وكان قد وضع لهم كميناً في ناحيتين ، عليهم بئر بن أبي رهم وسعيد بن مرة العجلي ، فخرج الكمين في وجهين ، فانهزمت صفوف الأعاجم وولّوا ، فأخذهم خالد من بين أيديهم والكمين من خلفهم ، فلم ير رجل منهم مقتل صاحبه ؛ ومضى الأندلس زغرب في هزيمته ، فمات عطشاً . وقام خالد في الناس خطيباً يرغبهم في بلاد العجم ، ويزهدهم في بلاد العرب ، وقال : ألا ترون إلى الطعام كرفغ^(١) التراب وباللّه لو لم يلزمنّا^(٢) الجهاد في الله والدعاء إلى الله عز وجل ولم يكن إلاّ المعاش ؛ لكان الرأي أن نقارع على هذا الرّيف حتى نكون أولى به ، ونولّي الجوع والإقلال من تولاه ممن اثاقل عمّا أنتم عليه . وسار خالد في الفلا حين بسيرته فلم يقتلهم ، وسبى ذراريّ المقاتلة ومن أعانهم ، ودعا أهل الأرض إلى الجزاء^(٣) والذمة ، فراجعوا .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف - وحدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، عن سيف - عن عمرو ، عن الشعبي ، قال : بارز خالد يوم الولجة رجلاً من أهل فارس يُعدّل بألف رجل فقتله ، فلماً فرغ اتكأ عليه ، ودعا بغدآله . وأصاب في أناس من بكر بن وائل ابناً لحابر بن بغير وابناً لعبد الأسود .

• • •

(٢) ز : « لو لم يكن منا ابن كثير » يكن بنا .

(١) الرفغ : مجتمع التراب .

(٣) س : « الجزية » .

خبر أليس ، وهي على صُلب الفرات

قال أبو جعفر ، حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثنا سيف ، عن محمد بن طلحة ، عن أبي عثمان وطلحة بن الأعمى عن المغيرة بن عتيبة . وأما السري فإنه قال فيما كتب إلى : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله عن أبي عثمان ، وطلحة بن الأعمى عن المغيرة بن عتيبة ، قالوا : ولما أصاب خالد يوم الولاة من أصحاب من بكر بن وائل من نصارهم الذين أعانوا أهل فارس غضب لهم نصارى قومهم ؛ فكتبوا الأعاجم وكتبتهم الأعاجم ؛ فاجتمعوا إلى أليس ، وعليهم عبد الأسود العجلى ، وكان أشد الناس على أولئك النصارى مسلمو بني عجل ؛ عتيبة بن النهاس وسعيد بن مرة وفرات بن حبان والمثنى بن لاحق ومذعور ابن عدى . وكتب أردشير إلى بتهمن جاذويه ، وهو بقسنيانا - وكان رافداً فارس في يوم من أيام شهرهم وبنوا شهرهم كل شهر على ثلاثين يوماً ؛ وكان لأهل فارس في كل يوم رافداً قد نصب لذلك يرفداهم عند الملك ؛ فكان رافدهم بتهمن روز - أن سيرحتي تقدم أليس بجيشك إلى من اجتمع بها من فارس ونصارى العرب . فقدم بتهمن جاذويه جابان وأمره بالحث ، وقال : كفكف نفسك وجندك من قتال القوم حتى ألحق بك إلا أن يُعجلوك . فسار جابان نحو أليس ؛ وانطلق بتهمن جاذويه إلى أردشير ليحدث به عهداً ، وليستأمره فيما يريد أن يشير به ، فوجده مريضاً ؛ فعرج عليه ، وأخلى جابان بذلك الوجه ، ومضى حتى أتى أليس ، فنزل بها في صفر ، واجتمعت إليه المسالحي التي كانت بإزاء العرب (١) ؛ وعبد الأسود في نصارى العرب من بني عجل (٢) وتيم اللات وضبيعة وعرب الضاحية من أهل الحيرة ؛ وكان جابر بن بجير نصرانيا ، فساند عبد الأسود ؛ وقد كان خالد بلغه تجمع عبد الأسود وجابر وزهير فيمن تأشبه إليهم ، فنهدهم ولا يشعر بدنو جابان ، وليست لخالد همة إلا من تجمع له من عرب الضاحية

(١) ز : « الفرات » .

(٢) ز : « بكر » .

ونصاراهم ، فأقبل فلماً طلع على جابان باليس ، قالت الأعاجم لجابان :
 أنعاجلهم أم نغدي الناس ولا نريهم أنا نحفل بهم ، ثم نقاتلهم بعد الفراغ ؟
 فقال جابان : إن تركوكم والتهاون بكم^(١) فتهاونوا ، ولكن ظننى بهم أن سيعجلونكم
 ويعجلونكم عن الطعام . فعصوه وبسطوا البسط ووضعوا الأطعمة ، وتداعوا
 إليها ، وتوافوا عليها . فلماً انتهى خالد إليهم ، وقف وأمر بحط الأثقال ، فلماً
 وضعت توجه إليهم ، ووكل خالد بنفسه حوامي يحمون ظهره ، ثم بدّر
 أمام الصف ، فنادى : أين أبجر ؟ أين عبد الأسود ؟ أين مالك بن قيس ؟
 رجل من جذرة ؛ فنكّلوا عنه جميعاً إلا مالكا ، فبرز له ، فقال له خالد :
 يا بن الحبيثة ، ما جرّأك على من بينهم ، وليس فيك وفاء ! فضربه فقتله ،
 وأجهض^(٢) الأعاجم عن طعامهم قبل أن يأكلوا ؛ فقال جابان : ألم أقل لكم
 يا قوم ! أما والله ما دخلتني من رئيس وحشة قط حتى كان اليوم ؛ فقالوا
 حيث لم يقدروا على الأكل تجلداً : ندعها حتى تفرغ منهم ؛ ونعود إليها .
 فقال جابان : وأيضاً أظنكم والله لهم وضعتموها وأنتم^(٣) لا تشعرون ؛ فالآن
 فأطبعوني ؛ سمّوها ؛ فإن كانت لكم فاهون هالك ، وإن كانت عليكم
 كنتم قد صنعتم شيئاً ؛ وأبليتكم عذراً . فقالوا : لا ، اقتداراً عليهم . فجعل
 جابان على مجنّبيه عبد الأسود وأبجر ؛ وخالد على تعبته في الأيام التي قبلها ،
 فاقتتلوا قتالا شديداً ، والمشركون يزيدهم كلباً وشدة ما يتوقعون من قدوم
 بهم من جاذويه ، فصابروا المسلمين للذي كان في علم الله أن يصبرهم إليه ،
 وحرب المسلمون عليهم ، وقال خالد : اللهم إن لك على إن منحتنا
 أكتافهم ألا أستبقني منهم أحداً قدرنا عليه حتى أجرى نهرهم بدمائهم !
 ثم إن الله عز وجل كشفهم للمسلمين ، ومنحتهم أكتافهم ، فأمر خالد
 مناديه ، فنادى في الناس : الأسر الأسر ! لا تقتلوا إلا من امتنع ؛ فأقبلت
 الخيول بهم أفواجا مستأسرين يساقون ستوقاً ، وقد وكتل بهم رجالاً يضربون
 أعناقهم في النهر ، ففعل ذلك بهم يوماً وليلة ، وطلبوهم^(٤) الغد وبعد الغد ؛

٢٠٣٤/١

(١) ط : « بهم » ، وأثبت ما في س .

(٢) أجهضهم : نحام . (٣) ز : « وأنكم » .

(٤) ز : « وطلبوا إثرهم من الغد » .

٢٠٣٥/١

حتى انتهوا إلى النهرين ، ومقدار ذلك من كل جوانب التيس . فضرب أعناقهم ، وقال له القعقاع وأشباهه له : لو أنك قتلت أهل الأرض لم تجر دماؤهم ؛ إن الدماء لا تزيد على أن تترقرق منذ نُهيت عن السيّلان ، ونُهيت الأرض عن نشف الدماء ؛ فأرسل عليها الماء تَبَرَّ يمينك . وقد كان صد الماء عن النهر فأعاده ، فجرى دماً عبيطاً^(١) فسمى نهر الدم لذلك الشأن إلى اليوم .

وقال آخرون منهم بشير بن الخصاصية ، قال : وبلغنا أن الأرض لما نشفت^(٢) دم ابن آدم نُهيت عن نشف الدماء ، ونُهيت الدم عن السيّلان إلا مقدار بَرْدِهِ .

ولا هُزِم القوم وأجبلوا عن عسكرهم ، ورجع المسلمون من طلبهم ودخلوه ؛ وقف خالد على الطعام ، فقال : قد نقلتكموه فهو لكم . وقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى على طعام مصنوع نثله . فقعد عليه المسلمون لعشائهم بالليل ، وجعل من لم ير الأرياف ولا يعرف الرقاق يقول : ما هذه الرقاق البيض ! وجعل من قد عرفها يجيبهم ، ويقول لهم مازحاً : هل سمعتم برقيق العيش ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : هو هذا ؛ فسمى الرقاق ، وكانت العرب تسميه القرى .

• • •

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثنا سيف ، عن عمرو بن محمد . عن الشعبي ، عن حدث ، عن خالد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نقل الناس يوم خيبر الخبز والطبخ والشواء ، وما أكلوا غير ذلك في بطونهم غير متأثليه .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن المغيرة ، قال : كانت على النهر أرحاء ، فطحنت بالماء وهو أحمر قوت العسكر ؛ ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون ثلاثة أيام . وبعث خالد بالخبز مع رجل يدعى

(١) دماً عبيطاً ، أى طرياً .

(٢) نشفت الأرض الدم : شربته .

جندلا من بنى عجل ، وكان دليلاً صارماً ، فقدم على أبي بكر بالخبر ، وبفتح أليس ، وبقدراً النوى وبعدة السبى ، وبما حصل من الأخماس ؛ وبأهل البلاء من الناس ؛ فلماً قدم على أبي بكر ، فرأى صرامته وثبات خبره ، قال : ما اسمك ؟ قال : جندال ، قال : ويها جندل !

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامًا وَعَوْدَتُهُ الْكُرُّ وَالْإِقْدَامَا

وأمر له بجارية من ذلك السبى ، فولدت له .

قال : وبلغت قتلاهم من أليس سبعين ألفاً جلّتهم من أمغيشيا .

قال أبو جعفر : قال لنا عبيد الله بن سعد : قال عمى : سألت عن

أمغيشيا بالحيرة فقبل لى : منيشيا ، فقلت لسيف ، فقال : هذان اسمان^(١) .

• • •

حديث أمغيشيا

في صفر ، وأفاءها الله عز وجل بغير خيل .

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمى ، عن سيف ، عن محمد ، عن أبي عثمان وطلحة ، عن المغيرة ، قال : لماً فرغ خالد من وقعة أليس ، نهض فأتى أمغيشيا ، وقد أعجلهم عمّا فيها ، وقد جلا أهلها ؛ وتفرقوا في السواد ، ومن يومئذ صارت السكرات^(٢) في السواد ؛ فأمر خالد بهدم أمغيشيا وكل شيء كان في حيزها ، وكانت ميصراً كالحيرة ؛ وكان فرات بادقلى ينتهى إليها ، وكانت أليس من مسالحها ، فأصابوا فيها ما لم يصيبوا مثله قط .

كتب إلى السرى : عن شعيب ، عن سيف ، عن ببحر بن الفرات العجلي ، عن أبيه ، قال : لم يصيب المسلمون فيما بين ذات السلاسل وأمغيشيا مثل شيء أصابوه في أمغيشيا ، بلغ سهم الفارس ألفاً وخمسمائة ، سوى النفل الذى نفلته أهل البلاء . وقالوا جميعاً : قال أبو بكر رحمه الله حين

(١) س : هـ هكذا سمت . . (٢) ياقوت ٤ : ٣٢٧ : «السكرات» : الفعلة .

بلغه ذلك : يا معشر قريش - يخبرهم بالذي أتاه : عدا أسدكم على الأسد
فغلبه على خراذيله (١) ؛ أعجزت النساء أن ينسلن (٢) مثل خالد !

• • •

حديث يوم المقر وفم فرات بادقلى

قال أبو جعفر : كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن
أبي عثمان وطلحة ، عن المغيرة : أن الآزابه كان مرزبان الحيرة أزمان كسرى
إلى ذلك اليوم ؛ فكانوا لا يمدُّ بعضهم بعضاً إلا بإذن الملك ، وكان قد بلغ
نصف الشرف ، وكان قيمة قتلنسوته خمسين ألفاً ؛ فلما أخرج خالد
أمغيشيا ، وعاد أهلها سكرات لدهاقين القرى علم الآزابه أنه غير
متروك ، فأخذ في أمره وتبياً لحرب خالد ، وقدم ابنه ثم خرج في أثره حتى
عسكر خارجاً من الحيرة ؛ وأمر ابنه بسدّ الفرات ، ولما استقل خالد من
أمغيشيا وحمل الرجل (٣) في السفن مع الأنفال والأنقال ، لم يفجأ خالد إلا
والسفن بجوانح (٤) ، فارتاعوا لذلك ، فقال الملاحون : إن أهل فارس فجروا الأنهار ؛
فسلك الماء غير طريقه ؛ فلا يأتينا الماء إلا بسدّ الأنهار ، فتعجّل خالد في
خيل نحو ابن الآزابه ، فتلقاه على فم العتيق خيل من خيله ؛ فجأهم
وهم آمنون لغارة خالد في تلك الساعة ، فأنامهم بالمقر ، ثم سار من فوره
وسبق الأخبار إلى ابن الآزابه حتى يلقاه وجنداه على فم فرات بادقلى ؛
فاقتلوا فأنامهم ؛ وفجّر الفرات وسدّ الأنهار وسلك الماء سبيله .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن أبي عثمان
وطلحة عن المغيرة ، وبحر عن أبيه ، قالوا . وحدّثنا عبيد الله ، قال :
حدّثني عمي ، قال : حدّثنا سيف ، عن محمد عن أبي عثمان ، وطلحة
عن المغيرة ، قالوا : لما أصاب خالد ابن الآزابه على فم فرات بادقلى ، قصد

(١) الخراذيل : قطع اللحم ، واحدة خردولة .

(٢) كذا في ز ، وفي ط : « أن ينشوا » ، وفي التصويبات : « ينشئن » .

(٣) س : « الرجال » .

(٤) جنحت السفينة جنوباً : انتهت إلى الماء القليل ، فلزقت بالأرض فلم تمض .

للحيرة ، واستلحق أصحابه ، وسار حتى ينزل بين الخورنق والنجف ،
فقدم خالد الخورنق ، وقد قطع الآزابه الفرات هارباً من غير قتال ؛ وإنما
حداه على الهرب أن الخبر وقع إليه بموت أردشير ومصاب ابنه ، وكان
عسكره بين الغريتين والقصر الأبيض . ولما تمام أصحاب خالد إليه
بالخورنق خرج من العسكر حتى يعسكر بموضع عسكر الآزابه بين الغريتين
والقصر الأبيض ، وأهل الحيرة متحصنون ، فأدخل خالد الحيرة الخيل من
عسكره ، وأمر بكل قصر رجلا من قواده يحاصر أهله ويقائلهم ، فكان
ضرار بن الأزور محاصراً القصر الأبيض ، وفيه إياس بن قبيصة الطائي ،
وكان ضرار بن الخطاب محاصراً قصر العدسيتين وفيه عدى بن عدى
المقتول ، وكان ضرار بن مقرن المزني عشر عشرة إخوة له محاصراً قصر بني
مازن ، وفيه ابن أكال ؛ وكان المثنى محاصراً قصر ابن بقبيلة وفيه عمرو
ابن عبد المسيح ؛ فدعواهم جميعاً ، وأجلتوهم يوماً ، فأبى أهل الحيرة ولجوا ،
فناوشهم المسلمون .

٢٠٣٩/١

حدثني عبيد الله بن سعد ، قال : حدثني عمي ، عن سيف ، عن
الغصن بن القاسم ، رجل من بني كنانة - قال أبو جعفر : هكذا
قال عبيد الله . وقال السري فيما كتب به إلى : حدثنا شعيب ،
عن سيف ، عن الغصن بن القاسم ، عن رجل من بني كنانة - قال : عهد
خالد إلى أمراه أن يبدءوا بالدعاء ، فإن قبيلوا قبلوا منهم وإن أبوا أن
يؤجلوهم يوماً ، وقال : لا تمكثوا عدوكم من آذانكم ، فيرتبصوا بكم الدوائر ؛
ولكن ناجزوهم ولا ترددوا^(١) المسلمين عن قتال عدوهم . فكان أول القواد
أنشب القتال بعد يوم أجلتوهم فيه ضرار بن الأزور ، وكان على قتال أهل
القصر الأبيض ، فأصبحوا وهم مشرفون ؛ فدعاهم إلى إحدى ثلاث : الإسلام ،
أو الجزاء ، أو المنابذة ، فاختراروا المنابذة وتنادوا : عليكم الخزازيف ، فقال
ضرار : تنحوا لا ينالكم الرمي ؛ حتى ننظر في الذي هتفوا به . فلم يلبث أن امتلأ رأس

٢٠٤٠/١

(١) ز : « ولا تردوا » .

القصر من رجال متعلقي الخالي، يرمون المسلمين بالخزازيف - وهي المداحي من الخنزف - فقال ضرار: ارشقوهم، فدنوا منهم فرشقوهم بالنبل، فأعروا رموس الحيطان، ثم بثوا غارتهم فيمن يليهم، وصبح أمير كل قوم أصحابه بمثل ذلك، فافتتحوا الدور والدورات، وأكثروا القتل، فنادى القسيسون والرهبان: يا أهل القصور، ما يقتلنا غيركم. فنادى أهل القصور: يا معشر العرب، قد قبلنا واحدة من ثلاث؛ فادعوا بنا وكفوا عنا حتى تبلغونا خالدًا. فخرج إياس بن قبيصة وأخوه إلى ضرار بن الأزور، وخرج عدى بن عدى وزيد بن عدى إلى ضرار بن الخطاب - وعدى الأوسط الذي رثته أمه وقتل يوم ذي قار - وخرج عمرو بن عبد المسيح وابن أكال، هذا إلى ضرار بن مقرن، وهذا إلى المشني بن حارثة، فأرسلوهم إلى خالد وهم على مواقفهم.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد عن أبي عثمان، وظلحة عن المغيرة، قال: كان أول من طلب الصلح عمرو بن عبد المسيح ابن قيس بن حيان بن الحارث وهو بقبيلة - وإنما سمي بقبيلة لأنه خرج على قومه في بردين أخضرين، فقالوا: يا حار^(١) ما أنت إلا بقبيلة خضراء - وتابعوا^(٢) على ذلك، فأرسلهم الرؤساء إلى خالد، مع كل رجل منهم ثقة؛ ليصالح عليه أهل الحصن، فخلا خالد بأهل كل قصر منهم دون الآخرين، وبدأ بأصحاب عدى، وقال: ويحكم! ما أنتم! أعرب؟ فما تنقمون من العرب! أو عجم؟ فما تنقمون من الإنصاف والعدل! فقال له عدى: بل عرب عاربة وأخرى متعربة، فقال: لو كنتم كما تقولون لم تحادونا وتكرهوا أمرنا، فقال له عدى: ليدلك على ما نقول أنه ليس لنا لسان إلا بالعربية، فقال: صدقت. وقال: اختاروا واحدة من ثلاث: أن تدخلوا في ديننا فلکم مالنا وعليكم ما علينا إن نهضتم وهاجرتم

(١) ز: «يا جار».

(٢) ابن حيش: «وتابعوا».

وإن أقمتم في دياركم، أو الجزية، أو المنابذة والمناجزة؛ فقد والله أتيتكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة. فقال: بل نعطيك الجزية، فقال خالد: تبا لكم، وبحكمكم! إن الكفر فلاة مفضلة، فأحرق العرب من سلكها فلقية دليان: أحدهما عربي فتركه واستدل الأعجمي. فصالحوه على مائة ألف وتسعين ألفاً؛ وتتابعوا على ذلك، وأهدوا له هدايا، وبعث بالفتح والهدايا إلى أبي بكر رحمه الله مع الهذيل الكاهلي، فقبلها أبو بكر من الجزاء، وكتب إلى خالد أن احسب لهم هديتهم من الجزاء، إلا أن تكون من الجزاء، وخذ بقية ما عليهم فقور بها أصحابك: وقال ابن بُقَيْلَةَ:

٢٠٤٢/١

أَبَعَدَ الْمُنْذِرِينَ أَرَى سَوَامًا تَرَوْحُ بِالْخَوْرَتِ وَالسَّيْرُ
وَبَعَدَ فَوَارِسِ الْعُمَانِ أَرَى قَلُوصًا بَيْنَ مَرَّةٍ وَالْحَفِيرِ
فَصِرْنَا بَعْدَ هَلِكِ أَبِي قُبَيْسٍ كَجُرْبِ الْمَعْرِزِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ
تَقَسَّمْنَا الْقِبَائِلُ مِنْ مَعَدٍّ عَلَانِيَةً كَأَيْسَارِ الْجَزُورِ
وَكُنَّا لَا يَرَامُ لَنَا حَرِيمٌ فَخَنُّ كَضْرَةِ الضَّرْعِ الْفَخُورِ
نَوَدَى الْخَرْجِ بَعْدَ خَرَجِ كِنْرَى وَخَرَجٍ مِنْ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ
كَذَاكَ الْأَدَهْرُ دَوْلَتَهُ سِجَالٌ فَيَوْمٌ مِنْ مَسَاءَةٍ أَوْ سُورِ

•••

كتب إلى المرى، عن شعيب، عن سيف، عن الغصن بن القاسم عن رجل من بني كنانة، ويونس بن أبي إسحاق بنحو منه، وقالوا: فكانوا يختلفون إليه ويقدمون في حوائجهم عمرو بن عبد المسيح، فقال له خالد: كم أنت عليك [من السنين] قال: مئو سنين، قال: فما أعجب ما رأيت؟ قال: رأيت القرى منظومة ما بين دمشق والحيرة، تخرج المرأة من الحيرة فلا تزود إلا رغيفاً. فتبسم خالد، وقال:

٢٠٤٣/١

• هل لك من شيخك إلا عملة (١) •

(١) ط: «عقله» تصحيف، وهو يضرب للرجل حين يكبر، وبقيته:

• إلارصيه وإلارملة •

وانظر مجمع الأمثال ٢ : ٢٨٩ .

خريفتَ والله يا عمرو! ثم أقبل على أهل الحيرة فقال: ألم يبلغني أنكم خببشنة خدعة مكرة^(١)! فالكُم تتناولون حوائجكم بخريف لا يدري من أين جاء! فتجاهل له عمرو، وأحب أن يريته من نفسه ما يتعرف به عقله، ويستدل به على صحة ما حدثه به، فقال: وحقك أيها الأمير، إنني لأعرف من أين جئت؟ قال: فمن أين جئت؟ قال: أقرب أم أبعد؟ قال: ما شئت، قال: من بطن أمي، قال: فأين تريد؟ قال: أماي، قال: وما هو؟ قال: الآخرة. قال: فمن أين أقصى أثرك؟ قال: من صلب أبي، قال: فقيم أنت؟ قال: في ثيابي، قال: أتعمل؟ قال: إي والله وأقيد. قال: فوجدته حين فرده عيصاً^(٢)، وكان أهل قريته أعلم به - فقال خالد: قتلت أرضاً جاهلتها، وقتلت أرضاً عالمها؛ والقوم أعلم بما فيهم. فقال عمرو: أيها الأمير: النملة أعلم بما في بيتها من الجمل بما في بيت النملة. وشاركهم في هذا الحديث من هذا المكان محمد بن أبي السفر، عن ذى الجوشن الضبابي، وأما الزهري فإنه حدثنا به، فقال: شاركهم في هذا الحديث رجل من الضباب.

قالوا: وكان مع ابن ببيعة منصف^(٣) له فعلق كيساً في حقوه، فتناول خالد الكيس، ونثر ما فيه في راحته، فقال: ما هذا يا عمرو؟ قال: هذا وأمانة الله سَم ساعة، قال: لِمَ تحتقب السم؟ قال: خشيت أن تكونوا على غير ما رأيتم، وقد أتيت على أجلي، والموت أحبُّ إلى من مكروه أدخله على قومي وأهل قريتي. فقال خالد: إنَّها لن تموت نفس حتى تأتى على أجليها، وقال: بسم الله خير الأسماء، رب الأرض ورب السماء، الذي ليس يضر مع اسمه داء، الرحمن الرحيم. فأهتوا إليه ليمنعوه منه، وبادرهم فابتلعه، فقال عمرو: والله يا حشر العرب لتملكن ما أردتم ما دام منكم أحد أيها القرن^(٤). وأقبل على أهل الحيرة، فقال: لم أر كالاليوم أمراً أوضح إقبالا!

(١) خبشة: جمع خبيث، قال في اللسان: «وليس في الكلام «فعل» يجمع على فعلة غيره».

وخدعة مكرة: جمع خادع وماكر.

(٢) فره: اختبره، والعض بالكسر: الداهية.

(٣) المنصف كقعد ومنبر: الخادم. (٤) القرن هنا: أهل الزمان الواحد.

وأبي خالد أن يكاتبهم إلا على إسلام كرامة بنت عبدالمسيح إلى شوبيل؛
فثقل ذلك عليهم، فقالت: هونوا عليكم وأسلموني، فإني سأفتدي.
ف فعلوا؛ وكتب خالد بينه وبينهم كتاباً:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عبداً وعمراً
ابن عدي، وعمرو بن عبدالمسيح وإياس بن قبيصة وحيري بن أكتال -
وقال عبيد الله: جبري - وهم نقباء أهل الحيرة؛ ورضي بذلك أهل
الحيرة، وأمرهم^(١) به - عاهدهم على تسعين ومائة ألف درهم، تقبل في كل
سنة جِزاءً عن أيديهم في الدنيا؛ رهبانهم وقسيسهم؛ إلا من كان منهم على
غير ذى يد، حبيساً عن الدنيا، تاركاً لها - وقال عبيد الله: إلا من
كان غير ذى يد حبيساً عن الدنيا، تاركاً لها - أوسائحا^(٢) تاركاً للدنيا، وعلى
المنعة، فإن لم يمنعهم فلا شيء عليهم حتى يمنعهم، وإن غدروا بفعل
أو بقول فالذمة منهم بريئة. وكتب في شهر ربيع الأول من سنة اثني عشرة،
ودفع الكتاب إليهم.

٢٠٤٥/١

فلما كفر أهل السواد بعد موت أبي بكر استخفوا بالكتاب، وضيعوه،
وكفروا فيمن كفر، وغلب عليهم أهل فارس؛ فلما افتتح المشي ثانية؛
أدلوا بذلك، فلم يجبههم إليه، وعاد بشرط^(٣) آخر؛ فلما غلب المشي
على البلاد كفروا وأعانوا^(٤) واستخفوا وأضاعوا الكتاب. فلما افتتحها سعد،
وأدلوا بذلك سألهم واحداً من الشرطين، فلم يجبوا بهما؛ فوضع عليهم
وتحرى ما يرى أنهم مطبقون^(٥)، فوضع عليهم أربعمائة ألف سوى الحرزة -
قال عبيد الله: سوى الحرزة^(٦).

حدثنا عبيد الله، قال: حدثني عمي، عن سيف - والسري، عن

(١) س: «وأمرهم». (٢) كذا في ز، وفي ط: «وسائحا».

(٣) س: «وجعا لشرط».

(٤) س: «وأغاثوا».

(٥) ابن حبيش: «يطبقون».

(٦) الحرزة: نوع من جزية الروس، كانت معروفة في زمن الأكايرة يؤديها، كل من لم

يدخل في جند الحكومة. الوثائق السياسية: ٤٢٢.

شُعَيْب ، عن سيف - عن الغُصْنِ بن القاسم الكِنَانِي ، عن رجل من بني كِنَانَةَ ويونس بن أبي إسحاق ، قالا : كان جرير بن عبد الله ممن خرج مع خالد بن سعيد بن العاصي إلى الشام ، فاستأذن خالدًا إلى أبي بكر ليكلّمه في قومه وليجمّعهم له ؛ وكانوا أوزاعًا في العرب ، ولتختصمهم ؛ فأذن له ، فقدم على أبي بكر ، فذكر له عدّة من النبي صلى الله عليه وسلم وأتاه على العدّة بشهود ، وسأله لإنجاز ذلك ، فغضب أبو بكر ، وقال له : ترى شغلنا وما نحن فيه بغوث^(١) المسلمين ممن يلبّونهم من الأسدَيْن فارس والروم ؛ ثم أنت تكلفني التّشاغل بما لا يغني عمّا هو أرضى لله ولرسوله ! دعني وسير نحو خالد بن الوليد حتى أنظر ما يحكم الله في هذين الوجهين .

فسار حتى قدم على خالد وهو بالحيرة ، ولم يشهد شيئًا ممّا كان بالعراق إلا ما كان بعد الحيرة ؛ ولا شيئًا ممّا كان خالد فيه من أهل الردّة . وقال القعقاع بن عمرو في أيام الحيرة^(٢) :

سَقَى اللهُ قَتْلِي بِالْفَرَاتِ مُقِيمَةً وَأُخْرَى بِأَنْبَاجِ النَّجَافِ الْكُوَافِ
فَنَحْنُ وَطِنَا بِالْكَوَاظِمِ هُرْمَزًا وَبِالنُّثَى قَرْنِي قَارِنِ بِالْجَوَارِفِ
وَيَوْمَ أَحَطْنَا بِالقُصُورِ تَتَابَعَتْ عَلَى الحَيْرَةِ الرَّوْحَاءِ إِحْدَى المَصَارِفِ
حَطَطْنَا مِنْهَا وَقَدْ كَادَ عَرَشُهُمْ يَمِيلُ بِهِمْ ، ففعلَ الْجَبَانِ المَخَافِ^(٣)
رَمَيْنَا عَلَيْهِمِ بِالقَبُولِ وَقَدْ رَأَوْا غَبُوقَ المَنَايَا حَوْلَ تِلْكَ المَحَارِفِ
صَبِيحَةً قَالُوا نَحْنُ قَوْمٌ تَنَزَّلُوا إِلَى الرِّيفِ مِنْ أَرْضِ العُرَيْبِ المَقَانِفِ

خبر ما بعد الحيرة

حدّثنا عبيد الله بن سعد الزهري ، قال : حدّثني عمّي ، عن سيف ، عن جميل الطائي ، عن أبيه ، قال : لما أعطيت شؤيل كرامة بنت عبد المسيح

(١) ز : « نفوث » .

(٢) ابن كثير : « الردّة » .

(٣) كذا في ابن كثير ، وفي ط : « يحيل به » .

قلت لعدى بن حاتم : ألا تعجب من مسألة شويل كرامة بنت عبد المسيح على ضعفه ! قال : كان يتَهَرِّفُ بها دهره ، قال : وذلك أنى لما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما رُفِعَ له من البلدان ، فذكر الحيرة فيما رُفِعَ له ، وكان شُرْفَ قصورها أضراس الكلاب ؛ عرفت أن قد أربيتها ، وأنها ستفتح ، فلقبته (١) مسألته .

وحدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، عن سيف ، قال : قال لى عمرو والمجالد ، عن الشعبي - والسري - ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبي - قال : لما قدم شويل إلى خالد ، قال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر فتح الحيرة ، فسألته كرامة ، فقال : « هي لك إذا فتحت عنوة » . وشهد له بذلك ، وعلى ذلك صالحهم ؛ فدفعها إليه ، فاشتد ذلك على أهل بيتها وأهل قربتها ما وقعت فيه ، وأعظموا الخطر ، فقالت : لا تُخطروه ، ولكن اصبروا ؛ ما تخافون على امرأة بلغت ثمانين سنة ! فإنما هذا رجل أحق رأى في شيبتي فظن أن الشباب يدوم . فدفعوها إلى خالد ؛ فدفعها خالد إليه ، فقالت : ما أربك إلى عجوز كما فدفعوها إلى خالد ؛ فدفعها خالد إليه ، فقالت : فلك حكمتك ترى ! فتأدني ، قال : لا ، إلا على حكمتي ، قالت : فلك حكمتك مُرسلاً . فقال : لست لأم شويل إن نقصتكَ من ألف درهم ! فاستكرت ذلك لتخدعه ، ثم أتته بها . فرجعت إلى أهلها ، فتسامع الناس بذلك ، فعنفوه ، فقال : ما كنت أرى أن عدداً يزيد على ألف ! فأبوا عليه إلا أن يخاصمهم [فخاصمهم] (٢) ، فقال : كانت نيتي غاية العدد ، وقد ذكروا أن العدد يزيد على ألف ، فقال خالد : أردت أمراً وأراد الله غيره ؛ فأخذ بما يظهر وندعك ونيتك ، كاذباً كنت أو صادقاً .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبي ، قال : لما فتح خالد الحيرة صلى صلاة الفتح ثمانى ركعات لا يسلم فيهن ، ثم انصرف ، وقال : لقد قاتلت يوم مؤتة فانقطع في يدي تسعة

(١) ابن حبش : « فلقنته » ، وهما في المعنى سواء

(٢) من ابن حبش .

أسياف ، وما لقيت قوماً كقوم لقيتهم من أهل فارس ؛ وما لقيت من أهل فارس قوماً كأهل ألبيس !

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، عن سيف ، عن عمرو والمجالد ، عن الشعبي ، قال : صلى خالد صلاة الفتح^(١) ، ثم انصرف . ثم ذكر مثل حديث السري .

٢٠٤٩/١

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، عن سيف - والسري ، عن شعيب ، عن سيف - عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم - وكان قدِم مع جرير على خالد - قال : أتينا خالدًا بالحيرة وهو متوشح قد شد ثوبه في عنقه يصلّي فيه وحده ، ثم انصرف ، فقال : اندق في يدي تسعة أسياف يوم مؤتة ، ثم صبرت في يدي صفيحة^(٢) يمانية ، فما زالت معي .

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله عن أبي عثمان وطلحة بن الأعمش عن المغيرة بن عتبة والغصن ابن القاسم ، عن رجل من بني كنانة وسفيان الأحمر عن ماهان ، قال : ولما صالح أهل الحيرة خالدًا خرج صلّوبا بن نسطونا صاحب قس الناطف ، حتى دخل على خالد عسكره ؛ فصالحه على بانقيا وبسما ، وضمن له ما عليهما وعلى أرضيهما من شاطئ الفرات جميعًا ، واعتقد لنفسه وأهله وقومه على عشرة آلاف دينار سوى الخرزة ، خرزة كسرى ؛ وكانت على كل رأس أربعة دراهم ، وكتب لهم^(٣) كتابًا فتمتوا وتم ، ولم يتعلق عليه في حال غلبة فارس بغدر ، وشاركهم المجالد في الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلّوبا بن نسطونا وقومه ؛ إنني عاهدتكم على الجزية والمنعة ؛ على كل ذي يد ؛ بانقيا وبسما جميعًا ، على عشرة آلاف دينار سوى الخرزة ، القوي على

٢٠٥٠/١

(١) س : « الصبح » . (٢) الصفيحة : السيف العريض .

(٣) ابن حيش : « وكتب له خالد . »

قدر قوته ، والمقل على قدر إقلاله ، في كل سنة . وإنك قد نُقِبتَ على قومك ، وإن قومك قد رضوا بك . وقد قبأتُ ومنّ معي من المسلمين ، ورضيتُ ورضى قومك ؛ فلك الذمّة والمنعة ؛ فإن منعناكم فلنا الجزية ؛ وإلا فلا حتى نمنعكم . شهد هشام بن الوليد ، والقعقاع بن عمرو ، وجريير بن عبد الله الحميري ، وحنظلة بن الربيع . وكتب سنة اثنتي عشرة في صفر .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله ، عن أبي عثمان ، عن ابن أبي مكنيف ، وطلحة عن المغيرة ، وسفيان عن ماهان . وحدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، عن سيف ، عن محمد ، عن أبي عثمان ، وطلحة عن المغيرة ، قال : كان الدهاقين يتربصون بخالد وينظرون ما يصنع أهل الحيرة . فلما استقام ما بين أهل الحيرة وبين خالد ، واستقاموا له أتته دهاقين المِلطاطين^(١) ، وأتاه زاذبن بهيش دِهقان فرات سيرياً ، وصلوبا بن نسطونا بن بصبهري - هكذا في حديث السري ، وقال عبيد الله : صلوبا بن بصبهري ونسطونا - فصالحوه على ما بين الفلاليج إلى هُرْمُزْ جِرْدَ على أَلْفِي أَلْف - وقال عبيد الله في حديثه : على ألف ألف ثقيل - وأنّ للمسلمين ما كان لآل كسرى ، ومن مال معهم عن المقام في داره فلم يدخل في الصلح . وضرب خالد رواقه في عسكره ، وكتب لهم كتاباً :

٢٠٥١/١

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من خالد بن الوليد لزاذ بن بهيش وصلوبا بن نسطونا ؛ لكم الذمّة وعليكم الجزية ، وأنتم ضامنون لمن نُقِبتُم عليه من أهل البهتقباد الأسفل والأوسط - وقال عبيد الله : وأنتم ضامنون جزية^(٢) من نُقِبتُم عليه - على أَلْفِي أَلْف ثقيل^(٣) في كل سنة ؛ عن^(٤) كل ذي يد سوى ما عني بانقيا وبسما وإنكم قد أرضيتموني والمسلمين ؛ وإنا قد أرضيناكم وأهل البهتقباد

(١) كذا ورد ٧١ م في ط على التثنية ، وفي ياقوت : « كان يقال لظهر الكوفة اللسان ، وما ولي الفرات منه الملقاط . وفي فتوح البلدان للبلاذري ٣٤١ : « ما بين الكوفة والحيرة يسمى الملقاط » .
(٢) ط : « حرب » وانظر التصويبات . (٣) كذا في ابن حبيش ، وفي ط : « تقبل » .
(٤) كذا في ابن حبيش ؛ وفي ط : « ثم » .

الأسفل؛ ومن دخل معكم من أهل البيهقباد الأوسط على أموالكم؛ ليس فيها ما كان لآل كسرى ومن مال ميلتهم. شهد هشام بن الوليد، والقعقاع بن عمرو، وجريز بن عبد الله الحيمري، وبشير بن عبيد الله بن الحصاصة، وحنظلة بن الربيع. وكتب سنة اثنتي عشرة في صفر.

وبعث خالد بن الوليد عماله ومساحه؛ فبعث في العمالة عبد الله بن وثيمة النصرى. فنزل في أعلى العمل بالفلايج على المنعة وقبض الجزية، ٢٠٥٢/١
وجريز بن عبد الله على بانقيا وبسما. وبشير بن الحصاصة على النهريين فنزل الكويغة ببانورا. وسويد بن مقرن المزني إلى نستر، فنزل العقر - فهي تسمى عقر سويد إلى اليوم؛ وليست بسويد المنقرى سميت - وأط بن أبي أط إلى رودستان، فنزل منزلاً على نهر سمي ذلك النهر به - ويقال له: نهر أط إلى اليوم؛ وهو رجل من بني سعد بن زيد مناة؛ فهؤلاء كانوا عمال الخراج زمن خالد بن الوليد.

وكانت الثغور^(١) في زمن خالد بالسبب. بعث ضرار بن الأزور وضرار ابن الخطاب والمثنى بن حارثة وضرار بن مقرن والقعقاع بن عمرو وبسر بن أبي رهم وعتيبة بن النهم؛ فنزلوا على السبب في عرض ساطانه. فهؤلاء أمراء ثغور خالد. وأمرهم خالد بالغمارة والإلحاح. فمخروا ما وراء ذلك إلى شاطئ دجلة.

قالوا: ولما غلب خالد على أحد جانبي السواد. دعا من أهل الحيرة ٢٠٥٣/١
برجل، وكتب معه إلى أهل فارس وهم بالمداين مختلفون متساندون^(٢) لموت أردشير؛ إلا أنهم قد أنزلوا بهم من جاذويه ببهر سير؛ وكأنه على المقدمة. ومع بهم من جاذويه الآزاذبه في أشباه له. ودعا صلوا برجل. وكتب معهما كتابين؛ فأمّا أحدهما فإلى الخاصة وأما الآخر فإلى العامة؛ أحدهما حيرى والآخر نبطى.

ولما قال خالد لرسول أهل الحيرة: ما اسمك؟ قال: مرة. قال: خذ

(١) ز: «البعوث».

(٢) م: «متساندون».

الكتاب فات به أهل فارس، لعل الله أن يُسَمِّرَ عليهم عيشتهم، أو يُسلموا، أو ينيبوا. وقال لرسول صلوبا: ما اسمك؟ قال: هيزقيل، قال: فخذ الكتاب. وقال^(۱): اللهم أزهِق نفوسهم.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن مجالد وغيره، بمثله. والكتابان:

بسم الله الرحمن الرحيم. من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس؛ أمّا بعد؛ فالحمد لله الذي حلّ نظامكم، ووهن كيدكم، وفرّق كلمتكم، ولو لم يفعل ذلك بكم كان شراً لكم؛ فادخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم، ونجوزكم إلى غيركم، وإلا كان ذلك وأنتم كارهون على غلب، على أيدي قوم يحبون الموت كما تحبّون الحياة.

بسم الله الرحمن الرحيم. من خالد بن الوليد إلى مرازبة فارس؛ أمّا بعد فأسلموا تسلّموا؛ وإلا فاعتقدوا مني الذمّة، وأدأوا الجزية، وإلا فقد جنتكم بقوم يحبّون الموت، كما تحبّون شرب الخمر. ۲۰۵۴/۱

حدثني عبيد الله، قال: حدثني عمي، عن سيف، عن محمد بن نوية، عن أبي عثمان. والسري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن عبد الله، عن أبي عثمان والمهلب بن علقمة وزياد بن سرجيس، عن سياه وسفيان الأحمر، عن مآهان: أن الحجاج جئى إلى خالد في خمسين ليلة، وكان الذين ضمّينوه والذين هم رهوس الرساتيق رهنًا في يده، فأعطى ذلك كلّه للمسلمين، ففقوا به على أمورهم. وكان أهل فارس يموت أردشير مختلفين في الملك، مجتمعين على قتال خالد، متساندين؛ وكانوا بذلك سنة، والمسلمون يمحرون ما دون دجلة، وليس لأهل فارس فيما بين الحيرة ودجلة أمر؛ وليست لأحد منهم ذمّة إلا الذين كاتبوه واكتبوا منه، وسائر أهل السواد جلاء، ومتحصنون، ومحاربون. واكتب عمال الحجاج، وكتبوا البراءات لأهل الحجاج، من نسخة واحدة:

(۱) ز: «وقل».

بسم الله الرحمن الرحيم . براءة لمن كان من كذا وكذا من الجزية التي صالحهم عليها الأمير خالد بن الوليد ، وقد قبضت الذي صالحهم عليه خالد ، وخالد والمسلمون لكم يدٌ على من يتدل صلح خالد ؛ ما أقرتم بالجزية وكفتم . أمانكم أمان ، وصلحكم صلح ؛ نحن لكم على الوفاء . ٢٠٥٥/١

وأشهدوا لهم النفر من الصحابة الذين كان خالد أشهدهم : هشاما ، والقعقاع ، وجابر بن طارق ، وجريراً ، وبشيراً ، وحنظلة ، وأزداذ ، والحجاج بن ذي العنق ، ومالك بن زيد .

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، عن سيف ، عن عطية بن الحارث ، عن عبد خير ، قال : وخرج خالد وقد كتب أهل الحيرة عنه كتاباً : إننا قد أدبنا الجزية التي عاهدنا عليها خالد العبد الصالح والمسلمون عباد الله الصالحون ، على أن يمنعوننا وأميرهم البغي من المسلمين وغيرهم .

وأما السري ؛ فإنه قال في كتابه إلى : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن عطية بن الحارث ، عن عبد خير ، عن هشام بن الوليد ، قال : فرغ خالد . . . ثم سائر الحديث مثل حديث عبيد الله بن سعد .

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، عن سيف - والسري ، عن شعيب عن سيف - عن عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن ابن الهذيل الكاهلي نحوه منه ، قالوا : وأمر الرسول اللذين بعثهما أن يوافياه بالخبر ، وأقام خالد في عمليه سنة ، ومنزله الحيرة ، يصعد ويصوب قبل ٢٠٥٦/١ خروجه إلى الشام ، وأهل فارس يخلعون ويملكون ؛ ليس إلا الدافع عن بهر سير ؛ وذلك أن شيرى بن كسرى قتل كل من كان يناسبه^(١) إلى كسرى بن قباد ، ووثب أهل فارس بعده وبعد أردشير ابنه ، فقتلوا كل من بين كسرى بن قباد وبين بهرام جور ، فبقوا لا يقدر على من يملكونه ممن يجتمعون عليه .

(١) ز : « إخوته ومن كان يناسبه » .

حدثنا عبيدُ الله ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني سيف ، عن عمرو والمجالد ، عن الشعبي ، قال : أقام خالدُ بن الوليد فيما بين فتح الحيرة إلى خروجه إلى الشام أكثرَ من سنة ، يعالج عمَل عياض الذي سُمي له ، وقال خالد للمسلمين : لولا ما عهد إلى الخليفة لم أتنقذ^(١) عياضًا ، وكان قد شجيتَ وأشجيتَ بدومة ، وما كان دون فتح فارس شيء ؛ إنها لسنة كأنها سنة نساء . وكان عهد إليه ألا يقتحم عليهم وخلفه نظام لهم . وكان بالعين عسكر لفارس وبالأنبار آخر وبالفراض آخر . ولما وقعت كتب خالد إلى أهل المدائن تكلم نساء آل كسرى ، فولت الفَرُّخَزاذ بن البيندوان إلى أن يجتمع^(٢) آل كسرى على رجل إن وجدوه .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله عن أبي عثمان ، وطلحة عن المغيرة ، والمهلب عن سياه ، وسفيان عن ماهان ، قالوا : كان أبو بكر رحمه الله قد عهد إلى خالد أن يأتي العراق من أسفل منها ، وإلى عياض أن يأتي العراق من فوقها ، وأبكما ما سبق إلى الحيرة فهو أميرٌ على الحيرة ؛ فإذا اجتمعتما بالحيرة إن شاء الله وقد فضضتما مسالح ما بين العرب وفارس وأمينتم أن يؤتى المسلمون من خلفهم فليقيم بالحيرة أحدكما ، وليقتحم الآخر على القوم ، وجالدوهم عما في أيديهم . واستعينوا بالله واتقوه ، وآثروا أمر الآخرة على الدنيا يجتمعا لكم ؛ ولا تؤثروا الدنيا فتسلبوهما . واحذروا ما حذركم الله بترك المعاصي ومعالجة التوبة ؛ وإيّاكم والإصرار وتأخير التوبة .

فأتى خالد على ما كان أمير به . ونزل الحيرة ، واستقام له ما بين الفلاليج إلى أسفل السواد ، وفرق سواد الحيرة يومئذ على جرير بن عبد الله الحميري . وبشير بن الخصاصية ، وخالد بن الواشمة ، وابن ذى العنق ، وأط ، وسويد وضرار ؛ وفرق سواد الأبلّة على سويد بن مقرن ، وحسكة الحبطي ، والحصين بن أبي الحر ، وربيعة بن عيسل ، وأقر المسالح على ثغورهم ،

(١) يقال : تنقذ ، إذا نجاه وخلصه .

(٢) ز : « اجتمع » .

واستخلف على الحيرة القعقاع بن عمرو . وخرج خالد في عمل عياض ليقضي ما بينه وبينه ، وإغاثته ، فسلك الفلوجة حتى نزل بكر بلاء وعلى مسلتحتها عاصم بن عمرو ، وعلى مقدمة خالد الأقرع بن حابس ؛ لأنّ المشي كان على ثغر من الثغور التي تلى (١) المدائن ؛ فكانوا يغاورون أهل فارس ، وينتهون إلى شاطئ دجلة قبل خروج خالد من الحيرة وبعد خروجه في إغاثة عياض .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي روق ، عن عمّن شهدهم بمثله ، إلى أن قال : وأقام خالد على كتر بلاء أياماً ، وشكنا إليه عبد الله بن وثيمة الذئباب ، فقال له خالد : اصبر فإنني إنما أريد أن أستفرغ المسالحي التي أمر بها عياض فنسكنها العرب ، فتأمن جنود المسلمين أن يؤتوا من خلفهم ، وتجيئنا العرب أمينة وغير متعشعة ؛ وبذلك أمرنا الخليفة ، ورأيه يعدل نسجدة الأمة . وقال رجل من أشجع فيما حكى ابن وثيمة :

لقد حبست في كربلاء مطيتي وفي المين حتى عاد غثاً سمينها (٢)
إذا زحلت من مبرك رجعت له كعمر أبيها إنني لأهينها
ويمنعها من ماء كل شريعة رفاق من الذبان زرق عيونها

٠٥٩/١

حديث الأنبار — وهي ذات العيون — وذكر كلواذي

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وأصحابهما ، قالوا : خرج خالد بن الوليد في تعبته التي خرج فيها من الحيرة ، وعلى مقدمته الأقرع بن حابس . فلما نزل الأقرع المنزل الذي يُسلمه إلى الأنبار أنتج قوم من المسلمين إبلهم ، فلم يستطيعوا العرجة (٣) ،

(١) ط : « على » ، وأثبت ما في ابن حبير .

(٢) ياقوت ٧ : ٢٢٩ .

(٣) العرجة : المقام .

ولم يجدوا بُدًّا من الإقدام ، ومعهم بنات متخاض ، تتبعهم . فلما نودي بالرحيل صرُّوا^(١) الأمهات ، واحتقبوا المتوجات ؛ لأنها لم تعلق السيِّر ؛ فانتها ركباننا إلى الأنبار ، وقد تحصن أهل الأنبار ، وخذقوا عليهم ، وأشرفوا من حصنهم ، وعلى تلك الجنود شيرزاد صاحب ساباط - وكان أعقل أعجمي يومئذ وأسودّه وأقنعه في الناس : العرب والعجم - فتصايح عرب الأنبار يومئذ من السُّور ، وقالوا : صبَّح الأنبار شرًّا ؛ جَمَلٌ يحمل جُمَيْلتهُ وجَمَلٌ تُرِبُهُ عوذ^(٢) . فقال شيرزاد : ما يقولون ؟ ففسر له ، فقال : أمّا هؤلاء فقد قضوا على أنفسهم ؛ وذلك أن القوم إذا قضوا على أنفسهم قضاءً كاد يلزمهم ؛ والله لئن لم يكن خالد مجتازاً لأصالحته ؛ فيبناهم كذلك قدِم خالد على المقدّمة ، فأطاف بالخذق ، وأنشب القتال ؛ وكان قليل الصبر عنه إذا رآه أو سمع به ؛ وتقدّم إلى رُماته ، فأوصاهم وقال : إنني أرى أقواماً لا علم لهم بالحرب ، فارموا عيونهم ولا تَوَخَّروا غيرها ، فرموا رشقاً^(٣) واحداً ، ثم تابعوا ، ففتى ألف عين يومئذ ، فسُميت تلك الوقعة ذات العيون ؛ وتصايح القوم : ذهبت عيون أهل الأنبار ! فقال شيرزاد : ما يقولون ؟ ففسر له ، فقال : آباذ آباذ^(٤) . فراسل خالدًا في الصلح على أمر لم يرضه خالد ، فردّ رسلته ، وأتى خالد أضيّق مكان في الخندق بردايا^(٥) الجيش فنحرها ؛ ثم رى بها فيه فأفعمه ؛ ثم اقتحم الخندق - والردايا جسورهم - فاجتمع المسلمون والمشركون في الخندق . وأرَزَّ القوم إلى حصنهم ، وراسل شيرزاد خالدًا في الصلح على ما أراد ، فقبل منه على أن يخلّبه ويلتحقه بأمنه في جريدة نخيل ، ليس معهم من المتاع والأموال شيء ؛ فخرج شيرزاد ، فلما قدِم على بهمن جاذويه ، فأخبره الخبر لأمه ، فقال : إنني كنتُ في قوم ليست لهم عقول ، وأصلهم من العرب ، فسمعتهم مقدّمهم علينا يقضون على أنفسهم ، وقلّما قضى قوم على أنفسهم قضاءً إلا وجب عليهم . ثم قاتلهم الجند ،

(١) صر الناقة : شد ضرعها بالصرار ؛ لثلا يرضعها ولدها .

(٢) تربه : تصلحه . (٣) رموا رشقا ، أي وجهاً واحداً بجميع سهامهم .

(٤) آباذ ، كلمة ثناء بالفارسية ، ومعناها بارك الله ؛ وانظر المعجم في اللغة الفارسية .

(٥) الرذايا : جمع رذية ؛ وهي الناقة المهزولة من السير .

ففقثوا فيهم وفي أهل الأرض ألف عين ؛ فعرفت أن المسألة أسلم . ولما ٢٠٦١/١
اطمأن خالد بالأنبار والمسلمون ، وأمن أهل الأنبار وظهروا ، وآهم يكتبون
بالعربية ويتعلمونها ، فسألهم : ما أنتم ؟ فقالوا : قوم من العرب ، نزلنا إلى قوم
من العرب قبلنا - فكانت أوائلهم نزلوها أيام بختنصر حين أباح العرب ؛
ثم لم تزل عنها - فقال : ممن تعلمتم الكتاب ؟ فقالوا : تعلمنا الخط من إياد ،
وأنشده قول الشاعر :

قَوْمِي إِيَادٌ لَوْ أَنَّهُمْ أُمَّمٌ أَوْ لَوْ أَقَامُوا فَتَهَزَّلَ النَّعْمُ (١)
... قَوْمٌ لَمْ يَأْتِ الْمَسْرَاقَ إِذَا سَارُوا جَمِيعًا وَالْخَطَّ وَالْقَلَمَ (٢)

وصالح خالد من حوهم ، وبدأ بأهل البوازيج ؛ وبعث إليه أهل كلواذى
ليعقد لهم ، فكاتبهم فكانوا عيبته من وراء دجلة . ثم إن أهل الأنبار وما
حولها نقضوا فيما كان يكون بين المسلمين والمشركين من الدُّول ما خلا أهل
البوازيج ، فإنهم ثبتوا كما ثبت أهل بانيقيا .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد العزيز - يعني
ابن سياه - عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : ليس لأحد من أهل السواد
عقد قبل الوقعة إلا بني صلوبا - وهم أهل الحيرة - وكلواذى ، وقرى من قرى
الفرات (٣) ، ثم غدروا حتى دُعوا إلى الذمة بعد ما غدروا .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، ٢٠٦٢/١
قال : قلت للشعبي : أئخذ السواد عنوة ؟ قال : نعم ، وكل أرض إلا بعض
القلاع والحصون ، فإن بعضهم صالح به ، وبعضهم غلب (٤) . فقلت : فهل
لأهل السواد ذمة اعتقدوها قبل الهرب (٥) ؟ قال : لا ، ولكنهم لما دُعوا
ورضوا بالخراج وأئخذ منهم صاروا ذمة .

(١) سيرة ابن هشام ٤٣ ، ونسبها إلى أمية بن أبي الصلت .

(٢) ابن كثير : « واللوح والقلم » . ابن هشام : « والقط والقلم » .

(٣) ز وابن كثير . « من قرى فرات » .

(٤) ز : « غالب » .

(٥) ابن كثير : « الحرب » .

خبر عين التمر

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب
وزياد ، قالوا : ولما فرغ خالد من الأنبار ، واستحكمت له ، استخلف على
الأنبار الزبيرقان بن بدر ، وقصد لعين التمر ؛ وبها يومئذ مهران بن بهرام جوبين
في جمع عظيم من العجم ، وعقّة بن أبي عقّة في جمع عظيم من العرب من
النمر وتغلب وإياد ومن لافهم^(١) . فلما سمعوا بخالد قال عقّة لمهران :
إنّ العرب أعلمُ بقتال العرب ، فدعنا^(٢) وخالدًا ، قال : صدقت ، لعمرى
لأنتم أعلمُ بقتال العرب ، وإنّكم لمثلنا في قتال العجم . فخدعه واتق به ،
وقال : دونكموهم وإن احتجتم إلينا أعناكم . فلما مضى نحو خالد قالت له
الأعاجم : ما حملك على أن تقول هذا القول لهذا الكلب ! فقال : دعوني فإني
لم أردُ إلا ما هو خير لكم وشرّ لهم ؛ إنّه قد جاءكم من قتل ملوككم ،
وفلّ حدّكم ، فاتقيته بهم ؛ فإن كانت لهم على خالد فهي لكم ؛ وإن كانت
الأخرى لم تبلغوا منهم حتى يتهينوا ، فنقاتلهم ونحن أقوىاء وهم مضعفون .
فاترفوا له بفضل الرأي ، فلزم مهران العين ، ونزل عقّة لخالد على الطريق ،
وعلى ميمنته بجير بن فلان أحد بني عتبة بن سعد بن زهير ، وعلى ميسرته الهذيل
ابن عمران ، وبين عقّة وبين مهران^(٣) روضة أو غدوة ، ومهران في الحصن^(٤)
في رابطة فارس ، وعقّة على طريق الكرخ كالحفير . فقدم عليه خالد وهو في
تعبته جنده ، فعبي خالد جنده وقال لمجنبيه^(٥) : اكفونا ما عنده ، فإني
حامل ؛ ووكل بنفسه حوامي ، ثمّ حمل وعقّة بقم صفوفه ؛ فاحتضنه
فأخذه أسيرًا ، وانهم صفة من غير قتال ، فأكثروا فيهم الأسر ، وهرب
بجير والهذيل ، واتبعهم المسلمون . ولما جاء الخبر بمهران هرب في جنده ،
وتركوا الحصن . ولما انتهت فلال عقّة من العرب والعجم إلى الحصن
اقتحموه واعتصموا به ؛ وأقبل خالد في الناس حتى ينزل على الحصن
ومعه عقّة أسير وعمرو بن الصعيق ، وهم يرجون أن يكون خالد كمن كان

(١) ب وابن كثير : « لاقاهم » . (٢) س : « فدعها » (٣) ز ، س : « بين عقّة ومهران » .
(٤) س : « في حصن » .
(٥) المجنبتان : ميمنة الجيش وميسرته .

يَغِيرُ مِنَ الْعَرَبِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ يَجَاهِدُهُمْ سَأَلُوهُ الْأَمَانَ . فَأَبَى إِلَّا عَلَى حُكْمِهِ
فَسَلَسُوا لَهُ ^(١) بِهِ . فَلَمَّا فَتَحُوا دَفَعَهُمْ إِلَى الْمُسْلِمِينَ فَصَارُوا مَسَاكِينًا ^(٢) ، وَأَمَرَ
خَالِدٌ بَعْقَةَ وَكَانَ خَفِيرُ الْقَوْمِ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ لِيُؤْتِيَ الْأَسْرَاءَ مِنَ الْحَيَاةِ ،
وَلَمَّا رَأَى الْأَسْرَاءُ مَطْرُوحًا عَلَى الْجَسْرِ يَتَسَوَّأُونَ مِنَ الْحَيَاةِ ، ثُمَّ دَعَا بِعَمْرٍو بْنِ الصَّعِقِ
فَضْرَبَ عُنُقَهُ ، وَضْرَبَ أَعْنَاقَ أَهْلِ الْحِصْنِ أَجْمَعِينَ . وَسَبَى كُلَّ مَنْ حَوَى ٢٠٦٤/١
حِصْنَهُمْ ، وَغَنِمَ مَا فِيهِ ، وَوَجَدَ فِي بَيْعَتِهِمْ أَرْبَعِينَ غَلَامًا يَتَعَلَّمُونَ الْإِنْجِيلَ ،
عَلَيْهِمْ بَابٌ مُغْلَقٌ ؛ فَكَسَرَهُ عَنْهُمْ ^(٣) ، وَقَالَ : مَا أَنْتُمْ ؟ قَالُوا : رَهْنٌ ،
فَفَسَّمَهُمْ فِي أَهْلِ الْبَلَاءِ ؛ مِنْهُمْ أَبُو زِيَادٍ مَوْلَى ثَقِيفٍ ، وَمِنْهُمْ نَصِيرُ
أَبِي مُوسَى بْنِ نَصِيرٍ ، وَمِنْهُمْ أَبُو عَمْرٍو جَدُّ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى الشَّاعِرِ ،
وَسِيرِينَ أَبُو مُحَمَّدٍ بْنُ سِيرِينَ ، وَحُرَيْثُ ، وَعَلَاثَةُ . فَصَارَ أَبُو عَمْرٍو لَشُرْحَبِيلِ
ابْنِ حَسَنَةَ ، وَحُرَيْثُ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي عِبَادٍ ، وَعَلَاثَةُ لِلْمَعْنِيِّ ، وَحُمُرَانُ
لِعَثْمَانَ . وَمِنْهُمْ عَمِيرٌ وَأَبُو قَيْسٍ ؛ فَثَبَّتَ عَلَى نَسَبِهِ مِنْ مَوَالِي أَهْلِ الشَّامِ الْقِدْمَاءِ ،
وَكَانَ نَصِيرٌ يُنْسَبُ إِلَى بَنِي يَشْكُرَ ، وَأَبُو عَمْرٍو إِلَى بَنِي مُرَّةَ . وَمِنْهُمْ ابْنُ أُخْتِ النَّمِيرِ .

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ
وَأَبِي سَفْيَانَ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَالْمُهَلَّبِ بْنِ عُقَيْبَةَ ، قَالُوا : وَمَا قَدِيمُ
الْوَلِيدِ بْنِ عُقَيْبَةَ مِنْ عِنْدِ خَالِدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بِمَا بَعَثَ بِهِ إِلَيْهِ مِنَ
الْأَخْمَاسِ وَجَنَّهُ إِلَى عِيَاضٍ ، وَأَمَدَهُ بِهِ ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ الْوَلِيدُ ، وَعِيَاضُ
مُحَاصِرُهُمْ وَهُمْ مُحَاصِرُوهُ ، وَقَدْ أَخَذُوا عَلَيْهِ بِالطَّرِيقِ ، فَقَالَ لَهُ : الرَّأْيُ فِي بَعْضِ
الْحَالَاتِ خَيْرٌ مِنْ جَنْدٍ كَثِيفٍ ؛ أَبْعَثْ إِلَى خَالِدٍ فَاسْتَمْدَهُ . فَفَعَلَ ؛ فَقَدِمَ
عَلَيْهِ رَسُولُهُ غَيْبًا وَقَعَةَ الْعَيْنِ مُسْتَغِيثًا ، فَعَجَّلَ إِلَى عِيَاضٍ بِكِتَابِهِ : مِنْ خَالِدٍ
إِلَى عِيَاضٍ إِيَّاكَ أُرِيدُ .

لَبِثْتُ قَلِيلًا تَأْتِيكَ الْخِلَابُ ^(٤) يَحْمِلُنَ آسَادًا عَلَيْهَا الْقَاشِبُ

• كِتَابٌ يَتَّبِعُهَا كِتَابٌ •

(١) سلسواله : لانوا . (٢) ابن كثير : « جعلوا في السلاسل » ، وفي ابن الأثير
والتويري : « فأخذهم أسرى » . (٣) س : « عليهم » . (٤) الخلاب : الجماعات ؛ يقال : أحلب القوم ، إذا اجتمعوا للنصرة .

خبر دومة الجندل

٢٠٦٥/١

قالوا: ولما فرغ خالد من عَيْن التَّمْر خَلَّفَ فِيهَا عُوَيْمِرَ^(١) بن الكاهل^(٢) الأَسْلَمِيَّ ، وخرج في تعبيته التي دخل فيها العين ؛ ولَمَّا بَلَغَ أَهْلَ دُومَةَ مَسِيرُ خَالِدٍ إِلَيْهِمْ بَعَثُوا إِلَى أَحْزَابِهِمْ مِنْ بَهْرَاءَ وَكَلْبِ وَغَسَّانَ وَتَسْلُوحَ وَالضَّجَاعِمِ ، وَقَبْلُ مَا قَدَّ أَتَاهُمْ وَدَيْعَةَ فِي كَلْبِ وَبَهْرَاءَ ، وَمَسَانِدُهُ ابْنُ وَبَرَةَ بْنِ رُومَانِسَ ، وَأَتَاهُمْ ابْنُ الْحَيْدَرِجَانِ فِي الضَّجَاعِمِ ، وَابْنُ الْأَيْتِهِمْ فِي طَوَائِفِ مِنْ غَسَّانَ وَتَسْلُوحَ ، فَأَشْجَبُوا عِيَاضًا وَشَجُّوا بِهِ .

فَلَمَّا بَلَغَهُمْ دُنُوَّ خَالِدٍ ؛ وَهَمَّ عَلَى رَيْسِينَ : أَكَيْدِرَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَالْجُودِيَّ ابْنَ رَبِيعَةَ ، اخْتَلَفُوا ، فَقَالَ أَكَيْدِرُ : أَنَا أَعْلَمُ النَّاسَ بِخَالِدٍ ؛ لَا أَحَدٌ أَيْمَنُ طَائِرًا مِنْهُ ، وَلَا أَحَدٌ فِي حَرْبٍ ، وَلَا يَرَى وَجْهَ خَالِدٍ قَوْمٌ أَبَدًا قَتَلُوا أَوْ كَثُرُوا إِلَّا أَنْهَزَمُوا عَنْهُ ؛ فَأَطِيعُونِي وَصَالِحُوا الْقَوْمَ . فَأَبَوْا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : لَنْ أَمَالْتِكُمْ عَلَى حَرْبِ خَالِدٍ ، فَشَأْنِكُمْ .

فَخَرَجَ لَطِيئَتَهُ ، وَبَلَغَ ذَلِكَ خَالِدًا ؛ فَبَعَثَ عَاصِمَ بْنَ عَمْرٍو مَعَارِضًا لَهُ ، فَأَخَذَهُ فَقَالَ : إِنَّمَا تَلَقَّبْتَ الْأَمِيرَ خَالِدًا ؛ فَلَمَّا أَتَى بِهِ خَالِدًا أَمَرَ بِهِ فَضْرِبَتْ عُنُقُهُ ، وَأَخَذَ مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ شَيْءٍ ، وَمَضَى خَالِدٌ حَتَّى يَنْزِلَ عَلَى أَهْلِ دُومَةَ ، وَعَلَيْهِمْ الْجُودِيَّ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَوَدَيْعَةَ الْكَلْبِيِّ ، وَابْنَ رُومَانِسَ الْكَلْبِيِّ ، وَابْنَ الْأَيْتِهِمْ وَابْنَ الْحَيْدَرِجَانِ ؛ فَجَعَلَ خَالِدٌ دُومَةَ بَيْنَ عَسْكَرِهِ وَعَسْكَرِ عِيَاضَ . وَكَانَ النَّصَارِيُّ الَّذِينَ أَمَدُوا أَهْلَ دُومَةَ مِنَ الْعَرَبِ مُحِيطِينَ بِمُحْصَنِ دُومَةَ ، لَمْ يَحْمِلْنَهُمُ الْحِصْنَ ، فَلَمَّا اطْمَأَنَّ خَالِدٌ خَرَجَ الْجُودِيَّ ، فَنَهَضَ بُوْدَيْعَةَ فَزَحَفَا لِحَالِدٍ ، وَخَرَجَ ابْنُ الْحَيْدَرِجَانِ وَابْنُ الْأَيْتِهِمْ إِلَى عِيَاضَ ؛ فَاقْتَتَلُوا ، فَهَزَمَ اللَّهُ الْجُودِيَّ وَوَدَيْعَةَ عَلَى يَدَيْ خَالِدٍ ، وَهَزَمَ عِيَاضَ مَن يَلِيهِ ، وَرَكِبَهُمُ الْمُسْلِمُونَ ؛ فَأَمَّا خَالِدٌ فَلَمَّا أَخَذَ الْجُودِيَّ أَخَذًا ، وَأَخَذَ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسَ وَدَيْعَةَ ، وَأَرَزَّ بَقِيَّةَ النَّاسِ إِلَى الْحِصْنِ ؛ فَلَمْ يَحْمِلْهُمْ ؛ فَلَمَّا امْتَلَأَ الْحِصْنُ ، أَغْلَقَ مَنْ فِي الْحِصْنِ الْحِصْنَ دُونَ أَصْحَابِهِمْ ، فَبَقُوا حَوْلَهُ حُرْدَاءَ ؛ وَقَالَ عَاصِمُ بْنُ عَمْرٍو : يَا بَنِي تَمِيمَ ، حَلِفَاؤُكُمْ كَلْبُ ، آسُومُ^(٣) وَأَجِيرُوهُمْ ؛

(١) ابن كثير والنويري : « عويمر » .

(٢) ز وابن كثير : « الكاهن » ؛ س : « الطاهر » . (٣) كذا في ابن حبيش ، وفي ط : « آسروهم » .

فإنكم لا تقدرون لهم على مثلها ، ففعلوا . وكان سبب نجاتهم يومئذ وصية عاصم بنى تميم بهم ، وأقبل خالد على الذين أَرزُوا إلى الحصن فقتلهم حتى سد بهم باب الحصن ، ودعا خالد بالجوذي فضرب عنقه ؛ ودعا بالأسرى فضرب أعناقهم إلا أسارى كلب ، فإن عاصمًا والأقرع وبنى تميم قالوا : قا آمنهم ؛ فأطلقهم لهم خالد ، وقال : مالي ولكم ! أتخفظون (١) أمر الجاهلية وتضيعون أمر الإسلام ! فقال له عاصم : لا تحسدكم العافية ؛ ولا يحوزهم الشيطان (٢) . ثم أطاف خالد بالباب ، فلم يزل عنه حتى اقتلعه ؛ واقتحموا عليهم ، فقتلوا المقاتلة ، وسبوا الشرخ (٣) ؛ فأقاموهم فيمن يزيد ؛ فاشترى خالد ابنة الجودي وكانت موصوفة ، وأقام خالد بدومة ورد الأقرع إلى الأنبار . ٢٠٦٧/١

ولما رجع خالد إلى الحيرة - وكان منها قريبًا حيث يصبحها - أخذ القعقاع أهل الحيرة بالتقليس (٤) ، فخرجوا يتلقونه وهم يُقلسون ؛ وجعل بعضهم يقول لبعض : مُرُوا بنا فهذا فرج (٥) الشر !

كتب إلى السري ، عن شعيب عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب ، قالوا : وقد كان خالد أقام بدومة ، فظن الأعاجم به ؛ وكاتبهم عرب الجزيرة غضبًا لعمقة ؛ فخرج ، زرّمهر من بغداد ومعه رُوْزبه يريدان الأنبار ؛ واتعدا حُصيدًا والخنافس ، فكتب الزبرقان وهو على الأنبار إلى القعقاع بن عمرو وهو يومئذ خليفة خالد على الحيرة ؛ فبعث القعقاع أعبد بن فدكي السعدي وأمره بالحُصيد ، وبعث عروة بن الجعد البارق وأمره بالخنافس ، وقال لهما : إن رأيتما مقدّمًا فأقدما . فخرجوا فحالا بينهما وبين الريف ، وأغلقاهما ، وانتظر رُوْزبه وزرّمهر بالمسلمين ٢٠٦٨/١

اجتماع من كاتبهما من ربيعة ؛ وقد كانوا تكاتبوا واتعدوا ؛ فلما رجع خالد من دومة إلى الحيرة على الظهر وبلغه ذلك وقد عزم على مصادمة أهل المدائن ، كره خلاف أبي بكر ، وأن يتعلّق عليه بشيء ، فعجل القعقاع

(١) ابن حبش : « أتخفظون » .
 (٢) الشرخ : النساء الشابات . (٤) التقليس : استقبال القوم عند قدومهم بأصناف اللهب .
 (٥) س وابن كثير : « فرج » .

ابن عمرو وأبوليلي بن فندكي إلى رُوْزبه وزرمهر ، فسبقاه إلى عين التمر ،
 وقدم على خالد كتاب امرئ القيس الكلبي ، أن الهذيل بن عمران قد عسكر
 بالمصبيخ ، ونزل ربيعة بن بَجير بالثني وبالبيشر في عسكر غضباً لعقّة ،
 يريدان زرمهر ورُوْزبه . فخرج خالد وعلى مقدمته الأقرع بن حابس ،
 واستخلف على الحيرة عياض بن غنم ، وأخذ طريق القعقاع وأبي ليلي إلى
 الخنافس حتى قدم عليهما بالعين ، فبعث القعقاع إلى حصيد ، وأمره
 على الناس ، وبعث أبا ليلي إلى الخنافس ، وقال : زجيتاهم ليجمعوا ومن
 استثارهم ؛ وإلا فواقعاهم . فأبيا إلاّ المُقام

• • •

خبر حصيد

فلما رأى القعقاع أن زرمهر ورُوْزبه لا يتحركان سار نحو حصيد ،
 ٢٠٦٩/١ وعلّي من مرّ به من العرب والعجم رُوْزبه . ولما رأى رُوْزبه أن القعقاع قد
 قصد له استمدّ زرمهر ، فأمدّه بنفسه ، واستخلف على عسكره المهبوذان ،
 فالتقوا بحصيد ، فاقتلوا ، فقتل الله العجم مقتلة عظيمة ، وقتل القعقاع
 زرمهر ، وقتل رُوْزبه ؛ قتله عيصمة بن عبد الله أحد بني الحارث بن طريف ،
 من بني ضبّة ، وكان عصمة من البررة - وكلّ فتخيد هاجرت بأسرها
 تدعى البررة ، وكلّ قوم هاجروا من بطن يدعون الخيرة - فكان المسلمون
 خيرة وبررة . وغنم المسلمون يوم حصيد غنائم كثيرة وأرز فلّال^(١) حصيد
 إلى الخنافس فاجتمعوا بها .

• • •

الخنافس

وسار أبو ليلي بن فندكي بمنّ معه ومنّ قدم عليه نحو الخنافس ؛
 وقد أرزت فلّال حصيد إلى المهبوذان ، فلما أحس المهبوذان [بقدمهم]^(٢)
 هرب ومن معه وأرّزوا إلى المصبيخ ، وبه الهذيل بن عمران ، ولم يلق بالخنافس
 كيداً ، وبعثوا إلى خالد بالخبر جميعاً .

(٢) من ز .

(١) الفلال : جمع فل ؛ وهم القوم المهزومون .

مُصَيِّخُ بَنِي الْبَرِّشَاءِ

قالوا : ولما انتهى الخبرُ إلى خالد بمصاب أهلِ النُحُصِيدِ وهرب أهلُ الخنَافسِ كتب إليهم ، ووعَد القَعْقَاعَ وأبا ليلي وأعبد وعُرُوة ليلة وساعة يجتمعون فيها إلى المصَيِّخِ - وهو بين حَوْران والقَلْتِ - وخرج خالد من العين قاصداً للمصَيِّخِ على الإبلِ يجنب الخيلَ ، فنزل الجَنَابُ فالبَرْدانِ ٢٠٧٠/١ فالحِني . واستقلَّ من الحِني ؛ فلما كان تلك الساعة من ليلة الموعد اتفقوا جميعاً بالمصَيِّخِ ، فأغاروا على الهُدَيلِ ومن معه ومن أوى إليه ؛ وهم نائمون من ثلاثة أوجه ، فقتلوهم . وأفلت الهُدَيلُ في أناسٍ قليلٍ ؛ وامتلاً الفضاء قتلى ، فما شَبَّهوا بهم إلا غنماً مصرَّعة ؛ وقد كان حُرْقُوصُ بن النعمان قد محضهم النَّصْحَ ، وأجاد الرأى ، فلم ينتفعوا بتحذيره ، وقال حرقوص بن النعمان قبل الغارة :

• أَلَا سَقْيَانِي قَبْلَ خَيْلِ أَبِي بَكْرٍ ^(١) .

الآبيات . وكان حرقوص معرَّساً بامرأة من بني هلال تُدعى أم تغلب ، فقتلت تلك الليلة ، وعبادة بن البشر وامرؤ القيس بن بشر وقيس بن بشر ؛ وهؤلاء بنو الثوربية من بني هلال . وأصاب جرير بن عبد الله يوم المصَيِّخِ من النَّميرِ عبدَ العزَّى بن أبي رُهْمِ بن قِرِّ وِاشِ أَخَا أَوْسِ مَنَاةَ ، من النَّميرِ ، وكان معه ومع لبيد بن جرير كتاب من أبي بكر بإسلامهما ، وبلغ أبا بكر قول عبد العزَّى ؛ وقد سماه « عبد الله » ليلة الغارة ؛ وقال :

• سَبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّ مُحَمَّدٍ .

فوداه وودي لبيدا - وكانا أصيبا في المعركة - وقال : أما إن ذلك ليس على إذ نازلا أهل الحرب ؛ وأوصى بأولادهما ، وكان عمر يعتد على خالد بقتلهما إلى قتل مالك - يعنى ابن نوييرة - فيقول أبو بكر : كذلك يلقى من ٢٠٧١/١ ساكن أهل الحرب في ديارهم . وقال عبد العزَّى :

أقول إذ طرَّقَ الصبَاحُ بِغَارَةٍ : سَبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّ مُحَمَّدٍ

(١) ابن حبيش : « فاسقياني » .

« حان رَبِّيَ لا إلهَ غَيْرُهُ رَبُّ البلادِ وربُّ من يَتَوَرَّدُ^(١) »
 كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية ، عن عدى بن
 حاتم ، قال : أغرنا على أهل المصبيخ ، وإذا رجلٌ يدعى باسمه حرقوق
 ابن النعمان ، من النمر^(٢) ، وإذا حوله بنوه وامراته ، وبينهم جفنة من خمر ؛
 وهم عليها عكوف يقولون له : ومن يشرب هذه الساعة وفي أعجاز الليل !
 فقال : اشربوا شرب وداع ، فما أرى أن تشربوا خمرًا بعدها ، هذا خالد
 بالعين وجنوده بحصيد ، وقد بلغه جمعنا وليس بتاركنا ؛ ثم قال :

ألا فاشربوا من قبل فاصمة الظهرِ بعيدَ انتفاخِ القومِ بالمكرِ الدئرِ
 وقبلَ منايانا المصيبةِ باقدرِ لحينِ لعمري لا يزيدُ ولا يجرى^(٣)
 فسبق إليه وهو في ذلك في بعض الخيل ، فضرب رأسه ، فإذا هو في جفنته ،
 وأخذنا بناتِه وقتلنا بنيه .

٢٠٧٢/١

الثني والزُميل

وقد نزل ربيعة بن بَجير التغلبي الثني والبشر غضبًا لعقّة ، وواعد
 رُوَزبه وزرْمير والهدبيل . فلما أصاب خالد أهل المصبيخ بما أصابهم
 به ، تقدم إلى القعقاع وإلى أبي ليلى ، بأن يرتعلا أمامه ، وواعدهما الليلة
 ليفترقا فيها للغارة عليهم من ثلاثة أوجه ؛ كما فعل بأهل المصبيخ . ثم خرج
 خالد من المصبيخ ، فتزل حوران ، ثم الرنق ، ثم الحمّاة - وهي اليوم
 لبني جنادة بن زهير من كلب - ثم الزُميل ؛ وهو البشر والثني معه -
 وهما اليوم شرقي الرصافة - فبدأ بالثني ، واجتمع هو وأصحابه ، فبيته من
 ثلاثة أوجه بيانا ومن اجتمع له وإليه ، ومن تأشب لذلك من الشبان ؛ فجرّدوا
 فيهم السيوف ، فلم يُفلت من ذلك الجيش مخبر ، واستبى الشرخ ،
 وبعث بخمّس الله إلى أبي بكر مع النعمان بن عوف بن النعمان الشيباني ،
 وقسم النهب والسبأيا ، فاشترى علي بن أبي طالب عليه السلام بنت ربيعة

(١) س وابن حبيش : « يتودم » ، ب : « يتمرد » ، وفي البيت إقواء .

(٢) ابن كثير : « النمرى » ، وفي ص ٤٠٧ ش ٣ من هذا الجزء : « البهراي » .

(٣) بحري : ينقص .

ابن بُجَيْرِ التَّغْلِبِيِّ ، فَاتَّخَذَهَا ؛ فَوَلَدَتْ لَهُ عَمْرُ وَرُقِيَّةَ ، وَكَانَ الْهَذِيلُ حِينَ نَجَا ٢٠٧٣/١
 أَوْى إِلَى الزُّمَيْلِ ، إِلَى عَتَّابِ بْنِ فُلَانٍ ؛ وَهُوَ بِالْبِشْرِ فِي عَسْكَرِ ضَخْمٍ ؛
 فَبَيْتَهُمْ بِمِثْلِهَا غَارَةً شَعَوَاءَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ سَبَقَتْ إِلَيْهِمُ الْخَبْرَ عَنْ رِبِيعَةَ ،
 فَكُتِلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ لَمْ يُقْتَلُوا قَبْلِهَا مِثْلَهَا ؛ وَأَصَابُوا مِنْهُمْ مَا شَاءُوا ، وَكَانَتْ
 عَلَى خَالِدِ يَمِينٍ : «لِيَبْغَتَنَّ تَغْلِبَ فِي دَارِهَا» ؛ وَقَسَمَ خَالِدٌ فِيئْتَهُمْ فِي النَّاسِ ،
 وَبَعَثَ بِالْأَخْمَاسِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ مَعَ الصَّبَاحِ بْنِ فُلَانِ الْمَزْنِيِّ ، وَكَانَتْ فِي الْأَخْمَاسِ
 ابْنَةُ مُؤَذِنِ النَّمَرِيِّ ؛ وَابْنَةُ بِنْتِ خَالِدٍ ، وَرِيحَانَةُ بِنْتُ الْهَذِيلِ بْنِ هَبِيرَةَ . ثُمَّ عَطَفَ
 خَالِدٌ مِنَ الْبِشْرِ إِلَى الرُّضَابِ ؛ وَبِهَا هَلَالُ بْنُ عَقَّةَ ، وَقَدْ أَرَفَضَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ
 حِينَ سَمِعُوا بِدَنُوِّ خَالِدٍ ؛ وَانْقَشَعَتْ عَنْهَا هَلَالٌ فَلَمْ يَأْتِ كَيْدًا بِهَا .

• • • حَدِيثُ الْفِرَاضِ

ثُمَّ قَصَدَ خَالِدٌ بَعْدَ الرُّضَابِ وَبَغْتَتِهِ تَغْلِبَ إِلَى الْفِرَاضِ - وَالْفِرَاضُ : تَخُومُ
 الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَالْجَزِيرَةَ - فَأَفْطَرَبَهَا رَمَضَانَ فِي تِلْكَ السَّفَرَةِ الَّتِي اتَّصَلَتْ لَهُ
 فِيهَا الْغَزَاوَاتُ وَالْأَيَّامُ ، وَنُظْمَنَ نَظْمًا ، أَكْثَرَ فِيهِنَّ الرَّجَازُ إِلَى مَا كَانَ قَبْلَ
 ذَلِكَ مِنْهُنَّ .

٢٠٧٤/١

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ وَطَلْحَةَ - وَشَارَكَهُمَا
 عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ ؛ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ ، عَنْ ظَنَقَرِ بْنِ دَهْمٍ - وَالْمَهْلَبِ بْنِ
 عُقْبَةَ ، قَالُوا : فَلَمَّا اجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْفِرَاضِ ، حَمِيَّتِ الرُّومُ وَاغْتَاظَتْ ،
 وَاسْتَعَانُوا بِمَنْ يَلِيهِمْ مِنْ مَسَالِحِ أَهْلِ فَارِسَ ، وَقَدْ حَمُّوا وَاغْتَاظُوا وَاسْتَمَدُّوا
 تَغْلِبَ وَإِيَادَ وَالنَّمِيرَ ؛ فَأَمَدُّوهُمْ ؛ ثُمَّ نَاهَدُوا خَالِدًا ؛ حَتَّى إِذَا صَارَ الْفِرَاتُ
 بَيْنَهُمْ ، قَالُوا : إِمَّا أَنْ تَعْبُرُوا إِلَيْنَا وَإِمَّا أَنْ نَعْبُرَ إِلَيْكُمْ . قَالَ : خَالِدٌ :
 بَلْ أَعْبُرُوا إِلَيْنَا ، قَالُوا : فَتَنَحَّوْا حَتَّى نَعْبُرَ ؛ فَقَالَ خَالِدٌ : لَا نَفْعَلُ ؛ وَلَكِنْ
 أَعْبُرُوا أَسْفَلَ مِنَّا . وَذَلِكَ لِلنَّصْفِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ اثْنِي عَشْرَةَ . فَقَالَتْ
 الرُّومُ وَفَارِسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : احْتَسِبُوا مَلِكَكُمْ ؛ هَذَا رَجُلٌ يِقَاتِلُ عَلَى
 دِينِ ، وَلَهُ عَقْلٌ وَعِلْمٌ ، وَوَاللَّهِ لِيُنْصَرَّنَ وَلِنُخَذَلَنَّ . ثُمَّ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِذَلِكَ ؛
 فَعَبَرُوا أَسْفَلَ مِنْ خَالِدٍ ؛ فَلَمَّا تَتَامَوْا قَالَتْ الرُّومُ : امْتَازُوا حَتَّى نَعْرِفَ
 الْيَوْمَ مَا كَانَ مِنْ حَسَنِ أَوْ قَبِيحٍ ؛ مِنْ أَيُّنَا يَجِيءُ ! ففعلوا ، فاقتتلوا قتالاً

شديداً طويلاً . ثم إن الله عز وجل هزمهم ، وقال خالد للمسلمين : ألحقوا
عليهم ولا تُرَفِّفِيهِمْ^(١) عنهم ؛ فجعل صاحب الخيل يحشر منهم الزُّمْرَةَ بِرُمَاحِ
أصحابه ، فإذا جمعهم قتلهم ، فقتل يوم الفِراض في المعركة وفي الطلب
مائة ألف ، وأقام خالد على الفِراض بعد الوقعة عشرة ، ثم أذن في القفل إلى
٢٠٧٥/١ الحيرة لحمس بقين من ذى القعدة ؛ وأمر عاصم بن عمرو أن يسير بهم ؛
وأمر شجرة بن الأعز أن يسوقهم . وأظهر خالد أنه في الساقة .

• • •

حجة خالد

قال أبو جعفر : وخرج خالدُ حاجباً من الفِراض لحمس بقين من
ذى القعدة ، مكتتماً بحجته ، ومعه عدةٌ من أصحابه ؛ يعتسف^(٢) البلاد
حتى أتى مكة بالسَّمت^(٣) ، فتأني له من ذلك ما لم يتأتَّ لدليل ولا ريبال .
فسار طريقاً من طرق أهل الجزيرة ، لم يُرَ طريقٌ أعجبُ منه ؛ ولا أشدَّ
على صعوبته منه ، فكانت غيبته عن الجند يسيرة ؛ فأتوا فسي إلى الحيرة آخراً
حتى وافاهم^(٤) مع صاحب السَّاقة الذي وضعه . فقدموا معاً ؛ وخالد وأصحابه
محلَّقون ؛ لم يعلم بحجته إلا من أفضى إليه بذلك من السَّاقة ، ولم يعلم أبو بكر
رحمه الله بذلك إلا بعد ؛ فعتب عليه . وكانت عقوبته إيَّاه أن صرفه إلى
الشَّام . وكان مسيرُ خالد من الفِراض أن استعرض البلاد متعتفاً متسماً ،
٢٠٧٦/١ فقطع طريقُ الفِراض ماءَ العنبري ، ثم ميشقبا ، ثم انتهى إلى ذات عرق .
فشرق منها ، فأسلمه إلى عرقات من الفِراض . وسمى ذلك الطريق الصدِّ ؛
ووافاه كتاب من أبي بكر^(٥) منصرفه من حجته بالحيرة بأمره بالشَّام ؛ يقاربه
ويباعده .

قال أبو جعفر : قالوا : فوافي خالداً كتابُ أبي بكر بالحيرة ، منصرفه
من حجته : أن سير حتى تأتي جموع المسلمين باليرموك ، فإنهم قد شجوا

(١) ز : « ترففوا » . (٢) اعتسف الطريق ؛ إذا قطعه دون صوب توخاه فأصابه

(٣) السمت : السير على الطريق بالظن . (٤) س : « توافاهم » .

(٥) ز : « كتاب أبي بكر » .

وأشجوا ؛ وإيّاك أن تعودَ لمثل ما فعلت ؛ فإنه لم يُشجِ الجموعَ من الناس بعون الله شجّاك ، ولم ينزع ^(١) الشجّي من الناس نزعك ؛ فليهنئك أباسليمان النّية ^(٢) والحظوة ؛ فأتسميم يتمم الله لك ^(٣) ، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل ، وإيّاك أن تُدلّ بعمل ، فإنّ الله له المنّ ، وهو وليّ الجزاء .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ؛ عن عبد الملك بن عطاء بن البكائي ، عن المقطع بن الهيثم البكائي ، عن أبيه ، قال : كان أهل الأيام من أهل الكوفة يُوعدون معاوية عند بعض النّدى يبلغهم ، ويقولون : ما شاء معاوية ! نحن أصحاب ذات السلاسل . ويُسمّون ما بينها وبين الفراض ما يذكرون ما كان بعدُ احتقاراً لما كان بعد فيما كان قبل .

وحدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا عليّ بن محمد بالإسناد الذي قد مضى ذكره ، أن خالد بن الوليد أتى الأنبارَ فصالحوه على الجلاء ، ثم أعطوه شيئاً رضى به ، وأنه أغار على سوق بغداد من رُستاق العال ، وأنه وجّه المثنى فأغار على سوق فيها جتمع لقضاة وبكر ، فأصاب ما في السوق ، ثم سار ^(٤) إلى عين التمر ، ففتحها عنوة ، فقتل وسبي ، وبعث بالسبي إلى أبي بكر ، فكان أول سبي قدِم المدينة من العجم ؛ وسار إلى دومة الجندل ، فقتل أكيدر ، وسبي ابنة الجوديّ ، ورجع فأقام بالحيرة . هذا كله سنة اثني عشرة .

وفيه تزوج عمر رحمه الله عاتكة بنت زيد .

وفيه مات أبو مرثد الغنويّ .

وفيه مات أبو العاصي بن الربيع في ذي الحجة ؛ وأوصى إلى الزبير ،

وتزوج عليّ عليه السلام ابنته

وفيه اشترى عمر أسلم مولاة .

(٢) ابن حبيش : « النعمة » .

(٤) ص : « صار » .

(١) ص : « ولن تزع » .

(٣) ز : « فأتسميم يتمم الله » .

واختلف فيمن حج بالناس في هذه السنة ، فقال بعضهم : حج بهم فيها أبو بكر رحمه الله .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، مولى الحرقة ، عن رجل من بني سَهْم ، عن ابن ماجدة السهمي ، أنه قال : حج أبو بكر في خلافته سنة اثني عشرة ، وقد عارمت^(١) غلاماً من أهلي ، فعض بأذني فقطع منها - أو عضت بأذنه فقطعت منها - فرُفِع شأننا إلى أبي بكر ، فقال : اذهبوا بهما إلى عمر فليُنظر ، فإن كان الجراح قد بلغ فليُقَدِّم منه . فلما انتهى بنا إلى عمر رضي الله عنه ، قال : لعمري لقد بلغ هذا ! ادعوا لي حججاً . قال : فلما ذكر الحجاج ، قال : أما إني قد سمعتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول : قد أعطيت خالتي غلاماً ، وأنا أرجو أن يبارك الله لها فيه ، وقد نهيتها أن تجعله حججاً أو قصاباً أو صائغاً ؛ فاقتصر منه .

وذكر الواقدي ، عن عثمان بن محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر ، عن أبي وجزة يزيد بن عبيد ، عن أبيه ، أن أبا بكر حج في سنة اثني عشرة ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رحمه الله .

• • •

وقال بعضهم : حج بالناس سنة اثني عشرة عمر بن الخطاب .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : بعضُ النَّاسِ يقول : لم يحج أبو بكر في خلافته ، وإنه بعث سنة اثني عشرة على الموسم عمر بن الخطاب ، أو عبد الرحمن بن عوف .

(١) عارمت ؛ قال صاحب اللسان : « أي خاصمت وفانتت » .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففيها وجّه أبو بكر رحمه الله الجيوش إلى الشام بعد منصرفه من مكة إلى المدينة

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال لما قتل أبو بكر من الحج سنة اثنتي عشرة جهز الجيوش إلى الشام ، فبعث عمرو بن العاص قبيل فلسطين ، فأخذ طريق المعركة على أيلة ، ٢٠٧٩/١ وبعث يزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة بن الجراح وشريحيل بن حسنة - وهو أحد الغوث - وأمرهم أن يسلكوا التبوكية على اللقاء من علباء الشام .

وحدثني عمر بن شبة ، عن علي بن محمد بالإسناد الذي ذكرت قبل ، عن شيوخه الذين مضى ذكرهم ، قال : ثم وجّه أبو بكر الجيوش إلى الشام أول سنة ثلاث عشرة ، فأول لواء عقده لواء خالد بن سعيد بن العاصي ، ثم عزله قبل أن يسير ، وولّى يزيد بن أبي سفيان ، فكان أول الأمراء الذين خرجوا إلى الشام ، وخرجوا في سبعة آلاف .

قال أبو جعفر : وكان سبب عزل أبي بكر خالد بن سعيد - فيما ذكر - ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر : أن خالد بن سعيد لما قدم من اليمن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تربص ببيعته شهرين . يقول : قد أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لم يعزلي حتى قبضه الله . وقد لقي علي بن أبي طالب وعثمان ابن عفان ، فقال : يا بني عبد مناف ، لقد طيبتم نفساً عن أمركم يليه غيركم ! فأما أبو بكر فلم يحفلها^(١) عليه ، وأما عمر فاضطغنها عليه . ثم بعث أبو بكر

(١) ابن الأثير : « لم يحقدها » .

الجنود إلى الشام ، وكان أول من استعمل على رُبْعٍ منها خالد بن سعيد ،
فأخذ عمر يقول : أتؤمّره وقد صنع ما صنع وقال ما قال ! فلم يزل بأبي بكر
٢٠٨٠/١ حتى عزّله ، وأمر يزيد بن أبي سفيان .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشر بن فضّيل ،
عن جبّير بن صخر حارس النبيّ صلّى الله عليه وسلم ؛ عن أبيه ، قال :
كان خالد بن سعيد بن العاصي باليمن زمن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، وتوفّي
النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهو بها ، وقدم بعد وفاته بشهر ، وعليه جبّة ديباج
فلتمّى عمر بن الخطاب وعلى بن أبي طالب ، فصاح عمر بمن يليه : مزقوا
عليه جبّته ! ألبس الحرير وهو في رجالنا في السلم مهجور ! فمزقوا جبّته ،
فقال خالد : يا أبا الحسن ، يا بني عبد مناف ، أغلّبتكم عليها ! فقال على
عليه السلام : أمغالبة ترى أم خلافة ؟ قال : لا يغالب على هذا الأمر أولى
منكم يا بني عبد مناف . وقال عمر لخالد : فضّ الله فاك ! والله لا يزال كاذب
بخوض فيما قلت ثم لا يضرّ إلا نفسه . فأبلغ عمر أبا بكر مقالته ؛ فلما
عقد أبو بكر الألوية لقتال أهل الردّة عقد له فيمن عقد ، فنهاه عنه عمر
وقال : إنه لمخذول ، وإنه لضعيف التروثة ؛ ولقد كذب كذبة لا يفارق
الأرض مدل بها وخائض فيها ، فلا تستنصر به^(١) . فلم يحتمل أبو بكر عليه ،
وجعله رداءً بتّيماء ؛ أطاع عمر في بعض أمره^(٢) وعصاه في بعض .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي إسحاق الشيباني ، عن
٢٠٨١/١ أبي صفية التيميّ ؛ تيم بن شيبان ، وطلحة عن المغيرة ؛ ومحمد عن
أبي عثمان ، قالوا : أمر أبو بكر خالدًا بأن ينزل بتّيماء ، ففصل رداءً حتى
ينزل بتّيماء ؛ وقد أمره أبو بكر ألاّ يبرحها ، وأن يدعو من حوله
بالانضمام إليه ، وألاّ يقبل إلاّ ممن لم يرتد . ولا يقاتل إلاّ من قاتله ؛ حتى
يأتيه أمره . فأقام فاجتمع إليه جموع كثيرة ؛ وبلغ الروم عظيم ذلك
العسكر ، فضربوا على العرب الضّاحية البعوث بالشام إليهم ؛ فكتب خالد بن

(١) ز : « تستنصره » .

(٢) ز : « الأمر » .

سعيد إلى أبي بكر بذلك ، وبتزول من استنشرت الروم ؛ ونفر إليهم من بَهْرَاء
 وکلب وسليح وتَسُوخ ولخُم وجُدَام وغَسَّان من دون زِيْزَاء بثلاث ؛
 فكتب إليه أبو بكر : أن أقدم ولا تُحجِّم واستنصر الله ؛ فسار إليهم
 خالد ، فلما دنا منهم تفرقوا وأعرّوا منزلهم ؛ فنزله ودخل عامة من كان
 تجمّع له في الإسلام ؛ وكتب خالد إلى أبي بكر بذلك ؛ فكتب إليه أبو بكر :
 أقدم ولا تقتحم حتى لا تؤتني من خلفك . فسار فيمن كان خرج معه
 من تيماء وفيمن لحق به من طرف الرمل ؛ حتى نزلوا فيما بين آبل وزِيْزَاء
 والقسطل ؛ فسار إليه بطريق من بطارقة الروم ، يُدعى بهان ؛ فهزمه وقتل
 ٢٠٨٢/١ جندَه ، وكتب بذلك إلى أبي بكر واستمدّه . وقد قدم على أبي بكر
 أوائلُ مستنصري اليمن ومن بين مكة واليمن ؛ وفيهم ذو الكلاع ، وقدم
 عليه عكرمة قافلاً وغازياً فيمن كان معه من تِهامة وعُمان والبحرين والسرّو .
 فكتب لهم أبو بكر إلى أمراء الصدقات أن يبدلوا من استبدل ؛ فكلّهم
 استبدل ؛ فسُمّي ذلك الجيش جيش البِدال . فقدموا على خالد بن سعيد ؛
 وعند ذلك احتاج أبو بكر للشام ، وعناه أمرُه . وقد كان أبو بكر ردّ عمرو بن
 العاص على عمالة كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ولاها إياه من
 صدقات سعد هُدَيْم ، وعُدْرة ومن لَفَّها من جُدَام ، وحدّس قبل
 ذهابه إلى عُمان . فخرج إلى عُمان وهو على عِدّة من عمله ؛ إذا هو
 رجع . فأنجز له ذلك أبو بكر .

فكتب أبو بكر عند احتياجه للشام إلى عمرو : إني كنت قد رددتُك على
 العمل الذي كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ولاّكه مرّة ، وسماه لك أخرى ؛
 مبعثك إلى عُمان إنجازاً لمواعيد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فقد وليته ثم
 وليته ؛ وقد أحببتُ - أبا عبد الله - أن أفرغك لما هو خير لك في حياتك
 ومعادك منه ؛ إلا أن يكون الذي أنت فيه أحبّ إليك . فكتب إليه عمرو : إني
 سهِم من سهام الإسلام ، وأنت بعد الله الرامي بها ، والجامع لها ، فانظر أشدّها
 وأخشاه وأفضلها فارم به شيئاً إن جاءك من ناحية من النواحي . وكتب إلى
 ٢٠٨٣/١ الوليد بن عقبة بنحو ذلك ، فأجابه بإيثار الجهاد .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ،
عن القاسم بن محمد ، قال : كتب أبو بكر إلى عمرو ، وإلى الوليد بن عتبة -
وكان على النصف من صدقات قضاة - وقد كان أبو بكر شيعة مبعثهما
على الصدقة ، وأوصى كل واحد منهما بوصية واحدة : اتق الله في السر
والعلانية ؛ فإنه من يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ؛
ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً . فإن تقوى الله خيراً
ما تَوَاصَى به عباد الله ؛ إنك في سبيل من سبيل الله ؛ لا يتسكك فيه
الإذهان^(۱) والتفريط والغفلة عما فيه قيام دينكم ، وعصمة أمركم ، فلا تن
ولا تفتن . وكتب إليهما : استخلفا على أعمالكما ، واندبا من يلبكما .

فولّى عمرو على علياً قضاة عمرو بن فلان العنري ، وولّى الوليد
على ضاحية قضاة مما يلي دومة أمراً القيس ، وندبا الناس ، فتام إليهما بشر
كثير ، وانتظرا أمر أبي بكر .

وقام أبو بكر في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله ،
وقال : ^{۲۰۸۴/۱} أَلَا إِنَّ لِكُلِّ أَمْرٍ جَوَامِعَ ، فَمَنْ بَلَغَهَا فَهِيَ حِسْبُهُ ؛ وَمَنْ عَمِلَ لَهِ كِفَاهَ اللَّهِ .
عليكم بالجد والقصد ؛ فإن القصد أبلغ ؛ ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له ، ولا
أجر لمن لا حسبة له ، ولا عمل لمن لا نية له . ألا وإن في كتاب الله من الثواب
على الجهاد في سبيل الله لَمَّا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَجِبَ أَنْ يُخَصَّ بِهِ ؛ هِيَ التَّجَارَةُ الَّتِي
دَلَّ اللَّهُ عَلَيْهَا ، وَنَجَّى بِهَا مِنَ الْحَزَى ؛ وَأَلْحَقَ بِهَا الْكِرَامَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

فأمد عمرًا ببعض من انتدب إلى من اجتمع إليه ، وأمره على فلسطين ،
وأمره بطريق سماءها له ؛ وكتب إلى الوليد وأمره بالأردن ، وأمد به بعضهم ؛
ودعا يزيد بن أبي سفيان ، فأمره على جند عظيم ، هم جمهور من انتدب
له ، وفي جنده سهيل بن عمرو وأشباهاه من أهل مكة ، وشيعة ماشياً .
واستعمل أبا عبيدة بن الجراح على من اجتمع [إليه] ، وأمره على حمص
وخرج معه وهما ماشيان والناس معهما وخلفهما ، وأوصى كل واحد منهما .
كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل ، عن القاسم ،

(۱) يقال : ذهن عن الشيء ؛ أنساه إياه وأهاه عنه ، ومثله لذهنه .

ومبشر عن سالم، ويزيد بن أسيد الغساني عن خالد، وعبادة، قالوا : ولمّا
 قدّم الوليد على خالد بن سعيد فسانده^(١)، وقدمت جنود المسلمين الذين
 كان أبو بكر أمده بهم وسُمّوا جيش البِدال، وبلغه عن الأمراء وتوجّههم
 إليه، اقتحم على الروم طلب الحُظوة، وأعرى ظهره، وبادر الأمراء بقتال^(٢)
 الروم، واستطرد له باهان فأرزه هو ومن معه إلى دمشق؛ واقتحم خالد في ٢٠٨٥/١
 الجيش ومعه ذو الكلاع وعكرمة والوليد حتى ينزل مَرَج الصنفر؛ من بين
 الواقصة ودمشق؛ فانطوت مسالح باهان عليه، وأخذوا عليه الطرق^(٣) ولا
 يشعر، وزحف له باهان فوجد ابنه سعيد بن خالد يستمطير في الناس، فقتلوه.
 وأتى الخبرُ خالدًا، فخرج هاربًا في جريدة، فأفادت من أفلت من أصحابه
 على ظهور الخيل والإبل، وقد أجهضوا عن عسكرهم؛ ولم تنته بخالد بن سعيد
 الهزيمة عن ذي المروة، وأقام عكرمة في الناس ردةً لهم، فردّ عنهم باهان
 وجنوده أن يطلبوه، وأقام من الشام على قريب، وقد قدم شرحبيل بن حسنة
 وافداً من عند خالد بن الوليد، فندب معه الناس، ثم استعمله أبو بكر على
 عمل الوليد، وخرج معه يوصيه، فأتى شرحبيل على خالد، ففصل بأصحابه
 إلا القليل، واجتمع إلى أبي بكر أناسٌ، فأمر عليهم معاوية، وأمره باللاحق
 بيزيد، فخرج معاوية حتى لحق بيزيد؛ فلما مرّ بخالد فصل ببقية أصحابه.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن هشام بن عروة، عن
 أبيه : أن عمر بن الخطاب لم يزل يكلم أبا بكر في خالد بن الوليد وفي خالد
 ابن سعيد؛ فأبى أن يعطيه في خالد بن الوليد، وقال : لا أشيم^(٤) سيفاً سلّه الله
 على الكُفّار، وأطاعه في خالد بن سعيد بعد ما فعل فعَلته . فأخذ عمرو
 طريق المُعرة، وسلك أبو عبيدة طريقه، وأخذ يزيد طريق التبوكية؛ ٢٠٨٦/١
 وسلك شرحبيل طريقه، وسمى لهم أمصار الشام، وعرف أن الروم ستشغلهم؛
 فأحب أن يصعد المصوب ويصوب المصعد؛ لئلا يتواكلوا، فكان كما ظن
 وصاروا إلى ما أحب.

(١) س : « يسانده » .

(٢) ز وابن الأثير : « لقتال » .

(٣) ب وابن حبيش : « بالطرق » .

(٤) لا أشيمه : لا أعده .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبي ، قال : لما قدم خالد بن سعيد ذا المروة ، وأتى أبا بكر الخبير كتب إلى خالد : أقم مكانك^(١) ، فلعمري إنك مقدم محجام ، نجاء من الغمرات ، لا تخوضها إلا إلى حق ، ولا تصبر عليه . ولما كان بعد ؛ وأذن له في دخوله المدينة قال خالد : اعذرني ، قال : أخطل ! أنت امرؤ جبن لدى الحرب . فلما خرج من عنده قال : كان عمر وعلى أعلم بخالد ؛ ولو أطعتهما فيه اختشيتهم واتقيتهم !

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشر وسهل وأبي عثمان ، عن خالد وعبادة وأبي حارثة ، قالوا : وأوعب القواد بالناس نحو الشام وعكرمة رده للناس ، وبلغ الروم ذلك ؛ فكتبوا إلى هرقل ؛ وخرج هرقل حتى نزل بحمص ، فاعد لهم الجنود ، وعبى لهم العساكر ؛ وأراد اشتغال^(٢) بعضهم عن بعض لكثرة جنده ، وفضول رجاله ؛ وأرسل إلى عمرو أخاه نذاريق لأبيه وأمه ، فخرج نحوهم في تسعين ألفاً ، وبعث من يسوقهم ، حتى نزل صاحب الساقة ثنية جلتق بأعلى فلسطين ، وبعث جرّجة بن توذرا نحو ٢٠٨٧/١ يزيد بن أبي سفيان ، فعسكر بإزائه ، وبعث اندراقص فاستقبل شرحبيل بن حسنة ، وبعث الفيقار بن نسطوس في ستين ألفاً نحو أبي عبيدة ؛ فهابهم المسلمون وجميع فirq المسلمين واحد وعشرون ألفاً ؛ سوى عكرمة في ستة آلاف ؛ ففرعوا جميعاً بالكتب وبالرسل إلى عمرو : أن ما الرأي ؟ فكتبهم وراسلهم : إن الرأي الاجتماع ، وذلك أن مثلنا إذا اجتمع لم يغلب من قلة ؛ وإذا نحن تفرقنا لم يبق الرجل منا في عدد يقهرن^(٣) فيه لأحد ممن استقبلنا وأعد لنا لكل طائفة منا . فاتعدوا اليرموك ليجتمعوا به . وقد كتب إلى أبي بكر بمثل ما كاتبوا به عمرا ؛ فطلع عليهم كتابه بمثل رأي عمرو ، بأن اجتمعوا فتكونوا عسكرياً واحداً ، والقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين ،

(١) س : « بمكانك » .

(٢) ابن حبش وابن الأثير : « إشغال » .

(٣) يقال : أقرن له : إذا غلب عليه .

فإنكم أعوان الله ؛ والله ناصرٌ ممن نصره ، وخاذلٌ من كفره ، ولن يؤتى
مثلكم من قلة ، وإنما يؤتى العشرة آلاف والزيادة على العشرة آلاف إذا
أتوا من تلقاء الذنوب ؛ فاحترسوا من الذنوب ، واجتمعوا باليرموك متساندين
وليُصل كل رجل منكم بأصحابه .

وبلغ ذلك هرقل ، فكتب إلى بطارقه : أن اجتمعوا لهم . وانزلوا بالروم
منزلاً واسع العطن ، واسع المطرد ، ضيق المهرب ؛ وعلى الناس التذوق
وعلى المقدمة جرجة ، وعلى مجنبتيه باهان والد راقص ، وعلى الحرب الفيقار ؛
وأبشروا فإن باهان في الأثر مددٌ لكم . ففعلوا فنزلوا الواقصة وهي على ضفة
اليرموك ، وصار الوادي خندقاً لهم ؛ وهو ليهب^(١) لا يدرك ؛ وإنما أراد
باهان وأصحابه أن تستفيق^(٢) الروم ويأنسوا بالمسلمين ؛ وترجع إليهم
أفنتهم عن طيرتها .

وانتقل المسلمون عن عسكريهم الذي اجتمعوا به ؛ فنزل عليهم بحدائهم
على طريقهم ؛ وليس للروم طريق إلا عليهم . فقال عمرو : أيتها الناس ،
أبشروا ، حُصرت والله الروم ؛ وقلدماً جاء محصور بخير ! فأقاموا بإزائهم
وعلى طريقهم ؛ ومخرجهم صفر من سنة ثلاث عشرة وشهر ربيع . لا يقدر
من الروم على شيء ؛ ولا يخلصون إليهم ؛ اللهب^(٣) - وهو الواقصة - من
ورائهم ، والخندق من أمامهم ، ولا يخرجون خرجة^(٤) إلا أدبل المسلمون منهم^(٥) ؛
حتى إذا سلخوا شهر ربيع الأول ؛ وقد استمدوا أبا بكر وأعلموه الشأن في
صفر ؛ فكتب إلى خالد ليلحق بهم ، وأمره أن يخلف على العراق المثني ؛
فوافقهم في ربيع .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو
والمهلب ، قالوا : ولما نزل المسلمون اليرموك . واستمدوا أبا بكر . قال : خالد
لها . فبعث إليه وهو بالعراق ، وعزم عليه واستحثه في السير . فنفذ خالد
لذلك ؛ فطلع عليهم خالد ؛ وطلع باهان على الروم . وقد قدم قدامة الشامسة
والرهبان والقسيسين ؛ يُغزروهم ويحضنونهم على القتال ؛ ووافق قدوم خالد

(١) اللهب ، بالكسر ؛ الفرجة بين الجبلين . (٢) ز : « يستثبت » .

(٣) في اللسان : « يقال : أدبل لنا على أعدائنا ، أى نصرنا عليهم ، وكانت الدولة لنا » .

قدوم باهان ، فخرج بهم باهان كالمقتدر ؛ فولى خالد قتاله ، وقاتل الأمراء من بلزائهم ؛ فهزم باهان ، وتتابع الروم على الهزيمة ، فاقتحموا خندقهم ؛ وتيمنت الروم بباهان ؛ وفرح المسلمون بخالد وحرده^(١) المسلمون . وحرب^(٢) المشركون وهم أربعون ومائتا ألف ؛ منهم ثمانون ألف مقيّد ، وأربعون ألفاً منهم مسلسل للموت ، وأربعون ألفاً مربطون بالعمائم ، وثمانون ألف فارس وثمانون ألف راجل ، والمسلمون سبعة وعشرون ألفاً ممن كان مقيماً ؛ إلى أن قدم عليهم خالد في تسعة آلاف ؛ فصاروا ستة وثلاثين ألفاً .
ومرض أبو بكر رحمه الله في جمادى الأولى ، وتوفى للنصف من جمادى الآخرة ، قبل الفتح بعشر ليال .

• • •

خبر اليرموك

٢٠٩٠/١

قال أبو جعفر : وكان أبو بكر قد سمي لكل أمير من أمراء الشام كورة ؛ فسمي لأبي عبيدة بن عبد الله بن الجراح حِمص ، وليزيد بن أبي سفيان دمشق ؛ ولشُرْحِبِيل بن حَسَنَةَ الأردن ، ولعمرو بن العاص ولعلقمة بن مَجْرَزَ فلسطين ، فلما فرغا منها نزل علقمة وسار إلى مِصْر . فلما شارفوا الشام ، دهم كل أمير منهم قومٌ كثير ، فأجمع رأيهم أن يجتمعوا بمكان واحد ، وأن يلقوا جمع المشركين بجمع المسلمين .
ولما رأى خالد أن المسلمين يقاتلون متساندين قال لهم : هل لكم يا معشر الرؤساء في أمرٍ يُعزّ الله به الدين ، ولا يدخل عليكم معه ولا منه نقيصة ولا مكروه !

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان يزيد بن أسيد الغسانی ، عن خالد وعبادة ، قالا : توافى إليها مع الأمراء والجنود الأربعة سبعة وعشرون ألفاً وثلاثة آلاف من فُلال خالد بن سعيد ، أمر عليهم أبو بكر معاوية وشُرْحِبِيل ، وعشرة آلاف من أمداد أهل العراق مع خالد

(١) الحرد : الحد والقصد إلى الأمر . (٢) حرب المشركون : اشتد غضبهم .

ابن الوليد سوى سنة آلاف ثبتوا مع عكرمة ردها بعد خالد بن سعيد ؛ ٢٠٩١/١
فكانوا سنة وأربعين ألفاً ، وكلّ قتالهم^(١) كان على تساند ، كلّ جند وأميره^(٢) ؛
لا يجمعهم أحدٌ ؛ حتى قدم عليهم خالد من العراق . وكان عسكر أبي عبيدة
باليرموك مجاوراً لعسكر عمرو بن العاص ، وعسكر شرحبيل مجاوراً لعسكر
يزيد بن أبي سفيان ؛ فكان أبو عبيدة ربّما صلّى مع عمرو ، وشرحبيل مع يزيد .
فأما عمرو ويزيد فإنّهما كانا لا يصلّيان مع أبي عبيدة وشرحبيل ، وقدم
خالد بن الوليد وهم على حالهم تلك ؛ فعسكر على حدّة ؛ فصلّى بأهل العراق ،
ووافق خالد بن الوليد المسلمين وهم متضايقون بمدد الروم ؛ عليهم باهان ،
ووافق الروم وهم نشاط بمددهم^(٣) ، فالتقوا ، فهزّمهم الله حتى ألجأهم وأمدادهم إلى
الحنادق - والواقوصة أحد حدوده - فلزموا خندقهم عامّة شهر ، يحضضهم
القسيّون والشّمّامسة والرهبان وينعون لهم النصرانية ؛ حتى استبصروا .
فخرجوا للقتال الذي لم يكن بعده قتال مثله ، في جمادى الآخرة .

فلما أحسن المسلمون خروجهم ، وأرادوا الخروج متساندين ، سار فيهم

خالد بن الوليد ؛ فحمّد الله وأثنى عليه ، وقال : إن هذا يومٌ من أيام الله ،

لا ينبغي فيه الفخر ولا البغى . أخلصوا جهادكم ، وأريدوا الله بعملكم ؛

فإن هذا يومٌ له ما بعده ؛ ولا تقاتلوا قوماً على نظام وتعبية ؛ على تساند^(٤) ٢٠٩٢/١

وانتشار ؛ فإن ذلك لا يحلّ ولا ينبغي . وإنّ من وراءكم لو يعلم علمكم

حال بينكم وبين هذا ؛ فاعملوا فيما لم تؤثروا به بالذي ترون أنّه الرأى

من واليكم ومحبتته ، قالوا : فهات ، فما الرأى ؟ قال : إنّ أبا بكر لم يبعثنا

إلا وهو يرى أنا سنتياسر ، ولو علم بالذي كان ويكون ؛ لقد جمعكم^(٥) . إن الذي

أنتم فيه أشدُّ على المسلمين ممّا قد غشيتهم ، وأنفع للمشرّكين من أمدادهم ؛

ولقد علمت أنّ الدنيا فرقت بينكم ، فالله الله ، فقد أفرد كلّ رجل منكم ببلد

من البلدان لا ينتقصه منه أن دان لأحد من أمراء الجنود ، ولا يزيد عليه أن

(١) ز : « قتال » . (٢) ز : « وأميرهم » . (٣) ب ، س : « لمددهم » .

(٤) في اللسان « يقال : خرج القوم متساندين ، أى على رايات شتى ؛ إذا خرج كلّ بنى أب

على راية ولم يجتمعوا على راية واحدة تحت راية أمير واحد » . وفي ابن الأثير : « وأنتم متساندون » .

(٥) ابن الأثير : « لما جمعكم » .

دانوا له . إن^(١) تأمير بعضكم لا ينقصكم^(٢) عند الله ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . هلمتوا فإن هؤلاء تتهيبوا ، وهذا يوم له ما بعده ، إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردتهم ، وإن هزمونا لم نفلح بعدها . فهلمتوا فلنتعاور الإهارة ، فليكن عليها بعضنا اليوم ، والآخر غدًا ، والآخر بعد غد ؛ حتى يتأمر كلكم ، ودعوني أليكم اليوم^(٣) .

فأمروه ، وهم يرون أنها كخرجاتهم ، وأن الأمر أطول مما صاروا إليه ؛ فخرجت الروم في تعبئة لم ير الرأون مثلها قط ، وخرج خالد في تعبئة لم تعبها العرب قبل ذلك ؛ فخرج في ستة وثلاثين كردوسًا^(٤) إلى الأربعين ، وقال : إن عدوكم قد كثر وطغى ، وليس من^(٥) التعبئة تعبئة أكثر في رأي العين من الكراديس . فجعل القلب كراديس ، وأقام فيه^(٦) أبا عبيدة ، وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وفيها شريحبيل بن حسنة . وجعل المبصرة كراديس وعليها يزيد بن أبي سفيان . وكان على كردوس من كراديس أهل العراق القعقاع بن عمرو ، وعلى كردوس مذعور بن عدى ، وعياض بن غنم على كردوس ، وهاشم بن عتبة على كردوس ، وزباد بن حنظلة على كردوس ، وخالد في^(٧) كردوس ؛ وعلى فالة خالد بن سعيد^(٨) دحيية بن خليفة على كردوس ، وامرؤ القيس على كردوس ، وبزید بن يحنس على كردوس ، وأبو عبيدة على كردوس ، وعكرمة على كردوس ، وسهيل على كردوس ، وعبد الرحمن بن خالد على كردوس - وهو يومئذ ابن ثمانى عشرة سنة - وحبيب بن مسلمة على كردوس ، وصفوان بن أمية على كردوس ، وسعيد بن خالد على كردوس ، وأبو الأعور بن سفيان على كردوس ، وابن ذى الخمار على كردوس ؛ وفي الميمنة عمارة بن مخشي ابن خوئيلد على كردوس ؛ وشريحبيل على كردوس^(٩) ومعه خالد بن

(١) ب وابن حبش : « وإن » . (٢) ز وابن الأثير : « لا ينقصكم » .

(٣) ب ، وابن حبش : « ألكم » ؛ وهما في العربية سواء .

(٤) الكردوس : القلعة العظيمة من الخيل ، ويقال : كردس القائد خيله ، أى جعلها كتيبة منه .

(٥) س : « في التسمية » . (٦) ب : « عليه » .

(٧) ب : « على كردوس » . (٨) س : « سعيد بن خالد » .

(٩) ز : « على كردوس آخر » .

سعيد، وعبد الله بن قيس على كُردوس؛ وعمرو بن عَبَسَةَ على كُردوس،
 والسَّمَط بن الأسود على كُردوس، وذو الكَلَّاع على كُردوس، ومعاوية بن
 حُدَيْج على آخر؛ وجُنْدُب بن عمرو بن حُمَمَةَ على كُردوس، وعمرو بن
 فلان على كُردوس؛ ولَقِيظ بن عبد القيس بن بجرة حليف لبني ظَفَر من
 بني فزارة على كُردوس. وفي المَيْسَرَة يزيد بن أبي سفيان على كُردوس،
 والزُّبَيْر على كُردوس، وحوشب ذو ظُلَيْم على كُردوس، وقيس بن
 عمرو بن زيد بن عوف بن مبدول بن مازن بن صعصعة من هوازن - حليف
 لبني النَّجَّار - على كُردوس، وعِصْمَة بن عبد الله - حليف لبني النجار من
 بني أسد - على كُردوس، وضِرَّار بن الأزور على كُردوس، ومسروق بن فلان
 على كُردوس، وعُثْبَة بن ربيعة بن بهز - حليف لبني عِصْمَة - على كُردوس، ٢٠٩٥/١
 وجارية بن عبد الله الأشجعي - حليف لبني سلَمة - على كُردوس، وقبَّاث
 على كُردوس.

وكان القاضي أبو الدرداء، وكان القاصُّ أبو سفيان بن حرب، وكان
 على الطَّلَّاع قَبَّاث بن أَشِيم؛ وكان على الأقباض (١) عبد الله بن مسعود.
 كتب إلى السريُّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة نحوًا من
 حديث أبي عثمان؛ وقالوا جميعًا: وكان القاريُّ المَقْدَاد. ومن السُّنَّة التي
 سنَّ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد بدر أن تقرأ سورة الجِهَاد عند
 اللَّقَاء؛ وهي الأنفال، ولم يزلِ النَّاس بعد ذلك على ذلك.

كتب إلى السريُّ، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان يزيد بن
 أسيد الغَسَّانِي، عن عبادة وخالِد؛ قالوا: شهد اليَرمُوكَ ألفٌ من أصحاب
 رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيهم نحو من مائة من أهل بدر. قالوا:
 وكان أبو سفيان يسيرُ فيقِف على الكراديس، فيقول: اللهُ اللهُ! إنكم
 ذَاةُ العَرَب، وأنصارُ الإسلام، وإنهم ذَاةُ الرُّوم وأنصارُ الشُّرك!
 اللهمَّ إنَّ هذا يومٌ من أيَّامك؛ اللهمَّ أنزلْ نصرَكَ على عبادك!

قالوا: وقال رجل لخالِد: ما أكثرَ الرُّومَ وأقلَّ المسلمين! فقال خالِد:

(١) الأقباض: جمع قبض، بفتحين؛ وهو ما جمع من الغنائم.

ما أقلّ الروم وأكثر المسلمين ! إنما تكثُر الجنود بالنصر ونقل بالخذلان ،
لا بعدد^(۱) الرجال ؛ والله لوددت أن الأشقر^(۲) براء من توجيته^(۳) ؛ وأنهم
۲۰۹۶/۱ أضعفوا في العدد - وكان فرسه قد حفي في مسيره - قال : فأمر خالد عكرمة
والقَعَقَاع ، وكانا على مجنبتى القلب ، فأنشبا القتال ، وارتجز القَعَقَاع
وقال :

يا ليتني أتاك في الطرادِ قبلَ اعترامِ الجَحْفَلِ الوَرادِ
• وأنت في حَلْبَتِكَ الوَرادِ •

وقال عكرمة :

قد عَلِمْتَ بِهَيَكْنَةِ الجَوَارِي^(۴) أَنِّي عَلَى مَكْرُمَةٍ أَحَامِي^(۵)

فنشِب، القتال ، والتحم الناس ، وتطارد الفرسان ؛ فإنّهم على ذلك إذ
قدم البريد من المدينة ؛ فأخذته الخيول ؛ وسألوه الخبر ؛ فلم يخبرهم إلاّ
بسلامة ؛ وأنخبرهم عن أمداد ؛ وإنما جاء بموت أبي بكر رحمه الله وتأمير
أبي عبيدة ؛ فأبلغوه خالدًا ، فأخبره خبر أبي بكر ؛ أسره إليه^(۶) ، وأخبره بالذي
۲۰۹۷/۱ أخبر به الجند . قال : أحسنت فقف ، وأخذ الكتاب وجعله في كنانته ؛
وخاف إن هو أظهر ذلك أن ينتشر له أمر الجند ؛ فوقف محمية بن زُنَيْم مع
خالد ؛ وهو الرسول ؛ وخرج جَرَجَة^(۷) ؛ حتى كان بين الصّفتين ، ونادى : ليخرج
إلى خالد ، فخرج إليه خالد وأقام أبا عبيدة مكانه ، فوافق بين الصّفتين ؛ حتى
اختلفت أعناق دابّتيهما^(۸) ، وقد أمّن أحدهما صاحبه ، فقال جَرَجَة :
يا خالد أصدقني ولا تكذبني فإنّ الحرّ لا يكذب ولا تخادعني فإنّ الكريم
لا يخادع المسترسل بالله ؛ هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكمه .

(۱) ز : «تعدد» . (۲) الأشقر من الخيل : الأحمر في مفرقة حمرة ؛ يحمر منها السيب ؛
ويطلق على عدة أفراس لأصحابها (۳) وجى الفرس وتوجى ؛ أى أصيب بالوجا ، وهو أن يشتكى
الفرس باطن حافره . (۴) البهكنة : الجارية الخفيفة الروح الطيبة الرائحة المليحة الحلوة .
(۵) ز : «أدارى» . (۶) ز : «فأسره وأخبره» .
(۷) جرجة ، بفتحات ، كذا ضبطه صاحب القاموس ، وقال : «اسم مقدم عسكر الروم
(۸) من والنويرى : «دوابّتهما» . يوم اليرموك» .

فلا تسله على قوم^(١) إلا هزمتهم؟ قال : لا ، قال : فبم سُميت سيف
الله؟ قال : إن الله عز وجل بعث فينا نبيّه صلى الله عليه وسلم ، فدعانا
فنفرتنا عنه^(٢) ونأيتنا عنه جميعاً . ثم إن بعضنا صدقه وتابعه ، وبعضنا
باعده وكذّبه ، فكنت فيمن كذّبه وباعده وقاتله . ثم إن الله أخذ بقلوبنا
ونواصينا ، فهدانا به ، فتابعناه . فقال : أنت سيف من سيوف الله سلّه
الله على المشركين ! ودعا لي بالنصر ، فسُميت سيف الله بذلك ، فأنا من
أشدّ المسلمين^(٣) على المشركين . قال صدقتني ، ثم أعاد عليه جرّجة :
يا خالد ، أخبرني إلام تدعوني؟ قال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً
عبده ورسوله ، والإقرار بما جاء به من عند الله ، قال : فمن لم يُجبكم؟
قال : فالجزية ومنعهم ، قال : فإن لم يعطها ، قال : تؤذنه بحرب ، ثم
نقاتله . قال : فما منزلة الذي يدخل فيكم ويحببكم إلى هذا الأمر اليوم؟
قال : منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا ، شريفنا ووضعنا ، وأولنا وآخرنا .
ثم أعاد عليه جرّجة : هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل مالكم من الأجر
والدُّخر؟ قال : نعم ، وأفضل ؛ قال : وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟
قال : إننا دخلنا في هذا الأمر ، وبايعنا^(٤) نبينا صلى الله عليه وسلم وهو
حيّ بين أظهرنا ، تأتبه أخبار السماء^(٥) ويخبرنا بالكتب ، ويرينا الآيات ،
وحق لمن رأى ما رأينا^(٦) ، وسمع ما سمعنا ، أن يُسلم ويبايع^(٧) ؛ وإنكم أنتم
لم تروا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحُجج ؛ فمن دخل في
هذا الأمر منكم بحقيقة ونية كان أفضل منا . قال جرّجة : بالله لقد صدقتني
ولم تخادعتني ولم تألّفني ! قال : بالله ؛ لقد صدقتك وما بي إليك ولا إلى
أحد منكم وحشة^(٨) ؛ وإن الله لوليّ ما سألت عنه . فقال : صدقتني ؛ وقلب
الترس ومال مع خالد ، وقال : علّمتني الإسلام ، فقال به خالد إلى
فُسطاطه ، فشنّ عليه قربة من ماء ، ثم صلى ركعتين ؛ وحملت الروم مع

(١) س ، وابن حبيش وابن كثير : « أحد » . (٢) ابن حبيش : « منه » .

(٣) ز : « الناس » . (٤) ابن الأثير : « اتبعنا » ، وابن حبيش : « تابعنا » .

(٥) ز : « يأتينا بأخبار السماء » . (٦) س : « مثل ما رأينا » .

(٧) س وابن حبيش : « ويتابع » . (٨) ابن حبيش : « حاجة » .

انقلابه إلى خالد ؛ وهم يرون أنها منه حملة ، فأزالوا المسلمين عن مواقعهم إلا المحامية ، عليهم عكرمة والحارث بن هشام . وركب خالدٌ ومعه جرّجة والرّوم خلال المسلمين ؛ فتنادى الناس ، فثابوا ، وتراجعت الرّوم إلى مواقعهم ، فزحف بهم خالد حتى تصافحوا بالسيوف ، فضرب فيهم خالد وجرّجة من بدن ارتفاع^(١) النهار إلى جنوح الشمس للغروب ، ثم أصيب جرّجة ولم يصل صلاة سجد فيها إلا الرّكعتين اللّتين أسلم عليهما ، وصلّى الناس الأولى والعصر إيماءً . وتضعض الرّوم ، ونهّد خالد بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم ، وكان مقاتلهم واسع المطرد ، ضيق المهرب ؛ فلما وجدت خيلهم مذهباً ذهب وتركوها^(٢) رَجَلهم في مصافهم ؛ وخرجت خيلهم تشتدّ بهم في الصحراء ، وأخرّ النَّاس الصلاة حتى صلّوا بعد الفتح . ولما رأى المسلمون خيل الرّوم توجّهت للهرب ، أفرجوا لها ، ولم يجرّجوها ؛ فذهبت ففرقت في البلاد ، وأقبل خالد والمسلمون على الرّجل ففضّوهم ؛ فكأنما هُدِم بهم حائط ؛ فاقتمحوا في خندقهم ، فاقتمحه عليهم فعمدوا إلى الواقوصة . حتى هوى فيها المقرنون وغيرهم ، فمَن صبر من المقرنين للقتال هوى به من خشعت^(٣) نفسه ، فيهوى^(٤) الواحد بالعشرة لا يطيقونه^(٥) ؛ كلما هوى اثنان كانت البقية أضعف^(٦) ، فتهافت^(٧) الواقوصة عشرون ومائة ألف ؛ ثمانون ألف مقرن^(٨) وأربعون ألف مطلق ؛ سوى مَن قُتِل في المعركة من الخيل والرّجل ؛ فكان سهم الفارس يومئذ ألفاً وخمسمائة ، وتجلل الفيقار وأشرف من أشرف الرّوم برانسهم ، ثم جلسوا وقالوا : لا نحب أن نرى يوم السّوء إذ لم نستطع أن نرى يوم السرور ؛ وإذ لم نستطع أن نمنع النصرانية ؛ فأصيبوا في تزمتهم .

كتب إلى السرى ، عن شعيب . عن سيف . عن أبي عثمان . عن خالد

- (١) ز : « ملوع » .
(٢) ز : « وتركت » .
(٣) ط : « خشعت » ، وما أثبتته من س .
(٤) س : « فيهوى » .
(٥) س : « ولا يطيقونه » .
(٦) س : « أضعف منها » .
(٧) النويرى : « فتهاوت » .
(٨) ز . س : « مقرنين » .

وعبادة ، قالوا : أصبح خالد من تلك الليلة ، وهو في رواق تذارق ، لما دخل الخندق نزله وأحاطت به خيله ، وقاتل الناس حتى أصبحوا .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان الغساني ، عن أبيه ، قال : قال عكرمة بن أبي جهل يومئذ : قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل موطن ، وأفير منكم اليوم ! ثم نادى : من يبائع على الموت ؟ فبايعه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم ؛ فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعاً جراحاً ، وقتلوا إلا من برأ ، ومنهم ضرار بن الأزور . قال : وأتى خالد بعد ما أصبحوا بعكرمة جريحاً فوضع رأسه على فخذه ، وبعمرو بن عكرمة فوضع رأسه على ساقه ، وجعل يمسح عن وجوههما ، ويقطر في حلوقهما الماء ، ويقول : كلاً ، زعم ابن الحنينة^(١) أنا لا نستشهد !

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عُميس ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي أمامة - وكان شهد اليرموك هو وعبادة بن الصامت - أن النساء قاتلن يوم اليرموك في جولة ، فخرجت جويرية ابنة أبي سفيان في جولة ، وكانت مع زوجها [وأصيبت]^(٢) بعد قتال شلويد ، ٢١٠١/١ وأصيبت يومئذ عين أبي سفيان ، فأخرج السهم من عينه أبو حنينة .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير بن يزيد بن أوطاة ابن جهيش ، قال : كان الأشتر قد شهد اليرموك ولم يشهد القادسية ؛ فخرج يومئذ رجل من الروم ، فقال : من يبارز ؟ فخرج إليه الأشتر ؛ فاختلفا ضربتين ، فقال للرومي : خذها وأنا الغلام الإيادي^(٣) ، فقال : الرومي : أكثر الله في قومي مثلك ! أمّا والله لو^(٤) أنك من قومي لآزرت^(٥) الروم ، فأما الآن فلا أعينهم !

(١) حنينة ، بنت ذى الرمحين هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومية ، أم عمر ابن الخطاب . (٢) من ز . (٣) كذا في ط ؛ والمعروف أن الأشتر نعى من مذبح (٤) ط : « لولا » ، ولا يستقيم به النص . (٥) ط : « لزرت » ، وانظر التعليقات .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان وخالده :
 وكان ممن أصيب في الثلاثة الآلاف الذين أصيبوا يوم اليرموك عكرمة ،
 وعمرو بن عكرمة ، وسلمة بن هشام ، وعمرو بن سعيد ، وأبان بن سعيد -
 وأثبت (١) خالد بن سعيد فلا يدري أين مات بعد - وجندب بن عمرو
 ابن حمة الدؤمي ، والطفيل بن عمرو ، وضرار بن الأزور أثبت فتي
 وطليب بن عمير بن وهب من بني عبد بن قصى ، وهب بن سفيان ،
 وهشام بن العاصي .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن ميمون ،
 عن أبيه ، قال : لقي خالداً مقدمه الشام مغنياً لأهل اليرموك رجلٌ من
 روم العرب ، فقال : يا خالد ، إن الروم في جمع كثير ؛ مائتي ألف أو
 يزيدون ؛ فإن رأيت أن ترجع على حاميتك فافعل ؛ فقال خالد :
 أبالروم تخوفني ! والله لوددت أن الأشقر براء من توجبه ، وأنهم
 أضعفوا ضئفهم ، فهزمهم الله على يديه !

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير بن يزيد ،
 عن أرطاة بن جهيش ، قال : قال خالد يومئذ : الحمد لله الذي قضى على
 أبي بكر بالموت وكان أحب إلي من عمر ، والحمد لله الذي ولّى عمر ، وكان
 أبعض إلي من أبي بكر ثم ألزمني حبه !

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو
 ابن ميمون ، قالوا : وقد كان هرقل حج قبل مهزم خالد بن سعيد ،
 فحج بيت المقدس ، فبينما هو مقيم به أتاه الخبر بقرب الجنود منه ، فجمع
 الروم ، وقال : أرى من الرأي ألا تقاتلوا هؤلاء القوم ، وأن نصلحهم ؛
 فوالله لأن تعطوهم نصف ما أخرجت الشام ؛ وتأخذوا نصيباً ونقير لكم
 جبال الروم ؛ خير لكم من أن يبلغوكم على الشام ، ويشاركوكم في جبال
 الروم ؛ فنخر أخوه ونخر ختنه ؛ وتصدع عنه من كان حوله ؛ فلما
 رأهم يعصونه ويردون عليه بعث أخاه ، وأمر الأمراء ووجهه إلى كل جند

(١) أثبت ؛ أي جرح جرحاً عميقاً .

جنداً . فلما اجتمع المسلمون ، أمرهم بمنزلة واحد واسع جامع حصين ،
 ٢١٠٣/١ فترلوا بالواقصة ، وخرج فترل حمص ، فلما بلغه أن خالدًا قد طلع على سوي
 وانتسف أهله وأموالهم ، وعمد إلى بصرى وافتتحها وأباح عذراء ، قال
 لجلسائه : ألم أقل لكم لا تقاتلوهم ! فإنه لا قيام لكم مع هؤلاء القوم ؛ إن
 دينهم دين جديد يجدد لهم ثبارهم^(١) ، فلا يقوم لهم أحد حتى يبئس .
 فقالوا : قاتل عن دينك ولا تجبن الناس ، واقض الذي عليك ؛ قال :
 وأي شيء أطلب إلا توفير دينكم !

• • •

ولما نزلت جنود المسلمين اليرموك ، بعث إليهم المسلمون : إننا نريد
 كلام أميركم وملاقاته ؛ فدعونا نأته ونكلمه ، فأبلغوه فأذن لهم . فأتاه
 أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان كالرسول ، والحارث بن هشام وضرار بن
 الأزور وأبو جندل بن سهيل ؛ ومع أخى الملك يومئذ ثلاثون رواقا في عسكره
 وثلاثون سرادقا ، كلها من ديباج ؛ فلما انتهوا إليها أبوا أن يدخلوا عليه
 فيها ، وقالوا : لا نستحل الحرير فابترز لنا . فبرز إلى فرش مهيأة ؛
 وبلغ ذلك هرقل ، فقال : ألم أقل لكم ! هذا أول الذل ، أما الشام فلا شام ؛
 وويل للروم من المولود المشثوم ! ولم يتأت بينهم وبين المسلمين صلح ، فرجع
 أبو عبيدة وأصحابه واتعدوا ، فكان القتال حتى جاء الفتح .

٢١٠٤/١ كتب إلى السرى ، عن شعيب . عن سيف ، عن مطررح ، عن القاسم ،
 عن أبي أمامة وأبي عثمان ، عن يزيد بن سنان ، عن رجال من أهل الشام
 ومن أشياخهم ؛ قالوا : لما كان اليوم الذي تأمر فيه خالد ، هزم الله الروم
 مع الليل ، وصعد^(٢) المسلمون العقبية ، وأصابوا ما في العسكر ، وقتل الله
 صناديدهم ورءوسهم وفرسانهم ، وقتل الله أخا هرقل ، وأخذ التذارق ،
 وانتهت الخزيمة إلى هرقل وهو دون مدينة حمص . فارتحل فجعل حمص
 بينه وبينهم . وأمر عليها أميراً وخلفه فيها ، كما كان أمر على دمشق ،
 وأتبع المسلمون الروم حين هزمهم خيولاً يشفونهم^(٣) . ولما صار إلى

(١) الثبار على الأمر : المواظبة عليه . (٢) كذا في ز والنويرى . (٣) يشفونهم : يطردونهم .

أبي عبيدة الأمر بعد الهزيمة؛ نادى بالرحيل، وارتحل المسلمون بزحفهم حتى وضعوا عساكرهم بمترج الصنفر. قال أبو أمامة: فبعثت طليعة من مترج الصنفر، معي فارسان؛ حتى دخلت الغوطة فجسستها بين أبياتها وشجراتها، فقال أحد صاحبي: قد بلغت حيث أمرت فانصرف لانهلكنا، فقلت: قف مكانك حتى تصبح أو آتيتك. فسرت حتى دفعت إلى باب المدينة؛ وليس في الأرض أحدٌ ظاهر، فنزعت بلحام فرسي وعلقت عليها مخلاتها، وركزت^(١) رمحي، ثم وضعت رأسي فلم أشعر إلا بالفتح بحرك عند الباب ليُفتح؛ فقامت فصليت الغداة، ثم ركبت فرسي، فحملت عليه، فطعنت البواب^(٢) فقتلته، ثم انكفأت راجعاً؛ وخرجوا يطلبونني، فجعلوا يكفون عني مخافة أن يكون لي كمين، فدفعت إلى صاحبي الأذني الذي أمرته أن يقف، فلما رأوه قالوا: هذا كمين انتهى إلى كمينه. فانصرفوا وسرت أنا وصاحبي، حتى دفعنا إلى صاحبنا الثاني، فسرنا حتى انتهينا إلى المسلمين؛ وقد عزم أبو عبيدة ألا يبرح حتى يأتية رأي عمر وأمره؛ فأتاه فرحوا حتى نزلوا على دمشق، وخلف باليرموك بشير بن كعب بن أبي الحميري في خيبل.

٢١٠٥/١

كتب إلى السري عن شعيب، عن سيف عن عبد الله بن سعيد عن أبي سعيد، قال: قال قيات: كنت في الوفد بفتح اليرموك، وقد أصبنا خيراً ونهلاً كثيراً، فر بنا الدليل على ماء رجل قد كنت اتبعته في الجاهلية حين أدركت وآنست من نفسي لأصيب منه؛ كنت دللت عليه، فأتيته فأخبرته، فقال: قد أصبت، فإذا ريبال من ريبالة العرب قد كان يأكل في اليوم عجز جزور بأدمها ومقدار ذلك من غير العجز ما يفضل عنه إلا ما يقونى. وكان يُغير على الحى ويبدعني قريباً، ويقول: إذا مر بك راجز يرتجز بكذا وكذا، فأنا ذلك؛ فشئل معي. فكثت بذلك حتى أقطعتني قطعاً من مال، وأتيت به أهلي؛ فهو أول مال أصبته. ثم إنني رأيت قومي؛ وبلغت مبلغ رجال العرب، فلما مر بنا على ذلك الماء

٢١٠٦/١

(٢) س: « فطعنته وطعنت ».

(١) ابن حبيش: « وتركت ».

عرفته ، فسألت عن بيته فلم يعرفوه ، وقالوا : هو حى ، فأتيت ببين استفادهم بعدى ، فأخبرتهم خبرى ، فقالوا : اغدُ علينا غدًا ، فإنه أقرب ما يكون إلى ما تحب بالغداة ، فغاديتهم فأدخلت عليه ، فأخرج من خدّره ؛ فأجلس لي ، فلم أزل أذكره حتى ذكر ، وتسمع وجعل يطرب للحديث ويستطعمنيه ، وطال مجلسنا وثقلنا على صبيانهم ؛ ففرقوه ببعض ما كان يفرق منه ليدخل خدّره ، فوافق ذلك عقله ، فقال : قد كنت وما أفزع ! فقلت : أجل ، فأعطيته ولم أدع أحدًا من أهله إلا أصبته بمعروف ثم ارتحلت .

كتب إلى السرى ، عن سيف ، عن أبي سعيد المقبرى ، قال : قال مروان بن الحكم لثقات : أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : رسول الله أكبر منى ، وأنا أقدم منه ، قال : فما أبعدُ ذكرك ؟ قال : خيشى^(١) الفيل لسنة . قال : وما أعجب ما رأيت ؟ قال : رجل من ٢١٠٧/١ قضاة ؛ إني لما أدركتُ وآنستُ من نفسى سألتُ عن رجل أكونُ معه وأصيب منه ، فدللتُ عليه . . . واقتص هذا الحديث .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن صالح بن كيسان ، أن أبا بكر رحمه الله حين سار القوم خرج مع يزيد ابن أبي سفيان يوصيه ، وأبو بكر يمشى ويزيد راكب ، فلما فرغ من وصيته قال : أقرئك السلام ، وأستودعك الله . ثم انصرف ومضى يزيد ، فأخذ التبوكية ثم تبعه شريحيل بن حسنة ثم أبو عبيدة بن الجراح مددًا لهما على رُبْع ، فسلخوا ذلك الطريق ، وخرج عمرو بن العاص حتى نزل بغممر العرّبات ، ونزلت الروم بشنيّة جلتى بأعلى فلسطين في سبعين ألفًا ، عليهم تدارق أخو هيرقل لأبيه وأمه . فكتب عمرو بن العاص إلى أبي بكر ، يذكر له أمر الروم ويستمدّه . وخرج خالد بن سعيد بن العاصى ؛ وهو بمرج الصفر من أرض الشام في يوم مطير يستمطر فيه ؛ فتعاوى عليه

(١) الخى : ما يرميه الفيل من ذى بطنه .

أعلاجُ الروم ، فقتلوه ، وقد كان عمرو بن العاص كتب إلى أبي بكر يذكر له أمر الروم ويستمدّه .

• • •

قال أبو جعفر : وأمّا أبو زيد ، فحدثني عن عليّ بن محمد بالإسناد الذي قد ذكرت قبلُ ؛ أنّ أبا بكر رحمه الله وجهه بعد خروج يزيد بن أبي سفيان موجتها إلى الشام بأيام ، شُرْحَبِيلَ بنِ حَسَنَةَ - قال : وهو شُرْحَبِيلُ ابن عبد الله بن المطاع بن عمرو ، من كِنْدَةَ ، ويقال من الأزدي - فسار في سبعة آلاف ، ثمّ أبا عبيدة بن الجراح في سبعة آلاف ، فنزل يزيد باللقاء ، ونزل شُرْحَبِيلُ الأردن - ويقال بَصْرَى - ونزل أبو عبيدة الجابية ، ثمّ أمدهم بعمر بن العاص ، فنزل بغمّر العربات ، ثمّ رغب الناس في الجهاد ؛ فكانوا يأتون المدينة فيوجههم أبو بكر إلى الشام فمنهم من يصير مع أبي عبيدة ، ومنهم من يصير مع يزيد ، يصير كلّ قوم مع من أحبوا .

قالوا : فأول صلح كان بالشام صلح مآب ، وهي فسطاط ليست بمدينة ، مرّ أبو عبيدة بهم في طريقه ، وهي قرية من اللقاء ، فقاتلوه ، ثمّ سألوهم الصلح فصالحهم . واجتمع الروم جمعاً بالعربية من أرض فلسطين ؛ فوجه إليهم يزيد بن أبي سفيان أبا أمامة الباهليّ ؛ ففضّ ذلك الجمع .

قالوا : فأول حرب كانت بالشام بعد سريّة أسامة بالعربية . ثمّ أتوا الدائنة - ويقال الدائن - فهزمهم أبو أمامة الباهليّ ، وقتل بطريقاً منهم . ثمّ كانت مَرَجُ الصُّفَر ، استشهد فيها خالد بن سعيد بن العاصي ، أتاهم أدرنجار في أربعة آلاف وهم غارون ، فاستشهد خالد وعدّة من المسلمين .

قال أبو جعفر : وقيل إنّ المقتول في هذه الغزوة كان ابناً لخالد بن سعيد ، وإنّ خالداً انحاز حين قُتل ابنه ، فوجه أبو بكر خالد بن الوليد أميراً على الأمراء الذين بالشام ، ضمّهم إليه ؛ فشخص خالد من الحيرة في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمانمائة - ويقال في خمسمائة - واستخلف على عمّله المثني بن حارثة ، فلقية عدوّه بصنْدِ وْدَاء ، فظفر بهم ، وخلف بها ابن حرام الأنصاري ؛ ولقى جمعاً بالمُصَيْخِ والحُصَيْدِ ، عليهم

٢١٠٨/١

٢١٠٩/١

ربيعة بن بُجَيْرِ التَّغْلِبِيِّ ، فهزَمَهُمْ وَسَبَى وَغَنَمَ ، وسارَ ففوزَ (١) من قُرَاقِيرِ إلى سُوَى ؛ فأغارَ على أهلِ سُوَى ؛ واكتسَحَ أموالَهُمْ ، وقتلَ حُرُقُوصَ ابنِ النُّعْمَانِ البَنَهْرَانِيَّ ، ثم أتى أَرَكَ فصالحوه ، وأتى تَدْمُورَ فتحصنوا ، ثم صالحوه ؛ ثم أتى القريتين ، فقاتلَهُمْ فظفِرَ بِهِم وَغَنَمَ ، وأتى حُوَّارِينَ ؛ فقاتلَهُمْ فهزَمَهُمْ وقتلَ وَسَبَى ، وأتى قُصَمَ فصالحه بنو مَشَجَعَةَ من قُضَاعَةَ ، وأتى مَرَجَ راهط ، فأغارَ على غَسَّانَ في يومِ فِصْحِهِمْ ، فقتلَ وَسَبَى ، ووجهَ بُسْرَ بنِ أَبِي (٢) أَرطاةَ وحبيبَ بنِ مَسَلَمَةَ إلى الغوطة ، فأتوا كنيسةً فسبوا الرِّجَالَ والنِّسَاءَ ، وساقوا العِيَالِ إلى خَالِدِ .

قال : فوافى خالداً كتابُ أبي بكرٍ بالحيرةَ منصرفته من حجته : أن ٢١١٠/١ سيرٌ حتى أتى جموعَ المسلمين باليرموك ، فإنهم قد شجروا وأشجروا (٣) ، وإيّاك أن تعودَ لمثل ما فعلت ، فإنه لم يُشجِرِ (٤) الجموعَ من الناس بعون الله شجارك ، ولم يتزع الشجى من الناس نزعك . فليهنئك أبا سليمان النية والحظوة (٥) ، فأتميمٌ يتمم الله لك ، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتُخذَلُ ؛ وإيّاك أن تُدِلَّ بعمل ، فإن الله عز وجل له المن ، وهو وليّ الجزاء .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الملك بن عطاء ، عن الهيثم البكائي ، قال : كان أهلُ الأيَّامِ من أهل الكوفة يُوعدون معاويةَ عند بعض الذي يبلغهم ، ويقولون : ما شاء معاوية ! نحن أصحابُ ذات السلاسل ، ويسمّون ما بينها وبين الفِراضِ ؛ ما يذكرون ما كان بعد ؛ احتقاراً لما كان بعد فيما كان قبل .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن ظنفر بن دهمي ، ومحمد بن عبد الله عن أبي عثمان ،

(١) في اللسان : « يقال : فوز الرجل بإبله ؛ إذا ركب المفازة » .

(٢) ساقطة من ط ، وانظر التصويبات .

(٣) أشجاء قرنه : قهره حتى شجى به .

(٤) أي لم يقهر الجموع قهره .

(٥) الحظوة : المكانة .

وطلحة عن المغيرة ، والمهلب بن عقبة عن عبد الرحمن بن سيبه الأحمري ، قالوا : كان أبو بكر قد وجه خالد بن سعيد بن العاصي إلى الشام حيث وجه خالد بن الوليد إلى العراق ، وأوصاه بمثل الذي أوصى به خالداً . وإن خالد ابن سعيد سار حتى نزل على الشام ولم يقتحم ، واستجلب الناس فعز^(١) ، فهابته الروم ، فأحجموا عنه ، فلم يصبر على أمر أبي بكر ولكن توردها فاستطردت له الروم ، حتى أوردوه الصُفْرَ ، ثم تعطفوا عليه بعد ما أمين ؛ فوافقوا ابنه سعيد بن خالد مستمطيراً ؛ فقتلوه هو ومن معه ، وأتى الخبر خالداً ، فخرج هارباً ؛ حتى أتى البر ، فینزل منزلاً ، واجتمعت الروم إلى اليرموك ؛ فنزلوا به ، وقالوا : والله لنشغلن أبا بكر في نفسه^(٢) عن تورده بلادنا بخيوله .

٢١١١/١

وكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر بالذي كان ، فكتب أبو بكر إلى عمرو ابن العاص - وكان في بلاد قضاة - بالسير إلى اليرموك ، ففعل . وبعث أبا عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان ، وأمر كل واحد منهما بالغارة ، وألا توغلا حتى لا يكون وراءكم أحد من عدوكم .

وقدم عليه شرحبيل بن حسنة بفتح من فتوح خالد ، فسرحه نحو الشام في جنود ، وسمى لكل رجل من أمراء الأجناد كورة من كور الشام ؛ فتوافقوا باليرموك ، فلما رأَت الروم توافيتهم ، ندموا على الذي ظهر منهم ، ونسوا الذي كانوا يتوعدون به أبا بكر ، واهتموا وهمتهم أنفسهم ، وأشجؤم وشجوا بهم ، ثم نزلوا الواقوصة . وقال أبو بكر : والله لأنسيين الروم وساوس الشيطان بخالد بن الوليد ، فكتب إليه بهذا الكتاب الذي فوق هذا الحديث ، وأمره أن يستخلف المثنى بن حارثة على العراق في نصف الناس ، فإذا فتح الله على المسلمين الشام ، فارجع إلى عمك بالعراق . وبعث خالد بالأخماس إلا ما نقل منها مع عمير بن سعد الأنصاري وبمسيره إلى الشام . ودعا خالد الأدلة ، فارتحل من الحيرة سائراً إلى دومة ، ثم طعن في البر إلى قراقر ، ثم قال : كيف لي بطريق أخرج فيه^(٣) من وراء جموع الروم !

٢١١٢/١

(١) ز : « وعز » . (٢) ز : « بنفسه على » . (٣) ز : « منه » .

فلاني إن استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين ، فكلمهم قال^(١) : لا تعرف
 إلا طريقاً لا يحمل الجيوش ، يأخذه الفذ^(٢) الراكب ، فإيّاك أن تغرر
 بالمسلمين . فعزم عليهم ولم يُجِبْهُ إلى ذلك إلا رافع بن عُميرة على تهيّب
 شديد ، فقام فيهم ، فقال : لا يختلفنّ هَدْْيُكُمْ ، ولا يضعفنّ يقينكم ،
 واعلموا أن المعونة تأتي على قدر النية ، والأجر على قدر الحسبة^(٣) ، وإن
 المسلم لا ينبغي له أن يكثر بشيء يقع فيه^(٤) مع معونة الله له ، فقالوا له : أنت رجل
 قد جمع الله لك الخير ، فشأنك . فطابقوه ونووا واحتسبوا ، واشتهوا مثل الذي
 اشتهى خالد ، فأمرهم خالد ، فترؤوا للشفة لحمس ، وأمر صاحب كل
 خيل بقدر ما يسقيها ، فظمًا كل قائد من الإبل الشرف الجلال^(٥) ما يكتفي
 به ، ثم سقوها العلل بعد النهل^(٦) ، ثم صرّوا آذان الإبل وكعموها ، وخلّوا
 أدبارها ، ثم ركبوا من قراقرم موزين إلى سوّى - وهي على جانبها الآخر
 ممّا يلي الشام - فلما ساروا يوماً افتظّوا^(٧) لكل عِدّة من الخيل عشرًا من تلك
 الإبل فمزجوا ما في كبروشها بما كان من الألبان ، ثم سقّوا الخيل ، وشربوا
 للشفة جرّعًا ، ففعلوا ذلك أربعة أيام .

٢١١٣/١

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن مُحَفَّر
 ابن ثعلبة ، عن حدثه من بكر بن وائل ، أن مُحَرَّرَ بن حَرِيشَ المحاربي
 قال لخالد : اجعل كوكب الصبح على حاجبك الأيمن ، ثم أمّه تُفَضِّ إلى
 سوّى ، فكان أدلّهم .

قال أبو جعفر الطبري : وشاركهم محمد وطلحة ، قالوا : لما نزل بسوّى
 وخشي أن يفضحهم حرّ الشمس ، نادى خالد رافعًا : ما عندك ؟ قال :

(١) س : « قالوا » .

(٢) الفذ : الفرد .

(٣) ز ، س : « الحسنه » .

(٤) ز : « وقع فيه » .

(٥) الظم : حبس الإبل عن الماء إلى غاية الورد ، والشارف : الناقة التي قد أسنت ، وجمعه

شرف . وجلة الإبل : مسانها .

(٦) قال الأصمعي : إذا وردت الإبل الماء فالسقية الأولى النهل والثانية العلل .

(٧) يقال : افتظ رجل كرش بعيره إذا نحره فاعتصر ماءه وصفاه .

خير، أدركتم الرئي^(١)، وأنتم على الماء ! وشجعهم وهو متحير أرمد، وقال :
 أيها الناس، انظروا علمين كأنهما ثديان . فأتوا عليهما وقالوا : علمان،
 فقام عليهما فقال : اضربوا يمينه ويسرته - لعوسجة^(٢) كقعدة الرجل -
 فوجدوا جذمها، فقالوا : جذم ولا نرى شجرة، فقال : احتفروا حيث
 شتم، فاستثاروا أوشالاً وأحساء رواء، فقال رافع : أيها الأمير، والله
 ما وردت هذا الماء منذ ثلاثين سنة، وما وردته إلا مرة وأنا غلام مع أبي .
 فاستعدوا ثم أغاروا والقوم لا يرون أن جيشاً يقطع إليهم .

٢١١٤/١

كتب إلى السرى، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن محمد، عن
 إسحاق بن إبراهيم، عن ظفر بن دهمي، قال : فأغار بنا خاك من سوي، على
 مصيخ بتهراء بالقصوانتي - ماء من المياه - فصبح المصبيخ والنمير، ولهم
 لغارون، وإن رفقة لتشرب في وجه الصبح، وساقبهم يغنيهم، ويقول :

ألا صبحاني قبل جيش أبي بكر .

فضربت عنقه، فاختلط دمه بخمره .

كتب إلى السرى، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن محمد بإسناده
 الذي تقدم ذكره، قال : ولما بلغ غسان خروج خالد على سوي وانتسافها،
 وغارته على مصيخ بتهراء وانتسافها، فاجتمعوا بمرج راهط، وبلغ ذلك
 خالدًا، وقد خائف ثغور الروم وجنودها مما يلي العراق، فصار بينهم
 وبين اليرموك، صمد لهم؛ فخرج من سوي بعد ما رجع إليها بسبب بتهراء،
 فنزل الرمانتين - علمين على الطريق - ثم نزل الكشيب؛ حتى صار إلى
 دمشق، ثم مرج الصفر، فلقى عليه غسان وعليهم الحارث بن الأيوهم،
 فانتسف عسكرهم وعيالانهم . ونزل بالمرج أيامًا، وبعث إلى أبي بكر
 بالأخماس مع بلال بن الحارث المزني، ثم خرج من المرج حتى ينزل
 قناة بصرى؛ فكانت أول مدينة افتتحت بالشام على يدي خالد

٢١١٥/١

(١) ز : « أدرككم الرئي » .

(٢) العوسج : ضرب من الشجر كثير الشوك، وله ثمر أحمر مدور كأنه العقيق .

فيمن معه من جنود العراق ، وخرج منها ، فوافى المسلمين بالواقوسة ، فنازلهم بها في تسعة آلاف .

كتب إلى السرى : عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب ، قالوا : ولما رجع خالد من حجته وافاه كتاب أبي بكر بالخروج في شطر الناس ، وأن يخلف على الشطر الباقي المثنى بن حارثة ، وقال : لا تأخذن نجداً إلا خلفت له نجداً ، فإذا فتح الله عليكم فاردوهم إلى العراق ، وأنت معهم ، ثم أنت على عمالك ؛ وأحضر خالد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأثر بهم على المثنى ، وترك للمثنى أعدادهم من أهل القنعة ممن لم يكن له صحبة ، ثم نظر فيمن بقي ، فاختلف (١) من كان قديم على النبي صلى الله عليه وسلم وافداً أو غير وافد ، وترك للمثنى أعدادهم من أهل القنعة ؛ ثم قسم الجند نصفين ، فقال المثنى : والله لا أقيم إلا على إنفاذ أمر أبي بكر كله في استصحاب نصف الصحابة أو بعض النصف ؛ وبالله ما أرجو النصر إلا بهم ، فأنى تعريبي منهم ! فلما رأى ذلك خالد بعد ما تملكاً عليه أعاضه منهم حتى رضى ، وكان فيمن أعاضه (٢) منهم فرات بن حيان العجلي ، وبشير بن الخصاصية والحارث بن حسان الذهليان ، ومعبد بن أم معبد الأسلمي ، وعبد الله بن أبي أوفى الأسلمي ؛ والحارث بن بلال المزني ، وعاصم بن عمرو التميمي ؛ حتى إذا رضى المثنى وأخذ حاجته ، انجذب خالد فضى لوجهه وشيعة المثنى إلى قراقر ، ثم رجع إلى الحيرة في الحرم ، فأقام في سلطانه ، ووضع في المسلحة التي كان فيها على السيب أخاه ، ومكان ضرار بن الخطاب عتيبة بن النهاس ، ومكان ضرار بن الأزور مسعوداً أخاه الآخر ، وسداً أماكن كل من خرج من الأمراء برجال أمثالهم من أهل الغناء ، ووضع مذعور بن عدى في بعض تلك الأماكن ، واستقام أهل فارس - على رأس سنة من مقدم خالد الحيرة ؛ بعد خروج خالد بقليل ؛ وذلك في سنة ثلاث عشرة - على شهر بزاز بن أردشير بن شهر يار ممن يناسب (٣) إلى كسرى ، ثم إلى سابور . فوجه إلى المثنى جنداً عظيماً عليهم هرْمُزُ جاذويته

٢١١٦/٨

(١) اختلجهم : طوح بهم وأطارهم . (٢) س : « أعانته به » . (٣) ز : « تنسب » .

في عشرة آلاف ، ومعه فيل ، وكتبت المسالِح إلى المثنى بإقباله ، فخرج المثنى من الحيرة نحوه ، وضم إليه المسالِح ، وجعل على مجنبتَيْه المَعْنَى ومَسْعُوداً ابنتي حارثة ، وأقام^(١) له ببابل ، وأقبل هُرْمَز جاذويه ، وعلى مجنبتَيْه الكوكب والخر كُيْد . وكتب إلى المثنى : من شهر براز إلى المثنى ؛ إني قد بعثت إليك جنداً من وخش أهل فارس^(٢) ، إنما هم رعاة الدجاج والخنزير ؛ ولست أقاتلك إلا بهم . فأجابه المثنى : من المثنى إلى شهر براز ؛ إنما أنت أحد رجلين : إما باغٍ فذلك شرٌّ لك وخيرٌ لنا ، وإما كاذب فأعظم الكذابين عقوبةً وفضيحةً عند الله في الناس الملوك . وأما الذي يدلنا عليه الرأي ؛ فإنكم إنما اضطررتم إليهم ؛ فالحمد لله الذي رد كيدكم إلى رعاة الدجاج والخنزير . فجزع أهل فارس من كتابه ، وقالوا : إنما أنبي شهر براز من شؤم مولده ولؤم منشئه - وكان يسكن ميسان - وبعض البلدان شينٌ على من يسكنه . وقالوا له : جرأت علينا عدونا بالذي كتبت به إليهم ؛ فإذا كاتب أحدنا فاستشر . فالتقوا ببابل ، فاقتلوا بعدوة الصراة الدنيا على الطريق الأول قتالا شديداً .

٢١١٧/١

ثم إن المثنى وناساً من المسلمين اعتوروا الفيل - وقد كان يفرق بين الصفوف والكراديس - فأصابوا مقتله ، فقتلوه وهزموا أهل فارس ، واتبعهم المسلمون يقتلونهم ، حتى جازوا بهم مسالِحهم ، فأقاموا فيها ، وتتبع الطلب الفالته ؛ حتى انتهوا إلى المدائن ؛ وفي ذلك يقول عبدة بن الطبيب السعدي ، وكان عبدة قد هاجر لهاجرة حليلة له حتى شهد وقعة بابل ؛ فلما آتته رجع إلى البادية ، فقال :

٢١١٨/١

هل حبلُ خولة بعدَ البينِ موصولُ
أم أنت عنها بعيدُ الدارِ مشغولُ^(٣)
وللأحبة أيامٌ تذكُرُها
وللنوى قبل يومِ البينِ تأويلُ^(٤)

(١) س : « وأقاما » .

(٢) الوخش : رذال الناس .

(٣) من قصيدة مفضلية ؛ المفضليات ١٣٥ - ١٤٥ .

(٤) تذكُرُها : تذكُرُها أنت . تأويل : علامات تبين لك أن البين سيقع .

حَلَّتْ خُوَيْلَةَ فِي حَيِّ عَهْدَتَهُمْ دُونَ الْمَدَائِنِ فِيهَا الدَّبِيكُ وَالْفَيْلُ
يُقَارِعُونَ رَهْمَسَ الْعُجْمِ ضَاحِيَةً مِنْهُمْ فَوَارِسُ، لَا عَزْلٌ وَلَا مَيْلٌ (١)

القصيدة . وقال الفرزدق يعدد بيوتات بكر بن وائل وذكر المثنى وقتلته

٢١١٩/١

الفيل :

وَبَيْتُ الْمُثَنَّى قَاتِلِ الْفَيْلِ عَنُوةً بِيَابِلَ إِذْ فِي فَارِسٍ مُلْكُ بَابِلِ (٢)

ومات شهر براز منهزمَ هرمز جاذويه .

واختلف أهل فارس ، وبنى ما دون دجلة وبرس من السواد في يدي
المثنى والمسلمين .

• • •

ثم إن أهل فارس اجتمعوا بعد شهر براز على دُخْتُ زَنَانِ ابنة كسرى ؛
فلم ينفذ لها أمرٌ فخلعت .

وملَّكَ سابور بن شهر براز . قالوا : ولما ملك سابور بن شهر براز قام
بأمره الفرخزاد بن البندوان ، فسأله أن يزوجه آزر ميدخت ابنة
كسرى ، ففعل ، ففضبت من ذلك ، وقالت : يا بن عمِّ ، أتزوجني
عبدى ! قال : استحيي من هذا الكلام ولا تعيديه على ، فإنه زوجك ،
فبعثت إلى سیاوخش الرازي - وكان من فتاك الأعاجم - فشكَّت إليه
الذي تخاف ، فقال لها : إن كنتِ كارهة لهذا فلا تعاوديه قيه ، وأرسلني
إليه وقولي له : فليقل له فليأتك ؛ فأنا أكفيك . ففعلت وفعل ؛ واستعدت
سياوخش ، فلما كان ليلة العرس أقبل الفرخزاد حتى دخل ، فثار به
سياوخش فقتله ومن معه ، ثم نهَّد بها معه إلى سابور ، فحضرته ثم دخلوا عليه
فقتلوه . وملَّكَت آزر ميدخت بنت كسرى ، وتشاغلوا بذلك ؛ وأبطأ خبر
أبي بكر على المسلمين فخلت المثنى على المسلمين بشير بن الحصاصية ،
ووضع مكانه في المسالج سعيد بن مروة العجلي ؛ وخرج المثنى نحو أبي بكر
ليخبره خبر المسلمين والمشركين ، وليستأذنه في الاستعانة بيمين قد ظهرت

٢١٢٠/١

(١) العزل : جمع أعزل ؛ وهو الذي لا سلاح معه . والميل : جمع أميل ؛ وهو السيء الركوب .

(٢) ديوانه ٦٦٩

توبته وندمه من أهل الردة مِمَّنْ يستطعمه الغزو^(١) ، وليخبره أنه لم يخلف أحداً أنشط إلى قتال فارس وحربها ومعونة المهاجرين منهم . فقدم المدينة وأبو بكر مريض ، وقد كان مرض أبو بكر بعد مخرج خالد إلى الشام - مَرَضَتَهُ التي مات فيها - بأشهر ؛ فقدم المثنى وقد أشفى ، وعقد لعمر ، فأخبره الخبر ، فقال : عليّ بعمر ، فجاء فقال له : اسمع يا عمر ما أقول لك ، ثم اعمل به ؛ إنني لأرجو أن أموت من يوم هذا - وذلك يوم الاثنين - فإن أناميت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ، وإن تأخرت إلى الليل فلا تُصبحن حتى تندب الناس مع المثنى ، ولا تشغلنكم مصيبة وإن عَظُمَتْ عن أمر دينكم ، ووصية ربكم ؛ وقد رأيتني^(٢) متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما صنعت ، ولم يصب الخلق بمثله ؛ وبالله لو أنني أنبي عن أمر رسوله لخذلنا ولعاقبنا ، فاضطربت المدينة ناراً . وإن فتح الله على أمراء الشام فاردد أصحاب خالد إلى العراق . فإنهم أهلهم وولاه أمره وحده^(٣) وأهل الضراوة منهم^(٤) والجرأة عليهم .

ومات أبو بكر رحمه الله مع الليل ، فدفنه عمرُ ليلاً ، وصلى عليه في المسجد ، وندب الناس مع المثنى بعد ما سوَّى على أبي بكر ، وقال عمر : كان أبو بكر قد علم أنه يسوءني أن أؤمر بخالدًا على حرب العراق ؛ حين أمرني بصرف أصحابي ، وترك ذكره .

قال أبو جعفر : وإلى آزر ميدخت انتهى شأن أبي بكر ، وأحدُ شِقِّي السَّواد في سلطانه ، ثم مات وتشاغل أهل فارس فيما بينهم عن إزالة المسلمين عن السَّواد . فيما بين ملك أبي بكر إلى قيام عمر ورجوع المثنى مع أبي عبيد إلى العراق ، والجمهور من جنود أهل العراق بالحيرة ، والمسالح بالسَّيب ، والغارات تنتهي بهم إلى شاطئ دجلة ، ودجلة حجاز بين العرب والعجم . فهذا حديث العراق في إمارة أبي بكر من مبتدئه إلى منتهاه .

• • •

(١) ز : « استطعمه العدو » .

(٢) س : « رأيتني » .

(٣) ز : « وجدته » .

(٤) كذا في ز ، وفي ط : « بهم » .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق (١). وكتب أبو بكر إلى خالد وهو بالحيرة ، يأمره أن يمدّ أهل الشام بيمين معه من أهل القوة ، ويخرج فيهم ، ويستخلف على ضعفة الناس رجلا منهم ؛ فلما أتى خالد كتاب أبي بكر بذلك ، قال خالد : هذا عمل الأعرس بن أمّ شملة - يعنى عمر ابن الخطاب - حسدنى أن يكون فتح العراق على يدى . فسار خالد بأهل القوة من الناس وردّ الضعفاء والنساء إلى المدينة ؛ مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر عليهم عمير بن سعد الأنصارى ، واستخلف خالد على من أسلم بالعراق من ربيعة وغيرهم المثنى بن حارثة الشيبانى . ثم سار حتى نزل على عين التمر . فأغار على أهلها ، فأصاب منهم ، ورابط حصنًا بها فيه مقاتلة كان كسرى وضعهم فيه حتى استنزلم ، فضرب أعناقهم ، وسبى من عين التمر ومن أبناء تلك المرابطة سبايا كثيرة ، فبعث بها إلى أبي بكر ؛ فكان من تلك السببأيا أبو عَمْرَةَ مولى شبتان ؛ وهو أبو عبد الأعلى بن أبي عمرة ، وأبو عبيدة مولى المعلّى ، من الأنصار من بنى زريق ، وأبو عبد الله مولى زهرة ، وخيبر مولى أبي داود الأنصارى ثم أحد بنى مازن بن النجار ، ويسار وهو جدّ محمد بن إسحاق مولى قيس بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف ، وأفلح مولى أبي أيوب الأنصارى ثم أحد بنى مالك بن النجار ، وحمران ابن أبان مولى عثمان بن عفان . وقتل خالد بن الوليد هلال بن عقة ابن بشر التمرى وصلبه بعين التمر ، ثم أراد السير مفوزًا من قراقرم - وهو ماء لكلب إلى سوى ، وهو ماء لبهاء بينهما خمس ليال - فلم يهتد خالد الطريق ، فالتمس دليلًا ، فدُلّ على رافع بن عميرة الطائى ؛ فقال له خالد : انطلق بالناس ، فقال له رافع : إنك لن تطيق ذلك بالحيل والأثقال ؛ والله إن الراكب المفرد ليخافها على نفسه وما يسلكها إلا مغررًا ؛ إنها لخمس ليال جياذ لا يُصاب فيها ماء مع مَضَلَّتْهَا ، فقال له خالد : ويحك ! إنه والله إن لى بدّ من ذلك ، إنه قد أتتني من الأمير عزمّة بذلك ، فمرّ بأمرك (٢) . قال : استكثروا من الماء ؛ من استطاع منكم أن يصرّ أذن ناقته على ماء فليفعل ؛

٢١٢٢/١

٢١٢٣/١

(٢) س : « فرنا أمرك » .

(١) انظر أول الحديث ص ٤٠٥ .

فإنها المهالك إلا ما دفع الله ؛ ابغني عشرين جزوراً عظماً سمناً مساناً (١) .
فأتاه بن خالد ، فعمد إليهن رافع فظماً هن ، حتى إذا أجهدهن عطشاً
أوردهن فشرين حتى إذا تملأن (٢) عمّد إليهن ، فقطع مشافرن ، ثم
كعمهن لئلا يجترن ، ثم أخلى أدبارهن .

ثم قال لخالد : سر ؛ فسار خالد معه مُغِذاً بالخيول والأثقال ؛ فكُلِّمًا
نزل منزلاً افتظ (٣) أربعاً من تلك الشوارف ؛ فأخذ ما في أكراشها ، فسقاه
الخليل ؛ ثم شرب الناس مما حملوا معهم من الماء ؛ فلما خشى خالد على
أصحابه في آخر يوم من المفازة قال لرافع بن عميرة وهو أرمد : ويحك يا رافع !
ما عندك ؟ قال أدركت الرى إن شاء الله ؛ فلماً دنا من العلمين ، قال
للناس : انظروا هل ترون شجيرة من عوسج كقعيدة الرجل ؟ قالوا : ما نراها .
قال : إننا لله وإنا إليه راجعون ! هلكنم والله إذاً وهلكت ؛ لأبالكم ! انظروا ،
فطلبوا فوجدوها قد قطعت وبقيت منها بقية ، فلماً رآها المسلمون كبروا وكبر
رافع بن عميرة ؛ ثم قال : احفروا في أصلها ، فحفروا فاستخرجوا عيناً ،
فشربوا حتى روى الناس ، فاتصلت بعد ذلك لخالد المنازل ، فقال رافع :
والله ما وردت هذا الماء قط إلا مرة واحدة ، وردته مع أبي وأنا غلام ، فقال
شاعر من المسلمين :

لله عينا رافع أنى اهتدى (٤) فوز من قراقر إلى سوى !
خمساً إذا ما سارها الجيش بكى (٥) ما سارها قبلك إنسى يرى (٦)

٢١٢٤/١

فلماً انتهى خالد إلى سوى ، أغار على أهله - وهم بتهراء - قبيل
الصبيح ، وناس منهم يشربون خمرًا لهم في جفنة قد اجتمعوا عليها ،
ومغنيهم يقول :

ألا عللاني قبل جيش أبي بكر لعل منايانا قريب وما ندرى

(٢) ز : « تملأت » .

(١) ز : « مشارف » .

(٣) افتظها : مصرماه كروشها .

(٤) ياقوت ٥ : ١٥٧ ، وروايته : « لله در رافع » .

(٦) ياقوت : « من قبلها إنس يرى » .

(٥) ياقوت : « سارها الحبس » .

ألا عُلَانِي بِالزُّجَاجِ وَكَرًّا عَلَيَّ كُمَيْتَ اللَّوْنِ صَافِيَةً تَجْرِي
 ألا عُلَانِي مِنْ سُخْلَافَةِ قَهْوَةٍ تُسَلِّيْ هَمُومَ النَّفْسِ مِنْ جَيْدِ الْخَمْرِ
 أَظُنُّ خِيُولَ الْمُسْلِمِينَ وَخَالِدًا سَتَطْرُقُكُمْ قَبْلَ الصَّبَاحِ مِنَ الْبِشْرِ (١)
 فَهَلْ لَكُمْ فِي السَّبْرِ قَبْلَ قِتَالِهِمْ وَقَبْلَ خُرُوجِ الْمَعْرَاتِ مِنَ الْخِذْرِ (٢)!

فيزعمون أن مغنيتهم ذلك قتل تحت الغارة ، فسأل دمه في تلك الحفنة .
 ثم سار خالد على وجهه ذلك ، حتى أغار على غسان بمرج راهط ، ثم
 سار حتى نزل على قناة بصرى ، وعليها أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن
 حسنة ويزيد بن أبي سفيان ؛ فاجتمعوا عليها ، فربطوها حتى صالحت
 بصرى على الجزية ، وفتحها الله على المسلمين ، فكانت أول مدينة من
 مدائن الشام فتحت في خلافة أبي بكر . ثم ساروا جميعاً إلى فلسطين
 مدداً لعمر بن العاص ، وعمرو مقيم بالعربات من غور فلسطين ،
 وسمعت الروم بهم ، فأنكشوا عن جلق إلى أجنادين ؛ وعليهم تذارق
 أخو هرقل لأبيه وأمه - وأجنادين بلد بين الرملة وبيت جبرين من أرض
 فلسطين - وسار عمرو بن العاص حين سمع بأبي عبيدة بن الجراح وشرحبيل
 ابن حسنة ويزيد بن أبي سفيان حتى لقيهم ؛ فاجتمعوا بأجنادين ؛ حتى
 عسكروا عليهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
 محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، أنه قال : كان على
 الروم رجل منهم يقال له القبققلار ؛ وكان هرقل استخلفه على أمراء الشام
 حين سار إلى القسطنطينية ، وإليه انصرف تذارق بمن معه من الروم .
 فأما علماء الشام فيزعمون أنما كان على الروم تذارق . والله أعلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
 محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، قال : لما تدانى العسكران بعث

(١) النويرى وابن الأثير : « مع النسر » . (٤) المعصر : البخارية التي راهقت المشرين .

٢١٢٦/١ القُبُقْلَارِ رَجُلًا عَرَبِيًّا - قال : فحدثت أن ذلك الرجل رجلٌ من قضاة ، من تزيد بن حبيدآن ، يقال له ابن هزارف - فقال : ادْخُلْ في هؤلاء القوم فأقم فيهم يوماً وليلة ، ثم ائتمني بخبرهم . قال : فدخل في الناس رجلٌ عربى لا ينكر ، فأقام فيهم يوماً وليلة ، ثم أتاه فقال له : ما وراءك ؟ قال : بالليل رهبان ، وبالنهـار فرسان ، ولو سرق ابنُ ملكهم قطعوا^(١) يده ، ولو زنى رُجيم ؛ لإقامة الحق فيهم . فقال له القُبُقْلَارُ : لئن كنت صدقني لبطنُ الأرض خيراً من لقاء هؤلاء على ظهرها^(٢) ، ولوددتُ أن حظي من الله أن يخلني بيني وبينهم ، فلا ينصروني عليهم ، ولا ينصرهم عليّ . قال : ثم تزاحف الناس ، فاقتلوا ، فلما رأى القُبُقْلَارُ ما رأى من قتال المسلمين ؛ قال للروم : لفؤا رأسي بثوب ، قالوا له : ليم ؟ قال : يوم البئس ، لا أحب أن أراه ! ما رأيت في الدنيا يوماً أشد من هذا ! قال : فاحتر المسلمون رأسه ، وإنه للقف .

وكانت [وقعة] ^(٣) أجنادين في سنة ثلاث عشرة لليلتين بقيتتا من جمادى الأولى . وقتل يومئذ من المسلمين جماعة ؛ منهم سلمة بن هشام ابن المغيرة ، وهبـار بن الأسود بن عبد الأسد ، ونعيم بن عبد الله النحام ، وهشام بن العاصي بن وائل ، وجماعة أخر من قريش . قال : ولم يسم لنا من الأنصار أحدٌ أصيب بها .

٢١٢٧/١ وفيها توفى أبو بكر لثمان ليالٍ بقين - أو سبع بقين - من جمادى الآخرة .

• • •

رجع الحديث إلى حديث أبي زيد ، عن علي بن محمد بإسناده الذي قد مضى^(٤) ذكره . قال : وأتى خالدٌ دمشق فجمع له صاحب بصرى ، فسار إليه هو وأبو عبيدة ؛ فلقيتهم أدرنجا ، فظفروهم . وهزمهم ؛ فدخلوا حصنهم ؛ وطلبوا الصلح ، فصالحهم على كل رأس دينار في كل عام وجريب حنطة . ثم رجع العدو للمسلمين ، فتوافقت جنود المسلمين والروم

(١) ز : « قطعت » . (٢) ز : « ظهورها » .

(٣) من ز وابن كثير . (٤) انظر أول خبر أبي زيد ص ٤٠٦ .

بأجنادين ، فالتقوا يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ؛ فظهر المسلمون ، وهزم الله المشركين ، وقتل خليفة هيرقل ، واستشهد رجال من المسلمين ؛ ثم رجع هيرقل للمسلمين ، فالتقوا بالواقصة فقاتلهم ؛ وقاتلهم العدو ، وجاءتهم وفاة أبي بكر وهم مصافون وولاية أبي عبيدة ، وكانت هذه الواقعة في رجب .

[ذكر مرض أبي بكر ووفاته]

حدثني أبو زيد ؛ عن علي بن محمد ، بإسناده الذي قد مضى ذكره ؛ قالوا : تُوُفِّيَ أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة في جمادى الآخرة يوم الاثنين لثمان بقين منه . قالوا : وكان سبب وفاته أن اليهود سمته في أرزة ، ويقال في جذيدة ، وتناول معه الحارث بن كلدة منها ، ثم كَفَّ وقال لأبي بكر : أكلت طعاماً مسموماً سم سنة . فمات بعد سنة ، ومرض خمسة عشر يوماً ، فقيل له : لو أرسلت إلى الطبيب ! فقال : قد رأني ، قالوا : فما قال لك ؟ قال : إنني أفعل ما أشاء .

قال أبو جعفر : ومات عتّاب بن أسيد بمكة في اليوم الذي مات فيه أبو بكر - وكانا سُمّا جميعاً - ثم مات عتّاب بمكة .

وقال غير من ذكرت في سبب مرض أبي بكر الذي توفي فيه ، ما حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني أسامة بن زيد الليثي ، عن محمد بن حمزة ، عن عمرو ، عن أبيه ، قال . وأخبرنا محمد بن عبد الله ، عن الزُّهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قال . وأخبرنا عمر بن عمران بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، عن عمر بن الحسين مولى آل مظعون ، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي بكر . قالوا : كان أول ما بدأ مرض أبي بكر به أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلتون من جمادى الآخرة ، وكان يوماً بارداً فتحم خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى الصلاة ؛ وكان يأمر عمر بن الخطاب أن يُصَلِّيَ بالناس ؛ ويدخل الناس يعودونه ؛ وهو يشغل كل يوم ، وهو نازل في داره

التي قطع له رسول الله صلى الله عليه وسلم وجهه (١) دار عثمان بن عفان اليوم ، وكان عثمان ألزمهم له في مرضه ؛ وتوفي أبو بكر مسنّى ليلة الثلاثاء ؛ لثمان ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة . وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال . قال : وكان أبو معشر يقول : كانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا أربع ليال ، فتوفى ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ؛ مجتمّع على ذلك في الروايات كلها ، استوفى سنّ النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكر وليد بعد الفيل بثلاث سنين (٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال حدثنا جرير ، عن يحيى بن سعيد ، قال : قال سعيد بن المسيّب : استكمل أبو بكر بخلافته سنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتوفى وهو بسنّ النبي صلى الله عليه وسلم .

٢١٢٩/١

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو نعيم ، عن يونس بن إسحاق ، عن أبي السفر ، عن عامر ، عن جرير ، قال : كنت عند معاوية فقال : توفى النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وتوفى أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقتل عمر وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وحدثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد (٣) ، عن جرير ، قال : قال معاوية : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين ، وقتل عمر وهو ابن ثلاث وستين ، وتوفى أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين .

وقال علي بن محمد في خبره الذي ذكرت عنه : كانت ولاية أبي بكر سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً ، ويقال : عشرة أيام .

•••

(١) وجاء ، أى تجاه . (٢) طبقات ابن سعد . ٣ : ٢٠٢

(٣) ط : « سعيد » ، وانظر التصويبات .

ذكر الخبر عن غسله والكفن الذي كفن فيه أبو بكر ومن صلى عليه
والوقت الذي صلى عليه فيه والوقت الذي توفى فيه

حدثني الحارث ، عن ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال :
حدثني مالك بن أبي الرحال^(١) ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : توفى
أبو بكر رحمه الله بين المغرب والعشاء .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، عن محمد بن
عبد الله ، عن عطاء وابن أبي مليكة ، أن أسماء بنت عميس ، قالت :
قال لي أبو بكر : غسّلتني ، قلت : لا أطيق ذلك ، قال : يعينك عبد الرحمن
ابن أبي بكر ، يصب الماء .

حدثني الحارث ، عن محمد بن سعد ، قال : أخبرنا معاذ بن معاذ
ومحمد بن عبد الله الأنصاري ، قالا : حدثنا الأشعث ، عن عبد الواحد بن
صبرة ، عن القاسم بن محمد ، أن أبا بكر الصديق أوصى أن تغسله امرأته
أسماء ؛ فإن عجزت أعانها ابنه محمد . قال ابن سعد : قال محمد بن عمر :
وهذا الحديث وهيل ؛ وإنما كان لمحمد يوم توفى أبو بكر ثلاث سنين^(٢) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابن عيينة ، عن عمرو بن دينار ،
عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، سألتها أبو بكر ؛ في كم كفن النبي صلى
الله عليه وسلم ؟ قالت : في ثلاثة أثواب ، قال : اغسلوا ثوبتي هذين --
وكانا ممشقين^(٣) -- وابتاعوا لي ثوباً آخر . قلت : يا أبة ، إننا
موسرون ، قال : أي بنية ، الحى أحق بالجلد من الميت ، وإنما هما
للمهلة^(٤) والصديد .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا أبي قال : حدثنا الأوزاعي ؛

(١) ط : « عن أبي الرحال » ، والصواب ما أثبتته من طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٩ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٣ . (٣) الثوب الممشق : المصبوغ بالمغرة .

(٤) المهلة مثله الميم : القبح والصديد الذي ينوب من الجسد . وانظر نهاية ابن الأثير .

قال : حدثني عبد الرحمن بن القاسم ؛ أن أبا بكر تُوُفِّيَ عشاءً بعد ما غابت الشمس ليلة الثلاثاء ، ودفن ليلاً ليلة الثلاثاء .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : حدثنا غَنَمٌ ، عن هشام ، عن أبيه ، أن أبا بكر مات ليلة الثلاثاء ودفن ليلاً .

حدثني أبو زيد ، عن علي بن محمد بإسناده الذي قد مضى ذكره ، أن أبا بكر حُمِلَ على السرير الذي حُمِلَ عليه رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ووصلت عليه عمر في مسجد رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ودخل قبره عمر ، وعثمان ، وطلحة ؛ وعبد الرحمن بن أبي بكر ؛ وأراد عبد الله أن يدخل قبره ، فقال له عمر : كُفَيْت .

قال أبو جعفر : وكان أوصى - فيما حدثني الحارث ، عن ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبيرة ، عن عمر بن عبد الله - يعني ابن عروة - أنه سمع عروة والقاسم بن محمد يقولان : أوصى أبو بكر عائشة أن يُدفن إلى جنب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلما تُوُفِّيَ حُفِرَ له ، وجعل رأسه عند كتيفتي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وألصقوا اللحدَ بِلَحْدِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقبر هنالك^(١) .

٢١٣١/١

قال الحارث : حدثني ابنُ سعد ، قال : وأخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني ابنُ عثمان ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، قال : جعل رأس أبي بكر عند كتفي رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ورأس عمر عند حَقْوِي أبي بكر^(٢) .

حدثني علي بن مسلم الطوسي ، قال : حدثنا ابنُ أبي فديك ، قال : أخبرني عمرو بن عثمان بن هانئ ، عن القاسم بن محمد ، قال : دخلتُ على عائشة رضي الله تعالى عنها ، فقلت : يا أمه ، اكشيفي لي عن قبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبه ؛ فكشفت لي عن ثلاثة قبور ، لا مشرفة ولا لاطئة ، مبطوحة بمطحاء المرصعة الحمراء ؛ قال : فرأيتُ قبرَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٩ . (٢) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٩ .

الله عليه وسلم مقدماً وقبر أبي بكر عند رأسه ، وعمر رأسه عند رجله .
النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثني الحارث ، عن ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال :
حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبيرة ، عن عمرو بن أبي عمرو ،
عن المطلب بن عبد الله بن حنطاب ، قال : جعل قبر أبي بكر مثل
قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسطحاً ؛ ودش عليه الماء ، وأقامت عليه
عائشة النوح^(١) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا يونس بن يزيد
عن ابن شهاب ؛ قال : حدثني سعيد بن المسيب ، قال : لما توفى
أبو بكر رحمه الله أقامت عليه عائشة النوح ، فأقبل عمر بن الخطاب حتى
قام بيابها ، فنهاه عن البكاء على أبي بكر ، فأبين أن ينتهين ، فقال عمر
لهشام بن الوليد : ادخل فأخرج إني ابنة أبي قحافة ؛ أخت أبي بكر ،
فقال هشام حين سمعت ذلك من عمر : إني أخرج^(٢) عليك
بيتي . فقال عمر لهشام : ادخل فقد أذنت لك ، فدخل هشام فأخرج أم
فروة أخت أبي بكر إلى عمر ، فعلاها بالدرّة ، فضربها ضربات ، فتفرق
النوح حين سمعوا ذلك .

وتمثل في مرضه - فيما حدثني أبو زيد . عن علي ابن محمد بإسناده -
الذي توفى فيه :

وكلُّ ذى إبلٍ موروثٌ وكلُّ ذى سلبٍ مسلوبٌ^(٣)
وكلُّ ذى غيبةٍ يثوبٌ وغائبُ الموتِ لا يثوبُ

وكان آخر ما تكلم به ، رَبِّ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١﴾ .

(١) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٩ . (٢) أخرج عليك ، أى أمنك من دخول بيتي .

(٣) لمبيد بن الأبرص ، ديوانه ١٣ .

ذكر الخبر عن صفة جسم أبي بكر رحمه الله

حدثني الحارث ، عن ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا شعيب بن ^(١) طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، عن أبيه ، عن عائشة ، رضى الله تعالى عنها ، أنها نظرت إلى رجلٍ من العرب مرّوهى في هودجها ، فقالت : ما رأيتُ رجلاً أشبه بأبي بكر من هذا ، فقلنا لها : صني أبا بكر ، فقالت : رجل أبيض نحيف خفيف العارضين ، أجنأ ^(٢) لا يمسك إزاره ، يسترخى عن حَقْوَيْهِ ^(٣) ، معروق ^(٤) الوجه ، غائر العينين ، ناتيء الجبهة ، عارى الأشاجع ^(٥) .

وأما علي بن محمد ؛ فإنه قال في حديثه الذي ذكرت إسناده قبيلُ : ٢١٣٣/١ إنّه كان أبيضَ يخالطه صُفرةٌ ، حسنَ القامة ، نحيفاً أجنأ ، رقيقاً عتيقاً ، أقبى ، معروق الوجه ، غائر العينين ، حَمَش ^(٦) الساقين ، محوص الفخذين ، يخضب بالحناء والكتّم .

وكان أبو قحافة حين تُوْفِّيَ حياً بمكّة ، فلما نُعي إليه قال : رُزءٌ

جليل !

•••••

ذكر نسب أبي بكر واسمه وما كان يُعرف به

حدثني أبو زيد ، قال : حدثنا علي بن محمد بإسناده الذي قد مضى ذكره ، أنّهم أجمعوا على أنّ اسم أبي بكر عبد الله ، وأنه إنما قيل له عتيق عن عتقه ^(٧) . قال : وقال بعضهم : قيل له ذلك ؛ لأنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم ، قال له : أنت عتيق من النار .

(١) ط . « عن طلحة » ، وانظر ص ٢٧٣ من ٦ (ليدن) .

(٢) الأجنأ : الأحدب ؛ وفي ط : « أحنى » ، وما أثبتته من النويرى وطبقات ابن سعد .

(٣) الحقو : الحصر . (٤) المعروق : القليل اللحم .

(٥) الأشاجع : أصول الأصابع التي تنصل بمصب ظاهر الكف . والخبر في طبقات ابن سعد .

(٦) حمش الساقين : دقيقتها . (٧) عن هنا ؛ بمعنى اللام ، أى لعنته . ٣ : ١٨٨ .

حدثني الحارثُ ، عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : حدثنا إسحاق بن يحيى بن طلحة ، عن معاوية بن إسحاق ، عن أبيه ، عن عائشة ، أنها سُئِلت : لِمَ سُمِّيَ أبو بكر عتيقًا ؟ فقالت : نظر إليه النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم يوماً ، فقال : هذا عتيق الله من النار^(١) .

واسم أبيه عثمان ، وكنيته أبو قُحافة ، قال : فأبو بكر عبد الله بن عثمان ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مُرَّة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك ، وأمه أم الخير بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تميم بن مُرَّة .

وقال الواقدي : اسمه عبد الله بن أبي قُحافة - واسمه عثمان - بن عامر . وأمه أم الخير ، واسمها سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تميم بن مُرَّة .

وأما هشام ، فإنه قال - فيما حدثت عنه - إن اسم أبي بكر عتيق ابن عثمان بن عامر .

٢١٣٤/١

وحدثني يونس ، قال أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن لَهبيعة ، عن عُمارة بن غزيرة ، قال : سألتُ عبد الرحمن بن القاسم عن اسم أبي بكر الصديق ، فقال : عتيق ؛ وكانوا إخوة ثلاثة بنى أبي قُحافة : عتيق ومُعَتِق وعُتَيْق .

. . .

ذكر أسماء نساء أبي بكر الصديق رحمه الله

حدث علي بن محمد ، عمن حدثه ومن ذكرت من شيوخه ، قال : تزوج أبو بكر في الجاهلية قُتَيْبَةَ - ووافقها على ذلك الواقدي والكلبي - قالوا : وهي قُتَيْبَةُ ابنة عبد العزري بن عبد بن أسعد بن جابر بن مالك بن حَسَل بن عامر بن لؤي ، فولدت له عبد الله وأسماء . وتزوج أيضاً في الجاهلية أم رومان

(١) طبقات ابن سعد ٣ : ١٦٩ ، ١٧٠ .

بنت عامر بن عميرة بن ذهل بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك ابن كنانة - وقال بعضهم : هي أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتّاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة - فولدت له عبد الرحمن وعائشة .

فكل هؤلاء الأربعة من أولاده ، ولدوا من زوجتيه اللتين سميناهما في الجاهلية .

وتزوج في الإسلام أسماء بنت عميس ؛ وكانت قبله عند جعفر بن أبي طالب ؛ وهي أسماء بنت عميس بن معند بن تميم بن الحارث بن كعب ابن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن مھامر بن مالك بن نسر بن وهب الله بن شهران بن عفرس بن حنلف بن أفتل - وهو نخشم - فولدت له محمد بن أبي بكر .

وتزوج أيضاً في الإسلام حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير ؛ من بني الحارث بن الخزرج ؛ وكانت نساء^(١) حين توفى أبو بكر ؛ فولدت له بعد وفاته جارية سميت أم كلثوم .

• • •

ذكر أسماء قضاته وكتابه وعماله على الصدقات

حدثنا محمد بن عبد الله المخترمي ، قال : حدثنا أبو الفتح نصر بن المغيرة . قال : قال سفيان - وذكره عن مسعر : لما ولي أبو بكر ، قال له أبو عبيدة : أنا أكفيك المال - يعني الجزاء - وقال عمر : أنا أكفيك القضاء : فكث عمر سنة لا يأتيه رجلان .

وقال علي بن محمد عن الدين سميت : قال بعضهم : جعل أبو بكر عمر قاضياً في خلافته ، فكث سنة لم يخاصم إليه أحد . قال : وقالوا : كان يكتب له زيد بن ثابت ، ويكتب له الأخبار عثمان ابن عفان رضي الله عنه ، وكان يكتب له من حضر .

(١) النرس : المرأة التي يظن بها الحمل ، وقيل : التي ظهر حملها .

وقالوا : كان عاملة على مكة عتّاب بن أسيد ، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاصي . وعلى صنعاء المهاجر بن أبي أمية ، وعلى حضرموت زياد بن لبيد . وعلى خولان يعلى بن أمية ؛ وعلى زبيد ورمع أبو موسى الأشعري ، وعلى الجند معاذ بن جبل . وعلى البحرين العلاء ابن الحضرمي . وبعث جرير بن عبد الله إلى نجران ، وبعث بعبد الله بن ثور ؛ أحد بني الغوث إلى ناحية جرّش ، وبعث عياض بن غنم الفهري إلى دومة الجندل ؛ وكان بالشام أبو عبيدة وشريحبيل بن حسنة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ؛ كل رجل منهم على جند ، وعليهم خالد ابن الوليد .

قال أبو جعفر : وكان رضى الله عنه سخياً ليئناً ، عالماً بأنساب العرب ؛ وفيه يقول خفاف بن ندبة - وندبة أمه ، وأبوه عمير بن الحارث - في مرثيته
أبا بكر :

أبْلَجُ ذُو عُرْفٍ وَذُو مُنْكَرٍ مُقَسِّمُ الْمَعْرُوفِ رَحْبُ الْفِنَاءِ^(١)
لِلْمَجْدِ فِي مَنْزِلِهِ بَادِيًا حَوْضُ رَفِيعٍ لَمْ يَخْنُهُ الْإِزَاءُ
وَاللَّهِ لَا يُدْرِكُ أَيَّامَهُ ذُو مِزْرٍ حَافٍ وَلَا ذُو رِدَاءِ
مَنْ يَسْعَ كَيْ يُدْرِكَ أَيَّامَهُ يَجْتَهِدُ الشَّدَّ بِأَرْضِ فِضَاءِ

وكان - فيما ذكر الحارث ، عن ابن سعد ، عن عمرو بن الهيثم أبي قطن ؛ قال : حدثنا الربيع عن حبيّان الصائغ ، قال : كان نقش خاتم أبي بكر رحمه الله : « نعم القادر الله » .

قالوا : ولم يعيش أبو قحافة بعد أبي بكر إلا سنة أشهر وأياماً ؛ وتوفى في المحرم سنة أربع عشرة بمكة ؛ وهو ابن سبع وتسعين سنة .

(١) الأبيات في الكامل للمبرد ٣ : ٧٦ - بشرح المرصفي ؛ مع اختلاف في الرواية .

[ذكر استخلافه عمر بن الخطاب]

وعقد أبو بكر في مرضته التي توفيت فيها لعمر بن الخطاب عقد الخلافة من بعده .

وذكر أنه لما أراد العتق له دعاً عبد الرحمن بن عوف ؛ فيما ذكر ابن سعد ، عن الواقدي ، عن ابن أبي سبرة ، عن عبد المجيد بن سهيل ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ؛ قال : لما نزل بأبي بكر رحمه الله الوفاة دعا عبد الرحمن بن عوف ، فقال : أخبرني عن عمر ، فقال : يا خليفة رسول الله ، هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل ؛ ولكن فيه غلظة . فقال أبو بكر : ذلك لأنه يراني رقيقاً ، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيراً مما هو عليه . ويا أبا محمد قد رمقته ، فرأيتني إذا غضبتُ على الرجل في الشيء أراني الرضا عنه ، وإذا لنتُ له أراني الشدة عليه ؛ لا تذكر يا أبا محمد مما قلت لك شيئاً ، قال : نعم . ثم دعا عثمان بن عفان ، قال : يا أبا عبد الله ، أخبرني عن عمر ، قال : أنت أخبر به ، فقال أبو بكر : على ذلك يا أبا عبد الله ! قال : اللهم علمي به أن سريره خير من علانيته ؛ وأن ليس فينا مثله . قال أبو بكر رحمه الله : رحمك الله يا أبا عبد الله ، لا تذكر مما ذكرتُ لك شيئاً ، قال : أفعل ، فقال له أبو بكر : لو تركته ما عدوتك ، وما أدري لعله تاركه ، والخيرة له ألا يلي من أموركم شيئاً ، ولوددتُ أني كنتُ خلواً من أموركم ؛ وأنى كنتُ فيمن مضى من سلفكم ؛ يا أبا عبد الله ، لا تذكرن مما قلتُ لك من أمر عمر ، ولا مما دعوتك له شيئاً^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا يونس بن عمرو ، عن أبي السفر ، قال : أشرف أبو بكر على الناس من كنيه وأسماء ابنة عميس ممسكته ، موشومة اليدين ، وهو يقول : أترضون بمن أستخلف عليكم ؟ فإنني والله ما ألوتُ من جهنم الرأي ، ولا وليتُ ذا قرابة ، وإنني قد استخلفتُ عمر بن الخطاب ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فقالوا : سمعنا وأطعنا .

(١) طبقات ابن سعد ٣ : ١٩٩ ، مع اختلاف في الرواية .

حدَّثني عثمان بن يحيى ، عن عثمان القرقيساني ، قال : حدثنا سفيان ابن عيينة ، عن إسماعيل ، عن قيس ، قال : رأيتُ عمرَ بن الخطاب وهو يجلس والناس معه ، وبيده جريدة ، وهو يقول : أيُّها الناس ، اسمعوا وأطيعوا قولَ خليفةِ رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ إنَّه يقول : إنِّي لم آلكم نصْحاً . قال : ومعه مولَى لأبي بكرٍ يقال له : شديد ، معه الصحيفة التي فيها استخلاف عمر .

قال أبو جعفر : وقال الواقدي : حدَّثني إبراهيم بن أبي النضر ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، قال : دعا أبو بكر عثمان خالياً ، فقال : اكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين ؛ أمّا بعد . قال : ثمّ أغميَ عليه ، فذهب عنه ، فكتب عثمان : أمّا بعد ؛ فلاني قد استخلفتُ عليكم عمرَ بن الخطاب ، ولم آلكم خيراً منه ، ثمّ أفاق ٢١٣٩/١ أبو بكر ، فقال : اقرأ عليّ ، فقرأ عليه ، فكبر أبو بكر (١) ، وقال : أراك خيفتَ أن يختلف الناس إن افتُلتتُ نفسي في غشيتي ! قال : نعم ، قال : جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله ، وأقرها أبو بكر رضي الله عنه من هذا الموضع .

حدَّثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدَّثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، قال : حدَّثنا الليث بن سعد ، قال : حدَّثنا علوان ، عن صالح بن كيسان ، عن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، أنَّهُ دخل على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في مرضه الذي توفّي فيه ؛ فأصابه مهتماً ، فقال له عبد الرحمن : أصبحت والحمد لله بارئاً ! فقال أبو بكر رضي الله عنه : أتراه ؟ قال : نعم ، قال : إنِّي وليتُ أمركم خيركم في نفسي ؛ فكلتكم وريمَ أنفهِ من ذلك ، يريد أن يكون الأمر له دونه ؛ ورأيتم الدنيا قد أقبلت ولما تقبل ، وه ، مقبلة حتى تتخذوا ستور

(١) ز : « فقال بعد ما كبر » .

الحرير ونضائد^(١) الديباج ، وتألّموا^(٢) الاضطجاع على الصوف الأذري^(٣) ؛
 كما يألّم أحدكم أن ينام على حسك^(٤) ؛ والله لأن يقدم أحدكم فتضرب
 عنقه في غير حد خير له من أن يخوض في غمرة الدنيا وأنتم أول
 ضالّ بالناس غدًا ، فتصدونهم عن الطريق يمينًا وشمالًا . يا هادي الطريق ،
 إنّما هو الفجر أو البجر^(٥) ، فقلت له : خفّض عليك رحمك الله ؛ فإن
 هذا يهيفك^(٦) في أمرك . إنّما الناس في أمرك بين رجلين : إمّا رجل رأى
 ما رأيت فهو معك ، وإمّا رجل خالفك فهو مشير عليك وصاحبك كما
 تحب ؛ ولا نعلمك أردت إلاخيرًا ، ولم تزل صالحًا مصلحًا ، وأنتك لا تأسي
 على شيء من الدنيا^(٧) .

قال أبو بكر رضي الله عنه : أجتلّ ، إني لا آسي على شيء من
 الدنيا إلاّ على ثلاث فعلتُهنّ ووددت أني تركتُهنّ ، وثلاث تركتُهنّ
 ووددت أني فعلتُهنّ ؛ وثلاث ووددت أني سألتُ عنهنّ رسولَ الله صلّى الله
 عليه وسلّم . فأما الثلاث اللاتي ووددت أني تركتُهنّ ؛ فوددت أني لم
 أكشف بيتَ فاطمة عن شيء . وإن كانوا قد غلقوه على الحرب ، ووددت
 أني لم أكن حرّقتُ الفجاءة السلمي ، وأنّي كنت قتلته سريحًا أو خليته
 نجيحًا . ووددت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنتُ قذفتُ الأمر في عنق أحد
 الرجلين - يريد عمر وأبا عبيدة - فكان أحدهما أميرًا ؛ وكنت وزيرًا . وأمّا
 اللاتي تركتُهنّ ؛ فوددت أني يوم أتيتُ بالأشعث بن قيس أسيرًا كنتُ

(١) قال أبو العباس المبرد : « نضائد الديباج ، واحدها نضيدة ؛ وهي الوسادة ، وما ينضد
 من أفتاح » . (٢) الكامل : « وتألّم » . (٣) كذا وردت الرواية في الطبري ، منسوب
 إلى أذربيجان ؛ جريا على انقياس ؛ وفي رواية الكامل : « الأذري » ؛ وقال في شرحه : « فهذا
 منسوب إلى أذربيجان وكذلك تقول العرب . » (٤) في الكامل : « على حسك السعدان » ؛
 والسعدان : نبت كثير الحسك تأكله الإبل فتسمن عليه . (٥) ط : « البحر » ؛ والرواية
 الجيدة ما أثبتتها من الكامل ، والبجر : الأمر العظيم ؛ قال أبو العباس : « يقول : إن انتظرت
 حتى يضيء لك الفجر الطريق أبصرت قصدك ، وإن خبطت الظلما وركبت المشوا هجما بك
 على المكروه ، وضرب ذلك مثلا لغمرات الدنيا وتحبير أهلها » . (٦) قال أبو العباس :
 « وقوله : يهيفك ؛ مأخوذ من قولهم : هيف العظم ؛ إذا جبر ثم أصابه شيء ، فأذاه فكسره ثانية » .
 (٧) الخبر إلى هنا في الكامل ١ : ٥٤ ، ٥٥ - بشرح المرصفي ؛ في رواية مخالفة .

ضربت عنقه . فإنه تخيّل إلى أنه لا يرى شرّاً إلاّ أعان عليه . ووددت
 أني حين سيرتُ خالد بن الوليد إلى أهل الردّة ؛ كنت أقمت بذي القمصّة ؛
 فإن ظفّير المسلمون ظفّروا ، وإن هُزموا كنت بصدد لقاء أو مددًا . ووددت
 أني كنت إذ وجهت خالد بن الوليد إلى الشام كنتُ وجهتُ عمر بن الخطاب
 إلى العراق ؛ فكنت قد بسطتُ يديّ كليهما في سبيل الله - ومدّ يديه -
 ووددتُ أني كنتُ سألتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم : لمن هذا الأمر؟
 فلا ينازعه أحد ؛ ووددتُ أني كنتُ سألتُه : هل للأنصار في هذا الأمر
 نصيب ؟ ووددتُ أني كنتُ سألتُه عن ميراث ابنة الأخ والعَمّة ؛ فإن
 في نفسي منهما شيئًا .

قال لي يونس : قال لنا يحيى : ثمّ قدِم علينا عدوان بعد وفاة اللَّيْث ،
 فسألته عن هذا الحديث ، فحدّثني به كما حدّثني الليث بن سعد حرّرفًا
 حرّرفًا ؛ وأخبرني أنه هو حدّث به الليث بن سعد ، وسألته عن اسم أبيه ،
 فأخبرني أنه علوان بن داود .

وحدّثني محمد بن إسماعيل المرادي ، قال : حدّثنا عبد الله بن صالح
 المصري ، قال حدّثني اللَّيْث ، عن علوان بن صالح . عن صالح بن كيسان ،
 عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ؛ أن أبا بكر الصديق رضي الله
 عنه ، قال - ثمّ ذكر نحوه ، ولم يقل فيه : « عن أبيه » .

•••

قال أبو جعفر : وكان أبو بكر قبل أن يشتغل بأمر المسلمين تاجرًا ،
 وكان منزله بالسُّنح ، ثمّ تحوّل إلى المدينة . فحدّثني الحارث ، قال : حدّثنا
 ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن
 أبي سبيرة ، عن مروان بن أبي سعيد بن المعلّى ، قال : سمعتُ سعيد بن
 المسيّب . قال : وأخبرنا موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن
 عبد الرحمن بن صبيحة التميمي ، عن أبيه ، قال . وأخبرنا عبيد الله بن عمر ،
 عن نافع عن ابن عمر ، قال : وأخبرنا محمد بن عبد الله ، عن الزهري ،
 عن عروة ، عن عائشة ، قال : وأخبرنا أبو قدامة عثمان بن محمد ، عن

أبي وجزة ، عن أبيه ؛ قال . وغير هؤلاء أيضاً قد حدثني ببعضه^(١) ، فدخل
حديث بعضهم في حديث بعض ، قالوا : قالت عائشة : كان منزل أبي
بالسُّنح عند زوجته حبيبة ابنة خارجة بن زيد بن أبي زهير من بني الحارث
ابن الخزرج ، وكان قد حجّر عليه حُجرة من سَعَف ؛ فما زادَ على ذلك
حتى تحوّل إلى منزله بالمدينة ؛ فأقام هناك بالسُّنح بعد ما بويع له ستّة
أشهر ، يغدو على رجليه إلى المدينة ، وربما ركب على فرس له ، وعليه
إزار ورياء ممشّق ، فيوافي المدينة فيصلّي الصلّوات بالنّاس ، فإذا صلّي
العشاء ؛ رجع إلى أهله بالسُّنح ؛ فكان إذا حضّر صلّي بالناس وإذا لم
يحضّر صلّي بهم عمر بن الخطاب . قال : فكان يُقيم يوم الجمعة صدر
النّهار بالسُّنح يصبغ رأسه ولحيته ثم يروح لقمدر^(٢) الجمعة ، فيُجمّع بالنّاس .
وكان رجلاً تاجراً ، فكان يغدو كلّ يوم إلى السوق ، فيبيع ويبتاع ؛ وكانت
له قطعة غنم تروح عليه ؛ وربما خرج هو بنفسه فيها ؛ وربما كُفيتها
فرُعيت له ، وكان يحلب للحى أغنامهم ، فلما بويع له بالخلافة قالت جارية
من الحى : الآن لا تُحلب لنا منائح دارنا ، فسمعها أبو بكر ، فقال :
بلى لعمري لأحلبنها لكم ؛ وإنى لأرجو ألاّ يغيّرني ما دخلت فيه عن
خُلُق كنت عليه . فكان يحلب لهم ، فربما قال للجارية من الحى : يا جارية
أتحبين أن أرعى لك ، أو أصرّح ؟ فربما قالت : أرع ، وربما قالت :
صرّح ؛ فأى ذلك قالته فعل ؛ فكث كذلك بالسُّنح ستّة أشهر ؛ ثم نزل
إلى المدينة ، فأقام بها ، ونظّر في أمره ، فقال : لا والله ، ما تصلح أمور
الناس التّجارة ، وما يصلحهم إلاّ التفرُّغ لهم والنظر في شأنهم ، ولا بدّ
لعيالى مما يصلحهم . فترك التّجارة واستنق من مال المسلمين ما يصلحه
ويصلح عياله يوماً بيوم ، ويحجّ ويعتمر . وكان الذى فرضوا له فى كلّ
سنة ستّة آلاف درهم ؛ فلما حضرته الوفاة ، قال : رُدُّوا ما عندنا من مال
المسلمين ؛ فإنى لا أصيبُ من هذا المال شيئاً ، وإن أرضى التّى بمكان كذا
وكذا للمسلمين بما أصبت من أموالهم ؛ فدفع ذلك إلى عمر ، ولقوحاً وعبداً

(١) ز : « بعضه » . (٢) س : « بقدر » .

صَيْقِلًا^(١)، وقطيفة ما تُساوي خمسة دراهم ؛ فقال عمر : لقد أتعب من بعده .

وقال علي بن محمد - فيما حدثني أبو زيد عنه في حديثه عن القوم الذين ذكرت روايته عنهم - قال أبو بكر : انظروا كم أنفقت منذ ولّيت من بيت المال فاقضوه عني . فوجدوا مبلغه ثمانية آلاف درهم في ولايته .

حدثنا ابن حميد . قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن القاسم بن محمد ، عن أسماء ابنة عُمَيْس ، قالت : دخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر ، فقال : استخلفت على الناس عمر . وقد رأيت ما يلقي الناس منه وأنت معه ؛ فكيف به إذا خلا بهم ! وأنت لاق ربك فسائلك عن رعيّتك . فقال أبو بكر - وكان مضطجعاً : أجلسوني . فأجلسوه ، فقال لطلحة : أبالله تفرقتي^(٢) - أو أبالله تخوفني - إذا لقيت الله ربي فساءلني قلت : استخلفت على أهلك خيراً أهلك .

حدثنا ابن حميد . قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن عبد الرحمن بن الحصين بمثل ذلك .

قال أبو جعفر : قد تقدم ذكرنا وقت عقد أبي بكر لعمر بن الخطاب الخلافة ، ووقت وفاة أبي بكر ، وأن عمر صلّى عليه ، وأنه دفن ليلة وفاته قبل أن يصبّح الناس . فأصبح عمر صبيحة تلك الليلة ، فكان أول ما عمل وقال -- فيما ذكر - ما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو بكر بن عيَّاش ، عن الأعمش ، عن جامع بن شدّاد . عن أبيه ؛ قال : لما استخلف عمر صعيد المنبر ، فقال : إني قائل كلمات فأمّنوا عليهن ، فكان أول منطلق نطق به حين استخيف - فيما حدثني أبو السائب ، قال : حدثنا ابن فضيل . عن ضرار^(٣) . عن حصين المرّي ، قال : قال عمر : إنّما مثّل العرب مثل جمل أنيف اتبع قائده ، فلينظر قائده حيث يقود ؛ وأمّا أمّا فورب الكعبة لأحملنّهم على الطريق .

(١) الصيقل : سحاذ السيوف وجلابها .

(٢) تفرقتي : تخريفتي .

(٣) كذا في ز .

حدثنا عمر ، قال : حدثني عليّ ، عن عيسى بن يزيد ، عن صالح بن
 كيسان ، قال : كان أول كتاب كتبه عمر حين وُلّي إلى أبي عبيدة يولّيه على جند
 خالد : أوصيك بتقوى الله الذي يبقّي ويفنّي ما سواه ؛ الذي هدانا من
 الضلالة ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور . وقد استعملتك على جُند خالد
 ابن الوليد ، فقم بأمرهم الذي يحقّ عليك ، لا تُقدّم^(١) المسلمين إلى هلكة رجاء
 غنيمة ؛ ولا تُنزلهم^(٢) منزلاً قبل أن تستريده لهم ؛ وتعلم كيف ماتاه ؛
 ولا تبعث سرّية إلا في كشف^(٣) من الناس ؛ وإيّاك وإلقاء المسلمين في
 الهلكة ، وقد أبلاك الله بي وأبلاني بك ؛ فغمّضْ بصرَكَ عن الدنيا ، وألْهِ
 قلبك عنها ؛ وإيّاك أن تُهليكَ كما أهلكت من كان قبلك ، فقد رأيت
 مصارعهم .

•••

[ذكر غزوة فيحل وفتح دمشق]

حدثني عمر ، عن عليّ بن محمد ، بإسناده ، عن النضر الذين ذكرت
 روايتهم عنهم في أول ذكرى أمر أبي بكر ؛ أنّهم قالوا : قدِم بوفاء أبي بكر
 إلى الشام شدّاد بن أوس بن ثابت الأنصاريّ ومحمّية بن جزيّ ،
 ويرفأ ؛ فكتبوا الخبرَ الناس حتى ظفروا المسلمون - وكانوا بالياقوصة يقاتلون
 عدوهم من الروم ؛ وذلك في رجب - فأخبروا أبا عبيدة بوفاء أبي بكر وولايته
 حرب الشام ، وضمّ عمر إليه الأمراء ، وعزل خالد بن الوليد .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
 لما فرغ المسلمون من أجنادين ساروا إلى فيحل من أرض الأردن ؛ وقد
 اجتمعت فيها رافضة الروم ، والمسلمون على أمرائهم وخالد على مقدّمة الناس .
 فلما نزلت الروم بيسان بثقوا أنهارها ؛ وهي أرض مَبْبِخَة ، فكانت وحلاً ،
 ونزلوا فيحلاً - وبيسان بين فلسطين وبين الأردن - فلما غشيها المسلمون ولم

(٢) س : « ولا تنزلهم » .

(١) ز : « تقدّم » .

(٣) الكشف : الجماعة من الناس .

يعلموا بما صنعت الروم ، وحلت خيولهم ، ولقوا فيها عتاءً ، ثم سلمهم الله - وسُميت بَيْسَان ذات الرَدْغَةِ (١) لما لقي المسلمون فيها - ثم نهضوا إلى الروم وهم بِفِحْلٍ ؛ فاقتتلوا فهزمت الروم ، ودخل المسلمون فِحْلًا ولحقت رافضة الروم بدمشق ؛ فكانت فِحْلٌ في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة ، على ستة أشهر من خلافة عمر . وأقام تلك الحجَّة للناس عبد الرحمن بن عوف . ثم ساروا إلى دمشق وخالد على مقدِّمة الناس ؛ وقد اجتمعت الروم إلى رجل منهم يقال له باهان بدمشق - وقد كان عمر عزل خالد بن الوليد واستعمل أبا عبيدة على جميع الناس - فالتقى المسلمون والروم فيما حول دمشق ، فاقتتلوا قتالا شديدًا ، ثم هزم الله الروم ، وأصاب منهم المسلمون ، ودخلت الروم دمشق ؛ فغلَّقوا أبوابها وجثم (٢) المسلمون عليها فربطوها حتى فتحت دمشق ، وأعطوا الجزية ، وقد قدم الكتاب على أبي عبيدة بإمارته وعزل خالد ، فاستحيا أبو عبيدة أن يقرئ خالدًا الكتاب حتى فتحت دمشق ؛ وجرى الصُّلْح على يدى خالد ؛ وكتب الكتاب باسمه . فلما صالحت دمشق لحق باهان - صاحب الروم الذى قاتل المسلمين - بهرقل . وكان فتح دمشق في سنة أربع عشرة في رجب ، وأظهر أبو عبيدة إمارته وعزل خالد ؛ وقد كان المسلمون ، التقوا هم والروم ببلد يقال له عَيْن فِحْل بين فلسطين والأردن ، فاقتتلوا به قتالا شديدًا ، ثم لحقت الروم بدمشق .

٢١٤٧/١

وأما سيف - فيما ذكر السرى ، عن شعيب ، عنه ، عن أبي عثمان ، عن خالد وعبادة - فإنه ذكر في خبره أن البريد قدم على المسلمين من المدينة بموت أبي بكر وتأمير أبي عبيدة ؛ وهم باليرموك ؛ وقد التحم القتال بينهم وبين الروم . وقص من خبر اليرموك وخبر دمشق غير الذى اقتصه ابن إسحاق ؛ وأنا ذاكر بعض الذى اقتص من ذلك :

كتب إلى السرى ، عن شعيب . عن سيف ، عن محمد ، عن أبي عثمان ، عن أبي سعيد ، قال : لما قام عمر رضى عن خالد بن سعيد والوليد بن عقيب فآذِن لهما بدخول المدينة ، وكان أبو بكر قد منعهما لفرتهما التى فرآها وردّهما

(١) الردغة : الوحل الشديد .

(٢) س : « وخيم » .

إلى الشام، وقال : ليلغني عنكما غناء (١) أبليكما بلاءً ؛ فانضمنا إلى أي
أمرائنا أحببنا ؛ فلحقا بالناس فأبليا وأغنيا .

• • •

• خبر دمشق من رواية سيف :

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان ، عن خالد
وعبادة ؛ قالا : لما هزم الله جنود اليرموك ، وهافت أهل الواقعة وفرغ
من المقاسم والأثقال (٢) ، وبُعِثَ بالأخماس وسُرِّحت الوفود ، استخلف
أبو عبيدة على اليرموك بشير بن كعب بن أبي الحميري كَيْلًا يُغْتال ٢١٤٨/١
بردة ؛ ولا تقطع الروم على موادته ، وخرج أبو عبيدة حتى ينزل بالصفراء ؛
وهو يريد إتباع الفالّة ؛ ولا يدري يجتمعون أو يفترون (٣) ؛ فاتاه الخبر بأنهم
أرزوا إلى فيحل ، وأتاه الخبر بأن المدد قد أتى أهل دمشق من
حمص ، فهو لا يدري أبادمشق يبدأ أم بفحل من بلاد الأردن . فكتب في
ذلك إلى عمر ، وانتظر الجواب ، وأقام بالصفراء ، فلما جاء عمر فتح اليرموك
أقرّ الأمراء على ما كان استعملهم عليه أبو بكر إلا ما كان من عمرو بن
العاص وخالد بن الوليد ، فإنه ضمّ خالدًا إلى أبي عبيدة ، وأمر عمرًا بمعونة
الناس ؛ حتى يصير الحرب إلى فلسطين ، ثم يتولّى حربها .

• • •

وأما ابن إسحاق ؛ فإنه قال في أمر خالد وعزل عمر إياه ما حدثنا
محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة عنه ، قال : إنما نزع عمر خالدًا في
كلام كان خالد تكلم به - فيما يزعمون - ولم يزل عمر عليه ساخطًا ولأمره
كارهًا في زمان أبي بكر كته ، لوقعته بابن نؤيرة ، وما كان يعمل به في حربه ؛
فلما استخلف عمر كان أول ما تكلم به عزله ، فقال : لا يلي لي عملاً أبدًا ؛
فكتب عمر إلى أبي عبيدة : إن خالد أكذب نفسه فهو أمير على ما هو عليه ؛
وإن هو لم يكذب نفسه فأنت الأمير على ما هو عليه ؛ ثم انزع عمامته عن

(٢) ز : « والأثقال » .

(١) ط : « غناء » .

(٣) ابن حبش « يجتمعون » .

رأسه ، وقاسمه ماله نصفين . فلما ذكر أبو عبيدة ذلك لخالد ، قال : أنظيرني ٢١٤٩/١
 أستشر^(١) أختي في أمري ، ففعل أبو عبيدة ؛ فدخل خالد على أخته فاطمة
 بنت الوليد - وكانت عند الحارث بن هشام - فذكر لها ذلك ، فقالت :
 والله لا يحبك عمر أبداً ، وما يريد إلا أن تكذب نفسك ثم يتزعمك . فقبل
 رأسها وقال : صدقتِ والله ! فتمّ على أميره ، وأبى أن يكذب نفسه . فقام
 بلال مولى أبي بكر إلى أبي عبيدة ، فقال : ما أمرت به في خالد ؟ قال :
 أمرت أن أنزع عمامته ، وأقاسمه ماله . فقاسمه ماله حتى بقيت نعلاه ،
 فقال أبو عبيدة : إن هذا لا يصلح إلا بهذا ، فقال خالد : أجل ، ما أنا
 بالذي أعصي أمير المؤمنين ؛ فاصنع ما بدا لك ! فأخذ نعلًا وأعطاه نعلًا .
 ثم قدم خالد على عمر المدينة حين عزله .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ،
 عن محمد بن عمر بن عطاء ، عن سليمان بن يسار ، قال : كان عمر
 كلما مرّ بخالد قال : يا خالد ، أخرج مال الله من تحت استك ، فيقول :
 والله ما عندي من مال ؛ فلما أكثر عليه عمر قال له خالد : يا أمير المؤمنين ،
 ما قيمة ما أصبت في سلطانكم ! أربعين ألف درهم ! فقال عمر : قد أخذتُ
 ذلك منك بأربعين ألف درهم ، قال : هو لك ، قال : قد أخذته . ولم يكن
 لخالد مال إلا عدة ورقيق ، فحسب ذلك ، فبلغت قيمته ثمانين ألف درهم
 فناصفه عمر ذلك ، فأعطاه أربعين ألف درهم ، وأخذ المال . فقيل له :
 يا أمير المؤمنين ، لوردت على خالد ماله ! فقال : إنما أنا تاجر للمسلمين ، ٢١٥٠/١
 والله لا أردّه عليه أبداً . فكان عمر يرى أنه قد اشتفى من خالد حين صنع
 به ذلك .

• • •

رجع الحديث إلى حديث سيف^(٢) ، عن أبي عثمان ، عن خالد وعبادة ،
 قالا : ولما جاء عمر الكتاب عن أبي عبيدة بالذي ينبغي أن يبدأ به كتب إليه :
 أمّا بعد ؛ فابدعوا بدمشق ، فانهدوا لها ؛ فإنها حصن الشام وبيت

(١) س : « أستشر » .

(٢) أنظر أوله في الصفحة السابقة .

مملكتهم ، واشغلوا عنكم أهلَ فِجَلٍ بخيلٍ تكون بلائهم في نحورهم وأهل فلسطين وأهل حِمْنَص ؛ فإن فتحها الله قبل دمشق فذآك اللذی نحب ، وإن تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق فليترل بدمشق من يمسك^(١) بها ، ودعوها ، وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تُغيروا على فِجَلٍ ؛ فإن فتح الله عليكم فانصرف أنت وخالد إلى حِمْنَص ، ودع شُرْحَبِيلَ وعمراً وأخليهما بالأردن وفلسطين ، وأمير كل بلد وجنود على الناس حتى يخرجوا من إمارته . فسرح أبو عبيدة إلى فِجَلٍ عشرة قواد : أبا الأعور السُلَمِي ، وعبد عمرو بن يزيد بن عامر الجُرَشِي ، وعامر بن حشمة ، وعمرو بن كليب من بَخْصَب ، وعُمارة بن الصعيق بن كعب ، وصَيْفِي بن عُلْبَةَ بن شامل ، وعمرو بن الحبيب بن عمرو ، ولبدة بن عامر بن خَشَعْمَةَ ، وبِشْرَ بن عَصْمَةَ ، وعُمارة بن مُخَشَّ قائد الناس ؛ ومع كل رجل خمسة قواد ؛ وكانت الرؤساء تكون من الصحابة حتى لا يجدوا من يحتمل ذلك منهم ، فساروا من الصُفْرَ حتى نزلوا قريباً من فِجَلٍ ، فلما رأت الروم أن الجنود تريدنهم بثقوا المياه حولَ فِجَلٍ ، فأردغت^(٢) الأرض ، ثم وحلت ، واغتم المسلمون من ذلك ، فحبسوا عن المسلمين بها ثمانين ألف فارس . وكان أول محصور بالشام أهل فِجَلٍ ، ثم أهل دمشق . وبعث أبو عبيدة ذا الكلاع حتى كان بين دمشق وحِمْنَص رداءً . وبعث علقمة بن حكيم ومَسْرُوقًا فكانا بين دمشق وفلسطين ، والأمير يزيد . ففصل ، وفصل بأبي عبيدة من المرج ؛ وقدّم خالد بن الوليد ، وعلى مجنبتيه عمرو وأبو عبيدة وعلى الخليل عياض ، وعلى الرَّجَلِ شُرْحَبِيلَ ، فقدِموا على دمشق ، وعليهم نسطاس بن نُسْطُورس^(٣) ؛ فحصرُوا أهلَ دمشق ، ونزلوا حوليها ، فكان أبو عبيدة على ناحية ، وعمرو على ناحية ، ويزيد على ناحية ، وهِرَقل يومئذ بِحِمْنَص ، ومدينة حِمْنَص بينه وبينهم . فحاصروا أهلَ دمشق نحواً من سبعين ليلة حصاراً شديداً بالزُّحُوفِ والتَّرامِيِ والمجانيق ؛ وهم معتصمون

٢١٥١/١

٢١٥٢/١

(١) من وابن حبش : « تمسك » .

(٢) أردغت الأرض : كثر رداغها ، والرداغ : الوحل الشديد .

(٣) كذا في ط ، وانظر ص ٤٤٣ س ٥ من هذا الجزء .

بالمدينة يرجون الغياث ، وهيرقل منهم قريب وقد استمدّوه . وذو الكلاع بين المسلمين وبين حِمْنَص على رأس ليلة من دمشق ؛ كأنه يريد حِمْنَص ، وجاءت خيولُ هيرقل مغِيثَةً لأهل دمشق ، فأشجتها الخيول التي مع ذي الكلاع ، وشغلتها عن النَّاس ، فأرزوا ونزّلوا بإزائه ، وأهلُ دمشق على حالهم . فلَمَّا أيقن أهلُ دمشق أنَّ الأمداد لا تصلُ إليهم فشيّلوا ووهنوا وأبلسوا^(١) وازداد المسلمون طمعاً فيهم ؛ وقد كانوا يرون أنها كالغارات قبل ذلك ؛ إذا هجم البرد قفل الناس ، فسقط النَّجم والقوم مقيمون ؛ فعند ذلك انقطع رجاؤهم ، وندموا على دخول دمشق ، ووَلِدَ للبَطْرِيق^(٢) الَّذِي دخل على أهل دمشق مولودٌ ؛ فصنع^(٣) عليه ، فأكل القوم وشربوا ، وغفلوا عن مواقفهم ؛ ولا يشعر بذلك أحدٌ من المسلمين إلا ما كان من خالد ؛ فإنه كان لا ينام ولا يُنيم ، ولا يخفى عليه من أمورهم شيء ؛ عيونُه ذاكية وهو معنى بما يليه ، قد اتَّخذ حبّالاً كهَيْبَةَ السلايم وأَوْهَاقًا^(٤) فلَمَّا أمسى من ذلك اليوم نهَّد^(٥) ومنَّ معه من جنده الذين قدم بهم عليهم ، وتقدّمهم هو والقعقاع بن عمرو ، ومدعور بن عدى ، وأمثاله من أصحابه في أول يومه ، وقالوا : إذا سمعتم تكبيرنا على السُّور فارقوا إلينا ، وانتهدوا للباب . فلما انتهى إلى الباب الذي يليه هو وأصحابه المتقدّمون رمّوا بالحبال الشرف وعلى ظهورهم القيرب التي قطعوا بها خنادقهم . فلَمَّا ثبت لهم وهقان تسلق فيهما القعقاع ومدعور ، ثم لم يدعوا أحبولةً إلا أثبتاها - والأوهاق بالشرف - وكان المكان الذي اقتحموا منه أحصن مكان يحيط بدمشق ، أكثره ماءً ، وأشدّه مدخلا ، وتوافوا لذلك ، فلم يبقَ ممن دخل معه أحدٌ إلا رقى أو دنا من الباب ؛ حتى إذا استَووا على السُّور حنَّدرَ عامَّةَ أصحابه ، وانحدَر معهم ؛ وخلف

(١) أبلسوا : تحيروا .

(٢) البَطْرِيق ، بكسر الباء ؛ قال صاحب القاموس : « هو القائد من قواد الروم » ، وفي المغرب : « ولما سمعت العرب أن البطارقة أهل رياضة صاروا يصنِّون الرئيس بالبَطْرِيق » .

(٣) صنع ، يريد أولم .

(٤) الأوهاق : جمع وهق ، بالتحريك : الحبل في طرفيه أنشودة يطرح في عنق اللدابة أو الإنسان حتى يؤخذ .

(٥) نهَّد الرجل : نهض ومضى على كل حال ؛ بخلاف النوم فإنه يكون عن قعود .

مَنْ يَحْمِي (١) ذلك المكان لمن يرتقى، وأمرهم بالتكبير، فكبر الذين على رأس السور، فنهت المسلمون إلى الباب، ومال إلى الحبال بشر كثير، فوثبوا فيها، وانتهى خالد إلى أول مَنْ يليه فأنامهم، وانحدر إلى الباب، فقتل البوابين، وثار أهل المدينة، وفرح سائر الناس؛ فأخذوا مواقتهم، ولا يدرون ما الشأن! وتشاغل أهل كل ناحية بما يليهم، وقطع خالد بن الوليد ومن معه أغلاق الباب بالسيوف، وفتحوا للمسلمين، فأقبلوا عليهم من داخل، حتى ما بقي مما يلي باب خالد مقاتل إلا أنيم. ولما شد خالد على مَنْ يليه؛ وبلغ منهم الذي أراد عشوة أرز من أفلت إلى أهل الأبواب التي تلي غيره؛ وقد كان المسلمون دَعَوْهُمْ إلى المشاطرة (٢) فأبوا وأبعدوا (٣)، فلم يفجأهم إلا وهم يَبْجُحُونَ لهم بالصلح، فأجابوهم وقبلوا منهم، وفتحوا لهم الأبواب، وقالوا: ادخلوا وامنعونا من أهل ذلك الباب. فدخل أهل كل باب بصلح مما يليهم، ودخل خالد مما يليه عشوة، فالتقى خالد والقواد في وسطها؛ هذا استعراضاً وانتهاباً، وهذا صلحاً وتسكيناً؛ فأجروا ناحية خالد في مَجْرَى الصلح، فصار صلحاً، وكان صلح دمشق على المقاسمة، الدينار والعقار، ودينار عن كل رأس، فاقسموا الأسلاب؛ فكان أصحاب خالد فيها كأصحاب سائر القواد، وجترى على الديار ومَنْ بقي في الصلح جريب (٤) من كل جريب أرض؛ ووقف ما كان للملوك ومَنْ صوب معهم فبيناً، وقسموا لذي الكتلاع ومَنْ معه، ولأبي الأعور ومَنْ معه، ولبشير ومَنْ معه، وبعثوا بالبشارة إلى عمر، وقدم على أبي عبيدة كتاب عمر؛ بأن اصرف جند العراق إلى العراق، وأمرهم بالحث إلى سعد بن مالك، فأمر على جند العراق هاشم بن عتبة، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو، وعلى مجنبتيه عمرو بن مالك الزهري وربيعي بن عامر، وضربوا بعد دمشق نحو سعد، فخرج هاشم نحو العراق في جند العراق؛ وخرج القواد نحو فيحل

(٢) ز : « المناظرة » .

(١) س : « حمى » .

(٣) ز : « واتعدوا » .

(٤) الجريب : مقدار من الأرض ؛ ونقل عن قدامة : إنه ثلاثة آلاف وستائة ذراع .

وأصحاب هاشم عشرة آلاف إلا من أصيب منهم ، فأتموهم بأناس ممن لم يكن منهم ؛ ومنهم قيس والأشتر ، وخرج علقمة ومسروق إلى إيلياء ، فترلا على طريقها ، وبقى بدمشق مع يزيد بن أبي سفيان من قواد أهل اليمن عدد ؛ منهم عمرو بن شمر بن غزينة ، وسهيم بن المسافر بن هزيمة ، ومشافع ابن عبد الله بن شافع . وبعث يزيد دحية بن خليفة الكلبي في خيل بعد ما فتح دمشق إلى تدمر ، وأبا الزهراء القشيري إلى البشنيّة وحروران ، فصالحوهما على صلح دمشق ؛ ووليّا القيام على فتح ما بعثنا إليه .

٢١٥٥/١

وقال محمد بن إسحاق : كان فتح دمشق في سنة أربع عشرة في رجب .

وقال أيضاً : كانت وقعة فحل قبل دمشق ؛ وإنما صار إلى دمشق رافضة فحل ، واتبعهم المسلمون إليها . وزعم أن وقعة فحل كانت سنة ثلاث عشرة في ذي القعدة منها ؛ حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عنه .

وأما الواقدي : فإنه زعم أن فتح دمشق كان في سنة أربع عشرة ؛ كما قال ابن إسحاق . وزعم أن حصار المسلمين لها كان ستة أشهر . وزعم أن وقعة اليرموك كانت في سنة خمس عشرة . وزعم أن هرقل جلا في هذه السنة بعد وقعة اليرموك في شعبان من أنطاكية إلى قسطنطينية ، وأنه لم يكن بعد اليرموك وقعة .

قال أبو جعفر : وقد مضى ذكرى ماروي عن سيف ، عمن روى عنه ؛ أن وقعة اليرموك كانت في سنة ثلاث عشرة ؛ وأن المسلمين ورد عليهم البريد بوفاة أبي بكر باليرموك ، في اليوم الذي هزمت الروم في آخره ، وأن عمر أمرهم بعد فراغهم من اليرموك بالمسير إلى دمشق ، وزعم أن فحلاً كانت بعد دمشق ؛ وأن حروباً بعد ذلك كانت بين المسلمين والروم سوى ذلك ، قبل شخص هرقل إلى قسطنطينية ؛ سأذكرها إن شاء الله في مواضعها .

وفي هذه السنة - أعني سنة ثلاث عشرة - وجه عمر بن الخطاب أبا عبيد ابن مسعود الثقفي نحو العراق . وفيها استشهد في قول الواقدي .

٢١٥٦/١

وأما ابن إسحاق؛ فإنه قال : كان يوم الجِيسر، جيسر أبي عبيد بن مسعود
الثَّقَفِيّ في سنة أربع عشرة .

• • •

• ذكر أمر فِجَلٍ من رواية سيف :

قال أبو جعفر : ونذكر الآن أمر فِجَلٍ^(١) إذ كان في الخبر^(٢) الذي
فيه من الاختلاف ما ذكرتُ من فتوح جُنْدِ الشَّامِ . ومن الأمور التي تستنكر
وقوعُ مثل الاختلاف الذي ذكرته في وقته ؛ لقرب بعض ذلك من بعض .
فأما ما قال ابنُ إسحاق من ذلك وقص من قصته ، فقد تقدّم ذكره قبل .

وأما السَّرِيّ فإنه فيما كتب به إلى ، عن شُعَيْب ، عن سيف ، عن
أبي عثمان يزيد بن أسيد الغساني وأبي حارثة العبشمي^(٢) ، قالوا : خلف الناسُ
بعد فتح دمشق يزيد بن أبي سفيان في خيبله في دمشق ، وساروا نحو فِجَلٍ ،
وعلى الناس شُرْحَبِيل بن حسنة ، فبعث خالدًا على المقدمة وأبا عبيدة
وعمرًا على مجنبتيه ، وعلى الحليل ضيرار بن الأزور ، وعلى الرّجل عياض ،
وكرهوا أن يصمدوا لهرقل ، وختلفهم ثمانون ألفًا ، وعلموا أن منّ بإزاء
فِجَلٍ جُنَّةُ الرُّومِ وإليهم ينظرون ، وأن الشام بعدهم سلّم . فلما انتهوا إلى
أبي الأعور ، قدّموه إلى طَبْرِيَّةَ ، فحاصروهم ونزلوا على فِجَلٍ من الأردن ،
وقد كان أهل فِجَلٍ حين نزل بهم أبو الأعور تركوه وأرّزوا إلى بَيْسَانَ -
فتزل شُرْحَبِيل بالناس فِجَلًا ، والرُّوم بَيْسَانَ ، وبينهم وبين المسلمين
تلك المياه والأوحال ، وكتبوا إلى عمر بالخبر ، وهم يحدثون أنفسهم بالمقام ،
ولا يريدون أن يبريموا فِجَلًا حتّى يرجع جواب كتابهم من عند عمر ،
ولا يستطيعون الإقدام على عدوهم في مكانهم لما دونهم من الأوحال ؛ وكانت
العرب تسمى تلك الغزاة فِجَلًا وذات الرّدّعة وبَيْسَانَ . وأصاب المسلمون
من ريف الأردن أفضل ممّا فيه المشركون ؛ مادّتهم متواصلة ، وخصبهم
رغد ؛ فاغترهم القوم ، وعلى القوم سَقَلَار بن مِخْرَاق ؛ ورجوا أن يكونوا

(١-١) كذا في ز ، وفي ط : « إذ كان وإن كان في الخبر » .

(٢) ط : « العتي » ، وانظر التصويبات .

على غيرِه ، فأتوهم والمسلمون لا يأمنون مجيئهم ، فهم على حذر . وكان شرحبيل لا يبيت ولا يصبح إلا على تعبئة . فلما هجموا على المسلمين غافصوهم^(١) ، فلم يناظروهم ، واقتتلوا بفِجَلٍ كأشدّ قتالٍ اقتتلوه قطّ ليلتهم ويومتهم^(٢) إلى الليل ، فأظلم الليلُ عليهم وقد حاروا ، فانهمزوا وهم حيارى . وقد أصيب رئيسهم سَقْلَارُ بن مخرق ؛ والذي يليه فيهم نسطورس ، وظفر المسلمون أحسنَ ظفر وأهنأه ، وركبهم وهم يترّون أنهم على قَصْدٍ وجداد : فوجدوهم حيارى لا يعرفون مأخذهم ، فأسلمتهم هزيمتهم وحيثرتهم إلى الوَحَلِ ، فركبوه ، ولحق أوائل المسلمين بهم ؛ وقد وحلوا فركبهم ؛ وما يمنعون يد لأمس ؛ فوخزّوهم بالرّمّاح ، فكانت الهزيمة في فِجَلٍ ؛ وكان مقتلهم في الرّداغ ، فأصيب الثمانون ألفاً ، لم يُفْلِتْ منهم إلا الشريد ؛ وكان الله يصنع للمسلمين وهم كارهون ، كرهوا البُثوق فكانت عوناً لهم على عدوّهم ، وأناةً من الله ليزدادوا بصيرةً وجِدّاً ، واقتسموا ما أفاء الله عليهم ، وانصرف أبو عبيدة بخالد من فِجَلٍ إلى حِمَص ، وصرفوا سُمَيْرَ بن كعب معهم ، ومضوا بذي الكَلّاع ومن معه ، وخلفوا شرحبيل ومن معه .

• • •

ذكر بيسان

ولما فرغ شرحبيل من وقعة فِجَلٍ نهّد في النَّاسِ ومعه عمرو إلى أهل بَيْسَانَ ، فنزلوا عليهم ، وأبو الأعور والقواد معه على طَبْرِيَّة ، وقد بلغ أفناء أهل الأردن مالقيت دمشق ، وما لى سقلاّر والروم بفِجَلٍ وفي الرّدّغة ، ومسيرُ شرحبيل إليهم ، ومعه عمرو بن العاص والحارث بن هشام وسُهَيْل بن عمرو ؛ يريد بيسان ؛ وتحصّنوا^(٣) بكلّ مكان ، فسار شرحبيل بالنّاس إلى أهل بَيْسَانَ ، فحصرهم أياماً . ثم إنهم خرجوا عليهم فقاتلوهم ، فأناموا من خرج إليهم ، وصالحوا بقيّة أهلها ، فقَبِلَ ذلك على صلح دمشق .

• • •

(١) غافصوهم : فاجثوهم وأخذوهم على غرة .

(٢) ز : « قبل يومهم وليلتهم » .

(٣) ز : « فحاصروهم » .

طَبْرِيَّة

٢١٥٩/١

وبلغ أهل طَبْرِيَّة الخبر ، فصالحوا أبا الأعور ، على أن يبلغهم شُرْحَبِيل ، ففعل ؛ فصالحوهم وأهل بَيْسَانَ على صلح دمشق ؛ على أن يشاطروا المسلمين المنازلَ في المدائن ، وما أحاط بها مما يصلُّها ، فيدعون لهم نصفًا ، ويجمعون في النُّصف الآخر ، وعن كلِّ رأس دينار كلَّ سنة ، وعن كلِّ جريب أرض جَرِيْب بُرٍّ أو شعير ؛ أي ذلك حُرِّث ؛ وأشياء في ذلك صالحوهم عليها ، ونزلت القواد وخبولُهم فيها ، وتمَّ صلح الأردن ، وتفرقت الأمداد في مدائن الأردن وقراها ، وكتب إلى عمر بالفتح .

•••

ذكر خبر المثنى بن حارثة وأبي عبيد بن مسعود

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف بن عمر ، عن محمد بن عبد الله بن سَوَاد وطلحة بن الأعمى وزياد بن سَرَجِس الأحمري بإسنادهم ، قالوا : أول ما عميل به عمر أن ندب الناس مع المثنى بن حارثة الشيباني إلى أهل فارس قبيل صلاة الفجر ، من الليلة التي مات فيها أبو بكر رضي الله عنه ، ثم أصبح فبايع الناس ، وعاد فندب الناس إلى فارس ، وتتابع الناس على البيعة ففرغوا في ثلاث ، كلَّ يوم ينلجهم فلا ينتدب أحد إلى فارس ؛ وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم وأثقلها عليهم ، لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزيمتهم وقهرهم . قالوا : فلمَّا كان اليوم الرابع ؛ عاد فندب الناس إلى العراق ؛ فكان أولَّ منتدب أبو عبيد بن مسعود وسعد بن عبيد الأنصاري حليف بني فزارة ؛ هرب يوم الحسر ، فكانت الوجوه تُعرض عليه بعد ذلك ، فيأبى إلاَّ العراق ، ويقول : إنَّ الله جلَّ وعزَّ اعتدَّ عليَّ فيها بفترة ؛ فلعله أن يردَّ عليَّ فيها كرامة . وتتابع الناس .

كتب إلى السري بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : وتكلم المثنى بن حارثة ، فقال :

بأيها الناس ، لا يَعْظُمَنَّ عَلَيْكُمْ هذا الوجه ؛ فإننا قد تبجبحنا ريف فارس ،
وغلبناهم على خير شِقَى السَّوَادِ وشاطرناهم ونلنا منهم ؛ واجترأ مَنْ قِبلنا
عليهم ؛ ولها إن شاء الله ما بعدها . وقام عمر رحمه الله في الناس ؛ فقال :
إن الحجاز ليس لكم بدار إلاّ على النُّجعة ، ولا يقوى عليه أهله إلاّ بذلك ؛
أين الطُّرَّاء المهاجرون عن . وعود الله ! سيرُوا في الأرض التي وعدكم الله في
الكتاب أن يورثكموها ؛ فإنه قال : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عِلْمِي الدِّينَ كُلَّهُ ﴾ ، والله
مظهر دينه ، ومعزّ ناصره . ومولّى أهله مواريث الأمم . أين عباد الله الصالحون !
فكان أوّل منتدب أبو عبيد بن مسعود ؛ ثم ثنى سعد بن عبيد - أو سَلِيط
ابن قيس - فلماً اجتمع ذلك البعث ؛ قيل لعمر : أمرٌ عليهم رجلا من
السابقين من المهاجرين والأنصار . قال : لا والله لا أفعل ؛ إن الله إنّما رفعكم
بسببكم وسرعتكم إلى العدو ؛ فإذا جِئْتُمْ وكرهتم اللّقاء ؛ فأولى بالرياسة منكم
مَنْ سبق إلى الدفع ، وأجاب إلى الدعاء ؛ والله لا أوثر عليهم إلاّ أولّهم انتداباً .
ثم دعا أبا عبيد ، وسَلِيطاً وسعداً ؛ فقال : أما إنكما لو سبقتماه لوليتكما
ولأدركتما بها إلى مالكما من القُدْمة . فأمر أبا عبيد على الجيش ؛ وقال
لأبي عبيد : اسمع من أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم ، وأشركهم
في الأمر ، ولا تجتهد^(١) مسرعاً حتى تتبين ؛ فإنها الحرب ، والحرب
لا يصلحها إلاّ الرّجل المكيث^(٢) الذي يعرف الفرصة والكف .

وقال رجل من الأنصار : قال عمر رضی الله عنه لأبي عبيد : إنه لم يمنعني
أن أوثر سَلِيطاً إلاّ سرعته إلى الحرب ، وفي التسرع إلى الحرب ضياع إلاّ عن
بيان ، والله لولا سرعته لأمرته ؛ ولكن الحرب لا يصلحها إلاّ المكيث .
كتب إلى السري بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن
عمر ، عن المجالد ، عن الشعبي ، قال : قدّم المشنى بن حارثة على أبي بكر
سنة ثلاث عشرة ؛ فبعث معه بعثاً قد كان نلّهم ثلاثاً ؛ فلم ينتدب له أحد
حتى انتدب^(٣) له أبو عبيد ثم سعد بن عبيد ، وقال أبو عبيد حين انتدب :

(١) م . « تجتهد » ، ابن حبيش : « لا تجبين » .

(٢) المكيث : الرزين لا يعجل .

(٣) انتدب : خف وأسرع .

أنا لَهَا ، وقال سعد : أنا لَهَا ؛ لَفَعَلَةٌ فَعَلَهَا . وقال سَلَيْط : فقيل لعمر : أَمَرٌ عَلَيْهِمْ رَجُلًا لَهُ صَحْبَةٌ ، فقال عمر : إِنَّمَا فَضَّلَ الصَّحَابَةَ بِسُرْعَتِهِمْ إِلَى الْعَدُوِّ وَكِفَايَتِهِمْ مَنْ أُنِي (١) ؛ فَإِذَا فَعَلَ فَعَلَهُمْ قَوْمٌ وَاتَّقَلَوْا (٢) كان الذين ينفرون خفافاً وثقالاً أولى بها منهم ؛ والله لا أبعث عليهم إلا أولتهم انتداباً ؛ فأمر أبا عبيد ؛ وأوصاه بجنده .

٢١٦٢/١

كتب إلى السري بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن سهل ، عن القاسم ومبشر ، عن سالم ، قال : كان أول بعث بعثه عمر بعث أبي عبيد ، ثم بعث يعلى بن أمية إلى اليمن وأمره بإجلاء أهل نجران ، لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه بذلك ، ولوصية أبي بكر رحمه الله بذلك في مرضه ، وقال : اثتيم ولا تفتنهم عن دينهم ، ثم أجلهم ؛ من أقام منهم على دينه ، وأقر المسلم ، وامسح أرض كل من تجلبي منهم ، ثم خيرهم البلدان ، وأعلمهم أننا نجلبهم بأمر الله ورسوله ؛ ألا يتترك بجزيرة العرب دينان ؛ فليخرجوا ؛ من أقام على دينه منهم ؛ ثم نعطهم (٣) أرضاً كأرضهم ، إقراراً لهم بالحق على أنفسنا ، ووفاء بدمتهم فيما أمر الله من ذلك ، بدلاً بينهم وبين جيرانهم من أهل اليمن وغيرهم فيما صار لجيرانهم بالريف .

• • •

خبر النمارق

كتب إلى السري بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل ، عن سهل ومبشر بإسنادهما ، ومجالد عن الشعبي ، قالوا : فخرج أبو عبيد معه سعد بن عبيد ، وسليط بن قيس ؛ أخو بني عدى بن النجار ، والمثنى بن حارثة أخو بني شيبان ، ثم أحد بني هند .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، وعمرو عن الشعبي . وأبي روق . قالوا : كانت بوران بنت كسرى - كلما اختلف الناس بالمداين - عدلاً بين الناس حتى يصطلحوا ، فلما قتل القم خزاز بن

٢١٦٣/١

(١) ز : « أنى » . (٢) ز : « وتناقلوا » . (٣) ز : « نعطهم » .

البيندوان وقدم رستم فقتل آزر ميدخت ، كانت عدلاً إلى أن استخرجوا
ينزد جرد ، فقدم أبو عبيد والعدل بوران ، وصاحب الحرب رستم ؛
وقد كانت بوران أهدت للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقبيل [هديتها]^(١) ،
وكانت ضدًا على شيرى سنة ، ثم إنَّها تابعته ، واجتمعا على أن رأس وجعلها
عدلاً .

كتب إلى السرى بن يحيى . عن شعيب ، عن سيف . عن محمد وطلحة
وزياد بإسنادهم ، قالوا : لما قتل سياوخش فرخزاد بن البيندوان ،
وملكت آرميدخت ، اختلف أهل فارس ، وتشاغلوا عن المسلمين غيبة
المنثى كلها إلى أن رجع من المدينة . فبعثت بوران إلى رستم بالخبر ، واستحثته
بالسير ؛ وكان على فرج خراسان ، فأقبل في الناس حتى نزل المدائن ؛
لا يلقى جيشاً لآرميدخت إلا هزمه ، فاقتتلوا بالمدائن ، فهزم سياوخش
وحصرت آرميدخت ؛ ثم افتتحها فقتل سياوخش ، وفقاً عين
آرميدخت ، ونصب بوران ودعته إلى القيام بأمر أهل فارس ؛ وشككت
إليه تضعفهم وإدبار أمرهم ؛ على أن تملكه عشر حجج ؛ ثم يكون
المُلكُ في آل كسرى ، إن وجدوا من غلمانهم^(٢) أحداً ؛ وإلا ففى نسائهم .
فقال رستم : أما أنا فسامع مطيع ، غير طالب عيوضاً ولا ثواباً ، وإن
شرفتموني وصنعتم إلى شيئاً فأنتم أولياء ما صنعتم ؛ إنما أنا سهتمكم وطوع
أيديكم . فقالت بوران : اغدُ على ، فغدا عليها ودعت مرازبة فارس ، وكتبت
له بأنك على حرب فارس ؛ ليس عليك إلا الله عز وجل ، عن رضا منا وتسليم
لحكمتك ، وحكمتك جائز فيهم ما كان حكمتك في منع أرضهم وجمعهم
عن فرقتهم . وتوجهت وأمرت أهل فارس أن يسمعوا له ويطيعوا . فدانت له
فارس بعد قدوم أبي عبيد ؛ وكان أول شيء أحدثه عمر بعد موت أبي بكر
من الليل ؛ أن نادى : الصلاة جامعة ! ثم ندبهم ففرقوا على غير إجابة
من أحد ، ثم ندبهم في اليوم الرابع ، فأجاب أبو عبيد في اليوم الرابع أول
الناس ، وتتابع الناس ، وانتخب عمر من أهل المدينة ومن حولها ألف رجل ،

(١) مز ز .

(٢) ز : « علمائهم » .

أمر عليهم أبا عبيد ، فقيل له : استعمل عليهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : لا ها الله ذا يا أصحاب النبي ، لا أندبكم فتتكلون^(١) ، ويتدب غيركم فأؤمركم عليهم ! إنكم إنما فضلتكم بتسرعتكم^(٢) إلى مثلها ؛ فإن نكلمتم فضلوكم ؛ بل أؤمر عليكم أولكم انتداباً . وعجل المثني ، وقال : النجاء حتى يقدم عليك أصحابك ! فكان أول شيء أحدثه عمر في خلافته مع بيعته بعثه أبا عبيد ، ثم بعث أهل نجران ، ثم ندب أهل الردة ، فأقبلوا سراعاً من كل أوب ؛ فرمى بهم الشام والعراق ؛ وكتب إلى أهل اليرموك ؛ بأن عليكم^(٣) أبا عبيدة بن الجراح ؛ وكتب إليه : إنك على الناس ؛ فإن أظفرك الله فاصرف أهل العراق إلى العراق ؛ ومن أحب من أمدادكم إذا هم قدموا عليكم . فكان أول فتح أتاه اليرموك على عشرين ليلة من متوفى أبي بكر ؛ وكان في الأمداد إلى اليرموك في زمن عمر قيس بن هبيرة ، ورجع مع أهل العراق ولم يكن منهم ، وإنما غزا حين أذن عمر لأهل الردة في الغزو . وقد كانت فارس تشاغل بموت شهز بزاز عن المسلمين ؛ فلتكت شاه زنان ؛ حتى اصطلمحوا على سابور بن شهز بزاز بن أردشير بن شهريار ، فثارت به آرميدخت ، فقتلته والفرخزاد ، وملكته - ورسم بن الفرخزاد بخراسان على فرجها - فأتاه الخبر عن بوزان . وقدم المثني الحيرة من المدينة في عشرين ، ولحقه أبو عبيد بعد شهر ، فأقام المثني بالحيرة خمس عشرة ليلة ؛ وكتب رستم إلى دهاقين السواد أن يثوروا بالمسلمين ، ودس في كل رستاق رجلاً ليثور بأهله ، فبعث جابان إلى البيهقباد الأسفل ؛ وبعث نرسي إلى كسكر ، ووعدهم يوماً ؛ وبعث جنداً لمصادمة المثني ؛ وبلغ المثني ذلك ؛ فضم إليه مسالحة وحذر ، وعجل جابان ، فثار ونزل التمارق . وتوالوا^(٤) على الخروج ؛ فخرج نرسي ، فنزل زندورد ، وثار أهل الرساتيق من أعلى الفرات إلى أسفله ؛ وخرج المثني في جماعة حتى ينزل

٢١٦٥/١

٢١٦٦/١

(١) ابن حبيش : « فتبطون » .

(٢) ز : « بتزعتكم » ، ابن حبيش : « بسرعتكم » .

(٣) س : « عليهم » . (٤) ز : « ودعاهم » .

خَفَّانَ ؛ لثَلَاثًا يُؤْتَى مِنْ خَلْفِهِ بِشَيْءٍ يَكْرَهُهُ ، وَأَقَامَ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ أَبُو عُبَيْدَةَ ؛ فَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَلَى النَّاسِ ، فَأَقَامَ بِخَفَّانَ أَيَّامًا لِيَسْتَجِمَّ^(١) أَصْحَابَهُ ؛ وَقَدْ اجْتَمَعَ إِلَى جَابَانَ بَشَرٌ كَثِيرٌ ، وَخَرَجَ أَبُو عُبَيْدَةَ بَعْدَ مَا جَمَّ النَّاسُ وَظَهَرُوا لَهُمْ ، وَتَعَبَى ، فَجَعَلَ الْمُشَنَّى عَلَى الْخَيْلِ ، وَعَلَى مَيْمَتِهِ وَالِيقَ بْنَ جِيدَارَةَ ، وَعَلَى مَيْسِرَتِهِ عَمْرُو بْنُ الْهَيْثَمِ بْنِ الصَّلْتِ بْنِ حَبِيبِ السَّلْمِيِّ . وَعَلَى مَجْنَبِي جَابَانَ جُسْنَسَ مَاهَ وَمَرْدَانِشَاهَ . فَنَزَلُوا عَلَى جَابَانَ بِالنَّمَارِقِ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، فَهَزَمَ اللَّهُ أَهْلَ فَارَسَ ، وَأَسِيرَ جَابَانَ ، أَسْرَهُ مَطَرُ بْنُ فَضَّةَ التِّيمِيِّ ، وَأَسِيرَ مَرْدَانِشَاهَ ، أَسْرَهُ أَكْتَلُ بْنُ شَمَّاحِ الْعُكْلِيِّ ، فَأَمَّا أَكْتَلُ فَإِنَّهُ ضَرَبَ عُنُقَ مَرْدَانِشَاهَ ، وَأَمَّا مَطَرُ بْنُ فَضَّةَ فَإِنَّ جَابَانَ خَدَّعَهُ ، حَتَّى تَفَلَّتْ مِنْهُ بِشَيْءٍ فَخَلَّتِي عَنْهُ ؛ فَأَخَذَهُ الْمُسْلِمُونَ ، فَأَتَوْا بِهِ أَبَا عُبَيْدَةَ وَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْمَلِكَ ، وَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِقَتْلِهِ ، فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ أَنْ أَقْتَلَهُ ؛ وَقَدْ آمَنَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ ، وَالْمُسْلِمُونَ^(٢) فِي التَّوَادِّ وَالتَّنَاصُرِ كَالْجَسَدِ ؛ مَا لَزِمَ بَعْضَهُمْ فَقَدْ لَزِمَهُمْ كُلَّهُمْ . فَقَالُوا لَهُ : إِنَّ الْمَلِكَ ، قَالَ : وَإِنْ كَانَ لَا أَغْدَرَ ، فَتَرَكَهُ .

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ بْنِ يَحْيَى ، عَنْ شُعَيْبِ ، عَنْ سَيْفِ ، عَنْ الصَّلْتِ بْنِ بَهْرَامِ ، عَنْ أَبِي عَمْرَانَ الْجُعْفِيِّ ، قَالَ : وَلَّتْ حَرْبُهَا فَارَسَ رُسْتَمَ عَشْرَ سِنِينَ ، وَمَلَكَوهُ ، وَكَانَ مَنْجَسًا عَالِمًا بِالنُّجُومِ ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ : مَا دَعَاكَ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ وَأَنْتَ تَرَى مَا تَرَى ! قَالَ : الطَّمَعُ وَحُبُّ الشَّرَفِ . فَكَاتَبَ أَهْلَ السَّوَادِ ، وَدَسَّ إِلَيْهِمُ الرُّؤْسَاءَ ، فَثَارُوا بِالْمُسْلِمِينَ ؛ وَقَدْ كَانَ عَهْدٌ إِلَى الْقَوْمِ أَنَّ الْأَمِيرَ عَلَيْهِمْ أَوْلَ مَنْ ثَارَ ، فَثَارَ جَابَانَ فِي فُرَاتٍ بِبَادِئِ قَلْبِي ، وَثَارَ النَّاسُ بَعْدَهُ ، وَأَرَزَّ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمُشَنَّى بِالْحَيْرَةِ ، فَصَمَدُ لِيخَفَّانَ ، وَنَزَلَ خَفَّانَ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ أَبُو عُبَيْدَةَ وَهُوَ الْأَمِيرُ عَلَى الْمُشَنَّى وَغَيْرِهِ ، وَنَزَلَ جَابَانَ النَّمَارِقَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ أَبُو عُبَيْدَةَ مِنْ خَفَّانَ ، فَالْتَقَوْا بِالنَّمَارِقِ ؛ فَهَزَمَ اللَّهُ أَهْلَ فَارَسَ ، وَأَصَابُوا مِنْهُمْ مَا شَاءُوا وَبَصُرَ مَطَرُ بْنُ فَضَّةَ - وَكَانَ يَنْسَبُ إِلَى أُمَّةٍ - وَأَبَى بَزْجَلٌ عَلَيْهِ حَلِيٌّ ؛ فَشَدَّ عَلَيْهِ فَأَخَذَاهُ أَسِيرًا ، فَوَجَدَاهُ شَيْخًا كَبِيرًا

(١) س : « ليسحمر » .

(٢) كذا في ز وابن الأثير والنويري ؛ وفي ط بحذف الواو والنون .

فزهّد فيه أبيّ ورغب مطر في فدائه ، فاصطلحا على أن سلبه لأبيّ ، وأن إيساره لمطر ، فلما خلاص مطر به ، قال : إنكم معاشر العرب أهل وفاء ، فهل لك أن تؤمّنتي وأعطيتك غلامين أمردين خفيفين في عملك وكذا وكذا ! قال : نعم ، قال : فأدخيتني على مليككم ؛ حتى يكون ذلك بمشهد منه ، ففعل فأدخله على أبي عبيد ، فتمّ له على ذلك ؛ فأجاز أبو عبيد ، فقام أبيّ وأناس من ربيعة ؛ فأما أبيّ فقال : أسرته أنا وهو على غير أمان ؛ وأما الآخرون فعرفوه ، وقالوا : هذا الملك جابان ؛ وهو الذي لقينا بهذا الجمع ، فقال : ما تروني فاعلا معاشر ربيعة ؟ أيؤمّنه صاحبكم وأقتله أنا ! معاذ الله من ذلك ! وقسم أبو عبيد الغنائم ، وكان فيها عطر كثير ونفّس ، وبعث بالأخماس مع القاسم .

٢١٦٨/١

•••

السّقاطية بكسكرك

كتب إلى المريّ بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : وقال أبو عبيد حين انهزموا وأخذوا نحو كسكرك ليلجئوا إلى نرسي - وكان نرسيّ لهن خالة كسريّ ؛ وكانت كسكرك قطيعة له ؛ وكان النرسيّان له ، بحميه لا يأكله بشرّ ، ولا يفرسه غيرهم أو ملك^(١) فارس إلاّ من أكرموه بشيء منه ، وكان ذلك مذكورا من فعلهم في الناس ، وأن نمرهم هذا حمي ، فقال له رسم وبوران : اشخص إلى قطيعتك فاحمها من عدوك وعدوتنا وكن رجلا ، فلما انهزم الناس يوم النّمارق ، ووجّهت الفالّة نحو نرسي - ونرسيّ في عسكره - نادى أبو عبيد بالرحيل ، وقال للمجرّدة : أتبعوهم حتى تُدخِلوهم عسكر نرسيّ ، أو تبيدوهم فيما بين النّمارق إلى بارق إلى دُرّنا . وقال عاصم بن عمرو في ذلك :

٢١٦٩/١

لَعَمْرِيّ وما عمريّ علىّ بهيّين
لَقَدْ صُبَّحْتُ بِالْخِزْيِ أَهْلُ النّمارِقِ

(١) كذا في ط ، وربما كان اللفظ : أي ملوك فارس .

بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم يجوسونهم ما بين درتا وبارق
 قتلناهم ما بين مَرَجٍ مُسَلِّحٍ وبين الهوائى من طريق البذارق
 ومضى أبو عبيد حين ارتحل من الشمارق حتى يتزل على نرسي
 بكسكر - ونرسي يومئذ بأسفل كسكر - والمثنى في تعبيته التي قاتل
 فيها جابان ، ونرسي على مجنبيه ابنا خاله - وهما ابنا خال كسرى بندقويه
 وتيرويه ابنا بسنظام - وأهل باروسما ونهر جوبير والزوابي معه إلى جنده ،
 وقد أتى الخبر بوران ورستم بهزيمة جابان ؛ فبعثوا إلى الجالينوس ، وبلغ ذلك
 نرسي وأهل كسكر وباروسما ونهر جوبير والزاب ، فرجوا أن يلحق قبل
 الواقعة ، وعاجلهم أبو عبيد فالتقوا أسفل من كسكر بمكان يدعى السقاطية
 فاقتتلوا في صحارى ملئس قتالا شديدا . ثم إن الله هزم فارس ، وهرب
 نرسي ، وغلب على عسكره وأرضه ، وأخرب أبو عبيد ما كان حول معسكرهم
 من كسكر ، وجمع الغنائم ، فرأى من الأطعمة شيئا عظيما ، فبعث
 ٢١٧٠/١ فيمن يليه من العرب فانتقلوا ما شاءوا ، وأخذت خزائن نرسي ؛
 فلم يكونوا بشيء مما خزن أفرح منهم بالنرسيان ؛ لأنه كان يحميه ويماله
 عليه ملوكهم ؛ فاقتسموه فجعلوا يطعمونه الفلاحين ؛ وبعثوا بخمسه إلى عمر
 وكتبوا إليه : إن الله أطعمنا مطاعم كانت الأكارسة يحمونها ، وأحببنا أن نروها ؛
 ولتذكروا إنعام الله وإفضاله .

وأقام أبو عبيد وسرح المثنى إلى باروسما ، وبعث والقيا إلى الزوابي وعاصيما
 إلى نهر جوبير ؛ فهزموا من كان تجمع وأخربوا وسبوا ، وكان مما أخرب
 المثنى وسبي أهل زندورد وبسوسيا (١) ، وكان أبو زعبل من سبي
 زندورد ؛ وهرب ذلك الجند إلى الجالينوس ؛ فكان ممن أسر عاصم أهل
 بيتيق من نهر جوبير ، وممن أسر والق أبو الصلت . وخرج فروخ وفر ونداذ إلى
 المثنى ، يطلبان الجزاء والذمة ، دفعا عن أرضهم ؛ فأبلغهما أبا عبيد ؛
 أحدهما باروسما والآخر نهر جوبير ، فأعطياه عن كل رأس أربعة ، فروخ عن
 باروسما وفر ونداذ عن نهر جوبير ، ومثل ذلك الزوابي وكسكر ،
 وضمننا لهم الرجال عن التعجيل ، ففعلوا وصاروا صلحا . وجاء فروخ

(١) ط : « بسريسي » ؛ وانظر ص ٤٦١ س ١٥ من هذا الجزء .

٢١٧١/١ وفرونداذ إلى أبي عبيد بآنية فيها أنواع أطعمة فارس من الألوان والأخبصة وغيرها ، فقالوا : هذه كرامة أكرمناك بها ، وقيرى لك . قال : أأكرمتم الجند وقريتموهم مثله ؟ قالوا : لم يتيسر ونحن فاعلون ؛ وإنما يتربصون بهم قدوم الجالينوس وما يصنع ؛ فقال أبو عبيد : فلا حاجة لنا فيما لا يسع الجند ، فردّه ، وخرج أبو عبيد حتى ينزل بباروسما فبلغه مسير الجالينوس .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر بن السرى الضبى ، قال : فاتاه الأندرزغبر بن الحركبذ^(١) بمثل ما جاء به فروخ وفرونداذ . فقال لهم : أأكرمتم الجند بمثله وقريتموهم ؟ قالوا : لا ، فردّه ، وقال : لا حاجة لنا فيه ؛ بشئ المرء أبو عبيد ؛ إن صحب قومًا من بلادهم أهرقوا دماءهم دونه ، أو لم يهريقوا فاستأثر عليهم بشيء يصيبه ! لا والله لا يأكل ممّا أفاء الله عليهم إلا مثل ما يأكل أوساطهم .

قال أبو جعفر : وقد حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق بنحو من حديث سيف هذا ، عن رجاله في توجيه عمر المثنى وأبا عبيد ابن مسعود إلى العراق في حرب من بها من الكفار وحروبهم ، ومن حاربهم بها ؛ غير أنه قال : لما هزم جالينوس وأصحابه ، ودخل أبو عبيد باروسما ، نزل هو وأصحابه قرية من قراها ؛ فاشتملت عليهم ، فصنع لأبي عبيد طعام فأتى به ؛ فلما رآه قال : ما أنا بالذى آكل هذا دون المسلمين ! فقالوا له : كُلتُ فإنه ليس من أصحابك أحدٌ إلا وهو يؤتى في منزله بمثل هذا أو أفضل ؛ فأكل . فلما رجعوا إليه سأله عن طعامهم ، فأخبروه بما جاءهم من الطعام .

كتب إلى السرى بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن محمد وطلحة وزيادة بإسنادهم ، قالوا : وقد كان جابان ونرسي استمدّا بوران ، فأمدتهما بالجالينوس في جند جابان ، وأمير أن يبدأ بنرسي ؛ ثم يقاتل أبا عبيد بعد ، فبادره أبو عبيد ، فنهض في جنده قبل أن يدنو ، فلما دنا

(١) ط : « الحوكبذ » .

استقبله أبو عبيد ، فترل الجالينوس باقسيانا من باروسما ، فنهد إليه أبو عبيد في المسلمين ، وهو على تعيينه ، فالتقوا على باقسيانا ، فهزمهم المسلمون وهرب الجالينوس ، وأقام أبو عبيد ، قد غلب على تلك البلاد .

كتب إلى السري بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر بن السري والمجالد بنحو من معة باقسيانا .

كتب إلى السري بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ومجالد وزباد والنضر بإسنادهم ، قالوا : أتاه أولئك الدهاقين المتربصون جميعاً بما وسع الجند ، وهابوا وخافوا على أنفسهم . وأمّا النضر ومجالد فلنهما قالا : قال أبو عبيد : ألم أعلمكم أني لست آكلاً إلا ما يسع مني مني أصبم بهم ! قالوا : لم يبق أحدٌ إلا وقد أتى بشبعه من هذا في رحالم وأفضل . فلما راح الناس عليه سالم عن قري أهل الأرض فأخبروه ، وإنما كانوا قصروا أولاً تربصاً ومخافة عقوبة أهل فارس . وأمّا محمد وطلحة وزباد فلنهم قالوا : فلما علم قبيل منهم ، وأكل وأرسل إلى قوم كانوا يأكلون معه أضيافاً عليه يدعوهم إلى الطعام ، وقد أصابوا من نزل فارس ولم يروا أنهم أتوا أبا عبيد بشيء فظنوا أنهم يدعون إلى مثل ما كانوا يدعون إليه من غليظ عيش أبي عبيد ، وكرهوا ترك ما أتوا به من ذلك ، فقالوا له : قل للأمير ؛ إننا لا نشتهي شيئاً مع شيء أتناه الدهاقين ؛ فأرسل إليهم : إنّه طعام كثير من أطعمة الأعاجم ؛ لتظروا أين هو مما أتيتم به ! إنه قرؤ ونجم وجوزل^(١) وشواء وخردل ، فقال في ذلك عاصم بن عمرو وأضيافه عنده :

إن تك ذا قرؤ ونجم وجوزل
وقرؤ رفاق كالصحائف طويبت
وقال أيضاً :

صبحنا بالبقايس رهط كسرى
صبحناهم بكل فتى كمي
فَعِنْدَ ابْنِ فَرُّوخِ شَوَالٍ وَخَرْدَلُ
عَلَى مَزْعٍ فِيهَا بِقَوْلٍ وَجَوْزَلُ

٢١٧٤/١

(١) القرؤ : الإناة الصغير . والجوزل فرخ الحمام .

ثم ارتحل أبو عبيد ، وقدم المثنى ، وسار في تعبته حتى قدم الحيرة .
وقال النضر ومجالد ومحمد وأصحابه : تقدم عمر إلى أبي عبيد ، فقال : إنك
تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبرية ، تقدم على قوم قد جرءوا
على الشر فعلموه ، وتناسوا الخير فجهلوه ، فانظر كيف تكون ! واخزن
لسانك ، ولا تفشين سرك ؛ فإن صاحب السر ما ضبطه ، منحصن لا يؤتى
من وجهه يكرهه ؛ وإذا ضيعه كان بمضيعة .

• • •

وقعة القرقس

ويقال لها القسّ قسّ الناطيف ، ويقال لها الجسر ، ويقال لها المروحة .

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله : كتب إلى السري بن يحيى ، عن شعيب ،
عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : ولما رجع الجالينوس إلى
رستم وممن أفلت من جنوده ، قال رستم : أي العجم أشد على العرب فيما ترون ؟
قالوا : بتهمن جاذويه ؛ فوجهه ومعه فيلة^(١) ورد الجالينوس معه ، وقال
له : قدّم الجالينوس ، فإن عاد لمثلها فاضرب عنقه ، فأقبل بهم جاذويه ومعه
« دِرْفَش كايان » راية كسرى - وكانت من جلود النمر ، عرض ثمانية
أذرع في طول اثني عشر ذراعاً - وأقبل أبو عبيد ، فنزل المروحة ، موضع
البرج والعاقول ، فبعث إليه بهم جاذويه : إمتا أن تعبروا إلينا وندعكم والعبور
وإمتا أن تدعونا نعبركم ! فقال الناس : لا تعبر يا أبا عبيد ، ننهاك عن
العبور . وقالوا له : قل لهم : فليعبروا - وكان من أشد الناس عليه في ذلك
سليط - فلج أبو عبيد ، وترك الرأي ، وقال : لا يكونون أجراً على الموت منا :
بل نعبركم إليهم . فعبروا إليهم وهم في منزل ضيق المطرد والمذهب ، فاقتلوا
يوماً - وأبو عبيد فيما بين الستة والعشرة - حتى إذا كان من آخر النهار ،
واستبطأ رجل من ثقيف الفتح ، ألف بين الناس ، فتصافحوا بالسيوف وضرب
أبو عبيد الفيل ، وخبط الفيل أبا عبيد ، وقد أسرع السيوف في أهل فارس ،

(١) ابن حبش : « الفيلة » .

وأصيب منهم ستة آلاف في المعركة ، ولم يبقَ ولم يُستظر إلا الهزيمة ، فلما خُبط أبو عبيد ، وقام عليه الفيل جالاً المسلمون بجولته ، ثم تمّوا عليها ، وركبهم أهلُ فارس ، فبادر رجل من ثقيف إلى الجمر فقطعه ، فأنهى الناس إليه والسيوف تأخذهم من خلفهم ، فتهافتوا في الفرات ، فأصابوا يومئذ من المسلمين أربعة آلاف ؛ من بين غريق وقتيل ، وحمى المثنى الناس وعاصم والكلج الضبى ومذعور ، حتى عقدوا الجمر وعبروهم ثم عبروا في آثارهم ، فأقاموا بالمروحة ٢١٧٦/١ والمثنى جريح ، والكلج ومذعور وعادم - وكانوا حماةً للناس - مع المثنى ، وهرب من الناس بشرٌ كثيرٌ على وجوههم ؛ وافتضحوا في أنفسهم ، واستحيوا مما نزل بهم ، [وبلغ ذلك ^(١)] عمر عن بعض من أوى إلى المدينة فقال : عباد الله ! اللهم إن كل مسلم في حل منى ، أنا فئة كل مسلم ، يرحم الله أبا عبيد ! لو كان عبّر فاعتصم بالخيف ، أو تحيز إلينا ولم يستقتل لكننا له فئة !

وبينا أهلُ فارس يحاولون العبور أتاهم الخبر أن الناس بالمداين قد ثاروا برستم ، ونقضوا الذي بينهم وبينه فصاروا فرقتين : الفتهلوج على رسم ، وأهل فارس على الفيرزان ؛ وكان بين وقعة اليرموك والجمر أربعون ليلة . وكان الذى جاء بالخبر عن اليرموك جرير بن عبد الله الحميرى ؛ والذى جاء بالخبر عن الجمر عبد الله بن زيد الأنصارى - وليس بالذى رأى الرؤيا - فأنهى إلى عمر وعمر على المنبر . فنادى عمر : الخبر يا عبد الله بن زيد ! قال : أتاك الخبر اليقين ؛ ثم صعد إليه المنبر فأسر ذلك إليه . وكانت اليرموك في أيام من جمادى الآخرة ، والجمر في شعبان .

كتب إلى السرى بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد وسعيد ابن المرزبان ، قالا : واستعمل رسم على حرب أبى عبيد بهمن جاذويه ؛ وهو ذو الحاجب ، وردّ معه الجالوس ومعه الفيلة ، فيها فيل أبيض عليه النخل ^(٢) ، وأقبل في الدّهم ^(٣) ، وقد استقبله أبو عبيد حتى انتهى إلى بابل ؛ ٢١٧٧/١ فلما بلغه انحاز حتى جعل الفرات بينه وبينه ؛ فعسكر بالمروحة .

(٢) النخل هنا : ضرب من الخلى .

(١) من ز .

(٣) الدم : العدد من الناس .

ثم إن أبا عبيد ندم حين نزلوا به وقالوا : إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر ، فحلف ليقطن الفرات إليهم ، وليمحصن ما صنع ، فناشده سليط بن قيس ووجوه الناس ، وقالوا : إن العرب لم تلق مثل جنود فارس مذ كانوا ، ولأنهم قد حفلوا لنا واستقبلونا من الزهراء والعدوة بما لم يلقننا به أحد منهم : وقد نزلت منزلا لنا فيه مجال وملجأ ومرجع ؛ من فرة إلى كفرة . فقال : لا أفعل ؛ جئنت والله ! وكان الرسول فيما بين ذى الحجاب وأبي عبيد مردان شاه الحصى ؛ فأخبرهم أن أهل فارس قد عبروهم ؛ فازداد أبو عبيد متحكما^(١) ، ورد على أصحابه الرأي ، وجبن سليطا ، فقال : سليط : أنا والله أجرا منك نفسا ؛ وقد أشرنا عليك الرأي فستعلم !

كتب إلى السري بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر بن السري ، عن الأغر العجلي ، قال : أقبل ذو الحجاب حتى وقف على شاطئ الفرات بقس الناطف ، وأبو عبيد معسكر على شاطئ الفرات بالمروحة فقال : إما أن تعبروا إلينا وإما أن نعبر إليكم . فقال أبو عبيد : بل نعبر إليكم . فعقد ابن صلوبا الجسر للفريقين جميعا ؛ وقبل ذلك ما قد رأت دومة امرأة أبي عبيد رؤيا وهي بالمروحة ؛ أن رجلا نزل من السماء بإناء فيه شراب ، فشرب أبو عبيد وجبر في أناس من أهله ؛ فأخبرت بها أبا عبيد ، فقال : هذه الشهادة ؛ وعهد أبو عبيد إلى الناس ، فقال : إن قتلت فعلي الناس جبر ، فإن قتل فعليكم فلان ، حتى أمر الذين شربوا من الإناء على الولاء من كلامه . ثم قال : إن قتل أبو القاسم فعليكم المشى ، ثم نهى الناس فعبر وعبروا إليهم ، وعضلت^(٢) الأرض بأهلها ، وألحم الناس الحرب . فلما نظرت الخيول إلى الفيئة عليها النخل ؛ والنخل عليها التجفاف^(٣) والفرسان عليهم الشعر^(٤) رأت شيئا منكرًا لم تكن ترى مثله ، فجعل المسلمون إذا حملوا عليهم لم تقدم خيولهم ، وإذا حملوا على المسلمين بالفيئة والجلاجل فرقت بين كراديسهم ؛ لا تقوم لها الخيل إلا على نيفار . وخرقهم^(٥) الفرس

(١) محكا ، أى بلحاجا . (٢) عضلت الأرض بأهلها : ضاقت بهم لكثرتهم .

(٣) التجفاف ؛ من آلات الحرب ، يوضع على الفرس يتق بها كالدرع للإنسان .

(٤) الشعر : جمع شمار ، وهو جل الفرس . (٥) خرقتهم بانشاب : طعنهم .

بالنشاب، وعض المسلمین الألم؛ وجعلوا لا يصلون إليهم؛ فترجل أبو عبيد وترجل الناس، ثم مشوا إليهم فصافحوم بالسيوف؛ فجعلت الفيئة لا تحمل على جماعة إلا دفعتهم؛ فنادى أبو عبيد: احتوشوا^(۱) الفيئة؛ وقطعوا بطنها^(۲) واقلبوا عنها أهلها؛ وواثب هو الفيل الأبيض، فتعلق ببطانه فقطعه؛ ووقع الذين عليه، وفعل القوم مثل ذلك؛ فما تركوا فيلا إلا حطوا رحله؛ وقتلوا أصحابه، وأهوى الفيل لأبي عبيد، فنفع مشفره بالسيف، فاتقاه الفيل بيده؛ وأبو عبيد يتجرثم^(۳)؛ فأصابه بيده فوقع فخبطه الفيل، وقام عليه؛ فلما بصر الناس بأبي عبيد تحت الفيل، خشعت أنفس بعضهم، وأخذ اللواء الذي كان أمره بعده، فقاتل الفيل حتى تنحى عن أبي عبيد، فاجتره إلى المسلمين، وأحرزوا شلوه^(۴)؛ وتجرثم الفيل فاتقاه الفيل بيده، دأب^(۵) أبي عبيد وخبطه الفيل. وقام عليه وتتابع سبعة من ثقيف؛ كلهم يأخذ اللواء فيقاتل حتى يموت. ثم أخذ اللواء المثني، وهرب الناس، فلما رأى عبد الله بن مرثد الثقفي ما لقي أبو عبيد وخلفاؤه وما يصنع الناس، بادروهم إلى الجسر فقطعه، وقال: يأيها الناس، موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أوتظفروا. وحاز المشركون المسلمين إلى الجسر؛ وخشع ناس فتواثبوا في الفرات؛ ففرق من لم يصبر وأسرعوا فيمن صبر، وحمى المثني وفرسان من المسلمين الناس، ونادى: يأيها الناس، إننا دونكم فاعبروا على هيتكم^(۶) ولا تدهشوا؛ فإننا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب، ولا تفرقوا أنفسكم. فوجدوا الجسر وعبد الله بن مرثد قائم عليه يمنع الناس من العبور، فأخذوه فأتوا به المثني، فضربه وقال: ما حملك على الذي صنعت؟ قال: ليقاتلوا، ونادى من عبر فجاءوا بعلوج، فضموا إلى السفينة التي قطعت سفائنها، وعبر الناس، وكان آخر من قتل عند الجسر سليل بن قيس، وعبر المثني وحمى جانبه؛ فاضطرب عسكره، ورامهم ذو الحجاب فلم يقدر عليهم؛

۲۱۸۰/۱

(۱) في اللسان: «يقال: احتوش القوم الصيد؛ إذا نفره بعضهم على بعض».

(۲) البطن: جمع بطن؛ وهو حزام القتب.

(۳) يتجرثم: يسك بمظمه (۴) شلوه: جسده.

(۵) ز: «ذات».

(۶) هيتكم؛ أي متملين، وفي ابن حيش: «هيتكم».

فلمّا عبر المثنّى [وحمى بجانبه] (١) ارفضّ عنه أهل المدينة حتى لحقوا بالمدينة وتركها بعضهم ونزلوا البوادي وبقي المثنّى في قلّة .

كتب إلى السريّ عن شعيب ، عن سيف ، عن رجل ، عن أبي عثمان النهديّ ، قال : هلك يومئذ أربعة آلاف بين قتيل وغريق ؛ وهرب ألفان ، وبقي ثلاثة آلاف ، وأتى ذا الحجاب الخبر باختلاف فارس ؛ فرجع بجنده ؛ وكان ذلك سبباً لارفضاضهم عنه ، وجرح المثنّى ، وأثبتّ فيه حلق من درعه هتكتهنّ الرمح .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد وعطية نحواً

منه .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب عن سيف ، عن مجالد وعطية والنضر ، أن أهل المدينة لما لحقوا بالمدينة وأخبروا عمن سار في البلاد استحياءً من الهزيمة ، اشتدّ على عمر ذلك ورحمهم . قال الشعبيّ : قال عمر : اللهم كلّ مسلم في حلّ منّي ، أنا فئة كلّ مسلم ، منّ لقي العدو ففطّيع بشيء من أمره فأنا له فئة ؛ يرحم الله أبا عبّيد لو كان انحاز إلى لكنت له فئة ! وبعث المثنّى بالخبر إلى عمر مع عبد الله بن زيد ، وكان أوّل من قدم على عمر .

وحدثنا ابن حميد ؛ قال : حدثنا سلّمة ، عن محمد بن إسحاق بنحو خير سيف هذا في أمر أبي عبّيد وذى الحجاب ، وقصة حربهما ، إلا أنه قال : وقد كانت رأت دومة أم المختار بن أبي عبّيد ، أن رجلاً نزل من السماء معه إناء فيه شراب من الجنة فيما يرى النائم ، فشرب منه أبو عبّيد وجبّ بن أبي عبّيد وأناس من أهله . وقال أيضاً : فلما رأى أبو عبّيد ما يصنع الفيل ، قال : هل لهذه الدابة من مقتل ؟ قالوا : نعم ؛ إذا قطع مشفرها ماتت ، فشدّ على الفيل فضرب مشفره فقطعه ، وبرك عليه الفيل فقتله . وقال أيضاً : فرجعت الفرس ونزل المثنّى بن حارثة ألّيس ، وتفرّق الناس ، فلحقوا بالمدينة ، فكان أوّل منّ قدم المدينة بنجر الناس عبد الله بن زيد بن الحصين الخطميّ ، فأخبر الناس .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عمرة ابنة عبد الرحمن ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : سمعتُ عمر بن الخطاب حين قدم عبد الله بن زيد ، فنادى : الخبر يا عبد الله بن زيد ! وهو داخل المسجد ، وهو يمرّ على باب حُجرتي ، فقال : ما عندك يا عبد الله بن زيد ؟ قال : أتاك الخبرُ يا أمير المؤمنين ؛ فلما انتهى إليه أخبره خبرَ الناس ، فما سمعتُ برجل حضر أمراً فحدث عنه كان أثبتَ خبراً منه . فلمّا قدم فلّ الناس ، ورأى عمر جَزَع المسلمين من المهاجرين والأنصار من الفِرار ، قال : لا تجزعوا يا معشر المسلمين ، أنا فتنكم ، إنما انحزتم إلى .

٢١٨٢/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ؛ عن ابن إسحاق ، عن محمد ابن عبد الرحمن بن الحصين وغيره ؛ أن معاذًا القاريّ أخا بني النّجار ؛ كان ممن شهدها ففرّ يومئذ ، فكان إذا قرأ هذه الآية : ﴿ وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾^(١) ، بكى ، فيقول له عمر : لا تبك يا معاذ ، أنا فتنك ، وإنما انحزت إلى .

خبر أليس الصُّفْرِي

قال أبو جعفر : كتب إلى المرسى بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن محمد بن نؤيرة وطلحة وزياد وعطيّة ، قالوا : وخرج جنابان ومترّ دانشاه حتى أخذنا بالطريق ، وهم يرون أنهم سيرفضون ولا يشعرون بما جاء ذا الحاجب من فرقة أهل فارس^(٢) ، فلما ارفض أهل فارس ، وخرج ذو الحاجب في آثارهم ، وبلغ المثنى فمعلّة جنابان ومترّ دانشاه ؛ استخلف على الناس عاصم بن عمرو ، وخرج في جريدة خيل يريد هما ، فظننا أنه هارب ،

(٢) ز ؛ « من الخبر عن فرقة أهل فارس » .

(١) سورة الأنفال ١٦ .

فاعرضاه فأخذهما أسيرين ، وخرج أهل ألبس على أصحابهما ، فاتوه بهم أسراء ؛ وعقد لهم بها ذمّة وقدّمهما ، وقال : أنتما غررتما أميرنا ، وكذبتماه واستغزتماه . فضرب أعناقهما ، وضرب أعناق الأسراء ؛ ثمّ رجع إلى عسكره ٢١٨٣/١
وهرب أبو مِحْجَن من ألبس ؛ ولم يرجع مع المثنى ؛ وكان جرير بن عبد الله وحنظلة بن الربيع ونفر استأذنوا خالدًا من سؤى ، فأذن لهم ، فقدموا على أبي بكر ، فذكر له جرير حاجته ، فقال : أعلى حالينا وأختره بها^(١) ، فلما ولّى عمر دعاه بالبيّنة ؛ فأقامها ، فكتب له عمر إلى عمّاله السعاة في العرب كلّهم : من كان فيه أحدٌ يُنسب إلى بتجيلية في الجاهلية ، وثبت عليه في الإسلام يُعرف ذلك فأخرجوه إلى جرير . ووعدهم^(٢) جرير مكانًا بين العراق والمدينة . ولما أعطى جرير حاجته في استخراج بتجيلية من الناس فجمعهم فأخرجوا له ، وأمرهم بالموعد ما بين مكة والمدينة والعراق ، فتناموا ، قال لجرير : اخرج حتى تلحق بالمثنى ، فقال : بل الشام ، قال : بل العراق ، فإن أهل الشام قد قتوا على عدوهم ، فأبى حتى أكرهه ؛ فلما خرجوا له وأمرهم بالموعد عوضه لإكراهه واستصلاحًا له ، فجعل له ربع خمس ما أفاء الله عليهم في غزاتهم هذه له ولن اجتمع إليه ، ولن أخرج له إليه من القبائل ، وقال : اتخذونا طريقًا ، فقدموا المدينة ، ثم فصلوا منها إلى العراق ممدّين للمثنى ، وبعث عصمة بن عبد الله من بني عبد بن الحارث الضبّي فيمن تبعه من بني ضبّة ؛ وقد كان كتب إلى أهل الرّدة ، فلم يواف شعبان أحدًا إلا رى به المثنى .

• • •

البُويّب

كتب إلى المروى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ٢١٨٤/١
بإسنادهم ، قالوا : وبعث المثنى بعد الجسر فيمن يليه من الممدّين ،

(٢) ابن حبيش : « وواعدهم » .

(١) ز : « فيها » .

فتوافوا إليه في جمع عظيم ، اوبلغ رستم والفتيرزان ذلك ، وأتهم العيون به وبما ينتظرون من الأمداد ، واجتمعا على أن يبعثا مِهْرانَ الهمداني ؛ حتى يريا من رأيهما ، فخرج مِهْران في الخيول وأمراه بالحيرة ، وبلغ المثنى الخبر وهو معسكر بمرج السبّاخ بين القادسية وخفّان في الذين أمدّوه من العرب عن خبر بشير وكنانة^(١) - وبشير يومئذ بالحيرة - فاستبطن فرات بادقلى ، وأرسل إلى جرير ومَن معه : إنّا جاءنا أمر لم نستطيع معه المقام حتى تقدموا علينا ، فعجلوا اللّحاق بنا ، وموعدكم البويّب .

وكان جرير مُمدّاً له ، وكتب إلى عيصمة ومَن معه ، وكان مُمدّاً له بمثل ذلك ، وإلى كل قائد أظله بمثل ذلك ، وقال : خذوا على الجوّف ، فسلكوا القادسية والجوّف ، وسلك المثنى وسط السّواد ، فطلع على النهريّن ثم على الحورنّتي ، وطلع عيصمة على النّجف ، ومَن سلك معه طريقه ، وطلع جرير على الجوّف ومَن سلك معه طريقه ، فانتهوا إلى المثنى ، وهو على البويّب ، ومِهْران من وراء الفرات بإزائه ، فاجتمع عسكر المسلمين على البويّب ممّا يلي موضع الكوفة اليوم ؛ وعليهم المثنى وهم بإزاء مِهْران وعسكره . فقال المثنى لرجل من أهل السّواد : ما يقال للرّقعة التي فيها مِهْران وعسكره ؟ قال : بَسُوسِيَا . فقال : أكندى مِهْران وهلك ! نزل منزلا هو البَسُوس ؛ وأقام بمكانه حتى كاتبه مِهْران : إمّا أن تعبروا إلينا ، وإمّا أن نعبر إليكم ؛ فقال المثنى : اعبروا ؛ فعبر مِهْران ، فنزل على شاطئ الفرات معهم في اللطاط ، فقال المثنى لذلك الرجل : ما يُقال لهذه الرّقعة التي نزلها مِهْران وعسكره ؟ قال : سُومِيَا - وذلك في رمضان - فنادى في الناس : انهدوا لعدوكم ، فتناهدوا ، وقد كان المثنى عبّى جيشه ، فجعل على مجنّبيه مذعورا والنّسيير ، وعلى المجرّدة عاصمًا ، وعلى الطلائع عيصمة ، واصطف الفريقان ؛ وقام المثنى فيهم خطيبًا ؛ فقال : إنكم صوّام ؛ والصوم مرقّة ومضعفة ؛ وإنّى أرى من الرأى أن تُفطروا ثم تقووا بالطعام على قتال عدوكم . قالوا : نعم ، فأفطروا ؛ فأبصر رجلا يستوفز ويستتيل^(٢) من الصّف ، فقال : ما بال هذا ؟ قالوا : هو ممّن فرّ من

(١) ابن حيش : « وكتابه » . (٢) استوفز : تها . واستتيل : تقدم .

الزحف يوم الجيسر ، وهو يريد أن يستقتل ، فقرعه بالرمح ، وقال : لا أبالك !
الزَمَ موقفتك ، فإذا أتاك قيرنك فأغنيه عن صاحبك ولا تستقتل ، قال :
لاني بذلك لتجدير ، فاستقر ولزم الصّف .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي إسحاق الشيباني بمثله .
كتب إلى المرز ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية . وعن
سفيان الأحمرى ، عن المجالد ، عن الشعبي ، قال : قال عمر حين
استجم^(١) جمع بجيلة : اتخذونا طريقاً ، فخرج سرّوات بجيلة ووفدُهم
نحوه ، وخلصوا الجمهور ، فقال : أي الوجوه أحب إليكم ؟ قالوا : الشام فإن
أسلافنا بها ، فقال : بل العراق ؛ فإن الشام^(٢) في كفاية ؛ فلم يزل بهم ،
ويأبون عليه حتى عزم على ذلك ؛ وجعل لهم ربع خمس ما أفاء الله على
المسلمين إلى نصيبهم من النوى ، فاستعمل عرّفة على من كان مقيماً
على جديلة من بجيلة ، وجريراً على من كان من بني عامر
وغيرهم ؛ وقد كان أبو بكر ولأه قتال أهل عُمّان في نفر ، وأقفل حين
غزا في البحر ، فولاه عمر عظم بجيلة ، وقال : اسمعوا لهذا ، وقال للآخرين :
اسمعوا لجرير ، فقال جرير لبجيلة : تُقِرُّون بهذا - وقد كانت بجيلة غضبت
على عرّفة في امرأة منهم - وقد أدخل علينا ما أدخل ! فاجتمعوا فأتوا عمر ،
فقالوا : أعفينا من عرّفة ، فقال : لا أعفيكم من أقدامكم هجرة وإسلاماً ،
وأعظمكم بلاء وإحساناً ، قالوا : استعمل علينا رجلاً منا ، ولا تستعمل
علينا نزيحاً فينا ، فظن عمر أنهم ينفون من نسيه ، فقال : انظروا ما تقولون !
قالوا : نقول ما نسمع ؛ فأرسل إلى عرّفة ، فقال : إن هؤلاء استعفوتني منك ،
وزعموا أنك لست منهم ، فما عندك ؟ قال : صدقوا ، وما يسرّني أني منهم .
أنا امرؤ من الأزد ، ثم من بارق ، في كهف لا يحصى عدده ، وحسب
غير مؤتشب^(٣) . فقال عمر : نعم الحى الأزد ! يأخذون نصيبهم من الخير
والشر . قال عرّفة : إنه كان من شأنى أن الشرّ تفاقم فينا ، ودارنا واحدة ؛

(٢) ز : « أهل الشام » .

(١) ابن حبّيش : « استجم » .

(٣) غير مؤتشب ؛ أى مخلوط غير صريح في نسيه .

فأصبنا الدماء ، ووتر بعضنا بعضا ، فاعتزلتهم لَمَّا خِفْتَهُمْ ، فكنت في ٢١٨٧/١
هؤلاء أسودهم وأقودهم ، فحفظوا على لأمر دار بيني وبين دهاقينهم ،
فحسدوني وكفروني . فقال : لا يضرّك فاعتزلهم إذ كرهوك . واستعمل
جريرا مكانه ، وجمع له بتجيلة ، وأرى جريرا وبتجيلة أنه يبعث عرفة
إلى الشام ، فحبب ذلك إلى جرير العراق ، وخرج جرير في قومه ممدداً للمثنى
ابن حارثة ، حتى نزل ذا قار ، ثم ارتفع حتى إذا كان بالجبل والمثنى
بمرج السباخ ، أتى المثنى الخبر عن حديث بشير وهو بالحيرة ؛ أن الأعاجم
قد بعثوا مهران ، ونهض من المدائن شاخصاً نحو الحيرة . فأرسل المثنى إلى
جرير وإلى عصمة بالحث ، وقد كان عهد إليهم عمر ألاّ يعبروا بحراً
ولا جسراً إلاّ بعد ظفر ، فاجتمعوا بالبويب ، فاجتمع العسكران على شاطئ
البويب الشرقى ، وكان البويب متغيضاً للفرات أيام المدود ، أزمان فارس ،
يصب في الجوف ، والمشركون بموضع دار الرزق ، والمسلمون بموضع السكون .

كتب إلى السري بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ،
عن عطية والمجالد بإسنادهما ، قالا : وقدما على عمر غزاة بني كنانة والأزد في
سبعمئة جميعاً ، فقال : أيّ الوجوه أحب إليكم ؟ قالوا : الشام ، أسلافنا
أسلافنا ! فقال : ذلك قد كفيتموه ؛ العراق العراق ! ذرّوا بلدة قد قلّل الله
شوكتها وعددها ، واستقبلوا جهاد قوم قد حووا فنون العيش ، لعلّ الله أن
٢١٨٨/١ يورثكم بقسطكم من ذلك فتعيشوا مع من عاش من الناس . فقال
غالب بن عبد الله الليثي وعرفجة البارقي ، كل واحد منهما لقومه ، وقاما فيهم :
يا عشيرتاه ! أجيّبوا أمير المؤمنين إلى ما يرى ، وأمضوا له ما يسكنكم . قالوا :
إننا قد أطعناك وأجبنا أمير المؤمنين إلى ما رأى وأراد . فدعا لهم عمر بخير
وقال لهم ، وأمر على بنى كنانة غالب بن عبد الله وسرحه ، وأمر على الأزد
عرفة بن هرثمة وعامتهم من بارق ، وفرحوا برجوع عرفة إليهم .
فخرج هذا في قومه ، وهذا في قومه ، حتى قدما على المثنى .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وعمرو

بإسنادهما ، قالا : وخرج هلال بن علفة التيمي فيمن اجتمع إليه من الرباب حتى أتى عمر ، فأمره عليهم وسرحه ، فقدم على المشني وخرج ابن المشني الجشمي ؛ جشم سعد ، حتى قدم عليه ، فوجهه وأمره على بنى سعد ، فقدم على المشني .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبي وعطية بإسنادهما ، قالا : وجاء عبد الله بن ذى السهميين في أناس من

خشم ، فأمره عليهم ووجهه إلى المشني ، فخرج نحوه حتى قدم عليه .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وعمرو

بإسنادهما ، قالا : وجاء رباعي في أناس من بنى حنظلة ، فأمره عليهم

وسرحهم ، وخرجوا حتى قدم بهم على المشني ، فرأس بعده ابنه شيبث بن رباعي ، وقدم

عليه أناس من بنى عمرو ، فأمر عليهم رباعي بن عامر بن خالد العنود ،

٢١٨٩/١

وألقه بالمشني ، وقدم عليه قوم من بنى ضبة ، فجعلهم فرقتين ، فجعل

على إحدى الفرقتين ابن الهويزر ، وعلى الأخرى المنذر بن حسان ، وقدم

عليه قرط بن جماح في عبد القيس ، فوجهه . وقالوا جميعاً : اجتمع

الفرزان ورستم على أن يبعثا مهران لقتال المشني واستأذنا بوران - وكانا إذا

أرادا شيئاً دنوا من حجابها حتى يكلماها به - فقالا بالذي رأيا وأخبراها

بعدد الجيش - وكانت فارس لا تكثير^(١) البعوث ؛ حتى كان من أمر العرب

ما كان - فلما أخبراها بكثرة عدد الجيش ، قالت : ما بال أهل فارس

لا يخرجون إلى العرب كما كانوا يخرجون قبل اليوم ؟ وما لكما لا تبعثان كما

كانت الملوك تبعث قبل اليوم ! قالا : إن الهينة كانت مع عدونا يومئذ ،

وإنها فينا اليوم ؛ فالأنتهما وعرفت ما جاءها به ، ففضى مهران في جنده حتى

٢١٩٠/١

نزل من دون الفرات والمشني وجنده على شاطئ الفرات ؛ والفرات بينهما ؛

وقدم أنس بن هلال النمرى ممدداً للمشني في أناس من النمر نصارى وجلاب

جلبوا خيلاً ، وقدم ابن مirdي الفيهرى التغلبي في أناس من بنى تغلب

نصارى وجلاب جلبوا خيلاً - وهو عبد الله بن كليب بن خالد - وقالوا

حين رأوا نزول العرب بالعجم : نقاتل مع قومنا . وقال مهران : إماماً أن تعبوا

(١) كذا في س ، وفي ط : « لا يكثرون » .

إلينا ، وإمّا أن نعبر إليكم ، فقال المسلمون : اعبروا إلينا ، فارتحلوا من
بتسوسيا إلى شوميا ، وهي موضع دار الرزق .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن مُحَفَّر ،
عن أبيه ، أن العجم لما أذن لهم في العبور نزلوا شوميا موضع دار الرزق ، فتعبوا
هنالك ، فأقبلوا إلى المسلمين في صفوف ثلاثة مع كل صف فيل ، ورجلهم
أمام فيلهم ، وجاءوا ولم زجل . فقال المثني للمسلمين : إن الذي تسمعون
فشغل ، فالزموا الصمت واتمروا همتسا . فدنوا من المسلمين وجاءوهم من
قِبَل نهر بنى سليم نحو موضع نهر بنى سليم ، فلما دنوا زحفوا ، وصف المسلمون ٢١٩١/١
فيما بين نهر بنى سليم اليوم وما وراءها .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا :
وكان علي مجنبتى المثني بشير وبُسْر بن أبي رهم ، وعلي مجردته المعنى ،
وعلى الرجل مسعود ، وعلى الطلائع قبل ذلك اليوم النسيير ، وعلي الردء
مدعور ؛ وكان علي مجنبتى مهران ابن الأزابه مرزبان الحيرة ومردان شاه .
ولما خرج المثني طاف في صفوفه يعهد إليهم عهده ، وهو على فرسه
الشموس - وكان يدعى الشموس من لين عريكته وطهارته ، فكان إذا
ركبه قاتل ؛ وكان لا يركبه إلا لقتال ويدعه ما لم يكن قتال - فوقف على الرايات
راية راية يحضضهم ، ويأمرهم بأمره ، ويهزهم بأحسن ما فيهم ، تحضيضاً
لهم ، ولكلهم يقول : إننى لأرجو ألا تؤتني العرب اليوم من قبلكم ؛ والله
ما يسرني اليوم لنفسى شيء إلا وهو يسرني لعامتكم ؛ فيجيبونه بمثل
ذلك . وأنصفهم المثني في القول والفعل ، وخلط الناس في المكروه والمحجوب ؛
فلم يستطع أحد منهم أن يعيب له قولاً ولا عملاً . ثم قال : إننى مكبر ثلاثاً
فتهيتوا ؛ ثم احمِلوا مع الرابعة ، فلما كبر أول تكبيرة أعجلهم أهل فارس
وعاجلوهم فخالطوهم مع أول تكبيرة ؛ وركدت حتربهم متلياً ، فرأى
المثني خللاً في بعض صفوفه ، فأرسل إليهم رجلاً ، وقال : إن الأمير يقرأ
عليكم السلام ، ويقول : لا تفضحوا المسلمين اليوم ، فقالوا : نعم ، واعتدلوا ، ٢١٩٢/١
وجعلوا قبل ذلك يروونه وهو يمدّ لحيته لما يرى منهم ؛ فاعتنوا بأمر لم يجنى به

أحد من المسلمين يومئذ فرمقوه ، فأروه يضحك فترحاً والقوم بنو عجل (١) .
 فلما طال القتال واشتد ، عمد المثنى إلى أنس بن هلال ، فقال : يا أنس
 إنك امرؤ عرى ، وإن لم تكن على ديننا ؛ فإذا رأيتنى قد حملت على مهران
 فاحمِلْ معي ، وقال لابن مِرْدَى الفِهْرِمِثْلِ ذلك فأجابه . فحمل المثنى
 على مِهْران ؛ فأزاله حتى دخل في ميمنته ، ثم خالطوهم ، واجتمع القلبان
 وارتفع الغبار والمجنبات تفتتيل (٢) ، لا يستطيعون أن يفرغوا لنصر أميرهم ،
 لا المشركون ولا المسلمون ، وارتث مسعود يومئذ وقواد من قواد المسلمين ؛
 وقد كانه قال لهم : إن رأيتمونا أصبنا فلا تدعوا ما أنتم فيه ؛ فإن الجيش
 ينكشف ثم ينصرف ؛ الزموا مصافكم ، وأغثوا غناء من يليكم . وأوجع
 قلب المسلمين في قلب المشركين ، وقتل غلام من التغلبيين نصراني مِهْران
 واستوى على فرسه ، فجعل المثنى سلبه لصاحب خياله ؛ وكذلك إذا كان
 المشرك في خيل رجل فقتل وسلب فهو للذي هو أمير على من قتل ؛ وكان له
 قائدان : أحدهما جرير والآخر ابن الخوبر ؛ فاقسما سلاحه .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن محفز ،
 عن أبيه محفز بن ثعلبة ؛ قال : جالب فتية من بني تغلب أفراساً ، فلما التقى
 الزحفان يوم البويب ، قالوا : نقاتل العجم مع العرب . فأصاب أحدهم
 مِهْران يومئذ ، ومِهْران على فرس له ورد مجفف بتجفاف أصفر . بين عينيه
 هلال ، وعلى ذنبه أهلة من شبّه . فاستوى على فرسه ، ثم انتمى :
 أنا الغلام التغلبي ، أنا قتلت المرزبان ! فأتاه جرير وابن الخوبر في قومهما
 فأخذا برجله فأنزلاه .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سعيد بن المرزبان
 أن جريراً والمنذر اشركا فيه فاقتصما في سلاحه ، فتماضيا إلى المثنى .
 فجعل سلاحه بينهما والمنطقة والسوارين بينهما ، وأفنتوا قلب المشركين .
 كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي روق . قال :

(١) ز : « بين عجل وما وراءها » . (٢) ز وابن الأثير : « تقتل » .

والله إن كنا لنأتى البؤيب ، فرى فيما بين موضع السكون وبهى سُلَيْمِ
عظاماً بيضاً تلولاً تلوح من هامهم وأوصالهم ؛ يُعتبر بها . قال : وحدثنى
بعض من شهدها أنهم كانوا يحزرونها مائة ألف ، وما عُنِي عليها حتى دفنها
أدقاً البيوت .

كتب إلى المرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ؛ قالوا :
وقف المثنى عند ارتفاع الغبار ؛ حتى أسفر الغبار ، وقد فنى قلب المشركين ،
والجَنَبَات قد هز بعضها بعضاً ، فلما رأوه وقد أزال القلب ، وأفى أهله ، ٢١٩٤/١
قويت الجَنَبَات - مجنَّبات المسلمين - على المشركين ، وجعلوا يردون الأعاجم
على أدبارهم ، وجعل المثنى والمسلمون فى القلب يدعون لهم بالنصر ، ويرسل
عليهم من يدمرهم ، ويقول : إن المثنى يقول : عاداتكم فى أمثالهم ؛
انصروا الله ينصركم ؛ حتى هزموا القوم ، فسابقهم المثنى إلى الجسر فسبقهم
وأخذ الأعاجم ، فافترقوا بشاطئى الفرات مصعدين ومصوبين ، واعتورتهم
خيول المسلمين حتى قتلوهم ، ثم جعلوهم جثاً^(١) ؛ فما كانت بين العرب
والعجم وقعة كانت أبى ريمته منها . ولما ارتث مسعود بن حارثة يومئذ -
وكان صرعى قبل الهزيمة ، فتضعض من معه ، فرأى ذلك وهو دنف -
قال : يا معشر بكر بن وائل ، ارفعوا رايبتكم ، رفعكم الله ! لا يهولنكم
مصرعى . وقاتل أنس بن هلال النمري يومئذ حتى ارتث ، ارتثه للمثنى ،
وضمه وضم مسعوداً إليه . وقاتل قرط بن جَمَّاح العبدى يومئذ حتى دق
قناً^(٢) ، وقطع أسياًفاً . وقتل شهر براز من دهاقين فارس وصاحب مجردة مهران .
قال : ولما فرغوا جلس المثنى للناس من بعد الفراغ يحدثهم ويحدثونه ، وكلما
جاء رجل فتحدث قال له : أخبرنى عنك ؛ فقال له قرط بن جمَّاح : قتلت
رجلاً فوجدت منه رائحة المسك ، فقلت : مهران ، ورجوت أن يكون إياه ، ٢١٩٥/١
فلذا هو صاحب الخيل شهر براز ، فوالله ما رأيتُهُ إذ لم يكن مهران شيئاً .
فقال المثنى : قد قاتلت العرب والعجم فى الجاهلية والإسلام ؛ والله لمائة من
العجم فى الجاهلية كانوا أشد على من ألف من العرب ، ولما اليوم من العرب

(١) جثاً : أكوماً .

(٢) القنا : الرماح ، ودقها : كسر دأ .

أشدّ على من ألف من العجم ؛ إن الله أذهب مصلوحتهم ، ووهن كيدهم ؛ فلا يروعنكم زُهَاء^(١) تروثه ، ولا سَوَاد ولا قِيسِي^(٢) فُج^(٣) ، ولا نِبَال طَوَال ، فإنهم إذا أعجلوا عنها أو فقدوها ، كالبهايم أينما وجهتموها اتجهت .

وقال ربّيعي وهو يحدث المثنى : لما رأيت ركود الحرب واحتدامها ، قلت : ترسوا^(٤) بالمجان ، فإنهم شادون عليكم ؛ فاصبروا لشدّتين وأنا زعيم لكم بالظفر في الثالثة ؛ فأجابوني والله ؛ فوفى الله كفالي .

وقال ابن ذى السهمين محدثاً : قلت لأصحابي : إنني سمعت الأمير يقرأ ويذكر في قراءته الرُعْب^(٥) ؛ فما ذكره إلا لفضل عنده ؛ اقتدوا بربائكم ، وليتحمّ راجلكم خيلكم ، ثم احمّلوا ، فما لقول الله من خُلف ؛ فأنجز الله لهم وعده ، وكان كما رجوت .

وقال عرفة محدثاً : حُرْنَا كتيبةً منهم إلى الفرات ، ورجوت أن يكون الله تعالى قد أذن في غرقهم وسلّى عنّا بها مصيبة الجسر ، فلما دخلوا في حدّ الإحراج ، كروا علينا ، فقاتلناهم قتالاً شديداً حتى قال بعض قومي : لو أخرت رايبتك ! فقلت : على إقدامها ، وحملت بها على حاميتهم فقتلته ، فولتوا نحو الفرات ، فما بلغه منهم أحد فيه الروح .

وقال ربّيعي بن عامر بن خالد : كنت مع أبي يوم البُوب - قال وسمي البُوب يوم الأعراس - أحصي مائة رجل ، قتل كل رجل منهم عشرة في المعركة يومئذ ، وكان عروة بن زيد الخيل من أصحاب التسعة ، وغالب في بني كنانة من أصحاب التسعة ، وعرفجة في الأزد من أصحاب التسعة .

وقتل المشركون فيما بين السكون اليوم إلى شاطئ الفرات ، ضفة البوب الشرقية ؛ وذلك أن المثنى بادرهم عند الهزيمة الجمر ، فأخذه عليهم ، فأخذوا يَمْنَةً وَيَسْرَةً ، وتبعهم المسلمون إلى الليل ، ومن الغد إلى الليل ، وندم المثنى على أخذه بالجسر ، وقال : لقد عجزت عجزه وقسى الله شرّها بمسابقتي إياهم إلى الجسر وقطعه ؛ حتى أخرجتهم ؛ فلمني غير عائد ؛ فلا تعودوا

(١) الزهراء : العدد .

(٢) يقال : قوس فجاء ومنفجة : بان وترها عن كبدها .

(٣) ترس : ترس بالترس . (٤) ابن حبيش : « الزحف »

ولا تقتدوا بي أيها الناس ، فإنها كانت منى زلّة لا ينبغي إحراج أحد إلا من لا يقوى على امتناع . ومات أناس من الجرحى من أعلام المسلمين ، منهم خالد ابن هلال ومسعود بن حارثة ، فصلّى عليهم المشنى ، وقدّمهم على الأسنان والقرآن ؛ وقال : والله إنّه ليُهون علىّ وجندى أن شهدوا البُويب ، أقدموا وصبروا ، ولم يجزعوا ولم ينكّلوا ، وإن كان في الشهادة كفارة لتجاوز الذنوب . ٢١٩٧/١

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزبياد ، قالوا : وقد كان المشنى وعصمة وجريبر أصابوا في أيام البُويب على الظهر نُزل مهزّان غنماً ودقيقاً وبقرًا ، فبعثوا بها إلى عيالات من قدم من المدينة وقد خلفهن بالقوادس ، وإلى عيالات أهل الأيام قبلهم ؛ وهم بالحيرة . وكان دليل الذين ذهبوا بنصيب العيالات الذين بالقوادس عمرو بن عبد المسيح بن بَقَيْلَة ، فلما رُفِعوا للنسوة فرأين الخيل ، تصايحن وحسبها غارة ، فقمّن دون الصبيان بالحجارة والعُمد ، فقال عمرو : هكذا ينبغي لساء هذا الجيش ! وبشروهن بالفتح ، وقالوا : هذا أوله ، وعلى الخيل التي أتتهم بالنزل النسيير ؛ وأقام في خيله حامية لهم ، ورجع عمرو بن عبد المسيح فبات بالحيرة . وقال المشنى يومئذ : من يتبع الناس حتى ينتهي إلى السيب ؟ فقام جرير بن عبد الله في قومه ، فقال : يا معشر بَجَيْلَة ، إنكم جميع من شهد هذا اليوم في السابقة والفضيلة والبلاء سواء ، وليس لأخذ منهم في هذا الخمس غدًا من النفل مثل الذي لكم منه ؛ ولكم رُبْعُ خمسهِ نفلًا من أمير المؤمنين ؛ فلا يكونن أحدٌ أسرع إلى هذا العدو ولا أشدّ عليه منكم للذي لكم منه ، ونيّة إلى ما ترجون^(١) ؛ فإنما تنتظرون إحدى الحُسْنَيَيْنِ : الشهادة والجنّة أو الغنيمة والجنّة . ٢١٩٨/١

ومال المشنى على الذين أرادوا أن يستقتلوا من مُنْهَزِمَة يوم الجسر ، ثم قال : أين المستبسل بالأمس وأصحابه ! انتدبوا في آثار هؤلاء القوم إلى السيب ، وابلغوا من عدوكم ما تغيظونهم به ، فهو خير لكم وأعظم أجرًا ؛ واستغفروا الله إن الله غفورٌ رحيم .

(١) ز : « يرجون » .

كتب إلى المرسى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن حمزة بن علي بن محفز ، عن رجل من بَنَكْر بن وائل ، قال : كان أول الناس انتدب يومئذ للمثنى وتبع آثارهم المستبسل وأصحابه ؛ وقد كان أراد الخروج بالأمس إلى العدو من صف المسلمين واستوفز واستنزل^(١) ، فأمر المثنى أن يعقد لهم الجمر؛ ثم أخرجهم في آثار للقوم ، واتبعتهم بتجيلة وخبول من المسلمين تغذ^(٢) من كل فارس ، فانطلقوا في طلبهم حتى بلغوا السيب ، ولم يبق في العسكر جسر إلا خرج في الخيل ، فأصابوا من البقر والسبي وسائر الغنائم شيئاً كثيراً فقسمه المثنى عليهم ، وفضل أهل البلاء من جميع القبائل ، ونقل بتجيلة يومئذ ربع الخمس بينهم بالسوية ، وبعث بثلاثة أرباعه مع عكرمة ، وأتى الله الرعب في قلوب أهل فارس . وكتب القواد الذين قادوا الناس في الطلب إلى المثنى ، وكتب عاصم وعصمة وجريبر : إن الله عز وجل قد سلم وكفى ، ووجه لنا ما رأيت ، وليس دون القوم شيء ؛ فتأذن لنا في الإقدام ! فأذن لهم ، فأغاروا حتى بلغوا ساباط ، وتحصن أهل ساباط منهم واستباحوا القرى ذات دونهما ؛ وراهم أهل الحصن بساباط عن حصنهم ، وكان أول من دخل حصنهم ثلاثة قواد : عصمة ، وعاصم ، وجريبر ؛ وقد تبعهم أوزاع من الناس كلهم . ثم انكفوا^(٣) راجعين إلى المثنى .

٢١٩٩ / ١

كتب إلى المرسى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية بن الحارث ، قال : لما أهلك الله مهران استمكن المسلمون من الغارة على السواد فيما بينهم وبين دجلة فتمخروها ، لا يخافون كيداً ، ولا يلقون فيها مانعاً ، وانتقضت مسالحو العجم ، فرجعت إليهم ؛ واعتصموا بساباط ، وسرهم أن يتركوا ما وراء دجلة . وكانت وقعة البويب في رمضان سنة ثلاث عشرة ، قتل الله عليه مهران وجيشه ، وأفعموا جنبتي البويب عظاماً ، حتى استوى وما عنى عليها إلا التراب أزمان الفتنة ، وما يثار هنالك شيء إلا وقعوا منها على شيء ؛ وهو ما بين السكون ومُرْهبة وبنى سليم ؛ وكان مغيضاً للنرات أزمان الأكَسرة بصب في الجوف . وقال الأعور العبدي الشنبي :

(١) استنزل للأمر : استند . (٢) ز : « تغذو » . (٣) ز : « انكفوا » .

هاجَت لِأَعْوَرَ دَارُ الْحَيِّ أَحْرَانَا
 وَقَدْ أَرَانَا بِهَا وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ
 أَرْمَانَ سَارِ الْمُنْتَى بِالْحَيْسُولِ لَهُمْ
 سَمَا لِمِهْرَانَ وَالْجَيْشِ الَّذِي مَعَهُ

٢٢٠٠ / ١

قال أبو جعفر : وأما ابن إسحاق ، فإنه قال في أمر جرير وعرفجة والمنثى
 وقتال المنثى مهراَنَ غير ما قصَّ سيف من أخبارهم ؛ والذي قال في أمرهم
 ما حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ،
 قال : لما انتهت إلى عمر بن الخطاب مصيبة أصحاب الجسر ، وقدم عليه
 فلتمهم ؛ قدم عليه جرير بن عبد الله البجلي من اليمن في ركب من بَجِيلَةَ ،
 وعرفجة بن هرثة - وكان عرفجة يومئذ سيد بَجِيلَةَ ، وكان حليفاً لهم من
 الأزْد - فكلّمهم عمر ، فقال لهم : إنكم قد علمتم ما كان من المصيبة في
 إخوانكم بالعراق ؛ فسيروا إليهم وأنا أخرج إليكم من كان منكم في قبائل
 العرب فأجمعهم إليكم . قالوا : نفعل يا أمير المؤمنين ، فأخرج لهم قيس
 كُبَّةَ وسُحْمَةَ وعُرَيْنَةَ ؛ وكانوا في قبائل بني عامر بن صعصعة ، وأمر عليهم
 عرفجة بن هرثة ، فغضب من ذلك جرير بن عبد الله البجلي ، فقال
 لبَجِيلَةَ : كلّموا أمير المؤمنين ، فقالوا له : استعملت علينا رجلاً ليس منا ،
 فأرسل إلى عرفجة ، فقال : ما يقول هؤلاء ؟ قال : صدقوا يا أمير المؤمنين ،
 لست منهم ، ولكني رجل من الأزْد ، كنا أصبنا في الجاهلية دماً في قومنا ،
 فلحقنا بَجِيلَةَ^(١) ، فبلغنا فيهم من السؤدد ما بلغك . فقال له عمر : فاثبت على
 منزلتك ، ودافعهم كما يدافعونك . قال : لست فاعلاً ولا سائراً معهم ؛
 فسار عرفجة إلى البصرة بعد أن نزلت ، وترك بَجِيلَةَ ، وأمر عمر على بَجِيلَةَ
 جرير بن عبد الله ، فسار بهم مكانه إلى الكوفة ، وضم إليه عمر قومه من
 بَجِيلَةَ ؛ فأقبل جرير حتى إذا مرّ قريباً من المنثى بن حارثة ، كتب إليه
 المنثى أن أقبل إلى ، فإنما أنت مدد لي . فكتب إليه جرير : إنني لست
 فاعلاً إلا أن يأمرني بذلك أمير المؤمنين ؛ أنت أمير وأنا أمير .

٢٢٠١ / ١

(١) ابن حبيش : « بجيله » .

ثم سار جرير نحو الجسر ، فلقية مهرا بن باذان - وكان من عظماء فارس - عند النخيلة ، قد قطع إليه الجسر ، فاقتلا قتالا شديداً ، وشد المنذر بن حسان بن ضرار الضبي على مهرا فطعنه ، فوقع عن دابته ، فاقتحم عليه جرير فاحتر رأسه ، فاختصما في سلبه ، ثم اصطلحا فيه ؛ فأخذ جرير السلاح ، وأخذ المنذر بن حسان منطقته .
قال : وحديث أن مهرا لما لقي جريراً قال :

إن تسألوا عني فإني مهرا أنا لمن أنكرني ابن باذان

قال : فأنكرت ذلك حتى حدثني من لا أتهم من أهل العلم أنه كان عربياً نشأ مع أبيه باليمن إذ كان عاملاً^(١) لكسرى . قال : فلم أنكر ذلك حين بلغني .

٢٢٠٢ / ١

وكتب المنثي إلى عمر بتمحل^(٢) بجرير ، فكتب عمر إلى المنثي : إنني لم أكن لأستعملك على رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم - يعني جريراً . وقد وجه عمر سعد بن أبي وقاص إلى العراق في ستة آلاف ، أمره عليهم ؛ وكتب إلى المنثي وجرير بن عبد الله أن يجتمعا إلى سعد بن أبي وقاص ، وأمر سعداً عليهما ؛ فسار سعد حتى نزل شراف ، وسار المنثي وجرير حتى نزلا عليه ، فشتا بها سعد ، واجتمع إليه الناس ، ومات المنثي بن حارثة رحمه الله .

• • •

خبر الخنافس

رجع الحديث إلى حديث سيف . كتب إلى المري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : ومخر المنثي السواد وخلف بالحيرة بشير بن الحصاصة ، وأرسل جريراً إلى ميسان ، وهلال بن علفة التيمي إلى دست ميسان ، وأذكى المسالج بعصمة بن فلان الضبي

(١) ز : « غلاما » . (٢) يجعل به ، أي يمرض .

وبالكتلج الضبي وبعرفجة البارقي ، وأمثالهم في قواد المسلمين ؛ فبدأ فتزل
 أليس - قرية من قرى الأنبار - وهذه الغزاة تُدعى غزاة الأنبار الآخرة ؛
 وغزاة أليس الآخرة ، وألز^(١) رجلاً بالمشني : أحدهما أنباري ، والآخر حيري^(٢) ،
 يدلّه كل واحد منهما على سوق ، فأما الأنباري فدله على الخنّافس ، وأما
 الحيري فدله على بغداد . فقال المشني : أيتّهما قبل صاحبتهما ؟ فقالوا : بينهما
 أيام ، قال : أيتّهما أعجل ؟ قالوا : سوق الخنّافس سوق يتوافق إليها الناس ،
 ويجتمع بها^(٣) ربيعة وقضاة يخفرونهم . فاستعدّ لها المشني ؛ حتى إذا ظنّ
 أنه سوافيها يوم سوقها ركب نحوهم ، فأغار على الخنّافس يوم سوقها ،
 وبها خيّلان من ربيعة وقضاة ، وعلى قضاة رومانيس بن وبرّة ، وعلى
 ربيعة السليل بن قيس وهم الخفراء ، نانتسف السّوق وما فيها ، وسلب
 الخفراء ، ثم رجع عوّده على بدته حتى يطرق دهاقين الأنبار طروقاً في
 أول النهار يومه ، فتحصّنوا منه ، فلما عرفوه نزلوا إليه فاتوه بالأعلاف والزاد ؛
 وأتوه بالأدلاء على بغداد ؛ فكان وجهه إلى سوق بغداد ، فصبّحهم المسلمون
 بمخرون السّواد والمشني بالأنبار ، ويشنون الغارات فيما بين أسفل كسكر
 وأسفل الفرات وجسور ميثقّب إلى عين التّمروما والاهما من الأرض في أرض
 الفلاليج والعال .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن محفر ،
 عن أبيه ، قال : قال رجل من أهل الحيرة للمشي : ألا ندلك على قرية يأتيها
 تجار مدائن كسرى والسّواد ، وتجتمع بها في كل سنة مرة ومعهم فيها
 الأموال ؛ كبيت المال ؛ وهذه أيام سوقهم ، فإن أنت قدرت أن تُغيرَ عليهم
 وهم لا يشعرون أصبتَ فيها مالا^(٤) يكونُ غنّاء للمسلمين ؛ وقتوا به على عدوهم
 دهرهم ؛ قال : وكم بين مدائن كسرى وبينها ؟ قال : بعض يوم أو عامّة
 يوم ، قال : فكيف لي بها ؟ قالوا : نأمرك إن أردتها أن تأخذ طريق البرّ ،

(١) أزا به : لصفا .

(٢) ز : « جري » .

(٣) ابن حيش : « إليها » .

(٤) ابن حيش : « بها أموالا » .

حتى تنتهي إلى الخنافس ، فإن أهل الأنبار سيضربون إليها ، ويخبرون عنك
 فيأمنون ، ثم تعوج على أهل الأنبار فتأخذ الدهاقين بالأدلاء ، فتسير سواد
 ليلتك من الأنبار حتى تأتيهم صبحاً فتصبتهم غارة .
 فخرج من أليس حتى أتى الخننفس ، ثم عاج حتى رجع على الأنبار ،
 فلما أحسها صاحبها تحصن وهو لا يدري من هو ؛ وذلك ليلاً ؛ فلما
 عرفه نزل إليه فأطعمه المشي ، وخوفه واستكتمه ، وقال : إنني أريد أن
 أغير فابعث معي الأدلاء إلى بغداد ، حتى أغير منها إلى المدائن . قال : أنا
 أجيء معك ، قال : لا أريد أن تجيء معي ، ولكن ابعث معي من هو
 أدل منك ، فزودهم الأطعمة والأعلاف ، وبعث معهم الأدلة ، فساروا
 حتى إذا كانوا بالنصف ، قال لهم المشي : كم بيني وبين هذه القرية ؟
 قالوا : أربعة أو خمسة فراسخ . فقال لأصحابه : من ينتدب للحرس ؟
 فانتدب له قوم فقال لهم : أذكروا حرسكم ، ونزل ، وقال : أيها الناس ،
 أقيموا واطعموا وتوضئوا وتبيتوا . وبعث الطلائع فحبسوا الناس ليسبقوا الأخبار ،
 فلما فرغوا أسرى إليهم آخر الليل ، فعبر إليهم ، فصبتهم في أسواقهم ،
 فوضع فيهم السيف فقتل ، وأخذوا ما شاءوا ، وقال المشي : لا تأخذوا إلا الذهب
 والفضة ، ولا تأخذوا من المتاع إلا ما يقدر الرجل منكم على حمله على دابته .
 وهرب أهل الأسواق ، وملا المسلمون أيديهم من الصفراء والبيضاء
 والحر من كل شيء ، ثم خرج كاراً حتى نزل بنهر السيلحين
 بالأنبار ؛ فنزل وخطب الناس ، وقال : أيها الناس ، انزلوا وقضوا أوطاركم ،
 وتأهبوا للسير ، واحمدوا الله وسلوه العافية ، ثم انكشيفوا قيضاً^(١) .
 ففعلوا ، فسمع همساً فيما بينهم : ما أسرع القوم في طلبنا ! فقال : تناجتوا
 بالبر والتقوى ولا تناجتوا بالإثم والعدوان ، انظروا في الأمور وقدروها ثم
 تكلّموا ؛ إنه لم يبلغ النذير مدينتهم بعد ؛ ولو باغتهم لحال الرعب بينهم
 وبين طلبكم . إن للغارات روعات تنتشر عليها يوماً إلى الليل ، ولو طلبكم
 المحامون من رأى العين ما أدركوكم ؛ وأنتم على العراب^(٢) حتى تنتهوا إلى

٢٢٠٥/١

(١) قيضاً . أى سريعاً .

(٢) العراب : الخيل السليمة من الهجينة .

عسكركم وجماعتكم ، ولو أدركوكم لقاتلتهم لاثنتين : التماس الأجر ورجاء النصر ؛ فثَقُّوا بالله وأحسنوا به الظَّنَّ ، فقد نصركم الله في مواطن كثيرة وهم أعدُّ منكم ؛ وسأخبركم عنى وعن انكماشى والذى أريد بذلك ؛ إن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أوصانا أن نقلل العُرْجَةَ (١) ، ونسرع الكرة في الغارات ، ونسرع في غير ذلك الأوبئة . وأقبل بهم ومعهم أدلاؤهم يقطعون بهم الصحارى والأنهار ؛ حتى انتهى بهم إلى الأنبار ؛ فاستقبلهم دهاقين الأنبار بالكرامة ، واستبشروا بسلامته ، وكان مواعده الإحسان إليهم إذا استقام لهم من أمرهم ما يحبون .

٢٢٠٦/١

كتب إلى السرى : عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : لما رجع المثنى من بغداد إلى الأنبار سرح المضارب العجلى وزيدا إني الكبيات ، وعليه فارس العناب التغلبى ، ثم خرج في آثارهم ، فقدم الرجلان الكبيات ، وقد ارفضوا وأخلوا الكبيات ، وكان أهله كلتهم من بنى تغلب ، فركبوا آثارهم يتبعونهم ، فأدركوا أخرياتهم وفارس العناب يحميهم ، فحدهم ساعة ثم هرب ، وقتلوا في أخرياتهم وأكثروا ، ورجع المثنى إلى عسكره بالأنبار ، والخليفة عليهم فرات بن حيان . فلما رجع المثنى إلى الأنبار سرح فرات ابن حيان وعُتَيْبَةُ بن النُّهَّاس وأمرهما بالغارة على أحياء من تغلب والنمير بصنيتين ، ثم اتبعهما وخلف على الناس عمرو بن أبى سلمى الهُجَيْمِي ؛ فلما دنوا من صيفين ، افترق المثنى وفرات وعُتَيْبَةُ ، وفرَّ أهل صيفين وعبروا الثرات إلى الجزيرة ، وتحصنوا ، وأرمل (٢) المثنى وأصحابه من الزاد ، حتى أقبلوا على رواحلهم إلا مالا بدت منه فأكلوها حتى أخفأها وعظامها وجلودها . ثم أدركوا عيرا من أهل دِيَّاف وحتوران ، فقتلوا العلوج وأصابوا ثلاثة نفر من بنى تغلب خفراء ، وأخذوا العير . وكان ظهرا فاضلا ، وقال لهم : دلوني ، فقال أحدهم : آمنوني على أهلي ومالي ، وأدلكم على حتى من تغلب غدوت من عندهم اليوم ؛ فآمنته المثنى وسار معه يومه ، حتى إذا كان العشي هجم على القوم ، فإذا النعم صادرة عن الماء ، وإذا القوم جلوس بأفنية

٢٢٠٧/١

(١) العرجة : المقام . (٢) أى قل زادهم ، أو افتقدوه .

البيوت ، فبث غارته ، فقتلوا المقاتلة ، وسبوا الذرية ؛ واستاقوا الأموال ، وإذا هم بنو ذى الرويحة ؛ فاشترى من كان بين المسلمين من ربيعة نسبا بنصيبه من النوى ، وأعتقوا سبيهم ؛ وكانت ربيعة لانسبى إذا العرب يتسابون في جاهليتهم .

وأخبر المثنى أن جمهور من سلك البلاد قد انتجعوا الشط^(١) ؛ شاطى دجلة ، فخرج المثنى ، وعلى مقدمته في غزواته هذه بعد البويب كله حذيفة بن محسن الغلفاني ، وعلى مجنبيه النعمان بن عوف بن النعمان ومطر الشيبانيان ، فمرح في أدبارهم حذيفة واتبوه ؛ فأدركوهم بتكريت دوينة من حيث طلبوهم يخوضون الماء ، فأصابوا ما شاءوا من النعم ، حتى أصاب الرجل خمسا من النعم ، وخمسا من السبي ، وخمس المال ؛ وجاء به حتى ينزل على الناس بالأنبار ؛ وقد مضى فرات وعتبية في وجوعهما ؛ حتى أغاروا على صفتين وبها النمر وتغلب متساندين ، فأغاروا عليهم^(٢) حتى رموا بطائفة منهم في الماء ، فناشدوهم فلم يقلعوا عنهم ، وجعلوا ينادونهم : الفرق الفرق ! وجعل عتبية وفرات يذمران الناس ، وينادونهم : تغريق بتحريق - يذكرونهم يوما من أيامهم في الجاهلية أحرقوا فيه قوما من بكر بن وائل في غيضة من الغياض - ثم انكفئوا راجعين إلى المثنى ، وقد غرقوهم .

٢٢٠٨/١

ولما تراجع الناس إلى عسكرهم بالأنبار وتوافقى بها البعوث والمرايا ، انحدر بهم المثنى إلى الحيرة ، فنزل بها . وكانت تكون لعمر رحمه الله العيون في كل جيش ، فكتب إلى عمر بما كان في تلك الغزاة ، وبلغه الذي قال عتبية وفرات يوم بنى تغلب والماء ؛ فبعث إليهما فسألها ، فأخبراه أنهم قالا ذلك على وجه أنه مثل ، وأنهما لم يفعلا ذلك على وجه طلب ذحل الجاهلية ، فاستحلفهما ، فحلفا أنهما ما أرادا بذلك إلا المثل وإعزاز الإسلام ، فصداقهما وردت ما حتى قدما على المثنى .

• • •

(١) ابن حبيش : « الشاطى » .

(٢) بعدها في ابن حبيش : « وبغثوا بهم فمصوبوم » .

ذكر الخبر عما هيج أمر القادسية

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله بن سواد بن نؤيرة ، عن عزيز بن مكنف التميمي ثم الأسديّ ، وطلحة بن الأعمى الحنفيّ ، عن المغيرة بن عتيبة بن النهاس العجليّ ، وزياد بن سرجس الأحمريّ ، عن عبد الرحمن بن ساباط الأحمريّ ، قالوا جميعاً : قال أهل فارس لرستم والفيروزان - وهما على أهل فارس - أين يذهب بكما ! لم يرح بكما الاختلاف حتى وهتتا أهل فارس ، وأطمعنا فيهم عدوهم ! وإنه لم يبلغ من خطرهما أن يقرّ كما فارس على هذا الرأي ، وأن تعرضاها للهلكة ، ما بعد بغداد وساباط وتكريت إلا المدائن ؛ والله لتجتمعان أو لنبدأن بكما قبل أن يشمت بنا شامت .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن محفز ، عن أبيه ، قال : قال أهل فارس لرستم والمسلمون يمخرون السواد : ما تنتظرون والله إلا أن يتزل بنا ونهلك ! والله ما جرّ هذا الوهن علينا غيركم يا معاشر القواد ! لقد فرّقتم بين أهل فارس وثبّطتموهم عن عدوهم . والله لولا أن في قتلكم هلاكنا لعجلنا لكم القتل الساعة ، ولئن لم تنتهوا لنهلكنكم ثم نهلك وقد اشتفينا منكم .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : فقال الفيروزان ورستم لبوران ابنة كسرى : اكتبى لنا نساء كسرى وسراريه ونساء آل كسرى وسراريهم . ففعلت ، ثم أخرجت ذلك إليهم في كتاب ، فأرسلوا في طلبهن فلم يبق منهن امرأة إلا أتوا بها ، فأخذوهن بالرجال ووضعوا عليهن العذاب يستدلونهن على ذكر من أبناء كسرى ، فلم يوجد عندهن منهم أحد ، وقلن - أو من قال منهن : لم يبق إلا غلام يدعى يزدجرد من ولد شهريار بن كسرى ، وأمه من أهل بادوريا . فأرسلوا إليها فأخذوها به ، وكانت قد أنزلته في أيام شيرى حين جمعهن في القصر

الأبيض ، فقتل الذكور ، فواعدت أخواله ، ثم دلته إليهم في زبيل^(١) فسألوها عنه وأخذوها به ، فدلتهم عليه ، فأرسلوا إليه فجاءوا به فملكوه وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، واجتمعوا عليه ، واطمأننت فارس واستوثقوا وتبارى الرؤساء في طاعته ومعونته فسمى الجنود لكل مسلحة كانت لكسرى أو موضع ثغر ، فسمى جند الحيرة والأنبار والمسالح والأبلّة . وبلغ ذلك من أمرهم واجتماعهم على يزدجرد المثنى والمسلمين ، فكتبوا إلى عمر بما ينتظرون ممن بين ظهرائهم ، فلم يصل الكتاب إلى عمر حتى كفر أهل السواد ؛ ممن كان له منهم عهد ومن لم يكن له منهم عهد . فخرج المثنى على حاميته حتى نزل بذي قار ، وتنزل الناس بالطف في عسكر واحد حتى جاءهم كتاب عمر :

أما بعد ؛ فاخرجوا من بين ظهري الأعاجم ، وتفرقوا في المياه التي تلي الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم ، ولا تدعوا في ربيعة أحداً ولا مضراً ولا حلفائهم أحداً من أهل النجدات ولا فارساً إلا اجتلبتموه ؛ فإن جاء طائعا وإلا حشتموه ، احمّلوا العرب على الجدة إذ جدّ العجم ؛ فلتلقوا جدّهم بجدّكم .

٢٢١١/١

فنزل المثنى بذي قار ، ونزل الناس بالجلّ وشراف إلى غضيّ - وغضيّ حيال البصرة - فكان جرير بن عبد الله بغضيّ وسبيرة بن عمرو والعنبري ومن أخذ أخذهم فيمن معه إلى سلمان ، فكانوا في أمواه الطّف من أولها إلى آخرها مسالح بعضهم ينظر إلى بعض ؛ ويغيث بعضهم بعضاً إن كان كون ، وذلك في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة .

حدثنا السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : كان أول ما عمل به عمر حين بلغه أن فارس قد ملكوا يزدجرد ، أن كتب إلى عمّال العرب على الكور والقبائل ، وذلك في ذي الحجة سنة ثلاث عشرة مُخرجه إلى الحجّ ، وحجّ سنواته كلها : لاندعاء

(١) الزبيل كأمير : الجراب أو الوعاء .

أحدًا له سلاح ، أو فرس ، أو نجدة ، أو رأى إلا انتخبتموه ، ثم وجهتموه إلى ، والعَجَل العَجَل !

فصت الرُّسُل إلى مَنْ أرسلهم إليهم مخرجه إلى الحج ، ووافاه أهلُ هذا الضرب من القبائل التي طُرُقها على مكة والمدينة ، فأما مَنْ كان من أهل المدينة على النصف ما بينه وبين العراق ، فوافاه بالمدينة مرجعه من الحج ، وأما مَنْ كان أسفلَ من ذلك فانضموا إلى المشي ، فأما مَنْ وافى عمر فإنهم أخبروه عمّن وراءهم بالحث .

وقال أبو معشر : فيما حدثني الحارث ، عن ابن سعد : عنه . وقال

ابن إسحاق - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عنه : الذي حج بالناس سنة ثلاث عشرة عبد الرحمن بن عوف .

وقد حدثني المقدمي^(١) ، عن إسحاق الفَرَوِي ، عن عبيد الله بن عمر ،

عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : استعمل عمرُ على الحج عبد الرحمن بن عوف في السنة التي وليَ فيها ، فحج بالناس ، ثم حج سنه كلها بعد ذلك بنفسه .

وكان عامل عمر في هذه السنة - على ما ذكر - على مكة عتاب بن أسيد ، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص ، وعلى اليمن بعلبي بن منبية ، وعلى عُمان واليمامة حذيفة بن محصن ، وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي ، وعلى الشام أبو عبيدة بن الجراح ، وعلى فرج الكوفة وما فتح من أرضها المشي ابن حارثة

وكان على القضاء فيما ذكر - على بن أبي طالب . وقيل : لم يكن لعمر في أيامه قاض .

(١) ط . المقدمي ، وهو ابن المقدمي أبو عثمان ، وانظر ص ١٨٠ س ٢ من هذا الجزء .

ثم دخلت سنة أربع عشرة

[ذكر ابتداء أمر القادسية]

ففي أول يوم من المحرم سنة أربع عشرة - فيما كتب إلى به السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزبياد بإسنادهم - خرج عمر حتى نزل على ماء يدعى صراراً ، فعسكر به ولا يدري الناس ما يريد ؛ أيسير أم يقيم . وكانوا إذا أرادوا أن يسألوه عن شيء رموه بعثمان أو بعبد الرحمن بن عوف ؛ وكان عثمان يُدعى في إمارة عمر رديفًا - قالوا : والرديف بلسان العرب [الرجل] ^(١) الذي بعد الرجل ، والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد رئيسهم ^(٢) - وكانوا إذا لم يقدر هذان على علم شيء مما يريدون ، ثلثوا بالعبّاس ، فقال عثمان لعمر : ما بلغك ؟ ما الذي تريد ؟ فنادى : الصلاة جامعة . فاجتمع الناس إليه ، فأخبرهم الخبر . ثم نظر ما يقول الناس ، فقال العامة : سيرٌ وسيرٌ بنا معك ؛ فدخل معهم في رأيهم ، وكره أن يدعهم حتى يُخرجهم منه في رفق ، فقال : استعدوا وأعدوا فلانتي سائر إلا أن يجيء رأي هو أمثل من ذلك ^(٣) . ثم بعث إلى أهل الرأي ، فاجتمع إليه وجوه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأعلام العرب ، فقال : أحضروني الرأي فلان سائر . فاجتمعوا جميعاً ، وأجمع ملأهم على أن يبعث رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقيم ، ويرميه بالجنود ، فإن كان الذي يشتهي من الفتح ، فهو الذي يريد ويريدون ؛ وإلا أعاد رجلاً وندب جنداً آخر ؛ وفي ذلك ما يغيظ العدو ، ويرعوى المسلمون ، ويجيء نصر الله بإنجاز موعود الله . فنادى عمر : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس إليه ، وأرسل إلى عليّ عليه السلام ، وقد استخلفه على المدينة ، فأتاه ، وإلى طلحة وقد بعثه

(١) من ز . (٢) اللسان : « أرداف الملوك هم الذين يخلفونهم في القيام بأمر

المملكة ؛ بمنزلة الوزراء في الإسلام ، واحدهم ردف ؛ والاسم الرداقة » .

(٣) ز ، وابن الأثير : « هذا » .

على المقدمة، فرجع إليه، و [جعل] ^(١) على المجنبتين الزبير وعبدالرحمن بن عوف، فقام في الناس فقال: إن الله عز وجل قد جمع على الإسلام أهله؛ فألف بين القلوب، وجعلهم فيه إخواناً، والمسلمون فيما بينهم كالجسد لا يخلو منه شيء من شيء أصاب غيره؛ وكذلك يتحقق على المسلمين أن يكونوا أمرهم شورى بينهم وبين ^(٢) ذوي الرأي منهم؛ فالناس تبع لمن قام بهذا الأمر؛ ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعاً لهم، ومن أقام بهذا الأمر تبع لأولي رأيهم ما رأوا لهم ورضوا به لهم من مكيدة في حرب كانوا فيه تبعاً لهم. يأتيها الناس، إني إنما كنت كرجل منكم حتى صرفني ^(٣) ذوي الرأي منكم عن الخروج، فقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً، وقد أحضرت هذا الأمر؛ من قدمت ومن خلفت. وكان على عليه السلام خليفته على المدينة، وطلحة على مقدمته بالأعوص؛ فأحضرهما ذلك.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن إسحاق، عن صالح بن كيسان، عن عمر بن عبد العزيز، قال: لما انتهى قتل أبي عبيد ابن مسعود إلى عمر، واجتماع أهل فارس على رجل من آل كسرى، نادى في المهاجرين والأنصار؛ وخرج حتى أتى صيراراً، وقدّم طلحة بن عبيد الله حتى يأتي الأعوص، وسمي لميمته عبد الرحمن بن عوف، وليسرته الزبير ابن العوام، واستخلف علياً رضي الله عنه على المدينة، واستشار الناس، فكلهم أشار عليه بالسير إلى فارس، ولم يكن استشار في الذي كان حتى نزل بصيرار ورجع طلحة، فاستشار ذوي الرأي، فكان طلحة ممن تابع الناس، وكان عبدالرحمن ممن نهاه، فقال عبد الرحمن: فما فديت أحداً بأبي وأمي بعد النبي صلى الله عليه وسلم قبل يومئذ ولا بعده؛ فقلت: يا بأبي وأمي، اجعل عجزها بي ^(٤) وأقيم وابعث جنداً، فقد رأيت قضاء الله لك في جنودك قبل وبعد، فإنه إن يهزم ^(٥) جيشك ليس كهزيمتك؛ وإنك إن تقتل أو تهزم

(١) من س . (٢) كذا في س، وفي ط بحذف الواو . (٣) ز : « صدفتي » .

(٤) ز : « لى » . (٥) س : « انهزم » .

في أنف الأمر خشيتُ ألا يكبر المسلمون وألا يشهدوا أن لا إله إلا الله أبداً وهو في ارتيادٍ من رجل ؛ وأتى كتاب سعدٍ على حَفَفٍ^(١) مَشُورَتِهِمْ ؛ وهو على بعض صدقات نجد ، فقال عمر : فأشيروا على برجل ، فقال عبد الرحمن : وجدته ، قال : مَنْ هو ؟ قال : الأسد في برائه ؛ سعد بن مالك ؛ ومالأه أولو الرأي .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن خُلَيْدِ بْنِ ذَفْرَةَ^(٢) ، عن أبيه ، قال : كتب المثنى إلى عمر باجتماع فارس على يَزْدَجْرِدٍ وبيعوتهم ، وبحال أهل الذمة . فكتب إليه عمر ؛ أن تَسَحَّ إلى البر ، وادعُ مَنْ بليك ، وأقم منهم قريباً على حدود أرضك وأرضهم ؛ حتى يأتيتك أمري . وعاجلتهم الأعاجم فزاحفتهم الزُحُوف ، وثار بهم أهل الذمة ؛ فخرج المثنى بالناس حتى ينزل الطف ، ففرقهم فيه من أوله إلى آخره ، فأقام ما بين غضى إلى القُطْقُطَانَةِ مسالحة ، وعادت مسالحة كسرى وثغوره ، واستقر أمر فارس وهم في ذلك هائبون مُشْفِقُونَ ، والمسلمون متدققون^(٣) قد ضروا بهم كالأسد يَنَازِعُ فَرِيستَه^(٤) ، ثم يعاود الكر^(٥) ؛ وأمرؤهم يكفكونهم بكتاب^(٦) عمر وأمداد المسلمين .

كتب إلى السري بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : قد كان أبو بكر استعمل سعداً على صدقات هوازن بنجد ، فأقره عمر ، وكتب إليه فيمن كتب إليه من العُمَالِ حين استنفر الناس أن ينتخب أهل الخيل والسلاح مَن له رأى ونجدة . فرجع إليه كتاب سعد بمن جمع الله^(٧) له من ذلك الضرب ؛ فوافق عمر وقد استشارهم في رجل ، فأشاروا عليه به عند ذكره .

(١) على حفن مشورتهم ، أى حين مشورتهم (٢) ط : « زفر » ، وانظر التصويبات .

(٣) ز ، س : « مندققون » ، ابن حبيش : « يتدققون » .

(٤) ز : « ضريبتة » .

(٥) س : « الكرة » .

(٦) كذا في ز ، س ، وفي ط : « لكتاب » .

(٧) ابن حبيش : « بمن جمع إليه » .

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة بإسنادهما،
 قالا : كان سعد بن أبي وقاص على صدقات هوازن ، فكتب إليه عمر
 فيمن كتب إليه بانتخاب ذوى الرأى والنجدة ممن كان له سلاح أو
 فرس ، فجاءه كتاب سعد : إني قد انتخبت لك ألف فارس مؤذٍ^(١) كلتهم
 له نجدة ورأى ، وصاحب حبيطة يحوط حریم قومه ، ويمنع ذمارهم ، إليهم
 انتهت أحسابهم ورأيهم ، فشأنك بهم . وروى كتابه مشورتهم ، فقالوا : قد
 وجدته ، قال : فمن ؟ قالوا : الأسد عادياً ، قال : من ؟ قالوا : سعد ،
 فأنهى إلى قولهم فأرسل إليه ، فقدم عليه ، فأمره على حرب العراق وأوصاه .
 فقال : يا سعد ، سعد بنى وعيب ؛ لا يفرتك من الله أن قيل خال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وصاحب رسول الله ؛ فإن الله عز وجل لا يحو
 السبي بالسبي ؛ ولكنه يحو السبي بالحسن ؛ فإن الله نيس بينه وبين
 أحد نسب^(٢) إلا طاعته^(٣) ؛ فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء ؛
 الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ، ويُدركون ما عنده بالطاعة . فانظر
 الأمر الذى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم عليه منذ بُعث إلى أن فارقنا
 فالزمه فإنه الأمر . هذه عظي إياك إن تركتها ورغبت عنها حبيط
 عمالك ؛ وكنت من الخاسرين .

٢٢١٧ / ١

ولما أراد أن يسرّحه دعاه ، فقال : إني قد ولّيتك حرب العراق فاحفظ
 وصيتي فإنك تقدم على أمر شديد كربه لا يخلص منه إلا الحق ، فعود
 نفسك ومن معك الخير ، واستفتح به . واعلم أن لكل عادة عتاداً ، فعناد
 الخير الصبر ؛ فالصبر على ما أصابك أو نابك ؛ يجتمع لك خشية الله .
 واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين : فى طاعته واجتناب معصيته ؛ وإنما
 أطاعه من أطاعه يبغض الدنيا وحب الآخرة ، وعصاه من عصاه بحب الدنيا

(١) يقال : رجل مؤذٍ : ذو أداة ؛ أو كامل أداة السلاح .

(٢) ابن حيش : « سب » .

(٣) ابن كثير : « بطاعته » .

وبغض الآخرة ؛ وللقلوب حقائق ينشئها الله إنشاءً ؛ منها السرّ ، ومنها العلانية ؛ فأما العلانية فإنّ يكون حامدُهُ وذامُهُ في الحقّ سواءً ، وأما السرّ فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه ، وبمحبّة النَّاس ؛ فلا تزهد في التجبّب فإنّ النبيّين قد سألوا محبّتهم ؛ وإنّ الله إذا أحبّ عبدًا حبّبه ؛ وإذا أبغض عبدًا أبغضه . فاعتبرْ منزلتك عند الله تعالى بمنزلتك عند الناس ، ممّن يشرع معك في أمرك . ثمّ سرّحه فيمن اجتمع إليه بالمدينة من فقير المسلمين . فخرج سعد بن أبي وقاص من المدينة قاصدًا العراق في أربعة آلاف ؛ ثلاثة ممّن قدّم عليه من اليمن والسّراة ؛ وعلى أهل السّراة حميضة بن النعمان بن حميضة البارقى ؛ وهم بارقٌ وألمعٌ وغامدٌ وسائر إخوانهم ؛ في سبعمئة من أهل السّراة ، وأهل اليمن ألفان وثلاثمئة ؛ منهم النّخع بن عمرو ، وجميعهم يومئذ أربعة آلاف ؛ مقاتلتهم وذرائعهم ونساؤهم ؛ وأناهم عمر في عسكرهم ؛ فأرادهم جميعًا على العراق ، فأبوا إلاّ الشّام ، وأبى إلاّ العراق ، فسمح نصفهم فأمضاهم نحو العراق ، وأمضى النّصف الآخر نحو الشّام .

٢٢١٨/١

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن حنّس النّخعي ، عن أبيه وغيره منهم ، أنّ عمر أناهم في عسكرهم ؛ فقال : إنّ الشّرف فيكم يا معشر النّخع لمربع^(١) ، سيروا مع سعد . فترعوا إلى الشّام ، وأبى إلاّ العراق ، وأبوا إلاّ الشّام ؛ فسمح نصفهم إلى الشّام ونصفهم إلى العراق .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمستنير وحنّس ؛ قالوا : وكان فيهم من حضرموت والصدف ستّمائة ؛ عليهم شدّاد بن ضمّعج ، وكان فيهم ألف وثلاثمئة من مذحج ، على ثلاثة رؤساء : عمرو بن معد يكرب على بني منبّه ، وأبو سبيرة بن ذؤيب على جعفيّ ومّن في حلف جعفيّ من إخوة جزء وزبيد وأنس الله ومّن لفّهم ، ويزيد بن الحارث الصدائي على صداء وجنّب ومُسليّة في ثلاثمئة ؛ هؤلاء شهدوا من مذحج فيمن خرج من المدينة متخرّج سعد منها ، وخرج

٢٢١٩/١

(١) كذا في س ، وفي ط : « لمربع » .

معه من قيس عَيْلانَ ألفٌ عليهم بشر بن عبد الله الهلالي .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيدة ، عن إبراهيم ، قال : خرج أهل القادسية من المدينة ، وكانوا أربعة آلاف ؛ ثلاثة آلاف منهم من أهل اليمن وألف من سائر الناس .

كتب إلى السري ؛ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وسهل ، عن القاسم ، قالوا : وشيئهم عمر من صرار إلى الأعوص ، ثم قام في الناس خطيباً ، فقال : إن الله تعالى إنما ضرب لكم الأمثال ، وصرف لكم القول ، ليحيي به ^(١) القلوب ؛ فإن القلوب ميّنة في صدورها حتى يحييها الله ؛ من علم شيئاً فلينتفع به ؛ وإن للعدل أمارات وتباشير ؛ فأما الأمارات فالحياء والسّخاء والهين واللين ، وأما التّباشير فالرحمة ؛ وقد جعل الله لكلّ أمر باباً ، ويسرّ لكلّ باب مفتاحاً ، فباب العدل الاعتبار ومفتاحه الزهد . والاعتبار . ذكر الموت بتذكر الأموات ، والاستعداد له بتقديم الأعمال ، والزهد أخذ الحق من كلّ أحد قبله حق ، وتأدية الحق إلى كلّ أحد له حق . ولا تصانع في ذلك أحداً ، واكتف بما يكفيك من الكفاف ؛ فإن من لم يكفه الكفاف لم يُغنه شيء . إنني بينكم وبين الله ؛ وليس بيني وبينه أحد ؛ وإن الله قد ألزمني دفع الدعاء عنه ، فأنهوا شكاتكم إلينا ؛ فمن لم يستطع فإلى من يبلغناها نأخذ له الحق غير متعّع . وأمر سعداً بالسيّر ، وقال : إذا انتهيت إلى زرود فانزل بها ؛ وتفرّقوا فيما حولها ، وانذب من حولك منهم ، وانتخب أهل النجدة والرأي والقوة والعدّة .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن سُوقة ، عن رجل ، قال : مرّت السكون مع أول كِنْدَةَ مع حصين بن نُمَيْر السكوني ومعاوية بن حُدَيج في أربعمائة ؛ فاعترضهم ؛ فإذا فيهم فتية دُلْم ^(٢) سباط

(١) كذا في ابن كثير ، وفي ط : « بها » .

(٢) دلم : جمع أدلم ، وهو الطويل .

مع معاوية بن حُديج ، فأعرض عنهم ، ثم أعرض ، ثم أعرض ؛ حتى قيل له : مالك ولؤلؤاء ! قال : إني عنهم لمرتد ، وما مرتبي قومٌ من العرب أكره إلى منهم . ثم أمضاهم ، فكان بعدُ يُكثر أن يتذكّرهم بالكراهية ، وتعجب الناس من رأى عمر . وكان منهم رجل يقال له سودان بن حمران ، قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه ؛ وإذا منهم حليف لهم يقال له خالد بن مُلجَم^(١) ، قتلَ عليّ بن أبي طالب رحمه الله ؛ وإذا منهم معاوية بن حُديج ؛ فنهض في قوم منهم يتبع قتلة عثمان يقتلهم ؛ وإذا منهم قوم يُقرون^(٢) قتلة عثمان .

٢٢٢١/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، عن ماهان ، وزباد بإسناده : قالوا : وأمد عمر سعداً بعد خروجه بألفي بماني وألبي نجدى مؤدٍ من غطفان وسائر قيس ، فقدم سعد زروداً في أول الشتاء ، فنزلها وتفرقت الجنود فيما حولها من أمواه بنى تميم وأسد ، وانتظر اجتماع الناس ، وأمر عمر ، وانتخب من بنى تميم والرّباب أربعة آلاف ؛ ثلاثة آلاف تميمي وألف ربيّ ؛ وانتخب من بنى أسد ثلاثة آلاف ، وأمرهم أن ينزلوا على حدّ أرضهم بين الحزّن والبسيطة ، فأقاموا هنالك بين سعد بن أبي وقاص وبين المثنى بن حارثة ، وكان المثنى في ثمانية آلاف ؛ من ربيعة ستة آلاف من بكر بن وائل ، وألفان من سائر ربيعة ؛ أربعة آلاف ممن كان انتخب بعد فصول خالد ، وأربعة آلاف كانوا معه ممن بقى يوم الجسر . وكان معه من أهل اليمن ألفان من بَجيلة ، وألفان من قضاة وطبيّ ممن انتخبوا إلى ما كان قبل ذلك ، على طيبيّ عدى بن حاتم ، وعلى قضاة عمرو بن وبرة ، وعلى بَجيلة جرير بن عبد الله ؛ فبينما الناس كذلك ؛ سعد يرجو أن يقدم عليه المثنى . والمثنى يرجو أن يقدم عليه سعد . مات المثنى من جراحته التي كان جرحها يوم الجسر . انتقضت به ؛ فاستخلف المثنى على الناس بشير بن المخصاصية . وسعد يومئذ بزروداً ، ومع بشير يومئذ وجوه أهل العراق ، ومع سعد وفود أهل العراق الذين كانوا قدموا على عمر ، منهم فرات بن حبان

٢٢٢٢/١

(١) كذا في ط والمشهور في اسمه : « عبد الرحمن » ، وانظر ابن الأثير ٣ : ١٩٤ .

(٢) : « يقرّون قتل عثمان » .

العِجْلَى وَعَتِيَّة ، فَرَدَّاهُمْ مَعَ سَعْدِ .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بإسناده ، وزياد عن ماهان ، قالا : فمن أجل ذلك اختلف الناس في عدد أهل القادسية ، فمن قال : أربعة آلاف فلمخرجهم مع سعد من المدينة ، ومن قال : ثمانية آلاف فلاجتماعهم بزُرُود ، ومن قال : تسعة آلاف ففلاحا القيسيين ، ومن قال : اثنا عشر ألفاً فلدفوف بنى أسد من فروع الحزن بثلاثة آلاف . وأمر سعداً بالإقدام ، فأقدم ونهض إلى العراق وجموع الناس بشراف ، وقدم عليه مع قدومه شراف الأشعث بن قيس في ألف وسبعمائة من أهل اليمن ؛ فجميع من شهد القادسية بضعة وثلاثون ألفاً ، وجميع من قسم عليه في القادسية نحو من ثلاثين ألفاً .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الملك بن عمير ، عن زياد ، عن جرير ، قال : كان أهل اليمن يتزعون إلى الشام ؛ وكانت مضر تنزع إلى العراق ، فقال عمر : أرحامكم أرسخ من أرحامنا ! ما بال مضر لا تذكر أسلافها من أهل الشام !

٢٢٢٣ / ١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي سعد بن المرزبان ، عن حدثه ، عن محمد بن حذيفة بن اليمان ، قال : لم يكن أحد من العرب أجراً على فارس من ربيعة ؛ فكان المسند يسموهم ربيعة الأسد إلى ربيعة الفرس ، وكانت العرب في جاهليتها تسمى فارس الأسد ، والروم الأسد .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن ماهان ، قال : قال عمر : والله لأضربن ملوك العجم بملوك العرب ؛ فلم يدع رئيساً ، ولا ذا رأى ، ولا ذا شرف ، ولا ذا سطة ، ولا خطيباً ؛ ولا شاعراً ؛ إلا رماه به ، فرماه بوجوه الناس وغررهم .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبي ، قال : كان عمر قد كتب إلى سعد مرتحلته من زُرُود ؛ أن ابعث إلى فترج الهند

رجلاً ترضاه يكون بجياله ، ويكون رداءً لك من شيء إن أتاك من تلك التحوم ؛
فبعث المغيرة بن شعبة في خمسمائة ؛ فكان بجيال الأبلّة من أرض العرب ؛
فأتى غُضَيًّا ، ونزل على جرير ؛ وهو فيما هنالك يومئذ . فلما نزل سعد
بشَراف ، كتب إلى عمر بمنزله وبمنازل الناس فيما بين غُضَيٍّ إلى الجَبَّانة ،
فكتب إليه عمر : إذا جاءك كتابي هذا فعشر النَّاس وعرف عليهم ، وأمر
على أجنادهم ، وعبتهم ، ومُرُّ رؤساء المسلمين فليشْهَدُوا ، وقدَرهم وهم
شهود^(١) ؛ ثم وجههم إلى أصحابهم ، وواعدهم القادسيّة ؛ واضمم إليك^(٢)
المغيرة بن شعبة في خيِّله ؛ واكتب إلى بالذي يستقرّ عليه أمرهم .

٢٢٢٤ / ١

فبعث سعد إلى المغيرة ؛ فانضم إليه وإلى رؤساء القبائل ، فأتوه ، فقدّر الناس
وعبتهم بشَراف ، وأمر أمراء الأجناد ، وعرف العُرَفَاء ؛ فعرف على كل عشرة
رجلاً . كما كانت العيرافات أزمانَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وكذلك
كانت إلى أن فُرِضَ العطاء ، وأمر على الرّايات رجلاً من أهل السابقة ،
وعشر الناس ، وأمر على الأعيان رجلاً من الناس لهم وسائل في الإسلام ،
وولّى الحروب رجلاً ، فولّى على مقدّماتها ومجنّباتها وساققتها ومجرّداتها وطلائعها
ورجّلها ورُكبانها ، فلم يفصل إلا على تعبيّة ، ولم يفصل منها إلا بكتاب
عمر وإذنه ؛ فأما أمراء التعبيّة ، فاستعمل زُهرة بن عبد الله بن قتادة بن
الحوية بن مرثد بن معاوية بن معن بن مالك بن أرثم بن جُشم بن الحارث
الأعرج ؛ وكان ملك هَجَرَ قد سَوّده في الجاهليّة ، ووفّده على النبي صَلَّى اللهُ
عليه وسلّم ، فقدّمه ، ففصل بالمقدّمات بعد الإذن من شَراف ؛ حتى انتهى إلى
العُدَيْب ، واستعمل على الميمنة عبد الله بن المعتم ، وكان من أصحاب النبي
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وكان أحدَ التسعة الذين قدّموا على النبي صَلَّى
الله عليه وسلّم ، فتمّمهم طلحة بن عبيد الله عشرة ؛ فكانوا عيرافة ، واستعمل
على الميسرة شُرْحَيْبِل بن السَّمْط بن شُرْحَيْبِل الكِنْدِيّ - وكان غلاماً شاباً ،
وكان قد قاتل أهل الرّدة ، ووفّى الله ، فعُرف ذلك له ، وكان قد غلب
الأشعث على الشرف فيما بين المدينة ؛ إلى أن اختطت الكوفة

٢٢٢٥ / ١

(٢) ز : « إليهم » .

(١) ز : « شهودهم » .

وكان أبوه ممن تقدم إلى الشام مع أبي عبيدة بن الجراح - وجعل خليفته خالد ابن عرفة ، وجعل عاصم بن عمرو التميمي ثم العمري على الساقة ، وسواد ابن مالك التميمي على الطلائع ، وسلمان بن ربيعة الباهلي على المجردة ، وعلى الرجل حمّال بن مالك الأسدي ، وعلى الركبان عبد الله بن ذى السهمين الخثعمي ، فكان أمراء التبعية يملكون الأمير ، والذين يملكون أمراء الأعشار ، والذين يملكون أمراء الأعشار أصحاب الرايات ، والذين يملكون أصحاب الرايات والقواد رءوس القبائل ، وقالوا جميعاً : لا يستعين أبو بكر في الردة ولا على الأعاجم بمرتد ، واستنفرهم عمر ولم يول منهم أحداً .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد وعمرو بإسنادهما ، وسعيد بن المرزبان ، قالوا : بعث عمر الأبطية ، وجعل على قضاء الناس عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي ذا النور ، وجعل إليه الأقباض^(١) وقسمة النوى ، وجعل داعيتهم^(٢) ورائدهم سلمان الفارسي .

٢٢٢٦/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عمرو ، عن أبي عثمان النهدي ، قال : والترجمان هلال الهجري والكاتب زياد بن أبي سفيان . فلما فرغ سعد من تعيينه ، واعد لكل شيء من أمره جماعة ورأساً ، كتب بذلك إلى عمر ، وكان من^(٣) أمر سعد فيما بين كتابه إلى عمر بالذي جمع عليه^(٤) الناس وبين رجوع جوابه ورحله من شراف إلى القادسية قدوم البعني بن حارثة وسلمي بنت خصة التيمية ؛ تيم اللات ، إلى سعد بوصية المثني ، وكان قد أوصى بها ، وأمرهم أن يعجلوها على سعد بزورود ، فلم يفرغوا لذلك وشغلهم عنه قابوس بن قابوس بن المنذر ؛ وذلك أن الآزدمرد بن الآزابه بعثه إلى القادسية ، وقال له : ادع العرب ، فأنت على من أجابك ، وكن كما كان آباؤك . فنزل القادسية ، وكاتب بكر بن

(١) الأقباض : جمع قبض ؛ وهو ما جمع من الغنائم .

(٢) ابن حبيش : داعيهم .

(٣) ابن حبيش : بين .

(٤) ابن حبيش : إليه .

والمثل بمثل ما كان النعمان يكاتبهم به مقاربة ووعيداً^(١) . فلما انتهى إلى المعنى خبره ، أسرى المعنى من ذى قار حتى بيته ، فأنامه ومن معه ، ثم رجع إلى ذى قار ، وخرج منها هو وسلمى إلى سعد بوصية المثنى بن حارثة ورأيه ، فقدموا عليه وهو بشراف ، يذكر فيها أن رأيه لسعد ألا يقاتل عدوه وعدوهم - يعنى المسلمين - من أهل فارس ؛ إذا استجمع^(٢) أمرهم وملوهم في عقر دارهم ، وأن يقاتلهم على حدود أرضهم على أدنى حاجر من أرض العرب وأدنى مدرة من أرض العجم ؛ فإن يظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم ؛ وإن تكن الأخرى فاءوا إلى فئة ، ثم يكونوا أعلم بسيلهم ، وأجراً على أرضهم ؛ إلى أن يرد الله الكرة عليهم .

٢٢٢٧

فلما انتهى إلى سعد رأى المثنى ووصيته نرحم عليه ، وأمر المعنى على عمله ، وأوصى بأهل بيته خيراً ، وخطب سلمى فتزوجها وبني بها ؛ وكان في الأعمار كلها بضعة وسبعون بدرية ، وثلاثمائة وبضعة عشر ممن كانت له صحبة ، فيما بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك ، وثلاثمائة ممن شهد الفتح ، وسبعمائة من أبناء الصحابة ، في جميع أحياء العرب . وقدم على سعد وهو بشراف كتاب عمر بمثل رأى المثنى ؛ وقد كتب إلى أبي عبيدة مع كتاب سعد ؛ فنصل كتاباهما إليهما ، فأمر أبا عبيدة في كتابه بصرف أهل العراق وهم ستة آلاف ، ومن انتهى أن يلحق بهم ؛ وكان كتابه إلى سعد :

أما بعد ، فسر من شراف نحو فارس بمن معك من المسلمين ؛ وتوكل على الله ؛ واستعين به على أمرك كله ؛ واعلم فيما لديك أنك تقدم على أمة عددهم كثير ؛ وعدتهم فاضلة ، وبأسهم شديد ، وعلى بلد منيع - وإن كان سهلاً - كثرة لبحوره وفيوضه ودآدئه ؛ إلا أن توافقوا غيباً من فيض . وإذا لقيتم القوم أو أحداً منهم فابدهم^(٣) الشدة والضرب ، وإيأكم والمناظرة لجموعهم^(٤) ولا يخذعنكم ؛ فإنهم خدعة مكثرة ؛ أمرهم غير أمركم ؛ إلا

٢٢٢٨

(١) ابن حبيش : « ووعدا » .

(٢) ابن حبيش : « اجتمع » .

(٣) ابن حبيش : « فابدروهم » .

(٤) ز : « بجموعكم » .

أن تجادوهم ، وإذا انتهيت إلى القادسية - والقادسية باب فارس في الجاهلية ،
وهي أجمع تلك الأبواب لمادتهم ، ولما يريدونه من تلك الأصل ؛ وهو منزل
رغيب خصيب حصين دونه قناطر ، وأتاهار ممتنعة - فتكون مسالحك على أنقابها ،
ويكون الناس بين الحججر والمدار على حافات الحججر وحافات المدر ،
والجبراع بينهما ؛ ثم الزم مكانك فلا ترحه ؛ فإنهم إذا أحسوك أنغضتهم
ورمواك بجمعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم وحدثهم وجدتهم ؛ فإن أنتم
صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ونويتم الأمانة ؛ رجوت أن تُنصروا عليهم ؛ ثم
لا يجتمع لكم مثلهم أبداً إلا أن يجتمعوا ؛ وليست معهم قلوبهم ، وإن تكن
الأخرى كان الحججر في أدياركم ؛ فانصرفتم من أدنى مدارة من أرضهم إلى
أدنى حججر من أرضكم ؛ ثم كنتم عليها أجراً وبها أعلم ، وكانوا عنها أجبتن
وبها أجهل ؛ حتى يأتي الله بالفتح عليهم ، ويرد لكم الكرة .

وكتب إليه أيضاً باليوم الذي يرتحل فيه من شراف : فإذا كان يوم
كذا وكذا فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عذيب الهيجانات وعذيب
القوادس ، وشرق^(١) بالناس وغرب بهم .

ثم قدم عليه كتاب جواب عمر : أما بعد ، فتعاهد^(٢) قلبك ، وحادث
جندك بالموعظة والنسبة والحسبة ، ومن غفل^(٣) أيحذثهما ؛ والصبر الصبر ؛
فإن المعونة تأتي من الله على قدر النية ؛ والأجر على قدر الحسبة . والحذر
الحذر على من أنت عليه وما أنت بسبيله ، واسألوا الله العافية ، وأكثروا
من قول : « لا حول ولا قوة إلا بالله^(٤) » ، واكتب إلى أين بلغك جمعهم ، ومن
رأسهم الذي يلي مصاهمتكم^(٥) ؛ فإنه قد منعي من بعض ما أردت الكتاب
به قلته عيني بما هجتم عليه ، والذي استقرت عليه أمر عدوكم ؛ فصيف لنا
منازل المسلمين ، والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة كآني أنظر إليها ،
واجعلني من أمركم على الخلية ، وخف الله وارجه ، ولا تدل بشيء . واعلم

(١) ر : « وشرف » .

(٢) ابن حبيش : « فتعهد » .

(٣) بعدها في ابن حبيش : « العلى العظيم » .

(٤) ز : « الذي يريد مصادمتكم » .

أن الله قد وعدكم. وتوكل لهذا الأمر بما لا تخلف له؛ فاحذر أن تصرفه عنك، ويستبدل بكم غيركم.

فكتب إليه سعد بصفة البلدان: إن القادسية بين الخندق والعتيق، وإن ما عن يسار القادسية بحر أخضر في جوف لاج إلى الحيرة بين طريقين؛ فأما أحدهما فعلى الظهر، وأما الآخر فعلى شاطئ نهر يدعى الحوض؛ يطلع بمن سلكه على ما^(١) بين الخورنق والحيرة؛ وما عن يمين القادسية إلى الواحجة فيض من فيوض مياههم. وإن جميع من صالح المسلمين من أهل السواد قبل أنب لأهل فارس قد خففوا لهم، واستعدوا لنا. وإن الذي أعدوا لمصادمتنا رستم في أمثال له منهم؛ فهم يحاولون إنغاضنا وإقحامنا؛ ونحن نحاول إنغاضهم وإبرازهم؛ وأمر الله بعد ما مضى وقضاؤه مسلم إلى ما قدر لنا وعلينا؛ فنسأل الله خير القضاء، وخير القدر في عافية.

فكتب إليه عمر: قد جاءني كتابك وفهمته، فأقيم بمكانك حتى ينغصر الله لك عدوك؛ واعلم أن لها ما بعدها، فإن منحك الله أديارهم فلا تنزع عنهم حتى تفتحهم عليهم المدائن؛ فإنه خرابها إن شاء الله. وجعل عمر يدعو لسعد خاصة، ويدعون له معه، وللمسلمين عامة، فقدم زهرة سعد حتى عسكر بعذيب الهجلفات، ثم خرج في أثره حتى ينزل على زهرة بعذيب الهجانات، وقدمه، فنزل زهرة القادسية بين العتيق والخندق بحيال القنطرة؛ وقد يس يومئذ أسفل منها بميل.

كتب إلى السرى، عن شعيب، عن سيف، عن القعقاع بإسناده، قال: وكتب عمر إلى سعد: إنني قد ألقى في روعي أنكم إذا لقيتم العدو هزمتهم، فاطرحوا الشك، وآثروا التقية^(٢) عليه؛ فإن^(٣) لاعب أحد منكم أحداً من العجم بأمان أو قرفه^(٤) بإشارة أو بلسان، فكان لا يدري الأعجم ما كلمه به، وكان عندهم أماناً؛ فأجروا ذلك له مجرى الأمان. وإياكم والضحك والوفاء الوفاء! فإن الخطأ بالوفاء بقية^(٥) وإن الخطأ بالغدر الهلكة، وفيها وهنك

(٢) ابن حبيش: «اليقين».

(٤) قرفه، أي رماه واتهمه.

(١) ز: «على ماء».

(٣) ابن حبيش: «فن لاعب».

(٥) ز: «تقية».

وقوة عدوكم ، وذهاب ربحكم ، وإقبال ربحهم . واعلموا أني أهدركم أن تكونوا شيناً على المسلمين وسبباً لتوهينهم .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن مسلم العكلى والمقدام بن أبي المقدم ، عن أبيه ، عن كريب بن أبي كريب العكلى - وكان في المقدمات أيام القادسية - قال : قدمنا سعد من شراف ، فزلنا بعذيب الهجانات ثم ارتحل ؛ فلما نزل علينا بعذيب الهجانات وذلك في وجه الصبح خرج زهرة بن الحويصة في المقدمات ، فلما رفع لنا العذيب - وكان من مسالحهم - استبنا على بروج ناساً ، فما نشاء أن نرى على برج من بروج رجلا أو بين شرفين إلا رأيناه ، وكنا في سرعان الخيل (١) ، فأمسكنا حتى تلاحق بنا كشف (٢) ونحن نرى أن فيها خيلاً ، ثم أقدمنا على العذيب ، فلما دنونا منه ، خرج رجل يركض نحو القادسية ، فأنتهينا إليه ، فدخلناه فإذا ليس فيه أحد ؛ وإذا ذلك الرجل هو الذي كان يراءى (٣) لنا على البروج وهو بين الشرف مكيدة ، ثم انطلق بخبرنا ، فطلبناه فأعجزنا ، وسمع بذلك زهرة فاتبعنا ، فلحق بنا وخلفنا واتبعه . وقال : إن أفلت الربى (٤) أتاهم الخبر . فلحقه بالخذق فطعنه فجدله فيه ، وكان أهل القادسية يتعجبون من شجاعة ذلك الرجل ، ومن علمه بالحرب ، لم ير عين قوم قط أثبت ولا أربط جاشاً من ذلك الفارسي ، لولا بُعد غايته لم يلحق به ، ولم يصبه زهرة ، ووجد المسلمون في العذيب رماحاً ونشاباً وأسفاطاً من جلود وغيرها ، انتفع بها المسلمون . ثم بثت الغارات ، وسرحهم في جوف الليل ، وأمرهم بالغارة على الحيرة ، وأمر عليهم بكبير بن عبد الله الليثي - وكان فيها الشماع الشاعر القيسي في ثلاثين معروفين بالنجدة والبأس - فسروا حتى جازوا السيلحين ، وقطعوا جسرهم يريدون الحيرة . فسمعوا جلبة وأزفلة . فأحجموا عن الإقدام ، وأقاموا كميناً حتى يتبينوا ، فما زالوا كذلك حتى جازوا بهم ، فإذا خيول تقدم تلك الغوغاء . فركوها فنفذت الطريق إلى الصنين ، وإذا هم

٢٢٣٢/١

(١) سرعان الخيل : أوانلها .
 (٢) الكشف : الجماعة .
 (٣) ابن حبيش : « تراءى » .
 (٤) الربى : المشرف على القوم

لم يشعروا بهم ؛ وإنما ينتظرون ذلك العيين لا يريدونهم ، ولا يأبهون لهم ، إنما همستهم الصنّين ؛ وإذا أخت آزاد مرّاد بن آزاد به مبرزبان الحيرة تُزَفُّ إلى صاحب الصنّين - وكان من أشرف العجم - فسار معها من يبلغها مخافة ما هو دون الذي لقوا ؛ فلما انقطعت الخيل عن الزواف ، والمسلمون كين في النخل ، وجازت بهم الأثقال ، حمل بكبير على شيرزاد بن آزاد به ، وهو بينها وبين الخيل ، فقصم صلبه ، وطارت الخيل على وجوهها ، وأخذوا الأثقال وابنة آزاد به في ثلاثين امرأة من الدهاقين ومائة من التوابع ، ومعهم مالا يدرى قيمته ، ثم عاج واستاق ذلك ، فصبح سعداً بعدئيب الهجانات بما أفاء الله على المسلمين ، فكبروا تكبيرة شديدة . فقال سعد : أقسم بالله لقد كبرتم تكبيرة قوم عرفت فيهم العز ، فقسم ذلك سعد على المسلمين فالخمس نفعه ، وأعطى المجاهدين بقيته ، فوقع منهم موقعا ، ووضع سعد بالعذيب خيلا تحوط الحريم ، وانضم إليها حاطة^(١) كل حريم ، وأمر عليهم غالب بن عبد الله الليثي ، ونزل سعد القادسية ، فنزل بقديس ، ونزل زهرة بحيال قنطرة العتيق في موضع القادسية اليوم ؛ وبعث بخبر سرية بكير ، وبتزوله قديسا ، فأقام بها شهرا ، ثم كتب إلى عمر : لم يوجه القوم إلينا أحدا ، ولم يُسندوا^(٢) حربا إلى أحد علمناه ، ومتى ما يبلغنا ذلك نكتب به ؛ واستنصر الله ، فإننا بمنحاة دنيا عريضة ؛ دونها بأس شديد ؛ قد تقدم إلينا في الدعاء إليهم ، فقال : ﴿ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأَسِّ شَدِيدٍ ﴾^(٣) .

وبعث سعد في مقامه ذلك إلى أسفل الفرات عاصم بن عمرو فسار حتى أتى ميسان ، فطلب غنما أو بقرا فلم يقدر عليها ، وتحصن منه من في الأفدان ، ووغلوا في الآجام ، ووغل حتى أصاب رجلا على طف أجمة ، فسأله واستد له على البقر والغنم ، فحلف له وقال : لأعلم ؛ وإذا هو راعي ما في تلك الأجمة ، فصاح منها ثور كذب والله وها نحن أولاء ؛ فدخل فاستاق الثيران وأتى بها العسكر ، فقسم ذلك سعد على الناس فأخصبوا أياما^(٤) ؛ وبلغ ذلك الحجاج في زمانه ، فأرسل إلى نفر ممن شهدا أحدهم نذير بن عمرو والوليد بن عبد شمس وزاهر ،

٢٢٣٤/١

(١) الحاطة : المحافظون .

(٢) سورة النتح : ١٦ .

(٣) ز : « يشدوا » .

(٤) ز : « فأخصبوا أياما أخصبوا فيها » .

فسألهم فقالوا : نعم ، نحن سمعنا ذلك ، ورأيناه واستقناها ، فقال : كذبتُم ! فقالوا : كذلك ؛ إن كنت شهادتها وغيبنا عنها ، فقال : صدقتم ، فما كان الناس يقولون في ذلك ؟ قالوا : آيةُ تبشيرٍ يُستدلُّ بها على رضا الله ، وفتح عدوتنا ؛ فقال : والله ما يكون هذا إلا والجمع أبرار أتقياء ، قالوا : والله ما ندرى ما أجنبت قلوبهم ؛ فأما ما رأينا فإننا لم نرَ قوماً قطُّ أزهدياً في دنيا منهم ، ولا أشدَّ لها بغضاً ؛ ما اعتدَّ على رجل منهم في ذلك اليوم بواحدة من ثلاث ؛ لا يجسبن ولا بغدر ولا بغلُول ؛ وكان هذا اليوم يوم الأباقر ؛ وبث الغارات بين كَسَكِرَ والأنبار ، فحووا من الأطعمة ما كانوا يستكفون^(١) به زماناً ، وبعث سعد عيوناً إلى أهل الحيرة وإلى صلُوبا ، ليعلموا له خبر أهل فارس ؛ فرجعوا إليه بالخبر ؛ بأن الملك قد ولَّى رُستم بن الفتر خزاذ الأرمَنتى حربته ، وأمره بالعسكرة . فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : لا يكرُبَنَّك^(٢) ما يأتيك عنهم ، ولا ما يأتونك به ؛ واستعن بالله وتوكل عليه ، وابعث إليه رجالاً من أهل المنظرة^(٣) والرأى والجلد يدعونه ، فإن الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم ، وفلجاً عليهم ؛ واكتب إلى في كل يوم . ولما عسكر رُستم بساباط كتبوا بذلك إلى عمر .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي ضمرة ، عن ابن سيرين ، وإسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم ، قال : لما بلغ سعداً فصول رُستم إلى ساباط ، أقام في عسكره لاجتماع الناس ؛ فأما إسماعيل فإنه قال : كتب إليه سعداً أن رُستم قد ضرب عسكره بساباط دون المدائن وزحف إلينا ؛ وأما أبو ضمرة فإنه قال : كتب إليه أن رُستم قد عسكر بساباط ، وزحف إلينا بالحيول والفيول وزهاء فارس ، وليس شيء أهمَّ إلىَّ ولا أنا له أكثر ذكرًا مني لما أحببت أن أكون عليه ؛ ونستعين بالله ، ونتوكل عليه ، وقد بعثت فلاناً وفلاناً وهم ما وصفت .

(١) ابن حيش : « يكتفون » . (٢) ابن حيش : « لا يكرُبَنَّك » .

(٣) ز وابن الأثير والنويري : « المناظرة » .

كتب إلى السري ، عن شعيب . عن سيف ، عن عمرو والمجالد بإسنادهما ،
وسعيد بن المرزبان ؛ أن سعد بن أبي وقاص حين جاءه أمر عمر فيهم ، جمع
نفرًا عليهم نيجار ، ولهم آراء ، ونفرًا لهم منظر ؛ وعليهم مهابة ولهم آراء ؛ فأما
الذين عليهم نيجار ولهم آراء ولهم اجتهاد فالنعمان بن مقرن وبُسْر بن
أبي رُهم وحملة بن جويته الكِنَانِي وحنظلة بن الربيع التميمي وفُرات بن
حيان العجلبي وعدى بن سهيل والمغيرة بن زُرارة بن النَّبَّاش بن حبيب ؛
وأما من لهم منظر لأجسامهم ؛ وعليهم مهابة ولهم آراء ؛ فُعطارد بن
حاجب والأشعث بن قيس والحارث بن حسان وعاصم بن عمرو وعمرو
ابن معد يكرب والمغيرة بن شعبة والمعنى بن حارثة ؛ فبعثهم دُعاةً
إلى الملك .

حدثني محمد بن عبد الله بن صفوان الثقفي ، قال : حدثنا أمية بن
خالد ، قال : حدثنا أبو عوانة ، عن حصين بن عبد الرحمن ، قال : قال
أبو وائل : جاء سعد حتى نزل القادسية ، ومعه الناس ، قال : لا أدري لعلنا
لا نزيد على سبعة آلاف أو نحو من ذلك ، والمشركين ثلاثون ألفًا أو نحو
ذلك . فقالوا لنا : لا يدي لكم ^(١) ولا قوة ولا سلاح ، ما جاء بكم ؟ ارجعوا ،
قال : قلنا : لا نرجع ؛ وما نحن براجعين ، فكانوا يضحكون من نبتنا ، ويقولون :
«دوك دوك» ^(٢) ، ويشبهونها بالمغازل . قال : فلما أبينا عليهم أن نرجع ، قالوا :
ابعثوا إلينا رجلا منكم ، عاقلًا يبين لنا ما جاء بكم ؛ فقال المغيرة بن شعبة : أنا ،
فعبّر إليهم ، ففعد مع رستم على السرير ، فنخروا وصاحوا ، فقال : إن
هذا لم يزدني رفعة ، ولم ينقص صاحبكم ، قال رستم : صدقت ، ما جاء بكم ؟
قال : إننا كنا قومًا في شر وضلالة ؛ فبعث الله فينا نبيًا ، فهدانا الله به
ورزقنا على يديه ؛ فكان مما رزقنا حبة زُعمت نبت بهذا البلد ؛
فلما أكلناها وأطعمناها أهلينا قالوا : لا صبر لنا عن هذه ، أنزلونا هذه الأرض
حتى نأكل من هذه الحبة ، فقال رستم : إذا نقتلكم ، فقال : إن قتلتمونا

(١) لا يدي لكم ، أي لا حول لكم ولا قوة .

(٢) دوك ، كلمة فارسية بمعنى «مغزل» .

دَخَلْنَا الجَنَّةَ ، وإن قتلناكم دخلتم النار ، أو أديتم الجزية . قال : فلما قال :
أديتم الجزية ، نخرُوا وصاحوا ، وقالوا : لا صلحَ بيننا وبينكم ، فقال
المغيرة : تعبرون إلينا أو نعبر إليكم ؟ فقال رستم : بل نعبر إليكم ، فاستأخَرَ
المسلمون حتى عَبَرَ منهم مَنْ عَبَرَ ، فحملوا عليهم فهزموهم .

قال حصين : فحدثني رجلٌ منَّا يقال له عبيد بن جحش السلمي ، قال :
لقد رأيتنا وأنا لنَطْأَ على ظهور الرجال ، ما مستهم سلاح ، قتل بعضهم بعضاً ،
ولقد رأيتنا أصبنا جراباً من كافور ، فحسبنا ملحاً لا نشك أنه ملح ؛
فطبخنا لحمًا ، فجعلنا نلقيه في القِدْرِ فلا نجد له طعمًا ، فمرَّ بنا عبادي معه
قميص فقال : يا معشرَ المُعَرَّبِينَ ، لا تفسدوا طعامكم ؛ فإنَّ ملح هذه الأرض
لا خيرَ فيه ، هل لكم أن تأخذوا هذا القميصَ به ؟ فأخذناه منه ، وأعطيناه
منَّا رجلاً يلبسه ، فجعلنا نُطِيفُ به ونعجب منه ، فلما عرفنا الثياب ، إذا ثمن
ذلك القميص درهمان . قال : ولقد رأيتني أقربُ إلى رجلٍ عليه سواران من
ذهب ، وسلاحه ، فجاء فما كلمته حتى ضربتُ عنقه .

قال : فانهزموا حتى انتهوا إلى الصَّراة ؛ فطلبناهم فانهزموا حتى انتهوا
إلى المدائن ؛ فكان المسلمون بكوثي وكان مسلحة المشركين بدائر السلاح ، ٢٢٣٨/١
فأتاهم المسلمون فالتقوا ، فهزَمَ المشركون حتى نزلوا بشاطيء دجلة ، فمنهم
مَنْ عَبَرَ من كلسواذى ، ومنهم مَنْ عَبَرَ من أسفل المدائن ، فحصرهم
حتى ما يجدون طعاماً يأكلونه ، إلاَّ كلابهم وسنانيرهم . فخرجوا ليلاً ،
فلحقوا بجملولاء ، فأتاهم المسلمون ؛ وعلى مقدمة سعد هاشم بن عتبة ، وموضع
الوقعة التي ألحقهم منها فريد . قال أبو وائل : فبعث عمر بن الخطاب حذيفةَ
ابن اليمان على أهل الكوفة ، ومُجاشع بن مسعود على أهل البصرة .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ،
عن الشعبي ، وطلحة عن المغيرة ، قالوا : فخرجوا من العسكر حتى قدموا
المدائن احتجاجاً ودُعاةً ليزدجرد ، فطوَّروا رستم ، حتى انتهوا إلى باب
يزدجرد ، فوقفوا على خيول عُرُوات ، معهم جنائب ، وكلها سهال ،
فاستأذنوا فحبسوا ، وبعث يزيدجرد إلى وزرائه ووجوه أرضه يستشيرهم فيما

يصنع بهم ، ويقول له لم ، وسمع بهم الناس فتحضروهم ينظرون إليهم ، وعليهم المقطعات والبرود ، وفي أيديهم سياط دقاق ، وفي أرجلهم النعال . فلما اجتمع رأيهم أذن لهم فأدخلوا عليه .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن بنت كيسان الضبيّة ، عن بعض سبايا القادسيّة ممن حسن إسلامه ، وحضر هذا اليوم الذي قدم فيه وفود العرب . قال : وثاب إليهم الناس ينظرون إليهم ؛ فلم أر عشرة قطّ يعدلون في الهيئة بألف غيرهم ، وخيلهم تخبط ويوعده بعضها بعضا . وجعل أهل فارس يسوءهم ما يرون من حالهم وحال خيلهم ؛ فلما دخلوا على يزيد جرد أمرهم بالجلوس ؛ وكان سبى الأدب ، فكان أول شيء داربينه وبينهم أن أمر الترجمان بينه وبينهم فقال : سلّتهم ما يسمون هذه الأردية ؟ فسأل النعمان - وكان على الوفد : ما تسمى رداءك ؟ قال : البرد ، فتطير وقال : « بردجهان » ، وتغيّرت ألوان فارس وشق ذلك عليهم . ثم قال : سلّتهم عن أحذيتهم . فقال : ما تسمون هذه الأحذية ؟ فقال : النعال ، فعاد لمثلها ، فقال : « ناله ناله » في أرضنا ، ثم سأله عن الذي في يده فقال : سوط ، والسوط بالفارسيّة الحريق ، فقال : أحرقوا فارس أحرقهم الله ! وكان تطيره (١) على أهل فارس ، وكانوا يجدون من كلامه .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبي ، بمثله وزاد : ثم قال الملك : سلّتهم ما جاء بكم ؟ وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا ؟ أمين أجل أنا أجممناكم ، وتشاغلنا عنكم ، اجترأتم علينا ! فقال لهم النعمان ابن مقرن : إن شئتم أجبت عنكم ، ومن شاء آثرته . فقالوا : بل تكلم ، وقالوا للملك : كلام هذا الرجل كلامنا . فتكلّم النعمان ، فقال : إن الله رحيمنا فأرسل إلينا رسولا يدلنا على الخير ويأمرنا به ، ويعرفنا الشر وينهانا عنه ، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة ؛ فلم يدع إلى ذلك قبيلة إلا صاروا فرقتين ؛ فرقة تقاربه ، وفرقة تباعده ، ولا يدخل معه في دينه إلا الخواص . فمكث

(١) كذا في ز ، وفي ط : « نظيره » .

بذلك ما شاء الله أن يمكث ، ثم أمر أن ينيذ إلى من خالفه من العرب ؛ وبدأ ٢٢٤٠/١
 بهم وفعل ؛ فدخلوا معه جميعاً على وجهين : مكره عليه فاغبط ؛ وطائع أتاه
 فازداد ؛ فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة
 والضيق ؛ ثم أمرنا أن نبداً بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف ، فنحن
 ندعوكم إلى ديننا ، وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح كله ، فإن أبيتم
 فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزاء ؛ فإن أبيتم فالمناجزة ،
 فإن أجبتم إلى ديننا خلتنا فيكم كتاب الله ، وأقمناكم عليه ، على أن تحكموا
 بأحكامه ، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم ؛ وإن اتقيتمونا بالجزاء قبلنا
 ومنعناكم ؛ وإلا قاتلناكم .

قال : فتكلم يزيد جرد ، فقال : إني لا أعلم في الأرض أمة كانت
 أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم ؛ قد كنا نوكل بكم قرى
 الضواحي فيكفونناكم^(١) . لا تغزون فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم ،
 فإن كان عدد^(٢) لحق^(٢) فلا يغرتكم منا ، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا
 لكم قوتاً إلى خصبكم ؛ وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم ، وملكنا عليكم
 ملكاً يرفق بكم .

٢٢٤١/١

فأسكت القوم . فقام المغيرة بن زرارة بن النباش الأسدي ، فقال :
 أيتها الملك ، إن هؤلاء رعوس العرب ووجوههم ؛ وهم أشرف
 يستحيون من الأشراف ؛ وإنما يكرم الأشراف الأشراف ، ويعظم حقوق
 الأشراف الأشراف ، ويفختم الأشراف الأشراف ؛ وليس كل ما أرسلوا به
 جمعه لك ، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه ، وقد أحسنوا
 ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك ؛ فجاوبتني لأكون الذي أبلغك ، ويشهدون
 على ذلك ؛ إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالماً ، فأما ما ذكرت من سوء
 الحال ، فما كان أسوأ حالاً منا ، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع ، كنا
 نأكل الحنافس والجعلان والعقارب والحيات ؛ فرى ذلك طعامنا . وأما المنازل
 فإنما هي ظهر الأرض ، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم ؛

(١) ابن الأثير والنويري : « فيكفونا أمركم » .

(٢) ابن الأثير والنويري : « غرر » ، وابن كثير : « عددكم كثر » .

ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً، ويغير بعضنا على بعض، وإن كان أحدنا ليدفن
ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامنا ؛ فكانت حالنا قبل اليوم
على ما ذكرت لك ؛ فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً ، نعرف نسيبه ، ونعرف
وجهه ومولده ؛ فأرضه خير أرضنا ، وحسبه خير أحسابنا ، وبيته أعظم بيوتنا ؛
وقبيلته خير قبائلنا (۱) ؛ وهو بنفسه كان خيرنا في الحال التي كان فيها أصدقنا
وأحلمنا (۲) ؛ فدعانا إلى أمر فلم يُجبه أحد قبل ترويب كان له وكان
الخليفة من بعده ، فقال وقتلنا ، وصدق وكذبنا ، وزاد ونقصنا ، فلم يقل شيئاً
إلا كان ، فكذب الله في قلوبنا التصديق له واتباعه ؛ فصار فيما بيننا
وبين رب العالمين ؛ فما قال لنا فهو قول الله ، وما أمرنا فهو أمر الله ؛
فقال لنا : إن ربكم يقول : إني أنا الله وحدي لا شريك لي ، كنت إذ
لم يكن شيء وكل شيء هالك إلا وجهي ، وأنا خلقت كل شيء ، وإلى
بصير كل شيء ، وإن رحمتي أدركنكم فبعث إليكم هذا الرجل لأدلكم
على السبيل التي بها أنجيكم بعد الموت من عذابي ، ولأحليكم
داري ؛ دار السلام ، فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق ، وقال :
من تابعكم على هذا فله ما لكم وعليه ما عليكم ، ومن أبى فاعرضوا عليه
الجزية ، ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم ، ومن أبى فقاتلوه ، فأنا
الحكم بينكم . فمن قتل منكم أدخلته جنتي ، ومن بى منكم أعقبته النصر
على من ناواه ؛ فاختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر ؛ وإن شئت فالسيف ،
أو تسلم فتنجي نفسك . فقال : أتستبني بمثل هذا !

فقال : ما استقبلت إلا من كلمني ، ولو كلمني غيرك لم أستقبلك به .
فقال : لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم ؛ لا شيء لكم عندي ، وقال (۳) :
اثوني بوقر من تراب ، فقال : احملوه على أشرف هؤلاء ، ثم سوقوه حتى
يخرج من باب المدائن ؛ ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أنني مرسل إليكم رستم

(۱) ط : « قبيلتنا » .

(۲) ابن حبيش : « أجملنا » .

(۳) كذا في س ، وفي ط : « فقال » .

حتى يُدْفِنَكُمْ وَيُدْفِنَهُ (١) في خندق القادسيّة، وينكّل به وبكم من بعد ، ثم أوردته بلادكم ، حتى أشغلكم في أنفسكم بأشدّ ممّا نالكم من سابور .
 ثم قال : من أشرفكم؟ فسكت القوم ، فقال عاصم بن عمرو - واقفات (٢) ليأخذ التراب : أنا أشرفهم ، أنا سيّد هؤلاء فحملني ، فقال (٣) : أكذاك ؟
 قالوا : نعم ، فحمّله على عنقه ، فخرج به من الإيوان والدار حتى أتى راحلته فحمّله عليها ؛ ثم انجذب (٤) في السّير ، فأتوا به سعداً (٥) وسبقهم عاصم فمرّ بباب قُدَيْس فطواه ، فقال : بشروا الأمير بالظّفَر ، ظفرنا إن شاء الله .
 ثم مضى حتّى جعل التراب في الحجّر ، ثم رجع فدخل على سعد ، فأخبره الخبر فقال : أبشروا فقد والله أعطانا الله أقاليد ملكهم .

وجاء أصحابه وجعلوا يزدادون في كلّ يوم قوّة ، ويزداد عدوهم في كلّ يوم وهناً ، واشتدّ ما صنع المسلمون ، وصنع الملك من قبول التراب على جلساء الملك ، وراح رسم من ساباط إلى الملك يسأله عمّا كان من أمره وأمرهم ، وكيف رأيهم ، فقال الملك : ما كنت أرى أن في العرب مثل رجال رأيتم دخلوا علىّ وما أنتم (٦) بأعقل منهم ، ولا أحسن جواباً منهم ؛ وأخبره بكلام متكلّمهم ، وقال : لقد صدّقني القوم ، لقد وعد القوم أمراً ليُدركنّه أو ليموتنّ عليه ، على أني قد وجدت أفضلهم أحقّهم ، لمّا ذكروا الجزية أعطيتُه تراباً فحمّله على رأسه ، فخرج به ، ولو شاء اتقى بغيره ؛ وأنا لا أعلم .

قال : أيّها الملك ، إنه لأعقلهم ، وتطيّر إلى ذلك ، وأبصرها دون أصحابه .

وخرج رسم من عنده كشيبة غضبان - وكان منجماً كاهناً - فبعث في أثر الوفد ، وقال لثقتة (٧) : إن أدركتهم الرّسول (٨) تلافينا أرضنا ، وإن أعجزوه (٩)

- (١) النويري : « يدفنكم ويدفنه » . وأدنى الجريح : أجهز عليه .
 (٢) ابن حبيش : « واقفات » .
 (٣) ابن حبيش : « قال » .
 (٤) ابن حبيش : « انحدر » .
 (٥) ابن حبيش : « فباتوا بسعد » .
 (٦) ابن حبيش : « والله ما أنتم » .
 (٧) ابن حبيش : « لبعثه » .
 (٨) ز : « إن أدركتهم » .
 (٩) ر : « أعجزوك » . ابن الأثير : « أعجزه » : النويري : « أعجزوا » .

بملككم الله أرضكم وأبناءكم . فرجع الرسول من الحيرة بفواتيهم ، فقال : ذهب القوم بأرضكم غير ذى شك ، ما كان من شأن ابن الحجامة الملك ! ذهب القوم بمفاتيح أرضنا فكان ذلك مما زاد الله به فارس غيظًا . وأغاروا بعد ما خرج الوفد إلى بَزْدَجِرْد ، إلى أن جاءوا إلى صيادين قد اصطادوا سمكًا ، وسار سواد بن مالك التميمي إلى النجاف والفيراض إلى جنبها ، فاستاق ثلاثمائة دابة من بين بغل وحمار وثور ، فأوقروها سمكًا ، واستاقوها ، فصبّحوا العسكر ، فقسم السمك بين الناس سعد ، وقسم الدواب ، ونفل الخمس إلا ما رُدَّ على المجاهدين منه ، وأسهم على السبئي ؛ وهذا يوم الحيتان ، وقد كان الآزاد مَرْد ابن الآزاد به خرج في الطلب ، فعمّط عليه سواد وفوارس معه ، فقاتلهم على قنطرة السيلحين ؛ حتى عرفوا أن الغنيمة قد نجت ، ثم اتبعوها فأبلغوها المسلمين ، وكانوا إنما يقرمون إلى اللحم ؛ فأما الحنطة والشعير والتمر والحبوب ؛ فكانوا قد اكتسبوا منها ما اكتفوا به لو أقاموا زمانًا ؛ فكانت السرايا إنما تسرى للحوم ، ويسمّون أيامها بها ، ومن أيام اللحم يوم الأباقر ٢٢٤٥/١ ويوم الحيتان . وبُعِثَ مالك بن ربيعة بن خالد التيمي ؛ تيمم الرباب ، ثم الوائلي ومعه المساور بن النعمان التيمي ثم الربيعي في سرية أخرى ؛ فأغاروا على الفيوم ؛ فأصابا إبلًا لبني تغلب والنمير فسلّاهما^(١) ومسن فيها ، فغدوا بها على سعد ، فنحرت الإبل في الناس . وأخصبوا ، وأغاروا على الشهرين عمرو ابن الحارث ، فوجدوا على باب ثوراء مواشي كثيرة ، فسلكوا أرض شيلي - وهي اليوم نهر زياد - حتى أتوا بها العسكر .

وقال عمرو : ليس بها يومئذ إلا نهران . وكان بين قدوم خالد العراق ونزول سعد القادسية ستان وشيء . وكان مقام سعد بها شهرين وشينًا حتى ظفر . قال - والإسناد الأول - : وكان من حديث فارس والعرب بعد البويب أن الأنوشجان بن الهيربند خرج من سواد البصرة يريد أهل غصني ، فاعترضه أربعة نفر على أفناء تميم ؛ وهم بإزائهم : المستورد وهو على الرباب ،

(١) فسلّاهما ، أي انزعاهما .

وعبد الله بن زيد يسانده ، الربابُ بينهما ، وجزءُ بن معاوية وابن النابغة يسانده ؛ سَعَدُ بينهما ، والحُصَيْنُ ^(١) بن نِيَّارِ والأعور بن بشامة يسانده على عمرو ، والحصين بن معبد والشَّبه على حنظلة ، فقتلوه دونهم . وقدم سعد فانضموا إليه هم وأهل غُضَيٍّ وجميع تلك الفِرَقِ .

كتب إلى السريِّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو ٢٢٤٧/١ بإسنادهم ، قالوا : وعجَّ أهلُ السَّوادِ إلى يَزْدَجِرْدِ بن شهر يار ، وأرسلوا إليه أن العرب قد نزلوا القادسيَّةَ بأمر ليس يُشبهه إلاَّ الحرب ، وإنَّ فعل العرب مذ نزلوا القادسيَّةَ لا يبقى عليه شيء ؛ وقد أخرجوا ما بينهم وبين الفرات ؛ وليس فيما ^(٢) هنالك أنيس إلاَّ في الحصون ، وقد ذهب الدوابُّ وكلُّ شيء لم تحمله الحصون من الأطعمة ، ولم يبق إلاَّ أن يستنزِلونا ^(٣) ، فإن أبطأ عنا الغياث أعطيناهم بأيدينا . وكتب إليه بذلك المملوك الذين لهم الضياع بالطف ، وأعانوهم عليه ، وهيجوه على بعثه رستم .

ولما بدا ليزدَجِرْدِ أن يرسلَ رستمَ أرسلَ إليه ، فدخل عليه ، فقال له : إنِّي أريد أن أوجهك في هذا الوجه ؛ وإنما يُعَدُّ ^(٤) للأمر على قدرها ، وأنت رجل أهل فارس اليوم ^(٥) ، وقد ترى ما جاء أهلَ فارس من أمر لم يأتهم مثله منذ وليَّ آلُ أردشير . فأراه أن قد قبيل منه ، وأثنى عليه . فقال له الملك : قد أحبُّ أن أنظر فيما لديك لأعرف ما عندك ، فصف لي العرب وفعالهم منذ نزلوا القادسيَّةَ ، وصف لي العَجَمَ وما يلقون منهم .

فقال رستم : صفة ذئابٍ صادفت غيرةً من رِعاء فأفسدت . فقال : ليس كذلك ؛ إني إنما سألتك رجاء أن تُعرب صفتهم فأقويك لتعمل على قدر ذلك فلم تُصِبْ ، فافهم عنِّي ؛ إنما مشَّلتهم ومثَّلُ أهل فارس كما مثَّلُ عَقَّابِ أوفى على جبل يأوى إليه الطير بالليل ، فتبيت في سَفْحِهِ في أوكارها ،

(١) كذا في ابن حبيش ، وفي ط : « الحسن » . (٢) ابن حبيش : « بها » .

(٣) بعدها في ابن حبيش : « يستنزِلوا » .

(٤) ز : « يعمد » .

(٥) بعدها في ابن حبيش : « وأنت لها » .

فلما أصبحت تجلت الطير ، فأبصرته يرقبها ، فإن شدت منها شيء اختطفه ،
فلما أبصرته الطير لم تنهض من مخافته ؛ وجعلت كلما شدت منها طائر اختطفه ،
فلو نهضت نهضة واحدة ردتته ؛ وأشد شيء يكون في ذلك أن تنجو كلها
إلا واحداً ؛ وإن اختلفت لم تنهض فرقة إلا هلكت ؛ فهذا مثلهم ومثل
الأعاجم ؛ فاعمل على قدر ذلك . فقال له رستم : أيها الملك ، دعني ؛
فإن العرب لا تزال نهاب العجم ما لم تُضرمهم بي ؛ ولعل الدولة أن تثبت بي
فيكون الله قد كَفَى ، ونكون قد أصبنا المكيدة ورأى الحرب ؛ فإن الرأي
فيها والمكيدة أنفع من بعض الظفر . فأبى عليه ، وقال : أي شيء بقي !
فقال رستم : إن الأناة في الحرب خير من العجلة ، وللأناة اليوم موضع ،
وقتل جيش بعد جيش أمثل من هزيمة بمرّة وأشد على عدونا . فلج وأبى ،
فخرج حتى ضرب عسكره بساباط ، وجعلت تختلف إلى الملك الرسل ليرى
موضعاً لإعفائه وبعثة غيره ، ويجتمع إليه الناس . وجاء العيون إلى سعد بذلك
٢٢٤٩/١ من قبيل الحيرة وبنى صلوبا ، وكتب إلى عمر بذلك . ولما كثرت الاستغاثة
على يزدجرد من أهل السواد على يدى الآزاد مرد بن الآزادبه جشعت
نفسه ، واتقى الحرب برستم ، وترك الرأي - وكان ضيقاً لجوجاً - فاستحث
رستم ، فأعاد عليه رستم القول ، وقال : أيها الملك ؛ لقد اضطرني تضييع الرأي
إلى إعظام نفسي وتركيتها ؛ ولو أجد من ذلك بدءاً لم أتكلم به ، فأشدك
الله في نفسك وأهلك ومهلكك ؛ دعني أقم بعسكري وأسرح الجالنوس ؛ فإن
تكن لنا فذلك ؛ وإلا فأنا على رجل وأبعث غيره ، حتى إذا لم نجد بدءاً ولا حيلة
صبرنا لهم ؛ وقد وهنناهم وحسرتناهم ونحن جامئون . فأبى إلا أن يسير .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر بن السرى
الضبي ، عن ابن الرُقيل ، عن أبيه ، قال : لما نزل رستم بساباط ، وجمع
آلة الحرب وأدائها بعث على مقدمته الجالنوس في أربعين ألفاً ، وقال :
ازحف زحفاً ، ولا تنجذب إلا بأمرى ؛ واستعمل على ميمنته الهرمزان ،
وعلى ميسرته مهران بن بهرام الرازي ، وعلى ساقته البيزان ، وقال رستم

ليشجع الملك: إن فتح الله علينا القوم^(١) فهو وجهنا^(٢) إلى ملكهم في دارهم^(٣) ٢٢٥٠/١ حتى نشغلهم في أصلهم وبلادهم، إلى أن يقبلوا^(٤) المسالمة أو يرضوا بما كانوا يرضون به. فلما قدمت وفود سعد على الملك، ورجعوا من عنده رأى رسم فيما يرى النائم رؤيا فكرهها، وأحس بالشر، وكره لها الخروج ولقاء القوم، واختلف عليه رأيه واضطرب. وسأل الملك أن يمضي الجالوس ويقيم حتى ينظر ما يصنعون، وقال: إن غناء الجالوس كغنائى، وإن كان اسمى أشد عليهم من اسمه، فإن ظفیر فهو الذى نريد، وإن تكن الأخرى وجهت مثله، ودفعنا هؤلاء القوم إلى يوم ما؛ فإننى لا أزال مرجواً في أهل فارس، ما لم أهزم ينشطون، ولا أزال مهيباً في صدور العرب؛ ولا يزالون يهابون الإقدام ما لم أبشرهم؛ فإن باشرهم اجترءوا آخر دهرهم، وانكسر أهل فارس آخر دهرهم. فبعث مقدّمته أربعين ألفاً؛ وخرج في ستين ألفاً، وساقته في عشرين ألفاً.

كتب إلى السرى، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد وعمرو بإسنادهم؛ قالوا: وخرج رسم في عشرين ومائة ألف، كلهم متبوع، وكانوا باتباعهم أكثر من مائتى ألف، وخرج من المدائن في ستين ألف متبوع.

كتب إلى السرى، عن شعيب، عن سيف، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أن رسم زحف لسعد وهو بالقادسية في ستين ألف متبوع.

كتب إلى السرى، عن شعيب عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد ٢٢٥١/١ وعمرو بإسنادهم، قالوا: لما أبى الملك إلا السير، كتب رسم إلى أخيه وإلى رؤوس أهل بلادهم: من رسم إلى البيندوان مرزبان الباب، وسهم أهل فارس، الذى كان لكل كون يكون، فيفض الله به كل جند عظيم شديد، ويفتح به

(١) ابن حيش: «هؤلاء القوم».

(٢) ز: «فهو خلاصنا ثم وجهنا».

(٣) ابن حيش: «في داره».

(٤) ابن حيش: «إلا أن يقبلوا».

كلّ حصن حصين ، ومن يليه : فرموا حصونكم ، وأعدوا واستعدوا ،
فكانتكم بالعرب قد وردوا بلادكم ، وقارعوكم عن أرضكم وأبنائكم ، وقد
كان من رأي مدافعتهم ومطاولتهم حتى تعود سعودهم نحوساً ، فأبى الملك .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصلت بن بهرام ،
عن رجل ؛ أن يزدجرد لما أمر رسم بالخروج من سآباط ، كتب إلى أخيه
بنحو من الكتاب الأول ، وزاد فيه : فإن السمكة قد كدّرت الماء ، وإن
النعائم قد حسنت ، وحسنت الزهرة ، واعتدل الميزان ، وذهب بهرام ؛
ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون علينا ، ويستولون على مايلينا . وإن أشدّ
ما رأيت أن الملك قال : لتسيرن إليهم أو لأسيرن إليهم أنا بنفسى . فأننا
سائر إليهم .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر بن السرى ،
عن ابن الرّفيل ، عن أبيه ، قال : كان الذى جرأ يزدجرد على إرسال رسم
غلام جابان منجم كسرى ، وكان من أهل فرات بادقلى ، فأرسل إليه
فقال : ما ترى فى مسير رسم وحرب العرب اليوم ؟ فخافه على الصدق
فكذبه ، وكان رسم يعلم نحواً من علمه ، فنقل عليه مسيره لعلمه ،
وخف على الملك لما غره منه ، وقال : إننى أحب أن تخبرنى بشيء
أراه أطمئن به إلى قولك ، فقال الغلام لزرنا الهندى : أخبره ، فقال :
سألنى ، فسأله فقال : أيها الملك يقبل طائر فيقع على إيوانك
فيقع منه شيء فى فيه ها هنا - وخطّ دائرة - فقال العبد : صدق ،
والطائر غراب ، والذى فى فيه درهم . وبلغ جابان أن الملك طلبه ، فأقبل
حتى دخل عليه ، فسأله عما قال غلامه ، فحسب فقال : صدق
ولم يصب ؛ هو عقق ، والذى فى فيه درهم ، فيقع منه على هذا المكان ، وكذب زرنا .
ينزو الدرهم فيستقر ها هنا - ودور دائرة أخرى - فما قاموا حتى وقع على
الشرفات عقق ، فسقط منه الدرهم فى الخط الأول ، فترا فاستقر فى الخط

الآخر . ونافر الهنديُّ جابان حيث خَطَّاه ؛ فأتيا ببقرة نَسُوج ؛ فقال الهنديُّ :
سَخَلْتها غرَّاء سَوَداء ، فقال جابان : كذبت ، بل سوداء صبغاء^(١) ،
فَنُحرت البقرة فاستُخرجت سَخَلْتها ، فإذا هي ذنَّبها بين عينيها ، فقال جابان : ٢٢٥٣/١
من هاهنا أتى زرنا ، وشجَّعاه على إخراج رسم ، فأمضاه ، وكتب جابان إلى
جُشْنَسْمَاه : إنَّ أهل فارس قد زال أمرهم ، وأدبيل عدوُّهم عليهم ، وذهب
مُلْك المجوسية ، وأقبل مُلْك العرب ، وأدبيل دينهم ؛ فاعتقد منهم الذمَّة ،
ولا تخلُبَنَّك الأمور ، والعجل العجل قبل أن تُؤخِّد ! فلما وقع الكتاب إليه
خرج جشنسماه إليهم حتى أتى المعنى ؛ وهو في خيل بالعتيق ، وأرسله
إلى سعد ، فاعتقد منه على نفسه وأهل بيته ومن استجاب له وردَّه ، وكان
صاحب أخبارهم . وأهدى للمعنى فالوذق^(٢) ، فقال لامرأته : ما هذا ؟ فقالت :
أظنَّ البائسة امرأته أراغت العصيدة فأخطأتها ، فقال المعنى : بؤساً لها !

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد
وعمر و بإسنادهم ، قالوا : لما فصل رسم من سآباط ، لقيته جابان على
القنطرة ، فشكا إليه ، وقال : ألا ترى ما أرى ؟ فقال له رسم : أمَّا أنا
فأقاد بخيشاش وزمام ، ولا أجد بُدًّا من الانقياد . وأمر الجالوس حتى قدم
الحيرة ؛ فمضى واضطرب فسطاطه بالنَّجَف ، وخرج رسم حتى يتزل
بكوئى ، وكتب إلى الجالوس والآزاد مرد : أصيبنا لى رجلاً من العرب من
جند سعد . فركبا بأنفسهما طليعة ، فأصابا رجلاً ، فبعثا به إليه وهو ٢٢٥٤/١
بكوئى فاستخبره ، ثم قتلاه .

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّخْر بن
السريُّ ، عن ابن الرُّفَيْل ، عن أبيه ، قال : لما فصل رسم ، وأمر الجالوس
بالتقدم إلى الحيرة ، أمره أن يصيب له رجلاً من العرب ، فخرج هو والآزاد مرد

(١) ز : « سفاه » . وفي اللسان عن أبي عبيدة : « إذا شابت ناصية الفرس فهو أسف ،
فإذا ابيضت كلها فهو أصبغ » .

(٢) الفالوذق : حلواء تعمل من اللبنة والماء والعمل ، معربة عن « بالودة » . الألفاظ
الفارسية ١٢٠ .

سريّة في مائة ؛ حتى انتهى إلى القادسيّة ، فأصابا رجلاً دون قنطرة القادسيّة
فاختطفاه ، فنفر الناس فأعجزوهم إلا ما أصاب المسلمون في أخرياتهم .
فلما انتهى إلى النجف سرّحاً به إلى رستم ، وهو بكوثي ، فقال له رستم :
ما جاء بكم ؟ وماذا تطلبون ؟ قال : جئنا نطلب موعود الله ، قال : وما هو ؟
قال : أرضكم وأبناؤكم ودمائكم إن أبيتم أن تسلموا . قال رستم : فإن قُتلتم
قبل ذلك ؟ قال : في موعود الله أن من قُتل منا قبل ذلك أدخله
الجنة ، وأنجز لمن بقي منا ما قلت لك ، فنحن على يقين . فقال رستم : قد
وُضِعنا إذا في أيديكم ؛ قال : ويحك يا رستم ! إن أعمالكم وضعتكم فأسلمكم
الله بها ؛ فلا يغرنك ما ترى حولك ، فإنك لست تُحاول (١) الإنس ؛ إنما
تحاول القضاء والقدر ! فاستشاط غضباً ؛ فأمر به فضربت عنقه ، وخرج
رستم من كوثي ؛ حتى ينزل ببُرس ، فغضب أصحابه الناس أوالآلهم
ووقعوا على النساء ، وشربوا الخمر . فضج العلوج إلى رستم ، وشكوا إليه
ما يلقون في أموالهم وأبنائهم . فقام فيهم ، فقال : يا معشر أهل فارس ، والله
لقد صدق العربي ؛ والله ما أسلمنا إلا أعمالنا ، والله للعرب في هؤلاء وهم لهم
ولنا حربٌ أحسنُ سيرةً منكم . إن الله كان ينصركم على العدو ، ويمكن
لكم في البلاد بحسن السيرة وكف الظلم والوفاء بالعهود والإحسان ؛ فأما إذ
تحوّلتُم عن ذلك إلى هذه الأعمال ، فلا أرى الله إلا مغيراً ما بكم ، وما أنا بآ من
أن ينزع الله سلطانه منكم . وبعث الرجال ؛ فلقطوا له بعض من يشكى فأنى
بنثر ، فضرب أعناقهم ، ثم ركب ونادى في الناس بالرحيل ، فخرج ونزل
بجبال دبر الأعور ، ثم انصب إلى الملطاط ؛ فعسكر ممّا يلي الفرات
بجبال أهل النجف بجبال الخوزرق إلى الغريين ، ودعا بأهل الحيرة ،
فأوعدهم وهم بهم ، فقال له ابن بُقيّلة : لا تجمع علينا اثنتين : أن تعجز
عن نصرتنا ، وتلومنا على الدفع عن أنفسنا وبلادنا . فسكت .
كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبي ،
والمقدام الحارثي عن ذكره ، قال : دعا رستم أهل الحيرة وسُرادقه إلى
جانب الدّير ، فقال : يا أعداء الله ، فرحتم بدخول العرب علينا
٢٢٥٦/١ بلادنا ، وكنتم عيوناً لهم عاينا ، وقويتموهم بالأموال ! فاتقوه باين بُقيّلة ،

(١) كذا في ابن حبيش وفي ط : « تجاول » .

وقالوا له : كُن أنت الذي تكلمه ، فتقدم ، فقال : أما أنت وقولك :
 « إنا فرحنا بمجيئهم »^(١) ، فماذا فعلوا ؟ وبأى ذلك من أمورهم^(٢) نفرح الإنهم
 ليزعمون أننا عبيد لهم ، وما هم على ديننا ؛ وإنهم ليشهدون علينا أننا من أهل
 النار . وأما قولك : « إنا كنا عيوناً لهم » ، فما الذي يُحوجهم إلى أن نكون
 عيوناً لهم ، وقد هرب أصحابكم منهم ، وخلّوا لهم القرى ! فليس يمنعهم أحد
 من وجه أرادوه ؛ إن شاءوا أخذوا يميناً أو شمالاً . وأما قولك : « إنا قويناهم
 بالأموال » ؛ فلإنا صانعناهم بالأموال عن أنفسنا ؛ وإذ لم تمنعونا مخافة أن نُسبى
 وأن نُحرب^(٣) ، وتُقتل مقاتلتنا - وقد عجز منهم من لقيهم منكم فكنا نحن
 أعجز ؛ ولعمري لأنتم أحبُّ إلينا منهم ؛ وأحسن عندنا بلاءً ، فامنعونا منهم
 لكن لكم أعواناً ؛ فإنما نحن بمنزلةِ علوج السّواد ، عبيد من غلب .
 فقال رسم : صدقكم الرجل .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر ، عن ابن
 الرّفيل ، عن أبيه ، قال : رأى رسم بالدير أن ملكاً جاء حتى دخل عسكر
 فارس ، فختم السلاح أجمع .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وأصحابه ؛
 وشاركهم النضر بإسناده ، قالوا : ولما اطمأن رسم أمر الجالوس أن يسير
 من النجف ، فسار في المقدمات ، فنزل فيما بين النجف والسيلحين ،
 وارتحل رسم ، فنزل النجف - وكان بين خروج رسم من المدائن وعسكرته
 بساباط وزحفه منها إلى أن لقي سعداً أربعة أشهر ، لا يُقدم ولا يقاتل -
 رجاء أن يضجروا بمكانهم ، وأن يجهدوا فيصرفوا ، وكره قتالهم مخافة
 أن يلقى ما لقي من قبله^(٤) ، وطاولهم لولا ما جعل الملك يستعجله ويُنهضه
 ويُقدمه ؛ حتى أقحمه ؛ فلما نزل رسم النجف عادت عليه الرؤيا ، فرأى
 ذلك الملك ومعه النبي صلّى الله عليه وسلّم وعمر ، فأخذ الملك سلاح أهل

(١-١) ابن حبّيش : « فواقه ما فرحنا بمجيئهم » .

(٢) ابن حبّيش : « من أمرهم » .

(٣) ز : « تسبى وأن تحرب » .

(٤) ز : « من قبلهم » .

فارس ، فختمه ، ثم دفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فدفعه النبي صلى الله عليه وسلم إلى عمر . فأصبح رسم ، فازداد حزنا ، فلما رأى الرُّفيل ذلك رغب في الإسلام ؛ فكانت داعيته إلى الإسلام ، وعرف عمر أن القوم سيطاولونهم ، فعهد إلى سعد وإلى المسلمين أن ينزلوا حدود أرضهم ، وأن يطاولوهم أبدأ حتى يُنغضوهم ، فنزلوا القادسية ، وقد وطّئوا أنفسهم على الصبر والمطاوله ، وأبى الله إلا أن يتم نوره ، فأقاموا واطمأنوا ، فكانوا يُغيرون على السواد ، فانتسفوا ما حولهم^(١) فحووه وأعدوا للمطاوله ؛ وعلى ذلك جاءوا ، أو يفتح الله عليهم^(٢) . وكان عمر يمدُّهم بالأسواق إلى ما يصيبون ؛ فلما رأى ذلك الملك ورسم وعرفوا حالهم ، وبلغهم عنهم فعلتهم ؛ علم أن القوم غير منتهين ، وأنه إن أقام لم يتركوه ؛ فرأى أن يشخص رسم ، ورأى رسم أن ينزل بين العتيق والنجف ، ثم يطاولهم مع المنازلة ، ورأى أن ذلك أمثل ما هم فاعلون^(٣) ، حتى يصيبوا من الإحجام حاجتهم ، أو تدور لهم سعود .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : وجعلت السرايا تطوف ، ورستم بالنجف والجالينوس بين النجف والسيلحين وذو الحاجب بين رستم والجالينوس ، والهزمزان وميهران على مجبتيه ، والبيرزان على ساقته وزاد بن بهيش صاحب فرات سريا على الرجال ؛ وكناري على المجرّدة ؛ وكان جنده مائة وعشرين ألفا ، ستين ألف متبوع مع الرجل الشاكري ، ومن الستين ألفا خمسة عشر ألف شريف متبوع ، وقد تسلسلوا وتقارنوا لتدور عليهم رحي الحرب .

٢٢٥٨/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، عن موسى بن طريف ، قال : قال الناس لسعد : لقد ضاق بنا المكان ؛ فأقدم . ، فزبر من كلمه بذلك ، وقال : إذا كُفيم الرأي ، فلا تكلّفوا ؛ فإننا لن نقدم إلا على رأى ذوى الرأى ، فاسكتوا ما سكتنا عنكم . وبعث

(١) ابن حبش : « يليهم » .

(٢) ز : « لهم » .

(٣) ابن حبش : « عاملون » .

٢٢٥٩/١

طليحة وعمراً في غير خيل كالطليحة ، وخرج سواد وحميضة في مائة مائة ؛ فأغاروا على النهرين ؛ وقد كان سعد نهاهما أن يمعنا ، وبلغ رستم ، فأرسل إليهم خيلاً ، وبلغ سعداً أن خيلته قد وغلّت ؛ فدعا عاصم بن عمرو وجابراً الأسدي ، فأرسلهما في آثارهم يقتصانها ، وسلكا طريقتهما ، وقال لعاصم : إن جمعتم قتال فانت عليهم ، فلقبهم بين النهرين وإصطيمياً ؛ وخيل أهل فارس محتوشتهم ، يريدون تخلّص ما بين أيديهم ؛ وقد قال سواد لُحميضة : اختر ؛ إمّا أن تقيم لهم وأستاق الغنيمة ، أو أقيم لهم وتستاق الغنيمة . قال : أقيم لهم ونهنيهم عنّي ، وأنا أبلغ لك الغنيمة ؛ فأقام لهم سواد ، وانجذب حميضة ، فلقبه عاصم بن عمرو ، فظن حميضة أنّها خيل للأعاجم أخرى ، فصد عنها منحرفاً ؛ فلما تعارفوا ساقها ؛ ومضى عاصم إلى سواد - وقد كان أهل فارس تنقذوا بعضها - فلما رأت الأعاجم عاصمًا هربوا ، وتنقذ سواد ما كانوا ارتجعوا ؛ فأتوا سعداً بالفتح والغنائم والسلامة ؛ وقد خرج طليحة وعمرو ؛ فأما طليحة فأمره بعسكر رستم ، وأما عمرو فأمره بعسكر الجالانوس ؛ فخرج طليحة وحده ، وخرج عمرو في عدة ، فبعث قيس بن هبيرة في آثارهما ؛ فقال : إن لقيت قتالاً فانت عليهم - وأراد إذلال طليحة لمعصيته ، وأما عمرو فقد أطاعه - فخرج حتى تلقى عمراً ، فسأله عن طليحة ، فقال : لا علم لي به ، فلما انتهينا إلى النجف من قبل الجوف ، قال له قيس : ما تريد ؟ قال : أريد أن أغير على أدنى عسكرهم ؛ قال : في هؤلاء ! قال : نعم ، قال : لا أدعك والله وذلك ! أتعرض المسلمون^(١) ليما لا يطيقون ! قال : وما أنت وذاك ! قال : إني أمرت عليك ؛ ولو لم أكن أميراً لم أدعك وذاك . وشهد له الأسود بن يزيد في نثر أن سعداً قد استعمله عليك ، وعلى طليحة إذا اجتمعتم ، فقال عمرو : والله يا قيس ؛ إن زماناً تكون على فيه أميراً لزمان سوء ! لأن أرجع عن دينكم هذا إلى ديني الذي كنت عليه وأقاتل عليه حتى أموت أحب إلى من أن تتأمر على ثانية . وقال : لئن عاد صاحبك الذي بعثك مثلها لنفارقته ؛ قال : ذاك إليك بعد مرتك هذه ، فردّه ؛ فرجعا

٢٢٦٠/١

(١) ابن حبيش : « أيعرض المسلمون ؟ » .

إلى سعد بالخبر . وبأعلاج وأفراس ، وشكا كل واحدٍ منهما صاحبه ، أمّا قيسٌ فشكا عصبان عمرو ، وأمّا عمرو ، فشكا غليظة قيس ، فقال سعد : يا عمرو ، الخبر والسلامة أحبّ إلى من مُصاب مائة بقتل ألف ، أتعمد إلى حنّلبة فارس فتصادٍ مهم بمائة ! إن كنت لأراك أعلم بالحرب ممّا أرى . فقال : إن الأمر لكما قلت ؛ وخرج طليحة حتى دخل عسكرهم في ليلة مقمرة ، فتوسّم فيه ، فهتك أظناب بيت رجل عليه ، واقتاد فرسه ، ثم خرج حتى مرّ بعسكر ذى الحاجب ، فهتك على رجلٍ آخر بيته ، وحلّ فرسه ، ثم دخل على الجالنوس عسكره فهتك على آخر بيته ، وحلّ فرسه ، ثم خرج حتى أتى الحرّارة ؛ وخرج الذي كان بالنّجف ، والذي كان في عسكر ذى الحاجب فاتّبعه الذي كان في عسكر الجالنوس ، فكان أولهم لحاقاً به الجالنوس ؛ ثمّ الحاجبي ، ثمّ النّجفي ؛ فأصاب الأولين ، وأسرّ الأخير . وأتى به سعداً فأخبره ، وأسلم ؛ فسمّاه سعد مسلماً ؛ ولزم طليحة ؛ فكان معه في تلك المغازي كلّها .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب عن سيف ، عن أبي عمرو ، عن أبي عثمان النهديّ ، قال : كان عمر قد عهد إلى سعد حين بعثه إلى فارس ؛ ألاّ يمرّ بماء من المياه بذي قوّة ونجدة ورياسة إلاّ أشخصه ؛ فإن أبى انتخبه ، فأمره عمر ، فقدم القادسيّة في اثني عشر ألفاً من أهل الأيّام ، وأناس من الحمراء استجابوا للمسلمين ، فأعانوهم ؛ أسلم بعضهم قبل القتال ، وأسلم بعضهم غيباً القتال ، فأشركوا في الغنيمة ، وفرضت لهم فرائض أهل القادسيّة : ألفين ألفين ؛ وسألوا عن أمنع قبائل العرب ، فعادوا تميمياً ؛ فلما دنا رسم ، ونزل النّجف بعث سعد الطلائع ؛ وأمرهم أن يصيبوا رجلاً ليسأله عن أهل فارس ؛ فخرجت الطلائع بعد اختلاف ؛ فلما أجمع ملاً الناس أنّ الطليعة من الواحد إلى العشرة سمّحوا ، فأخرج سعد طليحة في خمسة ، وعمرو بن معد يكرب في خمسة ؛ وذلك صبيحة قدّم رسم الجالنوس وذا الحاجب ؛ ولا يشعرون بفصولهم من النّجف ؛ فلم يسيروا إلاّ فرسخاً وبعض

آخر ؛ حتى رأوا مسالحتهم وسرحتهم على الطُفوف قد ملثوها ، فقال بعضهم : ارجعوا إلى أميركم فإنه سرحكم ؛ وهو يرى أن القوم بالنجف ؛ فأخبروه الخبر ، وقال بعضهم : ارجعوا لا يتنذر بكم^(١) عدوكم ؛ فقال عمرو لأصحابه : صدقتم ، وقال طليحة لأصحابه : كذبتم ؛ ما بُعثتم لتُخبروا عن السرح ، وما بُعثتم إلا للخبر^(٢) قالوا : فما تريد ؟ قال : أريد أن أخاطر القوم ٢٢٦٢/١ أو أهلك ، فقالوا : أنت رجل في نفسك غدر ؛ ولن تفلح بعد قتل عكاشة ابن مِحصن ؛ فارجع بنا ، فأبى . وأتى سعداً الخبرُ برحيلهم ؛ فبعث قيس بن هُبيرة الأسدي ، وأمره على مائة ، وعليهم إن هو لقيهم . فأنهى إليهم وقد افرقوا ، فلما رآه عمرو قال : تجلدوا له ، أروه أنهم يريدون الغارة ؛ فردّهم ، ووجد طليحة قد فارقهم فرجع بهم . فأتوا سعداً ، فأخبروه بقرب القوم ، ومضى طليحة ، وعارض المياه على الطُفوف ؛ حتى دخل عسكر رستم ، وبات فيه يجوسه وينظر ويتوسم ؛ فلما أدبر الليل ، خرج وقد أتى أفضل من توسم في ناحية العسكر ؛ فإذا فرس له لم يُر في خيل القوم مثله ، وفسطاط أبيض لم يُر مثله ؛ فانتضى سيفه ، ففقطع مقود الفرس ، ثم ضمّه إلى مقود فرسه ، ثم حرك فرسه ، فخرج يعدو به ، ونذر به الناس والرجل ، فتنادوا وركبوا الصعبة والذلول ، وعجل بعضهم أن يسرج ، فخرجوا في طلبه ، فأصبح وقد لحقه فارس من الجند ، فلما غشيه وبوا له الرمح ليطعنه عدل طليحة فرسه ، فندر الفارسي بين يديه ، فكرّ عليه طليحة ، فقصم ظهره بالرمح ، ثم لحق به آخر ، ففعل به مثل ذلك ، ثم لحق به آخر ؛ وقد رأى مصرع صاحبيه - وهما ابنا عمّه - فزاد حنقاً ، فلما لحق بطليحة ، وبوا له الرمح ، عدل طليحة فرسه ، فندر الفارسي ٢٢٦٣/١ أمامه ، وكرّ عليه طليحة ؛ ودعاه إلى الإسار ، فعرف الفارسي أنه قاتله فاستأسر ، وأمره طليحة أن يركض بين يديه ؛ ففعل . ولحق الناس فرأوا فارسي الجند قد قتيلا وقد أسير الثالث ، وقد شارف طليحة عسكرهم ،

(١) ابن حبيش : « لا يبدركم » .

(٢) ابن حبيش : « للخبر » .

فأحجموا عنه ، ونكسوا ، وأقبل طليحة حتى غشي العسكر ، وهم على تعبية ، فأفرغ الناس ، وجوزوه إلى سعد ؛ فلما انتهى إليه ، قال : ويحك ما وراءك ! قال : دخلت عساكرهم ^(١) وجُستها منذ الليلة ، وقد أخذت أفضلهم توسماً ، وما أدري أصبت أم أخطأت ! وها هو ذا فاستخبره . فأقيم الترجمان بين سعد وبين الفارسي ، فقال له الفارسي : أتؤمنني على دمي إن صدقتك ؟ قال : نعم ، الصدق في الحرب أحب إلينا من الكذب ، قال : أخبركم عن صاحبكم هذا قبل أن أخبركم عمن قبلي ؛ باشرت الحروب وغشيتها ، وسمعت بالأبطال ولقيتها ؛ منذ أنا غلام إلى أن بلغت ما ترى ، ولم أرَ ولم أسمع بمثل هذا ؛ أن رجلاً قطع عسكرين لا يجترى عليهما الأبطال إلى عسكر فيه سبعون ألفاً ، يخدم الرجل منهم الخمسة والعشرة إلى ما هو دون ؛ فلم يرض أن يخرج كما دخل حتى سلب فارس الجند ؛ وهتك أطناب بيته فأندره ، فأندرتنا به ، فطلبناه ، فأدرکه الأول وهو فارس الناس ، يعدل ألف فارس فقتله ، فأدرکه الثاني وهو نظيره فقتله ، ثم أدركته ، ولا أظن أنني خلفت بعدى من يعد لي وأنا النائر بالقتيلين ، وهما ابنا عمي ، فرأيت الموت فاستأسرت . ثم أخبره عن أهل فارس ؛ بأن الجند عشرون ومائة ألف ، وأن الأتباع مثلهم خدّام لهم . وأسلم الرجل وسمّاه سعد مسلماً ، وعاد إلى طليحة ، وقال : لا والله ، لا تهزّمون ما دمتم على ما أرى من الوفاء والصدق والإصلاح والمؤاساة ؛ لا حاجة لي في صحبة فارس ؛ فكان من أهل البلاء يومئذ .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، عن موسى بن طريف ، قال : قال سعد لقيس بن هبيرة الأسدي : اخرج يا عاقل ، فإنه ليس وراءك من الدنيا شيء تحنّو عليه حتى تأتي بي بعلم القوم . فخرج وصرح عمرو بن معديكرب وطليحة ؛ فلما حاذى القنطرة لم يسير إلا يسيراً حتى لحق ، فانهى إلى خيل عظيمة منهم بجياها تردّ عن عسكرهم ، فإذا رستم قد ارتحل من النجف ، فنزل منزل ذي الحاجب ،

(١) ز : عسكرهم .

فارتحل الجالينوس ، فنزل ذو الحاجب منزله ، والجالنوس يريد طييزناباذ ؛ فنزل بها ، وقدّم تلك الخيل . وإنّ ما حمل سعداً على إرسال عمرو وطليحة معه لمقالة بلغته عن عمرو ، وكلمة قالها لقيس بن هبيرة قبل هذه المرة ، فقال : قاتلوا عدوكم يا معشر المسلمين . فأنشِب القتال ، وطاردهم ساعة . ثم إنّ قيساً حمّل عليهم ، فكانت هزيمتهم ، فأصاب منهم اثني عشر رجلاً ، وثلاثة أسراء ، وأصاب أسلاباً ، فأتوا بالغنيمة سعداً وأخبروه الخبر ؛ فقال : ٢٢٦٥/١ هذه بشرى إن شاء الله ؛ إذا لقيتم جمعهم الأعظم وحدّهم ؛ فلهم أمثالها ، ودعا عمرا وطليحة ، فقال : كيف رأيتما قيساً ؟ فقال طليحة : رأيناه أكامانا (١) ، وقال عمرو : الأمير أعلم بالرجال منّا . قال سعد : إنّ الله تعالى أحياناً بالإسلام وأحياناً به قلوباً كانت ميّنة ، وأمات به قلوباً كانت حيّة ، وإني أحتذركما أن تؤثرا أمر الجاهليّة على الإسلام ؛ فتموت قلوبكما وأنتما حيّان ؛ الزمّا السمع والطاعة والاعتراف بالحقوق ؛ فما رأى النّاس كأقوام أعزّهم الله بالإسلام .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو وزياد ؛ وشاركهم المجاليد وسعيد بن المرزبان ، قالوا : فلمّا أصبح رسم من الغد من يوم نزل السيلحين قدّم الجالينوس وذو الحاجب ، فارتحل الجالينوس ، فنزل من دون القنطرة ببحيال زهرة ، ونزل إلى صاحب المقدّمة ، ونزل ذو الحاجب منزله بطييزناباذ ، ونزل رسم منزل ذى الحاجب بالخرّارة ، ثم قدّم ذا الحاجب ؛ فلمّا انتهى إلى العتيق تيّاسر حتى إذا كان ببحيال قدّيس خندق خندقاً ، وارتحل الجالينوس فنزل عليه وعلى مقدّمته - أعنى سعداً - زهرة بن الحويّة ، وعلى مجنّبيه عبد الله بن المعتّم ، وشرجيل بن السّمط الكندي ، وعلى مجردته عاصم بن عمرو ، وعلى المرامية فلان ، وعلى الرجل فلان ، وعلى الطلائع سواد بن مالك ، وعلى مقدّمة رسم الجالينوس ، وعلى مجنّبيه الهرمزان ومهران وعلى مجردته ذو الحاجب ، وعلى الطلائع البيروزان ، وعلى الرّجالة زاذ بن بهيش . فلمّا انتهى رسم إلى العتيق ، وقف عليه

(١) ابن حيش : « أكمى منّا » .

بِحِيَالِ عَسْكَرِ سَعْدٍ ، وَنَزَلَ النَّاسُ ؛ فَمَا زَالُوا يَتَلَا حَقُّونَ وَيُنْزِلُهُمْ فَيَنْزِلُونَ ؛
حَتَّى أَعْتَمَوْا مِنْ كَثْرَتِهِمْ ؛ فَبَاتَ بِهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَالْمُسْلِمُونَ مُسْتَسْكِنُونَ
عَنْهُمْ .

قال سعيد بن المرزبان : فلما أصبحوا من ليلتهم بشاطئ العتيق غدا
منجّم رسم على رسم برؤيا أريتها من الليل ، قال : رأيت الدّلو في السماء ؛
دلوًا أفرغ ماؤه ، ورأيت السمكة ؛ سمكة في ضحوضاح من الماء تضطرب ،
ورأيت النعائم والزُّهرة تزدهر ، قال : ويحك ! هل أخبرت بها أحدًا ؟ قال :
لا ، قال : فاكتمها .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبي ،
قال : كان رسم منجّمًا ، فكان بيكي ممّا يرى ويقدم عليه ، فلما كان
بظهر الكوفة رأى أن عمر دخل عسكر فارس ، ومعه ملك ، فختم على سلاحهم ،
ثم حزمه ودفعه إلى عمر .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبي خالد ،
عن قيس بن أبي حازم - وكان قد شهد القادسية - قال : كان مع رسم ثمانية
عشر فيلاً ، ومع الجالينوس خمسة عشر فيلاً .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبي ؛
٢٢٦٧/١ قال : كان مع رسم يوم القادسية ثلاثون فيلاً .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سعيد بن المرزبان ،
عن رجل ، قال : كان مع رسم ثلاثة وثلاثون فيلاً ؛ منها (١) فيل سابور
الأبيض ؛ وكانت القبيلة تألفه ، وكان أعظمها وأقدمها .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر ، عن ابن
الرّفيل ، عن أبيه ، قال : كان معه ثلاثة وثلاثون فيلاً ، معه في القلب ثمانية
عشر فيلاً ، ومعه في المجنبتين خمسة عشر فيلاً .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد وسعيد وطلحة

(١) ابن حبيش : « فيها » .

وعمر وزياد ، قالوا : فلما أصبح رسم من ليلته التي باتها بالعتيق ، أصبح راكباً في خياله ، فنظر إلى المسلمين ، ثم صعد نحو القنطرة ، وقد حزر الناس ، فوقف بجياهم دون القنطرة ؛ وأرسل إليهم رجلاً ؛ إن رسم يقول لكم : أرسلوا إلينا رجلاً نكلّمه ويكلّمنا ، وانصرف فأرسل زهرة إلى سعد بذلك ؛ فأرسل إليه المغيرة بن شعبة ، فأخرجه زهرة إلى الجالينوس ؛ فأبلغه الجالينوس رسماً .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر ، عن ابن الرقيل ، عن أبيه ، قال : لما نزل رسم على العتيق وبات به ، أصبح غادياً على التصفح والحزر^(١) ، فسائر العتيق نحو خفان ؛ حتى أتى على منقطع عسكر المسلمين ، ثم صعد حتى انتهى إلى القنطرة ؛ فتأمل القوم ؛ حتى أتى على شيء يُشرف منه عليهم ؛ فلما وقف على القنطرة راسل زهرة ، فخرج إليه حتى واقفه ، فأراده أن يصالحهم ، ويجعل له جعلاً على أن ينصرفوا عنه ، وجعل يقول فيما يقول : أنتم^(٢) جيراننا وقد كانت طائفة منكم في سلطاننا ؛ فكنا نحسن جوارهم ، ونكف الأذى عنهم ، ونوليهم المرافق الكثيرة ، نحفظهم في أهل باديتهم^(٣) ؛ فنرعيهم مرآعينا ، ونميرهم من بلادنا ، ولا نمنعهم من التجارة في شيء من أرضنا ؛ وقد كان لهم في ذلك معاش - يعرض لهم بالصلح ؛ وإنما يخبره بصنيعهم ، والصلح يريد ولا يصرح - فقال له زهرة : صدقت ، قد كان ما تذكر ؛ وليس أمرنا أمر أولئك ولا طلبتنا . إننا لم نأتيكم لطلب الدنيا ؛ إنما طلبتنا وهممتنا الآخرة ؛ كنا كما ذكرت ، يدين لكم من ورد عليكم مناً ، ويضرع إليكم يطلب ما في أيديكم . ثم بعث الله تبارك وتعالى إلينا رسولاً ، فدعانا إلى ربّه ، فأجبناه ، فقال لبيّه صلى الله عليه وسلم : إنني قد سلّطت هذه الطائفة على من لم يدين بديني ، فأنا منتقم بهم منهم ؛ وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرّين به ، وهو دين الحق ، لا يرغب عنه أحد إلا ذل ، ولا يعتصم به أحد إلا عز . فقال له رسم : وما هو ؟ قال : أمّا عموده الذي

(١) التصفح : التأمل ، والحزر : التخمين .

(٢) ابن الأثير : « كنتم » ، وابن حبيش : « إنكم » .

(٣) ز : « ناديتهم » .

لا يصلح منه شيء إلا به ، فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ،
 بالإقرار بما جاء من عند الله تعالى . قال : ما أحسن هذا ! وأى شيء أيضاً ؟
 قال : وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى . قال : حسن ،
 وأى شيء أيضاً ؟ قال : والناس بنو آدم وحواء ، إخوة لأب وأم ، قال :
 ما أحسن هذا ! ثم قال له رسم : رأيت لو أنتى رضيت بهذا الأمر وأجبتكم
 إليه ؛ ومعى قوى كيف يكون أمركم ! أترجعون ؟ قال : إى والله ، ثم لا تقرب
 بلادكم أبداً إلا في تجارة أو حاجة . قال : صدقتى والله ، أما إن أهل
 فارس منذ ولى أردشير لم يدعوا أحداً يخرج من عمله من السفلة ، كانوا
 يقولون إذا خرجوا من أعمالهم : تعدوا طورهم ، وعادوا أشرافهم . فقال
 له زهرة : نحن خير الناس للناس ، فلا نستطيع أن نكون كما تقولون ؛
 نطيع الله فى السفلة ، ولا يضرننا من عصى الله فىنا . فانصرف عنه ، ودعا
 رجال فارس فذاكرهم هذا ، فحرموا^(١) من ذلك ، وأنفوا ، فقال : أبعداكم
 الله وأسحقكم ! أخزى الله أحرعنا وأجبتنا^(٢) ! فلما انصرف رسم ملت
 إلى زهرة ، فكان إسلامي ؛ وكنت له عديداً . وفرض لى فرائض أهل
 القادسية .

٢٢٦٩/١

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو
 وزباد بإسنادهم مثله . قالوا : وأرسل سعد إلى المغيرة بن شعبة وبسر بن
 أبى رهم وعرفجة بن هرثمة وحذيفة بن محصن وربيع بن عامر
 وقرفة بن زاهر التيمى ثم الواثلى ومدعور بن عدي العجلي ، والمضارب
 ابن يزيد العجلي ومعبد بن مرة العجلي - وكان من دهاة العرب -
 فقال : إني مرسلكم إلى هؤلاء القوم ؛ فما عندكم ؟ قالوا جميعاً : نتبع
 ما تأمرنا به ، وننتهى إليه ؛ فإذا جاء أمر لم يكن منك فيه شيء نظرنا أمثل
 ما ينبغى وأنفعه للناس ؛ فكلّمناهم به . فقال سعد : هذا فعل الحزمة ،
 اذهبوا فتهيئوا ، فقال ربيع بن عامر : إن الأعاجم لهم آراء وآداب ، ومى

٢٢٧٠/١

(٢) ز : « أجتنا وأجزعنا » .

(١) ز : « فخلوا » .

نأثم جميعاً يروا أننا قد احتفلنا بهم! فلا تتردهم على رجل؛ فمأثوه جميعاً على ذلك، فقال: فسرحوني، فسرحه، فخرج ربيعي ليدخل على رسمه عسكره، فاحتبس الذين على القنطرة، وأرسل إلى رسمه لحيته، فاستشار عظماء أهل فارس، فقال: ما ترون؟ أنبأهم أم نتهاون! فأجمع ملوهم على التهاون، فأظهروا الزبرج، وبسطوا البسط والنمارق، ولم يتركوا شيئاً، ووضع لرسمه سرير الذهب، وألبس زينته من الأنماط والوسائد المنسوجة بالذهب. وأقبل ربيعي يسير على فرس له زبأء^(١) قصيرة، معه سيف له مشوف^(٢)، وعمده لفاقة ثوب خلتق، ورمحه معلوب^(٣) بقيد، معه حنيفة^(٤) من جلود البقر؛ على وجهها أديم أحمر مثل الرغيف، ومعه قوسه ونبيله. فلما غشى الملك، وانتهى إليه وإلى أدنى البسط، قيل له: انزل، فحملها على البساط، فلما استوت عليه، نزل عنها وربطها بوسادتين فشققهما، ثم أدخل الحبل فيهما، فلم يستطيعوا أن ينهوه؛ وإنما أروه التهاون وعرف ما أرادوا، فأراد استخراجهم^(٥)، وعليه درع له كأنها أضاة^(٦) ويلا مقه^(٧) عباة^(٨)، ٢٢٧١/١، بعيره، قد جابها^(٩) وتدرعها، وشدها على وسطه بسلب^(١٠) وقد شد رأسه بمعجرتة؛ وكان أكثر العرب شعرة، ومعجرتة نيسة بعيره؛ ولرأسه أربع ضفائر؛ قد قمن قياماً، كأنهن قرون الوعلة. فقالوا: ضع سلاحك، فقال: إنني لم آتيكم فأضع سلاحي بأمركم، أنتم دعوتوني، فإن أيتم أن آتيكم كما أريد رجعت. فأخبروا رسمه؛ فقال: ائذنوا له؛ هل هو إلا رجل واحد! فأقبل يتوكأ على رمح، وزوجه نصل يقارب

(١) زبأء: طويلة الشعر كثيرته . (٢) المشوف: المجلو .

(٣) يقال: علب الرمح، فهو معلوب، أي حزم مقبضه بملباء البعير، وهو عنزة .

(٤) الحنيفة: الترس .

(٥) ز: «استخراجهم» .

(٦) الأضاة: الفدير .

(٧) اليلق: العباة .

(٨) في اللسان: «جبت القميص: قورت جيبه» .

(٩) السلب: ليف المقل .

الخطو ، ويزج النمارق والبسط ؛ فمما ترك لهم نمرقة ولا بساطاً إلاً
أفسده وتركه منهتكاً مخرقاً^(١) ؛ فلماً دنا من رسم تعلق به الحرم ، وجلس
على الأرض ، وركز رمحه بالبسط ، فقالوا : ما حملك على هذا ؟ قال :
إننا لا نستحب^(٢) القعود على زينتكم هذه . فكلّمه ، فقال : ما جاء بكم ؟
قال : الله ابتعثنا ، والله جاء بنا لنُخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ،
ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا
بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه ، فمن قبيل منّا ذلك قبيلنا ذلك منه ورجعنا عنه ،
وتركناه وأرضه يليها دُوننا ، ومن أبي قاتلناه أبداً ؛ حتى نُفسي إلى موعود الله .
قال : وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبي ، والظفر لمن
بني . فقال رسم : قد سمعت مقالتيكم ؛ فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر
حتى ننظر فيه وتنظروا ! قال : نعم ، كم أحب إليكم ؟ أيوماً أو يومين ؟
قال : لا بل حتى نكتب أهل رأينا ورؤساء قومنا . وأراد مقاربتة
ومدافعتة ، فقال : إن مما سن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعمل به أئمتنا ، ألا نمكّن الأعداء من آذاننا ، ولا نؤجلهم عند اللقاء
أكثر من ثلاث ، فنحن مترددون عنكم ثلاثاً ، فانظر في أمرك وأمرهم ،
واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل ، اختر الإسلام وتدّعك وأرضك ،
أو الجزاء ، فنقبل ونكف عنك ؛ وإن كنت عن نصرنا غنياً تركناك منه ،
وإن كنت إليه محتاجاً منعناك ؛ أو المنابذة في اليوم الرابع ؛ ولسنا نبدؤك فيما
بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدأنا ؛ أنا كفيك بذلك على أصحابي وعلى
جميع من ترى . قال : أسيدهم أنت ؟ قال : لا ؛ ولكن المسلمين
كلهم من بعض ؛ يجبر أديانهم على أعلامهم . فخلص رسم
برؤساء أهل فارس ، فقال : ما ترون ؟ هل رأيتم كلاماً قطّ أوضح ولا أعزّ
من كلام هذا الرجل ؟ قالوا : معاذ الله لك أن تميل إلى شيء من
هذا وتدّع دينك لهذا الكلب ! أما ترى إلى ثيابه ! فقال : ويحكم

(١) ابن حبيش : « وتركها منهكة منخرقة » .

(٢) النويري : « نستحل » .

لا تنظروا إلى الثياب؛ ولكن انظروا إلى الرأى والكلام والسيرة؛ إن العرب تستخف باللباس والمأكول ويصنون الأحساب، ليسوا مثلكم في اللباس، ولا يرون فيه ما ترون. وأقبلوا إليه يتناولون سلاحه، ويزهّدونه فيه، فقال لهم: هل لكم إلى أن تُروني فأريكم؟ فأخرج سيفه من خِرَقه كأنه شُعْلة نار. فقال القوم: اغمده، فغمده؛ ثم رمى تُرساً ورموا حَجَجَفته، فخرق تُرسهم، وسلمت حَجَجَفته، فقال: يا أهل فارس؛ إنكم عظمتُم الطعام واللباس والشراب؛ وإننا صغرناهن. ثم رجع إلى أن ينظروا إلى الأجل، فلما كان من الغد بعثوا أن ابعث إلينا ذلك الرَّجُل؛ فبعث إليهم سعد حذيفة بن مِحْصن، فأقبل في نحو من ذلك الزمى، حتى إذا كان على أدنى البساط، قيل له: انزل، قال: ذلك لو جئتكم في حاجتي؛ فقولوا لملككم: أله الحاجة أم لى؟ فإن قال: لى؛ فقد كذب؛ ورجعت وتركتكم؛ فإن قال: له، لم آتكم إلا على ما أحب. فقال: دعوه، فجاء حتى وقف عليه ورسم على سريره، فقال: انزل، قال: لا أفعل، فلما أبى سأله: ما بالك جئت ولم يجى صاحبنا بالأمس؟ قال: إن أميرنا يحب أن يعدل بيننا في الشدة والرخاء؛ فهذه نوبتى. قال: ما جاء بكم؟ قال: إن الله عز وجل منّ علينا بدينه، وأرانا آياته، حتى عرفناه وكنا له منكبين. ثم أمرنا بدعاء الناس إلى واحدة من ثلاث؛ فأيتها أجابوا إليها قبلناها: الإسلام ونصرف عنكم، أو الجزاء ومنعكم إن احتجتم إلى ذلك، أو المنابذة. فقال: أو الموادعة إلى يوم ما؟ فقال: نعم، ثلاثاً من أمس. فلما لم يجد عنده إلا ذلك رده وأقبل على أصحابه، فقال: ويحك! ألا ترون إلى ما أرى! جاءنا الأول بالأمس فغلبنا على أرضنا، وحقّرنا نعظّم، وأقام فرسه على زبرجنا وربطه به؛ فهو في يمين الطائر، ذهب بأرضنا وما فيها إليهم، مع فضل عقله. وجاءنا هذا اليوم فوقف علينا؛ فهو في يمين الطائر، يقوم على أرضنا دوننا، حتى أغضبهم وأغضبوه فلما كان من الغد أرسل: ابعثوا إلينا رجلاً، فبعثوا إليهم المغيرة بن شعبة كعب إلى السرى، عن شعيب، عن سيف، عن أبي عثمان النهدي قال: لما جاء المغيرة إلى القنطرة فعبرها إلى أهل فارس حبسوه واستأذنوا رسم

٢٢٧٣/١

٢٢٧٤/١

في إجلازته ، ولم يغيروا شيئاً من شارتهم ، تقويةً لثناؤهم ؛ فأقبل المغيرة بن
شعبة ، والقوم في زيتهم ، عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب ، وبسُطهم
على غلوة^(١) لا يصل إلى صاحبهم ؛ حتى يمشى عليهم غلوةً ؛ وأقبل
المغيرة وله أربع صفائر يمشى ؛ حتى جلس معه على سريريه ووسادته ؛ فوثبوا
عليه فترروه^(٢) وأنزلوه ومغثوه^(٣) . فقال : كانت تبَلِّغنا عنكم الأحلام ؛ ولا
أرى قوماً أسفه منكم ! إننا معشر العرب سواء ؛ لا يستعبد بعضنا بعضاً إلا
أن يكون محارباً لصاحبه ؛ فظننت أنكم تُواسون قوتكم كما نتواسي ؛ وكان
أحسن من الذي صنعتم أن تُخبروني أن بعضكم أربابُ بعض ، وأن هذا
الأمر لا يستقيم فيكم فلانصنعه ؛ ولم آتكم ؛ ولكن دعوتوني اليوم ؛ علمت
أن أمركم مضمحل ، وأنكم مغلوبون ؛ وأن ملكاً لا يقوم على هذه السيرة ،
ولا على هذه العقول .

٢٢٧٥/١

فقال السفلة : صدق والله العربي ، وقالت الدهاقين : والله لقد رمى
بكلام لا يزال عبيدنا يتزعون إليه ؛ قاتل الله أولينا ، ما كان أحققهم حين
كانوا يصغرون أمر هذه الأمة ! فمازحه رستم ليمحو ما صنع ، وقال له :
يا عربي ؛ إن الحاشية قد تصنع ما لا يوافق الملك ، فتراخي عنها مخافة أن يكسرها
عماً ينبغي من ذلك ؛ فالأمر على ما تحب من الوفاء وقبول الحق ؛ ما هذه
المغازل التي معك ؟ قال : ما ضرَّ الجمره ألا تكون طويلة ! ثم رامهم . وقال :
ما بال سيفك رثاً ! قال : رث الكسوة ، حديد المضربة . ثم عاياه سيفه ،
ثم قال له رستم : تكلم أم أنكلم ؟ فقال المغيرة : أنت الذي بعثت إلينا ،
فتكلم ، فأقام الترجمان بينهما ، وتكلم رستم ، فحمد قومه ، وعظم أمرهم
وطوله ، وقال : لم نزل متمكنين في البلاد ، ظاهرين على الأعداء ، أشرافاً في
الأمم ؛ فليس لأحد من الملوك مثل عزتنا وشرفنا وسلطاننا ، نُنصر على الناس
ولا يُنصرون علينا إلا اليوم واليومين ، أو الشهر والشهرين ؛ للذنوب ؛ فإذا
انتقم الله فرضي ردنا إلينا عزنا ، وجمعنا لعدونا شر يوم هو آت عليهم .

٢٢٧٦/١

(٢) تترود حر كوه .

(١) الغلوة : قدر رجعة السهم .

(٣) مغثوه : ضربوه ضرباً ليس بالشديد .

ثم إنه لم يكن في الناس أمة أصغر عندنا أمراً منكم ؛ كنتم أهل قسفت
ومعيشة سيئة ، لا تراكم شيئاً ولا نعدكم ، وكنتم إذا قحطت أرضكم ،
وأصابتكم السنة استغثتم بناحية أرضنا فنأمر لكم بالشيء^(١) من التمر والشعير
ثم نردكم ، وقد علمت أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلا ما أصابكم من الجهد
في بلادكم ، فأنا أمرُ لأمرِكم بكسوة وبغل وألف درهم ، وأمرُ لكل رجل منكم
بوقر تمرٍ وبثوبين ، وتنصرفون عنا ، فإنني لست أشتهي أن أقتلكم ولا آسركم .

فتكلم المغيرة بن شعبه ، فحميد الله وأثنى عليه ، وقال : إن الله خالق
كل شيء ورزقه ؛ فمن صنع شيئاً فلإنما^(٢) هو الذي يصنعه هو له^(٣) . وأما الذي
ذكرت به نفسك وأهل بلادك ؛ من الظهور على الأعداء والتمكن في
البلاد وعظم السلطان في الدنيا ؛ فنحن نعرفه ، ولسنا ننكره ؛ فالله صنعه بكم ؛
ووضعه فيكم ؛ وهو له دونكم ؛ وأما الذي ذكرت فينا من سوء الحال ،
وضيق المعيشة واختلاف القلوب ؛ فنحن نعرفه ؛ ولسنا ننكره ؛ والله ابتلانا
بذلك ، وصبرنا إليه ، والدنيا دُول ؛ ولم يزل أهل شدائدنا يتوقعون الرخاء
حتى يصيروا إليه ؛ ولم يزل أهل رخاها يتوقعون الشدائد حتى تنزل بهم ،
ويصيروا إليها ؛ ولو كنتم فيما آتاكم الله ذوى شكر ، كان شكركم يقصر
عما أوتيتم ، وأسلمكم ضعف الشكر إلى تغير الحال ؛ ولو كنا فيما ابتلينا به
أهل كفر ؛ كان عظيم ما تتابع علينا مستجلباً من الله رحمة يرفه بها عنا ،
ولكن الشأن غير ما تذهبون إليه ؛ أو^(٤) كنتم تعرفوننا به ؛ إن الله تبارك
وتعالى بعث فينا رسولا... ثم ذكر مثل الكلام الأول ؛ حتى انتهى إلى قوله :
وإن احتجت إلينا أن نمنعك فكن لنا عبداً تؤدى الجزية عن يدٍ وأنت صاغر ،
وإلا فالسيف إن أبيت ! فنخرنخرة ، واستشاط غضباً ، ثم حلف بالشمس
لا يرتفع لكم الصبح غداً حتى أقتلكم أجمعين .

فانصرف المغيرة ؛ وخلص رسم تألفاً بأهل^(٥) فارس ، وقال : أين هؤلاء
منكم ؟ ما بعد هذا ! ألم يأتيكم الأولان فحسراكم واستخرجاكم ، ثم جاءكم

(١) ابن الأثير والنويرى : « بشيء » .

(٢-٢) ط : « فإنما هو يصنعه والذي له » ، وانظر التصويريات .

(٣) ابن حبيش : « إذ » . (٤) ز : « لأهل »

هذا ، فلم يختلفوا ، وسلكوا طريقاً واحداً ، ولزموا أمراً واحداً ؛ هؤلاء والله الرجال ؛ صادقين كانوا أم كاذبين ! والله لئن كان بلغ من إربهم وصوتهم لسيرهم ألاّ يختلفوا ، فما قومٌ أبلغ فيما أرادوا منهم ؛ لئن كانوا صادقين ما يقوم هؤلاء شيء ! فلجّوا وتجلّدوا وقال : والله إنى لأعلم أنكم تُصغون إلى ما أقول لكم ؛ وإنّ هذا منكم رِثاء ؛ فازدادوا لَسْجاجة .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر ، عن ابن الرُّفيل ، عن أبيه ، قال : فأرسل مع المغيرة رجلاً . وقال له : إذا قطع القنطرة ، ووصل إلى أصحابه ، فناد : إن الملك كان منجماً قد حسب لك ونظر في أمرك ، فقال : إنك غداً تُفقا عينك^(١) . ففعل الرسول ، فقال المغيرة : بشرتني^(٢) بخير وأجر ؛ ولولا أن أجاهد بعد اليوم أشباهكم من المشركين ، لتمنيت أن الأخرى ذهبت أيضاً . فرآهم يضحكون من مقالته ، ويتعجبون من بصيرته ؛ فرجع إلى الملك بذلك ، فقال : أطيعوني يا أهل فارس ؛ وإنى لأرى لله فيكم نعمة لا تستطيعون ردّها عن أنفسكم . وكانت خيولهم تلتقي على القنطرة لا تلتقى إلاّ عليها ، فلا يزالون يبدءون المسلمين ، والمسلمون كافؤون عنهم الثلاثة الأيام ؛ لا يبدءونهم ؛ فإذا كان ذلك منهم صدّوهم ورددّوهم .

٢٢٧٨/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كان ترجمان رستم عن أهل الحيرة يدعى عبّود .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبي وسعيد بن المرزبان ، قالا : دعا رستم بالمغيرة ، فجاء حتى جلس على سريرته ، ودعا رستم ترجمانه - وكان عربياً من أهل الحيرة ، يدعى عبّود - فقال له المغيرة : ويحك يا عبّود ! أنت رجل عربيّ ؛ فأبلغه عنى إذا أنا تكلمت كما تُبلغني عنه . فقال له رستم مثل مقالته ، وقال له المغيرة مثل مقالته ، إلى إحدى

(١) ابن حبيش : « إنا نفقا عينك غداً » . (٢) ز : « بشرتني » .

ثلاث خلال : إلى الإسلام ولكم فيه مالنا وعليكم فيه ما علينا ؛ ليس فيه تفاضل بيننا ، أو الجزية عن يده وأنتم صاغرون . قال : ما « صاغرون » ؟ قال : أن يقوم الرجل مثكم على رأس أحدنا بالجزية بحمده أن يقبلها منه ... إلى آخر الحديث ؛ والإسلام أحب إلينا منهما .

٢٢٧٩/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيدة ، عن شقيق ، قال : شهدت القادسية غلاماً بعد ما احتلمت ؛ فقدم سعد القادسية في اثني عشر ألفاً ؛ وبها أهل الأيَّام ، فقدمت علينا مقدمات رسم ، ثم زحف إلينا في ستين ألفاً ، فلما أشرف رسم على العسكر قال : يا معشر العرب ، ابعثوا إلينا^(١) رجلاً يكلِّمنا ونكلِّمه ؛ فبعث إليه المغيرة بن شعبة ونفراً ، فلما أتوا رسم جلس المغيرة على السرير ، فنخر أخو رسم ، فقال المغيرة : لا تنخر ؛ فما زادني هذا شرفاً ولا نقص أخاك . فقال رسم : يا مغيرة ، كنتم أهل شقاء ، حتى بلغ ؛ وإن كان لكم أمر سيوى ذلك ، فأخبرونا . ثم أخذ رسم سهماً من كنانته ، وقال : لا تروا أن هذه المغازل تغني عنكم شيئاً ؛ فقال المغيرة مجيباً له ، فذكر النبي صلى الله عليه وسلم [قال] : فكان ممّا رزقنا الله على يديه حبة تنبت في أرضكم هذه ؛ فلما أذقناها عيالنا ، قالوا : لا صبر لنا عنها ، فجئنا لنطعمهم أو نموت . فقال رسم : إذا تموتون أو تقتلون ، فقال المغيرة : إذا يدخل من قتل منا الجنة ، ويدخل من قتلنا منكم النار ، ويظفر من بقى منا بمن بقى منكم ؛ فنحن نخيرك بين ثلاث خلال ... إلى آخر الحديث . فقال رسم : لا صلح بيننا وبينكم .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : أرسل إليهم سعد ببيعة ذوى الرأى جميعاً ، وحبس الثلاثة^(٢) ، فخرجوا حتى أتوه ليعظموا عليه استقباحاً ، فقالوا له : إن أميرنا يقول لك : إن الحوار يحفظ الولاية ، وإنتى أدعوك إلى ما هو خير لنا ولك ، العافية أن تقبل

٢٢٨٠/١

(٢) ز : « فحبس الثلاثة جميعاً » .

(١) ز : « لنا » .

ما دعاك الله إليه ، ونرجع إلى أرضنا ، وترجع إلى أرضك وبعضنا من بعض ؛
 إلا أن داركم لكم ، وأمركم فيكم ؛ وما أصبتم ممّا وراءكم كان زيادة لكم
 دوننا . وكنا لكم عوناً على أحد إن أرادكم أو قوى عليكم . واتق الله يا رستم ؛
 ولا يكونن هلاك قومك على يدك ، فإنه ليس بينك وبين أن تغبّط به إلا
 أن تدخل فيه ونطرُد به الشيطان عنك ؛ فقال : إني قد كلّمت منكم نفرًا ،
 ولو أنهم فهموا عنى رجوت أن تكونوا قد فهمتم ، وإن الأمثال أوضح من
 كثير من الكلام ، وسأضرب لكم مثلكم تبصّروا . إنكم كنتم أهل جهد
 في المعيشة ، وقشّف في الهيئة ، لا تمتنعون ولا تنتصفون ، فلم نسيّ جواركم ،
 ولم ندع مواساتكم ، تُقحمون المرّة بعد المرّة ، فميركم ثم نردكم^(١) ، وتأتوننا
 أجراءً وتجارًا ، فنحسّن إليكم ؛ فلما تطاعتم بطعامنا ، وشربتم شرابنا ،
 وأظلمكم ظلّنا ، وصفتم لقومكم ؛ فدعوتهم ، ثم أبتيمونا بهم ، وإنما مثلكم
 في ذلك ومثلنا كمثل رجل كان له كرم ، فرأى فيه ثعلبًا ، فقال : وما ثعلب !
 فانطلق الثعلب ، فدعا الثعلب إلى ذلك الكرم ، فلما اجتمع عليه سدّ
 عليهنّ صاحب الكرم الجحر الذي كنّ يدخلن منه ، فقتلهنّ ؛ وقد علمت
 أن الذي حتملكم على هذا الحرص والطمع والجهد ؛ فارجعوا عنّا عامتكم
 هذا ، وامتاروا حاجتكم ، ولكم العود كلّموا احتجتم ، فإني لا أشتهى أن
 أقتلكم .

٢٢٨١/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عُمارة بن القعقاع
 الضبيّ ، عن رجل من يربوع شهدّها ، قال : وقال وقد أصاب أناس كثير
 منكم من أرضنا ما أرادوا ، ثم كان مصيرهم القتل والهرب ، ومن سنّ
 هذا لكم خير منكم وأقوى ؛ وقد رأيتم أنتم كلّموا أصابوا شيئًا أصيب
 بعضهم ونجا بعضهم ؛ وخرج ممّا كان أصاب ، ومن أمثالكم فيما تصنعون
 مثل جرّذان ألفت جرّة فيها حبّ ، وفي الجرّة ثقب ، فدخل الأول
 فأقام فيها ، وجعل الأخر يتقلّن منها ويرجعن ويكلّمنه في الرجوع ،
 فبابي فانتهى سمن الذي في الجرّة ، فاشتاق إلى أهله ليُرِيهم حسن حاله ،

٢٢٨٢/١

(١) ز : « ندرؤكم » .

فضاق عليه الجُحر ، ولم يُطيق الخروج ، فشكا القلتق إلى أصحابه ، وسألهم المخرج ، فقلن له : ما أنت بخارج منها حتى تعودَ كما كنت قبل أن تدخل ، فكف رجوع نفسه ، وبقي في الخوف ، حتى إذا عاد كما كان قبل أن يدخلها أتى عليه صاحب الجرة فقتله . فاخرجوا ولا يكونن هذا لكم مثلاً .

كتب إلى المري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر ، عن ابن الرُقيل ، عن أبيه ، قال : وقال : لم يخلق الله خلقاً أولع من ذباب ولا أضر ؛ ما (١) خلاكم يا معشر العرب ؛ ترون الهلاك ويُدليكم فيه الطمع ؛ وسأضرب لكم مثلكم : إن الذباب إذا رأى العسلَ طار ، وقال : مَنْ يوصلني إليه وله درهمان حتى يدخله ؟ لا ينهيه أحد إلا عصاه ، فإذا دخله غرق ونشب وقال : مَنْ يخرجني وله أربعة دراهم ؟ وقال أيضاً : إنما مثلكم مثل ثعلب دخل جُحراً وهو مهزول ضعيف إلى كثرم ، فكان فيه يأكل ما شاء الله ، فرآه صاحب الكثرم ، ورأى ما به ، فرحمه ، فلما طال مكثه في الكثرم وسمن ، وصلت حاله ، وذهب ما كان به من الهزال أشير ، فجعل يعبث بالكثرم ويُفسد أكثر مما يأكل ، فاشتد على صاحب الكثرم ، فقال : لا أصبر على هذا من أمر هذا ، فأخذ له خشبة واستعان عليه غلمانه ، فطلبوه وجعل يراوهم في الكثرم ، فلما رأى أنهم غير مُقلعين عنه ، ذهب ليخرج من الجُحر الذي دخل منه ، فنشب . اتسع عليه وهو مهزول ، وضاق عليه وهو سمين ؛ فجاءه وهو على تلك الحال صاحب الكثرم ، فلم يزل يضربه حتى قتله ، وقد جثم وأنتم مهازِيل ؛ وقد سيمتتم شيئاً من سيمن ؛ فانظروا كيف تخرجون ! وقال أيضاً : إن رجلاً وضع سلاً ، وجعل طعامه فيه ؛ فأتى الجرذان ، فخرقوا سله ، فدخلوا فيه فأراد سده ، فقيل له : لا تفعل ، إذا يخرقنّه ، ولكن انقب بجياله ؛ ثم اجعل فيها قصبة مجوفة ، فإذا جاءت الجرذان دخلن من القصبة وخرجن منها ، فكلما طلع عليكم جرذ قتلتموه . وقد سددتُ عليكم ؛ فإيّاكم أن تفتحوا القصبة ، فلا يخرج منها أحدٌ إلا قُتل ، وما دعاكم إلى ما صنعتم ؛ ولا أرى عدداً ولا عدّة !

٢٢٨٢/١

(١) كذا في ابن حبيش ، وفي ط : «أما» .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة
 بإسنادهما وزياد معهما ، قالوا : فتكلم القوم فقالوا : أمّا ما ذكرتم من
 سوء حالنا فيما مضى ، وانتشار أمرنا ، فلما تبلغ كُنْهه ! يموت الميت منّا
 إلى النار ، ويبقى الباقي منّا في بؤس ؛ فيينا نحن في أسوأ ذلك ؛ بعث الله فينا
 رسولاً من أنفسنا إلى الإنس والجن ، رحمةً رحم بها من أراد رحمته ،
 ونقمة ينتقم بها ممن ردّ كرامته ؛ فبدأ بنا قبيلة قبيلة ، فلم يكن أحدٌ أشدّ عليه ؛
 ولا أشدّ إنكاراً لما جاء به ، ولا أجهدُ على قتله وردّ الذي جاء به من قومه ،
 ثمّ الذين يلونهم ، حتى طابقتنا على ذلك كلنا ، فنصبنا له جميعاً ، وهو
 وحده فردّ ليس معه إلاّ الله تعالى ، فأعطى الظفرَ علينا ، فدخل بعضنا
 طوعاً ، وبعضنا كرهاً ، ثم عرفنا جميعاً الحقّ والصدق لما أتانا به من الآيات
 المعجزة ؛ وكان ممّا أتانا به من عند ربّنا جهاد الأذى فالأذى ، فسرنا بذلك
 فيما بيننا ، نرى أن الذي قال لنا ووعدنا لا يُخرم عنه ولا يُنقض ؛ حتى
 اجتمعت العرب على هذا ، وكانوا من اختلاف الرأى فيما لا يطبق الخلائق
 تأليفهم . ثمّ أتيناكم بأمر ربّنا ، نجاهد في سبيله ، وننفذ لأمره ، ونتجزر
 موعودَه ، وندعوكم إلى الإسلام وحكمه ؛ فإن أحببتمونا تركناكم ورجعنا
 وخلقنا فيكم كتابَ الله ؛ وإن أبيتم لم يجلّ لنا إلاّ أن نعطيتكم القتال
 أو تفتدوا بالجزى ؛ فإن فعلتم وإلاّ فإنّ الله قد أوردنا أرضكم وأبناءكم وأموالكم .
 فاقبلوا نصيحتنا ؛ فوالله لإسلامكم أحبّ إلينا من غنائمكم ، ولتقاتلكم بعد
 أحبّ من صلحكم . وأمّا ما ذكرت من رثائنا وقتلتنا فإنّ أذاتنا الطاعة ،
 وقتالتنا الصبر^(١) . وأمّا ما ضربتم لنا من الأمثال ، فإنكم ضربتم للرجال والأمور
 الجسام وللجيد الهزل ؛ ولكننا سنضرب مثلكم ، إنّما مثلكم مثل رجل
 غرس أرضاً ، واختار لها الشجرَ والحبّ ، وأجرى إليها الأنهار ، وزيّنها
 بالقصور ، وأقام فيها فلاّحين يسكنون قصورها ، ويقومون على جناتها ،
 فخلاّ الفلاحون في القصور على ما لا يحبّ ، وفي الجنان بمثل ذلك ، فأطال
 نظرهم ؛ فلما لم يستحيوا^(٢) من تلقاء أنفسهم ؛ استعتبهم فكابروه ، فدعا

٢٢٨٤/١

٢٢٨٥/١

(١) ز : « بالنصر » .

(٢) ابن حبّيش والنويرى : « يستجبروا » .

إليها غيرهم ، وأخرجهم منها ؛ فإن ذهبوا عنها تخطفتهم الناس ، وإن أقاموا فيها صاروا ختولا لهؤلاء يملكونهم ؛ ولا يملكون عليهم ؛ فيسومونهم الخسفَ أبداً ؛ والله أن لو لم يكن ما نقول لك حقاً ، ولم يكن إلا الدنيا ، لما كان لنا عمّا ضررنا به من لذيذ عيشكم ، ورأينا من زبرجكم من صبر ، ولقارعناكم حتى نغلبكم عليه .

فقال رستم : أتعبرون إلينا أم نعبر إليكم ؟ فقالوا : بل اعبروا إلينا ، فخرجوا من عنده عشياً ، وأرسل سعد إلى الناس أن يقفوا مواقعهم ، وأرسل إليهم : شأنكم والعبور؛ فأرادوا القنطرة ، فأرسل إليهم : لا ولا كرامة ! أما شيء . قد غلبناكم عليه فلن نردّه عليكم ؛ تكلّفوا ميعباً غير القناطر ، فباتوا يسكرون العتيق حتى الصباح بأمتعتهم .

• • •

يوم أرمات

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن عبيد الله ، عن نافع وعن الحكم ، قالوا : لما أراد رستم العبور أمر بسكر (١) العتيق بيحيال قادس ، وهو يومئذ أسفل منها اليوم ممّا يلي عين الشمس ، فباتوا ليلتهم حتى الصباح يسكرون العتيق بالتراب والقصب والبراذع حتى جعلوه طريقاً ، واستتم بعد ما ارتفع النهار من الغد .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : ورأى رستم من الليل أن ملكاً نزل من السماء ، فأخذ قمبي أصحابه ، فختم عليها ، ثم صعد بها إلى السماء ؛ فاستيقظ مهموماً محزوناً ، فدعا خاصته فقصتها عليهم ، وقال : إن الله ليَعْظُنَا ، لو أن فارس تركوني أتَعْظ ! أما ترون النصر قد رُفِعَ عنّا ، وترون الريح مع عدونا ، وأنا لا نقوم لهم في فعل ولا منطق ، ثم هم يريدون مغالبة بالجبرية ! فعبروا بأثقالهم حتى نزلوا على ضفة العتيق .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الأعمش ، قال :

(١) سكر النهر : سد فاه .

لَمَّا كَانَ يَوْمَ السُّكْرِ ، لَبَسَ رِسْمَ دَرَعَيْنِ وَمِغْفَرًا وَأَخَذَ سِلَاحَهُ ، وَأَمَرَ نَفْسَهُ فَأَسْرَجَ ، فَأَتَى بِهِ فَوْتَبَ ، فَإِذَا هُوَ عَلَيْهِ لَمْ يَمْسَهُ وَلَمْ يَضَعْ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ ، ثُمَّ قَالَ : غَدَا نَلْقَهُمْ دَقًّا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، قَالَ : وَإِنْ لَمْ يَشَأْ !

كُتِبَ إِلَى الْمَرْيُ ، بِنِ بَحْيٍ ، عَنِ شُعَيْبٍ ، عَنِ سَيْفٍ ، عَنِ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادَ بِإِسْنَادِهِمْ ، قَالُوا : قَالَ رِسْمٌ : إِنَّمَا ضَغْنَا الثُّعْلَبَ حِينَ مَاتَ الْأَسَدُ - يَذَكِّرُهُمْ ^(۱) مَوْتَ كَسْرِي - ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : قَدْ خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ سَنَةُ الْقُرُودِ . وَلَا عَبْرَ أَهْلِ فَارِسَ أَخَذُوا مِصَافَهُمْ ، وَجَلَسَ رِسْمٌ عَلَى سَرِيرِهِ وَضُرِبَ عَلَيْهِ طِيَّارَةٌ ، وَعَبَّى فِي الْقَلْبِ ثَمَانِيَةَ عَشْرٍ فَيْلًا ، عَلَيْهَا الصَّنَادِيقُ وَالرِّجَالُ ، وَفِي الْمَجْنِبَتَيْنِ ثَمَانِيَةَ سَبْعَةَ ، عَلَيْهَا الصَّنَادِيقُ وَالرِّجَالُ ، وَأَقَامَ الْجَالِنُوسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مِيَمَتِهِ وَالْبِيرِزَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مِيسِرَتِهِ ، وَبَقِيَتِ الْقَنْطَرَةُ بَيْنَ خَيْلَيْنِ مِنْ خَيْوَلِ الْمُسْلِمِينَ وَخَيْوَلِ الْمُشْرِكِينَ ، وَكَانَ يَنْزِدُ جِرْدًا وَضَعَّ رَجُلًا عَلَى بَابِ الْإِيوَانِ ، إِذْ صَرَخَ رِسْمٌ ، وَأَمَرَهُ بَلْزُومَهُ وَإِخْبَارَهُ ، وَآخَرَ حَيْثُ يَسْمَعُهُ مِنَ الدَّارِ ، وَآخَرَ خَارِجَ الدَّارِ ، وَكَذَلِكَ عَلَى كُلِّ دَعْوَةِ رَجُلًا ، فَلَمَّا نَزَلَ رِسْمٌ ، قَالَ الَّذِي بِسَابَاطٍ : قَدْ نَزَلَ ، فَقَالَ الْآخَرُ... حَتَّى قَالَ الَّذِي عَلَى بَابِ الْإِيوَانِ ، وَجَعَلَ بَيْنَ كُلِّ مَرِحَلَتَيْنِ عَلَى كُلِّ دَعْوَةِ رَجُلًا ، فَكَلَّمَا نَزَلَ وَارْتَحَلَ أَوْ حَدَثَ أَمْرٌ قَالَ ، فَقَالَ الَّذِي يَلِيهِ ، حَتَّى يَقُولَهُ الَّذِي يَلِي بَابَ الْإِيوَانِ ، فَنَظَّمْ مَا بَيْنَ الْعَتِيقِ وَالْمَدَائِنِ رَجَالًا ، وَتَرَكَ الْبُرْدَ ، وَكَانَ ذَلِكَ هُوَ الشَّانُ .

وَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ مِصَافَهُمْ ، وَجُعِلَ زُهْرَةٌ وَعَاصِمٌ بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَشُرْحَبِيلَ ، وَوَكَّلَ صَاحِبُ الطَّلَائِعِ بِالطَّرَادِ ، وَخَلَطَ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْقَلْبِ وَالْمَجْنِبَاتِ ، وَنَادَى مَنَادِيَهُ : أَلَا إِنَّ الْحَسَدَ لَا يَجْلُ إِلَّا عَلَى الْجِهَادِ فِي أَمْرِ اللَّهِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ فَتَحَاسَدُوا وَتَغَابَرُوا عَلَى الْجِهَادِ . وَكَانَ سَعْدٌ يَوْمَئِذٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْكَبَ وَلَا يَجْلِسَ ، بِهِ حُبُونٌ ^(۲) ، فَإِنَّمَا هُوَ عَلَى وَجْهِهِ فِي سَدْرِهِ وَسَادَةٌ ، هُوَ مُكَبَّبٌ عَلَيْهَا ، مُشْرِفٌ عَلَى النَّاسِ مِنَ الْقَصْرِ ، يَرَى بِالرِّقَاعِ فِيهَا أَمْرَهُ وَنَبِيَّهُ ،

(۱) ابن حبيش : « يريد » .

(۲) الحبون : الدماميل ، واحدها حين .

إلى خالد بن عُرْفُطَةَ ، وهو أسفل منه ؛ وكان الصف إلى جنب^(١) القصر ، وكان خالد كالحليفة لسعد لو لم يكن سعد شاهداً مُشْرِفاً .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن القاسم بن الوليد الهمداني ، عن أبيه ، عن أبي نمران ، قال : لما عَبَّرَ رَسْمَ تَخْوَلِ زُهْرَةَ والجالينوس ، فجعل سعد زُهْرَةَ مكان ابن السَّمَطِ ، وجعل رَسْمَ الجالينوس مكان الهُرْمُزَانَ ، وكان بسعد عِرْقُ النَّسَاءِ ودَمَامِيلِ ، وكان إنما هو مكبٌ ، واستخلف خالد بن عُرْفُطَةَ عَلَى النَّاسِ ، فاختلف عليه الناس ، فقال : احمِلُونِي ، وَأَشْرِفُوا بِي عَلَى النَّاسِ ؛ فارتَقَوْا بِهِ ، فَأَكَبَ مَطْلَعًا عَلَيْهِمْ ، وَالصَّفُّ فِي أَصْلِ حَائِطِ قُدَيْسٍ ؛ يَأْمُرُ خَالِدًا فَيَأْمُرُ خَالِدَ النَّاسِ ، وَكَانَ مَمَّنْ شَغِبَ عَلَيْهِ وَجْهُهُ مِنْ وَجْهِ النَّاسِ ، فَهَمَّ بِهِمْ سَعْدٌ وَشَتَمَهُمْ ، وَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ عَدُوَّكُمْ بِحَضْرَتِكُمْ لَجَعَلْتُمْ نِكَالًا لغيركم ! فحبسهم - ومنهم أبو مِحْنَجَنَ الثَّقَفِيَّ - وَقَيْدَهُمْ فِي الْقَصْرِ ، وَقَالَ جَرِيرٌ : أَمَا إِنِّي بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنْ أَسْمَعَ وَأَطِيعَ لِمَنْ وُلَّاهُ اللَّهُ الْأَمْرَ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا ، وَقَالَ سَعْدٌ : وَاللَّهِ لَا يَعُودُ أَحَدٌ بَعْدَهَا يَحْبِسُ الْمُسْلِمِينَ عَنْ عَدُوِّهِمْ وَيَشَاغِلُهُمْ وَهُمْ بِإِزَاهِمٍ إِلَّا سُنَّتْ بِهِ^(٢) سُنَّةٌ يُؤْخَذُ بِهَا مِنْ بَعْدِي .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : إنَّ سَعْدًا خَطَبَ مَنْ يَلِيهِ يَوْمَئِذٍ ؛ وَذَلِكَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ فِي الْمَحْرَمِ سَنَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ ، بَعْدَ مَا تَهَدَّمَتْ عَلَى الَّذِينَ اعْتَرَضُوا عَلَى خَالِدِ بْنِ عُرْفُطَةَ فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ . وَقَالَ : إِنْ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي الْمَلِكِ ؛ وَلَيْسَ لِقَوْلِهِ خَلْفٌ ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾^(٣) ، إِنْ هَذَا مِيرَاثِكُمْ وَمَوْعِدُ رَبِّكُمْ ، رَقْدَ أَبَاحِهَا لَكُمْ مِنْدَ ثَلَاثِ حِجَجٍ ؛ فَأَنْتُمْ تَطْعَمُونَ مِنْهَا ، وَتَأْكُلُونَ مِنْهَا ، وَتَقْتُلُونَ أَهْلِهَا ، وَتَجْبُونُهُمْ وَتَسْبُونُهُمْ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ

(٢) ابن حيش : « سنت فيه » .

(١) ابن حيش : « جانب » .

(٣) سورة الأنبياء ١٠٥

بما نال منهم أصحاب الأيَّام منكم ، وقد جاءكم منهم هذا الجمع ، وأنتم وجوهُ العرب وأعيانُهم ، وخيار كل قبيلة ، وعِزُّ مَنْ وراءكم ، فإن تنزَّهوا في الدُّنيا وترغبوا في الآخرة جتمع الله لكم الدُّنيا والآخرة ، ولا يقرب ذلك أحداً إلى أجله ، وإن تفسَّلوا وتَهَيَّنوا وتضعفوا تذهب ريحكم ، وتُوبِقوا آخرتكم .

وقام عاصم بن عمرو في المجرِّدة ؛ فقال : إن هذه بلاد قد أحلَّ الله لكم أهلها ، وأنتم تنالون منهم منذ ثلاث سنين مالا ينالون منكم ، وأنتم الأعلون والله معكم ؛ إن صبرتم وصدقتموهم الضرب والطعن فلنكم أموالهم ونساؤهم وأبناؤهم وبلادهم ؛ وإن خُرتُم وفشِلتم فالله لكم من ذلك جار وحافظ ، لم يبق هذا الجمع منكم باقية ؛ مخافة أن تعودوا عليهم بعائدة هلاك . الله الله ! اذكروا الأيَّام وما منحكم الله فيها ؛ أو لا ترون أن الأرض وراءكم بسابس قفار ليس فيها خمر ولا وزر يُعقل إليه ، ولا يُمتنع به ! اجعلوا همكم الآخرة .

وكتب سعد إلى الرايات : إني قد استخلفتُ عليكم خالد بن عُرْفُطَةَ ، وليس ينعني أن أكون مكانه إلا وجَّعني الذي يعودني وما بي من الحُبُون ، فلنني مُكبَّ على وجهي وشخصي لكم باد ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فإنه إنَّما بأمركم بأمرى ، ويعمل برأى . فقُرئ على النَّاس فزادهم خيراً ، وانتهوا إلى رأيه ، وقبلوا منه وتحاثوا على السمع والطاعة ، وأجمعوا على عُدْر سعد والرِّضا بما صنع .

٢٢٩٠/١

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن حلام ، عن مسعود ، قال : وخطب أمير كل قوم أصحابه ، وسير فيهم ، وتحاضوا على الطاعة والصبر توأصوا ؛ ورجع كل أمير إلى موقفه بمن والاه من أصحابه عند المواقف ؛ ونادى مُنادى سعد بالظُّهر ، ونادى رستم : «بادِ شَهانِ مَرْتَلِر» ، أكل عمر كبدي أحرق الله كبده ! علم هؤلاء حتى علموا .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، قال : حدثنا سيف ، عن النَّضر ، عن ابن الرُّفَيْل ، قال : لما نزل رستم النَّجَف بعث منها عينا إلى عسكر المسلمين ، فانغمس فيهم بالقادسية كبعض مَنْ نَدَّ منهم ، فرآهم يستاكون

٢٢٩١/١

عند كل صلاة ثم يصلون فيفترقون إلى مواقعهم ، فرجع إليه فأخبره بخبرهم ، وسيرتهم ، حتى سأله : ما طعامهم ؟ فقال : مكثت فيهم ليلة ، لا والله ما رأيت أحداً منهم يأكل شيئاً إلا أن يمضوا عيداً أنا لهم حين يمسون ، وحين ينامون ، وقبيل أن يصبحوا . فلما سارفتزل بين الحصن والعتيق وافقهم وقد أذن مؤذن سعد الغداة ، فرآهم يتحششون^(١) ، فنأدى في أهل فارس أن يركبوا ، فقيل له : ولم ؟ قال : أما ترون إلى عدوكم قد نودي فيهم فتحششوا لكم ! قال عينه : ذلك إنما تحششهم هذا للصلاة ، فقال بالفارسية ، وهذا تفسيره بالعربية . أتاني صوت عند الغداة ، وإنما هو عمر الذي يكلم الكلاب فيعلمهم العقل ، فلما عبروا تواقفوا ، وأذن مؤذن سعد للصلاة ، فصلت سعد ، وقال رسم : أكل عمر كبدي !

كتب إلى السري ، قال : حدثنا شبيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : وأرسل سعد الذين انتهى إليهم رأي الناس ، والذين انتهت إليهم نجدتهم وأصناف الفضل منهم إلى الناس ، فكان منهم من ذوى الرأي النفر الذين أتوا رسم المغيرة ، وحذيفة ، وعاصم ، وأصحابهم ؛ ومن أهل النجدة^(٢) طليحة ، وقيس الأسدي ، وغالب ، وعمرو ابن معد يكرب وأمثالهم ؛ ومن الشعراء الشماخ والحطيئة ، وأوس بن مغراء ، وعبد بن الطبيب ؛ ومن سائر الأصناف أمثالهم . وقال قبل أن يرسلهم : انطلقوا فقوموا في الناس بما يحق عليكم وبحق عليهم عند مواطن البأس ؛ فإنكم من العرب بالمكان الذي أنتم به ، وأنتم شعراء العرب وخطباؤهم وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم ، فسيروا في الناس ، فذكروهم وحرّضوهم على القتال ، فساروا فيهم . فقال قيس بن هبيرة الأسدي : أريها الناس ، احمّدوا الله على ما هداكم له وأبلاكم بيزدكم ، واذكروا آلاء الله ، وارغبوا إليه في عاداته ؛ فإن الجنة أو الغنيمة^(٣) أمامكم ؛ وإنه ليس وراء هذا القصر إلا العراء

(١) التحشش : التحرك للنهوض .

(٢) ابن حبيش : « النجدات » .

(٣) ز : « والغنيمة » .

والأرض القفر ، والظراب خشن ، والفلوات التي لا تقطعها الأدلة .
 وقال غالب : أيها الناس ، احمّدوا الله على ما أبلاكم ، وسلوه يزدكم ،
 وادعوه يُجيبكم ، يا معاشر معدّ ، ما علّنتكم اليوم وأنتم في حصونكم -
 يعني الخيل - ومعكم من لا يعصيكم - يعني السيوف؟ اذكروا حديث الناس
 في غدٍ ، فإنه بكم غداً يُبدأ عنده ، وبمن بعدكم يُثنى .

٢٢٩٣/١

وقال ابن الهذيل الأسدي : يا معاشر معدّ ، اجعلوا حصونكم السيوف ،
 وكونوا عليهم كأسود الأجم ، وتربّدوا^(١) لهم تربّد النّمور ، وادّرعوا العجاج ،
 وثقوا بالله . وعضّوا الأبصار ، فإذا كلّت السيوف فإنها مأمورة ، فأرسلوا عليهم
 الجنادل ، فإنها يؤذن لها فيما لا يؤذن للحديد فيه .

وقال بسّربن أبي رهم الجهني : احمّدوا الله ، وصدّقوا قولكم بفعل ،
 فقد حمدتم الله على ما هداكم له ووحدتموه ولا إله غيره ، وكبرتموه ، وآمنتم
 بنبية ورسله فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، ولا يكونن شيء بأهون عليكم
 من الدنيا ، فإنها تأتي من تهاون بها ، ولا تميلوا إليها فتهرب منكم لتميل بكم .
 انصروا الله ينصركم .

وقال عاصم بن عمرو : يا معاشر العرب ، إنكم أعيان العرب ، وقد
 صمدتم^(٢) الأعيان من العجم ؛ وإنما تخاطرون بالجنّة ، ويخاطرون بالدنيا ، فلا
 يكونن على دنياهم أحوط منكم على آخرتكم . لا تحدّثوا اليوم أمراً تكونون
 به شيئا على العرب غداً .

وقال ربيع بن البلاد السعدي : يا معاشر العرب ، قاتلوا للدين والدنيا ،
 وسارِعوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها السموات والأرض
 أعدت للمتقين^(٣) ، وإن عظم الشيطان عليكم الأمر ، فاذكروا الأخبار عنكم
 بالمواسم ما دام للأخبار أهل .

٢٢٩٤/١

(١) تربّدوا : تعبسوا واغضبوا .

(٢) صمدتم : قصدتم .

(٣) سورة آل عمران ١٤٣ .

وقال رِبْعِيٌّ بن عامر: إن الله قد هداكم للإسلام، وجمعكم به، وأراكم الزيادة، وفي الصبر الراحة، فعودوا أنفسكم الصبر تعتادوه، ولا تعودوا الجزع فتعتادوه.

وقام كلهم بنحو من هذا الكلام، وتواتق الناس، وتعاهدوا، واحتاجوا لكل ما كان ينبغي لهم، وفعل أهل فارس فيما بينهم مثل ذلك، وتعاهدوا وتواصوا؛ واقترنوا بالسلاسل؛ وكان المفترضة ثلاثين ألفاً.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن مجالد، عن الشعبي: إن أهل فارس كانوا عشرين ومائة ألف، معهم ثلاثون فيلاً، مع كل قبيلة أربعة آلاف.

كتب إلى السري بن يحيى، عن شعيب، عن سيف، عن حلام، عن مسعود بن خراش، قال: كان صف المشركين على شفير العتيق، وكان صف المسلمين مع حائط قُدَيْس، الحندق من ورائهم. فكان المسلمون والمشركون بين الحندق والعتيق. ومعهم ثلاثون ألف مسلسل، وثلاثون فيلاً تُقاتل، وفيكّة عليها الملوك وقوف لا تُقاتل. وأمر سعد الناس أن يقرءوا على الناس سورة الجهاد، وكانوا يتعلمونها.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم، قالوا: قال سعد: الزموا مواقفكم، لا تحركوا شيئاً حتى تصلوا الظهر، فإذا صليتم الظهر فإنني مكبر تكبيرة، فكبروا واستعدوا. وأعلموا أن التكبير لم يُعطه أحد قبلكم، وأعلموا أنما أعطيتموه تأييداً لكم. ثم إذا سمعتم الثانية فكبروا، ولتستم عندكم، ثم إذا كبرت الثالثة فكبروا، ولينشط فرسانكم الناس ليرزوا وليطاردوا، فإذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعاً حتى تخالطوا عدوكم؛ وقولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله!

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن الریان، عن مُصَنَّب بن سعد، مثله.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن زكرياء، عن أبي إسحاق، قال: أرسل سعد يوم القادسية في الناس: إذا سمعتم التكبير

فشدوا شُسوع نعالِكُم ، فإذا كَبُرْتُ الثانية فتهيئوا ، فإذا كَبُرْتُ الثالثة فشدوا النواجذ على الأضراس واحملوا .

كتب إلى المري بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : لما صلتى سعد الظهر أمر الغلام الذى كان ألزمه عمر إيتاه - وكان من القراء - أن يقرأ سورة الجهاد ، وكان المسلمون يتعلمونها كلهم ، فقرأ على الكتيبة الذين يلونه سورة الجهاد ، فقرئت فى كل كتيبة ، فهشت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها .

كتب إلى المري ، عن شعيب ، عن صحيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : لما فرغ القراء كبر سعد ، فكبر الذين يلونه تكبيرة ، وكبر بعض الناس بتكبير بعض ، فتحشش^(١) الناس ، ثم ثنى فاستتم الناس ، ثم ثلث فبرز أهل النجيدات فأنشبو القتال ، وخرج من أهل فارس أمثالهم ، فاعتوروا الطعن والضرب ، وخرج غالب بن عبد الله الأسدى وهو يقول :

٢٢٩٦/١

قد علمت واردة المسائح ذات اللبان والبنان الواضح^(٢)
أنى سمام البطل المشايح^(٣) وفارج الأمر المهم الفادح
فخرج إليه هرمز - وكان من ملوك الباب ، وكان مترجماً - فأسره غالب أسراً ، فجاء سعداً ، فأدخيل ، وانصرف غالب إلى المطاردة ، وخرج عاصم ابن عمرو وهو يقول :

قد علمت بيضاء صفراء اللب^(٤) مثل اللجين إذ تفتأ الذهب
أنى امرؤ لا من تعيبه السب^(٥) مثلى على مثلك يغريه العتب

(١) تحشش الناس : تحركوا .

(٢) اللبان : الصدر .

(٣) المشايح : المقاتل .

(٤) اللب ، بالتحريك : موضع الفلادة من الصدر .

(٥) ط : « يمينه السب » ، وانظر التصويبات .

فطارد رجلا من أهل فارس ، فهرب منه واتبعه ، حتى إذا خالط صفهم
التى بفارس معه بغلة ، فترك الفارس البغل ، واعتصم بأصحابه فحموه ،
واستاق عاصم البغل والرحل ، حتى أفضى به إلى الصف ، فإذا هو خباز الملك
وإذا النذى معه لطف الملك الأخبصة والعسل المعقود ، فأتى به سعدا ، ورجع
إلى موقفه ، فلما نظر فيه سعد ، قال : انطلقوا به إلى أهل موقفه ، وقال : ٢٢٩٧/١
إن الأمير قد نفلكم هذا فكلوه ، فنفلهم إياه . قالوا : وبيننا الناس ينتظرون
التكبير الرابعة ، إذ قام صاحب رجالة بنى نهد قيس بن حذيم بن
جرثومة ، فقال : يا بنى نهد انهدوا ، إنما سئتم نهدا لتفعلوا . فبعث إليه
خالد بن عرفة : والله لتكفرن أوليئنا عمالك غيرك . فكف .
ولما تطاردت الخيل والفرسان خرج رجل من القوم ينادى : مرد ومرد ،
فانتدب له عمرو بن معديكرب وهو بجياله ، فبارزه فاعتنقه ، ثم جلد به
الأرض فذبجه ، ثم التفت إلى الناس ، فقال : إن الفارسي إذا فقد قوسه
فإنما هو تيس . ثم كتبت الكتاب من هؤلاء وهؤلاء .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبي خالد ،
عن قيس بن أبي حازم ، قال : مر بنا عمرو بن معديكرب وهو يحضض
الناس بين الصفتين ، وهو يقول : إن الرجل من هذه الأعاجم إذا أتى
ميراقه ، فإنما هو تيس ؛ فينا هو كذلك بحرطنا إذ خرج إليه
رجل من الأعاجم ، فوقف بين الصفتين فرمى بنشابة ، فما أخطأت سية
قوسه وهو متنكبها ، فالتفت إليه فحمل عليه ، فاعتنقه ، ثم أخذ بمنطقته ، فاحتمله
فوضعه بين يديه ، فجاء به حتى إذا دنا منا كمر عنقه ، ثم وضع سيفه
على حلقه فذبجه ؛ ثم ألقاه . ثم قال : هكذا فاصنعوا بهم ! فقلنا : ٢٢٩٨/١
يا أبا ثور ، من يستطيع أن يصنع كما تصنع !

وقال بعضهم غير إسماعيل : وأخذ سواريه ومنطقته ويلتمس ديباج عليه .
كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبي خالد ،

عن قيس بن أبي حازم ؛ أن الأعاجم وجّهت إلى الوجه الذي فيه بَجيلةُ
ثلاثة عشر فيلاً^(١) .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبي خالد ،
قال : كانت - يعني وقعة القادسية - في المحرم سنة أربع عشرة في أوله . وكان
قد خرج من الناس إليهم ، فقال له أهل فارس : أحلنا ، فأحاطهم على بَجيلة ،
فصرفوا إليهم ستة عشر فيلاً .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ،
قالوا : لما تكتبت الكتاب بعد الطراد حمل أصحاب الفيئة عليهم ،
ففرقت بين الكتاب ، فابذعرت^(٢) الخيل ؛ فكادت^(٣) بَجيلة أن
تؤكل^(٤) ؛ فترت عنها خيلها نيفاراً ، وعمن كان معهم في مواقفهم^(٥) ،
وبقيت الرجالة من أهل المواقف ، فأرسل سعد إلى بني أسد : ذببوا^(٦) عن
بَجيلة ومن لافئها من الناس ؛ فخرج طليحة بن خويلد وحمّال بن
مالك وغالب بن عبد الله والرّبيل بن عمرو في كتابهم ، فباشروا الفيئة حتى
عدلها ركبائها ؛ وإنّ على كلّ فيل^(٧) عشرين رجلاً .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ،
عن موسى بن طريف ، أن طليحة قام في قومه حين استصرخهم سعد ،
فقال^(٨) : يا عشيرتاه ؛ إنّ المنوّه باسمه ، الموثوق به ، وإنّ هذا لو علم أنّ
أحدًا أحقّ بإغاثة هؤلاء منكم استغاثهم ؛ ابتدوهم^(٩) الشدّة ، وأقدّموا عليهم

٢٢٩٩/١

(١) في ابن حبيش بعدها : « وصفوا على سائر الناس سبعة عشر » .

(٢) ابذعرت الخيل : تفرقت ؛ وفي ز : « فاندعرت » .

(٣) ابن حبيش : « وكادت » .

(٤) ابن الأثير والنويري : « تهلك » .

(٥) ابن حبيش : « موقفهم » .

(٦) ذبوا : دافعوا .

(٧) ابن حبيش : « كل فيل يومئذ » .

(٨) ابن حبيش : « فقال وهو يحرضهم » .

(٩) ابن حبيش : « ابتدوهم » .

إقدام الليوث الحربية ؛ فإنما سميت أسدًا لتفعلوا فعله (١) ؛ شدوا
ولانصدوا، وكرؤوا (٢) ولا تفرؤوا ، لله در ربيعة ! أي فرى يفرؤون ! وأى
قيرن ينعنون (٣) ! هل يوصل إلى مواقفهم (٤) ! فأغنوا عن مواقفكم أعانكم الله !
شدوا عليهم باسم الله ! فقال المعرور بن سويد وشقيق : فشدوا والله عليهم
فما زالوا يطعنونهم ويضربونهم حتى حبسنا الفيئة عنهم ؛ فأخرت ، وخرج إلى
طليحة عظيم منهم فبارزه ؛ فما لبثه طليحة أن قتله .

كتب إلى السرى ، عن شبيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزبياد ،
قالوا : وقام الأشعث بن قيس فقال : يا معشر كندة ؛ لله در بنى أسد !
أى فرى يفرؤون (٥) ! وأى هذ يهذؤن (٦) عن موقفهم منذ اليوم ! أغنى
كل قوم ما يليهم ؛ وأنتم تنتظرون من يكفيكم البأس (٧) ! أشهد ما أحسنتم
أسوة قومكم العرب (٨) منذ اليوم ، وإنهم ليقتلون ويقاتلون ؛ وأنتم جئاة على
الركب تنتظرون ! فوثب إليه عدد منهم عشرة ؛ فقالوا : عشر الله
جذك (٩) ! إنك لتؤبسننا (١٠) جاهداً ، ونحن أحسن الناس موقفاً !
فمن أين خذلنا قومنا العرب وأسأنا إسوتهم ! فما نحن معك . فنهده ونهدهوا ،
فأزالوا الذين بإزائهم ؛ فلما رأى أهل فارس ما تلى الفيئة من كتيبة أسد
رموهم بحدتهم وبلد المسلمين الشدة عليهم ذو الحاجب والحالنوس ،
والمسلمون ينتظرون التكييرة الرابعة من سعد ، فاجتمعت حلبة فارس على
أسد ومعهم تلك الفيئة ، وقد ثبتوا لهم ؛ وقد كبر سعد الرابعة ، فزحف إليهم

(١) ز : « فعله الأسد » .

(٢) ز : « وكبروا » .

(٣) ز : « يعنون » .

(٤) ز : « من واقفهم » .

(٥) الفرى : الأمر العظيم ؛ ويقال : فلان يفرى الفرى ؛ إذا كان يأتي بالمعجب في عمله .

(٦) الهذ : القطع السريع .

(٧) ز : « الناس » .

(٨) ابن حبيش : « إخوانكم من العرب » .

(٩) ابن خبيش : « فقال له : عشر جذك » .

(١٠) تؤبسننا ، أى تحقر أمرنا .

المسلمون ورحى الحرب تدور على أسد ، وحملت الفيول على الميمنة والميسرة على الخيول ؛ فكانت الخيول تُحجِّم عنها وتُحيد ، وتلح فرسانهم على الرِّجل يشمتون بالخيل ؛ فأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو ، فقال : يا معشر بني تميم ؛ ألسم أصحاب الإبل والخيل ! أما عندكم لهذه الفيئة من حيلة ! قالوا : بلى والله ؛ ثم نادى في رجال من قومه رماة وآخريين لهم ثقافة^(١) ، فقال لهم : يا معشر الرماة ذبوا ركبان الفيئة عنهم بالنبل ، وقال : يا معشر أهل الثقافة استديروا الفيئة فقطعوا وضئها^(٢) ؛ وخرج يحميهم والرحى تدور على أسد ، وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد ؛ وأقبل أصحاب عاصم على الفيئة ، فأخذوا بأذناها وذباذب^(٣) توأبيتها ، فقطعوا وضئها ، وارتفع عواؤهم ؛ فما بقى لهم يومئذ فيل إلا أعرى ، وقتل أصحابها ، وتقابل الناس ونفس عن أسد ، وردوا فارس عنهم إلى مواقعهم ؛ فاقتلوا حتى غربت الشمس . ثم حتى ذهبت هداة من الليل ؛ ثم رجع هؤلاء وهؤلاء ؛ وأصيب من أسد تلك العشيّة خمسمائة ؛ وكانوا رداء للناس ؛ وكان عاصم عادية الناس وحاميتهم ؛ وهذا يومها الأول وهو يوم أرمات .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الغصن ، عن القاسم ، عن رجل من بني كنانة ، قال : جالت المجنبت ودارت على أسد يوم أرمات فقتل تلك العشيّة منهم خمسمائة رجل ؛ فقال عمرو بن شأس الأسد : :

جَلَبْنَا الخَيْلَ من أ كَنَافِ نَبِيءٍ	إلى كِسْرَى فوافَقَهَا رِعالاً ^(٤)	٢٣٠٢/١
تَرَكَنَ لهم على الأقسام شَجَوًّا	وبالْحَقْوَيْنِ أَيَّامًا طَوَالاً	٢٣٠٣/١
وداعِيَةٌ بفارِسَ قد تَرَكَنا	تُبَكِّي كَلِّمًا رَأَتْ الهِلَلا	
قَتَلْنَا رُسْتَمًا وبَنِيهِ قَسْرًا	تُثِيرُ الخَيْلُ فوقَهُمُ الهَيْالا	
تَرَكَنا مِنْهُمُ حَيْثُ التَّقِينَا	فِثامًا ما يُرِيدون اِرْتِجالاً ^(٥)	

(١) ابن حبيش : « وأخرى أهل ثقافة » .

(٢) الوضين : بطان عريض منسوج من سيور أو شعر .

(٣) انذباذب : أشياء تعلق بالهودج لتزينة . (٤) الرِعال : الجماعة من الخيول .

(٥) الفِثام : الجماعة من الناس ، وفي ط : « قياما » .

وَقَرَّ الْبَيْرُزَانُ وَلَمْ يُحَامِي وَكَانَ عَلَى كَتِيبَتِهِ وَبَالَا
وَنَجَّى الْمُرْمُزَانَ حِذَارُ نَفْسٍ وَرَكُضُ الْخَيْلِ مُوَصِّلَةٌ عِجَالًا (١)

(١) وذكر ابن حبيش هذه الأبيات أيضاً : منسوبة إلى عمرو بن شاس :

لَقَدْ عَلِمْتُ بَنُو أَسَدٍ بَأَنَا أُولُو الْأَجْلَامِ إِنْ ذَكَرُوا الْخُلُومَا
وَأَنَا النَّازِلُونَ بِكُلِّ ثَغْرِ وَلَوْ لَمْ نُلْفِهِ إِلَّا هَشِيمَا
تَرَى فِينَا الْجِيَادَ مُسْوَمَاتٍ مَعَ الْأَبْطَالِ يَعْكُكُنَ الشَّكِيمَا
تَرَى فِينَا الْجِيَادَ مَجْلَحَاتٍ تُنْهِنُهُ عَنِ فَوَارِسِهَا الْخِصُومَا
يَجْمَعُ مِثْلَ سَلْمٍ مَكْفَهْرٍ تُشَبِّهُهُمْ إِذَا اجْتَمَعُوا قَرُومَا
بِمِثْلِهِمْ تُتَلَاقِي يَوْمَ هَيْجٍ إِذَا لَاقَيْتَ بَأْسًا أَوْ خِصُومَا
نَفِينَا فَارِسًا عَمَّا أَرَادَتْ وَكَانَتْ لَا تُحَاوِلُ أَنْ تَرِيمَا

يوم أغواث

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا :
 ٢٣٠٤/١ وكان سعد قد تزوج سلمى بنت خنصفة ؛ امرأة المثنى بن حارثة قبله (١)
 بشراف، فنزل بها القادسية، فلما كان يوم أرمات، وجال الناس، وكان
 لا يطبق جلسة إلا مستوفيزاً أو على بطنه؛ جعل سعد يتمكلم ويحول
 جزعاً فوق القصر؛ فلما رأت ما يصنع أهل فارس، قالت : وامثنياه
 ولا مثنى للخيل اليوم ! - وهي عند رجل قد أضجره ما يرى من أصحابه وفي
 نفسه - فلطم وجهها، وقال : أين المثنى من هذه الكتيبة التي تدور عليها
 الرحي ! - يعني أسداً وعاصماً وخيله - فقالت : أغيرة وجبنا ! قال : والله
 لا يعذرنى اليوم أحد إذا أنت لم تعذرينى وأنت ترين ما بي، والناس أحق
 ألا يعذروني ! فتعلقها الناس؛ فلما ظهر الناس لم يبق شاعر إلا اعتد بها
 عليه؛ وكان غير جبان ولا ملوم. ولما أصبح القوم من الغد أصبحوا على
 تعبئة، وقد وكل سعد رجلاً بنقل الشهداء إلى العذيب ونقل الرثيث (٢)؛ فأما
 الرثيث فأسلم إلى النساء يقمن عليهم إلى قضاء الله عز وجل عليهم؛ وأما
 الشهداء فدفنهم (٣) هنالك على مشرق - وهو وادي بين العذيب وبين
 عين الشمس في عدوتيه جميعاً؛ الدنيا منهما إلى العذيب والقصوى
 منهما من العذيب - والناس ينتظرون بالقتال حملاً الرثيث والأموات؛
 ٢٣٠٥/١ فلما استقلت بهم الإبل وتوجهت (٤) بهم نحو العذيب طلعت نواصي (٥)
 الخيل من (٦) الشام - وكان فتح دمشق قبل القادسية بشهر - فلما قدم على
 أبي عبيدة كتاب عمر بصرف أهل العراق أصحاب خالد؛ ولم يذكر خالداً

(١) ابن الأثير : « بعده » .

(٢) الرثيث : الجريح وبه رفق .

(٣) ابن الأثير : « دفنوا » .

(٤) ابن حيش : « ووجهت » .

(٥) ابن حيش : « طلعت عليهم نواصي الخيل » .

(٦) ابن حيش : « من نحو الشام » .

ضمنَّ بخالد فحبسه وسرح الجيش ؛ وهم ستة آلاف ؛ خمسة آلاف من ربيعة ومُضَر وألف من أفناء اليمن من أهل الحجاز ؛ وأمر عليهم هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو ، فجعله^(١) أمامه ؛ وجعل على إحدى مجنبتيه^(٢) قيس بن هُبيرة بن عبد يغوث المرادى - ولم يكن شهد الأيَّام ، أتاهم وهم باليرموك حين صرَّف أهل العراق وصرف معهم - وعلى المجنبة الأخرى الهزهاز بن عمرو العجلي ، وعلى الساقة أنس بن عباس . فانجذب القعقاع وطوى ونعجَل ، فقدم على الناس صبيحة يوم أغواث ، وقد عهد إلى أصحابه أن يتقطَّعوا أعشاراً ؛ وهم ألف ، فكلَّمنا بلغ عشرة مَدَى^(٣) البَصْرَ سرَّحوا في آثارهم عشرة ، فقدم القعقاع أصحابه في عشرة ، فأتى النَّاسَ فسَلَّم عليهم ، وبشَّروهم بالحنود ، فقال : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إني قد جئتكم في قوم ؛ والله أن لو كانوا بمكانكم ، ثم أحسُّوكم حسدوكم حُظُونَتَهَا ، وحاولوا أن يطيروا بها دونكم ، فاصنعوا كما أصنع ، فتقدم ثم نادى : مَنْ يبارز ؟ فقالوا فيه بقول أبي بكر : لا يُهزَم جيشٌ فيهم مثل هذا ، وسكنوا إليه ، فخرج إليه ذو الحاجب ، فقال له القعقاع : مَنْ أنت ؟ قال : أنا بهمن جاذويته ، فنلدي : يا لثارات أبي عبيد وسليط وأصحاب يوم الجيسر ! فاجتلدا ، فقتله القعقاع ، وجعلت خيله تَرِدُ قِطْعاً ، وما زالت تَرِدُ إلى الليل وتنشط الناس ؛ وكان لم يكن بالأمس مصيبة ؛ وكأنَّما استقبلوا قتالهم بقتل الحاجبي وللحاق القِطْع ، وانكسرت الأعاجم لذلك . ونادى القعقاع أيضاً : مَنْ يبارز ؟ فخرج إليه رجلان : محمد بن البيروزان والآخر البندوان ؛ فانضمَّ إلى القعقاع الحارث بن ظبَّيان بن الحارث أخو بني تميم اللات ، فبارز القعقاع البيروزان ، فضربه فأذرى رأسه ، وبارز ابن ظبَّيان البندوان ، فضربه فأذرى رأسه ، وتورَّدهم فرسان المسلمين ، وجعل القعقاع يقول : يا معاشرَ المسلمين ، باشروهم بالسيوف ، فإنَّما يُحصَد الناس بها ! فتواصَى النَّاسُ ،

(١) ط : « فجعله » ، وأثبت ما في ز .

(٢) ز : « مجنبتيه » .

(٣) ابن حبش : « مد » .

وتشايعوا إليهم ، فاجتلدوا بها حتى المساء . فلم ير أهل فارس في هذا اليوم شيئاً مما يعجبهم ، وأكثر المسلمون فيهم القتل ، ولم يقاتلوا في هذا اليوم على فيل ، كانت توابيتها تكسرت بالأمس ، فاستأنفوا علاجها حين أصبحوا فلم ترتفع حتى كان الغد .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبي : قال : كانت امرأة من النخع لها بنون أربعة شهدوا القادسية ؛ فقالت لبنيتها : إنكم أسلمتم فلم تبدلوا ، وهاجرتم فلم تثوبوا^(١) ، ولم تنب بكم البلاد ، ولم تُفحسكم السنة ، ثم جنتم بأمكم عجوز كبيرة فوضعتموها بين يدي أهل فارس ؛ والله إنكم لبنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنت أباكم ، ولا فضحت خالكم ؛ انطلقوا فاشهدوا أول القتال وآخره . فأقبلوا يشتدون ، فلما غابرا عنها رفعت يديها إلى السماء ، وهي تقول : اللهم ادفع^(٢) عن بني ! فرجعوا إليها ، وقد أحسنوا القتال ؛ ما كلم منهم رجل كلمة ؛ فرأيتهم بعد ذلك يأخذون ألفين ألفين من العطاء ، ثم يأتون أمهم ، فيلقونه في حجرها ، فترده عليهم وتقسمه فيهم على ما يصلحهم ويرضاهم .

٢٣٠٧/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : فازر القعقاع يومئذ ثلاثة نفر من بني يربوع رياحيتين ، وجعل القعقاع كلما طلعت قطعة كبر وكبر المسلمون ، ويحمل ويحملون ، واليربوعيون : نعيم بن عمرو بن عتاب ، وعتاب بن نعيم بن عتاب بن الحارث ابن عمرو بن دهم ، وعمرو بن شبيب بن زباع بن الحارث بن ربيعة ؛ أحد بني زيد . وقدم ذلك اليوم رسول لعمر بأربعة أسياف وأربعة أفراس يقسمها فيمن انتهى إليه البلاء ، إن كنت لقيت حرباً . فدعا حمّال بن مالك والربيل بن عمرو بن ربيعة الواليتين وطليحة بن خويلد القعقعي - وكلهم من بني أسد - وعاصم بن عمرو التميمي ؛ فأعطاهم الأسياف ، ودعا القعقاع ابن عمرو واليربوعيين فحملهم على الأفراس ؛ فأصاب ثلاثة من بني يربوع

٢٣٠٨/١

(٢) ز : « ارفع » .

(١) ط « تثربوا » .

ثلاثة أرباعها ، وأصاب ثلاثة من بني أسد ثلاثة أرباع السيوف ، فقال في ذلك الربيل بن عمرو :

لقد عَلِمَ الأَقْوَامُ أَنَا أَحَقُّهُمْ
وما فَتَّتْ خَيْلِي عَشِيَّةَ أَرْمَتْهَا
لَدُنْ غَدْوَةٍ حَتَّى آتَى اللَّيْلُ دُونَهُمْ
وقال القعقاع في شأن الخيل :

لم تعرف الخيل العرابُ سِوَاَنَا
عَشِيَّةَ أَغْوَاثٍ بِجَنَبِ القَوَادِسِ
عَشِيَّةَ رُحْنَا بِالرَّمَاحِ كَأَنَّهَا
على القوم ألوانُ الطُّيُورِ الرَّسَارِسِ (١) ٢٣٠٩/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن القاسم بن سليم بن عبد الرحمن السعدي ، عن أبيه ، قال : كان يكون أول القتال في كل أيامها المطاردة ، فلما قدم القعقاع قال : يأتيها الناس ، اصنعوا كما أصنع ، ونادى (٢) :
مَنْ يُبَارِزُ ؟ فبرز له ذو الحجاب فقتله ، ثم البيروزان فقتله ، ثم خرج الناس من كل ناحية ، وبدأ الحرب والطعان ، وحمل بنو عم القعقاع يومئذ ، عشرة عشرة من الرجاله ، على إبل قد ألبسوها فهي مجللة مبرقة ، وأطافت بهم خيولهم ، تحميهم (٣) ، وأمرهم أن يحملوا على خيلهم بين الصنفين يتشبهون (٤) بالفيكة ، ففعلوا بهم يوم أغواث كما فعلت فارس يوم أرمات ، فجعلت تلك الإبل لا تصمد لقليل ولا لكثير إلا نفرت بهم خيلهم ، وركبتهم خيول المسلمين . فلما رأى ذلك الناس استنوا بهم ، فلقى فارس من الإبل يوم أغواث أعظم مما لى المسلمون من الفيكة يوم أرمات .

وحمل رجلٌ من بني تميم ممن كان يحمي العشيرة يقال له سواد ، وجعل يتعرض للشهادة ، فقتل بعد ما حمل ، وأبطأت عليه الشهادة ، حتى تعرض لرستم يريده ، فأصيب دونه .

(١) ابن حبيش : « أمثال الطيور » .

(٢) كذا في ز ، وفي ط : « فنادى » .

(٣) كذا في ابن الأثير وابن حبيش وفي ط : « يحموهم » .

(٤) ابن حبيش : « يشبهون » .

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الغصن عن العلاء، ابن زياد، والقاسم بن سليم عن أبيه، قال: خرج رجل من أهل فارس، ينادى: مَنْ يبارز؟ فبرز له علباء بن جحش العجلي، فنفتح علباء، فأسحره^(١)، ونفحه الآخر فأمعاد، وخرأ؛ فأما الفارسي فمات من ماعته، وأما الآخر فانتثر أمعاؤه، فلم يستطع القيام، فعالج إدخالها فلم يأت له حتى مر به رجل من المسلمين، فقال: يا هذا، أعنى على بطني، فأدخله له، فأخذ بصفاقبه^(٢)، ثم زحف نحو صف فارس ما يلتفت إلى المسلمين، فأدركه الموت على رأس ثلاثين ذراعاً من متصرعه، إلى صف فارس، وقال:

أرْجُو بها من ربنا ثواباً قد كنتُ ممن أحسن الضرابا

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الغصن عن العلاء، والقاسم عن أبيه، قال: وخرج رجل من أهل فارس فنادى: مَنْ يبارز؟ فبرز له الأعرف بن الأعمى العقيلي فقتله، ثم برز له آخر فقتله، وأحاطت به فوارس منهم فصرعوه، وتندر سلاحه عنه فأخذوه، فغبر في وجوههم بالتراب حتى رجع إلى أصحابه؛ وقال في ذلك:

وإن يأخذوا بزى فإني مجربٌ خروجٌ من الغمائم محتضِرُ النصرِ
وإني لحامٍ من وراء عشيرتي رَكوبٌ لآثارِ الهوى مُحْفِلُ الأثرِ

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الغصن عن العلاء، والقاسم عن أبيه، قال: فحمل القعقاع يومئذ ثلاثين حملة؛ كلما طلعت قطعة حمل حملة، وأصاب فيها، وجعل يرتجز ويقول:

أرْعِجُهُم عَمْدًا بها إزعاجا أظنُّ طائناً صائباً ثجاجا

• أرْجُو به من جنّة أفواجا •

(١) أسحره: أصاب سحره؛ والسحر: الرنة.

(٢) الصفاق: جلد البطن.

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : قتل القعقاع يوم أغواث ثلاثين في ثلاثين حملة ؛ كلما حمل حملة قتل فيها ، فكان آخرهم بزرجمهر الهمداني ، وقال في ذلك القعقاع :

حَبَوْتُهُ جَيْلِشَةً بِالنَّفْسِ هَدَّارَةً مِثْلَ شُعَاعِ الشَّمْسِ
فِي يَوْمِ أَغْوَاثِ فَلَئِلِ الْفُرْسِ أَنْخَسُ بِالْقَوْمِ أَشَدَّ النَّخْسِ
• حَتَّى تَفِيضَ مَعْشَرِي وَنَفْسِي (١) •

وبارز الأعور بن قطبة شهراً برباز سجستان ، فقتل كل واحد منهما صاحبه ، فقال أخوه في ذلك :

لَمْ أَرِ يَوْمًا كَانَ أَحْلَى وَأَمْرًا مِنْ يَوْمِ أَغْوَاثِ إِذِ افْتَرَّ الشَّعْرُ
• مِنْ غَيْرِ ضَحْكَكَ كَانَ أَسْوَأَ وَأَبْرًا •

٢٣١٢/١ كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ؛ وشاركهم ابن ميخراق عن رجل من طيبي ، قالوا : وقاتلت الفرسان يوم الكتاب فيما بين أن أصبحوا إلى انتصاف النهار ؛ فلما عدل (٢) النهار تراحف الناس ؛ فاقتلوا بها صتيًا (٣) حتى انتصف الليل ؛ فكانت ليلة أرمات تدعى الهدأة ، وليلة أغواث تدعى السواد ، والنصف الأول يدعى السواد . ثم لم يزل المسلمون يرون في يوم أغواث في القادسية الظفر ، وقتلوا فيه عامة أعلامهم ؛ وجالت فيه خيل القلب ، وثبت رجلهم ؛ فلولا أن خيلهم كرت أخذ رسم أخذنا ، فلما ذهب السواد بات الناس على مثل ما بات عليه القوم ليلة أرمات ؛ ولم يزل المسلمون يتمنون لادن (٤) أمسوا حتى تفابثوا . فلما أمسى سعد وسمع ذلك نام ، وقال لبعض من عنده : إن تم الناس على الانتماء فلا توقظني ، فإنهم أقوياء على عدوهم ؛ وإن سكتوا ولم ينتم الآخرون فلا توقظني ، فإنهم على السوء

(١) ابن حبيش : « حتى تفيض » .

(٢) ابن الأثير : « اعتدل » .

(٣) الصتيت : الجلبة والصوت .

(٤) الأغاني : « منذ لادن » .

فإن سمعتهم ينتمون فأبْقِظْنِي ؛ فإن انتماءهم عن السوء .
فقالوا: ولما اشتدَّ القتال بالسواد، وكان أبو مِحْجَجَن قد حُبِسَ وقُبِدَ، فهو
في القصر، فصعد حين أمسى إلى سعد يستعفيه ويستقبله، فزبره وردَّه، فنزل،
فأتى سلمى بنت خَصْفَةَ، فقال: يا سلمى يا بنت آل خَصْفَةَ: هل لك
إلى خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال: تخلّين عني وتُعيرينني البلقاء؛ فله
على إن سلمني الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلي في قيدي. فقالت:
وما أنا وذاك! فرجع يرسف في قيوده، ويقول:

۲۳۱۳/۱

كَفَى حَزَنًا أَنْ تَرُدِّي الخَيْلُ بالقَنَا (۱)
وَأَتْرَكَ مَشْدُودًا عَلِيَّ وَثَاقِيَا
إِذَا قُمْتُ عَنَّا الحَدِيدُ وَأُغْلِقَتْ
مِصَارِيحُ دُونِي قَدْ تُصِمُّ المُنَادِيَا
وَقَد كُنْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَإِخْوَةٍ
فَقَدْ تَرَكُونِي وَاحِدًا لِأَخَالِيَا (۲)
وَلِلَّهِ عَهْدٌ لَا أَخِيْسُ بِهِدِهِ
ابْنُ فُرَجَاتٍ أَلَّا أَزُورَ الحَوَانِيَا

فَقَالَتْ سَلَمَى: إِنِّي اسْتَخَرْتُ اللهَ وَرَضِيْتُ بِعَهْدِكَ، فَأُطْلِقْتَهُ. وَقَالَتْ:
أَمَّا الفَرَسُ فَلَا أُعِيرُهَا؛ وَرَجَعْتُ إِلَى بَيْتِهَا، فَاقْتَادَهَا فَأَخْرَجَهَا مِنْ بَابِ
القَصْرِ الَّذِي يَلِي الخَنْدِقَ فَرَكِبَهَا؛ ثُمَّ دَبَّ عَلَيْهَا؛ حَتَّى إِذَا كَانَ بِحِيَالِ المَيْمَنَةِ
كَبَّرَ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَى مَيْسِرَةِ القَوْمِ يَلْعَبُ بِرُحْمِهِ وَسِلَاحِهِ بَيْنَ الصَّفَيْنِ؛
نَقَالُوا: بِسَرَجِهَا، وَقَالَ سَعِيدٌ وَالْقَاسِمُ: عُرْيَا؛ ثُمَّ رَجَعَ مِنْ خَلْفِ المُسْلِمِينَ
إِلَى المَيْمَرَةِ فَكَبَّرَ وَحَمَلَ عَلَى مَيْمَنَةِ القَوْمِ يَلْعَبُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ بِرُحْمِهِ وَسِلَاحِهِ.
ثُمَّ رَجَعَ مِنْ خَلْفِ المُسْلِمِينَ إِلَى القَلْبِ فَندَر (۳) أَمَامَ النَّاسِ، فَحَمَلَ عَلَى القَوْمِ
يَلْعَبُ بَيْنَ الصَّفَيْنِ بِرُحْمِهِ وَسِلَاحِهِ؛ وَكَانَ بِقَصِيفِ النَّاسِ لِيَلْتَنِدَ قِصْفًا مُنْكَرًا

۲۳۱۴/۱

(۱) القنا: الرماح.

(۲) بعده في الأغاني:

وَقَدْ شَفَّ جَسْمِي أَنِّي كُلَّ شَارِقٍ
أَعَالَجُ كَبَلًا مَصْمِنًا قَدْ بَرَانِيَا
فَلَلَهُ دَرِّي يَوْمَ أَتْرَكَ مَوْثِقًا
وَتَذْهَلُ عَنِّي أَمْرَتِي وَرَجَالِيَا
حَبِيسًا عَنِ الحَرْبِ العَوَانِ وَقَدْ بَدَتْ
وَإِعْمَالُ غَيْرِي يَوْمَ ذَلِكَ العَوَالِيَا

(۳) الأغاني: «فندر».

وتعجب^(١) الناس منه وهم لا يعرفونه ولم يروه من النهار ، فقال بعضهم :
 أوائل أصحاب هاشم أو هاشم نفسه. وجعل سعد يقول وهو مشرف على الناس
 مكيب من فوق القصر : والله لولا محبس أبي محجن لقلت : هذا
 أبو محجن وهذه البلقاء ! وقال بعض الناس : إن كان الخضير يشهد الحروب
 فنظن صاحب البلقاء الخضير ، وقال بعضهم : لولا أن الملائكة لا تباشر
 القتال لقلنا : مملك يثبتنا^(٢) ؛ ولا يذكره الناس ولا يبهون له ؛ لأنه بات في
 محبسه ، فلما انتصف الليل حاجر أهل فارس ، وتراجع المسلمون ، وأقبل
 أبو محجن حتى دخل من حيث خرج ؛ ووضع عن نفسه وعن دابته ، وأعاد
 رجلينه في قيدينه ، وقال :

لقد علمت ثقيف غير فخرٍ بأننا نحن أكرمهم سُيوفاً
 وأكثرهم دروعاً سابغاتٍ وأصبرهم إذا كرهوا الوقوفاً
 وأنا وفدهم في كل يومٍ^(٣) فإن عميوا فسل بهم عريفاً^(٤)
 وليلة قاديس لم يشعروا بي ولم أشعر بمخرجي الزحوفاً
 فإن أحبسن فذلكم بلائي^(٥) وإن أترك أذيقهم الختوفاً^(٦)

فقلت له سلمى : يا أبا محجن ، في أي شيء حبسك هذا الرجل ؟
 قال : أمّا والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته ؛ ولكنني كنت صاحب
 شراب في الجاهلية ، وأنا امرؤ شاعر يدب الشعر على لساني ، يبعثه على شفتي
 أحياناً ، فإساء لذلك ثنائي ؛ ولذلك حبسني ، قلت :

إذا مت فادفني إلى أصل كرمةٍ تروى عظامي بعد موتي عروقها
 ولا تدفني بالقلاة فإني أخاف إذا مامت ألا أذوقها
 وتروى بخمر الحصى لحدى فإني^(٧) أسير لها من بعد ما قد أسوقها

(١) الأغاني : « تعجب الناس منه » .

(٢) الأغاني : « وأنا وفدهم » .

(٣) الأغاني : « فقد عرفوا بلائي » .

(٤) الأغاني : « فإن جحدوا » .

(٥) الأغاني : « وإن أطلق » .

(٦) الأغاني : « هذا ملاك بيننا » .

(٧) الأغاني : « ليروي بخمر الحصى لحمي » .

ولم تزل سلّمي مغاضبة لسعد عشية أرماث ، وليلة الهدأة ، وليلة السواد ، حتى إذا أصبحت أتته وصالحته وأخبرته خبرها وخبر أبي معجن ، فدعا به فأطلقه ، وقال : اذهب فما أنا مؤاخذك بشيء تقوله حتى تفعله ، قال : لا جرم ، والله لا أجيب لسانی إلى صفة قبیح أبدًا ^(١) .

•••

يوم عماس

كتب إلى السري بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، وابن مخراق عن رجل من طيبي ، قالوا : فأصبحوا من اليوم الثالث ، وهم على مواقفهم ؛ وأصبحت الأعاجم على مواقفهم ^(٢) ، وأصبح ما بين الناس كالرجلة الحمراء - يعني الحررة - ميل في عرض ما بين الصنفين ، وقد قتل من المسلمين ألفان من رثيث ^(٣) وميت ، ومن المشركين عشرة آلاف من رثيث وميت . وقال سعد : من شاء غسّل الشهداء ، ومن شاء فليدفنهم بدمائهم ، وأقبل المسلمون على قتلاهم فأحرزوهم ، فجعلوهم من وراء ظهورهم ، وأقبل الذين يجمعون القتلى يحملونهم إلى المقابر ، ويبلغون الرثيث إلى النساء ، وحاجب بن زيد على الشهداء ، وكان النساء والصبيان يحفرون القبور في اليومين : يوم أغواث ، ويوم أرماث ، بعدوتى مشرق ، فدُفن ألفان وخمسمائة من أهل القادسية وأهل الأيام ، فمر حاجب وبعض أهل الشهادة وولاية الشهداء في أصل نخلة بين القادسية والعذيب ، وليس بينهما يومئذ نخلة غيرها ، فكان الرثيث إذا حملوا فانتهى بهم إليها وأحدهم يعقل سالم أن يقفوا به تحتها يستترّوح إلى ظلّها ، ورجل من الجرّحى يدعى بسجيرا ، يقول وهو مستظلّ بظلّها :

ألا يا اسلّمي يا نخلة بين قاديس وبين العذيب لا يجاورك النخل

(١) الخبر في الأغاني ، بروايته عن الطبري في ٢١ : ١٣٩ ، ١٤٠ (سأسى) .

(٢) ز : ه مواقفها .

(٣) الرثيث هنا : الجريح وبه رفق .

ورجل من بني ضبّة، أو من بني ثور يُدعى غبيلان، يقول :

ألا يا أسلمي يا نخلة بين جرعةٍ يجاورُكُ الجمانُ دونكِ والرَّغْلُ^(١)

٢٣١٨/١

ورجل من بني تيم الله، يقال له : ربّعى يقول :

أيا نخلة الجرعاء يا جرعة العدي سقتك الفوادي والغيوثُ الهواطل
وقال الأعور بن قطبة :

أيا نخلة الرُّكبان لازلتِ فانصري ولا زال في أكناف جرعاتك النخل

وقال عوف بن مالك التميمي - ويقال التيمي تيم الرباب :

أيا نخلة دون العذيب بتلعةٍ سقيتِ الفوادي المدجنات من النخل

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزبياد،

قالوا : وبات القعقاع ليلته كلها يسرب أصحابه إلى المكان الذي فارقهم فيه

من الأمس، ثم قال : إذا طلعت لكم الشمس، فأقبلوا مائة مائة، كما توارى^(٢)

عنكم مائة فليتبعتها مائة، فإن جاء هاشم فذاك وإلا جدّتم للناس رجاءً

وجدًا، ففعلوا، ولا يشعر بذلك أحدٌ، وأصبح الناس على مواقفهم قد أحرزوا^(٣)

قتلهم، وخلّوا بينهم وبين حاجب بن زيد وقتلى المشركين بين الصّفين

قد أضيعوا، وكانوا لا يعرضون لأموالهم^(٤)، وكان مكانهم مما صنع الله للمسلمين

مكيدة فتحها ليشد^(٥) بها أعضاد المسلمين؛ فلما ذرّ قرن الشمس والقعقاع

يلاحظ الخيل، وطلعت نواصيها كبر وكبر الناس، وقالوا : جاء المدد،

وقد كان عاصم بن عمرو أمر أن يصنع مثلها، فجاءوا من قبيل خفّان،

فتقدم الفرسان وتكتبت الكتائب، فاختلفوا الضرب والطعن، ومددّهم

متابع، فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى إليهم هاشم؛ وقد

طلعوا في سبعمائة، فأخبروه برأى القعقاع وما صنع في يوميه، فعبّى

(١) الجمان والرغل : نباتان .

(٢) ابن حبّيش : « توارت » .

(٣) ابن حبّيش : « لموتاهم » .

(٤) ز : « ليشد » .

أصحابه سبعين سبعين ، فلما جاء آخر أصحاب القعقاع خرج هاشم في سبعين معه ، فيهم قيس بن هبيرة بن عبد يغوث - ولم يكن من أهل الأبيات ؛ إنما أتى من اليمن اليرموك - فانتدب مع هاشم ، فأقبل هاشم حتى إذا خالط القلب ؛ كبر وكبر المسلمون ؛ وقد أخذوا مصافهم ، وقال هاشم : أول القتال المطاردة ثم المراماة ؛ فأخذ قوسه ، فوضع سهمًا على كعبيدها ، ثم نزع فيها ، فرفعت فرسه رأسها ، فخل^(١) أذنها ، فضحك وقال : واسوأناه من رمية رجل ! كل من رأى ينتظره ! أين ترون سهمي كان بالغًا ؟ فقيل : العتيق ، فنزقها وقد نزع السهم ، ثم ضربها حتى بلغت العتيق ، ثم ضربها فأقبلت به تخرقهم ، حتى عاد إلى موقفه ، وما زالت متقآنه تطلع إلى الأولى ، وقد بات المشركون في علاج توأبيتهم ، حتى أعادوها ، وأصبحوا على مواقفهم ، وأقبلت الفيئة معها الرجالة يحمونها أن تقطع وضننها ، ومع الرجالة فرسان يحمونهم ، إذا أرادوا كتيبة دلفوا لها بفيل وأتباعه ، لينفروا بهم خيلهم فلم يكن ذلك منهم كما كان بالأمس ، لأن الفيل إذا كان وحده ليس معه أحد كان أوحش ، وإذا أطافوا به كان آنس ، فكان القتال كذلك ، حتى عدل النهار ، وكان يوم عيماس من أوله إلى آخره شديدًا ؛ العرب والعجم فيه على السواء ، ولا يكون بينهم نقطة إلا تعاورها الرجال^(٢) بالأصوات حتى تبلغ يزدجيرد ، فيبعث إليهم أهل النجدات ممن بقي عنده ، فيتقون بهم ، وأصبحت عنده للذي لقي بالأمس الأمداد على البرد ، فلولا الذي صنع الله للمسلمين بالذي ألهم القعقاع في اليومين وأتاح لهم بهاشم ، كسر ذلك المسلمين .

٢٣٢٠/١

كتب إلى السري ، عن شعيب . عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : قدم هاشم بن عتبة من قبل الشام ، معه قيس بن المكشوح المرادي في سبعمائة بعد فتح اليرموك ودمشق ؛ فتعجل في سبعين ، فيهم^(٣) سعيد بن نمران

٢٣٢١/١

(١) يقال : خل الشيء ، أي ثقبه ونفذه .

(٢) ز : « تعاورا لها » .

(٣) ابن حبش : « مهم » .

الهمداني. قال مجالد : وكان قيس بن أبي حازم مع القعقاع في مقدمة هاشم .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن جتخدب بن جترعب ، عن عصمة الوابلي - وكان قد شهد القادسية - قال : قدم هاشم في أهل العراق من الشام ، فتعجل أناس ليس معه أحد من غيرهم إلا نفيروا ، منهم ابن المكشوح ؛ فلما دنا تعجل في ثلاثمائة ، فوافق الناس وهم على مواقفهم ، فدخلوا مع الناس في صفوفهم .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : كان اليوم الثالث يوم عماس ؛ ولم يكن في أيام القادسية مثله ؛ خرج الناس منه على السواء ، كلهم على ما أصابه كان صابراً ، وكلما بلغ منهم المسلمون بلغ الكافرون من المسلمين مثله ، وكلما بلغ الكافرون من المسلمين بلغ المسلمون من الكافرين مثله .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن الريان ، عن إسماعيل بن محمد بن سعد ، قال : قدم هاشم بن عتبة القادسية يوم عماس ، فكان لا يقاتل إلا على فرس أنثى ، لا يقاتل على ذكر ؛ فلما وقف في الناس رمى بسهم ، فأصاب أذن فرسه ، فقال : واسواتاه من هذه ! أين ترون سهمي كان بالغاً لو لم يصب أذن الفرس ! قالوا : كذا وكذا ، فأجال فتزل وترك فرسه ، ثم خرج يضربهم^(١) حتى بلغ حيث قالوا .

٢٣٢٢/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : وكان في الميمنة .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن الريان ، عن إسماعيل بن محمد ، قال : كنا نرى أنه كان على الميمنة ، وما كان عامة جنس الناس إلا البراذع ؛ براذع الرجال ، قد أعرضوا فيها الجريد ، وعصب من لم يكن له وقاية رهوسهم بالأنساع^(٢) .

(١) ز : « يصرفهم » . (٢) الأنساع : جمع نسع (بكسر فسكون) ، وهو سير وقيل : جبل من أدم يكون عريضاً تشد به الرجال .

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي كبران الحسن ابن عتبة، أن قيس بن المكشوح، قال مقدمته من الشام مع هاشم، وقام فيمن يليه، فقال لهم: يا معشر العرب، إن الله قد من عليكم بالإسلام، وأكرمكم بمحمد صلى الله عليه وسلم، فأصبحتم بنعمة الله إخواناً. دَعَوْتُكُمْ واحدة، وأمركم واحد، بعد إذ أنتم يعدُّو بعضكم على بعض عدوَّ الأسد، ويختطف بعضكم بعضاً اختطاف الذئب، فانصروا الله ينصركم، وتنجزوا من الله فتح فارس؛ فإن إخوانكم من أهل الشام قد أنجز الله لهم فتح الشام، وانتال القصور الحمر والحصون الحمر

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن المقدم الحارثي، عن الشعبي، قال: قال عمرو بن معد يكرب: إني حاملٌ على الفيل ومن حوله - لفيل بإزائهم - فلا تدعوني أكثر من جتزرت جزور؛ فإن تأخرتم عنِّي فقدتم أبا ثور؛ فأنى لكم مثل أبي ثور! فإن أدركتموني وجدتموني وفي يدي السيف. فحمل فما انثنى حتى ضرب فيهم، وستره الغبار، فقال أصحابه: ما تنتظرون! ما أنتم بخلقاء أن تدركوه، وإن فقدتموه فقد المسلمون فارسهم، فحملوا حملة، فأفرج المشركون عنه بعد ما صرعوه وطعنوه، وإن سيفه لفي يده يضاربهم، وقد طعن فرسه، فلماً رأى أصحابه، وانفرج عنه أهل فارس أخذ برجل فرس رجل من أهل فارس، فحركه الفارسي، فاضطرب الفرس، فالتفت الفارسي إلى عمرو؛ فهم به وأبصره المسلمون، فغشوه، فترل عنه الفارسي، وحاضر إلى أصحابه، فقال عمرو: أمكنوني من لجامه، فأمكنوه منه فركبه.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الله بن المغيرة العبدى، عن الأسود بن قيس، عن أشياخ لهم شهدوا القادسية، قالوا: لما كان يوم عيماس خرج رجل من العجم حتى إذا كان بين الصفتين هدر وشقشق ونادى: من يبارز؟ فخرج رجل منّا يقال له شبر بن علقمة - وكان قصيراً قليلاً دميماً - فقال: يا معشر المسلمين قد أنصفكم الرجل، فلم يُجبه أحد؛ ولم يخرج إليه أحد، فقال: أما والله لولا أن تزدروني لخرجت

إليه . فلماً رأى أنه لا يُمنع أخذ سيفه وحجفته ^(١) ، وتقدم . فلماً رآه
 ٢٣٢٤/١ الفارسي هدّو ، ثم نزل إليه فاحتمله ، فجلس على صدره ، ثم أخذ سيفه
 ليذبحه ومقودُ فرسه مشدود بمنطقته ، فلما استلّ السيف حاص الفرس
 حيصة ^(٢) فجذبه المقود ، فقلبه عنه ، فأقبل عليه وهو يُسحب ، فافترشه ^(٣) ،
 فجعل أصحابه يصيحون به ، فقال : صيحوا ما بدا لكم ؛ فوالله لا أفارقه
 حتى أقتله وأسلمه . فذبحه وسلبه ، ثم أتى به سعداً ، فقال : إذا كان حين
 الظُّهر فأتني ، فوافاه بالسَّلب ، فحمد الله سعد وأثنى عليه ، ثم قال : إنني
 قد رأيتُ أن أنحلته إياه ، وكلّ من سلب سلباً فهو له ، فباعه بائني عشر
 ألفاً .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف عن محمد وطلحة وزياد ،
 قالوا : ولماً رأى سعد الفيئة تفرّق بين الكئاب وعادت لفعالها يوم أرمات ،
 أرسل إلى أولئك المسلمية : ضخم ، ومُسليم ، ورافع ، وعَشْتَنق ؛
 وأصحابهم من الفرس الذين أسلموا ، فدخلوا عليه ، فسألهم عن الفيئة : هل
 لها مقاتل ؟ فقالوا : نعم ، المشافر والعيون لا يُستفَع بها بعدها . فأرسل إلى القعقاع
 وعاصم ابني عمرو : اكفياني الأبيض - وكانت كلُّها آلفة له ، وكان يلزأهما -
 وأرسل إلى حمّال والرَّبِيل : اكفياني الفيل الأجر ، وكانت آلفة له كلُّها ،
 وكان يلزأهما ، فأخذ القعقاع وعاصم رحين أصمّين ليين ودبّا في خيل ورجل
 ٢٣٢٥/١ فقالا : اكنفوه لتخيروه ، وهما مع القوم ، ففعل حمّال والرَّبِيل مثل ذلك ،
 فلما خالطوهما اكنفوهما ، فنظر كل واحد منهما يئمة ويسرة ، وهما يريدان
 أن يتخبّطا ، فحمل القعقاع وعاصم ، والفيل متشاغل بمن حوله ، فوضعا
 رمحيتهما معاً في عيني الفيل الأبيض ، وقبع ونفض رأسه ، فطرح سائسه ودلّتي
 مشفره ، فنفضه القعقاع ، فرمى به ووقع بلخيه ، فقتلوا من كان عليه ، وحمل
 حمّال ، وقال للرَّبِيل : اختر ، إمّا أن تضرب المشفر وأطعن في عينه ،
 أو تطعن في عينه وأضرب مشفره ؛ فاختر الضرب ، فحمل عليه حمّال وهو

(١) الحجفة : الترس من جلد بلا خشب ولا عقب .

(٢) يقال : حاص الفرس يحبس حيصاً : إذا عدل وحاد .

(٣) ابن حيش . « فافترسه » .

متشاغل بملاحظة من اكتنفه ؛ لا يخاف سائسه إلا على بيطانه ، فانفرد به أولئك ، فطعنه في عينه ، فألقى ؛ ثم استوى ونفحه الرّبيل ، فأبان مشفره وبصر به سائسه ، فبقر^(١) أنفه وجبينه بفأسه .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : قال رجلان من بني أسد ؛ يقال لهما الرّبيل وحمّال : يا معشر المسلمين أى الموت أشد ؟ قالوا : أن يُشدّ على هذا الفيل ، فنزقا^(٢) فرسيهما حتى إذا قاما على السّنابك ضرباهما على الفيل الذى بإزائهما ، فطعن أحدهما في عين الفيل ، فوطى الفيل من خلفه ، وضرب الآخر مشفره ، فضربه سائس الفيل ضربة شائنة بالطبرزين في وجهه ؛ فأفلت بها هو والرّبيل ، وحمل القعقاع وأخوه على الفيل الذى بإزائهما ، ففقا عينيه ، وقطعا مشفره ، فبى متلدداً^(٣) بين الصّفين ؛ كلّمّا أتى صفّ المسلمين وخزوه ، وإذا أتى صفّ المشركين نخسوه .

٢٣٢٦/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبي ، قال : كان في الفيئة فيلان يعلمان الفيئة ، فلما كان يوم القادسية حملوهما على القلب ؛ فأمر بهما سعد القعقاع وعاصمة التميميين وحمّالا والرّبيل الأسديين ؛ فذكر مثل الأوّل إلا أن فيه : وعاش بعد ، وصاح الفيلان صباح الخنزير ، ثم ولّى الأجر^(٤) الذى عور ، فوثب في العتيق ، فاتبعته الفيلة ؛ فخرقت صفّ الأعاجم فعبرت العتيق في أثره ، فأنت^(٥) المدائن في توأبيتها ، وهلك من فيها .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف عن محمد وطلحة وزياد ؛ قالوا : فلما ذهب الفيئة ، وخلص المسلمون بأهل فارس ، ومال الظلّ تراحف المسلمون ، وحمّاهم فرسانهم الذين قاتلوا أوّل النهار ، فاجتلدوا بها^(٦) حتى أمسوا

(٢) فزق الفرس ، بالتشديد : ضربه حتى ينزوي وينزق

(١) بقر أنفه : شقه

(٤) ز : « الآخر » .

(٣) ابن حبيش : « يتلدد » .

(٦) بها ، أى بالسيوف .

(٥) ابن حبيش : « فيئت » .

على حرّرد ؛ وهم في ذلك على السّواء ، لأنّ المسلمين حين فعلوا
بالفيول ما فعلوا ، تكتبت كتائب الإبل المجفّفة^(١) ، فعرقبوا فيها ؛ وكفكفوا عنها .
وقال في ذلك القعقاع بن عمرو :

حَضَّضَ قَوْمِي مَضْرَجِيُّ بْنُ يَعْمَرٍ فَالله قَوْمِي حِينَ هَزُّوا الْعَوَالِيَا
وَمَا خَامَ عَنْهَا يَوْمَ سَارَتْ جَمُوعُنَا لِأَهْلِ قُدَيْسٍ يَمْنَعُونَ الْمَوَالِيَا^(٢)
فَإِنْ كُنْتُ قَاتِلْتُ الْعَدُوَّ فَلَلْتُهُ فَإِنِّي لِأَلْقَى فِي الْحُرُوبِ الدَّوَاهِيَا ٢٣٢٧/١
فِيوَلَا أَرَاهَا كَالْبَيْوتِ مُفِيرَةً^(٣) أَسْمَلُّ أَعْيَانًا لَهَا وَمَآقِيَا

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ،
قالوا : لما أمسى الناس من يومهم ذلك ، وطعنوا في الليل ؛ اشتدّ القتال وصبر
الفريقان ، فخرجوا على السّواء إلا الغماغم من هؤلاء وهؤلاء ، فسُميت ليلة
الهرير ؛ لم يكن قتال بليل بعدها بالقادسية .

قال أبو جعفر : كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو
ابن محمد بن قيس ، عن عبد الرحمن بن جيش ؛ أنّ سعداً بعث ليلة الهرير
طليحة وعمراً إلى مخاضة أسفل من العسكر ليقوما عليها خشية أن
يأتيه القوم منها ؛ وقال لهما : إن وجدتما القوم قد سبقوكا إليها فانزلا بجيالكهم ؛
وإن لم تجداهم علموا بها ، فأقيما حتى يأتيكما أمرى - وكان عمر قد عهد
إلى سعد ألاّ يولّى رؤساء أهل الردّة على مائة - فلما انتهيا إلى المخاضة
فلم يريا فيها أحداً ، قال طليحة : لو خضنا فأتينا الأعاجم من خلفهم !
فقال عمرو : لا ، بل نعبّر أسفل ؛ فقال طليحة : إنّ الذي أقوله أنفع للناس ،
فقال عمرو : إنك تدعوني إلى مالا أطيق^(٤) ، فافترقا ، فأخذ طليحة نحو
العسكر من وراء العتيق وحده ، وسفل عمرو بأصحابهما جميعاً ، فأغاروا ،

(١) مجففة ، أى عليها التجايف ، جمع تجفاف ؛ وهو ما يوضع على ظهر الفرس
أو الجمل في الحرب يصنع من الحديد أو غيره .

(٢) خام : نكص وجبن .

(٣) ابن حبّيش : « كالبيوت مفيرة » .

(٤) ابن حبّيش : « نطيق » .

وثارت بهم (١) الأعاجم ، وخشي سعد منهما الذي كان ، فبعث قيس بن المكشوح في آثارهما في سبعين رجلاً ، وكان من أولئك الرؤساء الذين نهي عنهم أن يوليهم المائة ، وقال : إن لحقتهم فأنت عليهم . فخرج نحوهم ، فلما كان عند المخاضة وجد القوم يكرُدون عمراً وأصحابه ، فنهته الناسُ عنه ، وأقبل قيس على عمرو يلومه ، فتلاحياً ، فقال أصحابه : إنه قد أمر عليك ؛ فسكت ، وقال : يتأمر على رجل قد قاتلته في الجاهلية عُمرَ رجل ! فرجع إلى العسكر ، وأقبل طليحة حتى إذا كان بحيال السكّر ، كبر ثلاث تكبيرات ؛ ثم ذهب ، فطلبه القوم فلم يدروا أين سلك ! وسفل حتى خاض ، ثم أقبل إلى العسكر ، فأتى سعداً فأخبره ؛ فاشتد ذلك على المشركين ، وفرح المسلمون وما يدرون ما هو !

٢٣٢٨/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن قدامة الكاهلي ، عن حدثه ، أن عشرة إخوة من بني كاهل بن أسد ، يقال لهم بنو حرب ؛ جعل أحدهم يرتجز ليلتذ ، ويقول :

أنا ابن حربٍ ومعى نحراقى أضربهم بصارمٍ رَقراقٍ
إذ كره الموت أبو إسحاقٍ وجاشتِ النفسُ على التراقى
• صَبْرًا عِفَاقُ إِنَّهُ الْفِرَاقُ •

وكان عِفَاقُ أحد العشرة ، فأصيب فخذ صاحبِ هذا الشعر يومئذ ، فأنشأ يقول :

٢٣٢٩/١

صَبْرًا عِفَاقُ إِنَّهَا الْأَسَاوِرَةُ صَبْرًا وَلَا تَفْرُكُ رِجْلُ نَادِرَةَ
فمات من ضربته يومئذ .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر ، عن ابن الرُقَيْل ، عن أبيه ، عن حميد بن أبي شجّار ، قال : بعث سعد طليحة في حاجة فتركها ، وعبر العتيق ؛ فدار إلى عسكر القوم ، حتى إذا وقف على رَدَمِ النهر كبر ثلاث تكبيرات ، فراع أهل فارس ، وتعجب المسلمون ،

(١) ابن حيش : « فأغار فثارت به » .

فكف بعضهم عن بعض للنظر في ذلك ، فأرسلت الأعاجم في ذلك ،
 وسأل المسلمون عن ذلك . ثم إنهم عادوا وجدّوا تعبياً ، وأخذوا في أمرٍ لم يكونوا
 عليه في الأيام الثلاثة ، والمسلمون على تعبيتهم ، وجعل طلبحة يقول :
 لا تعدّوا أمراً ضعضعكم . وخرج مسعود بن مالك الأسدي وعاصم بن
 عمرو التميمي وابن ذى البردين اللّلالى وابن ذى السّهْمين وقيس بن هُبيرة
 الأسدي ؛ وأشباههم ، فطاردوا القوم ، وابتعثوا^(١) للقتال ، فإذا القوم لُمّة
 لا يشدون ، ولا يريدون غير الزحف^(٢) ؛ فقدّموا صفّاً له أذنان ، وأتبعوا آخر
 مثله ، وآخر وآخر ، حتى تمت صفوفهم ثلاثة عشر صفّاً في القلب
 والمجنبتين كذلك ؛ فلما أقدم^(٣) عليهم فرسان العسكر راموهم فلم يعطفهم
 ذلك عن ركوبهم ؛ ثم لحقت بالفرسان الكتائب ، فأصيب ليلتذ خالد بن
 يعمر التميمي ، ثم العمري ؛ فحمل القعقاع على ناحيته التي رمى بها
 مزدلفاً ، فقاموا على ساق ، فقال القعقاع^(٤) :

٢٣٣٠/١

سقى الله ياخوصاه قبر ابن يعمر إذا ارتحل السفار لم يترحل
 سقى الله أرضاً حلها قبر خالد ذهب غوادٍ مدجنات تجلجل^(٥)
 فاقسمت لا ينفك سيفي يحسهم فإن زحل الأقوام لم أتزحل
 فزاحفهم والناس على راياتهم بغير إذن سعد ؛ فقال سعد : اللهم اغفرها
 له ، وانصره قد أذنت له إذ لم يستأذني ، والمسلمون على مواقفهم ، إلا
 من تكتب أو طاردهم وهم ثلاثة صفوف ، فصف فيه الرّجال أصحاب
 الرماح والسيوف ، وصف فيه المرامية ، وصف فيه الخيول ، وهم أمام الرّجال^(٦) ،
 وكذلك الميمنة ، وكذلك الميمرة . وقال سعد : إن الأمر الذي صنع القعقاع ،
 فإذا كبرت ثلاثاً فازحفوا ، فكبرت تكبيرة فتهيئوا ، ورأى الناس كلهم مثل الذي

(١) ابن حبيش : « وابتعثوا » .

(٢) ابن حبيش : « إلا الزحف » .

(٣) ز : « قدم » .

(٤) ابن حبيش : « وفي ذلك من الشأن يقول القعقاع بن عمرو » .

(٥) في البيت إقواء .

(٦) ابن حبيش : « الرجال » .

رأى ، والرّحى تدور على القعقاع ومَن معه .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبّيد الله بن عبد الأعلى ، عن عمرو بن مرّة ، قال : وقام قيس بن هبيرة المرّادى فيمن يليه ، ولم يشهد شيئاً من لياليها إلاّ تلك الليلة ؛ فقال : إنّ عدوّكم قد أبى إلاّ المزاحفة ، والرّأى رأى أميركم^(١) ، وليس بأنّ تحمل الخيل ليس معها الرّجالة ، فإنّ القوم إذا زحفوا وطاردهم عدوّهم على الخيل لا رجال معهم عقروا بهم ؛ ولم يطبقوا أن يُقدّموا عليهم ، فتيسّروا للحملة . فتيسّروا وانتظروا التكبير^(٢) وموافقة حمل الناس ؛ وإنّ نُشّاب الأعاجم لتجوزُ صفّ المسلمين .

٢٣٣١/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير بن يزيد ، عمّن حدّثه ، قال : وقال دُرّيد بن كعب النّخعيّ ، وكان معه لواء النّخع : إنّ المسلمين تهيّئوا للمزاحفة ، فاسبقوا المسلمين^(٣) الليلة إلى الله والجهاد ، فإنه لا يسبق الليلة أحدٌ إلاّ كان ثوابه على قدر سبقه ؛ نافسوهم في الشهادة ، وطيبوا بالموت نفساً^(٤) ؛ فإنه أنجى من الموت إن كنتم تريدون الحياة ، وإلاّ فالآخرة ما أردتم .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الأجلح ، قال : قال الأشعث بن قيس : يا معشر^(٥) العرب ؛ إنّه لا ينبغي أن يكون هؤلاء القوم أجراً على الموت ، ولا أسخى أنفساً عن الدنيا ، تنافسوا الأزواج والأولاد ، ولا تجزّعوا من القتل ، فإنه أمانى الكرام ، ومنايا الشهداء ، وترجّل .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، قال : قال حنظلة بن الربيع وأمراء الأعراس : ترجّلوا^(٦) أيّها الناس ، وافعلوا كما فعل ، ولا تجزّعوا ممّا لا بدّ منه ، فالصبر أنجى من الفرّج . وفعل طليحة وغالب وحمّال وأهل النّجدات من جميع القبائل مثل ذلك .

(٢) ز : « التكبير » .

(٤) ابن حبيش : « أنفسا » .

(٦) ز : « ترحلوا » .

(١) ابن حبيش : « الأمير » .

(٣) ابن حبيش : « المؤمنين » .

(٥) ابن حبيش : « معاشر » .

كتب إلى السريء ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو والنضر بن السريء ، قالا : ونزل ضرار بن الخطّاب القرشي ، وتتابع على التمرع إليهم الناس كلهم فيها بين تكبيرات سعد حين ^(١) استبطئوه . فلما كبر الثانية ، حمل عاصم بن عمرو حتى انضم إلى القعقاع ، وحملت النخع ، وعصى الناس كلهم سعداً ، فلم ينتظر ^(٢) الثالثة إلا الرؤساء ، فلما كبر الثالثة زحفوا فلاحقوا بأصحابهم ، وخالطوا القوم ، فاستقبوا الليل استقبالا بعد ما صلوا العشاء .

كتب إلى السريء ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الوليد بن عبد الله بن أبي طيبة ، عن أبيه ، قال : حمل الناس ليلة الهريز عامة ؛ ولم ينتظروا بالحملة سعداً ، وكان أول من حمل القعقاع ، فقال : اللهم اغفرها له وانصره . وقال : واتيمماه سائر الليلة ! ثم قال : أرى الأمر ^(٣) ما فيه هذا ^(٤) ، فإذا كبرت ثلاثاً فاحملوا . فكبر واحدة فلحقهم ^(٥) أسد ، فقيل : قد حملت أسد ، فقال : اللهم اغفرها لهم وانصرهم ؛ وأسدها سائر الليلة ! ثم قيل : حملت النخع ، فقال : اللهم اغفرها لهم وانصرهم ؛ وانخعها سائر الليلة ! ثم قيل : حملت بجيلة ، فقال : اللهم اغفرها لهم ، وانصرهم ؛ وابعيلتاه ! ثم حملت الكنود ، فقيل : حملت كندة ، فقال : واكندتاه ! ثم زحف الرؤساء بمن انتظر التكبير ، فقامت حربهم على ساق حتى الصباح ، فذلك ليلة ^(٦) الهريز .

كتب إلى السريء ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن نوية ، عن عمه أنس بن الحليس ، قال : شهدت ليلة الهريز ، فكان صليل الحديد فيها كصوت القيون ليلتهم حتى الصباح ، أفرغ عليهم الصبر إفراغاً ، وبات سعد بليلة لم يبت بمثلها ، ورأى العرب والعجم أمراً لم يروا مثله قط ، وانقطعت الأصوات والأخبار عن رستم وسعد ، وأقبل سعد على الدعاء ، حتى

(١) ز : « حتى » . (٢) ط : « فلم ينتظروا » .

(٣) ابن حبيش : « إن الأمر » . (٤) ز : « ما في هذا » .

(٥) كذا في ابن حبيش ، وفي ط : « فلحقهم » .

(٦) ابن حبيش : « فذلك الليلة » .

إذا كان وجهُ الصُّبحِ ، انتهى الناسُ فاستدلَّ بذلك على آتِهِم الأعلونُ ، وأنَّ الغلبةَ لهم .

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الأعمور بن بنان ^(١) المنقري ، قال : أوَّلُ شيءٍ سمعته سعد ليلتئذ مما يستدلُّ به على الفتح في نصف الليل الباقي صوتُ القعقاعِ بنِ عمرو وهو يقول :

نحن قتلنا معشرًا وزئدا أربعة وخمسة وواحدًا
مُحَبَّبُ فوق اللَّبدِ الأسودا حتَّى إذا ماتوا دعوتُ جاهدا
• اللهُ رَبِّي ، واحترزتُ عامِداً •

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الأعمور
ومحمد عن عمده ، والنضر عن ابن الرُّفَيْلِ ، قالوا : اجتلدوا تلك الليلة من
أولها حتَّى الصُّباح لا ينطقون ، كلامُهُم الهريير ، فسُمِّيَت ليلة الهريير .

٢٣٣٤ / ١

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن الرِّيَّانِ ، عن
مُصْعَبِ بن سعد ، قال : بعث سعد في تلك الليلة بجاداً وهو غلام إلى
الصفِّ ، إذ لم يجد رسولاً ، فقال : انظر ما ترى من حالهم ؛ فرجع فقال :
ما رأيت أيُّ بُنيٍّ ؟ قال : رأيتهم يلبعون ، فقال : أو يتجيدون !

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن جرير
العَبْدِيِّ ، عن عابِسِ الجُعْفِيِّ ، عن أبيه ، قال : كانت بإزاء جُعْفَى يوم
عداس كتيبةٌ من كتائب العجم ، عليهم السلاح التام ، فازدلفوا لهم ،
فجالدوهم بالسيوف ، فرأوا أنَّ السيوف لا تعمل في الحديد فارتدعوا ، فقال
حُمَيْدِيَّةُ : مالكم ؟ قالوا : لا يجوز فيهم السلاح ، قال : كما أنتم حتَّى
أرَبِكُمْ ، انظروا . فحمل على رجل منهم ، فذقَ ظهره بالرمح ، ثم التفت

(١) ط : « بيان » ، وانظر ١ : ٣١٦٧ (طبع ليدن) .

إلى أصحابه، فقال : ما أراهم إلا يموتون دونكم . فحملوا عليهم فأزالوهم إلى صفتهم .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبي ،
قال : لا والله ما شهدها من كندة خاصة إلا سبعمائة ؛ وكان بإزائهم ترك
الطبري ، فقال الأشعث : يا قوم ازحفوا لهم ، فزحف لهم في سبعمائة ،
فأزالهم وقتل تركا ، فقال راجزهم :

نحن تركنا تركهم في المصطرة مختضباً من بهران الأبهرة

• • •

ليلة القادسية

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ،
قالوا : وأصبحوا ليلة القادسية ؛ وهي صُبْحَة ليلة الحرير ، وهي تسمى ليلة
القادسية ، من بين تلك الأيام والناس حسري ، لم يغمضوا ليلتهم كلها ،
فسار القعقاع في الناس ، فقال : إن الدبيرة بعد ساعة لمن بدأ القوم ، فاصبروا
ساعة واحملوا ، فإن التصرمع الصبر . فأثروا الصبر على الجزع ، فاجتمع
إليه جماعة من الرؤساء ، وصمدوا لرستم ، حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح ،
ولما رأت ذلك القبائل قام فيها رجال ، فقام قيس بن عبد يغوث والأشعث
ابن قيس وعمر بن معد يكرب وابن ذي السهْمَيْن الخثعمي وابن ذي البردَيْن
الهلائي ، فقالوا : لا يكونن هؤلاء أجد في أمر الله منكم ، ولا يكونن
هؤلاء - لأهل فارس (١) - أجراً على الموت منكم ؛ ولا أسخى أنفساً عن
الدنيا ، تنافسوها . فحملوا مما يليهم (٢) حتى خالطوا الذين بإزائهم ، وقام
في ربيعة رجال ، فقالوا : أنتم أعلم الناس بفارس وأجرؤهم عليهم فيما مضى ؛
فما يمنعكم اليوم أن تكونوا أجراً مما كنتم بالجرأة ! فكان أول من زال حين
قام قائم الظهيرة الهـُـمزان والبيرزان ، فتأخراً وثبتا حيث (٣) انتهيا ، وانفرج

(١) ابن الأثير والنويري : « يعني الفرس »

(٢) ابن الأثير : « فيما يليهم » .

(٣) ز : « حين » .

القلب حين قام قائم الظهيرة ، وركد عليهم النقع ، وهبت ربيع عاصف ، فقلعت طيارة رسم عن سريره ، فهوت في العتيق ؛ وهي ذبُور ، ومال الغبار عليهم ، وانتهى القعقاع ومن معه إلى السرير فعثروا به ، وقد قام رسم عنه حين طارت الريح بالطيارة إلى بغال قد قدمت عليه بمال يومئذ فهي واقفة ، فاستظل في ظل بغل وحمله ، وضرب هلال بن علفة الحِمْل الذي رسم تحته ؛ فقطع حباله ، ووقع عليه أحد العِدْلين ، ولا يراه هلال ولا يشعر به ؛ فأزال من ظهره فقاراً ، ويضربه ضربة فنفتحت مسكناً ، ومضى رسم نحو العتيق فرمى بنفسه فيه ، واقتحمه هلال عليه ؛ فتناوله وقد عام ؛ وهلال قائم ، فأخذ برجله ، ثم خرج به إلى الجُدِّ^(١) ، فضرب جبينه بالسيف حتى قتله ، ثم جاء به حتى رمى به بين أرجل البغال ، وصعد السرير ، ثم نادى : قتلْتُ رسم ورب الكعبة ؛ إلى ؛ فأطافوا به وما يُحسُّون السرير ولا يرونه ؛ وكبروا وتنادوا ، وانبت قلب المشركين عندها وانهمزوا^(٢) ، وقام الجالنوس على الرَّدَم ، ونادى أهل فارس إلى العبور ، وانسفر الغبار ؛ فأما المقترنون فإنهم جشعوا فتهافتوا في العتيق ، فوخزهم المسلمون برماحهم فما أفلت منهم مخبر ، وهم ثلاثون ألفاً ، وأخذ ضيرار بن الخطاب « درفش كايان » ، فعوض منها ثلاثين ألفاً ، وكانت قيمتها ألف ألف ومائتي ألف ، وقتلوا في المعركة عشرة آلاف سوى من قتلوا في الأيام قبله .

٢٣٣٧/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية ، عن عمرو بن سلمة ، قال : قتل هلال بن علفة رسم يوم القادسية .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن ابن مخراق ، عن أبي كعب الطائي ، عن أبيه ، قال : أصيب من الناس قبل ليلة الهريز ألفان

وخمسمائة ، وقتل ليلة الهريز ويوم القادسية ستة آلاف من المسلمين ، فدُفِنوا في الخندق بحيال مُشرق .

٢٣٣٨/١

(١) الجُدِّ : شاطئ البحر .

(٢) ز : « عنها وانهمزوا » .

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : لما انكشف أهلُ فارس ؛ فلم يَبْقَ منهم بين الخنْدُقِ والعتيق أحد ، وطبقت (١) القتلى ما بين قُدَيْسٍ والعتيق - أمر سعد زُهرة باتباعهم ، فنَادَى زُهرة في المقدمات ، وأمر القعقاعَ بَمَنْ سَفَلَ ، وشرَحْبِيلَ بَمَنْ عَلَا ، وأمر خالد بن عُرْفُطَةَ بِسَلْبِ القتلى ودفن الشهداء ، فدفن الشهداء ، شهداء ليلة الهريز ويوم القادسيَّة ، حول قُدَيْسِ أَلْفَانٍ وخمسمائة وراء العتيق بحِيَالٍ مُشْرِقٍ ، ودفن شهداء ما كان قبل ليلة الهريز على مشرق ، وجُمِعَتِ الأَسْلَابُ والأموالُ فجمع منها شيءٌ لم يُجمعَ قبله ولا بعده مثله ؛ وأرسل سعد إلى هلال ، فدعاه له ، فقال : أين صاحبك ؟ قال : رميتُ به تحت أبغُلٍ ؛ قال : اذهب فجيءُ به ، فذهب فجاء به ، فقال : جرّده إلا ما شئت ، فأخذ سلبه فلم يدعْ عليه شيئاً ، ولما رجع القعقاعُ وشرحبيلُ قال لهذا : اغدُ فيما طلب هذا ، وقال لهذا : اغد فيما طلب هذا ؛ فعلا هذا ، وسفَلَ هذا ، حتى بلغا مقدار الحرارة من القادسيَّة ، وخرج زُهرة بن الحويَّة في آثارهم ، وانتهى إلى الرِّدْمِ وقد بثقوه ليمنعوهم به من الطَّلَبِ ، فقال زُهرة : يا بُكَيْرُ ، أقدم ، فضرب فرسه ، وكان يقاتل على الإناث ، فقال : نبي أطلالُ ، فتجمعت وقالت : وثباً وسورة البقرة ! ووثب زُهرة - وكان ٢٣٣٩/١ عن حصان - وسائر الخيل فافتحمته ، وتتابع على ذلك ثلثمائة فارس ، ونادى زُهرة حيث كاعت (٤) الخيل : خذوا أيها الناس على القنطرة ، وعارضونا ، فمضى ومضى الناس إلى القنطرة يتبعونه ، فلحق بالقوم والجالنوس في آخرهم (٥) يحميهم ، فشاولة (٦) زُهرة ، فاختلفا ضربتين ، فقتله زُهرة ، وأخذ سلبه ، وقتلوا

(١) ابن حبيش : « وطبق القتلى » .

(٢) ز : « فاقتحمه » .

(٣) ثبي : انهضى وقوى .

(٤) كاعت الخيل : جنت .

(٥) ابن حبيش : « أخراهم » .

(٦) في اللسان عن أبي زيد : « تشاول القوم تشاولا ؛ إذا تناول بعضهم بعضاً عند القتال

بالرمح ، والمشاوله مثله » .

ما بين الحرارة إلى السبلحين ، إلى النجف ؛ وأمسوا فرجعوا فباتوا بالقادسية .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن شبرمة ، عن شقيق ، قال : اقتحمنا القادسية صلباً النهار ، فراجعنا وقد أتى الصلاة ؛ وقد أصيب المؤذن ، فتشاح الناس في الأذان حتى كادوا أن يجتلدوا بالسيوف ، فأقرع سعد بينهم ؛ فخرج سهم رجل فأذّن .

• • •

ثم رجع الحديث . وتراجع الطلب الذين طلبوا من علاء على القادسية ومن سفل عنها ، وقد أتى الصلاة وقد قتل المؤذن فتشاحوا على الأذان ، فأقرع بينهم سعد ، وأقاموا بقيّة يومهم ذلك وليلتهم حتى رجع زهرة ، وأصبحوا وهم جميع لا ينتظرون أحداً من جندهم ؛ وكتب سعد بالفتح وبعده من قتلوا ومن أصيب من المسلمين ، وسمى لعمر من يعرف مع سعد بن عميلة الفزاري .

٢٣٤٠ / ١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر ، عن ابن الرقيب ، عن أبيه ، قال : دعاني سعد ، فأرسلني أنظر له في القتلى ، وأسمي له رؤسهم ، فأتيته فأعلمته ، ولم أر رسم في مكانه ؛ فأرسل إلى رجل من التميم يدعى هلالاً ، فقال : ألم تبلغني أنك قتلت رسم ! قال : بلى ، قال : فما صنعت به ؟ قال : ألقيته تحت قوائم الأبقال ، قال : فكيف قتلته ؟ فأخبره ، حتى قال : ضربت جبينه وأنفه . قال : فجئنا به ، فأعطاه سلبه ، وكان قد تخفف حين وقع إلى الماء ، فباع الذي عليه بسبعين ألفاً ، وكانت قيمة قلنسوته مائة ألف لو ظفر بها . وجاء نفر من العباد حتى دخلوا على سعد ، فقالوا : أيتها الأمير ؛ رأينا جسد رسم على باب قصرك وعليه رأس غيره ؛ وكان الضرب قد شوّهه ؛ فضحك .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : وقال الديلم ورؤساء أهل المسالحي الذين استجابوا للمسلمين ، وقاتلوا معهم على غير الإسلام : إخواننا الذين دخلوا في هذا الأمر من أول الشأن أصوب منا وخير ، ولا والله لا يفلح أهل فارس بعد رسم إلا من دخل في

٢٣٤١ / ١

هذا الأمر منهم ؛ فأسلموا ؛ وخرج صبيان العسكر في القتلى ، ومعهم
الأدوى يسقون من به رمق من المسلمين ، ويقتلون من به رمق من
المشركين ، وانحدروا من العذيب مع العشاء . قال : وخرج زهرة في طلب
الجالنوس ، وخرج القعقاع وأخوه وشرجيل في طلب من ارتفع وسفل ،
فقتلوه في كل قرية وأجمعة وشاطيء نهر ، ورجعوا فوافوا صلاة الظهر ،
وهنا الناس أميرهم ، وأنى على كل حتى خيرا ، وذكره منهم .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سعيد بن المرزبان ،
قال : خرج زهرة حتى أدرك الجالنوس ؛ ملكا من ملوكهم ؛ بين الحرارة
والسبلحين ، وعليه يارقان^(١) وقلبان^(٢) وقرطان على برذون له قد
ختضد ، فحمل عليه ، فقتله . قال : والله إن زهرة يومئذ لعلتى فرس له
ما عنانها إلا من حبيل مضمفور كالمقود ، وكذلك حزامها شعير منسوج ،
فجاء بسلبه إلى سعد ، فعرف الأسارى الذين عند سعد سلبه ، فقالوا : هذا
سلب الجالنوس ، فقال له سعد : هل أعانك عليه أحد ؟ قال : نعم ، قال :
من ؟ قال : الله ، فنقله سلبه .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيدة ، عن إبراهيم ،
قال : كان سعد استكر له سلبه ، فكتب فيه إلى عمر ، فكتب إليه عمر : إنى
قد نقلت من قتل رجلا سلبه ؛ فدفعه إليه فباعه بسبعين ألفا .

وعن سيف ، عن البرمکان ، والجمالد عن الشعبي ، قال : لحق به زهرة ،
فرفع له الكثرة فما يخطئها بنشابة ، فالتقيا فضربه زهرة فجذله - ولزهرة
يومئذ ذؤابه وقد سود في الجاهلية ، وحسن بلاؤه في الإسلام و[له] سابقة ،
وهو يومئذ شاب - فتدرع زهرة ما كان على الجالنوس ، فبلغ بضعة وسبعين

(١) في اللسان : « اليارق : ضرب من الأسورة : قال شبرمة بن الطفيل :

لعمرى لظبي عند باب ابن محرز أغن عليه اليارقان مشوف
أحب إليكم من بيوت عمادها سيوف وأزماح لمن حفيف

(٢) القلب ، بالضم : سوار للمرأة إذا كان مفتولا من طاق .

ألفاً . فلما رجع إلى سعد نزع سلبه ، وقال : ألا انتظرت إذ نيتي ! وتكاتبنا ، فكتب عمر إلى سعد : تَعَمِدْ إِلَى مِثْلِ زَهْرَةَ - وَقَدْ صَلَيْتَ بِمِثْلِ مَا صَلَيْتَ بِهِ ، وَقَدْ بَيَّعَ عَلَيْكَ مِنْ حَرْبِكَ مَا بَيَّعَ - تَكْسِرُ قَرْنَتَهُ ، وَتُفْسِدُ قَلْبَهُ ! أَمْضِ لَهُ سَلْبَتَهُ ، وَفَضْلَهُ عَلَى ^(١) أَصْحَابِهِ عِنْدَ الْعَطَاءِ بِخَمْسِمِائَةٍ .

وعن سيف ، عن عبيد ، عن عصمة ، قال : كتب عمر إلى سعد : أنا أعلم بزُهرة منك ، وإن زُهرة لم يكن ليغيب من سلب سلبه شيئاً ، فإن كان الذي سعى به إليك كاذباً فلقاه الله مثل زُهرة ، في عضدائه يا رِقَان ، وإنني قد نفلت كل من قتل رجلاً سلبه ، فدفعه إليه فباعه بسبعين ألفاً .

وعن سيف ، عن عبيدة ، عن إبراهيم وعامر ، أن أهل البلاء يوم القادسية فضلوا عند العطاء بخمسمائة خمسمائة في أعطياتهم ، خمسة وعشرين رجلاً ؛ منهم زُهرة ، وعصمة الضبتي ، والكلاج . وأما أهل الأيَّام ، فإنه فرض لهم على ثلاثة آلاف فضلوا على أهل القادسية .

وعن سيف ، عن عبيدة ، عن يزيد الضخيم ، قال : فقبل لعمر : لو ألحقت بهم أهل القادسية ! فقال : لم أكن لألحق بهم من لم يتركهم . وقيل له في أهل القادسية : لو فضلت من بعدت داره على من قاتلهم بفنائه ! قال : وكيف أفضلهم عليهم على بعد دارهم ، وهم شجعن العدو ، وما سويت بينهم حتى استطبتهم ؛ فهلاً فعل المهاجرون بالأنصار إذ قاتلوا بفنائهم مثل هذا !

وعن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبي ، وسعيد بن المرزبان عن رجل من بني عبس ، قال : لما زال رسم عن مكانه ركب بغلاً ، فلما دنا منه هلال نزع له نشابة ، فأصاب قدمه فشكها في الركاب ، وقال : « بيايته » ^(٢) ، فأقبل عليه هلال . فنزل ، فدخل تحت البغل ، فلما لم يصل إليه قطع عليه المال ، ثم نزل إليه ففلق هامته .

وعن سيف ، عن عبيدة ، عن شقيق ، قال : حملنا على الأعاجم يوم القادسية حَمَلَةٌ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي أُشِرْتُ إِلَى أَسْوَارِهِمْ مِنْهُمْ

(١) ز : « عن » .

(٢) كلمة فارسية ، معناها « كما انت » ، وانظر ص ٥٧٧ س ١ من هذا الجزء .

فجاء إلى وعليه السلاح التام ، فضربت عنقه ، ثم أخذت ما كان عليه .

وعن سيف ، عن سعيد بن المرزبان ، عن رجل من بني عبّس ، قال :
أصاب أهل فارس يومئذ بعد ما انهزموا ما أصاب الناس قبلهم ؛ قتلوا حتى إن
كان الرجل من المسلمين ليدعو الرجل منهم فيأتيه حتى يقوم بين يديه ،
فيضرب عنقه ، وحتى إنه ليأخذ سلاحه فيقتله به ؛ وحتى إنه ليأمر الرجلين
أحدّهما بصاحبه ؛ وكذلك في العِدّة .

وعن سيف ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عمّن شهدها ،
قال : أبصر سلّمان بن ربيعة الباهليّ أناساً من الأعاجم تحت
راية لهم قد حضروا لها ، وجلسوا تحتها ، وقالوا : لا نبرح حتى نموت ، فحمل
عليهم فقتل من كان تحتها وسلبهم . وكان سلمان فارس الناس يوم
القادسية ، وكان أحد الذين مالوا بعد الهزيمة على من ثبت ، والآخر عبد الرحمن
ابن ربيعة ذو النور ، ومال على آخرين قد نكسبوا ، ونصبوا للمسلمين فطحنهم
بخيله .

٢٣٤٥/١ وعن سيف ، عن الغصن ، عن القاسم ، عن البهّي ، أن الشعبيّ
قال : كان يقال : لسلمان أبصر بالمفاصل من الجازر بمفاصل الجزور .
فكان موضع المَحْبَس اليوم دار عبد الرحمن بن ربيعة ، والتي بينها وبين
دار المختار دار سلمان ؛ وإن الأشعث بن قيس استقطع فناء كان قد أمها ،
هو اليوم في دار المختار ، فأقطعه فقال له : ما جرّأك على يا أشعث ؟ والله
لئن حرّتها لأضربنك بالجُنْثِيّ — يعني سيفه — فانظر ما بيني منك بعد ،
فصدف عنها ولم يتعرّض لها .

وعن سيف ، عن المهلب ومحمد وطلحة وأصحابه ، قالوا : وثبت بعد
الهزيمة بضع وثلاثون كتيبة ، استقتلوا واستحيوا من الفرار ، فأبادهم الله ،
فصمد لهم بضعه وثلاثون من رؤساء المسلمين ، ولم يتبعوا فآلة القوم ، فصمد
سلمان بن ربيعة لكتيبة وعبد الرحمن بن ربيعة ذو النور لأخرى ؛ وصمد
لكل كتيبة منها رأس من رؤساء المسلمين . وكان قتال أهل هذه الكتائب ،

من أهل فارس على وجهين ؛ فمنهم من كذب فهرب ، ومنهم ممن ثبت حتى قتل ؛ فكان ممن هرب من أمراء تلك الكتاب الهرمزان وكان بإزاء عطارِد ، وأهود وكان بإزاء حنظلة بن الربيع ، وهو كاتب النبي صلى الله عليه وسلم ، وزادُ بن بُهَيْش وكان بإزاء عاصم بن عمرو ، وقارن وكان بإزاء القعقاع بن عمرو ؛ وكان ممن استقتل شهریار بن كنار وكان بإزاء سلمان . وابن الهريذ وكان بإزاء عبد الرحمن ، والفرخان الأهوازي وكان بإزاء بسر بن أبي رهم الجهني ، وخسروشنوم الهمداني وكان بحيال ابن الهذيل الكاهلي .

٢٣٤٦ / ١

ثم إن سعداً أتبع بعد ذلك القعقاع وشرحبيل من صوب في هزيمته أو صعد عن العسكر وأتبع زهرة بن الحويّة الجالنوس .

• • •

• ذكر حديث ابن سحاق :

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله : رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : ومات المثني بن حارثة ، وتزوج سعد بن أبي وقاص امرأته سلمى ابنة خنصفة وذلك في سنة أربع عشرة . وأقام تلك الحجّة للناس عمر بن الخطاب . ودخل أبو عبيدة بن الجراح تلك السنة دمشق ، فشتا بها ، فلما أصافت الروم سار هيرقل في الروم حتى نزل أنطاكية ومعه من المستعربة لخم وجذام وبتلقين وبتلي وعاملة ، وتلك القبائل من قضاة ، غسان بشر كثير ؛ ومعه من أهل أرمينية مثل ذلك ، فلما نزلها أقام بها ، وبعث الصقلار ؛ خصياً له ، فسار بمائة ألف مقاتل ، معه من أهل أرمينية اثنا عشر ألفاً ، عليهم جرّجة ، ومعه من المستعربة من غسان وتلك القبائل من قضاة اثنا عشر ألفاً عليهم جبيلة بن الأيهم العسائي ، وسائرهم من الروم ؛ وعلى جماعة الناس الصقلار خصي هرقل ؛ وسار إليهم المسلمون

٢٣٤٧ / ١

وهم أربعة وعشرون ألفاً عليهم أبو عبيدة بن الجراح ، فالتقوا باليرموك في رجب سنة خمس عشرة ؛ فاقتل الناس قتالا شديداً حتى دُخِلَ عسكر المسلمين ، وقاتل نساء من نساء قريش بالسيوف حين دُخِلَ العسكر - منهن أم حكيم بنت الحارث بن هشام - حتى سابقن^(١) الرجال ، وقد كان انضم إلى المسلمين حين ساروا إلى الروم ناس من لسخم وجذام ؛ فلما رأوا جيد القتال فرّوا ونجوا إلى ما كان قُربهم من القرى ، وخذلوا المسلمين .

٢٣٤٨/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، قال : قال قائل من المسلمين حين رأى من لحم وجذام ما رأى :

القومُ لحمٌ وجذامٌ في الهربِ ونحنُ والرومُ بمرجٍ نضطربُ
فإن يعودوا بعدها لا نضطجِبُ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب ابن كيسان ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : كنت مع أبي الزبير عام اليرموك ؛ فلما تعبى المسلمون للقتال ، لبس الزبير لأمتيه ، ثم جلس على فرسه ، ثم قال لموليين له : احبسا عبد الله بن الزبير معكما في الرحل ؛ فإنه غلام صغير . قال : ثم توجه فدخل في الناس ؛ فلما اقتتل الناس والروم نظرت إلى ناس وقوف على تل لا يقاتون مع الناس . قال : فأخذت فرساً للزبير كان خلفه في الرحل فركبته ، ثم ذهبت إلى أولئك الناس فوقفت معهم ؛ فقلت : أنظر ما يصنع الناس ؛ فإذا أبو سفيان بن حرب في مشيخة من قريش من مهاجرة الفتح وقوفاً لا يقاتلون ؛ فلما رأوني رأوا غلاماً حدثاً ، فلم يتقوني . قال : فجعلوا والله إذا مال المسلمون وركبتهم الحرب ، للروم يقولون : إيه إيه بلأصفر ! فإذا مالت الروم وركبهم المسلمون ، قالوا : يا ويح بلأصفر ! فجعلت أعجب من قولهم ، فلما هزم الله الروم ورجع الزبير ، جعلت أحده

٢٣٤٩/١

خبرهم . قال : فجعل يضحك ويقول : قاتلهم الله ، أبوا إلا ضيغنا ! وماذا لهم إن يظهروا علينا الروم ! لنحن خير لهم منهم .

ثم إن الله تبارك وتعالى أنزل نصرته ، فهزمت الروم وجموع هرقل التي جمع ، فأصيب من الروم أهل إرمينية والمستعربة سبعون ألفاً ، وقتل الله الصقلار وياهان ؛ وقد كان هرقل قدّمه مع الصقلار حين لحق به ، فلما هزمت الروم بعث أبو عبيدة عياض بن غنم في طلبهم ، فسلك الأعماق حتى بلغ مَلَطِيَّةَ ، فصالحه أهلها على الجزية ، ثم انصرف ، ولا سمع هرقل بذلك بعث إلى مقاتلتها ومن فيها ، فساقهم إليه ، وأمر بمَلَطِيَّةَ فحُرِّقَتْ . وقُتِلَ من المسلمين يوم اليرموك من قريش من بني أمية بن عبد شمس عمرو بن سعيد بن العاص وأبان بن سعيد بن العاص ؛ ومن بني مخزوم عبدالله بن سفيان بن عبد الأسد ، ومن بني سهم سعيد بن الحارث بن قيس .

قال : وفي آخر سنة خمس عشرة ، قتل الله رسماً بالعراق ؛ وشهد أهل اليرموك حين فرغوا منه يوم القادسية مع سعد بن أبي وقاص ، وذلك أن سعداً حين حمر عنه الشتاء ، سار من شَراف يريد القادسية ، فسمع به رسماً ، فخرج إليه بنفسه ؛ فلما سمع بذلك سعد وقف ، وكتب إلى عمر يستمدّه ؛ فبعث إليه عمر المغيرة بن شعبة الثقفي في أربعمئة رجل مدداً من المدينة ، وأمدّه بقيس ابن مكشوح المرادي في سبعمئة ، فقدموا عليه من اليرموك . وكتب إلى أبي عبيدة : أن أمدّ سعد بن أبي وقاص أمير العراق (١) بألف رجل من عندك ؛ ففعل أبو عبيدة ، وأمر عليهم عياض بن غنم الفهري ؛ وأقام تلك الحجّة للناس عمر بن الخطاب سنة خمس عشرة .

٢٣٥٠/١

وقد كان لكسرى مُرابطة في قصر بني مقاتل ، عليها النعمان بن قبيصة ؛ وهو ابن حية الطائي ابن عم قبيصة بن إياس بن حية الطائي صاحب الحيرة ؛ فكان في منظره له ، فلما سمع بسعد بن أبي وقاص سأل عنه عبد الله بن سنان ابن جرير الأسدي ؛ ثم الصيداوي ، فقيل له : رجل من قريش ، فقال :

(١) ابن حبيش : « سدا بالعراق » .

أما إذ كان قُرَشِيًّا فليس بشيء ، والله لأجاهدنه القتال ؛ إنما قریش عبيد
من غلب ؛ والله ما يمنعون خفيراً ، ولا يخرجون من بلادهم إلا بخفير^(١) ؛
فغضب حين قال ذلك عبدُ الله بن سنان الأسدي ، فأمهله حتى إذا دخل
عليه وهو نائم ، فوضع الرمح بين كتفيه فقتله ، ثم لحق بسعد فأسلم . وقال في
قتله النعمان بن قبيصة :

لقد غادرَ الأقوامُ ليلةً أدلجوا بقصر العبادي ذَا الفعالي مُجدلاً

دَلَفْتُ له تحت العجاجِ بِطَمْنَةٍ فأصبح منها في التجميعِ مرَّ ملاً^(٢)

أقولُ له والرمح في نفضِ كَتِفِهِ^(٣) أبا عامرٍ عنك اليمينُ تحللاً

سَقَيْتُ بها النعمانَ كأساً رَوِيَّةً وعاطيته بالرمحِ سماً مثلاً^(٤)

تركتُ سباعَ الجؤِ يُعرِفُن حوله وقد كان عنها لابن حيةَ معزلاً

كفيتُ قريشاً إذ تَغَيَّبَ جَمْعُهَا وهَدَّمتُ للنعمانِ عِزاً مؤثلاً

٢٣٥١ / ١

ولما لحق سعد بن أبي وقاص المغيرة بن شعبة وقيس بن مكشوح فيمن
معهما ، سارا إلى رستم حين سمع به حتى نزل قاديس - قرية إلى جانب العُدَيْب -
فنزّل الناس بها ، ونزل سعد في قصر العُدَيْب ، وأقبل رستم في جموع فارس
مئتين ألفاً مما أحصى لنا في ديوانه ، سوى التباع والرقيق ، حتى نزل القادسية
وبينه وبين الناس جسر^(٥) القادسية ، وسعد في منزله وجيع ، قد خرج
به قرح شديد ، ومعه أبو محجن بن حبيب الثقفي محبوس في القصر ، حبسه
في شرب الخمر ، فلما أن نزل بهم رستم بعث إليهم أن ابعثوا إلى رجلا منكم
جليداً أكلمه ، فبعثوا إليه المغيرة بن شعبة ، فجاءه وقد فرق رأسه أربع
فرق : فرقة من بين يديه إلى قفاه ، وفرقة إلى أذنيه ، ثم عقص شعره ، ولبس
بُرداً له ، ثم أقبل حتى انتهى إلى رستم ، ورستم من وراء الجسر العتيق ممأ يلى

٢٣٥٢ / ١

(١) ابن الأثير : « بخفين » . (٢) مرملا ، أى ملطخاً .

(٣) نفض الكتف : أعلى منقطع القصروف . (٤) المشل : السهم المنقطع .

(٥) ط : « العتيق جسر القادسية » ، وكلمة « العتيق » مفحمة ، فيها يجر ، للشرح .

العراق ، والمسلمون من ناحيته الأخرى ممّا يلي الحجاز فيما بين القادسيّة والعُدَيب ، فكلّمه رَسَم ، فقال : إنّكم معشر العرب كنتم أهل شتقاء وجهد ، وكنتم تأتوننا من بين تاجر وأجير ووافد ، فأكلتم من طعامنا ، وشربتم من شرابنا ، واستظلمتم من ظلالنا ؛ فذهبتُم فدعوتُم أصحابكم ، ثم أتيتُمونا بم ، وإنما مثلكم مثل رجل كان له حائط من عِنَب ، فرأى فيه ثعلبًا واحدًا ، فقال : ما ثعلب واحد ! فانطلق الثعلب ، فدعا الثعلاب إلى الحائط ؛ فلما اجتمعن فيه جاء الرجل فسدّ الجُحر الذي دخلن منه ، ثم قتلهن جميعًا . وقد أعلم أن الذي حملكم على هذا معشر العرب الجَهْدُ الذي قد أصابكم ؛ فارجعوا عنّا عامكم هذا ، فإنّكم قد شغاتمونا عن عِمارة بلادنا ، وعن عدوتنا ، ونحن نُؤقِر لكم ركائبكم قمحًا وتمرًا ، ونأمر لكم بكُسوة ، فارجعوا عنّا عافاكم الله !

فقال المغيرة بن شعبة : لا تذكُر لنا جهدًا إلاّ وقد كنا في مثله أو أشدّ منه ؛ أفضلنا في أنفسنا عيشًا الذي يقتل ابن عمّه ، ويأخذ ماله فيأكله ، نأكل الميتة والدم والعظام ، فلم نزل كذلك حتّى بعث الله فينا نبيًا ، وأنزل عليه الكتاب ، فدعانا إلى الله وإلى ما بعثه به ، فصدّقه منا مصدّق ، وكذّبه منا آخر ، فقاتل من صدّقه من كذبه ، حتّى دخلنا في دينه ؛ من بين مُوقِن به ، وبين مقهور ؛ حتّى استبان لنا أنه صادق ، وأنه رسول من عند الله . فأمرنا أن نقاتل من خالفنا ، وأخبرنا أن من قُتل منا على دينه فله الجنة ، ومن عاش ملك وظهر على من خالفه ؛ فنحن ندعوك إلى أن تؤمن بالله ورسوله ، وتدخل في ديننا ، فإن فعلت كاذت لك بلادك ، لا يدخل عليك فيها إلاّ من أحببت ، وعليك الزكاة والخمس ، وإن أبيت ذلك فالجزية ؛ وإن أبيت ذلك قاتلناك حتّى يحكم الله بيننا وبينك .

قال له رَسَم : ما كنت أظن أني أعيش حتّى أسمع منكم هذا معشر العرب . لا أمسى غدًا حتّى أفرغ منكم وأقتلكم كلّكم . ثم أمر بالعتيق أن يسكّر ، فبات ليلته يسكّر بالبراذع^(١) والتراب والقصب حتّى أصبح ، وقد تركه طريقًا مهتبعًا ، وتعبى له المسلمون ، فجعل سعد على جماعة الناس خالد بن

(١) ط : « بالزرع » ، والصواب ما أثبتته ، وانظر ص ٥٢٩ س ١٥ من هذا الجزء .

عُرْفُطَةَ حَلِيفِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، وَجَعَلَ عَلَى مَيْمَنَةِ النَّاسِ جَرِيرَ
ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ ، وَجَعَلَ عَلَى مَيْمَرَتِهِمْ قَيْسَ بْنِ الْمَكْشُوحِ الْمُرَادِيَّ .
ثُمَّ زَحَفَ إِلَيْهِمْ رَسْمًا ، وَزَحَفَ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ ، وَمَا عَامَّةُ جُنْتِهِمْ — فِيمَا
حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ
ابْنِ أَبِي بَكْرٍ — غَيْرَ بَرَاذِعِ الرَّحَالِ ، قَدْ عَرَضُوا فِيهَا الْجَرِيدَ ، يَتْرُسُونَ بِهَا
عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَمَا عَامَّةُ مَا وَضَعُوهُ عَلَى رِءُوسِهِمْ إِلَّا أَنْسَاعَ الرَّحَالِ ، يَطْوِي الرَّجُلُ
نِيسَاحَ رِحْلِهِ عَلَى رَأْسِهِ يَتَّقِي بِهِ ، وَالْفُرسُ فِيمَا بَيْنَهُمْ مِنَ الْحَدِيدِ وَالْيَلَامِقِ ؛
فَاقْتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَسَعِدُ فِي الْقَصْرِ يَنْظُرُ ، مَعَهُ سَلْمَى بِنْتُ خَصَّافَةَ ، وَكَانَتْ
قَبْلَهُ عِنْدَ الْمُثَنَّى بْنِ حَارِثَةَ ، فَجَالَتْ الْخَيْلُ ، فَرَعِبَتْ سَلْمَى حِينَ رَأَتْ الْخَيْلَ جَالَتْ ،
فَقَالَتْ : وَامْتَنِيَاهُ وَلَا مُثَنَّى لِي الْيَوْمَ ! فَغَارَ سَعِدُ فَلَطَمَ وَجْهَهَا ، فَقَالَتْ :
أَغْيِرَةٌ وَجُبْنًا ! فَلَمَّا رَأَى أَبُو مِحْجَنٍ مَا تَصْنَعُ الْخَيْلُ حِينَ جَالَتْ ، وَهُوَ
يَنْظُرُ مِنْ قَصْرِ الْعُدَيْبِ وَكَانَ مَعَ سَعِدِ فِيهِ ، قَالَ :

كَفَى حَزَنًا أَنْ تَرَدِي الْخَيْلَ بِالْقَنَا وَأَتَرَكَ مَشْدُودًا عَلَى وَثَاقِيَا^(١)
إِذَا قَمْتُ عَنَانِي الْحَدِيدُ وَأَغْلِقْتُ مَصَارِيْعُ دُونِي لَا نُجِيبُ الْأُنَادِيَا
وَقَدْ كُنْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَإِخْوَةَ فَقَدْ تَرَكَوْنِي وَاحِدًا لَا أُخَالِيَا

فَكَلَّمُ زَبْرَاءَ أُمَّمَ وَوَالِدَ سَعِدٍ — وَكَانَ عِنْدَهَا مَجْبُوسًا ، وَسَعِدُ فِي رَأْسِ الْحَصَنِ
يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ — فَقَالَ : يَا زَبْرَاءُ ، أَطَلَقْتِنِي وَلَكِ عَلَى عَهْدِ اللَّهِ وَمِيثَاقِهِ ،
لَنْ لَمْ أَقْتُلْ لِأَرْجِعَنَّ إِلَيْكَ حَتَّى تَجْعَلَ الْحَدِيدَ فِي رِجْلِي ، فَأَطَلَقْتَهُ وَحَمَلْتَهُ عَلَى فَرَسٍ
لِسَعِدٍ بِلِقَاءِ وَخَلَّتْ سَبِيلَهُ ، فَجَعَلَ يَشُدُّ عَلَى الْعَدُوِّ وَسَعِدُ يَنْظُرُ . فَجَعَلَ سَعِدُ
يَعْرِفُ فَرَسَهُ وَيُنْكِرُهَا ، فَلَمَّا أَنْ فَرَعُوا مِنَ الْقِتَالِ ؛ وَهَزَمَ اللَّهُ جَمْعَ فَارِسَ ،
رَجَعَ أَبُو مِحْجَنٍ إِلَى زَبْرَاءَ ، فَأَدْخَلَ رِجْلَهُ فِي قَيْدِهِ ، فَلَمَّا نَزَلَ سَعِدُ مِنْ رَأْسِ
الْحَصَنِ رَأَى فَرَسَهُ تَعْرِقُ ، فَعَرَفَ أَنَّهَا قَدْ رُكِبَتْ ، فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ زَبْرَاءَ ،
فَأَخْبَرْتَهُ خَبْرَ أَبِي مِحْجَنٍ فَخَلَّتْ سَبِيلَهُ .

(١) ردى الفرس يردى ؛ إذا عدا نرجم الأرض رجما .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : وقد كان عمرو بن معديكرب شهيد القادسية مع المسلمين .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن الأسود النخعي ، عن أبيه ، قال : شهدت القادسية ؛ فلقد رأيت غلاماً منّا من النخع يسوق ستين أو ثمانين رجلاً من أبناء الأحرار . فقلت : لقد أذلّ الله أبناء الأحرار !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، مولى بجيلة ، عن قيس بن أبي حازم البجليّ - وكان ممن شهد القادسية مع المسلمين - قال : كان معنا يوم القادسية رجل من ثقيف ، فلقق بالفرس مرتدّاً ، فأخبرهم أنّ بأس الناس في الجانب الذي به بجيلة . قال : وكُنّا رُبْعَ النَّاسِ ؛ فوجهوا إلينا ستة عشر فيلاً وإلى سائر الناس فيلَيْنِ ، وجعلوا يُلْقون تحت أرجل خيولنا حَسَكَ الحديد ، ويرشقوننا بالنشّاب ، فكأنّه المطر علينا ، وقرنوا خيلهم بعضها إلى بعض لكلا يفرّوا . قال : وكان عمرو بن معديكرب يمرّ بنا فيقول : يا معشر المهاجرين ، كونوا أسوداً ، فإنّما الأسد من أغنى شأنه ؛ فإنّما الفارسيّ تيس إذا ألقي نيزكه .

٢٣٥٦/١

قال : وكان أسوار منهم لا يكاد تسقط له نشّابة ، فقلنا له : يا أبا ثور ، اتق ذلك الفارسيّ فإنه لا تقع له نشّابة ؛ فتوجه إليه ورماه الفارسيّ بنشّابة فأصاب قوسه ، وحمل عليه عمرو فاعتنقه فذبحه ، واستلبه سوارَيْنِ من ذهب ومنطقة من ذهب ويكتمقاً^(١) من ديباج ، وقتل الله رستم ، وأفاء على المسلمين عسكره وما فيه ، وإنّما المسلمون ستة آلاف أو سبعة آلاف ، وكان الذي قتل رستم هلال بن علفة التيميّ رآه فتوجه إليه ، فرماه رستم بنشّابة فأصاب قدمه وهو يتبعه ، فشكّها إلى ركاب سرّجه ، ورستم يقول بالفارسية :

(١) اليلق : القباء المحشو .

« بيايه » ، أي « كما أنت » ؛ وحمل عليه هلال بن علفة فضربه فقتله ، ثم احتز رأسه فعلقه ، وولت الفرس فاتبعهم المسلمون^(١) يقتلونهم^(٢) ؛ فلما بلغت الفرس الحرارة نزلوا فشربوا من الحمر ، وطعموا من الطعام ، ثم خرجوا يتعجبون من رميهم ، وأنه لم يعمل في العرب . وخرج جالنوس فرفعوا له كربة فهو يرميها ويشكها بالنشاب ، ولحق بهم فرسان من المسلمين وهم هنالك ، فشد على جالنوس زهرة بن حويبة التميمي فقتله ، وانهمت الفرس ، فلحقوا بدير قررة وما وراءه ، ونهض سعد بالمسلمين حتى نزل بدير قررة على من هنالك من الفرس ؛ وقد قدم عليهم وهم بدير قررة عياض بن غنم في مدده من أهل الشام ، وهم ألف رجل ، فأستهم له سعد ولأصحابه مع المسلمين فيما أصابوا بالقادسية ، وسعد وجع من قرحة تلك ، وقال جرير ابن عبد الله :

أنا جريرٌ كُنيتي أبو عمرو قد نصرَ اللهُ وسعدٌ في القصرِ

وقال رجل من المسلمين أيضاً :

نقاتلُ حتى أنزلَ اللهُ نصرَهُ وسعدٌ بباب القادسية مُعصمُ
فأبنا وقد آمت نساءٌ كثيرةٌ ونسوةٌ سعدٍ ليسَ فيهنَّ أئِمُّ

قال : ولما بلغ ذلك من قولهما سعداً ، خرج إلى الناس فاعتذر إليهم ، وأراهم ما به من القرح في فخذيته وأليتيته ، فعذره الناس ، ولم يكن سعد لعمري يُجبن ؛ فقال سعد يجيب جريراً فيما قال :

وما أَرْجُو بِجيلةٍ غيرَ أني أوَمَلُ أجْرهم يوم الحِسابِ
فقد لَقيتُ خيولَهُمُ خيولاً وقد وَقَعَ الفوارِسُ في ضرابِ
وقد دَلَفَتُ بعَرَصَتهم فيولُ كأنَّ زُهاءها إبلُ جِرابِ^(٣)

(١) ز : « واتبعهم » .

(٢) ابن حبيش : « فقتلهم » .

(٣) في البيت إقواء .

ثم إنَّ الفرس هربت من دبر قُرّة إلى المدائن يريدون نِهاوتند ، واحتملوا معهم الذهب والفضة والديباج والفيرند والحريير والسلاح وثياب كسرى وبناته ، وخلّوا ما سوى ذلك ، وأتبعهم سعد الطلب من المسلمين ، فبعث خالد بن عرْفُطة حليف بني أمية ، ووجهه معه عياض بن غنم في أصحابه ، وجعل على مقدمة الناس هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وعلى ميمنتهم جرير بن عبد الله البجلي ، وعلى ميسرتهم^(١) زهرة بن حويّبة التميمي ، وتخلّف سعد لما به من الوجع ؛ فلما أفاق سعد من وجعه ذلك اتّبع الناس بمن بقي معه من المسلمين ؛ حتى أدركهم دون دجلة على بَهْرَسِير ، فلما وضعوا على دجلة العسكر والأثقال طلبوا المخاضة ، فلم يهتدوا لها ؛ حتى أتى سعدًا عِلْج من أهل المدائن ، فقال : أدرككم على طريق تُدركونهم قبل أن يُمغنوا في السير ! فخرج بهم على مخاضة بقطر بُلّ ، فكان أول من خاض المخاضة هاشم ابن عتبة في رَجْله ، فلما جاز اتّبعته خيله ، ثم أجاز خالد بن عرْفُطة بخيله ، ثم أجاز عياض بن غنم بخيله ، ثم تتابع الناس فخاضوا حتى أجازوا ؛ فزعموا أنه لم يُهتد لتلك المخاضة بعد . ثم ساروا حتى انتهوا إلى مُظَلِّم سَاباط ، فأشفق الناس أن يكون به كمين للعدو ، فتردّد الناس ، وجبنوا عنه ؛ فكان أول من دخله بجيشه هاشم بن عتبة ، فلما أجاز ألح للناس بسيفه ، فعرف الناس أن ليس به شيء يخافونه^(٢) ، فأجاز بهم خالد بن عرْفُطة ، ثم لحق سعد بالناس ؛ حتى انتهوا إلى جَلولاء وبها جماعة من الفرس ، فكانت وقعة جَلولاء بها ، فهزم الله الفرس ، وأصاب المسلمون بها من النّبيء أفضل مما أصابوا بالقادسية ، وأصيبت ابنة كسرى ، يقال لها منجاة ؛ ويقال : بل ابنة ابنه . وقال شاعر من المسلمين :

يَارُبُّ مُرِّ حَسَنِ مُعَاهَمٍ يَحْمِلُ أَثْقَالَ انْقِلَابِ الْمَسَامِ
يَنْجُو إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ جَهَنَّمَ يَوْمَ جَلُولَاءَ وَيَوْمَ رُسْتَمِ
وَيَوْمَ زَحْفِ الْكُوفَةِ الْمُقَدَّمِ وَيَوْمَ لَأَقَى ضَيْقَةَ مُهَزَّمِ
• وَخَرَّ دِينَ الْكُفَرِينَ لِلْفَتَمِ •

(١) ز : « ميسرتهم » . (٢) كذا في ز وفي ط : « تخافونه » .

٢٣٦٠/١ ثم كتب سعد إلى عمر بما فتح الله على المسلمين^(١)؛ فكتب إليه عمر: ألا قف ولا تطلبوا غير ذلك. فكتب إليه سعد أيضاً: إنما هي سرية^(٢) أدركناها والأرض بين أيدينا، فكتب إليه عمر: أن قف مكانك ولا تتبعهم، واتخذ للمسلمين دار هجرة ومزل جهاد، ولا تجعل بيني وبين المسلمين بحراً. ففز سعد بالناس الأنبار، فاجتووها وأصابتهم بها الحمى، فلم توافقهم، فكتب سعد إلى عمر يخبره بذلك، فكتب إلى سعد أنه لا تصلح العرب إلا حيث يصلح البعير والشاة في منابت العشب؛ فانظر فلاة في جنب البحر فارتد للمسلمين بها منزلاً.

قال: فسار سعد حتى نزل كويظة عمرو بن سعد، فلم توافق الناس مع الذباب والحمى. فبعث سعد رجلاً من الأنصار يقال له الحارث بن ساحة - ويقال: بل عثمان بن حنيف، أخا بني عمرو بن عوف - فارتاد لهم موضع الكوفة اليوم، فترط سعد بالناس، وخط مسجدها، وخط فيها الخطط للناس.

وقد كان عمر بن الخطاب خرج في تلك السنة إلى الشام فزل الجابية، وفتحت عليه إيلياء؛ مدينة بيت المقدس، وبعث فيها أبو عبيدة بن الجراح حنظلة بن الطنيل السلمي إلى حمص، ففتحها الله على يديه، واستعمل سعد بن أبي وقاص على المدائن رجلاً من كيندة، يقال له شريحيل بن السمط؛ وهو الذي يقول فيه الشاعر:

ألا ليتني والمرء سعد بن مالك
وربراء وابن السمط في لجة البحر

• • •

ذكر أحوال أهل السواد

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الملك بن عمير، عن قبيصة بن جابر، قال: قال رجل من يوم القادسية مع الفتح:

(١) ابن حبيش: «للمسلمين».

(٢) السرية: جماعة يتسللون من العسكر فيغيرون ويرجعون.

فَاتَّبَعْنَا وَقَدْ آمَتْ نِسَاءُ كَثِيرَةٌ
وَسَعْدٌ بِبَابِ الْقَادِسِيَّةِ مَعْصِمٌ

فَبَعَثَ بِهَا فِي النَّاسِ ، فَبَلَغَتْ سَعْدًا ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ كَاذِبًا ،
أَوْ قَالَ الَّذِي قَالَ رِيَاءً وَسُمْعَةً وَكَتَدِبًا ، فَاقْطَعْ عَنِّي لِسَانَهُ وَيَدَهُ .
وَقَالَ قَبِيصَةَ : فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَوَاقِفٌ بَيْنَ الصَّفَيْنِ يَوْمَئِذٍ ؛ إِذَا قَبِلْتَ نُسَابَةَ
لِدَعْوَةِ سَعْدٍ ، حَتَّى وَقَعْتَ فِي لِسَانِهِ فَيَسُّ شِقُّهُ ؛ فَمَا تَكَلَّمْتَ بِكَلِمَةٍ حَتَّى لَحِقَ
بِاللَّهِ .

كُتِبَ إِلَى الْمَرْيُ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ الْمَقْدَامِ بْنِ شُرَيْحٍ
الْحَارِثِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ جَرِيرٌ يَوْمَئِذٍ :

أَنَا جَرِيرٌ كُنِيَّتِي أَبُو عَمْرٍو قَدْ نَصَرَ اللَّهُ وَسَعْدٌ فِي الْقَصْرِ

فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ سَعْدٌ ، فَقَالَ :

٢٣٦٢/١

وَمَا أَرْجُو بِجِيلَةٍ غَيْرِ أُنَى أَوْ مَلُّ أَجْرَهَا يَوْمَ الْحِسَابِ
وَقَدْ لَقَيْتُ خِيُولَهُمْ خِيُولًا وَقَدْ وَقَعَ الْفَوَارِسُ فِي الضَّرَابِ
فَلَوْلَا جَمْعُ قَمَقَاعِ بْنِ عَمْرٍو وَحَمَالٍ لِلجُّوَا فِي الْكِذَابِ
هُمْ مَنْ مَنَعُوا جُمُوعَكُمْ بَطْمَانَ وَضَرَبَ مِثْلَ تَشْتِيقِ الْإِهَابِ
وَلَوْلَا ذَاكَ الْفَيْتَمُ رَعَاعًا تُشَلُّ جُمُوعَكُمْ مِثْلَ الذُّبَابِ (١)

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ سُلَيْمِ بْنِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيِّ ، عَنْ عُمَانَ بْنِ رَجَاءِ السَّعْدِيِّ ، قَالَ : كَانَ سَعْدُ بْنُ
مَالِكٍ أَجْرَ النَّاسِ وَأَشْجَعَهُمْ ؛ إِنَّهُ (٢) نَزَلَ قَصْرًا غَيْرَ حَصِينِ بَيْنَ الصَّفَيْنِ ،
فَأَشْرَفَ مِنْهُ عَلَى النَّاسِ ، وَلَوْ أَعْرَاهُ الصَّفَّ فُوقَ نَاقَةٍ أَخَذَ بِرُمْتِهِ ؛ فَوَاللَّهِ
مَا أَكْرَهَهُ هَوْلُ تِلْكَ الْأَيَّامِ وَلَا أَقْلَقَهُ .

(١) ز : « الذباب » و

(٢) ز : « وإنه » .

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سليمان بن بشير ،
عن أمّ كثير ؛ امرأة همام بن الحارث النَّخَعِيّ ، قالت : شهدنا القادسيّة مع
سعد مع أزواجنا ، فلما أتانا أن قد فرغ من الناس شددنا علينا ثيابنا ،
وأخذنا الهراوى ، ثم أتينا القتلى ؛ فما كان من المسلمين سقينا ورفعناه ؛
وما كان من المشركين أجهزنا عليه ، وتبعنا الصّبيان نولّتهم ذلك ، ونصرفهم به .
٢٣٦٣/١

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية - وهو ابن
الحارث - عمّن أدرك ذلك ؛ قال : لم يكن من قبائل العرب أحد أكثر
امرأة يوم القادسيّة من بَجِيلَةَ والنَّخَعِ ، وكان في النَّخَعِ سبعمئة امرأة
فارغة ، وفي بَجِيلَةَ ألف ، فصاهر هؤلاء ألف من أحياء العرب ، وهؤلاء
سبعمئة ، وكانت النَّخَعِ تُسمّى أصهار المهاجرين ، وبجيلة ، وإنما
جرّاهم على الانتقال بأثقالهم توطئةً لخالد ، والمثنى بعد خالد ، وأبي عبید
بعد المثنى ، وأهل الأيَّام ، فلاقوا بأساً بعد ذلك شديدًا .

كتب إلى السريُّ ؛ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد والمهلب
وظلحة ، قالوا : وكان بكبير بن عبد الله اللّيثيّ وعتبة بن فرقد السّلميّ
وسماك بن خرّشة الأنصاريّ - وليس بأبي دُجّانة - قد خطبوا امرأة يوم
القادسيّة ، وكان مع الناس نساؤهم ؛ وكانت مع النَّخَعِ سبعمئة امرأة
فارغة ؛ وكانوا يُسمّون أختان المهاجرين حتى كان قريبًا ؛ فتزوجهن المهاجرون
قبل الفتح وبعد الفتح ؛ حتى استوعبوهن ، فصار إليهن سبعمئة رجل من
الأفناء ؛ فلما فرغ الناس خطب هؤلاء النّفر هذه المرأة - وهي أروى ابنة
عامر الهلاليّة - هلال النَّخَعِ ؛ وكانت أختها هُنَيْدَة تحت القعقاع بن
عمرو التميميّ ، فقالت لأختها : استشيرى زوجك أيّهم يراه لنا ! ففعلت ؛
وذلك بعد الوقعة وهم بالقادسيّة ؛ فقال القعقاع : سأصفهم في الشعر فانظري
لأختك ، وقال :

إن كنتِ حاولتِ الدّراهم فانكحى
وإن كنتِ حاولتِ الطّمان فيمى
وكلهم في ذرّوة المجد نازل
سما كما أخوا الأنصار أو ابن فرقد
بكبيرًا إذا ما الخيل جالت عن الرّدى
فشأنكم إن البيان عن الغد

٢٣٦٤/١

وقالوا : وكانت العرب توقع^(۱) وقعة العرب وأهل فارس في القادسية فيما بين العذيب إلى عَدَنِ أَبِيْنَ ، وفيما بين الأُبَلَةِ وأَيْلَةَ ؛ يروون أن ثبات مُلكهم وزواله بها ، وكانت في كلِّ بلد^(۲) مُصْبِخَةٌ إليها ، تنظرُ ما يكون من أمرها ؛ حتَّى إن كان الرجل يريد الأمر فيقول : لا أنظر فيه حتَّى أنظر ما يكون من أمر القادسية . فلما كانت وقعة القادسية سارت بها الجن ، فأتت بها ناساً من الإنس ، فسبقت أخبار الإنس إليهم ؛ قالوا : فبدرت امرأة ليلاً على جبل بصنعاء ، لا يُدرى مَنْ هي ؟ وهي تقول :

حُبِّتِ عَنَّا عِكرِمَ ابنةَ خالِدِ وما خَيْرُ زادٍ بِالْقَلِيلِ الْمُعَرِّدِ
وَحَيَّتِكَ عَنِّي الشَّمْسُ عِندَ طُلُوعِهَا وَحَيَّاكَ عَنِّي كُلُّ نَاجٍ مُفَرِّدِ
وَحَيَّتِكَ عَنِّي عُصْبَةُ نَخَعِيَّةِ حِسانُ الوُجُوهِ آمَنُوا بِمُحَمَّدِ
أقاموا لِكِسرِي بِضَرِبِونَ جُنودَهُ بِكُلِّ رَفِيقِ الشَّفَرَتَيْنِ مُهَنَّدِ
إِذا ثَوَّبَ الدَّاعِي أَناخُوا بِكُلِّكَلِّ مِنَ المَوْتِ تَشوَدُّ الفِياطِلُ مُجَرِّدِ

وسمع أهل اليمامة مجتازاً يغنى هذه الأبيات :

وَجَدْنَا الأَكْثَرينَ بَنِي نَجمِ غَدَاةَ الرُّوعِ أَصْبَرَهُمُ رِجالا
هُمُ سارُوا بِأَرْعَنَ مُكْتَهَرِ إِلى لَجَبِ فَرَزَنِهِمُ رِعالا
بُحورُ إِلا كاسِرِ مِنَ رِجالِ كَأَسَدِ الغابِ تَحسَبُهُمُ جِبالا
تَرَكَنَ لَهُمُ بِقادِسَ عِزٌّ فَخَرِ وَبالخِيفَتَيْنِ أَيَّاماً طِوالا
مُنْطَمَةً أَكْفَهُمُ وَسُوقُ بِمِردِي حَيْثُ قابَلَتِ الرِّجالا

(۱) ابن الأثير : « توقع » .

(۲) ابن حبيش : « بلدة » .

قال : وسُمِّعَ بنحو ذلك في عامَّة بلاد العرب .

كتب إلى الممرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد والمهلب وطلحة ، قالوا : وكتب سعد بالفتح وبعده مَن قتلوا وبعده مَن أصيب من المسلمين ؛ وسَمَّى لعمر مَن يعرف مع سعد بن عُمَيْلَةَ الفزاري ، وشاركهم النَّضْر بن السري عن ابن الرُّفَيْل بن مَيْسُور ؛ وكان كتابه : أمَّا بعد ؛ فإن الله نصرنا على أهل فارس ، وونحهم سنن مَن كان قبلهم من أهل دينهم ، بعد قتال طويل وزلزال شديد ، وقد لقوا المسلمين بعِدَّة لم ير الرءون مثل زهائها^(١) فلم ينفعهم الله بذلك ، بل سَلَبْتَهُمُوهُ ونقله عنهم إلى المسلمين . واتبعهم المسلمون على الأنهار وعلى طفوف الآجام وفي الفجاج ؛ وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القاري ، وفلان ، وفلان ، ورجال من المسلمين لا نَعَلَمُهُم ، اللهُ بهم عالم ، كانوا يُدَوُّون بالقرآن إذا جنَّ عليهم الليل دَوِيَّ النحل ، وهم آساد النَّاس ؛ لا يشبههم^(٢) الأسود ، ولم يفضل مَن مضى منهم مَن بقي^(٣) إلا بفضل الشهادة إذ لم تُكْتَبْ لهم .

٢٣٦٧/١

كتب إلى الممرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد بن سعيد ، قال : لما^(٤) أتى عمر بن الخطاب^(٥) نزولُ رَسْمِ القادسيَّة ، كان يستخبر الركبَّان عن أهل القادسيَّة من حين يُصبح إلى انتصاف النهار ، ثم يرجع إلى أهله ومنزله . قال : فأمَّا لتي^(٦) البشير سأله من أين^(٧) ؟ فأخبره ، قال : يا عبد الله حدَّثني ، قال : هزم الله العدو^(٨) ، وعمر يخبى معه ويستخبره^(٩) والآخر يسير على ناقته ولا يعرفه^(١٠) ؛ حتى دخل المدينة ، فإذا الناس يسلمون عليه بإمرة المؤمنين ، فقال : فهلاً أخبرتني رحمك الله ، أنك أمير المؤمنين ! وجعل عمر يقول : لا عليك يا أخي !

كتب إلى الممرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب

- | | |
|----------------------------------|------------------------------------|
| (١) الزهاء : العدد أو المقدار . | (٢) ابن حبيش : « لا تشبههم » . |
| (٣) ابن حبيش : « على من بقى » . | (٤) ابن حبيش : « ولما » . |
| (٥) ابن حبيش : « الخبر بنزول » . | (٦) ابن حبيش : « لقيه » . |
| (٧) ابن حبيش : « من أين جاء » . | (٨) ابن الأثير : « المشركين » . |
| (٩) ابن الأثير : « يسأله » . | (١٠) ابن حبيش : « وهو لا يعرفه » . |

وزياد ، قالوا : وأقام المسلمون في انتظار بلوغ البشير وأمر عمر ، يقومون أقباضهم ، ويتحزرون جندهم ، ويرمئون أمورهم . قالوا : وتتابع أهل العراق من أصحاب الأيام الذين شهدوا اليرموك ودمشق ، ورجعوا مُميدين لأهل القادسية؛ فتوافوا بالقادسية من الغد ومن بعد الغد ، وجاء أولهم يوم أغواث ، وآخرهم من بعد الغد من يوم الفتح ، وقدمت أمداد فيها مُراد وهمدان ، ومن أفناء الناس ، فكتبوا فيهم إلى عمر يسألونه عما ينبغي أن يُسار^(١) به فيهم - وهذا الكتاب الثاني بعد الفتح - مع نذير بن عمرو . ولما أتى عمر الفتح قام في الناس فقرأ عليهم الفتح ، وقال : إني حريص على ألا أدع حاجة إلا سدتها ما اتسع بعضنا لبعض ، فإذا عجز ذلك عنا تأسينا في عيشنا حتى نستوي في الكفاة ، ولو ددت أنكم علمتم من نفس مثل الذي وقع فيها لكم ، ولست معلّمكم^(٢) إلا بالعمل^(٣) ؛ إني والله ما أنا بملك فاستعبدكم ، وإنما أنا عبد الله عرض على الأمانة ، فإن أبيتها ورددتا عليكم واتبعنكم حتى تشبعوا في بيوتكم ، وترووا سعدت ، وإن أنا حملتها واستتبعتها^(٤) إلى بيتي شقيت ؛ ففريحت قليلا ، وحزنت طويلا ، وبقيت لا أقال ولا أرد فاستعيب .

٢٣٦٨/١

قالوا : وكتبوا إلى عمر مع أنس بن الحليس : إن أقواما من أهل السواد ادّعوا عهدا ، ولم يُقيم على عهد أهل الأيام لنا ، ولم يف به أحد علمناه إلا أهل بانيقيا وبسما وأهل ألبس الآخرة وادّعى أهل السواد أن فارس أكرههم وحشروهم ؛ فلم يخالفوا إلينا ؛ ولم يذهبوا في الأرض .

٢٣٦٩/١

وكتب مع أبي الهيثاج الأسدي - يعني ابن مالك - إن أهل السواد جلوا ، فجاءنا من أمسك بعهدنا ولم يُجلب علينا ؛ فتمننا لهم ما كان بين المسلمين قبلنا وبينهم ؛ وزعموا أن أهل السواد^(٥) قد لحقوا بالمدائن ، فأحدث إلينا فيمن تم وفيمن جلا وفيمن ادّعى أنه

(٢) ابن حبيش : « مملكوه » .

(٤) كذا في ز .

(١) ز : « يشار » .

(٣) ز : « بالعلم » .

(٥) ابن حبيش : « الأرض » .

استكره وحشر فهرب ولم يقاتل، أو استسلم^(١)؛ فإننا بأرض رغبة^(٢)، والأرض خلاء من أهلها، وعددنا قليل، وقد كثر أهل صلحنا؛ وإن أعمرنا وأوهن لعدونا تألفهم. فقام عمر في الناس فقال: إنه من يعمل بالهوى والمعصية يسقط حظه ولا يضر إلا نفسه، ومن يتبع السنة وينته إلى الشرائع، ويلزم السبيل النهج ابتغاء ما عند الله لأهل الطاعة؛ أصاب أمره، وظفر بحظه، وذلك بأن الله عز وجل يقول: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٣)، وقد ظفر أهل الأيتام والقوادس بما يليهم، وجلا أهلهم، وأتاهم من أقام على عهدهم، فما رأيكم فيمن زعم أنه استكره، وحشر؛ وفيمن لم يدع ذلك ولم يُقيم وجلاً، وفيمن أقام ولم يدع شيئاً، ولم يتجمل، وفيمن استسلم. فأجمعوا على أن الوفاء لمن أقام وكف لم يزد غلبته إلا خيراً، وأن من ادعى فصدق أو وفي فبمترلتهم، وإن كذّب نُبذ إليهم وأعادوا صلحهم؛ وأن يُجعل أمر من جلا إليهم، فإن شاءوا وادعوا وكانوا لهم ذمة، وإن شاءوا تموا على منعه من أرضهم ولم يعطوهم إلا القتال؛ وأن يخبروا من أقام واستسلم: الجزاء، أو الجلاء، وكذلك الفلاح.

٢٣٧٠/١

وكتب جواب كتاب أنس بن الحليس: أمّا بعد؛ فإن الله جل وعلا أنزل في كل شيء رخصة في بعض الحالات إلا في أمرين: العدل في السيرة والذكر؛ فأما الذكر فلا رخصة فيه في حالة، ولم يرض منه إلا بالكثير، وأمّا العدل فلا رخصة فيه في قريب ولا بعيد، ولا في شدة ولا رخاء، والعدل - وإن رئي ليئلاً - فهو أقوى وأظفأ للجور، وأقمع للباطل من الجور، وإن رئي شديداً فهو أنكش للكفر؛ فمن تم على عهده من أهل السواد، ولم يعين عليكم بشيء؛ فلهم الذمة، وعليهم الجزية؛ وأمّا من ادعى أنه استكره ممن لم يخالفهم إليكم أو يذهب في الأرض؛ فلا تصدقوهم بما ادعوا من ذلك إلا أن تشاءوا؛ وإن لم تشاءوا فانبذوا إليهم، وأبلغوهم ما منتهم.

(١) ابن حبيش: «استسلم».

(٢) أرض رغبة: مرغوب فيها.

(٣) سورة الكهف ٤٩.

وأجابهم في كتاب أبي الهيثاج : « أمّا من أقام ولم يتجمل وليس له عهد فلهم ما لأهل العهد^(١) بمقامهم لكم وكفّهم عنكم إجابة ، وكذلك الفلاحون إذا فعلوا ذلك ؛ وكلّ من ادّعى ذلك فصدّق فلهم الذمّة ؛ وإن كذبوا نُبذ إليهم ؛ وأمّا من أعان وجلا^(٢) ؛ فذلك أمرٌ جعله الله لكم ؛ فإن شتم فادعُوهم إلى أن يقيموا^(٣) لكم في أرضهم ، ولم الذمّة ، وعليهم الجزية ؛ وإن كرهوا ذلك ، فاقسموا ما أفاء الله عليكم منهم .

٢٣٧١/١

فلما قدمت كتب عمر على سعد بن مالك والمسلمين عرضوا على من يليهم من جلا وتنحى عن السواد أن يتراجعوا ، ولم الذمّة وعليهم الجزية ، فتراجعوا وصاروا ذمّة كمن تمّ وازم عهده ؛ إلاّ أن خراجهم أثقل ؛ فأنزلوا من ادّعى الاستكراه وهرب منزلتهم وعقدوا لهم ، وأنزلوا من أقام منزلة ذى العهد وكذلك النّلاحين ، ولم يُدخلوا في الصلح ما كان لآل كسرى ، ولا ما كان لمن خرج معهم ، ولم يُجبهم إلى واحدة من اثنتين : الإسلام ، أو الجزاء ، فصارت فينا لمن أفاء الله عليه ؛ فهي والصواني^(٤) الأولى ملك لمن أفاء الله عليه ، وسائر السواد ذمّة وأنخذوهم بخراج كسرى ، وكان خراج كسرى على رؤس الرجال على ما في أيديهم من الحصّة والأموال ، وكان مما أفاء الله عليهم ما كان لآل كسرى ، ومن صوّب معهم وعيال من قاتل معهم وماله ؛ وما كان لبيوت النيران والآجام ومستنقع المياه ، وما كان للسكك ، وما كان لآل كسرى ، فلم يتأتّ قسم ذلك النّى الذى كان لآل كسرى ومن صوّب معهم ؛ لأنه كان متفرّقا في كلّ السواد ، فكان يليه لأهل النّى من وثقوا به ، وتراضوا عليه ؛ فهو الذى يتّداعاه أهل النّى لاعتظم السواد ؛ وكانت الولاية عند تنازعهم فيها تهاون بقسمه بينهم ؛ فذلك الذى شبّه على الجهلة أمر السواد ، وأوأنّ الحلماء جامعوا السفهاء الذين سألوا الولاية قسمه لقسموه بينهم ، واكنّ الحلماء أبوا ، فتابع الولاية الحلماء ، وترك قول السفهاء . كذلك صنع على رحمه الله ، وكلّ من طلب إليه قسم ذلك ، فإنما تابع

٢٣٧٢/٢

(١) ابن حبيش : « المهدة » . (٢) ز : « رجلا » .

(٣) ابن حبيش : « يقوموا » . (٤) الصواني : الأرض والأماكن التى جلا عنها أهلها .

الحُلُمَاء ، وترك قولَ السُّفْهَاء ، وقالوا : لثلاثاً يضرب بعضهم وجوهَ بعض .
 كتب إلى السَّريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ،
 عن عامر الشعبي ، قال : قلت له : السَّواد ما حاله ؟ قال : أخذ عتوةً ،
 وكذلك كلَّ أرضٍ إلا الحصون ، فجلا أهلها ، فدُعوا إلى الصلح والذمة ،
 فأجابوا وتراجعوا ، فصاروا ذمةً ، وعليهم الجزاء ؛ ولم المنعة ، وذلك هو
 السنَّة ، كذلك صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوة ، وبقى ما كان
 لآل كسرى ومَن خرج معهم فيثناً لمن أفاءه الله عليه .

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة وسفيان ، عن
 ماهان ، قالوا : فتح الله السَّوادَ عتوةً — وكذلك كلَّ أرضٍ بينها وبين نهر
 بلخ — إلا حصناً ، ودُعوا إلى الصلح ، فصاروا ذمةً ، وصارت لهم أرضهم
 ولم يدخلوا في ذلك أموال آل كسرى ومَن اتبعهم ، فصارت فيثناً لمن أفاءه الله
 عليه ، ولا يكون شيء من الفتح فيثناً حتى يُقسَم ؛ وهو قوله : ﴿ مَا غَنِمْتُمْ
 مِنْ شَيْءٍ ﴾ ؛ مما اقتسمتم .

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن مسلم ،
 عن الحسن بن أبي الحسن ، قال : عامة ما أخذ المسلمون عتوةً فدعواهم
 إلى الرجوع والذمة ، وعرضوا عليهم الجزاء فقبلوه وبنعوم .
 وعن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الشعبي ، قال : قلت له : إن
 أناساً يزعمون أن أهل السَّواد عبيد ، فقال : فعلام يؤخذ الجزاء من العبيد ؟
 أخذ السَّواد عتوةً ، وكلَّ أرضٍ علمتها إلا حصناً في جبلٍ أو نحوه .
 فدُعوا إلى الرجوع فرجعوا ، وقبل منهم الجزاء ، وصاروا ذمةً ؛ وإنما يُقسَم
 من الغنائم ما تُغنم ؛ فأما ما لم يُغنم وأجاب أهله إلى الجزاء من قبل أن يُغنم ،
 فلهم جرت السنَّة بذلك .

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي ضمرة ، عن
 عبد الله بن المستورد ، عن محمد بن سيرين ، قال : البلدان كانتا أخذت
 عتوةً إلا حصون قليلة ، عاهدوا قبل أن يُنزَلوا . ثم دُعوا — يعني الذين
 أخذوا عتوةً — إلى الرجوع والجزاء ، فصاروا ذمةً أهل السَّواد ، والجبل كله

أمر لم يزل يُصنع في أهل النوى ، وإنما عمل عمر والمسلمون في هذا الجزاء والذمة على إجرياً^(١) ما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، وقد كان بعث خالد بن الوليد من تبوك إلى دومة الجندل ، فأخذها عنوة ، وأخذ ملكها أكيدر بن عبد الملك أسيراً ، فدعاه إلى الذمة والجزاء ، وقد أخذت بلاده عنوة ، وأخذ أسيراً ؛ وكذلك فعل با بنى عريض^(٢) ، وقد أخذها فادعيا أنهما أوداؤه ، فعقد لهما على الجزاء والذمة ، وكذلك كان أمر يُحنه ابن رؤية صاحب أيلة . وليس المعمول به من الأشياء كرواية الخاصة ، من روى غير ما عمل به الأئمة العدول المسلمون ، فقد كذب وطعن عليهم .

٢٣٧٤/١

وعن سيف ، عن حجّاج الصواف ، عن مسلم مولى حذيفة ، قال : تزوج المهاجرون والأنصار في أهل السواد - يعني في أهل الكتابين منهم ، ولو كانوا عبيداً لم يستحلوا ذلك ، ولم يحل لهم أن ينكحوا إماء أهل الكتاب ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً^(٣) ... ﴾ الآية ، ولم يقل : « فتياهم من أهل الكتابين » .

وعن سيف ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن سعيد بن جبّير ، قال : بعث عمر بن الخطاب إلى حذيفة بعد ما ولاه المدائن وكثر المسلمات : إنه بلغني أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب فطلقتها . فكتب إليه : لا أفعل حتى تخبرني : أحلال أم حرام ، وما أردت بذلك ! فكتب إليه : لا بل حلال ، ولكن في نساء الأعاجم خلابة ، فإن أقبلتم عليهن غلبتكم^(٤) على نسائكم . فقال : الآن ؛ فطلقتها .

٢٣٧٥/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أشعث بن سوار ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : شهدت القادسية مع سعد ، فتزوجنا نساء أهل الكتاب ، ونحن لا نجد كثير من نسائهم ، فلما قفلنا ؛ فمنا من طلق ، ومنا من أمسك .

وعن سيف ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن سعيد بن جبّير ، قال :

(٢) ابن حيش : « حريض » .

(٤) ز : « غلبتكم » .

(١) ابن حيش : « على آخر ما » .

(٣) سورة النساء ٢٥ .

أخذ السَّوَادَ عَشْوَةَ ، فدُعُوا إلى الرَّجُوعِ وَالْجِزَاءِ ، فأجابوا إليه ، فصاروا ذمَّةً ، إلا ما كان لآلِ كَسْرِي ، وأتباعهم ، فصار فيئًا لأهله ، وهو الذي يتحجَّى أهل الكوفة إلى أن جهل ذلك ، فحسبوه السَّوَادَ كُلَّهُ ، وأمَّا سوادهم ؛ فذلك .

وعن سيف ، عن المستنير بن يزيد ، عن إبراهيم بن يزيد النخعي ، قال : أخذ السَّوَادَ عَشْوَةَ ، فدُعُوا إلى الرجوع ، فمن أجاب فعليه الجزية وله الذمَّة ، ومن أبى صار ماله فيئًا ، فلا يحل بيع شيء من ذلك النية فيما بين الجبل إلى العذيب من أرض السَّوَادِ ولا في الجبل .

وعن سيف ، عن محمد بن قيس ، عن الشعبي ، بمثله : لا يحل بيع شيء من ذلك النية فيما بين الجبل والعذيب .

٢٣٧٦/١

وعن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن عامر ، قال : أقطع الزبير وخباب وابن مسعود وابن ياسر وابن هبَّارَ أزمانَ عثمان ، فإن يكن عثمان أخطأ فالذين قبلوا منه الخطأ أخطأ ؛ وهم الذين أخذنا عنهم ديننا . وأقطع عمر طلحة وجريير بن عبد الله والرُّبَيْلِ بن عمرو ، وأقطع أبا مُفَرِّزَ دار الفيل في عدد ممن أخذنا عنهم ، وإنما القطائع على وجه النفل من خمس ما أفاء الله . وكتب عمر إلى عثمان بن حنيف مع جريير : أمَّا بعد ؛ فأقطع جريير ابن عبد الله قَدْرَ ما يقوته لا ^(١) وكس ولا شطط فكتب عثمان إلى عمر : إن جريراً قدِمَ عليّ بكتاب منك تُقَطِّعه ما يقوته ، فكرهت أن أمضى ذلك حتى أراجعك فيه . فكتب إليه عمر : أن قد صدق جريير ، فأنفذ ذلك ، وقد أحسنت في مؤامرتي ^(٢) وأقطع أبا موسى . وأقطع عليّ رحمه الله كردوس بن هانيء الكردي وسيئة ، وأقطع سويد بن غفلة الجاني .

وعن سيف ، عن ثابت بن هريم ، عن سويد بن غفلة ، قال : استقطعت علياً رحمه الله ، فقال : اكتب : هذا ما أقطع عليّ سويداً أرضاً لئلا ذوبه ؛ ما بين كذا إلى كذا وما شاء الله .

وعن سيف ، عن المستنير ، عن إبراهيم بن يزيد ، قال : قال عمر : إذا

٢٣٧٧/١

(٢) مؤامرتي ، أي مشاورتي .

(١) ز : « ولا » .

عاهدتم قومًا فأبرءوا إليهم من معرة الجيوش . فكانوا يكتبون في الصلح لمن عاهدوا : « ونبرأ إليكم من معرة الجيوش » .

وقال الواقدي : كانت وقعة القادسية وافتتاحها سنة ست عشرة ، وكان بعض أهل الكوفة يقول : كانت وقعة القادسية سنة خمس عشرة .

قال : والثابت عندنا أنها كانت في سنة أربع عشرة .

وأما محمد بن إسحاق فإنه قال : كانت سنة خمس عشرة ، وقد مضى ذكرى الرواية عنه بذلك .

• • •

ذكر بناء البصرة

قال أبو جعفر : وفي سنة أربع عشرة أمر عمر بن الخطاب رحمه الله - فيما زعم الواقدي - الناس بالقيام في المساجد في شهر رمضان بالمدينة ، وكتب إلى الأمصار يأمر المسلمين بذلك .

وفي هذه السنة - أعني سنة أربع عشرة - وجه عمر بن الخطاب عتبة ابن غزوان إلى البصرة ، وأمره بتزولها بمن معه ، وتطلع مادة أهل فارس عن الدين بالمداين ونواحيها منهم في قول المدائني وروايته .

وزعم سيف أن البصرة مُصرت في ربيع سنة ست عشرة ، وأن عتبة بن غزوان إنما خرج إلى البصرة من المدائن بعد فراغ سعد من جملولاء وتكثيريت والحصنين ؛ وجهه إليها سعد بأمر عمر .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عنه . فحدثني عمر بن شبة ؛ قال :

حدثنا علي بن محمد ، عن أبي مخنف ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال :

قُتل مِهْران سنة أربع عشرة في صفر ، فقال عمر لعتبة - يعني ابن غزوان - :

قد فتح الله جلّ وعزّ على إخوانكم الحيرة وما حولها ، وقتل عظيم من عظامها :

ولست آمن أن يمدّهم إخوانهم من أهل فارس؛ فإني^(١) أريد أن أوجهك إلى أرض الهند^(٢)، لتمنع أهل تلك الجزيرة من إمداد إخوانهم على إخوانكم، وتقاتلهم؛ لعلّ الله أن يفتح عليكم. فمرّ على بركة الله، واتق الله ما استطعت، واحكم بالعدل، وصلّ الصلاة لوقتها، وأكثر ذكر الله. فأقبل عتبة في ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً، وضوى إليه قوم من الأعراب وأهل البوادي، فقدم البصرة في خمسمائة، يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً، فنزلوا في شهر ربيع الأول - أو الآخر - سنة أربع عشرة، والبصرة يومئذ تدعى أرض الهند فيها حجارة بيض خشن، فنزل الخريبة، وليس بها إلا سبع دساكر؛ بالزابوقة والخريبة ووضع بني تميم والأزد: ثنتان بالخريبة، وثنان بالأزد، وثنان في موضع بني تميم وواحدة بالزابوقة. فكتب إلى عمر، ووصف له منزله. فكتب إليه عمر: اجتمع للناس موضعاً واحداً؛ ولا تفرّقهم؛ فأقام عتبة أشهراً لا يغزو ولا يلقى أحداً.

وأما محمد بن بشر؛ فإنه حدثنا، قال: حدثنا صفوان بن عيسى الزهري، قال: حدثنا عمرو بن عيسى أبو نعام العدي، قال: سمعت خالد بن عمير وشوَيْباً أبا الرقاد، قالوا: بعث عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان، فقال له: انطلق أنت ومَنْ معك؛ حتى إذا كنتم في أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم، فأقيدوا. فأقبلوا حتى إذا كانوا بالميربند وجدوا هذا الكذبان^(٣). قالوا: ما هذه البصرة؟ فساروا حتى باغوا حياض الجسر الصغير. فإذا فيه حلائف وقصب نابتة، فقالوا: ها هنا أمرتم، فنزلوا دون صاحب الثرات، فأتوه فقالوا: إننا هنا قوماً معهم راية، وهم يريدونك، فأقبل في أربعة آلاف أسوار، فقال: ما هم إلا ما أرى؛ اجعلوا في أعناقهم الحبال؛ وأتوني بهم؛ فجعل عتبة يترجل^(٤)، وقال: إنني شهدت الحرب^(٥) مع النبي صلّى الله عليه وسلم؛ حتى إذا زالت الشمس، قال: احملاوا؛ فحملاوا عليهم فقتلواهم أجمعين. فلم يبق منهم أحد إلا صاحب الفرات، أخذوه

(١) ابن حبان: «فأنا» . (٢) ابن حبان: «السند» .

(٣) الكنان: حجارة رخوة كالمدار . (٤) يترجل: يرفع صوته .

(٥) ابن حبان: «القتال» .

أسيراً ، فقال عتبة بن غزوان : ابغوا لنا منزلاً هو أنزه من هذا - وكان يوم عكاك^(١) وومد^(٢) - فرفعوا له منبراً ، فقام يخطب ، فقال : إن الدنيا قد نصرت وولت حذاء^(٣) ، ولم يبق منها إلا صباية كصباية^(٤) الإناء . ألا وإنكم منتقلون منها إلى دار القرار ، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم . وقد ذكر لي : لو أن صخرة ألقى من شفير جهنم هوت^(٥) سبعين خريفاً ، ولتُملأته ؛ أوعجبتهم ! ولقد ذكر لي أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ^(٦) بزحام ، ولقد رأيتني وأنا سبع سبعة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، مالنا طعام إلا ورق السمُر ، حتى تقرحت أصداقنا ، والتقطت برودة فشققناها بيني وبين سعد ، فما منا من أولئك السبعة من أحدٍ إلا وهو أمير ميسر من الأمصار ، وسيُجرُّون الناس بعدنا .

٢٣٨٠/١

وعن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو ، قالوا : لما توجه عتبة بن غزوان المازني من بني مازن بن منصور من المدائن إلى فرج الهند ، نزل على الشاطيء بحيال جزيرة العرب ، فأقام قبلاً ثم أرز ، ثم شكوا ذلك حتى أمره عمر بأن ينزل الحجر بعد ثلاثة أوطان إذا اجتمعوا الطين ، فنزلوا في الرابعة البصرة - والبصرة كل أرض حجارها جص - وأمر لهم بنهر يجرى من دجلة ، فساقوا إليها نهراً للشفة ، وكان إيطان أهل البصرة البصرة اليوم وإيطان أهل الكوفة الكوفة اليوم في شهر واحد . فأما أهل الكوفة فكان مقامهم قبل نزولها المدائن إلى أن وطنوها ، وأما أهل البصرة فكان مقامهم على شاطيء دجلة . ثم أرزوا مرات حتى استقرت وابدءوا ، فخنسوا فرسخاً وجرّوا معهم نهراً ، ثم فرسخاً ثم جرّوه ثم فرسخاً ، ثم جرّوه ثم أتوا

٢٣٨١/١

(١) المكاك : شدة الحر مع سكون الريح . وفي ز : « عكاب » ، وهو الفبار .

(٢) الومد : شدة الحر .

(٣) حذاء : أي مسرعة .

(٤) الصباية : البقية .

(٥) الكظيظ : المتل .

(٦) ابن الأثير : « هوت » .

الحجر، ثم جرّوه، واختطت على نحو من خطط الكوفة، وكان على إنزال البصرة أبو الجرباء عاصم بن الدلف، أحد بني غيلان بن مالك بن عمرو بن تميم. وقد كان قطبة بن قتادة - فيما حدثني عمر، قال: حدثنا المدائني عن النضر بن إسحاق السلمي، عن قطبة بن قتادة السدوسي - يغير بناحية الخريبة من البصرة، كما كان المثنى بن حارثة الشيباني يغير بناحية الحيرة. فكتب إلى عمر يعلمه مكانه، وأنه لو كان معه عدد يسير ظفر بمن قبّله من العجم، فنفاهم من بلادهم. وكانت الأعاجم بتلك الناحية قد هابوه بعد وقعة خالد بنهر المرأة، فكتب إليه عمر: إنّه أتاني كتابك أنك تغير على من قبلك من الأعاجم، وقد أصبت ووفقت؛ أقم مكانك، واحذر على من معك من أصحابك حتى يأتيك أمرى. فوجه عمر شريح بن عامر، أحد بني سعد بن بكر إلى البصرة؛ فقال له: كن رداءً للمسلمين بهذه الجزيرة، فأقبل إلى البصرة؛ فترك بها قطبة، ووضى إلى الأهواز حتى انتهى إلى دارس، وفيها مسلحة للأعاجم؛ فقتلوه، وبعث عمر عتبة بن غزوان.

٢٣٨٢/١

حدثنا عمر، قال: حدثني علي، عن عيسى بن يزيد، عن عبد الملك بن حذيفة ومحمد بن الحجاج، عن عبد الملك بن عمير، قال: إن عمر قال لعتبة بن غزوان إذ وجهه إلى البصرة: يا عتبة، إنني قد استعملتك على أرض الهند، وهي حومة من حومة العدو، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها، وأن يعينك عليها. وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمي أن يمدك بعرفجة بن هرثة؛ وهو ذو مجاهدة العدو وكايدته، فإذا قدم عليك فاستشره وقربه، وادع إلى الله؛ فمن أجابك فأقبل منه، ومن أبى فالجزية عن صغار وذلة، وإلا فالسيف في غير هودة. واتق الله فيما وليت، وإيّاك أن تنازعك نفسك إلى كبر يفسد عليك إختوتك، وقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعززت به بعد الذلة، وقويت به بعد الضعف، حتى صرت أميراً مسلطاً وملياً مطاعاً، تقول فيسمع منك، وتأمر فيطاع أمرك، فيألفها نعمة؛ إن لم ترفعك فوق قدرك وتبطرك على من دونك! احتفظ^(١) من النعمة احتفاظك من المعصية؛ ولهي^(٢) أخوفهما عندي عليك

٢٣٨٣/١

(١) ابن الأثير: « واحتفظ » . (٢) ابن حبيش: « وهي » .

أن تستدرجك وتخدعك، فتسقط سقطه تصير بها إلى جهنم، أعيدك بالله ونفسي من ذلك. إن الناس أسرعوا إلى الله حين رفعت لهم الدنيا فأرادوها، فأرد الله ولا ترد الدنيا، واتق مصارع الظالمين.

حدثني عمر بن شبة، قال: حدثنا علي، قال: حدثنا أبو إسماعيل الهمداني

٢٣٨٤/١

وأبو مخنف، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، قال: قدم عتبة بن غزوان البصرة [في (١)]

ثلثمائة، فلما رأى منبت القصب، وسمع نقيق الضفادع قال: إن أمير

المؤمنين أمرني أن أنزل أقصى البر من أرض العرب، وأدنى أرض الريف من

أرض العجم؛ فهذا حيث واجب علينا فيه طاعة إمامنا. فزل الحربية

وبالأبلّة خمسمائة من الأساورة يحمونها. وكانت مرفأ السفن من الصين وما دونها،

فسار عتبة فزل دون الإجمانة، فأقام نحو من شهر، ثم خرج إليه أهل الأبلّة

فناهضهم عتبة، وجعل قطبة بن قتادة السدوسي وقسامة بن زهير المازني في

عشرة فوارس، وقال لهما: كونا في ظهرنا، فرددنا المنهزم، وتمنعا من

أرادنا من ورائنا. ثم التقوا فما اقتتلوا مقدار جزر جزور وقسمها؛ حتى

منحهم الله أكتافهم، وولّوا منهزمين؛ حتى دخلوا المدينة، ورجع عتبة

إلى عسكره، فأقاموا أياماً، وألقى الله في قلوبهم الرعب. فخرجوا عن المدينة،

وحملوا ما خف لهم، وعبّروا إلى الفرات، وخذلوا (٢) المدينة، فدخلها المسلمون

فأصابوا متاعاً وسلاحاً وسبياً وعيناً، فاقسموا العين، فأصاب كل رجل

منهم درهماً، وولّى عتبة نافع بن الحارث أقباض الأبلّة؛ فأخرج

خُمسه، ثم قسم الباقي بين من أفاءه الله عليه؛ وكتب بذلك مع نافع بن الحارث.

وعن بشير بن عبيد الله؛ قال: قتل نافع بن الحارث يوم الأبلّة تسعة،

وأبو بكر ستة.

وعن داود بن أبي هند، قال: أصاب المسلمون بالأبلّة من الدراهم ستمائة

درهم، فأخذ كل رجل درهدين، ففرض عمر لأصحاب الدرهمين مدين

أخذهما من فتح الأبلّة في ألفين من العطاء، وكانوا ثلثمائة رجل، وكان فتح

الأبلّة في رجب، أو في شعبان من هذه السنة.

(١) من هنا يبدأ النقص الموجود بالخطوط التي رجع إليها مصححو ط وآخروه في ص ٦١٥

(٢) خلوها: تركوها.

س ٨ من هذا الجزء.

وعن الشعبي ، قال : شهد فتح الأبلّة مائتان وسبعون ، فيهم أبو بكرّة ، ونافع بن الحارث ، وشيبل بن معبد ، والمغيرة بن شعبة ، ومُجاشع بن مسعود ، وأبو مريم الباسوي ، وربيعه بن ككلة بن أبي الصلت الثقي ، والحجاج .

وعن عباية بن عبد عمرو ، قال : شهدت فتح الأبلّة مع عتبة ، فبعث نافع بن الحارث إلى عمر رحمه الله بالفتح ، وجمع لنا أهل دست ميسان ، فقال عتبة : أرى أن نسير إليهم ، فسرنا فلقينا مرزبان دست ميسان ، فقاتلناه ، فانهزم أصحابه وأخذ أسيراً ، فأخذ قباؤه ومنطقته ، فبعث به عتبة مع أنس ابن حُجّية اليشكري .

٢٣٨٦/١ وعن أبي الملك الهذلي ، قال : بعث عتبة أنس بن حُجّية إلى عمر بمنطقة مرزبان دست ميسان ، فقال له : كيف المسلمون ؟ قال : انثالت عليهم الدنيا ، فهم يتهيلون الذهب والفضة . فرغب الناس في البصرة ، فأنوها .

وعن علي بن زيد ، قال : لما فرغ عتبة من الأبلّة ، جمع له مرزبان دست ميسان ، فسار إليه عتبة من الأبلّة ، فقتله ، ثم سرح مجاشع بن مسعود إلى الفرات وبها مدينة . ووفد عتبة إلى عمر ، وأمر المغيرة أن يصلّي بالناس حتى يقدم مجاشع من الفرات ، فإذا قدم فهو الأمير . فظفر مجاشع بأهل الفرات ، ورجع إلى البصرة وجمع الفيكاكان^(١) ؛ عظيم من عظماء أبتز قباذ^(٢) للمسلمين ، فخرج إليه المغيرة بن شعبة ، فلقيه بالمرغاب ، فظفر به ، فكتب إلى عمر بالفتح ، فقال عمر لعتبة : من استعملت على البصرة ؟ قال : مجاشع بن مسعود ، قال : تستعمل رجلا من أهل الوبر على أهل المدر ؟ تدرى ما حدث ! قال : لا ، فأخبره بما كان من أمر المغيرة ، وأمره أن يرجع إلى عمله ، فمات عتبة في

(١) ابن حبيش : « الميلكان » ، ابن الأثير : « الفيكاكان » .

(٢) ابن حبيش : « أبرقباد » .

الطريق ، واستعمل عمرُ المغيرةَ بن شعبة .

وعن عبد الرحمن بن جـَوْشَن ، قال : شخص عُنْبَةَ بعد ما قتل مرزبان دَسْت مَيْسَانَ ، ووجه مجاشعاً إلى الفرات ، واستخلفه على عمله ، وأمر المغيرة ابن شعبة بالصلاة حتى يرجع مجاشع من الفرات ، وجمع أهل مَيْسَانَ ، فلقبهم المغيرة ، وظهر عليهم قبل قدوم مجاشع من الفرات ، وبعث بالفتح إلى عمر .

الطبري ، بإسناده عن قتادة ، قال : جمع أهل مَيْسَانَ للمسلمين ، فسار إليهم المغيرة ، وخلف المغيرة الأثقال ، فلقى العدو دون دجلة ، فقالت أُرْدَةُ بنت الحارث بن كَسَّادَةَ : لو لحقنا بالمسلمين فكنا معهم ! فاعتقدت لواءً من خمارها ، واتخذت النساء من خمرهن رايات ، وخرجن يُرِدْنَ المسلمين ، فانتهين إليهم ، والمشركون يقاتلونهم ، فلما رأى المشركون الرايات مقبلة ، ظنوا أن مدداً أتى المسلمين فانكشفوا ، وأتبعهم المسلمون فقتلوا منهم عدة .

٢٣٨٧/١

وعن حارثة بن مُضَرَّب ، قال : فتحت الأبلَّةُ عَنوةً ، فقم بينهم عتبة - كَكَّة - يعني خبزاً أبيض . وعن محمد بن سيرين مثله .

قال الطبري ، وكان ممن سبى من مَيْسَانَ يسار أبو الحسن البصري ، وأرطبان جد عبد الله بن عون بن أرطبان .

وعن المثني بن موسى بن سلمة بن المحبق ، عن أبيه ، عن جده ، قال : شهدت فتح الأبلَّة ، فوقع لي في سهمي قيدر نحاس ، فلما نظرت إذا هي ذهب فيها ثمانون ألف مثقال ، فكتب في ذلك إلى عمر ، فكتب أن يُصَبَّر^(١) بين سلمة بالله لقد أخذها وهي عنده نحاس ، فإن حلف سلَّمت إليه ؛ وإلا قسمت بين المسلمين . قال : فحلفت ، فسلَّمت لي .

قال المثني : فأصول أموالنا اليوم منها .

(١) في اللسان : « ومن هذا يمين الصبر ، وهو أن يحبس السلطان على اليمين حتى

يحلف بها » .

وعن عمرة ابنة قيس ، قالت : لما خرج الناس لقتال أهل الأبلّة خرج زوجي وابني معهم ، فأخذوا الدرهمين وكنوك زبيب^(١) ، وإنهم مضوا حتى إذا كانوا حيال الأبلّة ، قالوا للعدو ، نعب إلكم أو تعبرون إلينا ؟ قال : بل اعبروا إلينا ، فأخذوا خشب العُشتر^(٢) فأوثقوه ، وعبروا إليهم ، فقال المشركون : لا تأخذوا أولهم حتى يعبّر آخرهم . فلما صاروا على لأرض كبروا تكبيرة ، ثم كبروا الثانية ، فقامت دوابهم على أرجلها ؛ ثم كبروا الثالثة ، فجعلت الدابة تضرب بصاحبها الأرض ، وجعلنا ننظر إلى رؤوس تُندَر ، ما نرى من يضربها ؛ وفتح الله على أيديهم .

٢٣٨٨/١

المدائني ، قال : كانت عند عتبة صفية بنت الحارث بن كلابدة ، وكانت أختها أردة بنت الحارث عند شيبيل بن معبد البجلي ، فلما ولي عتبة البصرة انحدر معه أصهاره : أبو بكر ، ونافع ، وشيبيل بن معبد ؛ وانحدر معهم زياد ؛ فلما فتحوا الأبلّة لم يجدوا قاسماً يقم بينهم ، فكان زياد قاسمهم ؛ وهو ابن أربع عشرة سنة ، له ذؤابة ، فأجروا عليه كل يوم درهمين .

وقيل : إن إمارة عتبة البصرة كانت سنة خمس عشرة ، وقيل ست عشرة ؛ والأول أصح ؛ فكانت إمارته عليها ستة أشهر .

واستعمل عمر على البصرة المغيرة بن شعبة فبقي سنتين ، ثم رُمي بمارمى ؛ واستعمل أبا موسى ، وقيل استعمل بعد عتبة أبا موسى ، وبعده المغيرة .

وفيها - أعني سنة أربع عشرة - ضرب عمر ابنه عبيد الله وأصحابه في شراب شربوه وأبا محجن .

وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب ، وكان على مكة عتاب بن أسيد في قول ، وعلى اليمن يعلّى بن مُنية ، وعلى الكوفة سعد بن أبي وقاص ،

وعلى الشام أبو عبيدة بن الجراح ، وعلى البحرين عثمان بن أبي العاص - وقيل :
العلاء بن الحضرمي - وعلى عُمان حذيفة بن محصن .

٢٣٨٩/١

(١) المكوك : مكيال يسع صاعاً ونصف صاع .

(٢) العُشتر كصرد : شجر فيه حراق لم يفتح الناس في أجود منه .

ثم دخلت سنة خمس عشرة

قال ابن جرير : قال بعضهم : فيها مصر سعد بن أبي وقاص الكوفة ؛
دلهم عليها^(١) ابن بَقَيْلَةَ ؛ قال لسعد : أدلك على أرض ارتفعت عن^(٢)
البق ، وانحدرت عن الفلاة ! فدلتهم على موضع الكوفة اليوم .

• • •

ذكر الوقعة بمرج الروم

وفي هذه السنة كانت الوقعة بمرج الروم ، وكان من ذلك أن أبا عبيدة
خرج بخالد بن الوليد من فيحل إلى حِمْنَص ، وانصرف بمن أضيف إليهم
من اليَرموك ؛ فنزلوا جميعاً على ذى الكلاع ، وقد بلغ الخبر هرقل ،
فبعث توذرا البطريرق حتى نزل بمرج دمشق وغربها ، فبدأ أبو عبيدة بمرج
الروم وجمعهم هذا ، وقد هجم الشتاء عليهم والجراح فيهم فاشية ، فلما نزل
على القوم بمرج الروم نازله يوم نزل عليه شنس الرومي ، في مثل خيل توذرا ؛
إمداداً لتوذرا ورداء لأهل حمص ؛ فنزل في عسكر على حدة ، فلما كان
من الليل أصبحت الأرض من توذرا بلاقع ، وكان خالد بإزائه وأبو عبيدة بإزاء
شنس ، وأتى خالداً الخبر أن توذرا قد رحل إلى دمشق ، فأجمع رأيه ورأى
أبي عبيدة أن يتبعه خالد ، فأتبعه خالد من ليلته في جريدة ؛ وقد بلغ يزيد بن
أبي سفيان الذي فعل^(٣) ، فاستقبله فاقتتلوا ، ولحق بهم خالد وهم يقتتلون ؛
فأخذهم من خلفهم ، فقتلوا من بين أيديهم ومن خلفهم ؛ فأناموهم ولم يفلت
منهم إلا الشريد ؛ فأصاب المسلمون ما شاءوا من ظَهْرٍ وأداة وثياب ، وقمم

٢٣٩٠/١

(١) ابن الأثير : « على موضعها » .

(٢) ابن الأثير : « من » .

(٣) ابن الأثير : « فعل توذرا » ، النويري : « الخبر » .

ذلك يزيد بن أبي سفيان على أصحابه وأصحاب خالد ، ثم انصرف يزيد إلى دمشق ، وانصرف خالد إلى أبي عبيدة ، وقد قتل خالد توذرا ، وقال خالد :

نَحْنُ قَتَلْنَا تَوذَرًا وَشَوذَرًا وَقَبْلَهُ مَا قَدْ قَتَلْنَا حَيْدَرًا

• نَحْنُ أَزَرْنَا الْفَيْضَةَ الْأَكِيدَرَا •

وقد ناهد أبو عبيدة بعد خروج خالد في أثر توذرا شنس ، فاقتتلوا بمرج الروم ، فقتلهم مقتلة عظيمة ، وقتل أبو عبيدة شنس ، وامتلأ المرج من قتلاهم ، فأننت منهم الأرض ، وهرب من هرب منهم ، فلم يفلتهم ، وركبوا أكساءهم إلى حمص^(١) .

• • •

ذكر فتح حمص

حكى الطبري عن سيف ، في كتابه ، عن أبي عثمان . قال : ولما بلغ هرقل الخبر بمقتل أهل المرج ، أمر أمير حمص بالسَّير والمضي إلى حمص ، وقال : إنه بلغني أن طعامهم لحوم الإبل ، وشرابهم ألبانها ، وهذا الشتاء فلا تُقَاتلُوهم إلا في كل يوم بارد ، فإنه لا يبقى إلى الصيف منهم أحد ، هذا جُلّ طعامه وشرابه . وارتحل من عسكره ذلك ، فأتى الرُّهاء ، وأخذ عامله بـحمص ، وأقبل أبو عبيدة حتى نزل على حمص ، وأقبل خالد بعده حتى ينزل عليها ، فكانوا يُغادون المسلمين ويرارحونهم في كل يوم بارد ؛ وبقى المسلمون بها برداً شديداً ، والروم حصاراً طويلاً ، فأما المسلمون فصبروا ورابطوا ، وأفرغ الله عليهم الصبر ، وأعقبهم النصر ، حتى اضطرب الشتاء ، وإنما تمسك القوم بالمدينة رجاء أن يهاكهم الشتاء .

وعن أبي الزهراء القشيري ، عن رجل من قومه ، قال : كان أهل حمص

(١) الأكساء هنا : الأدبار ؛ يريد أنهم تبجروا .

يتواصون فيما بينهم ، ويقولون : تمسكوا فإنهم حُفَاة ، فإذا أصابهم البرد
نقطعت أقدامهم مع ما يأكلون ويشربون ؛ فكانت الروم تراجِعُ ، وقد سقطت
أقدام بعضهم في خفافهم ، وإن المسلمين في النعال ما أصيب أصبع أحد
منهم ، حتى إذا انخنس الشتاء ، قام فيهم شيخ لهم يدعوهم إلى مصالحة
المسلمين . قالوا : كيف والملاك في سلطانه وعزّه ، ليس بيننا وبينهم شيء !
فتركهم ؛ وقام فيهم آخر فقال : ذهب الشتاء ، وانقطع الرجاء ، فما تنتظرون ؟
فقالوا : البرسام ، فإنما يسكن في الشتاء ويظهر في الصيف ، فقال : إن
هؤلاء قوم يُعانون ؛ ولأن تأتوهم بعهد وميثاق ، خير من أن تؤخذوا عتوة ؛
أجيبوني محمودين قبل أن تجيبوني مذموين ! فقالوا : شيخ نحرف ، ولا علم
له بالحرب .

وعن أشياخ من غسان وبلقين ، قالوا : أتاب الله المسلمين على صبرهم
أيام حِمْنِص أن زلزل بأهل حِمْنِص ؛ وذلك أن المسلمين ناهدوهم ، فكبروا
تكبيرة زلزلت معها الروم في المدينة ، وتصدعت الحيطان ، ففزعوا إلى رؤسائهم
وإلى ذوى رأيهم ممن كان يدعوهم إلى المسألة ، فلم يجيبوهم وأذلوهم بذلك ،
ثم كبروا الثانية ، فتهافتت منها دور كثيرة وسحطان ؛ وفزعوا إلى رؤسائهم
وذوى رأيهم ، فقالوا : ألا ترون إلى عذاب الله ! فأجابوهم : لا يطلب الصلح
غيركم ؛ فأشرفوا فنادوا : الصلح الصلح ! ولا يشعر المسلمون بما حدث فيهم ،
فأجابوهم وقبلوا منهم على أنصاف دورهم ، وعلى أن يترك المسلمون أموال الروم
وبنيانهم ؛ لا ينزلونه عليهم ، فتركوه لهم ، فصالح بعضهم على صلح دمشق
على دينار وطعام ، على كل جريب أبدا أيسروا أو أعسروا . وصالح
بعضهم على قدر طاقته ؛ إن زاد ماله زيد عليه ، وإن نقص نُقص ، وكذلك
كان صلح دمشق والأردن ؛ بعضهم على شيء إن أيسروا وإن أعسروا ،
وبعضهم على قدر طاقته ، وولتوا مُعاملة ما جلا ملوكهم عنه .

٢٣٩٢/١

وبعث أبو عبيدة السَّمِطَ بن الأسود في بني معاوية ، والأشعث بن ميثان في
السكون ، معه ابن عابِس ، والمقداد في بَلِيّ ، وبلالا وخالد في الجيش ، والصباح

ابن شَتِيرٍ وَذُهَيْلِ بْنِ عَطِيَّةٍ وَذَا شَمِيسَانَ ، فَكَانُوا فِي قَصَبَتِهَا . وَأَقَامَ فِي عَسْكَرِهِ ، وَكَتَبَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَرَبِيِّ بِالْفَتْحِ ، وَبَعَثَ بِالْأَخْمَاسِ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَقَدْ وَفَّقَهُ . وَأَخْبَرَ خَبْرَ هِرَقْلَ ؛ وَأَنَّهُ عَبَرَ الْمَاءَ إِلَى الْجَزِيرَةِ ، فَهُوَ بِالرُّهَاءِ يَنْغَمِسُ أحياناً ، وَيَطْلَعُ أحياناً . فَقَدِمَ ابْنُ مَسْعُودٍ عَلَى عَمْرِو بْنِ الْعَرَبِيِّ ، ثُمَّ بَعَثَهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى سَعْدِ بْنِ الْكُوفَةِ ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ : أَنَّ أُمَّمَ فِي مَدِينَتِكَ وَادْعُ أَهْلَ الْقَوْمَةِ وَالْجَلَدَ مِنْ عَرَبِ الشَّامِ ، فَإِنِّي غَيْرُ تَارِكِ الْبُعْثَةِ إِلَيْكَ بَعْنِ يَكَانْفِكَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

• • •

حَدِيثُ قِنْسَرِينَ

وَعَنْ أَبِي عَثْمَانَ وَجَارِيَةٍ ، قَالَا : وَبَعَثَ أَبُو عُبَيْدَةَ بَعْدَ فَتْحِ حِمَصَ خَالِدَ ابْنَ الْوَلِيدِ إِلَى قِنْسَرِينَ ، فَلَمَّا نَزَلَ بِالْحَاضِرِ زَحَفَ إِلَيْهِمُ الرُّومُ ، وَعَلَيْهِمْ مِينَاسٌ ، وَهُوَ رَأْسُ الرُّومِ وَأَعْظَمُهُمْ فِيهِمْ بَعْدَ هِرَقْلَ ، فَالتَقُوا بِالْحَاضِرِ ، فَقتِلَ مِينَاسٌ وَمَنْ مَعَهُ مَقْتَلَةً^(١) لَمْ يُقْتَلُوا مِثْلَهَا ، فَأَمَّا الرُّومُ فَمَاتُوا عَلَى دَمِهِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَأَمَّا أَهْلُ الْحَاضِرِ فَأَرْسَلُوا إِلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ أَنَّهُمْ عَرَبٌ ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا حُشِرُوا وَلَمْ يَكُنْ مِنْ رَأْيِهِمْ حَرْبُهُ ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ وَتَرَكَهُمْ . وَلَمَّا بَلَغَ عَمْرٌو ذَلِكَ قَالَ : أَمْرُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ نَفْسَهُ ؛ يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ ؛ هُوَ كَانَ أَعْلَمَ بِالرَّجَالِ مِنْنِي ، وَقَدْ كَانَ عَزَلَهُ وَالْمُنْتَهَى مَعَ قِيَامِهِ ، وَقَالَ : إِنِّي لَمْ أُعْزَلْهُمَا عَنْ رِيْبَةٍ ؛ وَلَكِنْ النَّاسُ عَظَمُوهُمَا ، فَخَشِيتُ أَنْ يُوَكَّلُوا إِلَيْهِمَا . فَلَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ قِنْسَرِينَ مَا كَانَ ، رَجَعَ عَنْ رَأْيِهِ ، وَسَارَ خَالِدٌ حَتَّى نَزَلَ قِنْسَرِينَ ، فَتَحَصَّنُوا مِنْهُ . فَقَالَ : إِنَّكُمْ لَوْ كُنْتُمْ فِي السَّحَابِ لَحَمَلْنَا اللَّهُ إِلَيْكُمْ أَوْ لَأَنْزَلَكُمْ اللَّهُ إِلَيْنَا . قَالَ : فَانظَرُوا فِي أَمْرِهِمْ ، وَذَكَرُوا مَا لَقِيَ أَهْلُ حِمَصَ ؛ فَصَالِحُ حِمَصَ ، فَأَبَى إِلَّا عَلَى إِخْرَابِ الْمَدِينَةِ فَأَخْرَبَهَا ، وَاتَّطَّأَتْ حِمَصَ وَقِنْسَرِينَ ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ خَنَسَ^(٢) هِرَقْلُ ؛ وَإِنَّمَا كَانَ سَبَبُ خَنُوسِهِ أَنَّ خَالِدًا حِينَ قَتَلَ مِينَاسَ وَمَاتَ الرُّومُ عَلَى دَمِهِ ، وَعَقَدَ لِأَهْلِ الْحَاضِرِ وَتَرَكَ قِنْسَرِينَ ، طَلَعَ مِنْ قِبَلِ الْكُوفَةِ عَمْرٌو

(١) ابن الأثير : « مقتلة عظيمة » .

(٢) خنس خنوساً : رجع وتأخر .

ابن مالك من قبل قرقيسيا، وعبد الله بن المعتم من قبل الموصل، والوليد ابن عقبة من بلاد بني تغلب وعرب الجزيرة، وطووا مدائن الجزيرة من نحو هرقل، وأهل الجزيرة في حران والرقّة ونصيبين وذواتها لم يُغرضوا غرضهم؛ حتى يرجعوا إليهم؛ إلا أنهم خلفوا في الجزيرة الوليد لثلاثاً يؤثروا من خلفهم؛ فأدرب خالد وعياض مما يلي الشام، وأدرب عمر وعبد الله مما يلي الجزيرة؛ ولم يكونوا أدربوا قبله؛ ثم رجعوا، فهي أول مُدربة كانت في الإسلام سنة ست عشرة. فرجع خالد إلى قنسرين فنزلها، وأتته امرأته، فلما عزله قال: إن عمر ولا تقي الشام حتى إذا صارت بثنية وعسلا عزلني^(١).

قال أبو جعفر الطبري: ثم خرج هرقل نحو القسطنطينية، فاختلف في حين شخوصه إليها وتركه بلاد الشام؛ فقال ابن إسحاق: كان ذلك سنة خمس عشرة؛ وقال سيف: كان سنة ست عشرة.

• • •

ذكر خبر ارتحال هرقل إلى القسطنطينية

٢٣٩٥ / ١

ذكر سيف عن أبي الزهراء القشيري، عن رجل من بني قشير، قالوا: لما خرج هرقل من الرها واستبج أهلها، قالوا: نحن ها هنا خير منا معك، وأبو أن يتبعوه، وتفرقوا عنه وعن المسلمين؛ وكان أول من أنبح كلابها، وأنفر^(٢) دجاجها زياد بن حنظلة، وكان من الصحابة، وكان مع عمر ابن مالك مسانده، وكان حليفاً لبني عبد بن قصى؛ وقبل ذلك ما قد خرج هرقل حتى شيدشاط؛ فلما نزل القوم الرها أدرب فنجد نحو القسطنطينية، ولحقه رجل من الروم كان أسيراً في أيدي المسلمين، فأقلت: فقال له: أخبرني عن هؤلاء القوم، فقال: أحدثك كأنك تنظر إليهم؛ فرسان بالنهار وورهبان بالليل، ما يأكلون في ذمتهم إلا بثمن، ولا يدخلون إلا بسلام، يقفون على

(١) البنية: نسبة إلى البنة، بلدة بدمشق مشهورة بالحنطة الجيدة.

(٢) ابن الأثير: «ونفر».

مَنْ حَارِبِهِمْ حَتَّى يَأْتُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : لَنْ كُنْتُ صَدَقْتَنِي لِيرْثُنَّ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ .

وعن عبادة ونخالد ، أن هرقل كان كلما حج بيت المقدس فخلف سورية ، وظعن في أرض الروم التفت فقال : عليك السلام يا سورية تسليم مودع لم يقض منك وطره ، وهو عائد . فلما توجه المسلمون نحو حمص عبر الماء ، فنزل الرهاء ، فلم يزل بها حتى طلع أهل الكوفة وفتحت قيسرين وقتيل مينا ، فخنس عند ذلك إلى شمشاط ؛ حتى إذا فصل منها نحو الروم علا على شرف ، فالتفت ونظر نحو سورية ، وقال : عليك السلام يا سورية ، سلاماً (١) لا اجتماع بعده ، ولا يعود إليك رومي أبداً إلا خائفاً ، حتى يولد المولود المشنوم ، وياليت لا يولد ! ما أحلتي فعلته ، وأمر عاقبته على الروم !

٢٣٩٦/١

وعن أبي الزهراء وعمرو بن ميمون ، قالوا : لما فصل هرقل من شمشاط داخل الروم التفت إلى سورية ، فقال : قد كنت سلمت عليك تسليم المسافر ، فأما اليوم فعليك السلام يا سورية تسلم المفاوق ، ولا يعود إليك رومي أبداً إلا خائفاً ، حتى يولد المولود المشنوم ، وليته لم يولد ! ومضى حتى نزل القسطنطينية . وأخذ أهل الحصون التي بين إسكندرية وطرسوس معه ؛ لئلا يسير المسلمون في عمارة ما بين أنطاكية وبلاد الروم ، وشعث الحصون ، فكان المسلمون لا يجدون بها أحداً ، وربما كن عندها الروم ؛ فأصابوا غير المتخلفين ، فاحتاط المسلمون لذلك .

• • •

ذكر فتح قيسارية وحضر غزوة

- كرسيف ، عن أبي عثمان وأبي حارثة ، عن خالد وعبادة ، قالوا : لما

٢٣٩٧/١

انصرف أبو عبيدة ونخالد إلى حمص من فيحل ، نزل عمرو وشرجيل على بيتسان فافتحاها ، وصالحته الأردن ، واجتمع عسكر الروم بأجناديين .

(١) ابن الأثير : « سلام » .

وبَيْسَانَ وَغَزَّةَ ، وَكَتَبُوا إِلَى عُمَرَ بِتَفْرِيقِهِمْ ، فَكَتَبَ إِلَى يَزِيدَ بَأَنَّ يَدْفِي ظُهُورَهُمْ بِالرَّجَالِ ، وَأَنَّ يَسْرَحَ مَعَاوِيَةَ إِلَى قَيْسَارِيَّةَ . وَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بِأَمْرِهِ بِصَدْمِ الْأَرْطَبُونَ ، وَإِلَى عُلُقَمَةَ بِصَدْمِ الْفَيْقَارِ .

وَكَانَ كِتَابُ عُمَرَ إِلَى مَعَاوِيَةَ : أَمَا بَعْدَ ، فَإِنِّي قَدْ وَلَيْتُكَ قَيْسَارِيَّةَ ، فَسِرْ إِلَيْهَا وَاسْتَنْصِرِ اللَّهَ عَلَيْهِمْ ، وَأَكْثَرُ مِنْ قَوْلِ : « لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، اللَّهُ رَبُّنَا وَثِقَتُنَا وَرِجَاؤُنَا وَمَوْلَانَا ، نَعْمُ الْمَوْلَى وَنَعْمُ النَّصِيرُ » . فَانْتَهَى الرَّجُلَانِ إِلَى مَا أَمَرَا بِهِ ، وَسَارَ مَعَاوِيَةُ فِي جُنْدِهِ حَتَّى نَزَلَ عَلَى أَهْلِ قَيْسَارِيَّةَ وَعَلَيْهِمْ أَبْنَى ، فَهَزَمَهُ وَحَصَرَهُ فِي قَيْسَارِيَّةَ . ثُمَّ إِنَّهُمْ جَعَلُوا يَزَاخِفُونَهُ ، وَجَعَلُوا لَا يَزَاخِفُونَهُ مِنْ مَرَّةٍ إِلَّا هَزَمَهُمْ وَرَدَّهُمْ إِلَى حَصْنِهِمْ . ثُمَّ زَاخَفُوهُ آخِرَ ذَلِكَ ، وَخَرَجُوا مِنْ صِيَاصِبِهِمْ ، فَاقْتَتَلُوا فِي حَفِيظَةَ وَاسْتِمَاتَةَ ، فَبَلَغَتْ قَتْلَاهُمْ فِي الْمَعْرَكَةِ ثَمَانِينَ أَلْفًا ، وَكَتَلَهَا فِي هَزِيمَتِهِمْ مِائَةَ أَلْفٍ ، وَبَعَثَ بِالْفَتْحِ مَعَ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي الضُّبَيْبِ ، ثُمَّ خَافَ مِنْهُمَا الضُّعْفَ ، فَبَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُلُقَمَةَ الْفِرَاسِيَّ وَزُهَيْرَ بْنَ الْحِلَابِ الْحِثْعَمِيَّ ، وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَتَّبِعَا هُمَا وَيَسْبِقَا هُمَا ، فَاحْقَا هُمَا ، فَطَوَّيَا هُمَا وَهَمَّا نَائِمَانِ . وَابْنُ عُلُقَمَةَ يَتَمَثَّلُ وَهِيَ هِجَابُهَا :

أَرَّقَ عَيْنِي أَخَوَا جُدَامٍ كَيْفَ أَنَامُ وَهَمَّا أَمَامِي !
إِذْ يَرْحَلَانِ وَالْمَهْجِرُ طَائِي أَخُو حُسَيْمٍ وَأَخُو حَرَامِ

وَإِنِطَلَقَ عُلُقَمَةَ بْنُ مُجَزَّرَ ، فَحَصَرَ الْفَيْقَارَ بِغَزَّةَ ، وَجَعَلَ يِرَاسُهُ ، فَلَمْ يَشْفِهِ مِمَّا يَرِيدُ أَحَدٌ ؛ فَأَتَاهُ كَأَنَّهُ رَسُولُ عُلُقَمَةَ ، فَأَمَرَ الْفَيْقَارَ رَجُلًا أَنْ يَقْعُدَ لَهُ بِالطَّرِيقِ ، فَلِذَا مَرَّ قَتَلَهُ ، فَفَطِنَ عُلُقَمَةَ ، فَقَالَ : إِنَّ مَعِيَ نَفْرًا شُرَكَائِي فِي الرَّأْيِ ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِيكَ بِهِمْ ؛ فَبَعَثَ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ : لَا تَعْرَضْ لَهُ . فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَلَمْ يَتَّعُدْ ، وَفَعَلَ كَمَا فَعَلَ عُمَرُ بِالْأَرْطَبُونَ ، وَانْتَهَى بِرِيدِ مَعَاوِيَةَ إِلَى عُمَرَ بِالْحَبَرِ ، فَجَمَعَ النَّاسَ وَأَبَاتَهُمْ عَلَى الْفَرَحِ لَيْلًا ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَقَالَ : لَتَحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى فَتْحِ قَيْسَارِيَّةَ ، وَجَعَلَ مَعَاوِيَةَ قَبْلَ الْفَتْحِ وَبَعْدَهُ يَحْمَسُ الْأَسْرَى عِنْدَهُ ، وَيَقُولُ : مَا صَنَعَ مِيخَائِيلُ بِأَسْرَانَا صَنَعْنَا بِأَسْرَاهِمِ مِثْلَهُ ، فَفَطِنَهُ عَنِ الْعَيْثِ بِأَسْرَى الْمُسْلِمِينَ حَتَّى افْتَتَحَهَا .

ذكر فتح بيسان ووقعة أجنادين

ولمّا توجه علقمة إلى غزّة وتوجه معاوية إلى قيسارية، صمد عمرو بن العاص إلى الأرتطوبون، ومرّ بإزائه، وخرج معه شريحيل بن حسنة على مقدمته، واستخلف على عمل الأردنّ أبا الأعور، وولى عمرو بن العاص مجنّبيه عبد الله بن عمرو وجنادة بن تميم المالكي، مالك بن كنانة، فخرج حتى ينزل على الروم بأجنادين، والروم في حصونهم وخنادقهم وعليهم الأرتطوبون. وكان الأرتطوبون أدهى الروم وأبعدّها غوراً، وأنكأها فعلاً، وقد كان وضع بالرملة جنداً عظيماً، وبإيلياء جنداً عظيماً؛ وكتب عمرو إلى عمر بالخبر؛ فلما جاءه كتاب عمرو، قال: قد رمينا أرتطوبون الروم بأرتطوبون العرب، فانظروا عمّ تنفرج^(١)! وجعل عمر رحمه الله من لدن وجه أمراء الشام يمدّ كلّ أمير جند ويرميه بالأمداد؛ حتى إذا أتاه كتاب عمرو بتفريق الروم، كتب إلى يزيد أن يبعث معاوية في خيله إلى قيسارية، وكتب إلى معاوية بإمرته على قتال أهل قيسارية؛ وليشغلهم عن عمرو؛ وكان عمرو قد استعمل علقمة ابن حكيم الفراسي ومسروق بن فلان العكيّ على قتال أهل إيلياء، فصاروا بإزاء أهل إيلياء، فشغلهم عن عمرو، وبعث أبا أيوب المالكي إلى الرملة، وعليها التذّارق، وكان بإزائهما، ولما تابعت الأمداد على عمرو، بعث محمد بن عمرو مدداً لعلقمة ومسروق، وبعث عمارة بن عمرو بن أمية الضمريّ مدداً لأبي أيوب، وأقام عمرو على أجنادين لا يقدر من الأرتطوبون على سقطة، ولا تشفيه الرّسل، فولية بنفسه، فدخل عليه كأنه رسول، فأبلغه ما يريد، وسمع كلامه، وتأمّل حصونه حتى عرف ما أراد. وقال أرتطوبون في نفسه: والله إنّ هذا لعمر، أو إنه لتلذّي يأخذ عمرو برأيه؛ وما كنت لأصيب القوم بأمر أعظمّ عليهم من قتله. ثم دعا حرسياً فسارّه بقتله، فقال: اخرج. فقم مكان كذا وكذا، فإذا مرّ بك فاقتله، وفطين له عمرو، فقال: قد سمعت مني وسمعت منك، فأما ما قلتّه فقد وقع مني

(١) ابن الأثير والنويري: «تنفرج».

موقعاً ؛ وأنا واحد من عشرة ؛ بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالى لنكافئه^(١) ويشهدنا أموره ، فأرجع فأتيك بهم الآن ، فإن رأوا فى الذى عرضت مثل الذى أرى ، فقد رآه أهل العسكر والأمير ؛ وإن لم يروه رددتهم إلى مأمئهم ، وكنت على رأس أمرك . فقال : نعم ، ودعا رجلا فساراه ، وقال : اذهب إلى فلان فردته إلى ، فرجع إليه الرجل وقال لعمر : انطلق فجى بأصحابك ؛ فخرج عمرو ورأى ألا يعود لمثلها ، وعلم الرومى بأنه قد خدعه ، فقال : خدعنى الرجل ؛ هذا أدهى الخلق . فبلغت عمر ، فقال : غلبه عمرو ، لله عمرو ! وناهده عمرو ، وقد عرف مأخذه وعاقبته ، والتقوا ولم يجد من ذلك بدءاً فالتقوا بأجنادين ، فاقتلوا قتالا شديداً كقتال اليرموك ؛ حتى كثرت القتلى بينهم .

٢٤٠٠/١

ثم إن أرتبون انهزم فى الناس فأوى إلى إيلياء ، ونزل عمرو أجنادين . ولما أتى أرتبون إيلياء أفرج له المسلمون حتى دنحها ، ثم أزالهم إلى أجنادين ، فانضم علقمة ومسروق ومحمد بن عمرو وأبو أيوب إلى عمرو بأجنادين ، وكتب أرتبون إلى عمرو بأنك صديق ونظيرى ؛ أنت فى قومك مثلى فى قومى ؛ والله لا تفتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين ، فأرجع ولا تغر فتلقى ما لى الذين قبلك من الهزيمة . فدعا عمرو رجلا يتكلم بالرومية ، فأرسله إلى أرتبون ، وأمره أن يغرب ويتنكر ، وقال : استمع ما يقول حتى تخبرنى به إذا رجعت إن شاء الله .

وكتب إليه : جاءنى كتابك وأنت نظيرى ومثلى فى قومك ، لو أخطأتك خصلة تحاهلت فضيلتى ، وقد علمت أنى صاحب فتح هذه البلاد ، وأستعدى عليك فلاناً وفلاناً وفلاناً - لوزرائه - فأقرهم كتابى ، ولينظروا فيما بينى وبينك فخرج الرسول على ما أمره به حتى أتى أرتبون فدفع إليه الكتاب بمشهد من النفر ، فاقرأه فضحكوا وتعجبوا ، وأقبلوا على أرتبون ، فقالوا : من أين علمت أنه ليس بصاحبها ؟ قال : صاحبها رجل اسمه « عمر » ثلاثة أحرف ؛ فرجع الرسول إلى عمرو فعرف أنه عمر .

٣٤٠١/١

(١) لنكافئه . أى لتناوزه .

وكتب إلى عمر يستمدّه ، ويقول : إني أعالج حربياً كثوداً ضدوماً وبلاداً
 ادُّخِرْت لك ، فأرَيْتَكَ . ولما كتب عمرو إلى عمر بذلك ، عرف أن عمر لم يقل
 إلاّ بعلم ، فنأدى في الناس ، ثم خرج فيهم حتى نزل بالجابية . وجميع
 ما خرج عمر إلى الشام أربع مرّات ، فأما الأولى فعلى فرّس ، وأما الثانية
 فعلى بعير ، وأما الثالثة فقصر عنها أن الطاعون مستعر ، وأما الرابعة فدخلها
 على حمار . فاستخلف عليها ، وخرج وقد كتب مخرجه أوّل مرة إلى أمراء
 الأجناد أن يوافوه بالجابية - ليوم سماء لهم في المجرّدة - وأن يستخلفوا على أعمالهم .
 فلقوه حيث رفعت لهم الجابية ؛ فكان أوّل من لقيه يزيد ثم أبو عبيدة ثم خالد
 على الخيول ؛ عليهم الدّيباج والحريير ، فنزل وأخذ الحجارة ، فرماهم بها ،
 وقال : سرّع ما لُفِتِم عن رأيكم ! إيّاي تستقبلون في هذا الزّمي ؛ وإنما
 شعبتم منذ ستين ! سرّع ما ندّت بكم البيطنة ! وتالله لو فعلتموها على رأس
 المائتين لاستبدلت بكم غيركم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إنها يلامقة ،
 وإنّ علينا السلاح ، قال : فنعم إذا . وركب حتى دخل الجابية وعمرو
 وشُرحبيل بأجناديين لم يتحرّكا من مكانهما .

• • •

ذكر فتح بيت المقدس

وعن سالم بن عبد الله ، قال : لما قدم عمر رحمه الله الجابية ، قال له
 رجل من يهود : يا أمير المؤمنين ؛ لا ترجع إلى بلادك حتى يفتح الله عليك
 إيلياء ؛ فبينما عمر بن الخطاب بها ؛ إذ نظر إلى كُردوس من خيل مقبل ، فلما
 دنوا منه سلّوا السيوف ، فقال عمر : هؤلاء قوم يستأمنون ، فأمنوهم ؛ فأقبلوا
 فإذا هم أهل إيلياء ، فصالحوه على الجزية ، وفتحوها له ، فلما فتحت عليه
 دعا ذلك اليهودي ، فقيل له : إن عنده لعلماً . قال : فسأله عن الدجال
 - وكان كثير المسألة عنه - فقال له اليهودي : وما سألتك عنه يا أمير المؤمنين !
 فأنتم والله معشر العرب تقتلونهم دون باب لُدّ ببضع عشرة ذراعاً .

وعن سالم، قال: لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق، فقال: السلامُ عليك يا فاروق! أنت صاحب إيلياء لا والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء؛ وكانوا قد أشجوا عمراً وأشجاهم؛ ولم يقدر عليها ولا على الرملة، فبينما عمر معسكراً بالجابية، فزع الناس إلى السلاح، فقال: ما شأنكم؟ فقالوا: ألا ترى الخيل والسيوف! فنظر، فإذا كُردوس يلمعون بالسيوف؛ فقال عمر: مستأمنة، ولا ترأعوا وأمنوهم؛ فأمنوهم؛ وإذا هم أهل إيلياء، فأعطوه واكتبوا منه على إيلياء وحيزها، والرملة وحيزها؛ فصارت فلسطين نصفين: نصف مع أهل إيلياء، ونصف مع أهل الرملة؛ وهم عشر كُور، وفلسطين تعدل الشام كله؛ وشهد ذلك اليهودي الصلح، فسأله عمر عن الدجال؛ فقال: هو من بني بنيامين؛ وأنتم والله يا معشر العرب تقتلونهم على بضع عشرة ذراعاً من باب لُد.

وعن خالد وعبادة، قالوا: كان الذي صالح فلسطين العوام من أهل إيلياء والرملة؛ وذلك أن أربطون والتذارق لحقا بمصر، مقدم عمر الجابية، وأصيبا بعد في بعض الصوائف^(١).

وقيل: كان سبب قدوم عمر إلى الشام، أن أبا عبيدة حضر بيت المقدس، فطلب أهله منه أن يصالحهم على صلح أهل مدن الشام، وأن يكون المتواصي للعقد عمر بن الخطاب؛ فكتب إليه بذلك، فسار عن المدينة.

وعن عدي بن سهل، قال: لما استمدت أهل الشام عمر على أهل فلسطين، استخلف علياً، وخرج ممدداً لهم، فقال علي: أين تخرج بنفسك! إنك تريد عدواً كليباً، فقال: إني أبادر بجهاد العدو موت العباس؛ إنكم لو قد فقدتم العباس لانتقض بكم الشر كما ينتقض أول الجبل.

قال: وانضم عمرو وشرحبيل إلى عمر بالجابية حين جرى الصلح فيما بينهم، فشهد الكتاب.

وعن خالد وعبادة، قالوا: صالح عمر أهل إيلياء بالجابية، وكتب لهم

(١) الصوائف: جمع صائفة؛ وبها سميت غزوة الروم؛ لأنهم كانوا يمزونها صيفاً لمكان

فيها الصلح لكل كورة كتاباً واحداً ، ما خلا أهل إيلياء .

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ؛ أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئتها وسائر ملتها ؛ أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت^(١) ؛ فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ؛ ومن أقام منهم فهو آمن ؛ وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويختل بيئتهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيئتهم وصلبهم ، حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان ، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ؛ ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصد حصادهم ؛ وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية . شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان . وكتب وحصرت سنة خمس عشرة .

فأما سائر كتبهم فعلى كتاب لُد . بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل لُد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين ، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملتهم ؛ أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا ميلها ، ولا من صلبيهم ولا من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ؛ ولا يضار أحد منهم ؛ وعلى أهل لُد ومن دخل معهم من أهل فلسطين أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل مدائن الشام ، وعليهم إن خرجوا مثل

(١) اللصت مثل اللص : السارق ، وجمعه لصوت .

ذلك الشرط إلى آخره . ثم سرح إليهم ، وفرق فلسطين على رجلين ، فجعل
علقمة بن حكيم على نصفها وأنزله الرملة ، وعلقمة بن مجزز على نصفها
وأنزله إيلياء ؛ فنزل كل واحد منهما في عمله في الجنود التي معه .

وعن سالم ، قال : استعمل علقمة بن مجزز على إيلياء وعلقمة بن حكيم
على الرملة في الجنود التي كانت مع عمرو وضم عمراً وشرحبيل إليه بالجابية ،
فلما انتهى إلى الجابية ، وافق عمر رحمه الله راكباً ، فقبلاً ركبته ، وضم عمر
كل واحد منهما محتضنهما^(١) .

وعن عبادة وخالد ، قالا : ولما بعث عمر بأمان أهل إيلياء وسكنها الجند ،
شخص إلى بيت المقدس من الجابية ، فرأى فرسه يتوجى^(٢) ، فنزل عنه ،
وأتى بيرذون فركبه ، فهزه فنزل ، فضرب وجهه بردائه ، ثم قال : قبح الله
من علمك هذا ! ثم دعا بفرسه بعد ما أجمه أياماً بوقحه^(٣) فركبه ، ثم
سار حتى انتهى إلى بيت المقدس .

وعن أبي صفيّة ؛ شيخ من بني شيبان ، قال : لما أتى عمر الشام أتى
بيرذون فركبه ، فلما سار جعل يتخلج^(٤) به ، فنزل عنه ، وضرب وجهه ،
وقال : لا علم الله من علمك ! هذا من الخيلاء ؛ ولم يركب بردونا قبله
ولا بعده . وفتحت إيلياء وأرضها كلها على يديه ؛ ما خلا أجنادين فإنها فتحت
على يدي عمرو ، وقيسارية على يدي معاوية .

وعن أبي عثمان وأبي حارثة ، قالا : افتتحت إيلياء وأرضها على يدي عمر
في ربيع الآخر سنة ست عشرة .

وعن أبي مریم مولى سلامة ، قال : شهدت فتح إيلياء مع عمر
رحمه الله ، فسار من الجابية فاصلاً حتى يقدم إيلياء ، ثم مضى
حتى يدخل المسجد ، ثم مضى نحو محراب داود ؛ ونحن معه ،

(١) النويرى : « محتضناً » .

(٢) وجى الفرس وتوجى : إذا وجد وجماً في حافره .

(٣) بوقحه ، أى تركه أياماً حتى صلب حافره .

(٤) ابن الأثير : « يتجلجل » ، والنويرى : « يتخلخل » .

فدخله ثم قرأ سجدة داود ، فسجد وسجدنا معه .

وعن رجاء بن حيوة ، عمن شهد ؛ قال : لما شخص عمر من الحابية إلى إيلياء ، فدنا من باب المسجد ، قال : ارقبوا لي كعباً ، فلما انفرق به الباب ، قال : لبَّيك ، اللهم لبَّيك ، بما هو أحبُّ إليك ! ثم قصد المحراب ؛ محراب داود عليه السلام ، وذلك ليلاً ، فصلى فيه ، ولم يلبث أن طلع الفجر ، فأمر المؤذن بالإقامة ، فتقدم فصلتي بالناس ، وقرأ بهم « ص » ، وسجد فيها ، ثم قام ، وقرأ بهم في الثانية صدر « بنى إسرائيل »^(١) ، ثم ركع ثم انصرف ، فقال : على بكعب ، فأتى به ، فقال : أين ترى أن نجعل المصلتي ؟ فقال : إلى الصخرة ، فقال : ضاهيت والله اليهودية يا كعب ، وقد رأيتك وخلعتك نعليك ، فقال : أحببت أن أباشره بقدمي ، فقال : قد رأيتك ، بل نجعل قبلته صدره ، كما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبله مساجدنا صدورها ، اذهب إليك ، فإننا لم نؤمر بالصخرة ، وإكنا أمرنا بالكعبة ، فجعل قبلته صدره ، ثم قام من مُصلاة إلى كُناسة قد كانت الروم قد دفنت بها بيت المقدس في زمان بنى إسرائيل ؛ فلما صار إليهم أبرزوا بعضها ، وتركوا ساثرها ، وقال : يأيها الناس ، اصنعوا كما أصنع ، وجثا في أصلها ، وجثا في فرج من فروج قبائه ، وسمع التكبير من خلفه ، وكان يكره سوء الرعة في كل شيء ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : كبر كعب وكبر الناس بتكبيره فقال : على به فأتى به ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه قد تنبأ على ما صنعت اليوم نبي منذ خمسمائة سنة ، فقال : وكيف ؟ فقال : إن الروم أغاروا على بنى إسرائيل فأدبلوا عليهم ، فدفنوه ، ثم أدبلوا فلم يفرغوا له حتى أغارت عليهم فارس فبعغوا على بنى إسرائيل ، ثم أدبلت الروم عليهم إلى أن ولت ، فبعث الله نبياً على الكُناسة ، فقال : أبشري أوري سلم ! عليك الفاروق ينقذك مما فيك . وبعث إلى القُسطنطينية نبي ؛ فقام على تلها ، فقال : يا قُسطنطينية ، ما فعل أهلك بيبي ! أخربوه وشبهوك كعرشي ؛ وتأولوا على ، فقد قضيت عليك أن أجعلك جملحاء^(٢) يوماً ما ، لا يأوى إليك أحد ، ولا يستظل فيك

(١) أي سورة الإسراء .

(٢) يقال : بد جلعاء . أي لا شجر فيها .

على أيدي بني القاذر سبباً وودان ؛ فما أمسوا حتى ما بقي منه شيء .
وعن ربيعة الشامي بمثله ؛ وزاد : أتاك الفاروق في جندى المطيع ،
ويُدركون لأهلك بئارك في الروم . وقال في قسطنطينية : أدعك جلتحاء
بارزة للشمس ، لا يأوي إليك أحد ، ولا تظليته .

وعن أنس بن مالك ، قال : شهدت إبلياء مع عمر ، فيينا هو يطعم
الناس يوماً بها أتاه راهبها وهو لا يشعر أن الخمر محرمة ، فقال : هل لك
في شراب نجده في كتبنا حلالاً إذا حرمت الخمر ؟ فدعاه به فقال : من أي
شيء هذا ؟ فأخبره أنه طبخه عصيراً ، حتى صار إلى ثلثه ؛ فغرف بإصبعه ،
ثم حرّكه في الإناء فشطره ، فقال : هذا طلاء ؛ فشبهه بالقطران ، وشرب
منه ، وأمر أمراء الأجناد بالشام به ؛ وكتب في الأمصار : إني أتيت بشراب
مما قد طبخ من العصير حتى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه كالطلاء ، فاطبخوه
وارزقوه المسلمين .

٢٤١٠/١

وعن أبي عثمان وأبي حارثة ، قالا : ولحق أرطبون بمصر مقدّم عمر الجابية ،
ولحق به من أحبّ ممن أبي الصلح ، ثم لحق عند صلح أهل مصر ، وغلبهم
بالروم في البحر ، وبقي بعد ذلك ؛ فكان يكون على صوائف الروم ،
والتقى هو وصاحب صائفة المسلمين فيختلف هو ورجل من قيس يقال له
ضريس ؛ فقطع يد القيسي ، وقتله القيسي^(١) ، فقال :

فإن يكن أرطبون الروم أفسدها فإن فيها بحمد الله منتفعا
بنانتان وجرموز أقسم به صدر القناة إذا ما أنسوا فزعا
وإن يكن أرطبون الروم قطعها فقد تركت بها أوصاله قطعاً

وقال زياد بن حنظلة :

تذّكرت حرب الروم لما تناولت وإذا نحن في أرض الحجاز وبيننا
مسيرة شهر بينهن بلايلة وإذا نحن في أرض الروم يحمي بلادنا
وإذا نحن في عام كثير نرائله
يحاوله قرم هناك يساجله

٢٤١١/١

(١) النويري : « الفرشي » .

فَلَمَّا رَأَى الْفَارُوقَ أَرْمَانَ فَتَحَّهَا
 فَلَمَّا أَحْتَوَهُ وَخَافُوا صِوَالَهُ
 وَأَلْقَتْ إِلَيْهِ الشَّامَ أَفْلَازَ بَطْنِهَا
 أَبَاحَ لَنَا مَا بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ
 وَكَمْ مُثْقَلٍ لَمْ يَضْطَلِعْ بِأَحْتِمَالِهِ

وقال أيضا :

مَا عُمِرَ لِمَا أَتَتْهُ رَسَائِلُ
 وَقَدْ عَضَّتْ بِالشَّامِ أَرْضُ بَاهِلِهَا
 فَلَمَّا أَتَاهُ مَا أَتَاهُ أَجَابَهُمْ
 وَأَقْبَلَتْ الشَّامُ الْعَرِيضَةَ بِالذِي
 فَسَطَ فِيهَا بَيْنَهُمْ كُلَّ جِزْيَةٍ
 كَأَصِيدٍ يَحْمِي صِرْمَةَ الْحَيِّ أَغِيدَا
 تَرِيدُ مِنَ الْأَقْوَامِ مَنْ كَانَ أَنْجِدَا
 بِجَيْشٍ تَرَى مِنْهُ الشَّبَائِكَ سُجْدَا
 أَرَادَ أَبُو حَنْصٍ وَأَزْكَى وَأَزِيدَا
 وَكُلَّ رِفَادٍ كَانَ أَهْنَا وَأَحْمِدَا

...

ذكر فرض العطاء وعمل الديوان

وفي هذه السنة فرض عمر للمسلمين الفروض ، ودون الدواوين ، وأعطى
 العطايا على السابقة ، وأعطى صفوان بن أمية والحارث بن هشام وسهيل بن
 عمرو في أهل الفتح أقل ما أخذ^(١) من قبلهم ، فامتنعوا من أخذه وقالوا :
 لا نعرف أن يكون أحد أكرم منا ، فقال : إنني إنما أعطيتكم على السابقة
 في الإسلام لا على الأحساب ؛ قالوا : فنعم إذا ، وأخذوا ، وخرج الحارث
 وسهيل بأهليهما نحو الشام ؛ فلم يزالا مجاهدين حتى أصيبا في بعض تلك
 الدروب ؛ وقيل : ماتا في طاعون عمواس^(٢) .

(١) النويري : « أعطى » .

(٢) عمواس ، رواه الزنجشري بسكون الثاني ، ورواه غيره بفتحه : كورة بفلسطين ؛ كان
 منها ابتداء الطاعون في زمن عمر ، ثم فشا في الشام كله ؛ فمات فيه خلق كثير لا يحصى من
 الصحابة وغيرهم ؛ وكان ذلك سنة ١٨ هـ . ياقوت .

ولما أراد عمر وضع الديوان ، قال له عليّ وعبد الرحمن بن عوف : ابدأ بنفسك ، قال : لا ، بل أبدأ بعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم الأقرب فالأقرب ؛ ففرض للعبّاس وبدأ به ، ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ، ثم فرض لمن بعد بدر إلى الحديبية أربعة آلاف أربعة آلاف ثم فرض لمن بعد الحديبية إلى أن أقلع أبو بكر عن أهل الردّة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ؛ في ذلك من شهد الفتح وقاتل عن أبي بكر ، ومن ولى الأيام قبل القادسية ؛ كل هؤلاء ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف . ثم فرض لأهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين ؛ وفرض لأهل البلاء البارع^(١) منهم ألفين وخمسمائة ، ألفين وخمسمائة ، فقيل له : لو ألحقت أهل القادسية بأهل الأيتام ! فقال : لم أكن لألحقهم بدرجة من لم يدركوا ، وقيل له : قد سوّيت من بعُدت دارة بمن قربت دارة وقاتلهم عن فئانه ، فقال : من قربت دارة أحق بالزيادة ، لأنهم كانوا رداءً للتحريق^(٢) وشجى للعدوّ ، فهلاً قال المهاجرون مثل قولكم حين سوّينا بين السابقين منهم والأنصار ! فقد كانت نصرة الأنصار بفنائهم ؛ وهاجر إليهم المهاجرون من بعد ؛ وفرض لمن بعد القادسية واليرموك ألفاً ألفاً ، ثم فرض للروادف : المشنى خمسمائة خمسمائة ، ثم للروادف الثلاث^(٣) بعدهم ؛ ثلثمائة ثلثمائة ؛ سوى كل طبقة في العطاء ، قويتهم وضعيفهم ، عربتهم وعجمهم ، وفرض للروادف الربيع^(٤) على مائتين وخمسين ، وفرض لمن بعدهم وهم أهل هجر والعباد على مائتين ، وألحق بأهل بدر أربعة من غير أهلها : الحسن والحسين وأبازر وسلمان ؛ وكان فرض للعبّاس خمسة وعشرين ألفاً - وقيل . اثني عشر ألفاً - وأعطى نساء النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف عشرة آلاف ؛ إلا من جرى عليها الملك ؛ فقال نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضّلنا عليهن في القسمة ؛ فسوّ بيننا ؛ ففعل وفضل عائشة بألفين لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إيتاها فلم تأخذ ؛ وجعل نساء أهل بدر في

٢٤١٣/١

(٢) ابن الأثير : « للتحريف » .

(١) ابن الأثير : « النازع » .

(٣) النويرى : « الثلث » ، وهما سواء .

(٤) الربيع هنا : الجزء من أربعة .

خمسمائة خمسمائة، ونساء مَن بعدهم إلى الحديبية على أربعمائة أربعمائة؛ ونساء من بعد ذلك إلى الأيتام ثلثمائة ثلثمائة، ونساء أهل القادسية مائتين مائتين، ثم سوى بين النساء بعد ذلك؛ وجعل الصبيان سواء على مائة مائة، ثم جمع ستين مسكيناً، وأطعمهم الخبز، فأحصوا ما أكلوا، فوجدوه يخرج من جريبتين، فرض اكل إنسان منهم ولعياله جريبتين في الشهر.

وقال عمر قبل موته: لقد هممتُ أن أجعل العطاء أربعة آلاف أربعة آلاف، ألفاً يجعلها الرجل في أهله، وألفاً يزودها^(١) معه، وألفاً يتجهز بها، وألفاً يترفق بها؛ فمات قبل أن يفعل^(٢).

قال أبو جعفر الطبري: كتب إلى السري عن شعيب، عن سيف؛ عن محمد وطلحة والمهلب وزباد والمجالد وعمرو، عن الشعبي؛ وإسماعيل عن الحسن، وأبي ضمرة عن عبد الله بن المستورد عن محمد بن سيرين، ويحيى ابن سعيد عن سعيد بن المسيب، والمستنير بن يزيد عن إبراهيم، وزهرة عن أبي سلمة، قالوا: فرض عمر العطاء حين فرض لأهل النوى الذين أفاء الله عليهم؛ وهم أهل المدائن، فصاروا بعد إلى الكوفة، انتقلوا عن المدائن إلى الكوفة والبصرة ودمشق وحمص والأردن وفلسطين وميصر، وقال: النوى لأهل هؤلاء الأمصار ولمن لحق بهم وأعانهم، وأقام معهم ولم يفرض لغيرهم؛ ألافهم سكنت المدائن والقرى، وعليهم جرى الصلح؛ وإليهم أدنى الجزاء، وبهم سُدت الفروج ودوخ العدو. ثم كتب في إعطاء أهل العطاء أعطياتهم إعطاءً واحداً سنة خمس عشرة.

وقال قائل: يا أمير المؤمنين، لو تركت^(٣) في بيت الأموال عدة لكون إن كان! فقال: كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقاني الله شرها؛ وهي فتنة لمن بعدى؛ بل أعد لهم ما أمرنا الله ورسوله طاعة لله ورسوله؛ فهما عدتنا التي بها أفضينا إلى ما ترون، فإذا كان هذا المال ثمن دين أحدكم هلكتم.

(١) النويري: «يزودها».

(٢) هذا آخر ما زيد من ابن الأثير وابن حبيش: مما لم يرد في الأصول المخطوطة، وانظر ص ٥٩٤ س ٥ من هذا الجزء.

(٣) ابن الأثير: «شركت».

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف عن محمد والمهلب وطلحة وعمر وسعيد ؛ قالوا : لما فتح الله على المسلمين وقتل رسم ، وقدمت على عمر الفتوح من الشام جمع المسلمين ، فقال : ما يحلّ للوالي من هذا المال ؟ فقالوا جميعاً : أما لخاصته فقوته وقوت عياله ، لا وكس ولا شططاً ، وكسوتهم وكسوته للثناء والصيف ، ودابتان إلى جهاده وحوائجه وحملانه إلى حجته وعمرته ، والقسم بالسوية ، أن يعطى أهل البلاء على قدر بلائهم ، ويرمّ أهول الناس بعد ؛ ويتعاهدهم عند الشدائد والنوازل حتى تكشف ، ويبدأ بأهل النوى .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : جمع الناس عمر بالمدينة حين انتهى إليه فتح القادسية ودمشق ، فقال : إني كنت امرأ تاجرًا ، يغني الله عيالي بتجارتي وقد شغلتموني بأمركم ، فإذا ترون أنه يحلّ لي من هذا المال^(١) ؛ فأكثر القوم وعلى عليه السلام ساكت ، فقال : ما تقول يا علي ؟ فقال : ما أصلحك وأصلح عيالك بالمعروف ، ليس لك من هذا المال غيره ، فقال القوم : القول قول ابن أبي طالب .

٢٤١٦/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن أسلم ، قال : قام رجل إلى عمر بن الخطاب فقال : ما يحلّ لك من هذا المال ؟ فقال : ما أصلحني وأصلح عيالي بالمعروف ، ورحلة الشتاء ورحلة الصيف ، وراحلة عمر للحج والعمرة ، ودابة في حوائجه وجهاده .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشر بن الفضيل ، عن سالم بن عبد الله ، قال : لما ولي عمر قعد على رزق أبي بكر الذي كانوا فرضوا له ، فكان بذلك ؛ فاشتدت حاجته ، فاجتمع نفر من المهاجرين^(٢) منهم عثمان ، وعلي وطلحة ، والزبير ، فقال الزبير : لو قلنا لعمر في زيادة نزيدها إيتاه في رزقه ! فقال علي : وددنا قبل ذلك ؛ فانطلقوا بنا . فقال

(١) ابن الأثير والنويري : « في هذا المال » .

(٢) ابن الأثير والنويري : « الصحابة » .

عثمان : إنه عمر ! فهلموا فلنستبرئ ما عنده من وراء ؛ نأتى حفصة فنسألها ونستكتمها ، فدخلوا عليها وأمروها أن تخبر بالخبر عن نفر ، ولا تسمى له أحداً ، إلا أن يقبل ، وخرجوا من عندها ، فلقىت عمر في ذلك ، فعرفت الغضب في وجهه ، وقال : من هؤلاء ؟ قالت : لا سبيل إلى علمهم حتى أعلم رأيك ، فقال : لو علمت من هم لسوت وجوههم ؛ أنت بيني وبينهم ! أنشدك بالله ؛ ما أفضل ما اقتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك من الملبس ؟ قالت : ثوبين ممشقين ^(١) كان يلبسهما للوفد ، ويخطب فيهما للجُمع ؛ قال : فأى الطعام ناله عندك أرفع ؟ قالت : خبزنا خُبزة شعير ، فصبنا عليها وهي حارة أسفل عكّة ^(٢) لنا ، فجعلناها هشة دسمة ؛ فأكل منها وتطعم منها استطابة لها . قال : فأى مُبسَط كان يسطه عندك كان أوطأ ؟ قالت : كساء لنا ثخين كنا نربّعه في الصيف ، فنجعله تحتنا ، فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدثرنا بنصفه ، قال : يا حفصة ؛ فأبلغني عنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رَفُوعَ الفضول مواضعها ؛ وتبلغ بالترجية ^(٣) ، وإني قد رت فوالله لأضعن الفضول مواضعها ، ولأتبلغن بالترجية ؛ وإنما مثلى ومثل صاحبي كثلاثة سلكوا طريقاً ؛ فضى الأول وقد تزود زاداً فبلغ ، ثم اتبعه الآخر فسلك طريقه ، فأفضى إليه ، ثم اتبعه الثالث ، فإن لزم طريقهما سوزى بزادهما لحق بهما وكان معهما ؛ وإن سلك غير طريقهما لم يجامعهما .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية ، عن أصحابه .
والضحّاك عن ابن عباس ، قال : لما افتتحت القادسية وصالح من صالح من أهل السواد وافتتحت دمشق ، وصالح أهل دمشق ، قال عمر للناس : اجتمعوا فأحضرني علمكم فيما أفاء الله على أهل القادسية وأهل الشام . فاجتمع

(١) الثوب المشق : المصبوع بالمشق ، أى المفرة .

(٢) العكّة : زقيق صغير للسمن .

(٣) الترجية : الاكتفاء ؛ يقال : تزجيت بكذا ، أى اكتفيت به ، وفى ط : « الترجية »

رأى عمر وعليّ عليّ أن يأخذوا من قبل القرآن ، فقالوا : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ - يعني من الخمس - ﴿ فَلِللرَّسُولِ ﴾ ؛ إلى الله وإلى الرسول ؛ من الله الأمر وعلى الرسول التمس ﴿ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ .. ﴾ الآية ، ثم فستروا ذلك بالآية التي تليها : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ .. ﴾ ^(١) الآية ، فأخذوا الأربعة أخماس على ما قسم عليه الخمس فيمن بدأ به وثني وثلاث ، وأربعة أخماس لمن أفاء الله عليه المغنم . ثم استشهدوا على ذلك أيضاً : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾ ^(٢) ، فقسم الأخماس على ذلك ، واجتمع على ذلك عمر وعليّ ، وعمل به المسلمون بعده ، فبدأ بالمهاجرين ، ثم بالأنصار ، ثم التابعين الذين شهدوا معهم وأعانوهم ، ثم فوض الأغطية من الجزاء على من صالح أودعى إلى الصلح من جزائه ، مردود عليهم بالمعروف ؛ وليس في الجزاء أخماس ، والجزء لمن منع الذمة . ووفى لهم ممن ولي ذلك منهم ؛ ولمن لحق بهم فأعانهم ، إلا أن يؤاسوا بفضلة من طيب أنفس منهم ممن لم ينل مثل الذي نالوا .

٢٤١٨/١

قال الطبري : وفي هذه السنة - أعني معنة خمس عشرة - كانت وقعت في قول سيف بن عمر ، وفي قول ابن إسحاق : كان ذلك في سنة ست عشرة ، وقد ذكرنا الرواية بذلك عنه قبل ؛ وكذلك ذلك في قول الواقدي .

•••

نذكر الآن الأخبار التي وردت بما كان بين ما ذكرت من الحروب إلى انقضاء السنة التي ذكرت أنهم اختلفوا فيما كان فيها من ذلك :

٢٤١٩/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد والمهلب وعمرو وسعيد ، قالوا : عهد عمر إلى سعد حين أمره بالسير إلى المدائن أن يخلّف النساء والعيال بالعتيق ، ويجعل معهم كثفا ^(٣) من الجند ، ففعل

(٢) سورة الأنفال ٤١ .

(١) سورة الحشر ٧ ، ٨ .

(٣) الكثف : الجماعة .

وعهد إليه أن يُشركهم في كل مغنم ما داموا يخلفون المسلمين في عيالاتهم .
 قالوا : وكان مقام سعد بالقادسية بعد الفتح شهرين في مكاتبة عمر في
 العمل بما ينبغي ، فقدم زهرة نحو اللسان - واللسان لسان البر الذي أدلعه
 في الريف ، وعليه الكوفة اليوم ، والحيرة قبل اليوم - والنخيرجان معسكر به ،
 فافرض ولم يثبت حين سمع بمسيرهم إليه ، فلحق بأصحابه . قالوا : فكان
 مما يلعب به الصبيان في العسكر وتلقيه النساء عليهم ، وهم على شاطئ العتيق ،
 أمر كان النساء يلعبن به في زرود وذى قار ؛ وتلك الأمواه حين أمروا بالسير
 في جمادى إلى القادسية ، وكان كلاماً أبدن فيه كالأوابد من الشعر ؛
 لأنه ليس بين جمادى ورجب شيء :

العَجَبُ كُلُّ العَجَبِ بين جُمَادَى وِرجَبِ

أمرٌ قِضاهُ قد وَجَبَ يَخْبِرُهُ مَنْ قد شَجَبِ

٢٤٢٠/١

• تحت غبارِ وِلَجَبِ •

• • •

خبر يوم بُرس

قال : ثم إن سعدا ارتحل بعد الفراغ من أمر القادسية كله ، وبعد
 تقديم زهرة بن الحويصة في المقدمات إلى اللسان ، ثم أتبعه عبد الله بن المعتزم ،
 ثم أتبع عبد الله شريحيل بن السَّمَط ، ثم أتبعهم هاشم بن عتبة ، وقد ولّاه
 خلافته ، عمل خالد بن عُرْفُطَة ، وجعل خالداً على الساقة ، ثم أتبعهم وكل
 المسلمين فارس مؤد قد نقل الله إليهم ما كان في عسكر فارس من سلاح
 وكراع ومال ، لأبيام يقين من شتّال ، فسار زهرة حتى ينزل الكوفة
 - والكوفة كل حصباء حمراء وسهلة حمراء مختلطتين - ثم نزل عليه عبد الله
 وشريحيل ، وارتحل زهرة حين نزلاً عليه نحو المدائن ، فلما انتهى إلى بُرس
 لقيه بها بُصْبُهْرَى في جمع فناوشوه فهزمهم ، فهرب بُصْبُهْرَى ومن

معه إلى بابل وبها فآلة القادسية^(١) وبقايا رؤسائهم: النخيرجان ومهران الرازي والهزمرزان وأشباههم: فأقاموا واستعملوا عليهم الفيرزان، وقدم عليهم بصبهرى وقد نجا بطعنة، ثبات منها.

كتب إلى السرى، عن شعيب، عن سيف، عن النضر بن المسرى، عن ابن الرقيل، عن أبيه، قال: طعن زهرة بصبهرى في يوم برس، فوقع في النهر فمات من طعنته بعد ما لحق ببابل؛ ولما هزم بصبهرى أقبل بسطام دهقان برس، فاعتقد من زهرة وعقد له الجسور، وأتاه بخبر الذين اجتمعوا ببابل.

٢٤٢١/١

• • •

يوم بابل

قالوا: ولما أتى بسطام زهرة بالخبر عن الذين اجتمعوا ببابل من فلال القادسية، أقام وكتب إلى سعد بالخبر. ولما نزل سعد على من بالكوفة مع هاشم بن عتبة، وأتاه الخبر عن زهرة باجتماع الفرس ببابل على الفيرزان، قدم عبد الله، وأتبعه شرحبيل وهاشما، ثم ارتحل بالناس، فلما نزل عليهم برس، قدم زهرة فأتبعه عبد الله وشرحبيل وهاشما، واتبعهم فنزلوا على الفيرزان ببابل، وقد قالوا: نقاتلهم دستنا قبل أن نفرق، فاقتلوا ببابل، فهزموهم في أسرع من لفت الرداء، فانطلقوا على وجوههم؛ ولم يكن لهم همة إلا الافتراق، فخرج الهرمزان متوجها نحو الأهواز، فأخذها فأكلها ومهرججان قندق، وخرج الفيرزان معه حتى طلع على نهاوند، وبها كنوز كبرى؛ فأخذها وأكل الماهين^(٢). وصمد النخيرجان ومهران الرازي للمدائن، حتى عبرا بهنرسيير إلى جانب دجلة الآخر، ثم قطعوا الجسر، وأقام سعد ببابل أياما، وبلغه أن النخيرجان قد

(١) فالة القادسية: المنهزمون منهم.

(٢) الماهان: الدينور ونهاوند، إحداهما ماء البصرة والأخرى ماء الكوفة.

خلف شهریار؛ دهقانان من دهاقین الباب بیکوئی فی جمع ، فقدّم زهرة
ثم أتبعه الجنود ، فخرج زهرة حتى ينزل علی شهریار بکوئی بعد قتل
فیومان والفرخان فما بین سورا والدیر .

کتب إلى السری ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر بن السری ،
عن ابن الرقیل ، عن أبیه ، قال : کان سعد قدّم زهرة من القادسیة فمضى
متشعباً فی حربہ وجندہ ، ثم لم یلق جمعاً فهزمهم إلا قدّم ، فأتبعهم
لا یمرّون بأحد إلا قتلوه ممّن لحقوا به منهم أو أقام لهم ، حتى إذا قدّمه من
بابل قدّم زهرة بکبیر بن عبد الله اللیثی وکثیر بن شهاب السعدی أخوا
الغلاّق حین عبّر الصّراة ، فیلحقون بأخریات القوم وفیهم فیومان والفرخان ؛
هذا میسانی وهذا أهوازی ، فقتل بکیر الفرخان ، وقتل کثیر فیومان
بسورا . ثمّ مضى زهرة حتى جاوز سورا ، ثمّ نزل ، وأقبل هاشم حتى نزل
علیه ، وجاء سعد حتى ينزل علیهم ، ثمّ قدّم زهرة ، فسار تلقاء القوم ،
وقد أقاموا له فیما بین الدیر وکوئی ، وقد التخلف النّخیرجان ومیهران علی
جنودهما شهریار ، دهقان الباب . ومضیا إلى المدائن ، وأقام شهریار هنالك ،
فلما التقوا بأکناف کوئی ؛ جيش شهریار وأوائل الخیل ، خرج فنادی :
ألا رجل ، ألا فارس منکم شدید عظیم یخرج إلىّ حتى أنکثل به ! فقال ١ / ٢٤٢٣
زهرة : لقد أردت أن أبارزک ؛ فأما إذ سمعت قولک ، فإنی لا أخرج إلیک
إلا عبداً ؛ فإن أقمت له قتلک إن شاء الله ببغیک ؛ وإن فررت منه فلما
فررت من عبد ، وکابده ؛ ثمّ أمر أبا نباتة نائل بن جعشم الأعرجی - وكان
من شجعان بنی تمیم - فخرج إلیه ، ومع کلّ واحد منهما الرمح ، وکلاهما
وثیق الخلق ؛ إلا أن الشهریار مثل الحمل ، فلما رأى نائلا أتی الرمح
لیعتقه ، وأتی نائل رمحہ لیعتقه ، وانتضیا سفيهما فاجتلدا ، ثمّ اعتنقا
فخرًا عن دابتيهما ، فوقع علی نائل كأنه بیت ، فضغطه بفخذه ، وأخذ
الخنجر وأراغ حلّ أزرار درعه ، فوقعت إبهامه فی فم نائل ، فحطم عظمها ،
ورأى منه فتوراً ، فتاوره فجلد به الأرض ، ثمّ قعد علی صدره ، وأخذ
خنجره ، فكشف درعه عن بطنه ، فطعنه فی بطنه وجنبه حتى مات ،

فأخذ فرسه وسواريه وسلّبه ، وانكشف أصحابه ، فذهبوا في البلاد ، وأقام
زهرة بكوثى حتى قدم عليه سعد ، فأتى به سعداً ، فقال سعد : عزمت
عليك يا نائل بن جعشم لما لبست سواريه وقبّاءه ودرّعه ، ولتركين برذونه!
وغنمه ذلك كله . فانطلق ، فتدرّع سلبه ، ثم أتاه في سلاحه على دابته ،
فقال : اخلع سواريك إلا أن ترى حرباً فتلبسهما ؛ فكان أول رجل من
المسلمين سُور بالعراق .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب
وعمر وسعيد ، قالوا : فأقام سعد بكوثى أياماً ، وأتى المكان الذى جلس فيه
إبراهيم عليه السلام بكوثى ، فنزل جانب القوم الذين كانوا يبشرون إبراهيم ،
وأتى البيت الذى كان فيه إبراهيم عليه السلام محبوساً ، فنظر إليه وصلى على
رسول الله وعلى إبراهيم ، وعلى أنبياء الله صلوات الله عليهم ، وقرأ :
(وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ)^(١) .

حديث بهر سير

في ذى الحجة سنة خمس عشرة فاع قول سيف

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة
والمهلب وعمر وسعيد والنضر ، عن ابن الرّفيل ، قالوا : ثم إن سعداً قدم زهرة إلى
بهر سير ، فمضى زهرة من كوثى في المقدمات حتى ينزل بهر سير ، وقد
تلقاه شيرزاد بساباط بالصلح وتأدية الجزاء ، فأمضاه إلى سعد ، فأقبل معه
وتبعته المجنّبات ، وخرج هاشم ، وخرج سعد في أثره ، وقد فلّ زهرة كتيبة
كيسرى بُوران حول المظلم ، وانتهى هاشم إلى مظلم ساباط ، ووقف لسعد
حتى لحق به ، فوافق ذلك رجوع المقرّط . أسد كان لكيسرى قد ألفه
ونخيره من أسود المظلم ؛ وكانت به كتاب كيسرى التى تُدعى بُوران ،
وكانوا يحلفون بالله كل يوم : لا يزول ملك فارس ما عشنا - ، فبادر

(١) سورة آل عمران ١٤٠ .

المقرط الناس حين انتهى إليهم سعد ، فنزل إليه هاشم فقتله ، وسُمِّي سيفه المثنى ، فقبل سعد رأس هاشم ، وقبل هاشم قدم سعد ، فقدّمه سعد إلى بهرسير ، فنزل إلى المظلم وقرأ: ﴿ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ^(١) ﴾ ، فلما ذهب من الليل هدأة ارتحل ، فنزل على الناس ببهرسير ، وجعل المسلمون كلما قدمت خيل على بهرسير وقفوا ثم كبروا ، فكذلك حتى نجز آخر من مع سعد ، فكان مقامه بالناس على بهرسير شهرين ، وعبروا في الثالث .

• • •

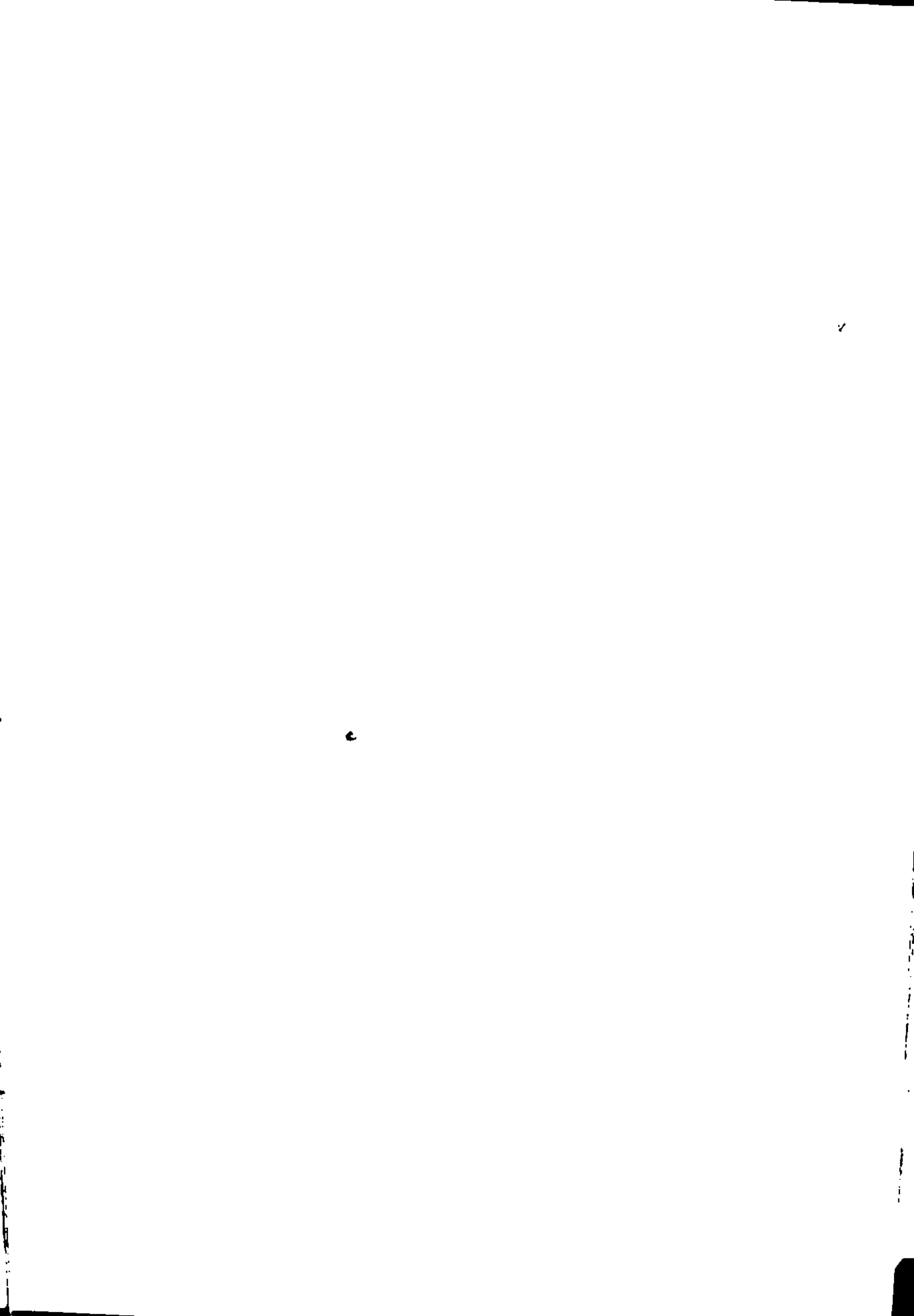
وحجّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب ، وكان عامله فيها على مكة عتاب بن أسيد ، وعلى الطائف يعلى بن منبّه . وعلى البهامة والبحرين عثمان بن أبي العاص ، وعلى عُمان حذيفة بن محصن ، وعلى كُور الشام أبو عبيدة ابن الجراح ، وعلى الكوفة وأرضها سعد بن أبي وقاص ، وعلى قضائها أبو قرّة ^(١) ، وعلى البصرة وأرضها المغيرة بن شعبة .

تم الجزء الثالث من تاريخ الطبرى

ويليه الجزء الرابع وأوله : ذكر حوادث سنة ست عشرة

(١) سورة إبراهيم ٤٤ .

(٢) ط : « أبوفروة » .



فهرس الموضوعات

صفحة	
٧ - ٥	بيان
السنة السابعة	
١٦ - ٩	غزوة خيبر
١٧ - ١٦	ذكر غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وادى القرى
١٩ - ١٧	أمر الحجاج بن علاط السلمى
٢١ - ١٩	ذكر مقاسم خيبر وأموالها
٢٣ - ٢١	حوادث متفرقة
٢٦ - ٢٣	عُمره القضاء
.	
السنة الثامنة	
٢٩ - ٢٧	خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثى بنى الملوّح
٣١ - ٢٩	إسلام عمرو بن العاص
٣٣ - ٣٢	غزوة ذات السلاسل
٣٣ - ٣٢	غزوة الحبّط
٣٦ - ٣٤	حوادث متفرقة
٤٢ - ٣٦	ذكر الخبر عن غزوة مؤتة
٦١ - ٣٨	ذكر الخبر عن فتح مكة
٦٦ - ٦٢	حوادث متفرقة
٦٩ - ٦٦	مسير خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة بن مالك
٨٢ - ٧٠	غزوة هوازن بحنين
٨٥ - ٨٢	غزوة الطائف

صفحة

٩٤ - ٨٦	أمر أموال هوازن وعطايا المؤلفمة قلوبهم منها
٩٥ - ٩٤	عمرة رسول الله من الجعرانة
	• • •

السنة التاسعة

١٠٠ - ٩٦	أمر ثقيف وإسلامها
١١١ - ١٠٠	ذكر الخبر عن غزوة تبوك
١١٥ - ١١١	أمر طيبيء وعدى بن حاتم
١٢٠ - ١١٥	قدوم وفد تميم ونزول سورة الحجرات
١٢٢ - ١٢٠	قدوم رسول ملوك حمير على رسول الله بكتابهم
١٢٤ - ١٢٢	حوادث متفرقة
١٢٥ - ١٢٤	قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بني سعد
	• • •

السنة العاشرة

١٣٠ - ١٢٦	سرية خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب وإسلامهم
١٣٠	حوادث متفرقة
١٣١ - ١٣٠	قدوم وفد الأزد
١٣٢ - ١٣١	سرية علي بن أبي طالب إلى اليمن
١٣٤ - ١٣٢	قدوم وفد زبيد
١٣٦ - ١٣٤	قدوم فروة بن مسيك المرادي
١٣٧ - ١٣٦	قدوم الجارود في وفد عبد القيس
١٣٨ - ١٣٧	قدوم وفد بني حنيفة ومعهم مسيلمة
١٣٩ - ١٣٨	قدوم الأشعث بن قيس في وفد كيندة
١٤٠ - ١٣٩	حوادث متفرقة
١٤٣ - ١٤٠	قدوم رفاعة بن زيد الجذامي

١٤٥ - ١٤٤	وفد بني عامر بن صعصعة .
١٤٦ - ١٤٥	قدوم زيد الخليل في وفد طيبي .
١٤٧ - ١٤٦	كتاب مسيلمة إلى رسول الله والحواب عنه
١٤٧	خروج الأمراء والعمال على الصدقات
١٥٢ - ١٤٨	حجة الوداع .
١٥٤ - ١٥٢	ذكر جملة الغزوات
١٥٨ - ١٥٥	ذكر جملة السرايا والبعوث
١٥٩ - ١٥٨	حوادث متفرقة
١٦٠ - ١٥٩	ذكر الخبر عن حج رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٦٨ - ١٦٠	ذكر الخبر عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٦٩	ذكر من خطب النبي صلى الله عليه وسلم من النساء ثم لم ينكهن
١٦٩	ذكر سراي رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٢ - ١٦٩	ذكر موالى رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٣	ذكر من كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٤ - ١٧٣	أسماء خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٤	ذكر أسماء بغال رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٥ - ١٧٤	ذكر أسماء إبله صلى الله عليه وسلم
١٧٦ - ١٧٥	ذكر أسماء لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٦	ذكر أسماء منائح رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٦	ذكر أسماء سيوف رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٦	ذكر أسماء قسيته ورماحه صلى الله عليه وسلم
١٧٨ - ١٧٧	ذكر أسماء دروعه صلى الله عليه وسلم
١٧٨	ذكر ترسه صلى الله عليه وسلم
١٧٩ - ١٧٨	ذكر أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم

صفحة

١٧٩ - ١٨٠	ذکر صفة النبي صلى الله عليه وسلم
١٨٠	ذکر خاتم النبوة التي كانت به صلى الله عليه وسلم
١٨١	ذکر شجاعته وجوده صلى الله عليه وسلم
١٨٣ - ١٨١	ذکر صفة شعره صلى الله عليه وسلم وهل كان يخضب أم لا ؟
١٨٣	ذکر الخبر عن بدء مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم

السنة الحادية عشرة

١٨٤ - ١٩٩	ذکر الأحداث التي كانت فيها
١٩٩ - ٢٠٣	ذکر الأخبار الواردة باليوم الذي توفي فيه رسول الله ومبلغ سنه يوم وفاته
٢٠٣ - ٢١٠	حديث السقيفة
٢١٠ - ٢١٦	ذکر جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه
٢١٧ - ٢١٨	ذکر الخبر عن اليوم والشهر اللذين توفى فيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
٢١٨ - ٢٢٣	ذکر الخبر عما جرى بين المهاجرين والأنصار في أمر الإمارة في سقيفة بني ساعدة
٢٢٣ - ٢٢٧	ذکر أول أمر أبي بكر في خلافته
٢٢٧ - ٢٤٠	بقية الخبر عن أمر الكذاب العنسي
٢٤٠ - ٢٤٩	حوادث متفرقة
٢٤٩ - ٢٥٢	كتاب أبي بكر إلى قبائل العرب المرتدة ووصيته للأمرء
٢٥٣ - ٢٦١	ذکر بقية الخبر عن غطفان حين انضمت إلى طليحة وما آل إليه أمر طليحة
٢٦١ - ٢٦٧	ذکر ردة هوازن وسليم وعامر
٢٦٧ - ٢٧٥	ذکر خبر بني تميم وأمر سجاح بنت الحارث بن سويد
٢٧٦ - ٢٨٠	ذکر البطاح وخبره

٣٠١ - ٢٨١	ذكر بقية خبر مسيلمة الكذاب وقومه من أهل الجمامة .
٣١٣ - ٣٠١	ذكر خبر أهل البحرين وردة الحطيم ومن تجمع معه بالبحرين
٣١٦ - ٣١٣	ذكر الخبر عن ردة أهل عمان ومهرة واليمن . . .
٣١٨ - ٣١٦	ذكر خبر مهرة بالنجد
٣٢٠ - ٣١٨	ذكر خبر المرتدين باليمن
٣٢٢ - ٣٢٠	خبر الأخابث من عك
٣٢٨ - ٣٢٣	ردة أهل اليمن ثانية
٣٣٠ - ٣٢٨	ذكر خبر طاهر حين شخص مدداً لفيروز
٣٤٢ - ٣٣٠	ذكر خبر حضرموت في ردتهم
٣٤٢	حوادث متفرقة

• • •

السنة الثانية عشرة

٣٥٠ - ٣٤٣	مسير خالد إلى العراق وصلح الحيرة
٣٥٢ - ٣٥١	ذكر واقعة المذار
٣٥٤ - ٣٥٣	ذكر واقعة الوجحة
٣٥٨ - ٣٥٥	خبر ألبس ، وهي على صلب الفرات
٣٥٩ - ٣٥٨	حديث أمغيشيا
٣٦٥ - ٣٥٩	حديث يوم المقروم فرات بادقلى
٣٧٣ - ٣٦٥	خبر ما بعد الحيرة
٣٧٥ - ٣٧٣	حديث الأنبار - وهي ذات العيون - وذكر ككواذى
٣٧٧ - ٣٧٦	خبر عين التمر
٣٨٠ - ٣٧٨	خبر دومة الجندل
٣٨٠	خبر حصيد
٣٨٠	الحنافس •
٣٨١	مصبخ بني البرشاء
٣٨٣ - ٣٨٢	الشي والزميل

• وانظر أيضا خبر الحنابس أيضا ص ٤٧٢ - ٤٧٦ من هذا الجزء (حوادث سنة ١٣)

صفحة	
٣٨٤ - ٣٨٣ حديث الفراض
٣٨٥ - ٣٨٤ حجة خالد .
٣٨٦ - ٣٨٥ حوادث متفرقة

السنة الثالثة عشرة

٣٩٤ - ٣٨٧ ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٤١٤ - ٣٩٤ خبر اليرموك
٤١٨ - ٤١٥ ذكر وقعة أجنادين *
٤٢٠ - ٤١٩ ذكر خير مرض أبي بكر ووفاته
٤٢٣ - ٤٢١	ذكر الخبر عمن غسله والكفن الذي كفن فيه ، ومن صلى عليه والوقت الذي صلى عليه فيه ، والوقت الذي توفي فيه
٤٢٤ ذكر الخبر عن صفة جسم أبي بكر رحمه الله
٤٢٥ - ٤٢٤ ذكر نسب أبي بكر واسمه وما كان يعرف به
٤٢٦ - ٤٢٥ ذكر أسماء نسب أبي بكر الصديق رحمه الله
٤٢٧ - ٤٢٦ ذكر أسماء قضاياه وعماله على الصدقات
٤٢٧ ذكر بعض مناقبه
٤٣١ - ٤٢٨ ذكر استخلافه عمر بن الخطاب
٤٣٤ - ٤٣١ حال أبي بكر قبل الخلافة وبعدها
٤٤٣ - ٤٣٤ ذكر غزوة فحل وفتح دمشق
٤٤٣ ذكر بيسان
٤٤٤ طبرية
٤٤٦ - ٤٤٤ ذكر خبر المشني بن حارثة وأبي عبيدة بن مسعود

• وانظر أيضاً أخبار وقعة أجنادين ص ٦٠٥ - ٦٠٦ من هذا الجزء حوادث سنة ١٥

صفحة

٤٥٠ — ٤٤٦	خبر النمارق .
٤٥٤ — ٤٥٠	السقاطية بكسكر .
٤٥٩ — ٤٥٤	وقعة القرقس .
٤٦٠ — ٤٥٩	خبر أليس الصغرى
٤٧٢ — ٤٦٠	البويب .
٤٧٦ — ٤٧٢	خبر الخنافس .
٤٧٩ — ٤٧٧	ذكر الخبر عما هيّج أمر القادسية

. . .

السنة الرابعة عشرة

٥٢٩ — ٤٨٠	ذكر ابتداء أمر القادسية
٥٤١ — ٥٢٩	يوم أرماث .
٥٥٠ — ٥٤١	يوم أغواث .
٥٦٣ — ٥٥٠	يوم عماس .
٥٧٩ — ٥٦٣	ليلة القادسية
٥٩٠ — ٥٧٩	ذكر أحوال أهل السواد
٥٩٧ — ٥٩٠	ذكر بناء البصرة

. . .

السنة الخامسة عشرة

٥٩٩ — ٥٩٨	ذكر الوقعة بمرج الروم
٦٠١ — ٥٩٩	ذكر فتح حمص .
٦٠٢ — ٦٠١	حديث فنسرين .
٦٠٣ — ٦٠٢	خبر ارتحال هرقل إلى القسطنطينية
٦٠٤ — ٦٠٣	ذكر فتح قيسارية وحصر غزّة

• وانظر خبر الخنافس أيضاً في صفحة ٣٨٠ من هذا الجزء (حوادث سنة ١٢)

صفحة	
٦٠٧ - ٦٠٥	• • • ذكر فتح بيسان ووقعة أجنادين •
٦١٣ - ٦٠٧	• • • • • ذكر فتح بيت المقدس •
٦١٩ - ٦١٣	• • • • • ذكر فرض العطاء وعمل الديوان •
٦٢٠ - ٦١٩	• • • • • خبر يوم برس •
٦٢٢ - ٦٢٠	• • • • • يوم بابل •
٦٢٣ - ٦٢٢	• • • • • حديث بهر سير في قول سيف •
٦٢٣	• • • ذكر حج عمر بن الخطاب في هذه السنة •

• وانظر أيضاً أخبار رقة أجنادين ص ٤١٥ - ٤١٨ من هذا الجزء (حوادث سنة ١٣)



كتاب التمهيد

تاريخ الطائفة

تأليف الأمام الميرزا

الميرزا محمد باقر

المجلد الثالث